المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠١هـ
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام

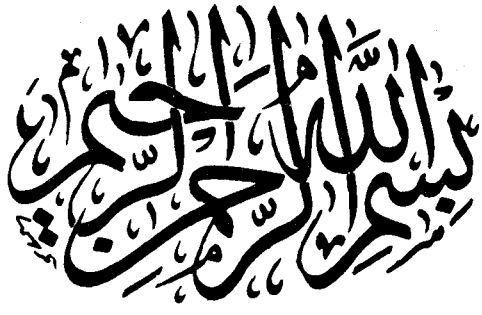
بسم الله الرحمن الرحيم

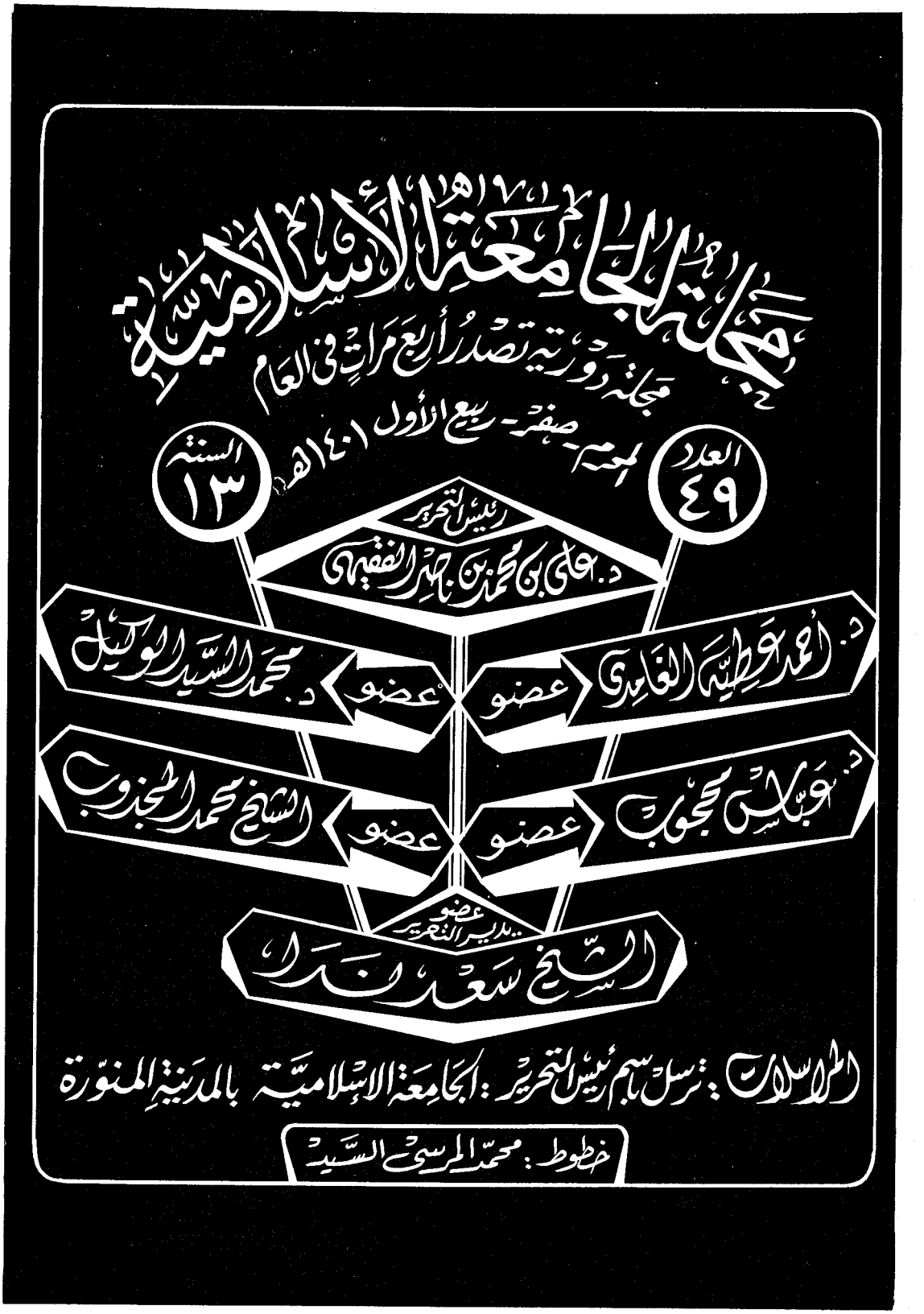
مجلة الجامعة الإسلامية
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
بمناسبة صفر - ربيع الأول ١٤٠١ هـ
السنة ١٣
العدد ٤٩
رئيس التحرير
د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
د. أحمد عطية الغامدي
عضو
عضو
د. محمد السيد الوكيل
د. عباس محجوب
عضو
عضو
الشيخ محمد المجذوب
مدير التحرير عضو
الشيخ سعد بن عتيق
المراسلات: ترسل باسم رئيس التحرير: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
خطوط: محمد المرسي السيد

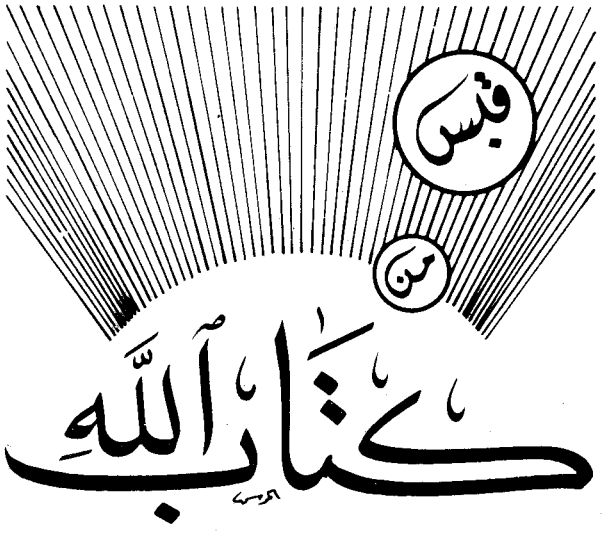

قال الله تعالى:

«وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا
مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾»

الآيات من سورة الحج

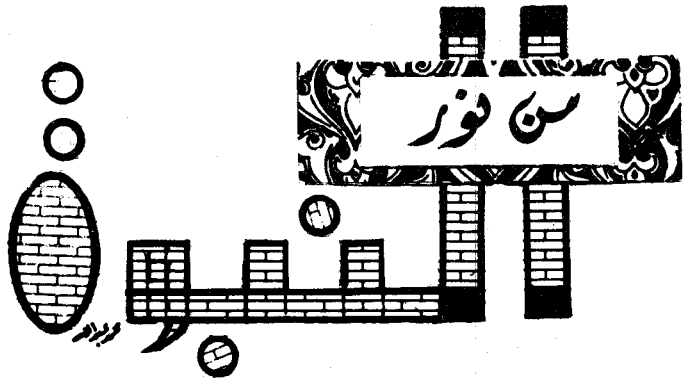

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

سُئِلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
أَيُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ:
"جِهَادٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟
قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ".

«أَخْرَجَهُ ٱلْبُخَارِي»

حكمة العدد

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

« مَنْ سَرَّهُ الْغِنَىٰ بِلَا مَالٍ، وَالْعِزُّ بِلَا سُلْطَانٍ، وَالْكَثْرَةُ بِلَا عَشِيرٍ !! فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَىٰ عِزِّ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ وَاجِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

كلمة التحرير

المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية بالسودان

لفضيلة الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
رئيس تحرير مجلة الجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، المنزل عليه قوله تبارك وتعالى : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف / آيـــة ١١٠ .

وبعـــــــــــد

فإن فترة الركود التى خيمت على العالم الإسلامي منذ زمن بعيد ، والمتجلية في جهل أبناء الأمة الإسلامية بحقائق دينها وسمو رسالتها وعظيم مسؤليتها ، تلك المسؤولية المتمثلة في قوله تبارك وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...) آل عمران / آيـــة ١١٠ ، بدأت تتضح أسبابها ومسبباتها لقادة الفكر الإسلامي ، والمهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية .

ولإيمان هؤلاء القادة بأن ما أصاب العالم الإسلامي من نكبات ، وما حل بهم من محن ، هو من عند أنفسهم ، ولعلمهم أيضاً بأن سنة الله تعالى في خلقه أن لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فقد بدأت الدعوات توجه على جميع المستويات لعقد لقاءات بين قادة الفكر الإسلامي وعلماء الأمة الإسلامية ، لدراسة أوضاع المسلمين ، وكيف وصلت بهم الحال إلى ما هم عليه الآن من ضعف ، وتفكك وتمزق ، وما أسباب ذلك وما علاجه ؟

وإن هذه الصحوة في حد ذاتها تبشر بخير لمستقبل هذا الدين .

ونحن نقول : إذا كان الطبيب لا يستطيع وصف الدواء للمريض إلا بعد تشخيص

---

(١) عقد المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية بالخرطوم فى السودان فى الفترة ما بين ٢٢ إلى ٢٥ جمادى الأولى عام ١٤٠١ هـ .

مرضه بفحص جسمه ليعرف علته . ومن ثم يقدم له الدواء النافع ؛ فإن على قادة الفكر الإسلامي تحسس الأسباب التى أدت الى ارتكاس الأمة الإسلامية حتى وصلت إلى حالتها الراهنة التي لا تحسد عليها .

ودراسة حالة المجتمعات الإسلامية اليوم . في حاجة إلى مقارنتها بالماضي في فجر انبثاق الرسالة الإسلامية لمعرفة ماضيها المجيد . وكيف انحدرت بعد ذلك ؟ . وهذا الأمر يستدعي نظرة سريعة لحالة المجتمع البشري قبل البعثة .

إن نظرة عابرة لحالة البشرية كلها قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم تعطينا صورة قاتمة لحالة ذلك المجتمع البائس في جميع شؤون حياته ؛ ذلك المجتمع الذى كان يسوده الاضطراب ، عداوة وبغضاء ، وانحطاط أخلاق وسلوك . ولا حق فيه للضعيف وإنما الحق فيه للقوي الغالب ، أما الضعيف المغلوب فهو مستعبد ممتهن ، وعلى رأس تلك الانحرافات الأخلاقية والسلوكية ؛ الشرك بالله الواحد الأحد .

وقد أنعم الله تعالى على تلك الأمة المتناحرة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فأخرجها برسالته من الظلمات إلى النور ، فأصبح أفرادها بنعمة الله إخوانا ، وذلك حين أذن الله لهذا النور أن يبدد تلك الظلمات المتراكمة ، وأن يسير هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالبشرية كلها إلى شاطئ السلامة ، (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سبأ / ٢٨ . .

فدعا البشرية كلها إلى هذا الخير ، وبيَّن لها سبيله ، وأوضح لها معالمه ، كما بين لها طرق الشر ، وحذرها من سلوك سبله ، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وسلك طريقه خلفاؤه الراشدون من بعده ، وقد حثَّ صلى الله عليه وسلم أمته على التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين من بعده ، وبسلوك المسلمين لذلك المنهج في العبادات والمعاملات سادوا البشرية جمعاء ، لنشرهم العدل بينهم وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فعم الاسلام شرق الأرض وغربها في فترة لم يحدث في تاريخ البشرية كلها مثل ذلك لدعوة من الدعوات ، وما ذلك إلا لسهولة ويسر تعاليم الإسلام لتمشيها مع الفطرة البشرية ، ولإخلاص حملة هذه الرسالة وحبهم إيصال هذا الخير إلى الناس جميعا ، دون أن يكون هدفهم التكالب على رئاسة ، أو طلب جاه في الدنيا ، وإنما كان همهم أن تكون كلمة الله هي العليا . ولذا نجد أنه إذا صدر أمر من الخليفة لقائد الجيش في أثناء المعركة بأن يسلم القيادة لجندي في جيشه ليكون قائداً بَدَلاً منه ، سلمه إياها ، وأخذ سيفه وانطلق جندياً يقاتل في سبيل الله تحت قيادته لأنه يعمل لله لا لمنصب ولا جاه .

وحين تخلى المسلمون عن هذه الروح الإسلامية وسلكوا مسلكا يخالف النهج الذى رسمه لهم سلفهم الصالح فى العبادات والمعاملات وجميع شؤون الحياة ، بدأت الحال تتغير ، فدب الوهن في جسم الأمة الإسلامية ، فتفرقت كلمتها ، وتشتت شملُها ، وتمزقت وحدتها ، وأصبحت شيعا وأحزابا ، يقتل بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، وليس هذا من الإسلام في شيء ·

ونجاح هذه الأمة مرهون بعودتها إلى ما كان عليه سلفها الصالح ، إذ لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ·

وإن عقد مؤتمر للدعوة الإسلامية في هذه الآونة ، والذى جاء بعد مؤتمر القمة الإسلامي الذى عقد في مكة المكرمة والذى يعتبر من أهم اللقاءات التى تمت بين ملوك ورؤساء دول العالم الإسلامي للعودة بشعوبهم إلى الحكم بشرع الله ، وتطبيق منهجه الذى ارتضاه لعباده ، بعد أن جربوا مناهج البشر وقوانينها ، لَخيرُ دليل على أن قادة الأمة الإسلامية ومفكريها بدؤوا يحاولون رسم الطريق لهذه العودة إلى الله خالقهم (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) · ومؤتمر الدعوة الاسلامية الذى عقد في السودان هو من السبل التى ترشد الأمة إلى الطريق لتطبيق شرع الله على عباده ، فإن من أهدافه :

١ ـ إتاحة الفرصة للقاء عدد كبير من علماء الأمة الإسلامية ، يمثل وقفة تأمل وإعمال فكر في الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، مقارنا بالماضي في فجر انبثاق الرسالة الإسلامية ، لتتضح فترة الركود وتتبين أسبابها ومسبباتها ، لبحثها وتحليلها ، ثم معالجتها تمهيداً لمطلع فجر جديد للأمة الإسلامية ·

٢ ـ الوصول إلى هدف مشترك بأسلوب موحد لمواجهة التحديات المعاصرة ·

٣ ـ إيجاد مناخ مناسب لتبادل الخبرات والتعرف على التجارب والمشكلات ، والإطلاع على الظروف المختلفة ، وطرق مواجهة المعضلات ، ووضع الخطط والبرامج للتلازم والتكامل بين العقيدة والعلم ·

٤ ـ بحث إمكانية وضع استراتيجية موحدة للدعوة الإسلاميّة ، تمكن من زيادة فاعليتها وعمق تأثيرها وشمول نشرها على مستوى العالم الإسلامي ، وما جاور أرض الإسلام ·

٥ ـ إتاحة الفرصة للتنسيق بين الحكومات والهيئات والمؤسسات والأفراد العاملين في مجال الدعوة الإسلامية بغرض تحقيق الاستغلال الأمثل للإمكانيات المتاحة ·

٦ ـ النظر في إمكانية توظيف ما حدث من تطور في وسائل الاتصالات على مختلف أنواعها في خدمة أغراض الدعوة الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي ·

٧ ـ وضع تصور واضح ومحدد للداعية من حيث التأهيل العلمي والاستعداد الفطري والتدريب النظري والعملي ·

إن هذه الأهداف الجيدة في مجال الدعوة ، وغيرها من الأهداف الأخرى التى طرحت في هذا اللقاء قد ناقشها المؤتمرون ، وأبدوا حيالها التوصيات المناسبة ، ومن أبرز تلك التوصيات :

أ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتقديم الإسلام بديلا شاملا للثقافة الغربية المادية ·

ب ـ دعم المركز الإسلامي الإفريقى بالخرطوم ·

جـ ـ دعم مركز الترجمة المزمع إنشاؤه بالخرطوم ·

د ـ نشر وتنشيط الدعوة الإسلامية في فلسطين ، ودعم الجامعة الإسلامية بالقدس ·

هـ ـ التأكيد على أهمية دور الإعلام في نشر الدعوة الإسلامية ، ومحاربة الأفكار الهدامة ، وتدعيم دور الإعلام بإعداد الإعلاميين المسلمين ، ومؤسسات إنتاج إعلامية إسلامية تهتم بالنشر المرئي والمسموع ، وإمداد أجهزة الإعلام غير الإسلامية بمعلومات دقيقة وصحيحة عن الإسلام ·

و ـ وفي مجال الشباب ، طالب المؤتمر بضرورة العناية بترشيد الشباب بدعم المنظمات الإسلامية الشبابية وتشجيع اللقاءات العالمية بينهم ·

ز ـ كما أشار المؤتمر إلى أن الدعاة المسلمين يتعرضون للمضايقات في بعض الدول الإسلامية ، وناشد كل الدول الإسلامية بتوفير الحرية لهم وعدم حظر الدعوة إلى قيام **نظم حكم إسلامية** ، وبكل أسف فقد عارض أحد أعضاء المؤتمر ـ وهو مسئول ديني ـ هذه التوصية في القاعة ولم يستجب له أحد من الأعضاء في تلك المعارضة ، بل جعل نفسه موضع استياء ونقد من المؤتمرين ·

حـ ـ وفي مجال التعليم ، أوصى المؤتمر بتقرير مادة الثقافة الإسلامية في جميع الجامعات ، ودعا الدول للاعتراف بالجامعات الإسلامية ، ورفع الحظر عن حملة هذه الشهادات في التعيين الحكومي ، ومساواة شهاداتهم بشهادات الجامعات الأخرى ·

ودعا المؤتمر إلى مناهضة الدعوة الهدامة الرامية لاستخدام العامِيّة ، والاهتمام بمعاهد الثقافة الإسلامية التاريخية مثل الجامع الأزهر · وجامعة الزيتونة ، والقرويين ، والمعهد العلمي بأم درمان ·

ط ـ كما دعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى إنشاء دور متخصصة في الحديث ، تضم خيرة العلماء لنشر السنة وحفظها ، والعناية بمقررات التربية الإسلامية في المدارس ·

هذه بإيجاز أهم توصيات المؤتمر عدا توصيات أخرى أقرها المؤتمرون ، وقد كلف المؤتمر اللجنة السودانية بترجمة هذه القرارات إلى مشاريع عملية ، ومتابعة تنفيذها مع الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي ·

وإن هذه النتائج التى توصل إليها المؤتمرون ، وصدرت حولها التوصيات المنوه عنها لهى نتائج جيدة ومفيدة ، لو أنها انتقلت من عالم الورق الذى كتبت عليه إلى الواقع العملى ، ذلك أن توصيات مماثلة سبقتها بقي الكثير منها حبراً على ورق ·

وإننا لمن المتفائلين ببوادر وعي إسلامي نحس بشائره في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، وذلك بعد التجارب المريرة التي ذاقها أبناء الأمة الإسلامية نتيجة ابتعادهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ومنهج سلفهم الصالح في تطبيق الكتاب والسنة عمليا حتى يكون واقعاً حيّاً تعيشه الأمة الإسلامية ، وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : (كنّا لا نتجاوز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل) ·

وإن مطالبة الشعوب الإسلامية بالعودة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، في جميع شئون حياتها وما لُمس من بوادر استجابة لتحقيق هذه الرغبة من رؤساء هذه الشعوب المسلمة ، كما جاء في مقررات مؤتمر القمة الإسلامى الذى عقد في مكة المكرمة ، يحتم على رجال الدعوة الإسلامية أن يضعوا منهجا موحداً يضمن للأمة سلامة طريقها في عودتها إلى تطبيق شريعة الله التى ارتضاها لعباده ، وإن على رؤساء الجمعيات وأصحاب النشاط البارز في مجال توجيه الشباب ، والذين يدعون جميعا إلى تحكيم شريعة الله أن يوحدوا طريقهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ويبتعدوا عن النزاع الذى يعقبه الفشل المحتوم كما قال تبارك وتعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال / ٤٦ ··

فيكفي الأمة الإسلامية ما عانته من فشل « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » وقد لدغ المسلمون مرات · ولا يمكن أن توحد الكلمة إلا أن يكون هناك مرجع تحتكم الفئات المختلفة في وجهات نظرها إليه ، ولا مرجع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر - وكلهم بحمد الله يدعون إلى الكتاب والسنة - إلا برجوعهم إلى منهج خلفائه الراشدين الذين حثنا رسول الهدى على التمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده حيث قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ·

فيجب على فقهاء الدعوة المهتمين بجمع كلمة الأمة ، وتطبيق أحكام الله في الأرض أن يتأملوا قوله صلى الله عليه وسلم : « وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي » لأن سنتهم والله

أعلم أطيب قدوة للأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ كانوا خير مثال لفهم تطبيق كتاب الله وسنة رسوله عمليا ، وكذلك من سلك مسلكهم في هذا المجال من بعدهم ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأن واحدة من هذه الفرق سوف تستمر ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، فقيل من هم يارسول الله قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي . وهذه المثلية شاملة لجميع شؤون الحياة ، في العقيدة وفي العبادات والمعاملات ونظم الحكم ، والسلوك والأخلاق وفي كل ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية لتحقيق استخلافها في الأرض ، فخلفاؤه والذين أتبعوهم بإحسان هم الذين على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) ، (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

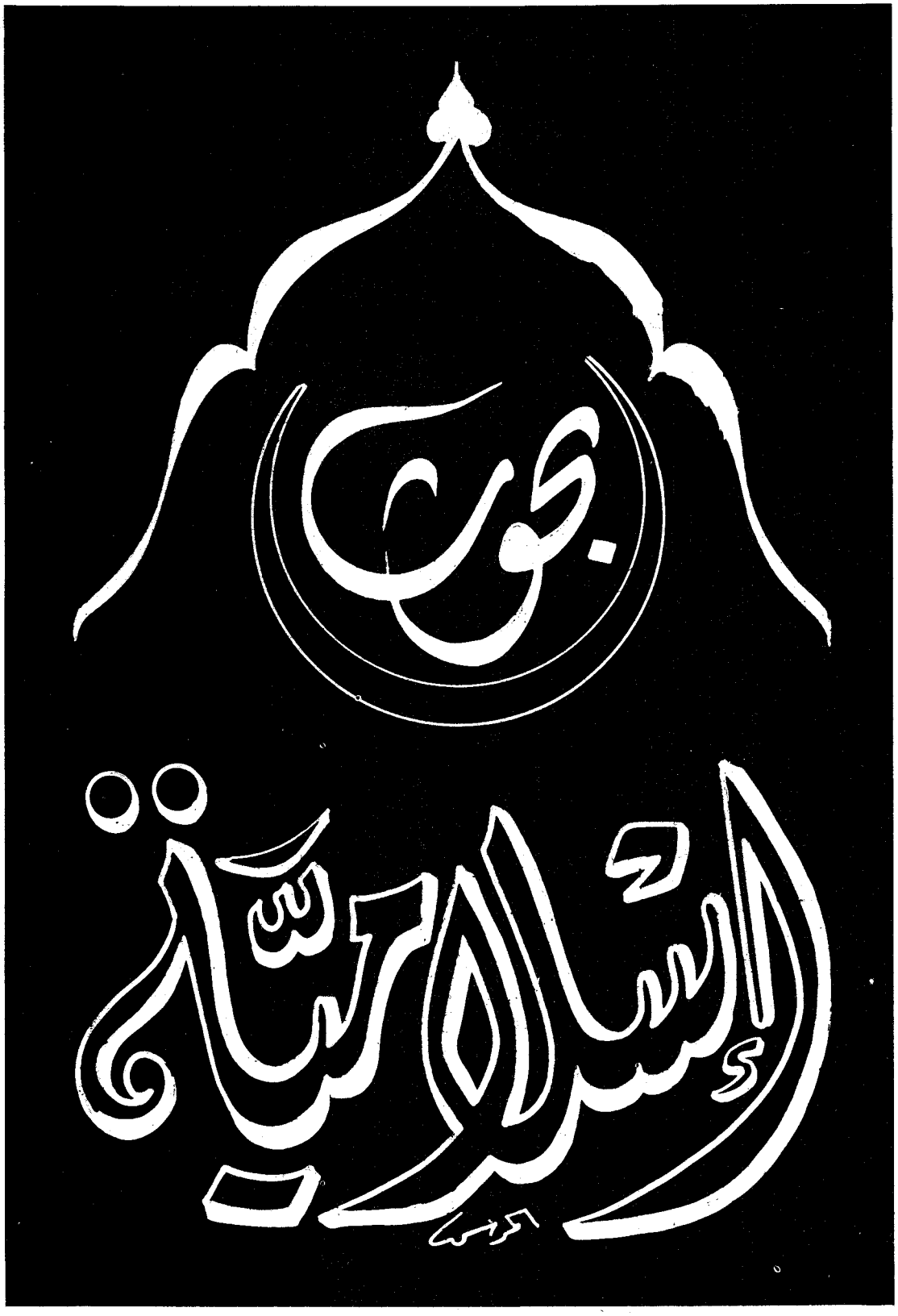
جوت
اسلام سنگھ

التفسير وأصوله

التمتع في الحج

لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعـــالى :

فإذا أمنتم فمن تمتّعَ بالعمرةِ إلى الحج فما استيسَر من الهدْيِ ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله شديد العقاب .

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد فقد يحسن أن يقدم بين يدى شرح هذه الآية القرآنية المباركة شرحُ مفرداتها أولا ، ثم شرح جملها وتراكيبها ، ليكون ذلك عوناً للقارئ على فهم مراد الله تعالى من هذه الآية الكريمة .

شرح المفردات :

١ ـ أمنتم : حصل لكم الأمن وهو عدم الخوف من عَدُوٍّ أو مرض .

٢ ـ تَمتّعَ بالعمرة إلى الحج : أحرم بالعمرة في أشهر الحج فلما أداها تحلل من إحرامه فتمتع بما كان محظوراً عليه بسبب الإحرام من لبس الثياب ، وتغطية الرأس ، ومس الطيب ومباشرة النساء .

٣ ـ العمرة : زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعى بين الصفا والمروة .

٤ ـ الحج : زيارة بيت الله تعالى لأداء أنواع من العبادات تسمى مناسك ، وهى الطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة ، ورمى الجمرات ، والنحر ، والحلق ، والمبيت بمنى ثلاث ليال ، وطواف الوداع .

٥ ـ استيسر : تهيّأ وسهل بدون كلفة ولا مشقة .

٦ ـ الهدى : ما يهدى إلى البيت من الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم .

٧ ـ حاضرى المسجد الحرام : مقيمين ساكنين بالمسجد الحرام ، وهو الحرم كلّه بحدوده المعروفة غربا وشرقا وشمالا وجنوبا .

معنى الآيـــــة :

لمّا ذكر تعالى حكم الإحصار وهو أن يُمنعَ الحاجُّ من دخول الحرم بسبب عدوٍّ حال بينه وبين دخول مكة لأداء المناسك ، أو بسبب مرض كذلك ، قياساً على المنع بالعدو ، فيذبح أو ينحر ما يتسر له نحره أو ذبحه ، ويتحلل من إحرامه ويعود إلى أهله ، ولاشيء عليه بعد ذلك ·

وكذلك ذكر حكم من مرض وهو محرم فاضطرَّ الى تغطية رأسه ، أو لبس ثيابه ، أو حلق شعره لأذى في رأسه ، وهو أنه يفعل ما اضطر إليه ، ويفدي ، والفدية واحدة من ثلاث : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو ذبح شاه ·

لما ذكرتعالى هذين الحكمين : حكم الإحصار ، وحكم المرض عقَّب على ذلك بحكم التمتع ، فقال عز وجل : فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية ·

يريد تعالى أن على المسلم إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج : شوال أو القعدة أو العشر الليالى الأول من شهر الحجة ، فأدّاها بأن طاف وسعى وحلق أو قصر ، ثم تحلّل فلبس الثياب ومسّ الطيب وتمتع بكل ما كان محظوراً عليه وبقى في مكة ينتظر الحج ، فإذا جاء يوم التروية أحرم بالحج وحج ، ·

إن على هذا المتمتع بالعمرة إلى الحج ما تيسر له من الهدى ، شاة أو بقرة أو بدَنة (بعير) ، فإن لم يجد ما يهديه ، إما لعدم وجود نقود زائدة على نفقته في سفره ، أو لعدم وجود الهدى نفسه ، فإن الواجب عليه عندئذ أن يصوم ثلاثة أيام في الحج أي ما بين تحلله من العمرة ويوم عرفة · وإن صام السابع والثامن والتاسع من شهر الحجة ، أجزأ ، وإن صام السادس والسابع والثامن ، كان خيراً وأفضل ··

ثم إذا عاد إلى أهله صام سبعة أيام ، وبها يكون قد أتم صيام عشرة أيام كاملة ، وذلك المطلوب في حق من تمتع بالعمرة إلى الحج مفرداً للعمرة عن الحج ، أو قارناً لها معه ·

ثم استثنى الله تبارك وتعالى ساكنى المسجد الحرام ، وهو الحرم كله كما قدمنا ، فإنه ليس لهم أن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج ، وذلك لعدم وجود مشقة تحصل لهم بالإحرام ، فإن أحدهم يحرم من منزله يوم التروية ويخرج إلى منىً ، بخلاف بعيد الدار فإنه يحرم من المواقيت فيبقى في سفره أياما ولياليِ محرماً ، يعانى من الشعثة والغبرة والتعب ؛ فرخص الله تبارك وتعالى في أن يحرم بعمرة ، فإذا قضاها تحلل منها ، وتمتع بلبس الثياب ومس الطيب ومباشرة النساء إن كانت امرأته معـه ·

ومقابل هذا التيسير الإلهي وجب عليه هديٌ شكراً لله تعالى على نعمة التيسير ورفع الحرج والمشقة ، ولله الحمد والمنّة .

ولما بين تعالى حكم التمتع بالعمرة إلى الحج ، أمر بتقواه وهي طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فقال : (واتقوا الله) ، وحذر من معصيته بترك ما أوجب أو بفعل ما حرم ، بقوله (واعلموا أن الله شديد العقاب) ، فإن من كان شديد العقاب ينبغي أن يُتقى فلا يُعصى .

وكان هذا منه سبحانه وتعالى رحمة بعباده ورأفة بهم ، حتى لا يتعرضوا لنقمه وأليم عذابه ، فله الحمد وله الشكر ، لا إله غيره ولارب سواه . هذا معنى هذه الآية المباركة الكريمة .

نعقب عليه بمسائل مهمة تتعلق بما تضمنته الآية من أحكام التمتع :

الأولى : هذه الآية نص صريح في جواز التمتع بالعمرة إلى الحج وهي عامة في كل حاج يريد أن يتحلل بعمرة انتظاراً للحج ، غير أن السنة خصصتها بمن لم يسق الهدى ، فإن من ساق معه هدياً من الحل لا يجوز له أن يتحلل من إحرامه حتى يقف بعرفة ، ويرمي جمرة العقبة ، وينحر هديه أو يذبحه ، لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في حجة الوداع أن يتحللوا بعد الطواف والسعي إلا من كان معه هدى ، فقد أمره بالبقاء على إحرامه ، نظراً لقوله تعالى : (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) .

الثانية : في الآية دليل قطعي على جواز الإفراد فان مفهوم قوله تعالى فمن تمتع الخ أن من لم يتمتع بأن يحج مفرداً فلا هدي عليه . وهذه المسألة أجمع المسلمون عليها أي على جواز الإفراد والتمتع والقران، الصحابة فمن دونهم إلى هذا اليوم . وخالف فيها الروافض والظاهرية ، فقالوا بوجوب التمتع ، ولازمه أنه لاإفراد وهو خطأ بيّن ، وخروج عن إجماع المسلمين وغرهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحلل إلا من ساق الهدى ، وهو أمر أراد به ـ فداه أبي وأمي ـ التوسعة على هذه الأمة ، ورفع الحرج عنها ، إذ كانوا يرون عدم جواز التمتع بل كانوا يعدونه من أفجر الفجور . حتى قالوا : إذا برأ الدبر حلت العمرة لمن اعتمر . مع ما فيه من الحرج . فإن المرء محرم من المدينة المنورة ويقضي عشرة أيام مسافراً أو أكثر وقد ينتظر الحج أياما أخرى فتحصل له المشقة ويتعب من ملازمته الإحرام هذه المدة الطويلة ، فرأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فأمرهم بالتحلل تخفيفاً عليهم ورحمة بهم ، وبين بهذه مراد الله تعالى وحققه عملياً ، وهو قوله (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) الآية . ويؤكد هذا ويقرره فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتقريرهم له ، اذ حج أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين مفردين بالحج ، بل كان عمر ينهى عن العمرة رغبة منه في أن لا يخلو البيت من زائر وطائف ، ولذا أجمع الأئمة الأربعة ومعهم السواد الأعظم على جواز أيّ من الأنساك الثلاثة ، وهى الإفراد والتمتع والقران · كما أجمعوا على أن من كان يعتمر في غير أشهر الحج ويحج من عامه ذاك أن الإفراد أفضل له ، كما أن من ساق الهدي معه من الحل أن القران أفضل له ، ومن لم يعتمر في غير أشهر الحج · ولا ساق الهدي أجمعوا أن التمتع أفضل له ، ذكر هذا وحققه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن هذا هذه الأمة الإسلامية خير الجزاء آمين ·

الثالثة: اختلف فيمن أحرم بالعمرة متمتعا بها إلى الحج ، ثم لما أداها خرج من الحرم ثم عاد محرما بالحج ، هل يعتبر متمتعا يجب عليه الهدي ، أو خروجه من الحرم أسقط عنه التمتع ولا هدي عليه في هذه الحال ؟

وأوسط أقوال العلماء في هذه وأعدلها أن من سافر حتى تجاوز المواقيت وحصلت له بذلك مشقة السفر ذهاباً وإيابا فإنه يسقط عنه هدي التمتع ، ولم يعتبر متمتعاً بما حصل له من السفر والمشقة · أما من كان دون المواقيت فهو متمتع ولم يسقط عنه الهدي بل يجب عليه ·

أما من عاد إلى بلاده وأهله فإن الإجماع على أنه غير متمتع ولا هدي عليه · وهذه مفهوم قوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ...

الرابعة : من لم يصم قبل العيد جاز له أن يصوم أيام التشريق الثلاثة رخص في ذلك غير واحد من الصحابة والأئمة ، إذا كان تأخيره للصوم لعذر مرض ونحوه ..

هذا والله أسأل أن يعلمنا وينفعنا بما يعلمنا ويزيدنا من العلم والعمل الذى يرضيه عنـــا آمين

الحديث وأصوله

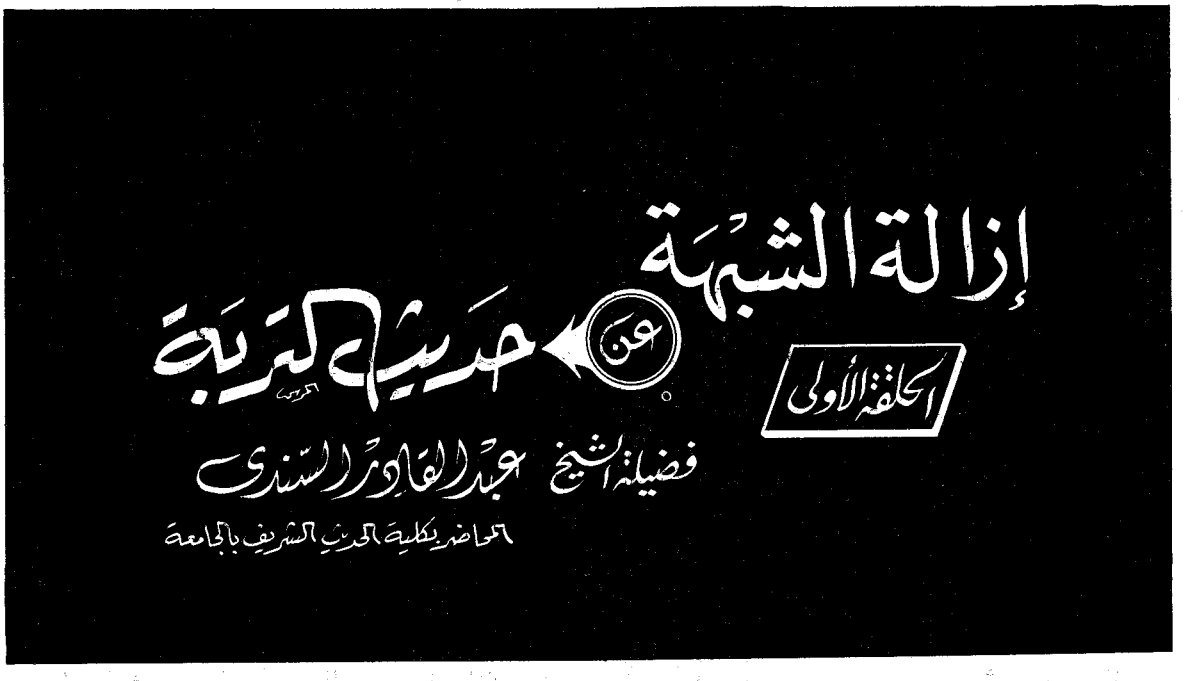

الحمد لله وحده ، والصلاة السلام على من لا نبي بعده أما بعـــد :

فمما يؤسف له حقا بما أورده الشيخ محمود أبو ريه في كتابه الذى أسماه « أضواء على السنة المحمدية » من شبهات هزيلة ، وآراء فاسدة ، وأفكار هدامة نحو السنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وقد رد على كتابه هذا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي ، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزه رحمهما الله تعالى ، ولقد أجادا وأفادا في رديهما البارعين المفيدين ، وكلاهما مطبوع في سنة ١٣٧٧ هـ . ولقد استفدت من كتابيهما كثيرا في هذا الباب ، فلله درهما ، رحمهما الله تعالى ، فما كنت أتجاسر على كتابة الرد على الشيخ أبي رية بعد وجود هذين الكتابين العظيمين وهما : « الأنوار الكاشفة لما في كتـاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة » للعلامة الشيخ المعلمي « وظلمات أبى رية » للعلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، فقد قام بنشر الكتابين المذكورين نصير السنة المحمدية الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالى ، وتغمده برحمته ورضوانه آمين .

وما كنت بحال من الأحوال ـ قد بلغت مبلغ هذين العلمين من العلم والفضل ومن سواهما إلا أني قد أردت ـ مع ضعف حيلتي وقلة بصيرتى وادراكي ـ أن أرضى الله جل وعلا وذلك بالدفاع عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذب عن كرامة أصحابه البررة الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين وعلى رأسهم الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الذى طعن فيه أبو رية وذلك باتهامه إياه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بريء منه ، وسائر أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، إذ قال أبو رية : (روى مسلم عن أبى هريرة أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الأثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، وقد قال البخارى وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الاحبار ، لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم قال أبو رية : ومن العجيب أن أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث بسماعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه أخذ بيده حين حدثه به ، وإنى لأتحدى الذين يزعمون في بلادنا أنهم على شيء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا ، أن يحلوا لنا هذا المشكل ، وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التى سقط فيها) .

قلت : هذا نص كلام أبى رية في كتابه آنف الذكر ، والشبهة التى لعبت في رأسه أن هذا الحديث لا يمكن الجمع بينه وبين نص القرآن الكريم الوارد في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى وهو أولا : في سورة الأعراف إذ قال جل وعلا :(إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) (١) ونحو هذا القول المبارك في سورة يونس (٢) وفي سورة هود (٣) وفي سورة الفرقان (٤) وفي سورة السجدة (٥) وفي سورة ق (٦) وفي سورة الحديد (٧) . وليس هناك تعارض حقيقي بين معنى

---

(١) الآية : ٥٤ .
(٢) رقم الآية : ٣ .
(٣) رقم الآية : ٧ .
(٤) رقم الآية : ٥٩ .
(٥) رقم الآية : ٤ .
(٦) رقم الآية : ٣٨ .
(٧) رقم الآية : ٤ .

هذا الحديث الشريف ، وما ورد في كتاب الله من خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، كما سوف يأتى ذلك مفصلا وموضحا إن شاء الله تعالى ، لأن هذه التحديات لم تكن قد وقعت من الشيخ محمود أبى رية إلا لبعده عما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من علوم صافية نقية ، وقواعد راسخة متينة ، وأصول ثابتة محكمة لا يشذ عنها إلا من ابتلى بمرض الجهل أو النفاق ، أعاذنا الله تعالى منهما ، وإنى سوف أتكلم على هذا الحديث الصحيح من جوانبه الأربعة المهمة ·

١ ـ تخريجـــــه ·
٢ ـ إسنـــــاده ·
٣ ـ معنـــــاه ·
٤ ـ شواهـــــده ·

تخريج الحـــــديث

أما تخريجه فقد أخرجه مسلم في صحيحه (١) والإمام أحمد في مسنده (٢) وابن جرير الطبري في تاريخه (٣) والإمام الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٠ هـ في تفسيره (٤) والإمام البيهقى في الأسماء والصفات (٥) و النسائي في السنن الكبرى (٦) · وقد عقد الامام النووى رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم بابا على هذا الحديث بقوله : باب ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام ، ثم ساق الإمام مسلم إسناده بقوله : حدثنى سريج بن يونس ، وهارون بن عبد الله ، قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم ذكر الحديث كما نقله أبو رية في كتابه ، وزاد مسلم في نهاية الحديث (في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل) وهذه الزيادة لم ينقلها أبو رية في كتابه آنف الذكر ثم قال مسلم رحمه الله تعالى في نهاية الحديث : قال إبراهيم : حدثنا البسطامي وهو الحسين بن عيسى ، وسهل بن عمار ، وإبراهيم بن بنت حفص وغيرهم عن حجاج بهذا الحديث اهـ ·

قلت : هكذا أثبت إسناد الحديث بهذا السياق عن حجاج بن محمد الأعور المصيصي الترمذي الأصل وهو من شيوخ الكتب الستة ، والإمام أحمد في مسنده ، وقد تغير أخيرا عند

إسنـــــــــاد الحـــديث

وأما إسناد هذا الحديث فهو إسناد من أسانيد مسلم في الصحيح كما ترى وهو على شرطه الذى اشترطه على نفسه في مقدمة صحيحه إذ قال رحمه الله تعالى (١) في مقدمته العلمية على صحيح مسلم ، ومقسما الأخبار التى يخرجها في صحيحه وهى ثلاثة أنواع (فأما القسم الأول فإنا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هى أسلم من العيوب من غيرها ، وأنقى ما يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث ، واتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ، وتخليط فاحش ، كما عثر فيه على كثير من المحدثين وبأن ذلك في حديثه ، فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخبارا يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان ، كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم ، وإن كانوا فيما وضعنا دونهم فإن اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يحملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبى الزياد وليث بن أبى سليم ، وأضرابهم من حمال الآثار ، ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان ، والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبه ، لأن هذا عند أهل العلم درجه رفيعة ، وخصلة سنية ، ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سمينا هم عطاءً ، ويزيد ، وليثا بمنصور بن المعتمر ، وسليمان الأعمش ، وإسماعيل بن أبى خالد في إتقان الحديث والاستقامة فيه ، وجدتهم مباينين لهم لا يدانونهم ، لاشك عند أهل العلم بالحديث في ذلك ، للذى استفاض عندهم من صحة منصور ، والأعمش ، وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم وإنهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ، ويزيد ، وليث ، وفي مثل مجرى هؤلاء إذا وازنت بين الأقران كابن عون ، وأيوب السختياني ، مع عوف بن أبى جميلة ، وأشعث الحمرانى وهما صاحبا الحسن ، وابن سيرين ، كما أن ابن عون وأيوب صاحبهما إلا أن البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل ، وصحة النقل ، وإن كان عوف ، وأشعث غير مدفوعين عن صدق وأمانة عند أهل العلم ، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم ، وانما مثلنا هؤلاء في التسمية ليكون تمثيلهم سمة يصدر عن فهمها من غبى عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهله فيه فلا يقصّر بالرجل العالى القدر عن درجته ، ولا يرافع متضع القدر في العلم فوق منزلته ، ويعطى كل ذى حق فيه حقه ، وينزل منزلته وقد ذكر عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : أمرنا رسول الله صلى

---

(١) مقدمة صحيح مسلم : ٥٠ ـ ٦٠ .

الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) فعلى نحو ما ذكرنا من الوجوه نؤلف ما سألت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما ما كان منها عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل تخريج حديثهم كعبد الله بن مسور وأبى جعفر المدائنى ، وعمرو بن خالد وعبد القدوس الشامى ، ومحمد بن سعيد المصلوب ، وغياث بن إبراهيم ، وسليمان بن عمرو ابى داود النخعى وأشباههم ممن اتهم بوضع الأحاديث وتوليد الأخبار ، وكذلك من الغالب على حديثه المنكر ، أو الغلط امسكنا أيضا عن حديثهم ا هـ .

قلت : هذا هو النقل عن الإمام أبى الحجاج مسلم رحمه الله تعالى في مقدمة صحيحه وأنه لم يخالف في إخراج حديث أبى هريرة رضى الله عنه بحال من الأحوال وأنه على شرطه تماما كما نص في هذا النقل بأنه لا يخرج جديث من كان متهما بالكذب أو من كان منكرا كثير الغلط ، وأما ما سواهما فإنه يخرج حديثهم للاستشهاد ، والمتابعات وهكذا نقل السيوطي في تدريبه (١) عن مسلم فرواه وبهذا الإسناد الذى أنا بصدد الكلام حوله فإنهم كلهم ثقات ، إلا أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس بن جابر الأنصارى المدني الذى يروى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة وروى عنه إسماعيل بن أمية فقد قال الحافظ في تقريبه (٢) : فيه لين من الرابعة ورمز له بأنه من رجال مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وقال في التهذيب (٣) وذكره ابن حبان في الثقات ، ورجحه الخطيب .

قلت : صالح للمتابعات والشواهد ، ويكتب حديثه ، ولم يخرج له مسلم سوى هذا الحديث الواحد فقط في صحيحه ، ولم يكن حديثه مخالفا للثقات ، كما سوف يأتي في معنى الحديث مفصلا إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام البخاري في تاريخه الكبير (٤) في ترجمة أيوب بن خالد هذا رقم الترجمة ١٣١٧ وروى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله التربة يوم السبت ، وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح ا هـ .

وقال الإمام ابن القيم في المنار المنيف (٥) ويشبه هذا ما وقع فيه الغلط من حديث أبي هريرة : خلق الله التربة يوم السبت ، وهو في صحيح مسلم ولكن الغلط في رفعه ، وإنما

---

(١) تدريب الراوي : ص٤٥ .
(٢) تقريب التهذيب : ١/٨٩ .
(٣) تهذيب التهذيب : ١/٤٠١ .
(٤) التاريخ الكبير : ٤١٣/٨ .
(٥) المنار المنيف : ص ٨٤ ، فصل١٩ .

هو قول كعب الأحبار ، ثم نقل عن الإمام البخاري قوله من تاريخه الكبير الذى نقل آنفاً ثم قال : وقال غيره من علماء المسلمين أيضا وهو كما قالوا ، لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام ، والله تعالى أعلم .

قلت : هكذا ضعف هذا الإسناد استنادا على قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، المنقول من تاريخه الكبير ، وإلى هذا التضعيف جنح الشيخ عبد القادر القرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١) اذ قال : وقد روى مسلم أيضا خلق الله التربة ثم ذكر الحديث ، ثم قال : واتفقت الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق ، وأن ابتداء الخلق كان يوم الأحد اهـ .

قلت : سوف يأتى الرد على هذا عند الكلام على معنى الحديث ، وقال العلامة المناوي في فيض القدير على شرحه على الجامع الصغير للسيوطي (٢) . أخرجه مسلم وهو من غرائبه ، وقد تكلم فيه ابن المدينى والبخاري وغيرهما من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب الاحبار ، وأن أبا هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا ، وقد حرر ذلك البيهقي ، وذكره ابن كثير في تفسيره ، وقال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السماوات في يومين اهـ

قلت : ليست هناك غرابة في معنى الحديث ولا تعارض مع نص القرآن الكريم ، كما يفصل ذلك ويوضح عند الكلام على معنى الحديث ، والإسناد قد تكلم عليه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ، وصححه كما سوف يأتي قريبا وقد صحح هذا الإسناد أيضا الإمام يحي بن معين ، وابن منده ، والدولابى ، والثقفي كما نقله الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى في صحيح الجامع الصغير (٣) . وقد تكلم عليه في الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٣٣ .

وقال الإمام البيهقي في الأسماء والصفات (٤) : وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته ما عليه أهل التفسير ، وأهل التواريخ ، وزعم بعضهم : أن إسماعيل بن

---

(١) جواهر المضية في طبقات الحنفية : ٢/٤٢٩ .

(٢) فيض القدير : ج٣ ص٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٣) صحيح الجامع الصغير : ٣/٣٢٣٠ .

(٤) الأسماء والصفات : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبى يحي عن أيوب بن خالد ، وإبراهيم غير محتج به ، ثم ساق إسناده بقوله : أخبرنا أبو عبد الله ، أخبرني أبو يحي أحمد بن السمرقندى ببخارى ، ثنا أبو عبد الله محمد بن نصر ، حدثنى محمد بن يحي ، قال : سألت على بن المديني عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، خلق الله التربة يوم السبت ، فقال على : هذا حديث مدني رواه همام بن يوسف عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن أبي رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، قال علىّ : وشبك إبراهيم بن أبى يحي ، وقال لى : شبك بيدي أيوب بن خالد ، وقال لى شبك بيدي عبد الله بن رافع ، وقال لى ، شبك بيدى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وقال لى : شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وقال لى : خلق الله الأرض يوم السبت فذكر الحديث ، قال على بن المديني : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى .

قلت : هكذا علل ابن المديني رحمه الله تعالى ، إسناد هذا الحديث ، بقوله إنه مروي عن طريق إبراهيم بن أبى يحي ، وإبراهيم غير محتج به كما قال البخاري في التاريخ الكبير (١) ، والصغير (٢) ، والضعفاء له (٣) والجرح والتعديل (٤) والضعفاء للنسائي (٥) والمجروحين لابن حبان (٦) والضعفاء للعقيلى (٧) وتهذيب الكمال (٨) ، والذهبي في الميزان (٩) ، وتذكرة الحافظ للذهبي (١٠) ، وتهذيب التهذيب (١١) ولم يثبت هؤلاء كلهم سماع أو رواية إسماعيل بن أمية عن إبراهيم بن أبي يحي هذا ، وهو متروك متهم بالكذب ، وهو من رواة ابن ماجه وقد انفرد به ولم يعلل البخاري رحمه الله تعالى هذا التعليل في تاريخه الكبير ، ولم يضعف على بن عبد الله المديني رحمه الله تعالى أيوب بن خالد الأنصاري الذي روى هذا الحديث ، ولقد قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى بعد نقل ابن المديني حول هذا الإسناد في الأسماء والصفات .

---

(١) التاريخ الكبير : ٢٢٣/٨ .
(٢) التاريخ الصغير : ٢١٣ .
(٣) الضعفاء : ص٣ .
(٤) الجرح والتعديل : ١٢٥/٨ .
(٥) الضعفاء : ص٣ .
(٦) المجروحين : ١/٩٢ .
(٧) الضعفاء ورقة ١٣ .
(٨) تهذيب الكمال : ٦٥/٨ .
(٩) ميزان الاعتدال : ١/٥٧ .
(١٠) تذكرة الحفاظ : ١/٢٤٦ .
(١١) تهذيب التهذيب : ١/٨٥ .

قلت : أى قال الامام البيهقي رادا على ابن المديني حين قال إن إسماعيل بن أمية روى هذا عن إبراهيم بن أبي يحي - وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذى عن أيوب ابن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروى عن بكر بن الشرود ، عن إبراهيم بن أبي يحي عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد وإسناده ضعيف ، والله أعلم اهـ .

قلت : لم يرتض البخاري رحمه الله تعالى قول شيخه ابن المديني لأن إسماعيل بن أمية ثقة ثبت عند المحدثين ، وليس بمدلس وهو معاصر لشيخه أيوب بن خالد الأنصاري كما لا يخفى هذا الأمر على من مارس من التحقيق في علوم الحديث ، وكأن البخاري رحمه الله تعالى قد أعل هذا الإسناد بأمر آخر في تاريخه ، كما قال الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي في الأنوار الكاشفة (١) . إذ قال رحمه الله تعالى : ومؤدى صنيعه أنه يحس أن أيوب أخطأ ، وهذا الحس مبنى على ثلاثة أمور : الأول : استنكار الخبر لما مر ، الثانى : أن أيوب ليس بالقوى ، وهو مقل ، ولم يخرج مسلم إلا هذا الحديث كما يعلم من الجمع بين رجال الصحيحين ، وتكلم فيه الأزدي ، ولم ينقل توثيقه عن أحد الأئمة إلا أن ابن حبان ، ذكره في ثقاته ، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف .

الثالث : الرواية التى أشار إليها بقوله « وقال بعضهم : وليته ذكر سندها ومتنها فقد تكون ضعيفة في نفسها وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين . ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب . وعبد الله بن سلام ، ووهب بن منبّه ومن يأخذ عنهم ، أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد وهو قول أهل الكتاب المذكور في كتبهم وعليه بنوا قولهم في السبت اهـ

قلت : هذا الوجه الثالث الذى ذكره رحمه الله تعالى كان ينبغي أن يحتفظ به على رده على الإمام البخاري رحمه الله تعالى في تضعيفه لأيوب بن خالد الأنصاري وسوف يأتى ذلك مفصلا عند ذكر معنى الحديث وخلاصة القول أن على بن المديني والبخاري رحمهما الله تعالى لم يتفقا في تعليلهما على تضعيف هذا الإسناد بل لكل واحد منهما رأى متغاير في التضعيف ولو اتفقا على علة واحدة لكان لرأيهما وزن كبير وثقل عظيم ، وقد رد عليهما الإمام البيهقي ، والشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمى رحمهما الله تعالى ، وسوف يأتي كلام المعلمي مفصلا عند معنى الحديث بعد ما يثبت إسناد الحديث بالحجة القاطعة ، والبرهان الواضح ، فلله دره رحمه الله تعالى .

---

(١) الأنوار الكاشفة : ص١٨٩ .

وأزيد على ما ذكره المعلمي حول إسناد هذا الحديث والإمام البيهقي في ذكره الزيادات الإسنادية ثم تضعيفه إياها وسكوته عليها فأقول : إن هذا الإسناد الذى تكلم عليه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير بقوله : « وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح » إن حكمه على هذا الإسناد بالأصحية يدل على أن رواية مسلم التى صرح فيها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم شاذة في نظر البخاري رحمه الله تعالى ، ولكن أين هذه الرواية التى أشار اليها بالأصحية ومن أخرجها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، والبخاري رحمه الله تعالى لم يخرجها في الجامع الصحيح ولا في غيره من الكتب ، ولقد فتشت عنها كثيرا في كتب الحديث المطبوعة التى بين يديّ والمخطوطة فلم أقف عليها ، وكذا في كتب التراجم والسير والتاريخ والتفسير ولم يشر إليها أحد من المحدثين ، ما عدا الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، ولم يعلل الإمام على بن عبد الله المديني هذا الاسناد بما علل به تلميذه الرشيد رحمهما الله تعالى ، والبخاري يقول في حق شيخه هذا كما نقل هذا المزي في تهذيب الكمال والحافظ في التهذيب وغيرهما من أئمة الحديث « ما استغرت نفسي إلا عند ابن المديني فإنه خلقه الله تعالى للحديث » والإسناد قد صححه جملة كبيرة من المتحدثين كما مضى ، وأما قول الإمام البيهقي في الأسماء والصفات عند رده على ابن المديني ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحي الخ : فاستعماله كلمة « زعم » رد واضح وإنكار ظاهر ، وكيف لا ، وقد كان إسماعيل ابن أمية معاصراً لأيوب بن خالد الأنصاري ، ولم يكن متهما بالتدليس ، ولا بالإرسال الخفي وليس هناك انقطاع ، فيما علمت ، ولو كان هناك شيء لأشار إليه البخاري في تاريخه الكبير ، ولهذا صحح الإسناد جملة كبيرة من أهل الفن كما نقل عنهم ، وأما الزيادات التى أشار إليها الإمام البيهقي في هذا الإسناد فإنها زيادة في متصل الأسانيد كما لا يخفى مع ضعفها كما أشار اليها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى ، والضعف محتمل في نظره رحمه الله تعالى ، وفي نظر أهل الفن خصوصا متابعة موسى بن عبيدة الربذى لإسماعيل بن أمية عن شيخه أيوب بن خالد الأنصاري ، واكتفى بهذا القدر بما يتعلق بإسناد خبر أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو إسناد صحيح كما اشترطه مسلم في صحيحه كما ظهر لك من هذه الدراسة المتواضعة التى تتعلق بقولى الإمام على بن عبد الله المديني والإمام البخاري رحمهما الله تعالى وعدم اتفاقهما على علة واحدة في تضعيف الإسناد فهناك دليل قوى على تفوق جانب المصححين قوة ورجحانا وهم أكثر والله تعالى أعلم بالصواب .

(يتبع)

****

ليهلك من هلك عن بينة

ويحيى من حي عن بينة

موفق القصاب
الجامعة الاسلامية

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) طه ١٢٣ - ١٢٦ .

أيها المسلم ... مالي أرى الخطيب ينصحك في كل جمعة ولا تسمع ... مالي أرى عينك أسفاً على فساد الأحوال لا تدمع ... مالي أرى قلبك حزناً على ضعف الدين لا يتقطع ... مالي أراك لا تتوب وقد نزل بك ما نزل ... أيسرك الصلوات الخمس وقد تركت ... أيسرك أعراض المسلمات وقد هتكت ... أيسرك آداب الإسلام وقد هجرت ... أيسرك مجد الإسلام وقد رحل ... هل يليق بك أن ترى أختك في الدين تخرج عن الصراط السوي ... هل يليق بك أن ترى المسلمة فى هذا السفور الفاضح الذى يتعارض مع أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ... أترضى أن يكون بيت اللهو معموراً وبيت الله في خراب ... أترضى أن تكون الظواهر في انتظام والبواطن في انقلاب ... أترضى أن تتأدب في مجلس فلان وفي مجلس القرآن تغتاب ... أترضى أن تكون في الدنيا على غير هدى وفي الأخرى على غير أمل ... أهكذا تفعل أمة رسولها سيد الأكوان ... أهكذا تفعل أمة يتلى بينها القرآن ... أهكذا تفعل أمة يحاسبها الملك الديان ... أهكذا الشرع ... أهكذا الدين ... أهكذا العمل ... ؟

قم سلسل الدموع حزناً على هذا الفساد الشائع ... قم مزق الضلوع حزناً على هذا الشرع الضائع ... قم ذكر نفسك بخطاياك فليس السكوت بنافع ... قم دبر أمرك قبل حلول الأجل ...

اتق الله واعلم أن الدنيا ليست دار خلود ... اتق الله وقد نصحتك والله والملائكة شهود ... اتق الله فقد طال هجرك للملك المعبود ... اتق الله تفلح وتربح وتنجح

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواه مسلم رياض الصالحين ص ٧٢ .

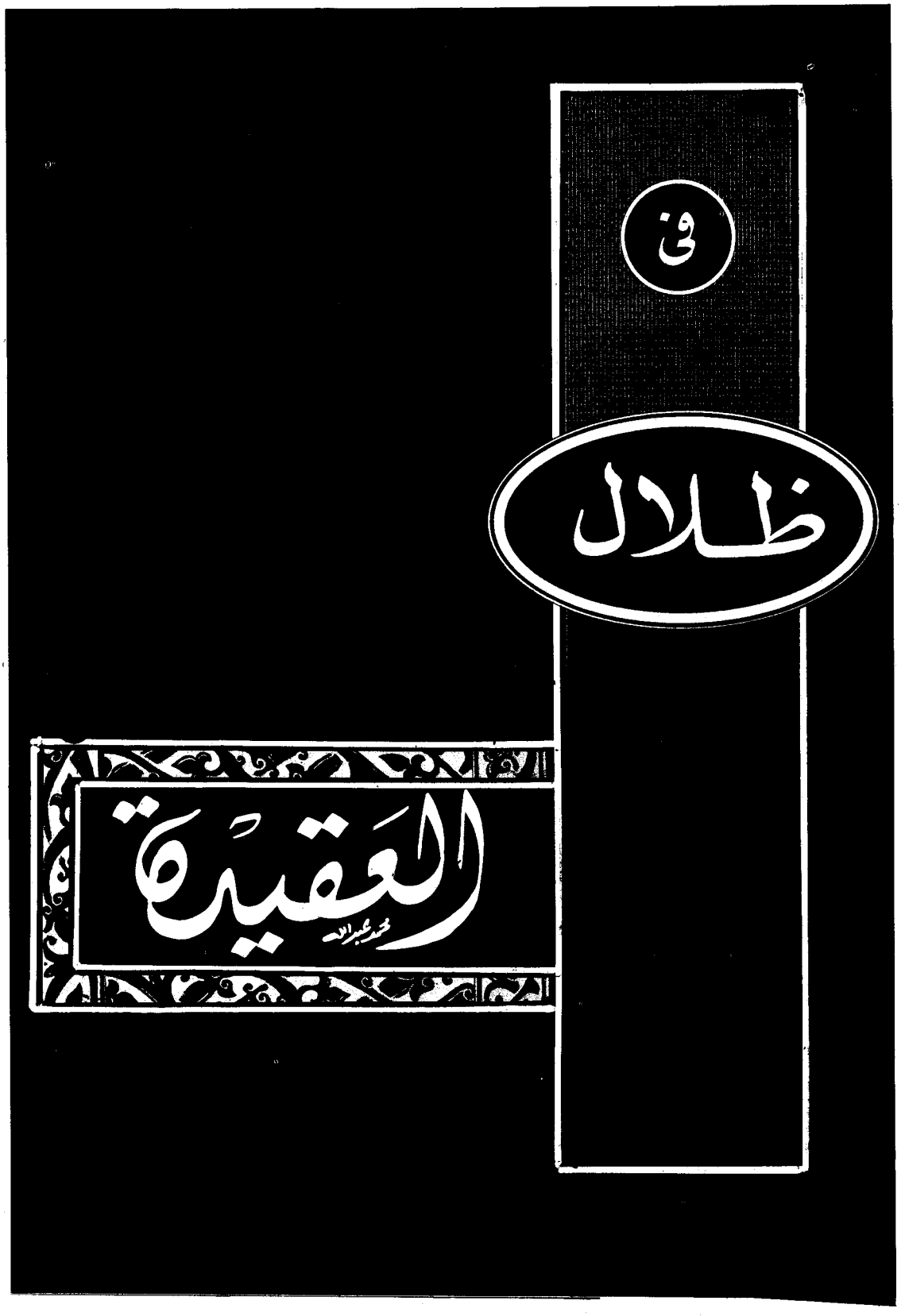
في
ظلال
العقيدة
محمد عبد الله

مفهوم الأسماء والصفات

فضيلة الشيخ / سعد ندا المدرس بالجامعة الإسلامية

في حلقات ثلاثِ مَضَيْن ، ذكرت تسعا وثلاثين اسما من أسماء الله الحسنى ، وألقيتُ أضواء على بعض معانيها بحسب ما يسّر الله عز وجل لى من فهم ، وأشرتُ إلى أن تلك الأسماء وردت في القرآن الكريم مرات بلغ مجموعها (٢٧٥٨) ثمانى وخمسين وسبعمائة وألفى مرة في مواضع مختلفة .

والذى يهمنى أن أؤكده في كل حلقة من هذه الحلقات ؛ أن تكرار أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ـ فضلا عن السنة المشرفة ـ بهذه الأعداد الضخمة ، لم يأت عبثاً ، ولم يكن أمراً عشوائياً ، وإنما هو لَفْتٌ إلى عِظَمِ أهمية هذه الأسماء ، وضرورة تعرف المسلم عليها ، لأن كل اسم منها يتضمن صفة كمال لله تبارك وتعالى ، وصفات كماله ـ جلَّ وعلا ـ يتحتم على كل مسلم أن يعرفها ، إذ لا يمكن أن يعبد إلهاً يجهله . وسبيل معرفته ـ سبحانه ـ لاتكون إلا بمعرفة أسمائه الحسنى ، وصفات كماله العُلى . ومن ثمَّ تتضح الضرورة الملحَّة للمسلم التى تلزمه بمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، إذ هى سبيله إلى توحيده سبحانه ، وتوحيده هو الوسيلة الوحيدة لتصحيح عمله وقبوله .

وإتماما لما بدأت في الحلقات الثلاث السابقة ، أعرض ـ بحول الله وقوته ـ بعضا آخر من الأسماء الحسنى ، محاولاً إلقاء بعض الأضواء ـ حسبما ييسّر الله تعالى لى ـ على شىء من معانيها فيما يلى : ـ

المولى ـ الولّى :

المـــــولى :

هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى · ويطلق لفظ المولى في اللغة على : المعتِق ، وعلى المعتَق ، وعلى الناصر ، وعلى الجار ، وعلى ابن العم ، وعلى الحليف ، وعلى القيِّم بالأمر · والقدر المشترك في هذه الاطلاقات هو القرب ·

وحين يطلق (المولى) على الله عز وجل ، فإن معناه : القريب من عباده (١) ·

* وقد ورد اسم (المولى) سبحانه في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة (٢) ثلاث مرات (٣) بلفظ (المولى) : في قوله تعالى : « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم **المولى** ونعم النصير » (الأنفال آية ٤٠) (وإن تولوا) أى أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا · (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم ومعينكم ، فثقوا بولايته ونصرته ·

(نعم المولى) فلا يضيع من تولاه ، (ونعم النصير) فلا يغلب من نصره (٤) ·

ومعنى المولى هنا : سيدكم وناصركم على أعدائكم فمن والاه فاز ، ومن نصره غلب (٥) ·

وفي قوله تعالى : « فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم **المولى** ونعم النصير » (الحج آية ٧٨) أى وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة ، فاعبدوه وانفقوا مما آتاكم بالإحسان الى الفقراء والمساكين ، وثقوا به ، ولا تطلبوا النصرة ولا الولاية إلا منه ، فهو خير مولى وناصر (٦) ·

ومعنى المولى هنا : أى حافظكم وناصركم على أعدائكم والمتولى أموركم دقيقها وجليلها ، وهو سبحانه لا مماثل له في الولاية لأموركم والنصرة على أعدائكم (٧) ·

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص ٢٩٨ ·

(٢) المعجم المفهرس ·

(٣) المرجع السابق ·

(٤) محاسن التأويل للقاسمى الجزء الثامن ص ٢٢٩٧ ·

(٥) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ١٨٦ ، وفتح القدير الجزء الثانى ص ٣٠٨ ·

(٦) المرجع السابق الجزء الثانى عشر ص ٤٢٨٢ ·

(٧) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ١٠٣ ، وفتح القدير الجزء الثالث ص ٤٧١ ·

أقـــول : لهذا أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يعتصموا به جل وعلا فقال : (واعتصموا بالله) أى تمسكوا بدين الله وثقوا به تعالى ، فلا رجاء ناجح إلا أن يكون رجاءه وحده سبحانه · وقد جاءت هذه الآية الكريمة عقب قوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدينُ كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (الأنفال آية ٣٩ ·) ·

والمعنى : أى يامعشر المؤمنين قاتلوا أعداءكم المشركين حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده ·

قال ابن عباس : الفتنة : الشرك، أى حتى لا يبقى مشرك على وجه الأرض · وقال ابن جريج : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه (١) ومعنى (ويكون الدين كله لله) أى تضمحل الأديان الباطلة ولا يبقى إلا دين الإسلام · واضمحلالها : يكون إما بهلاك أهلها جميعا، أو برجوعهم عنها خشية القتل (٢) ·

أقـــول : ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (٣) ·

ومعنى قوله تعالى (فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) أى فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله مطلع على قلوبهم ، يثيبهم على توبتهم وإسلامهم، (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم) أى وإن لم ينتهوا عن كفرهم وأعرضوا عن الإيمان فاعلموا يامعشر المؤمنين أن الله ناصركم ومعينكم عليهم، فثقوا بنصرته وولايته ولا تبالوا بمعاداتهم لكم · (نعم المولى ونعم النصير) أى نعم الله أن يكون مولاكم، فإنه لا يضيع من تولاه، ونعم النصير لكم ، فإنه لا يغلب من نصره الله (٤) ·

وفي قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) (محمد آية ١١) ·

ومعنى المولى هنا : أى ناصر المؤمنين (٥) ·

---

(١) الطبرى جزء ١٣ ص ٥٣٨ ·

(٢) روح المعانى للألوسى جزء ٩ ص ٢٠٧ ·

(٣)صحيح مسلم الجزء الأول ص ·

(٤) صفوة التفاسير الجزء الأول ص ٥٠٤ ·

(٥) المرجع السابق ـ الجزء الخامس ص ٣٢ ·

أقـــول : فبينت هذه الآية الكريمة أن المؤمنين مولاهم الله تبارك وتعالى يدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم ، وأما الكافرون فليس لهم من يدافع عنهم ولا من ينصرهم لأنهم على باطل ، وأهل الباطل لا يستأهلون نصرا ، ولا يظهرهم الله عز وجل على أهل الحق .

* ومنها أربع مرات بلفظ (مولاكم) : وذلك في قوله تعالى (بل الله **مولاكم** وهو خير الناصرين) (آل عمران آية ١٥٠) . وذلك بعد قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) (آل عمران آية ١٤٩) .

والمعنى : أن الله تعالى يحذر عباده المؤمنين طاعة الكافرين والمنافقين ، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة ، وأمرهم سبحانه بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه لأنه هو معينهم وناصرهم ومتولي أمورهم . ومن ثم فهو خير من يحقق لهم النصر المبين (١) .

وكذلك في مثل قوله : (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ، والله **مولاكم** وهو العليم الحكيم) (التحريم آية ٢) . ومعنى مولاكم هنا : أى وليكم وناصركم ، والمتولى لأموركم (٢) .

وقد ذكر القاسمى في تفسيره أن المقصود بقوله : (بل الله مولاكم) أى فأطيعوه (وهو خير الناصرين) أى فينصركم خيرا ممن نصروكم لو نصروكم ، وكيف لا يكون خير الناصرين ، وهو ينصركم بغير قتال كما وعد بقوله (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، ومأواهم النار ، وبئس مثوى الظالمين) أى الذى يمنعهم من الهجوم عليكم والإقدام على حربكم (بما أشركوا بالله مالم ينزل به) أى بكونه إلها متصفا بصفاته ومستحقا للعبادة (سلطاناً) أى حجة قاطعة تنبنى عليها الاعتقادات (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) هى المثوى والمقر ، والمأوى والمقام (٣) - والعياذ بالله .

وقد أفادت الآية أن ذلك الرعب بسبب مافي قلوبهم من الشرك بالله ، وعلى قدر الشرك يكون الرعب . وقد قال القاشانىّ : جعل إلقاء الرعب في قلوب الكفار مسببا عن شركهم ، لأن الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات في قوى النفس لتنورها بنور التوحيد ، فلا تكون تامة إلا للموحد الموقن في توحيده ، وأما المشرك فلأنه محجوب عن منبع القدرة بما أشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم الذى لم يكن له بحسب نفسه قوة ، ولم ينزل الله بوجوده حجة ، فليس إلا العجز والجبن ، وجميع الرذائل .

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٣١٨ .

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٥٠ .

(٣) محاسن التأويل الجزء الرابع ص ٩٩٣ .

وقال القفال : كإنه قيل : أنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد ، إلا أن الله تعالى سيلقى الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار ، ويظهر دينكم على سائر الأديان ، وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل . . وفي حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلى : نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر ، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاةُ فليصلِّ ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ، وكان النبىُّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس كافةً ، وأعطيتُ الشفاعة) (١) .

ثم أخبر أنه صدقهم وعده في النصر على عدوه ، وهو الصادق الوعد ، وأنهم لو استمروا على الطاعة ، ولزموا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لاستمرت نصرتهم ، ولكن انخلعوا عن الطاعة ، وفارقوا مركزهم ، ففارقهم النصر على عدوهم عقوبةً وابتلاءً ، وتعريفا لهم بسوء عواقب المعصية ، وحسن عاقبة الطاعة ، بقوله (ولقد صدقكم الله وعده) (٢) .

وفي قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) (محمد آية ١١) .

ومعنى مولاهم : أن هو سبحانه الذى يتولاهم فيدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم .

وقد جاءت الآية المذكورة بعد قوله تعالى : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها) (محمدآية ١٠) .

والآيتان مرتبطتان ، ومعناهما : أفلم يَسِرْ المشركون بالله المكذبون لرسوله فينظروا كيف عاقب الله الذين من قبلهم بتكذيبهم وكفرهم ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين يوم فرغوا من وقفة أحد أن يجيبوا أبا سفيان لما قال لهم : لنا العزى ولا عزى لكم فيقولون : (الله مولانا ولا مولى لكم) . (٣) وقال الإمام الشوكانى في معنى الآيتين : أى ألم يسيروا في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا ، فينظروا كيف كان آخر أمر الكافرين قبلهم ، فإن آثار العذاب في ديارهم باقية ، إذ أهلكهم الله واستأصلهم ، ثم توعد سبحانه مشركى مكة بأن لهؤلاء الكافرين أمثال عاقبة من قبلهم من الأمم الكافرين ، وذلك سببه أنه تعالى ناصر المومنين . وأن الكافرين لا ناصر يدفع عنهم .

---

(١) صحيح البخارى الجزء الثامن كتاب الصلاة ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩٤ .

(٣) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٥٨ ، ٥٩ .

ثم بين سبحانه وتعالى مظهر ولايته للمؤمنين يوم القيامة في قوله تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) (محمد آية /١٢) وبين في مقابلة ذلك عدم ولايته للكافرين ومظهر ذلك في الدنيا والآخرة في قوله تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (محمد آية ١٢) أى أن الكفار ليس لهم همٌ في دنياهم إلا الانكباب على الأكل والتمتع في الدنيا ، لا هم لهم إلا ذلك ، ولهذا ثبت في الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن يأكل في معًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء) أى كأن له سبعة أمعاء كنايةً عن كثرة أكله . ويوم القيامة النار تكون جزاء لهم (١) .

وذكر الإمام الشوكانى في معنى الجزء الأول من الآية الخاصة بالمؤمنين أنه مسوق لبيان ولاية الله تعالى لهم : وذلك بإدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وفي بيان معنى الجزء الخاص بالكافرين أنهم يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به كأنهم أنعام ليس لهم همٌ إلا بطونهم وفروجهم ، ساهون عن العاقبة ، لاهون بما هم فيه ، والنار مقام لهم يقيمون به ، ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه (٢) .

أقـــول : لا شك أن ولاية الله تعالى لعباده المومنين تسعدهم بالحياة الطيبة في الدنيا، وبدار الكرامة جنات عدن في الآخرة.فهنيئا لمن بلغ هذه الدرجة الرفيعة فكان الله مولاه .

* ومنها مرتان بلفظ **(مولانا)**، وذلك في قوله تعالى: (أنت **مولانا** فانصرنا على القوم الكافرين) (البقرة آية٢٨٦). أى أنت وليُّنا وناصرنا، وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك، فانصرنا على القوم الكافرين الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة. قال الله: (نعم). وفي الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس: قال الله: (قد فعلت)(٣). وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى: (أنت مولانا)، أى ولينا وناصرنا ، وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون. وقيل معناه: أنت سيدنا ونحن عبيدك. وذكر في معنى قوله: (فانصرنا على القوم الكافرين)، أى من حق المولى أن ينصر عبيده، وأن المراد عامة الكفرة، وأن في هذا إشارة إلى إعلاء كلمة الله في الجهاد في سبيله(٤).

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٥٩ .

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٣٢.

(٣) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٤٩ .

(٤) فتح القدير الجزء الأول ص ٣٠٨ .

أقـول: وبمناسبة ذكر آخر آية في سورة البقرة، أود أن أذكر بأن هناك عددا من الأحاديث نصت على فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، منها ما أخرجه الإمامان مسلم، والنسائى واللفظ له عن ابن عباس قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل، إذ سمع نقيضا، فرفع جبريل بصره فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك. فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته».

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى في الشعب عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه تحت العرش. فتعلموهما، وعلموهما نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء». وروى الشيخان وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)(١).

وكذلك في قوله تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، هو **مولانا** وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (التوبة آية٥١). وذلك بعد قوله تعالى: (إن تصبك حسنةٌ تسؤهم، وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل، ويتولوا وهم فرحون) (التوبة٥٠).

ومعنى الآيتين: أن الله تعالى يُعْلِمُ رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بعداوة هؤلاء له لأن أىَّ حسنة تصيبه هو وأصحابه تسوؤهم، وأن أىَّ مصيبة تصيبه يقولون لقد احترزنا من متابعته من قبل هذا، ويتولون وهم فرحون بما أصابه. فأرشد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم بأن يقول لهم: إننا تحت مشيئة الله تعالى وقدره، فما يصيبنا كله مقدر علينا، فهو سبحانه مولانا أى سيدنا وملجؤنا، ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل (٢).

* ومنها مرة بلفظ (مولاه) وذلك في قوله تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو **مولاه** وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) (التحريم آية ٤) والخطاب في هذه الآية الكريمة موجه الى أمىّ المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما، أى إن تتوبا إلى الله تعالى مما تظاهرتما به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد مالت قلوبكما إلى الحق. وقد روى الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «لما اعتزل نبى الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلتُ المسجدَ فإذا الناس

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٣٧، ٢٣٨.

ينكتون بالحصى ، ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب ، فقلت : لأعلمنَّ ذلك اليوم . فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال : فدخلتُ فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة ، فناديت ، فقلت : يارباح استأذنْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قال : فقلت : يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك ، وملائكته ، وجبريل ، وميكال ، وأنا ، وأبو بكر ، والمؤمنون معك . وقلما تكلمت ـ وأحمدُ الله ـ بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يُصدّقُ قولى ، فنزلت هذه الآية : (عسى ربه ان طلقكنَّ أن يبدله أزواجا خيرا منكن » (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت : أطلقتهن ؟ قال : (لا) ، فقمتُ على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : (وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء / ١٤ (١) ، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر .

وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى : (إن تتوبا إلى الله ... الآية) : أى إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما مايوجب التوبة ، ومعنى « صَغَتْ » عدلت ومالت عن الحق أو زاغت وأثمت ، وهو أنهما أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إفشاء الحديث ، وقيل المعنى : إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة ، ومعنى (وإن تظاهرا عليه) وإن تظاهرا بمعنى تتعاضدا وتتعاونا ، والمعنى : وإن تعاضدا وتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره ، فإن الله يتولى نصره ، وكذلك جبريل ، ومن صلح من عباده المؤمنين والمقصود أبو بكر وعمر ، فلن يعدم ناصرا ينصره ، إذ بعد نصر الله له ، وجبريل ، وصالح المؤمنين ، فإن الملائكة أعوان يظاهرونه (٢) .

* ومنها مرتان بلفظ (مولاهم) : ذلك في قوله تعالى : (ثم رُدُّوا إلى الله **مولاهم** الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (الأنعام آية ٦٢) .

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حَفَظَةً حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفته رُسلنا وهم لا يفرّطون) (الأنعام آية ٦١) .

ومعنى الآيتين الكريمتين : أن الله تعالى فوق عرشه الذى قهر كل شىء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شىء يرسل ملائكته يحفظون عباده ، حتى إذا حان أجل

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ .

أحدهم توفته الملائكة الموكلون بذلك ، ولا يجاوزون الحد فيما أمروا به من الإكرام والإهانة ، فإن كان من الأبرار ففى عليين ، وإن كان من الفجار ففى سجين . ثم بعد الحشر ترد الخلائق إلى الله مولاهم الحق أى مالكهم الذى يلى أمورهم فيحكم فيهم بعدله ، وهو أسرع الحاسبين لكونه لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر (١) .

وفي قوله تعالى : (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورُدُّوا إلى الله **مولاهم** الحق . وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون) (يونس آية ٣٠) .

ومعنى هذه الآية الكريمة : أنه في موقف الحساب يوم القيامة تخبر كل نفس وتعلم ما سلف من عملها خيرا كان أو شرا ، ورجعوا في جميع أمورهم إلى الله مولاهم الحكم العدل ففصلها ، وأدخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ ، وتخلى عن المشركين ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه ، سبحانه عما يشركون (٢) .

وقال الإمام الشوكانى في معنى هذه الآية الكريمة : أنه في ذلك المكان وفي ذلك الموقف تبلو أى تذوق وتختبر كل نفس جزاء ما أسلفت من العمل - وعلى قراءة (نبلو) بالنون ، أن الله تعالى يبتلى كل نفس ويختبرها ، بمعنى أنه يعاملها معاملة من يختبرها ويتفقد أحوالها . ورد المشركون بعد ذلك إلى الله مولاهم الحق أى إلى ربهم الصادق الربوبية دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة ، وضاع وبطل ما كانوا يفترون من أن الآلهة التى لهم حقيقة بالعبادة لتشفع لهم إلى الله وتقربهم إليه .

ثم قال الإمام الشوكانى : وأخرج أبو الشيخ عن السدّى في قوله : (ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق) قال : نسخها قوله : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) محمد / ١١ (٣) .

أقـــول : وقد اعتز رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولاه سبحانه وتعالى في أعصب المواقف ، وعلم ذلك أصحابه رضى الله عنهم ، ليكون لنا في ذلك أعظم قدوة . وبيانا لذلك أسوق من الحديث الذى رواه الإمام البخارى في صحيحه : بسنده . عن البراء رضى الله عنه قوله في شأن غزوة أحد : « فأصيب سبعون قتيلا ، وأشرف أبو سفيان ، فقال أفى القوم محمد ؟ فقال : « لاتجيبوه » فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ قال : « لاتجيبوه » ، فقال : أفى القوم

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٠ ، ٢١ ، وفتح القدير الجزء الثانى ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٣) فتح القدير الجزء الثانى ص ٤٤٠ .

ابن الخطاب ، فقال إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا · فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبْقى الله عليك ما يخزيك · قال أبو سفيان : أُعْلُ هُبَلْ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجل » ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عُزّى لكم · فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : **الله مولانا ولا مولى لكم** » · وهذه إجابة تحمل عظيم الاعتزاز بالله تعالى مولى المؤمنين الذى يتولى أمرهم ، ويدبر شئونهم ، ويظهرهم بالنصر على أعدائهم ، في مقابلة أن أولئك الأعداء لا مولى لهم يدبر أمرهم ، وينصرهم إلا ما يعبدون من العزى الساقطة التى لا تملك لهم ـ فضلا عن نفسها ـ نفعا ولا ضرا ·

الولى :

هو اسم من أسمـاء الله تعالى الحسنى ·

ومعنى الولى الناصر ، وهو على وزن فعيل على صيغة المبالغة بمعنى فاعل ، أى إنه عظيم النصر لعباده المؤمنين ·

* وقد ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم أربع عشرة مرة (١) ·

* منها خمس مرات بلفظ (ولىٌّ) بالرفع ، وذلك في قوله تعالى : (**الله ولىُّ** الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة آية ٢٥٧) ·

والولىّ هنا هو الناصر لمن وليهم وهم المؤمنون ومعنى الآية الكريمة أنه سبحانه يهدى المؤمنين الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلى السهل ، وأما الكافرون فوليهم الشيطان يزين لهم ماهم فيه من الجهالات والضلالات ، ويخرجهم ويحيد بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ، فكانوا من أصحاب النار هم فيها خالدون · ولهذا وحّدَ الله تعالى لفظ (النور) لأن الحق واحد ، وجمع (الظلمات) لأن الكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة (٢) ·

وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) أن الولىّ فعيل بمعنى فاعل وهو الناصر ، وأن قوله (يخرجهم) تفسير للولاية ·

---

(١) المعجم المفهرس ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٢٢ ·

أقـــول : أى أنه سبحانه لما ولى أمر المؤمنين كان من مظاهر ولا يته لهم أنه يتولى إخراجهم من الظلمات إلى النور ·

ويقول الإمام الشوكانى : أن المراد بقوله (الذين آمنوا) أى أرادوا الإيمان ، لأن من وقع منه الإيمان قد خرج من الظلمات إلى النور ، إلا أن يراد بإخراج المؤمنين من الظلمات إخراجهم من الشُبه التى تعرض لهم ، فلا يحتاج إلى تقدير الإرادة ·

ثم قال الإمام الشوكانى أن المراد بالنور في قوله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ما جاء به أنبياء الله من الدعوة إلى الدين ، فإن ذلك نور للكفار أخرجهم أولياؤهم عنه إلى ظلمة الكفر : أى قررهم أولياؤهم على ما هم عليه من الكفر بسبب صرفهم عن إجابة الداعى إلى الله من الأنبياء · ثم قال : وقيل : المراد بالذين كفروا هنا : الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم يخرجهم أولياؤهم من الشياطين ورؤوسِ الضلال من النور الذى هو فطرة الله التى فطر الناسَ عليها إلى ظلمات الكفر التى وقعوا فيها بسبب ذلك الإخراج (١) ·

ومثل قوله تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المومنين) (آل عمران آية ٦٨) ·

ومعنى أن الله ولى المؤمنين ، أى أنه يتولى أمر المؤمنين جميعا بما فيهم أنبياؤه ورسله (٢) ·

أقـــول : ومن ثم فكل مؤمن لا ولى له إلا الله جل جلاله ، يفوض له كل أمره ، ليصرفه سبحانه بما يصلح لعبده المؤمن ·

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن أحق الناس بإبراهيم عليه السلام أولئك الذين اتبعوه على دينه في حينه · وكذلك النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الذين تبعوهم بإحسان · وقد روى سعيد بن منصور - بسنده - عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لكل نبى ولاة من النبيين ، وإن ولي منهم أبى وخليل ربى عز وجل ابراهيم عليه السلام » · ثم قرأ : (إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه ···) · **(٣)**

ومثل قوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولىّ ، وهو يحيى الموتى ، وهو على كل شىء قدير) (الشورى آية ٩) ·

والولىّ هنا معناه : أنه متولى شئون خلقه ، فهو وحده القادر على إحياء الموتى ، وهو

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧٦ ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٨١ ·

(٣) المرجع السابق المجلد الثالث ص ٥٧٣ ·

كذلك القادر على كل شيء ، فإذا أراد شيئا كان قوله له : كن ، فيكون ، ولا يملك ذلك إلا هو وحده سبحانه وتعالى ·

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى ينكر على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله ، ويخبر أنه هو الولىّ الحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده ، فإنه القادر على إحياء الموتى ، وهو على كل شيء قدير (١) ·

ويقول الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء) أى بل أتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها ؟ وذلك تقرير لا نتفاء كون للظالمين ولياً ونصيراً · وفي قوله تعالى : (فالله هو الولىّ) أى هو الحقيق بأن يتخذوه ولياً ، فإنه الخالق ، الرّازق ، الضار ، النافع · وقال : وقيل : الفاء جواب شرط محذوف : أى إن أرادوا أن يتخذوا وليا في الحقيقة فالله هو الولىّ ، وفي قوله تعالى : (وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير) أى ومن شأنه تعالى أنه يحيى الموتى ، ويقدر على كل مقدور ، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية ، وإفراده بالعبادة (٢) ·

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدى في معنى الآية ذاتها : أن الظالمين لأنهم لا يصلحون لصالح ، فقد حرموا من الرحمة ، فما لهم من دون الله من ولى يتولاهم فيحصل لهم المحبوب ، ولا نصير يدفع عنهم المكروه · وأن الذين اتخذوا من دونه أولياء يتولونهم بعبادتهم إياهم فقد غلطوا أقبح غلط ، فالله هو الولىّ الذى يتولاه عبده بعبادته وطاعته والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات ، ويتولى عباده عموما بتدبيره ونفوذ القدر فيهم ، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا بإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتربيتهم بلطفه ، وإعانتهم في جميع أمورهم (٣) ·

ومثل قوله تعالى : (وهو الذى ينزل الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو **الولىُّ** الحميد) (الشورى آية ٢٨) · ومعنى الولى الحميد هنا : المتصرف وحده بخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدر ويفعله ·

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٥٦٥ ·

(٢) فتح القدير ـ الجزء الرابع ص ٥٢٧ ·

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء السابع ص ٩٤ ·

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى ينزل المطر من بعد يأس الناس من نزوله ، وينزله عليهم وقت حاجتهم كقوله عز وجل : (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) (الروم / ٤٩) وإنزاله سبحانه المطر رحمة يعم بها من ينزل عليهم ، ذلك بأنه جل وعلا هو وحده المتصرف بخلقه بكل ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المستحق الحمد في كل أقداره وأفعاله (١) .

(يتبـــــع)

قال الله تعالى :

« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

« من سورة الأعراف »

---

(١) المرجع السابق المجلد الثالث ص ٥٧٣ .

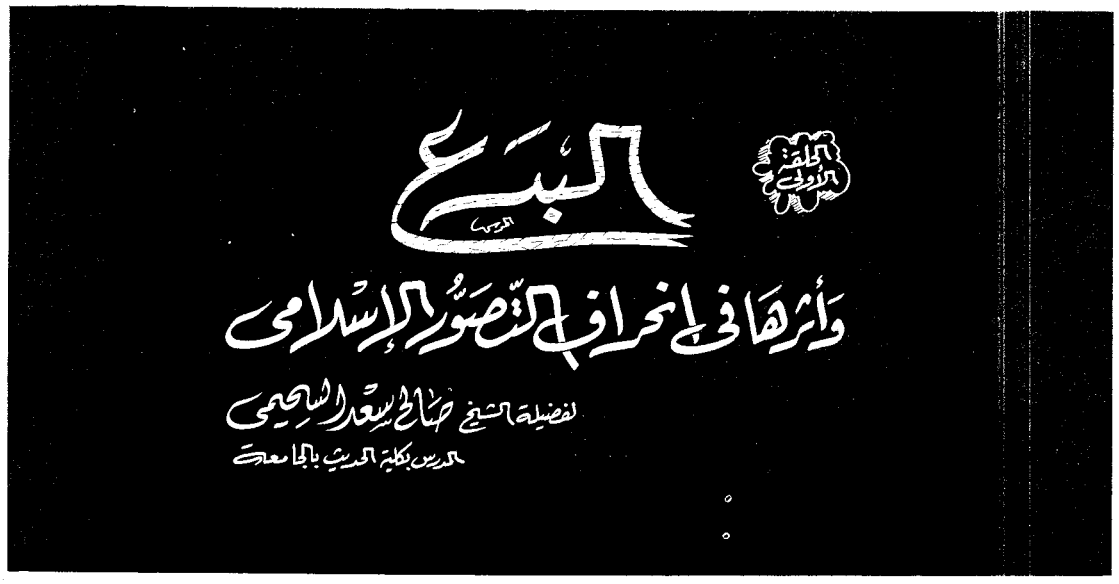

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

أما بعـــد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١) .

إن الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ذلكم هو الدين القيم الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، والمشتمل على كل ما

---

(١) هذه الإفتتاحية المشتملة على كثير من الفوائد والتى كان يسميها السلف خطبة الحاجة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح بها كلامه في أغلب أحيانه ، ويعلمها أصحابه كما يعلمهم القرآن ، لذا فإنه من الخطأ الشائع توهم كثير من الناس أن هذه الخطبة خاصة بعقد النكاح بل الصحيح أن هذه المقدمة مشروعة في أى موضوع خيرى يريد أن يتكلم به متكلم .

من شأنه إسعاد البشرية في دنياها وأخراها ، وهو الدين الخالص الذي جمعنا الله به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق ، فمن تمسك به وحافظ عليه وقام به خير قيام بفعل المأمور وترك المحظور دون زيادة أو نقصان ، فقد سعد وفاز برضى الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه ، وأما من طلب الهدى من غيره واتخذ سبيلا غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فذلك هو الخسران المبين الذى لا يعدله خسران ، وأصبح من حزب الشيطان ، (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

طريق الخـــلاص :

وإن طريق الخلاص وعنوان السعادة وسبب النجاة من عذاب الله هو التمسك بكتاب الله تعالى ذلك الكتاب العزيز الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ، فإنهما أعني الكتاب والسنة المصدران الأساسيان للتشريع الاسلامى .

كمـــال هذا الـــدين :

فإن من أمعن النظر فيما شرعه الله لنا مما تضمنه الكتاب العزيز ودلت عليه السنة ، علم أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة على أكمل وجه ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يحيد عنها إلا هالك قد مرض قلبه ، وخاسر قد طاش في مهاوى الضلال لبه ، فإن الله تعالى قد بين للناس قواعد الدين وأكملها قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا هذا الدين بما أنزله في كتابه العربى المبين وعلى لسان نبيه الصادق الأمين . مما بلغ من الأحكام وبين لنا من حلال وحرام ، فلم يكن هناك من خير إلا دلنا عليه وسهل لنا الطريق الموصلة إليه ، ولم يكن هناك من شر إلا حذرنا منه كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو « ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم » .

سبيـــل المؤمنين : -

إذا كان الأمر بهذه المثابة ، فان من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة أو أتى بأمر زائد على ما شرعه الله فهذا بلا شك ضلال مبين وميل عن الصراط المستقيم واتباع لغير سبيل

المؤمنين وإن من كان هذا شأنه لحقيق بأن يكون واقعا تحت هذا الوعيد الشديد الذى تضمنته هذه الآية الكريمة قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ، فقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم ، ونهى عن اتباع غير سبيل المؤمنين ٠

وقال تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ٠ فقد حث سبحانه على اتباع سبيله الذى هو الكتاب والسنة حثا مقرونا بالنهي عن اتباع السبل ، مبينا أن ذلك سبب للتفرق ، ولذا ترى المسلمين العاملين قد لزموا سبيلا واحدا وهو سبيل الله الذى أمرهم بسلوكه ، وأما أهل البدع والأهواء ٠ فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة ، وآرائهم الكاسدة ، (كل حزب بما لديهم فرحون) وقد روي النسائي وأحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ، وقال هذه السبل المتفرقة ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ (تتقون) ٠

الكتـاب والسنة مصدر كل سعادة : ـ

وقال تعالى في معرض بيانه لشمول هذا الدين : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فقوله : (تبيانا لكل شيء) أفاد شمول هذا القرآن لكافة أحكام الدين بما أودع الله فيه من تعاليم عامة صالحة للتطبيق على مر العصور والأزمان ، وفيها السعادة كل السعادة للبشرية جمعاء ، متى تمسكت بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

وكذلك سنة نبيه صلى الله عليه وسلم القويمة التى تبين القرآن وتوضحه وتفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عمومه إلى غير ذلك من أنواع البيان ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) ، وقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنى أوتيت القـرآن ومثلـه معه) ٠ والآيات والأحاديث الدالة على شمول هذا الدين وكماله وعدم حاجته إلى زيادة أو نقصان أجل من أن تحصر أو تعد في مثل هذا المقام ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى كمل الدين وتم بما أودع الله فيه من تشريع شمل كافة نواحى الحياة من عبادات ومعاملات وآداب وأخلاقيات وحدود وغير ذلك ، مما يكفل للبشرية كل أمن ورخاء وطمأنينة متى تمسكت بها وسارت على نهجها القويم ٠

ذم التفرق وبيـــان أسبابه : ـ

إذا علم ذلك فان الطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالبعد عن البدع والخرافات التى ا بتدعها المبتدعون ، وأحدثها المحدثون ، وروجها المبطلون وأكلت أموال الناس بالباطل من دعاة النحل المختلفة ، والطرق المتشعبة التى ليست من الاسلام في شيء ، وقد ذم الله تلك الطرق المنحرفة الكثيرة التى جعلت المسلمين شيعا وأحزا با وشتت شملهم ، وجعلتهم لقمة سائغة لأعدائهم ، لا لقلة عددهم وعدتهم ، وإنما نتيجة لتمزق شملهم وتفرق كلمتهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ، ومما لا شك فيه أنه لا شيء أعظم فسادا للدين وأشد تقويضا لبنيانه وأكثر تفريقا لشمل الأمة من البدع فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم وتنخر فيه نخر السوس في الحب وتسرى في كيانه سريان السرطان في الدم أو النار في الهشيم ·

ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبالغ في التحذير منها ، وتكشف عن سوء عواقبها من التفرق والاختلاف في الدنيا ، والعذاب والخزى وسواد الوجوه في الآخرة ، قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم ، أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ا بيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) ·

قال ا بن عباس : تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة ·

وقال تعالى (إن الذين فرقوا د ينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) · وقد نص المفسرون رحمهم الله على أن الآ ية تعني أهل البدع والأهواء نقلا عن كثير من السلف ، ولا ريب أن من أعظم أسباب التفرق تلك البدع والمحدثات التي هى شرع لم يأذن به الله · وقد أخبر رسول الهدى صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمة بسبب انحرافها عن سنته القويمة وما عليه صحبه الكرام من بعده كما روى أبو داود وا بن ماجه والترمذي وغيرهم بأسانيد صحيحة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه » ، وفي روا ية أن أمته « تفترق على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة وهى الجماعة » ؛ والجماعة هي من كانت على الحق الذي كان عليه صلى الله عليه وأصحا به ، رضوان الله عليهم ·

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن هم الغرباء ؟ فقال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي » .

ولقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع والدخيل ما انحرف بكثير عن سواء السبيل ، وشوه عليهم حقيقة الدين ، ولبس عليهم حتى أصبح الكثير منهم لا يفرق بين الحق والباطل ، ولا يعرف البدعة من السنة ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وأغرقوا في ذلك حتى رأوا الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حد قول القائل :

يقضى على المرء في أيـام محنتـه حتى يرى حسنـا ماليس بالحسن

وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

فما يفتح لهم الشيطان بابا من الضلال إلا ولجوه ، ولا يزين لهم طريقا من طرق البدع ، إلا سلكوه ، وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم ، حتى بلغ شأوا بعيدا في تفريق الأمة وتمزيق شملها ، وقد ساعد على ذلك سكوت كثير من العلماء ، وتهاونهم وجبنهم عن مواجهة العامة خوفا من غضبهم ومجاراة لهم ، وحرصا على اجتلاب رضاهم ولو بسخط الله .

حفظ هذا الدين وبقـاؤه :-

ولكن الله عز وجل لم يكن ليترك دينه لعبث هؤلاء المبتدعين ، بل قيض له من أرباب الألسنة والأقلام قديما وحديثا من يهب للدفاع عنه ، ومحاربة كل دخيل عليه حيث تكفل سبحانه بحفظ هذا الدين وصيانته ، وإن تكالب عليه أهل الأرض جميعا وقد حصل ولله الحمد والمنة ، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقال تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

وجـوب الاعتصام بالكتـاب والسنة :-

وقد تضافرت النصوص الكثيرة على الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح الذين قام بهم الكتاب ، وبه قاموا ونطق بهم وبه نطقوا ، وطبقوه بكل صدق وإخلاص وأمانة ، ووقفوا عند حدوده ، وحكموه في كل شئون حياتهم ، ولم يدخروا وسعا في فهم معانيه ومعرفة أسراره ، وقد نوه الكتاب العزيز بفضلهم ونص على أن لهم اليد الطولى في الفضل والعلم والعمل الجاد الخالص ، قال تعالى : مشيدا بفضلهم وآمرا باتباعهم (والسابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ، التوبة /١٠٠ .

فهم خير من يقتدى به من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين نقلوا لنا هذا الدين وأولئك الأفذاذ الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى ، وإن القدوة أولا وأخيرا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب /٢١ . فقد أمر الله بالتأسي به والاهتداء بهداه والاستنان بسنته ، وحذرنا من مخالفة أمره ، ورتب على ذلك ألوانا من الوعيد الشديد ، قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور /٦٣ . بل قد نبه الله تعالى بأنه ليس للمؤمن خيار اذا أمر الله أو أمر رسوله بأى أمر . قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الأحزاب /٣٦ . بل أخبر سبحانه أن طاعته صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) النساء /٨٠ .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) ، محمد /٣٣ . أى بمخالفتكم لسنته التى سنها لكم وبارتكابكم المنكرات والبدع والمخالفات ..

المرجع عند التنازع :-

وأمرنا تبارك وتعالى بأن نرجع في كل أمر نختلف فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيروأحسن تأويلا) النساء / ٥٩ .

فقد أمرنا بطاعة الله ورسوله وطاعة ولاة الأمور في حدود طاعة الله تعالى ، ثم أرشدنا الى رد ما تنازعنا فيه الى الله ورسوله ، أى الى كتاب الله وسنة رسوله ، بل علق صحة الإيمان بذلك بقوله : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد بشر النبى صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة ، وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى الى تحقيقه ، .

من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة ، جاءت هذه البشرى في حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أمتى

يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : ومن يأبى يارسول الله قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » . وأى إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم ، وذلك بالإحداث والإبتداع في الدين .

حكم الإحداث في الدين : -

وبذا نعلم أن هذه النصوص دليل على أن كل من يقول باستحسان بدعة في الدين يكون له نصيب وافر ، وجزاء كبير من الوعيد المذكور فيها ، فإن من استحسن بدعة بعقله القاصر المحدود ، وحث الناس على التعبد بها كان مشاقاً ومصادماً لهذه النصوص ، وعليه تبعة ذلك الى يوم القيامة ، إذ أن من عمل خيرا وتبعه الناس عليه ضوعف له الأجر بقدر أجر من يتبعه في هذا الخير ، وعلى النقيض من ذلك فإن من عمل سوءا كالابتداع مثلا والإحداث في الدين فإنه لا يعاقب بوزر ارتكابه تلك البدعة فحسب بل يضاعف له العقاب حيث يتحمل وزر من تبعه في هذا الأمر ، يدل لذلك ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

وعلى هذا فإن أى إحداث في الدين مردود على من أحدثه وغير مقبول لما روى الشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » ، وفي رواية « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وإنما كانت البدع مردودة على من عملها لأن إحداث مثل هذه البدع يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون المبتدعون فأحدثوا في شرع الله مالم يأذن به ، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله ، وهذا ولاشك فيه خطر عظيم ، واعتراض على رب العالمين ، واستدراك على رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتهام له بالخيانة والكتمان ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك . كيف يكون هذا وهو القائل : « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » فهذا محال بالنسبة لسائر المؤمنين ، فكيف بقدوتهم وأسوتهم صلوات الله عليه وسلامه .

ومعلوم أن الله سبحانه قد أكمل لعباده الدين ، وأتم عليهم النعمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين ، ولم يترك طريقا يوصل الى الجنة ويباعد من النار إلا بينه

للأمة ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبى الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم) .

ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم ، وأكملهم بلاغا ونصحا ، فلو كانت هذه البدع التى أحدثها المخالفون من الدين الذى يرضاه الله سبحانه لبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة ، أو فعله في حياته ، أو فعله أصحابه رضى الله عنهم ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء ، بل هى من المحدثات التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته ، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها ما رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، بسند صحيح ، عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل يارسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) .

وروى مسلم في صحيحه كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على المنبر ويقول : « أما بعد ـ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) . زاد النسائي (وكل ضلالة في النار) .

وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم ـ أما أنا فأصلي الليل أبدا . وقال الآخر : أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى أخشاكم لله ، وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

ولا ريب أن من أحدث عبادة من عند نفسه لم يشرعها الله قد رغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أعظم ما جاء من الوعيد في ذلك أن صاحب البدعة يحال بينه

وبين التوبة لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » ٠

ويخشى أن يكون أهل البدع والأهواء ممن يحال بينهم وبين الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول ، يارب أصحابي فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سحقا سحقاً لمن غير وبدل) ، أى بعداً له فهذه براءة من النبي صلى الله عليه وسلم ممن أحدث في الدين ، وغَيَّر وبدَّل ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الذين يذادون عن الحوض من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أى من أمة الاجابة ، يدل ذلك أنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث ، بأن عليهم آثار الوضوء ، وإنما حيل بينهم وبين الحوض ، لما أحدثوه في الدين من عند أنفسهم ، ولم ينزل الله به من سلطان ، من تلك البدع والمنكرات والخرافات التى لا تعدو أن تكون من نسج خيالهم ، وبنيات أفكارهم الضالة التى ظنوها حسنة وهى في الواقع من أقبح القبيح ، وأى قبح أعظم من أن ينصب المرء نفسه مستدركا على الله ورسوله ومشرعا في دين الله بعد القرون المفضلة الأولى الذين هم خير الناس بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

كما قال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ٠ وقد مضت تلك القرون المفضلة وليس لهذه البدع وجود أو رواج وإن وجد شيء منها فهو محدود ، وعلى نطاق ضيق ، يختفى أصحابها ولا يستطيعون الظهور ، لأنهم يشكلون أقلية بخلاف ما وصل اليه حال المسلمين اليوم ، فقد طغت البدعة ، ودرست السنة ، وتغيرت مفاهيم المسلمين ، وأصبح تصورهم للإسلام تصورا خاطئا ، وجعلوه في إطار ضيق ، فقد وصل مثلا في بعض البلاد إلى حد كونه لا يعدو أن يكون مجموعة من الطقوس والاحتفالات التى قلدوا فيها أعداء المسلمين والاسلام ، ويوجهون سهامهم المسمومة إلى الإسلام بسبب ضلال من ضل من المسلمين عن الطريق السوي ، وانحرف عن الجادة الصحيحة التى رسمها لهم الاسلام ، وأمرهم أن يسيروا عليها ولا يحيدوا عنها يمينا أو شمالا ، كما قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف /١٠٨ ٠ الى غير ذلك من النصوص الكثيرة التى توضح هذا المنهج القويم ٠

حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع : ـ

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشدّ حرصا على العمل بالكتاب والسنة ، وأشدهم عداوة وبغضا للبدع وأهلها ، كذلك التابعون ومن جاء بعدهم ممن تبعهم بإحسان ، وسأورد نماذج من أقوال الصحابة والسلف الصالح في ذم البدعة والمبتدعين ، والحث على لزوم السنة .

من أقـــوال الصحـــابة في ذلك : ـ

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : « إنما أنا مثلكم ، وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيقه ، إن الله اصطفى محمدا على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقومونى » .

وهذا ابن مسعود رضى الله عنه ينكر على جماعة من المسلمين كانوا قد جلسوا يذكرون الله بذكر على غير الهيئة التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الدارمي في سننه أن رجلا أخبر عبد الله بن مسعود ، أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب ، فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وكذا ، وسبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوا الله كذا وكذا ، قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون ، قام فأتى ابن مسعود فجاء ، وكان رجلا حديدا ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ، ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما ، فقال عمرو بن عتبة : استغفر الله ، فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالاً بعيدا . فاذا كان ابن مسعود رضى الله عنه قد أنكر هذه الهيئة التى يذكرون الله بها رغم أن الذكر الوارد فيها مشروع بيد أنه أنكر عليهم الشكل والصفة وتخصيص هذا الوقت بالذات للذكر ، فكيف لو اطلع ابن مسعود على هذه الأذكار التى يذكر بها المسلمون اليوم ، وهى لاتمت إلى ذكر الله بصلة ، مما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية ، وغيرهم من الأذكار التي زينها لهم الشيطان ، منها ما يرددونه بصوت واحد ، من قولهم (هو هو) أو (حي حي) وغير ذلك من ألوان الهذيان ، الذى يرددونه ويزعمون أنه ذكر الله ، في الوقت الذى لو سمعتهم وهم يترنمون بهذه الأذكار التى لا يفهم منها شيء في كثير من الأحيان ، لخيل إليك أن أمامك سباعا تتعاوى وتتهارش ، على فريسة ، بل تحولت أذكار كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم من أنواع من الرقصات المختلفة ، فضلا عما يصحب

ذلك من آلات الطرب والمعازف ، واختلاط الرجال بالنساء ، وشرب للمسكرات ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى يمليها عليهم الشيطان ، فيا ليت شعري ماذا سيقول هذا الصحابي الجليل لو اطلع على هذه المناظر ، أو سمع تلك الأصوات المنكرة (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) ، لقمان /١٩ ٠

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر على الصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير ، ويقول : أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تنادون أصم ولا غائبا ، ولا شك أن ذكر الله واجب من أعظم الواجبات التى حث عليها الإسلام ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الأحزاب /٤١ ٠ ومن أعظم وصايا النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله » ٠ لكن لا بد أن يكون الذكر وفقا للمعايير التى جاء بها الكتاب والسنة ٠ دون إفراط أو تفريط ٠

وجاء عن ابن مسعود أيضا في ذم البدعة « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ٠ وقال ابن عباس لمن سأله الوصية : (عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع) ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » ٠ وقد روى هذه الآثار الكثيرة الإمام الدارمى في سننه ، وآثارا أخرى عن الصحابة والتابعين ، وجاء في سنن أبى داود عن حذيفة رضى الله عنه قال : « كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا » ٠ ، هـذه نماذج من أقـوال الصحـابة ٠

من أقـوال السلف بعـد الصحـابة : ـ

وسنشرع الآن في ذكر نماذج من أقوال التابعين وغيرهم من السلف في الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع فقد روي الدارمي في سننه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : « أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعـده » ٠ ونقل الأوزاعي عن حسان بن عطية أحد التابعين الفضلاء قوله : « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة » ٠

وقال أبو حنيفة رحمه الله (عليك بالأثر ، وطريق السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة » ، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة ، لأن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا) ، وقال الليث بن سعد : « لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته » فلما بلغ ذلك الشافعى رحمه الله قال « إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته » . وقال الإمام أحمد رحمه الله : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلال » .

وهكذا نجد مما تقدم من النصوص أن الكتاب والسنة والآثار والأخبار التى نقلت عن السلف الصالح تفيد من نظر فيها بتبصر وتدبر أن كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع ، في العقائد أو العبادات أو المعاملات ، فعليّة أو قوليّة أو تركيّة ، فهي ضلالة ، صاحبها مؤاخذ معاقب عليها في النار ، وبدعته مردودة عليه غير مقبولة منه ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما من كتاب الله وسنتي » وقال أيضا : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » .

(البقية في العدد القادم)

عَنِ ٱلزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ :
أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَشَكَوْنَا
إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ ٱلْحَجَّاجِ ، فَقَالَ :
« ٱصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَٱلَّذِي
بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ »
سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« رواه البخاري »

الفقه وأصوله

وفروا اللحى وأحفوا الشوارب

لفضيلة الدكتور محمد أحمد الشريف
الأستاذ المساعد بكلية الحديث بالجامعة

الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه للعالمين ، وعليه فطر الخلق جميعا ، قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، (الروم /٣٠) والمعنى والله أعلم أن هذا الدين القيم إنما هو دين يتفق مع الفطرة تماما ، ولو أن كل إنسان تُرك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق بتوحيده وشعائره .

وقد فطر الله الناس قابلين للحق متهيئين لإدراكه مائلين منساقين إليه ، إذا خلوا وأنفسهم ، بعيدين عن الوساوس الشيطانية والأهواء البشرية ، ومن هذه الأمور التى فطر الناس

---

(١) البخارى جـ٤ ص٢٧ .
(٢) مسلم جـ٣ ص١٤٧ .
(٣) البخارى جـ٤ ص٢٧ مسلم جـ٣ ص١٤٧ .
(٤) البخاري جـ٤ ص٣٦ .

عليها قص الشارب وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، والمضمضة .. هذه الأمور ملائمة لفطرة الإنسان ملاءمة تامة . ولقد أكد الشارع أمرها فحث عليها ليذكر الناس بأصل فطرتهم وليكونوا على أحسن الصفات وأكمل الهيئات : قال شيخ الإسلام ابن حجر : ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع منها تحسين الهيئة ، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا ، والاحتياط للطهارتين ، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة ، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان ، وامتثال أمر الشارع والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك ، وكأنه قيل قد حسنتُ صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها أو حافظوا على ما يستمر به حسنها ، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التأليف المطلوب ، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى إلى انبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه والعكس بالعكس ا هـ (١) ولقد أغوى الشيطان الكثير من الناس وأضلهم عن فطرتهم وصرفهم عما جبلوا عليه ، وزين لهم مالم يكن من شأنهم وهيأ لهم أن حسن الهيئة وزينتها في تغيير هذه الفطرة ورفضها ، وسار على ذلك المشركون ، وتبعهم عليه نفر من المسلمين . فتركوا شواربهم لم يقصوها ، وأنهكوا لحاهم ، وأعرضوا عن الاختتان ، وتركوا شعور العانة والإبط ، وأطالوا أظافرهم ، وتركوا الاستنشاق بالماء ، والمضمضة ، والاستنجاء بالماء ، وتركوا البراجم ، وأعرضوا عن السواك الذى هو مطهرة للفم ومرضاة للرب ، واتبعوا في ذلك أهواء الذين لا يعلمون قال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) (الأعراف /٣) ، وسأقصر البحث هنا بعون الله على أمر الشارب واللحية والله المستعان وعليه التكلان .

والشارب هو الشعر النابت على الشفة العليا للفم ، قال في المصباح : هو الشعر الذى يسيل على الفم ويثنّى باعتبار الطرفين أ هـ . وقد يجمع وهو من الواحد الذى فرق ، ويسمى كل جزء منه باسمه فقالوا لكل جانب منه شاربا ، ثم جمع على شوارب ، وأما طرفا الشارب وهما السبالان فقيل هما من الشارب ويشرع قصهما وقيل هما من اللحية . وجمهور العلماء على أن قصه أو إحفاءه سنة ، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك محمول على الندب بقرينة أن الأمر بذلك للنظافة وتحسين الهيئة ، والنفس تميل إلى ذلك وتدعو إليه ، فلم تحتج إلى أمر إيجاب . والندب كاف في ذلك . وذهب بعض الحنفية وابن حزم والقاضى أبو بكر بن العربي إلى وجوب أخذ الشارب لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك ولأن في تركه تشويها للصورة الآدمية

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٦٣ .

كما أن أخذه من الفطرة . والفطرة هى الدين وإذا أضيف قصه إلى الدين ، فالظاهر أنه جزء من فرائض الدين لا من سننه وقد أمر إبراهيم عليه السلام بخصال الفطرة ،وأمرنا باتباعه ، وأمْر الله يجب العمل به .. وقص الشارب من خصال الفطرة فهو واجب - والظاهر مع الجمهور فهو سنة الأنبياء جميعاً ، والقصد به النظافة وتحسين الهيئة واتباع إبراهيم عليه السلام واجب . فإن كان الأمر واجبا عليه أو مندوباً كان حكم التابع كذلك ولا نعلم أن ذلك كان واجباً عليه فبقى الأمر على الندب .

وإنما كان ذلك سنة لأن الأنبياء عليهم السلام هم أكمل الخلق وشرعهم أقوم الشرائع ، وقد أمرنا بالاقتداء بهم ، وما شرع الله شيئا إلا وفيه الخير والمصلحة وإن خفى ذلك علينا . والصادق في إيمانه يستجيب لأمر الله لأن مقتضى الإيمان التصديق والطاعة والاستسلام والانقياد لأمره تعالى . وإن كانت معرفة الحكمة تزيده تصديقاً وثباتاً وانقياداً .. ويمكننا أن نفهم شيئا من الحكمة في الأخذ من الشارب ، فالمشركون والمجوس الذين كفروا بالله وعبدوا غيره وأضلهم الشيطان عن فطرتهم كانوا يتركون شواربهم لا يأخذون منها شيئاً ، وذلك أمارة على ما فى أنفسهم من غلظة وتجبر وتعالٍ ، ومن زهو وعجب واختيال ، وشأن المؤمن التواضع والانكسار والتذلل لله عز وجل . ونحن مأمورون بمخالفة الكفار في هيئاتهم وأفعالهم غير المشروعة ، فهم أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . ولذلك أمرنا بقصه أو حلقه ، إذ في ذلك أيضا من النظافة مالا يخفى ، فإن الإنسان إذا أكل أو شرب وكان شاربه طويلا عاقه عن أكله وشربه إذ يدخل الشعر في فمه ويختلط بطعامه وشرابه وفي ذلك إيذاء للإنسان ، وقد يؤدى به إلى الامتناع عنهما مع حاجته إليهما لضيق الصدر وتألم النفس بدخوله في الفم ، وقد يؤدى به ذلك إلى مضغه وبلعه دون قصد . وكثيرا ما يتعلق به شىء من الطعام والشراب وذلك أمر مستقذر مستهجن ، وفيه إهانة وإزراء بالرجل ، وفي حلقه أو قصه أمان من ذلك ، وإذا كان الشارب طويلا ثم تمخط الإنسان تعلق به شىء منه وهو لا يشعر ، وقد يُرى بين الناس وهو كذلك فيكون مُزدرى مهيناً ينفر الناس منه ، ولما كان تركه ليس من الفطرة فإن النفس تشعر معه بضيق وثقل وأذى حتى تستريح بالأخذ منه . وفي تركه تقبيح للهيئة ، وفي الأخذ منه إصلاح وتحسين لها . وفيه كذلك إحسان إلى الناس بكف الأذى عنهم ، وإحسان إلى النفس بالمحافظة على المروءة ، وبالدعوة إلى التآلف .. قال ابن العربي : إن الماء النازل من الأنف يتلبد به الشعر لما فيه من اللزوجة ويعسر تنقيته عند غسله وهو بإزاء حاسة شريفة وهى الشم ، فشرع تخفيفه ليتم الجمال والمنفعة به اهـ (١) .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٧١ .

وقد اختلفت الروايات في صفة الأخذ من الشارب ، واختلفت تبعا لذلك آراء العلماء . ففي بعض الروايات الأمر بإحفائه وإنهاكه وجزه . وفي المصباح أحفى الرجل شاربه بالغ في قصه . وقال ابن دريد : حفى شاربه حفوا إذا استأصل أخذ شعره . فالمعنى أزيلوا شعر الشارب إذا طال . والإنهاك هو المبالغة في الإزالة . والجزّ قص الشعر والصوف إلى أن يبلغالجلد . قال الهروي معناه : الزقوا الجز بالبشرة . وقال الخطابي : هو بمعنى الاستقصاء . وفي المصباح : الجز القطع . وقد أخرج الطبري والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال « إنهم يوفون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم » قال : فكان ابن عمر يستعرض سبلته فيجزها كما يجز الشاة أو البعير .

وأخرج رزين أن ابن عمر كان يحفى شاربه حتى ينظر إلى الجلد ويأخذ هذين - يعنى ما بين الشارب واللحية - وفي رواية لغيره « حتى يرى بياض الجلد » وأخرج الطبري والبيهقي عن ابن عبد الله بن أبى رافع قال رأيت أبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وابن عمر ورافع بن خديج وأبا أسيد الأنصاري وسلمة بن الأكوع وأبا رافع ينهكون شواربهم كالحلق وأخرج الطبري من طرق عن عروة وسالم والقاسم وأبي سلمة أنهم كانوا يحلقون شواربهم . وذكر الطحاوي عن ابن أبى سعيد وأبى أسيد ورافع بن خديج وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر وجابر وأبى هريرة أنهم كانوا يحفون شواربهم . وقد اقتدى هؤلاء رضى الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أخرج الطبراني بسند حسن عن أم عباس قالت « كان صلى الله عليه وسلم يحفى شاربه » .. وبهذا قال الإمام أحمد رضى الله عنه فقد سئل عن السنة في إحفاء الشارب فقال يحفى . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « احفوا الشوارب » ، ولم يكن يرى ذلك لازما وإنما كان يرى أنه أفضل وأولى من القص . سئل : ترى الرجل يأخذ شاربه أو يحفيه أم كيف يأخذه فقال إن أحفاه فلا بأس وإن أخذه قصاً فلا بأس مخير ، وقال الأثرم : كان أحمد يحفي شاربه إحفاء شديداً ، ونص على أنه أولى من القص كما ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإحفاء أفضل من التقصير . قال الطحاوى : ولما كان التقصير مسنوناً عند الجميع كان الحلق فيه أفضل قياساً على الرأس ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين واحدة فجعل حلق الرأس أفضل من تقصيره ، وكذلك الشارب اهـ (١) ونقل أن الربيع والمزني يحفيان وقال : وما أخذا ذلك إلا عن الإمام الشافعي رضى الله عنه . ونقل ابن العربي عن الشافعي أنه يستحب حلق الشارب وفي حاشية العدوي : وأخذ أبو حنيفة والشافعي في قولهما : السنة جزه بخبر « أحفوا الشوارب واعفوا اللحى » .

---

(١) زاد المعاد جـ ١ ص ٤٦ .

وروى عن الشافعى غير ذلك . وهكذا نرى أن جمهور العلماء على إحفاء الشارب كله . وأما حديث « ليس منا من حلق » (١) فليس في الشارب . ولقد جاءت أحاديث أخرى تفيد أن المطلوب قص الشارب منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الفطرة حلق العانه وتقليم الأظفار وقص الشارب » (٢) وأخرج الترمذى عن ابن عباس وحسنه « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقص شاربه ويقول إن ابراهيم خليل الرحمن يفعله » وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : ضفت النبى صلى الله عليه وسلم وكان شاربي وفيراً فقصه على سواك » (٣) والمعنى أنه وضع سواكا عند الشفة تحت الشعر وأخذ يعضه بالمقص . وروى البزار عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا وشاربه طويل فقال إيتوني بمقص وسواك فجعل السواك على طرفه ثم أخذ ما جاوزه .. وعن أنس رضى الله عنه قال : « وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانه أن لا نترك . أكثر من أربعين ليلة » (٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية » الحديث (٥) وأخرج البيهقي والطبراني من طريق شرحبيل بن مسلم الخولانى قال رأيت خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصون شواربهم : أبو أمامة الباهلى والمقدام بن معد يكرب الكندي وعتبة بن عوف السلمى والحجاج بن عامر الثمالى وعبد الله بن بسر . قال ابن حجر : وأما القص فهو الذي في أكثر الأحاديث وجاءت رواية عند النسائي بلفظ « تقصير الشارب » في خصال الفطرة وهو واضح المعنى (٦) قال ابن فارس : القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم اقتصصت الأثر إذا تتبعته وقال :

ومن الباب قصصت الشعر . وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها (٧) وفي المصباح : قصصته قصاً من باب قتل قطعته (٨) قال ابن حجر : والمراد هنا قطع النابت على الشفة العليا غير استئصال . وكذا قص الظفر أخذ أعلاه من غير استئصال (٩) وبقص الشارب قال طائفة من العلماء : قال

---

(١) أبو داود والنسائى .
(٢) البخارى جـ ٤ ص ٢٧ .
(٣) أبو داود .
(٤) مسلم جـ ٣ ص ١٤٦ .
(٥) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ .
(٦) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٥٨ .
(٧) مقاييس اللغة جـ ٥ ص ١١ .
(٨) المصباح المنير .
(٩) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٥٨ .

الإمام مالك رضى الله عنه : (وتقصيره عندى أولى من حلقه) ، وقال : (إحفاء الشارب عندي مُثْلة) وسئل عمن يحف شاربه فقال : (أرى أن يوجع ضرباً) ، وقال (يؤدب من جز شاربه ويبالغ في عقوبته ، لأن حلقه مُثْلَة ، وهو فعل النصارى) ، وحمل الجزّ والإحفاء والإنهاك على القص لا على الاستئصال · والمراد بالحديث عنده المبالغة في أخذ الشارب حتى يبدو حرف الشفتين · وقال ابن عبد البر يرجح قول مالك : إنما في هذا الباب أصلان أحدهما احفوا وهو لفظ يحتمل التأويل والثانى قص الشارب وهو مفسر والمفسر يقضى على المجمل وهو عمل أهل المدينة ا هـ (١) وقال : وقص الشارب أن يأخذ ما طال على الشفة بحيث لا يؤذى الآكل ولا يجتمع فيه الوسخ ، وقال عمر بن عبد العزيز « والسنة في الشارب الإطار » قال الإمام النووي : والمختار في الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم) ا هـ (٢) ·

وقد صرح في المهذب بأن هذا هو مذهب الشافعية ·· وقوله صلى الله عليه وسلم « احفوا الشوارب » يراد به إحفاء ما طال عن الشفة لا إحفاؤه كله · قال ابن حجر في أحاديث الإحفاء : كل ذلك محتمل لأن يراد استئصال جميع الشعر النابت على الشفة العليا ، ومحتمل لأن يراد استئصال ما يلاقى حمرة الشفة من أعلاها ، ولا يستوعب بقيتها ، نظراً إلى المعنى في مشروعية ذلك ، وهو مخالفة المجوس والأمْنُ من التشويش على الآكل ، وبقاء زهومة المأكول فيه ، وكل ذلك يحصل بما ذكرنا ، وهو الذى يجمع متفرق الإخبار الواردة في ذلك وبذلك جزم الداودى في شرح أثر ابن عمر ، ومقتضى تصرف البخارى لأنه أورد بعده حديث أبى هريرة في قص الشارب ، فكأنه أشار إلى أن ذلك هو المراد من الحديث · وعن الشعبى أنه كان يقص شاربه حتى يظهر حرف الشفة العليا وما قاربه من أعلاه ويأخذ ما يزيد مما فوق ذلك ، وينزع ما قارب الشفة من جانبى الفم ولا يزيد على ذلك · قال ابن حجر « وهذا أعدل ما وقفت عليه من الآثار » ا هـ (٣) وقد رجح بعض العلماء قول الأكثرين وقال : والإحفاء الاستئصال ، ورواية القص لا تنافيه لأن قد يكون على جهة الإحفاء وقد لا يكون · ورواية الإحفاء معنية للمراد وحديث « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » (٤) لا يعارض من حديث الإحفاء لأن فيه زيادة صحيحة يجب الأخذ بها ·

والحق أن الأحاديث وردت بالأمرين : بالقص على أنه من الفطرة ، وبالإحفاء على

---

(١) القرطبى جـ ١ ص ٤٩١ ·

(٢) شرح مسلم جـ ٣ ص ١٥١ ·

(٣) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٦٩ ·

(٤) أحمد والنسائى والترمذى وصححه ·

أنه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يشمل القص وزيادة · وكلا الأمرين صحيح ، فالقص سنة ، والإحفاء سنة ، والمكلف مخير ، والأمر واسع فيقص أحيانا ويحفي أحيانا ليعمل بكل الأدلة · قال الطبري : دلت السنة على الأمرين ، ولا تعارض ، فإن القص يدل على أخذ البعض ، والإحفاء يدل على أخذ الكل وكلاهما ثابت فيتميز فيما شاء ا هـ ·

وأما اللحى : فهى جمع لحية بكسر اللام، وهى اسم لما نبت من الشعر على الخدين والذقن (١)، والذقن مجتمع اللحيين، واللحى عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان، ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوفيرها فقال صلى الله عليه وسلم « خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » (٢) كما أمر بإعفائها فقال صلى الله عليه وسلم « أنهكو الشوارب واعفوا اللحى » (٣) · كما أمر بإيفائها فقال صلى الله عليه وسلم « خالفو المشركين احفوا الشوارب وأوفوا اللحي » (٤) كما أمر بإرخائها فقال « جزّوا الشوارب وارخوا اللحي خالفوا المجوس » (٥) وذكر القاضى عياض أن بعضهم قال « وأرجوا » بالجيم بدل الخاء ·· ومعنى « وفروا » اتركوها وافرة كاملة لا تنقصوا منها شيئاً ومعنى « واعفوا » اتركوها على حالها حتى تعظم وتكثر ولا تتعرضوا لها بشيء فهى بمعنى وفروا أو كثروا · ولا يقصد بذلك إباحة معالجتها حتى تغزر بقرينة سياق الحديث « احفوا الشوارب » وكذا بقية الألفاظ الدالة على مجرد الترك، ومعنى « أوفوا » اتركوها وافية تامة لا تنقصوا منها شيئاً ومعنى « ارخوا » أطيلوها وأطلقوها ولا تتعرضوا لها حتى تكثر وتنمو · ومعنى « أرجوا » أخروها واتركوها على حالها وأصلها : ارجئوا فحزفت الهمزة من الفعل تخفيفاً وكل هذه الروايات تفيد معنى متقارباً، وهو تركها على حالها وافية وافرة كاملة · وعدم التعرض لها بشيء ·

وفي كل هذه الروايات أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم · وقد حمله القاضى عياض والنووي والرافعي على الندب لأنه أمر يرجع إلى تحسين الهيئة وتجميلها ولا يحتاج إلى الوجوب كما أنه قرن بإحفاء الشارب · والجمهور على أنه سنة إلا من شذ كما أن توفير اللحية من خصال الفطرة كالختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، والسواك ، والاستنشاق ، وغسل البراجم ، والمضمضة ، وانتقاص الماء وظاهر كونها من الفطرة أنها سنة · وقد اختلف في وجوب بعضها · واللحية من زينة العرب التى امتازوا بها عن غيرهم وقد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجد قومه عليها · ولذلك قال هؤلاء العلماء بكراهة حلق

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٧٢ ·

(٢ ، ٣) تقدما ·

(٤) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ ·

(٥) تقدم ·

اللحية وقصها · وأما الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وجمهور الفقهاء والمحدثين فقد ذهبوا الى أن الأمر بإعفائها وتوفيرها للوجوب لا للندب وقالوا بحرمة حلقها · واحتجوا بما يأتى : -

أولا : لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وقد وضعت صيغة الأمر للوجوب مالم يصرفها عن ذلك صارف بقرينة تدل عليه · ولا قرينة هنا حتى تصرف هذا الأمر عن ظاهره ومقتضاه · وجمهور أهل الأصول والحديث على أنه إذا أمر بشيء كان ذلك الأمر نهياً عن ضده سواء كان ذلك الضد واحداً أو متعدداً · والأمر بإعفاء اللحية فهى عن حلقها أو قصها أو تقصيرها · وقد قال الله تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (الحشر /٧) وإعفاء اللحية ثابت من هديه صلى الله عليه وسلم ، ونحن مأمورون بالاقتداء به · فهو صلى الله عليه وسلم قد أعفاها وأمرنا بذلك · ولا شك أن أكرم العادات وأشرفها هى عاداته صلى الله عليه وسلم · وإعفاء اللحية وإن كان شأن العرب وخاصيتهم إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره به قد نقله من كونه عرفاً وعادة إلى كونه عبادة مأموراً بها مثاباً على فعلها معاقباً على تركها ·

ثانيا : أضف إلى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بمخالفة المشركين والمجوس ثم أمر بإعفاء اللحية وإحفاء الشارب تدل على أن في ذلك الأمر مخالفة لهم ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن حلق اللحية وقصها وترك الشارب ، من هيئات الكفار الخاصة بهم ، فأمر المسلمون بمخالفتهم في فعلهم تماماً · وقد كان بعض الأعاجم يوفرون الشوارب واللحى معاً فأمرنا بمخالفتهم في صنعهم هذا بأن نأخذ من الشوارب ونترك اللحى ، قال أبو شامة : وقد حدث قوم يحلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن المجوس أنهم كانوا يقصونها (١) ، وقد روي البيهقي أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال : « إنهم يوفون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم » ، وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قيل يا رسول الله : إن أهل الكتاب لا ينتعلون فقال النبى صلى الله عليه وسلم فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب ، قال فقلت يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ، قال فقال صلى الله عليه وسلم : « قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم (٢) وخالفوا أهل الكتاب » (٣) ، ومخالفة المشركين واجبة وقصد التشبه بهم حرام ، قال صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم « خالفوا المشركين » ، « خالفوا المجوس » غاية في الزجر عن التشبه

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٧٣ .

(٢) جمع عثنون وهو اللحية .

(٣) أحمد بسند حسن .

(٤) أبو داود وابن حبان .

بهم فيما يختصون به من ملبس أو هيئة ، ولقد ظهر في المسلمين حلق اللحية وتوفير الشوارب من مخالطة المشركين واستحسان عوائدهم والميل إلى أتباعهم وتقليدهم ، وقد نرى بعض الكافرين الآن يوفر لحيته · وذلك لا يغير من حكم اللحية في شريعة الإسلام ومع هذا فإنهم لا يفعلون ما هو مشروع لنا فإنهم يتركون اللحى والشوارب معا ونحن مأمورون بمخالفة ذلك كما هو صريح الأحاديث · وبعضهم يترك شعرات أسفل الفم ليست هذه هى اللحية الشرعية ، ولو سلمنا جدلاً أنهم يصنعون مثلنا تماماً فليس هذا مبرراً لأن نخالف هذا القليل بزعم إبليس ، ونخالف هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب اتباعه في كل حال · ولقد كان من الحكمة في الأمر بإعفائها مخالفة المشركين ، ثم بقى الأمر على عمومه واستقر عليه · ولا نعلم ما يخالف ذلك ·

إن الإنسان إذا ضعفت شخصيته ورق دينه وشغل بالدنيا مال إلى ما يميل إليه أهل الغواية والضلال والمشركون ، وقد حلقوا لحاهم وتركوا شواربهم فإذا رأى بعض المسلمين منهم ذلك استحسنوا هيئاتهم وزيهم وعادتهم ، وزين لهم الشيطان حب اتباعهم ، وجعلهم ينسون محاسن دينهم ومآثر نبيهم الكريم ، فتشبهوا بهم ، وشاع ذلك الأمر وانتشر ، وأصبح أمر اللحية أمراً شاذاً عند الكثيرين ولم ينته الأمر عند هذا الحد من انقلاب المعروف إلى منكر ، بل صار بعض من لا خلاق لهم يهزأ بأصحاب اللحى ويسخر بهم وهم الذين يتبعون هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتبعون السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، والخير كله في الاقتداء بهؤلاء الكرام ، والشر كله في التشبه بالكفرة اللئام ·

ثالثـا : لقد زين الله الرجال باللحى وهى لذلك تضفي على الرجل كمالاً وجلالاً وهيبة ووقاراً ، كما أنها تدعوه إلى الكمال في دينه وتصونه من المنكرات ، وتبعث فيه الهمة والعزيمة والتحمل والصبر ، وتجعله معروفا بالفضل والدين والكمال ، ويقدم من أجلها على غيره في كثير من المواقف الهامة ·

وزينة المرأة في خلو وجهها من شعر اللحية · وفي حلق الرجل للحيته تشبه بالمرأة في تخلية الوجه من الشعر ، والتشبه بالنساء حرام · وهو شبيه بحلقها لشعر رأسها وإزالة شعر عينها ، ومروءة الرجل تنأى به عن ذلك · لقد حسن الله صورتنا فعار علينا أن نشوهها بما يقبحها وبما يذهب حسنها وجمالها ·

رابعـاً : إن اللحية أمر فطرى خلق عليه الرجال يتلاءم وما خلقوا له وما أمروا به ·

فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل

البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانه ، وانتقاص الماء · قال زكريا قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة » (١) وفي حلق اللحية اعتداء على هذه الفطرة وتغيير لما خلق الله عز وجل وذلك من الكبائر · وهو مثلة في حق الرجل حقه أن يزجر وأن يؤدب ليعود إليها · ولقد تغير الناس وصار المعروف لديهم حلق اللحي وإعفاء الشوارب ، فصار المعروف منكراً والمنكر معروفا ولقد وصل الأمر إلى أن نعتبر ظهور شعر اللحية في الوجه أمراً غير محمود ولا كريم فيبادر البعض إلى احفائه وازالته طوعاً أو كرهاً طلباً لحسن المظهر في زعمه أو خوفاً من الاستهزاء أو الاستنكار وما يزال مفروضاً على شبابنا المسلم في القوات المسلحة بالدول الإسلامية أن يحلقوا لحاهم ، وهذا أمر لا يليق ولا ينبغى فكيف يؤمرون بأمر حرمه الله ورسوله والمؤمنون ؟ وكيف يتأتى هذا في دولة دينها الرسمى الإسلام ؟ وإعفاء اللحية من الواجبات الاسلامية ومن الشعارات المميزة للمؤمنين ؟ والمفروض في الجندى أن يكون رجلًا بكل مظاهر الرجولة حتى يعطيه ذلك قوة وصلابة وبراً ويقيناً ، ولقد كان ذلك بأمر المستعمرين حتى يبعدوا الشباب عن دينهم ، أما وقد رحل المستعمر فحتم أن ترحل معه مبادئه المخالفة لشرعنا وشعائرنا · ولقد صارت اللحية الآن علامة على التدين والصلاح ، ولقد مل الكثير من شبابنا المبادئ والأفكار المستوردة التى لا تتفق ودينا الحنيف وعرفنا الصحيح وبدءوا العودة الى الدين كله ، فعادت لهم الصورة الكريمة المهيبة الموقرة · وحق علينا أن نوفر السبل لهؤلاء ليتحقق لهم القدر الضرورى من الفقه في الدين ، حتى يلتزموا الصراط المستقيم ويسلكوا الطريق الوسط ، بعيداً عن المبالغة والتغالى والإفراط · وحق علينا أن نتعهدهم وأن نرعاهم وأن نحسن إلى المحسن ونقدره ونكافئه ، وأن نبصر المسيء بالحق والخير حتى يعود إلى الجادة ، ولا خوف على الأمة إذا عاد شبابها إلى حظيرة الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع ، بل إن الرقي الحقيقي والسعادة الغامرة والفلاح والتوفيق في العودة إلى الإسلام خلقاً وسلوكاً وعبادة ومعاملة ومظهراً وشعاراً ، أماالخوف الحقيقي على الأمة فإنما يكون بانسلاخ الشباب من ثياب الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع إلى الفوضى والإلحاد والشك والفسق والجهل وما أخطر المسئولية التى أنيطت بأعناق العلماء والدعاة · ولأجهزة الإعلام دورها الكبير الذى يجب أن تقوم به بعد طول غياب ، ومسئولية الأمراء والولاة والأئمة أن ييسروا السبيل وأن يشعروا الناس بالأمن والطمأنينة والسكينة بعد خوف قد طال ·

لقد ثبت الأمر بتوفير اللحى لما فيه من خير كثير ولكن ذلك الأمر قد خفى على الكثيرين لما رأوا اختفاء اللحى وشذوذ وجودها خوفاً من الإيذاء ، أما وقد أمن الناس بعد

---

(١) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ ·

خوف فعليهم أن يعلموا وأن يعملوا بما علموا والعلماء والدعاة مسئولون عن ذلك أمام الله عز وجل ولقد خفي هذا الأمر على بعض العلماء لشغلهم بواجبات أخرى ، كما أنه قد يشق على بعضهم العثور عليه في بطون الكتب · ولقد اتضح هذا الأمر أمام جهابذة العلماء ووضعوا فيه رسائل وبحوثا مستفيضة ، وكتب السنة الصحيحة وفقهاء الإسلام فصلت هذا الموضوع بإيضاح ·

ما يكره في اللحيــة !

يكره خضابها بالسواد لاظهار الشباب لا لغرض إرهاب العدو في الجهاد ، ويكره خضابها بالصفرة رئاء الناس في ظهوره بمظهر الصالحين ، وأما خضابها بالصفره اقتداء بالسنة فَحَسَنٌ ، ويكره تبييضها بالكبريت ونحوه تعجلا للشيب ، ويكره نتف ما شاب منها ، ويكره إهمالها حتى تصير مشعثة غير نظيفة ، ويكره قصها إلا للنسك ، فيستحب عند الشافعي تقصيرها ويكره أخذ شيء من طولها أو عرضها لغير ما حاجة وتكره الشهرة في تعظيمها وتطويلها ، ويكره عقدها ·

رخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليها من الآثار

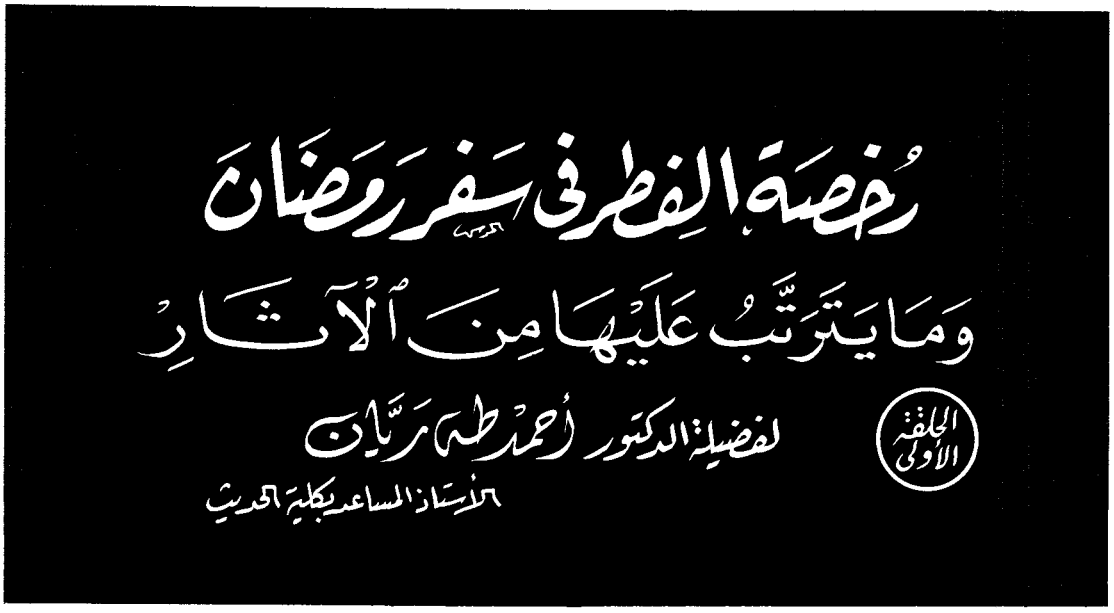

تقـــــديم :

الحمد لله رب العالمين ، وسعت رحمته كل شيء من خلقه ، وتجلت رأفته لأهل طاعته ومحبته ، حيث وفقهم لعبادته ، ثم أحسن اليهم بقبولها ، وأجزل لهم المثوبة عليها ، ففازوا بالسعادتين نعمة الطاعة في الدنيا ، ونعمة الرضا والتكريم في دار النعيم ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد : فإننا سنعرض في هذا التقديم - بإيجاز - لبيان أهمية هذا البحث ، ثم لدور السنة فيه ، ثم بعد ذلك نعالج موضوع البحث في ثلاثة فصول ، يشتمل كل منها على عدة مطالب ، نتناول في الفصل الأول : رخصة الفطر في السفر ، مبينا كل جوانبها الهامة ، ثم نتناول في الفصل الثانى : كيفية العمل بهذه الرخصة من بداية السفر الى نهايته ، وبعد ذلك نتناول في الفصل الثالث بيان أهم الآثار المترتبة على الأخذ بهذه الرخصة ، ثم نختم البحث بذكر أهم النتائج التى أمكن الوصول إليها من خلال هذا البحث ، فنقول : وبالله التوفيق .

أهميـــة هـــذا البحث :

تتبين أهمية هذا البحث من خلال ارتباطه بالأمور الثلاثة الآتية :

الأمـــر الأول :

إنه يتناول بالتفصيل رخصة الفطر في السفر باعتبارها تطبيقا جزئيا لقاعدة هامة من قواعد الشريعة الاسلامية . ألا وهى قاعدة رفع الحرج . تلك القاعدة التى تعتبر من الحصون المنيعة التى أقامها رب العزة تبارك وتعالى للدفاع عن الشريعة الاسلامية ضد أعدائها الرامين لها بكثرة التكاليف وشدتها . كما أنها من جملة البراهين الساطعة الدالة على سماحة تعاليم الإسلام ويسرها . ومناسبتها لكل الظروف والأحوال . لذلك كانت هذه القاعدة وما تشتمل عليه من تطبيقات جديرة بأن يسجلها القرآن الكريم في كثير من آياته . مثل قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (البقرة /٢٨٦) وقوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (الحج /٧٨) . وقوله تعالى : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) (البقرة /١٨٥) . وقوله تعالى : (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (النساء /١٠١) وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) (النساء /١٧٩) .

الأمـــر الثانى :

إن هذا البحث يتناول أهم الأحكام المتصلة بجانب حيوي من جوانب الحياة الإنسانية . وهو السفر . وهو جانب لا يمكن الاستغناء عنه . وكيف يمكن الاستغناء عنه وقد جعله الإسلام واجبا في كثير من التشريعات العملية . فالحج فريضة على كل مسلم مستطيع . ولا يمكن تأديته لأكثر المسلمين إلا بالسفر . والوسيلة إلى تحقيق الواجب واجبة . ويقال هذا أيضا في الجهاد لمن تعين عليـــه .

كما أن السفر ضرورة من ضرورات الحياة . إذ هو الوسيلة لتنمية التجارات . وتشغيل الصناعات . وطلب العلوم والمعارف . كما أنه من أهم الوسائل الموصلة الى العلم بالله والتعرف على آياته . (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ..) (العنكبوت /٢٠) .

ومع ضرورته ولزومه . فإنه لا يمكن فصله أو تجريده من المشقات التى تصاحبه في كل مرحلة من مراحله . من بدء التفكير فيه الى الانتهاء منه . لذلك مَنَّ الله على الخلق بتهيئة السبل والوسائل التى تيسر لهم تحقيق غايتهم منه . قال تعالى : (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . إن ربكم لرؤوف رحيم) (النحل /٧) .

فلولا ما اقتضته رحمته تعالى بخلقه ورأفته بهم . من شرعية هذه التيسيرات ـ المتمثلة

في رخصتى الفطر والقصر وما يتعلق بهما ـ لقعد المسلمون عن السفر ، وتعطلت كثير من الفرائض ، وكسدت التجارات وجمدت العقول ·

ثم يـأتى الأمر الثـــالث :

والذى يمسس هذا البحث جانبا هاما منه وهو الصوم ، تلك الشعيرة الربانية ، والعبادة الصمدانية ، التى أضافها الرب تبارك وتعالى إلى نفسه تعظيما لها ، وتشريفا لفاعلها ، ووعد المتصفين بها ، بأنه سيتولى مثوبتهم بنفسه ، ولن يوكل أمرهم الى أحد من ملائكته ·

فهذه العناية الإلهية بأمر الصوم والصائمين ، تلزم أهل العلم ـ كل على قدر طاقته ـ أن يعطوا هذه الفريضة ما تستحقه من اهتمام سواء بإيضاح ما تنطوى عليه من أسرار عظيمة ، أو ببيان ما تشتمل عليه من أحكام جزئية ، أو مسائل فرعية ·

لذلك كله وغيره كان هذا الموضوع جديرا بما يبذل فيه من جهد أو ينفق فيه من وقت · ونسأله سبحانه أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا إلى تحقيق الغاية المرجوة منه وأن ينفع المسلمين به ·

دور السنـــة في هـــذه الرخصـــة :

تعتبر آية البقرة : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر) الآيـــة ، هى الأصل الأصيل لهذه الرخصة ، ولم يقتصر دورها على التأصيل والتأسيس ، بل إننا سنرى ضوؤها يشع في كثير من الفروع والآثار التى انبسقت عنها أو ترتبت عليها ·

أما دور السنة في هذه الرخصة ، فقد كان في أكثر الأحايين هو التبيين والتوضيح لما أجملته الآية السابقة من قواعد وأحكام ، كبيان المراد من السفر الذى يباح فيه القصر أو الفطر ، أو دور التقييد والتخصيص لما جاء مطلقا أو عاما من الفروع والجزئيات ، كتحديد بداية العمل بالرخصة ونهايته ·

كما أننا سنجد أنها قامت بدور التأكيد لما أفادته الآية ، فقد جاء في حديث حمزة ابن عمرو الأسلمى حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيام في السفر قال : « هى رخصة من الله » (١) وهو نفس المعنى المستفاد من الآية السابقة ·

وأخيرا فاننا سنجد أنها قامت بدور التأسيس أو الإنشاء لأحكام لم تستفد من الآية

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٥ دار التحرير ـ القاهرة ·

كتحديد المدة التى إذا أجمع المسافر على إقامتها في مكان ما من سفره ، فان حكم السفر يرتفع عنه ·

لذلك كان دخول هذا البحث ضمن نطاق فقه السنة أولى من دخوله في مجال فقه الكتاب العزيز ، إذ هى تشمل ما جاء في الكتاب الكريم وزيادة ·

الفصـــــل الأول

رخصة الفطر في السفر

معنى الرخصة لغة وشرعـــا :

يقال رخص له في الأمر ، أذن له فيه بعد النهي عنه ، والاسم : الرخصة والرخصة ـ بتسكين الخاء وضمها ـ والرخصة ـ ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه (١) ·

ومن هنا أطلق الفقهاء لفظ الرخصة على كل معنى خاص ـ روعي في تشريعه التخفيف سبب ما ـ اذا ما كان هذا المعنى مستثنى من حكم عام ، وذلك كإباحة الفطر في السفر سبب المشقة ، وهذا الأمر مستثنى من الحكم العام ، وهو وجوب الصوم على كل مسلم بالغ صحيح مقيم ·

وعلى هذا فالرخصة شرعا مستعملة في نفس المعنى اللغوي التي وضعت له ·

معنى السفر لغة وشرعـــا :

السفر ـ بفتح السين والفاء ـ يطلق في اللغة على عدة معان ، من بينها : الكشف والذهاب والسعى بالاصلاح ، يقال : سفر شعره : استأصله وكشف عن رأسه ، وسفرت الريح التراب والورق كنسته وذهبت به كل مذهب ، وسفرت المرأة وجهها اذا كشفت النقاب عنه ، وسفرت بين القوم أى سعيت بينهم بالإصلاح ، ومنه قول على لعثمان رضى الله عنهما : إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم ، والجمع أسفار وسافرة وسفر وسفار ، وفي الحديث « صلوا أربعا فإنا قوم سفر » (٢) والرجل المسفر كثير الأسفار القوي عليها ، والأنثى مسفرة ، وقد اشتق لفظ السفر المستعمل في لسان الشرع ، وهو الضرب في الأرض من هذا المعنى ·

وقد ربط الأزهري بين المعنى اللغوى والشرعي للسفر بقوله : لكشفه قناع الكن عن

---

(١) لسان العرب جـ ٨ ص ٣٠٦ مصورة من طبعة بولاق · مادة رخص ·

(٢) لسان العرب جـ ٦ ص ٣١ مادة سفر ·

وجهه ، ومنازل الحضر عن مكانه ، ومنازل الخفض عن نفسه ؛ وبروزه إلى الأرض الفضاء ... ولأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ماكان خافيا منها (١) .

المطلب الأول

الفطر في السفر رخصة عامة

يرى جمهور أهل العلم أن الفطر في السفر رخصة عامة ، سواء حضر المسلم بداية الشهر مقيما أو مسافرا ، وقد نقل هذا القول عن مالك وأبي حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي وأحمد ، والعلماء كافة ما عدا بعض التابعين .

وقد استند الجمهور فيما ذهبوا اليه على ما يلى :

١ ـ قوله تعالى : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى : قد أعطى الإذن في الفطر لكل مريض أو مسافر على أن يقضي الأيام التى أفطرها بعد ذلك .

٢ ـ ما روي عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله أجد بى قوة على الصيام في السفر فهل على جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (٢) . وجه الدلالة : قوله صلى الله عليه وسلم هى رخصة .. إلى آخره . يفيد العموم ، لأن الشأن في الرخصة العموم ، كما أنه عبر بمن المفيدة للعموم في جانب المستفيدين بالرخصة .

٣ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج إلى مكة في رمضان فصام ، حتى بلغ الكديد أفطر فأفطر الناس » (٣) .

وجه الدلالة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة خلال شهر رمضان ، أى بعد أن استهل عليه الشهر وهو مقيم صائم بالمدينة المنورة ، ومع ذلك أفطر في بعض مراحل سفره .

---

(١) الوكر : الستر والوقاية . والخفض : الدعة والراحة والاطمئنان) .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ دار التحرير . القاهرة .

(٣) صحيح البخاري جـ١١ ص٤٥ مع شرحه عمدة القارئ . دار الفكر ببيروت .

والكديد : بفتح الكاف وكسر الدال الأولى : موضع بينه وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها وبينه وبين مكة نحو مرحلتين .

المخالفـــون ووجهتهم :

نقل عن أبي مجلز التابعي أن من أدركه الشهر مقيما فعليه أن يتمه مقيما صائما ، ولا يسافر في أثنائه ، فإنه إن سافر لزمه الصوم وحرم عليه الفطر (١) .

وما نقله عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني - بفتح العين - : من سافر في رمضان وقد كان صام أوله مقيما فليصم آخره ، ألا تسمع أن الله يقول : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة /١٨٥) .

كما نقل هذا القول أيضا عن سويد بن غفلة (٢) .

وما نقله عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ، أن أم ذر دخلت على عائشة تسلم عليها وذلك في رمضان فقالت لها عائشة : « أتسافرين في رمضان ؟ ما أحب أن أسافر في رمضان ، ولو أدركنى وأنا مسافرة لأقمت » (٣) .

وما نقله أيضا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال على رضى الله عنه « لا أرى الصوم عليه - أى على من بدأه مقيما صائما - إلا واجبا قال الله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٤) .

وقد نقل البيهقي الأثر السابق عن عبيدة السلمانى بسنده .. إلى أبي البختري بنفس اللفظ السابق تقريبا إلا أنه عقبه بقول أبي البخترى : قال ابن عباس - وكان أفقه منا - من شاء صام ومن شاء أفطر (٥) .

وقد حرصت عل نقل أسماء القائلين بهذا الرأى مع ذكر وجهتهم بالسند الصحيح اليهم ، لأن ما ذكر عن هذا الرأى وعن القائلين به ووجهتهم لم يكن محققا ، ولنأخذ على سبيل المثال ما ذكره صاحب الفتح نقلا عن ابن المنذر « روي عن على بإسناد ضعيف ، وقال به عبيدة بن عمرو وأبو مجلز وغيرهما ، ونقله النووي عن أبى مجلز وحده » (٦) .

واضح من رجال السند إلى على رضي الله عنه أنهم ثقات : فقد قال الحافظ ابن حجر في كل من معمر وقتادة : إنه ثقة ثبت (٧) وأما عبد الرزاق صاحب المصنف فهو معروف . وقد

---

(١) المجموع جـ٦ ص٢١٦ - مطبعة المدنى بالقاهرة .

(٢) المجموع جـ٦ ص٢١٦ .

(٣) المصنف جـ٤ ص٢٧٠ الطبعة الأولى . المكتب الاسلامى ببيروت .

(٤) المصنف جـ٤ ص٢٦٩ .

(٥) السنن الكبرى جـ ٤ ص٢٤٦ - دار الفكر .

(٦) فتح البارى جـ٥ ص٨٣ مطبعة مصطفى الحلبى .

(٧) تقريب التهذيب جـ٢ ص١٣٣ ص٢٦٦ دار المعرفة ببيروت .

قال فيه ابن حجر : إنه ثقة حافظ (١) . كما أن النووي لم يقتصر في نقله عن أبي مجلز وحده ، بل نقله أيضا عن عبيدة السلماني وسويد بن غفلة كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ويتلخص مستند هذا الفريق في الاستدلال بقوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . ووجه الدلالة : أن من شهد الشهر حاضرا مقيما وجب عليه صومه ، ولفظ الشهر يطلق على الكل وعلى البعض ، فيكون المعنى : فمن شهد منكم الشهر ـ كله أو بعضه ـ حاضرا مقيما صائما فإنه يجب عليه تكملة صيامه سواء أكمله حاضرا أم مسافرا .

ولكن الجمهور : يرون أن المعنى أن من أدرك الشهر أى حضره كله حاضرا غير مسافر وجب عليه صومه ، وأما المسافر فله حكم آخر جاء به في الجزء التالي في الآية : وهو قوله تعالى : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية (٢) .

ولكنى أرى ـ والله أعلم ـ أن المعنى : أن كل من شهد الشهر وجب عليه صومه ، سواء شهده مقيما أو مسافرا ، صحيحا أو مريضا ، ثم استثنى الله سبحانه وتعالى من هذا العموم المريض والمسافر واختصهما بحكم خاص بهما ، وهو إباحة الفطر لمن شاء منهما على أن يقضيه بعد ذلك في أيام أخر

وهذا المعنى وان كان يتفق مع المعنى الذى قصده الجمهور ، لكنه يختلف عنه من حيث الدلالة فإن الآية على تقدير الجمهور : نزلت بحكمين مختلفين كل جزء منها نزل بحكم خاص منقطع الصلة عن الجزء الآخر ، الجزء الأول نزل بحكمٍ للمقيم والصحيح ، والجزء الآخر نزل بحكمٍ للمسافر والمريض . مع أن لفظ (من) في قوله تعالى (فمن شهد) يفيد العموم ، و (شهد الشهر) بمعنى حضره أى أدركه ، وكل حى موجود يدرك هذا الشهر لا فرق بين مقيم ومسافر وصحيح ومريض ، فمن أين لهم قصر معنى (من) على بعض الأفراد وهم المقيمون دون غيرهم ممن أدرك الشهر .

ويمكن أن يعتذر لهم بأنهم لجأوا إلى هذا التقدير ليتفقوا مع ماقاله بعض أهل اللغة في الآية ، فقد جاء في لسان العرب : تعليقاً على الآية السابقة « معناه : من شهد منكم المصر في الشهر ـ لا يكون إلا ذلك (٣) ـ لأن الشهر يشهده كل حي فيه ، قال الفراء : الشهر نصب بنزع الصفة ولم ينصب بوقوع الفعل عليه ، المعنى : فمن شهد منكم في الشهر أى كان حاضرا غير غائب في سفره »(٤) والتكلف هنا ظاهر .

---

(١) تقريب التهذيب جـ١ ص٥٠٥ .

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ١ ص١٨٣ دار المعرفة ببيروت .

(٣) الاشارة الى المعنى الذى قدره .

(٤) لسان العرب جـ٤ ص٢٢٧ ماده شهد .

أما على تقدير : بأن كل من شهد الشهر وجب عليه صومه إلا المسافر والمريض فقد رخص لهما في فطره ، فهو متفق مع سياق المعنى في الآية ، وربما يعترض على هذا التقدير : بالصبى والمجنون ونحوهما من غير المكلفين إذ هم يشهدون الشهر ، ومع ذلك لا يجب عليهم صومه ، فيجاب عن ذلك : بأن أمثال هؤلاء يخرجون من الوجوب بنصوص أخرى ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور « رفع القلم عن ثلاثة ، عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ » وغيره ٠

وعلى فرض أن الآية تحتمل التأويلين ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين المراد منها بفعله في غزوة الفتح ، إذ صام أول الشهر بالمدينة ، وخرج منها صائما حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، قال الزهري ـ في رواية أخرى لحديث ابن عباس السابق ـ « فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان » (١) ٠

وفي حديث آخر عن أبى سعيد الخدري ـ ولعله في غزوة بدر ـ قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لست عشرة مضت من رمضان ، فمنا من صام ومنا من أفطر ، فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم » (٢) ٠

وفعله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ـ وكانت في العام الثامن من الهجرة ـ يعتبر من التشريعات المحكمة لما جاء في حديث ابن عباس السابق ـ في رواية ثالثة له ـ « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، قال وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » (٣) ٠

فهذه الأحاديث الواردة في محل النزاع تقطع كل احتمال يتوهمه البعض من الآية وترفع كل لبسة قد يحوم حول دلالتها على عموم الرخصة ، سواء لمن شهد بداية الشهر مقيما أو مسافرا فقد قال تعالى : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر/٧) وقال جل من قائل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل/٤٤) ٠

لذلك كان هذا هو الرأى المختار والله أعلم ٠

أما ما نقل عن على رضى الله عنه من القول بوجوب إتمام الشهر صائما فلعله كان

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤١ دار التحرير ـ القاهرة ٠

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٢ ٠

(٣) مسلم جـ٣ ص١٤٠ ٠

اجتهادا منه ، ومعلوم أن النص الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أقوى من اجتهاد الصحابي مهما كان قدره ·

ومما يقوى أنه من كان اجتهادا منه ، إشارته للآية بعد قوله بالوجوب مما يدل على أن ذلك كان استنباطا منه للحكم من نص الآية · وقد قلنا : إن الآية وإن كان فيها احتمال لكن السنة قد رفعت عنها هذا الاحتمال ·

أما ما نقل عن السيدة عائشة رضي الله عنها من كراهتها للسفر في رمضان ، فلما في صومه من عظيم الثواب ، وما في قيام ليله من المغفرة والرحمة فالمسافر وإن رخص له في الفطر ، لكنه سيفوته ثواب الصيام في نفس الشهر ، وسيفوته قيام ليله المؤدى للمغفرة والرحمة ، مما ينبغى الحرص عليه ·

وهذا في حق من كان يمكنه تأجيل سفره ، أما من كان لا يمكنه ذلك ، وكان التأجيل سيترتب عليه ضرر كبير على المسلم في أهله أو ماله ، فليس هناك ما يمنعه ، وما قلناه في حق على رضى الله عنه ، يقال فيما نقل عن عبيدة السلماني وغيره عن التابعين رضى الله تعالى عنهم ·

الدستور الأساسي

قال الفيلسوف (جيبون) :

القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الى نهر الفانك بأنه الدستور الأساسي · ليس لأصول الدين فحسب بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار نظام المجتمع الانساني وترتيب شؤونه ·

ثقافة إسلامية

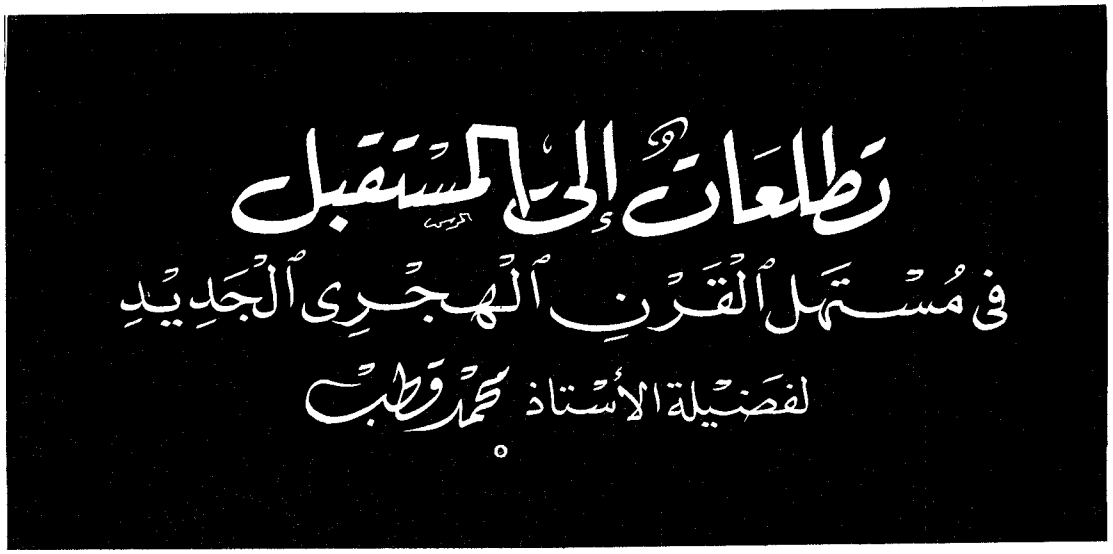

في مستهل هذا القرن الهجرى الجديد .. استبشر كثير من المسلمين وهى ظاهرة طيبة ، نرجو أن يحقق الله من ورائها الخير الكثير ، ولكن الاستبشار وحده لا يكفى إذا كان مجرد أماني خاوية ، يقول سبحانه وتعالى : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) (النساء /١٢٣) .

فالأمانى الفارغة لا تغير شيئا من الواقع ، ولا تحدث ما نرجوه من الخير ، إنما يحدث هذا التمني أثره الطيب بإذن الله حين يكون استبشاراً مبنياً على عمل ، استبشارا له رصيد من الواقع ، إننا نريد أن نتدارس معاً أمر هذا الاستبشار بالقرن الهجرى الجديد ، هل هو مجرد أماني ؟ أم أنه استبشار له رصيد من الواقع ؟ وما ذلك الرصيد ؟ على وجه التحديد ؟ ما حجمه ؟ ما الذى ينبىء به ؟ ما الذي نرجوه من ورائه ؟

أقول بادئ ذى بَدْء : إن الله لا يغير أحوال البشر بأرقام السنين ، ولا بأرقام القرون ، فكوننا دخلنا في قرن تاريخي جديد ، ليس معناه بالضرورة أن يغير الله لنا ، إنما علمنا الله سبحانه وتعالى طريق التغيير ، قال عز من قائل : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد/١١) .

فطريق التغيير إذن : الطريق الذى يغير الله على أساسه واقع الناس هو أن يغيروا ما بأنفسهم ، والتغيير بحالتيه من سيء إلى حسن ، أو من حسن إلى سيء لا يحدث في حياة الناس إلا إذا غيروا ما بأنفسهم : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الأنفال /٥٣) .

فإذا أنعم الله على قوم نعمة فإنه يحفظها لهم ما داموا هم حافظين لها . فإذا غَيَّروا ما بأنفسهم فإن الله يغير حالهم إلى حال سوء والعياذ بالله . ثم إنهم إذا كانوا في حال سوء ، وأرادوا أن يخرجوا منها إلى حال خير فإن عليهم بادئ ذي بدء أن يغيروا ما بأنفسهم إلى خير فيغير الله ما بهم من سوء ويبدل أحوالهم إلى خير .

فعلى هذه القاعدة . أو على هذه السنة الربانية التى لا تتبدل ولا تتحول ككل سنن الله سبحانه وتعالى . نتدارس أمر هذا القرن الجديد . فنسأل عن هذا الإستبشار : هل هو مبني على واقع في نفوس الناس ؟ أى بعبارة أخرى : هل بدأ الناس يغيرون ما بأنفسهم ؟ . فنتوقع إذن أن يغير الله لهم ؟ أم إنهم مازالوا يسيرون على الحال الذى يسيرون فيه ؟ . فلا تغيير إذن من عند الله مادامت القلوب لم تتغير والعقول لم تتغير ؟ .

أنا شخصيا من المستبشرين والحمد لله . استبشر لا بالسنوات . ولا بالأرقام . لكن استبشر بما أراه في قلوب الشباب في العالم الاسلامى من المحيط إلى المحيط . من تغير نحو الاسلام .. إنه اتجاه جديد .. بعث إسلامى جديد .. يعمر هذه القلوب من بعد ما كانت خاوية خلال القرون الماضية . فحل بالمسلمين ما حل بهم نتيجة خواء قلوبهم من الإيمان الصحيح . ولكنى وأنا أستبشر بمطلع هذا القرن . وأرجو للمسلمين فيه خيرا . لا أغفل عن الواقع الذى نعيشه . لا أغفل عن الظلمات .. عن الأزمات .. عن المصاعب والمشقات التى تحيط بالمسلمين اليوم . وتعتصرهم اعتصاراً على يد أعدائهم في كل مكان في الأرض .

ولعنا لا نستطيع أن نمضي في الحديث عن هذا القرن الجديد . إلا إذا تحدثنا عن القرون القريبة الماضية . فالمستقبل حلقة من حلقات التاريخ متصلة بالحاضر . والحاضر حلقة متصلة بالماضى . ولا يمكن أن ندرك الحاضر ولا أن ندرك المستقبل المرقوب إلا إذا مررنا بالماضى نستشف أحداثه . ونعرف ما جرى فيه من تغير في أحوال المسلمين بعد أن كانوا هم الأمة . بعد أن كانوا هم القوة في الأرض . بعد أن كان لا يبرم أمر في الأرض إلاَّ برضاهم أو بمشورتهم . أو يغضبون فتهتز الأرض كلها .

كيف تغير الحال ؟ كيف صار المسلمون إلى الذل والهوان والتشريد الذى يعيشونه اليوم ؟ يُقَتَّلون في كل مكان في الأرض . يعذبون .. يشردون .. يطاردون .. تنتهك أموالهم وديارهم وأعراضهم .. بل تنتهك أموالهم وديارهم وأعراضهم .. بل تنتهك أرواحهم وقلوبهم .. وتُحشى بأفكار ليس بينها وبين الاسلام صلة . وبأمور مخالفة تمام المخالفة لدين الله . كيف حدث ذلك وقد وعد الله المؤمنين من هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين والتأمين . حيث قال سبحانه وتعالى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) (النور ٥٥) نعم ، هنالك في الآية وعد من الله سبحانه وتعالى بالاستخلاف والتمكين والتأمين ، ولكن الوعد مقرون بشرط (يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) . إن هذا هو الشرط الذي اشترطه الله على هذه الأمة ، والذى تكفل في مقابله أن يمنح هذه الأمة بركته ونصره وتأييده وعونه في الاستخلاف والتمكين والتأمين .

« يؤمنون » و « يمّكن دينهم في الأرض » و « يصبحون هم الخلفاء » أى هم القوة التي تسيّر أمر هذه الأرض .

كذلك قال الله في وصف هذه الأمة : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران ١١٠) .

وقال كذلك : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة ١٤٣) .

هذا الوصف الرباني ، هذا التقرير الرباني لهذه الأمة ، أنها خير أمة أخرجت للناس ، وأنها شاهدة على البشرية كلها ، وقائدة لها ورائدة ، كيف تحول إلى هذا الهوان الذي تعيشه الأمة الاسلامية ؟ هل يتخلف وعد الله ؟ حاشا لوعد الله أن يتخلف ، وهو الوعد الحق والله أصدق القائلين ، ماذا حدث إذن ؟ كيف نفسر القرون الثلاثة الأخيرة من حياة المسلمين ، التى انحدروا فيها تباعاً ، وظلت قوتهم تتضاءل بينما ظلت قوة أعدائهم تتصاعد ، حتى غلب عليهم أعداؤهم وغزوهم في عقر دارهم ، ومزّقوا العالم الاسلامي مزقاً ، ودخلوا لا الأرض والديار فقط ، بل القلوب والأرواح ، يغزوننا بما نصطلح على تسميته « الغزو الفكرى » .

كيف حدث ذلك ؟ كل شيء بقدر ، نعم ، ولكن قدر الله يجري من خلال أعمال الناس : -

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم ٤١) .

يظهر الفساد في البر والبحر بقدر من الله ، نعم ، لكن بما كسبت أيدي الناس ، فقدر الله مرتبط بأعمال الناس في الأرض : هل يستقيمون على النهج أم يحيدون عنه ؟ وبحسب سلوك الناس في الأرض يجري قدر الله .

حين وقعت هزيمة « أحـــد » قال الله سبحانه وتعالى للمؤمنين : (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىَّ هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ، وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) (آل عمران ١٦٦) .

هو قدر من عند الله . نعم . مقدر في كتابه من قبل أن يبرأ السموات والأرض . لكنه جرى بما كسبت أيدي المؤمنين يومئذ . (قل هو من عند أنفسكم) · بمخالفتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدهم ونبيهم ومعلمهم . فأصابهم ما أصابهم في ذلك اليوم بقدر من الله وبفعل من أنفسهم . كذلك ما أصابهم في ذلك أصاب المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة إنه جرى بقدر من الله . ولكنه جرى من خلال أعمال المسلمين . فماذا عمل المسلمون في تلك القرون بالذات مما أورثهم هذا الهزال . وهذا الهوان . وهذا الضعف وهذا الذل الذى عاشوا فيه في القرن الأخير بصفة خاصة ؟

بكلمة مختصرة : لقد حادوا عن طريق الله . فإن أردنا أن نفصل هذه الكلمة شيئا من التفصيل . فلنراجع مفاهيم الإسلام وقواعده وأركانه . كيف نزلت من عند الله سبحانه وتعالى ؟ كيف فهمها الصحب الكرام رضى الله عنهم ورضوا عنه ؟ كيف قامت بها تلك الأمة التي وصفها خالقها سبحانه . بأنها كانت (خير أمة أخرجت للناس) ·· ثم كيف تحولت هذه المفاهيم . هذه الأركان . هذه المعانى الاسلامية في نفوس المتأخرين من المسلمين . وأبدأ بالركن الأكبر والأعظم من أركان الاسلام · الركن الذي يدخل به الناس الاسلام · « لا إله إلا الله ·· محمد رسول الله » · ذلك ركن الاسلام الركين . ركنه الأول . قبل الصلاة والزكاة والصوم والحج . قبل كل شيء . هذا الركن الأساسي الذي ينبنى عليه الاسلام . انبنى في الماضى . وينبنى في الحاضر . وينبنى في المستقبل . وبغيره لا يتم بناء على الإطلاق . كيف كانت « لا إله إلا الله » في حسن هذا الجيل الأول الذى استحق وصف الله بكامله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ذلك الجيل الفريد الذى لم يتكرر في تاريخ البشرية . كيف نشأ ؟ بم تفرد هذا التفرد في التاريخ كله ؟ هل كانوا بشراً غير البشر ؟ كلا والله . لقد كانوا بشرا تجري بشريتهم في عروقهم . في سلوكهم وفي أعمالهم . هم في كل لحظة بشر . ولكنهم بشر عل الصعيد الأعلى · بشر في أعلى آفاق البشرية . فبم استطاعوا أن يصعدوا إلى ذلك الأفق السامق ؟ بأي شيء ارتفعوا حتى استحقوا أوصاف الله لهم ؟ ارتفعوا باستيعاب هذ الركن الأول بصفة خاصة . باستيعاب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » استيعابها إلى أعمق أعماقهم . والسلوك بها في واقع الحياة في كل لحظة من لحظاتهم ·

ليست « لا إله إلا الله » تلك الكلمة العابرة التى صارت إليها في حس المسلمين المتأخرين . كلمة يقولونها . يظنون أنهم بها حازوا الإسلام وهم بعيدون عن معناها . بعيدون عن مقتضاها . بعيدون عن منهجها الشامل التى يشمل الحياة كلها . يقولونها بألسنتهم . وقلوبهم وعقولهم غافلة عنها . وسلوكهم الواقعي مخالف لها أتم المخالفة · وأى مخالفة أكبر وأعظم من أن يحكم المسلمون بشريعة غير شريعة الله وهم ينطقون « لا إله إلا الله » ؟ ما

معنى « لا إله إلا الله » إذن إذا لم يكن أول مقتضاها أن يتحاكموا إلى شريعة الله ، ماذا بقى منها في واقع الحياة ، بقى الصوت والصدى ، وما كان المقصود بها أن تكون أصواتاً تخرج من أفواه الناس ، إنما كان المقصود بها أن تكون واقعا يعايش ، كان المقصود بها أن تلغي الجاهلية التى تعبد أرباباً متفرقة ، وتحدث بدلا من الجاهلية واقعاً جديدا فيه إله واحد يُعبد ، لا آلهة متعددة ، إله يعبد في المسجد ، وهو ذاته سبحانه يعبد في كل مكان ٠ أما أن يُعبد الله في المسجد ، ويعبد إله آخر في واقع الحياة ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد ﴾ (النحل /٥١) ٠

فأما الجيل الأول الذي كتب بدمه ٠٠ بمشاعره ٠٠ بفكره ٠٠ لكل لحظة من حياته أمجاد التاريخ الإسلامي ووضع البذرة التى نمت خلال القرون ، فقد كان يستوعب « لا إله إلا الله » ٠ كان يعرف مقتضياتها كلها ، كان يعيش كل لحظة من حياته بـ « لا إله إلا الله » ، فيتحاكم إلى شريعة الله ، ويتخذ منهج الله منهجاً له في الحياة ، يأتمر بما أمره الله ، وينتهى عما نهاه الله ، ولا نقول إنهم كانوا ملائكة ، كلا ، لقد كانوا بشراً ، وكان يجري عليهم ما يجري على البشر من خطأ وخطيئة ، ولكنهم : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ، ومن يغفر الذنوب إلاَّ الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ٠٠ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ (آل عمران /١٣٥ ـ ١٣٦) ٠

نعم : لقد كانوا يخطئون كما يخطىء البشر ، وتقع منهم الخطايا كما تقع من البشر ، ولكنهم سرعان ما يفيئون إلى الله ، يعرفون أنهم مخطئون ، فيقومون من وهدتهم ويتجهون إلى الله من جديد ، فيتقبل الله توبتهم ويعطيهم العزم والقوة على أن يسيروا في طريقه ٠

كان ذلك الجيل يعرف حق المعرفة ، ويقدر حق القدر ما « لا إله إلا الله » لم تكن في حسه كلمة عابرة ، ولا قضية خفيفة الوزن ، إنما كانت حياته كلها هى « لا إله إلا الله ٠٠ محمد رسول الله » ، وبذلك كان خير جيل عرفته البشرية وبذلك فعل تلك المعجزات العجيبة التى لا يصدقها البشر لولا أنها واقع حدث بالفعل ٠ كيف تأتَّى لهذه الحفنة القليلة من البشر أن تنشر دين الله بهذا اليسر ، بهذه السرعة ، بهذا التمكن في خلال نصف قرن كان الإسلام قد امتد من المحيط إلى ما وراء الهند ، حركة لا مثيل لها في التاريخ كله من قبل ولا من بعد ، هل تحدث جزافاً ؟ كلا ، إنما تحدث بمقوماتها ، وأول مقوماتها : « لا إله إلاَّ الله ، محمد رسول الله » ٠

حين يستوعبها القلب ، حين تتعمق في النفس ، حين تصبح هى منهج الحياة إنها تكتب الواقع على ذلك النحو الفريد الذى كتبه أولئك الصحب الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم .

ثم إن أجيالا مضت ومسلمون يستمسكون بأركان الاسلام ولكن يدهم تتخلخل من القبضة المتينة رويدا رويدا فيصيبهم من جراء هذا التخلخل ما ذكره الله لهم من سننه التى لا تتغير ولا تتبدل . يجيء الأعداء يهاجمون دار الإسلام ، جاء الصليبيون ، وجاء التتار ، وغزوا أرض الاسلام ، ما غزوها اعتباطا كل شيء بقدر ، وكل شيء يسير حسب السنن الربانية ، كان المسلمون قد غفلوا ، قد ركنوا إلى الأرض ، إلى الشهوات ، إلى متاع الدنيا القليل ، شغلتهم أموالهم وأنفسهم ، شغلهم متاع لا يساوي أن يشغلوا به عن الدار الآخرة وعن الجهاد في سبيل الله ، فجاء الغزاة ، إنه عقاب سريع من الله سبحانه وتعالى ، جاء الصليبيون وجاء التتار ، وأغاروا .. وعاثوا فساداً في الأرض الاسلامية .. ولكن الله الغالب على أمره (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف/٢١) ، إن الله الغالب على أمره كان قد قدر قدراً أن يستيقظ المسلمون مرة أخرى ، أن يعودوا الى الله بقيادة علمائهم وزعمائهم وقادتهم العسكريين .

أرسل الله من العلماء من يذكرّ هذه الأمة بقضية عقيدتها ، من ينقي لها تلك العقيدة مما شابها من أخلاط ليست منها ، وكان في مقدمة أولئك شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، وبعث الله قادة من قادة المسلمين يذكرونهم ، كما فعل « صلاح الدين » بأنهم غلبوا على أمرهم لأنهم نسوا الله ، وشردوا عن دينه الصحيح ، فيجب عليهم أن يعودوا إلى الدين ، يجب عليهم أن يعودوا إلى النهج الصحيح ، لينصرهم الله « واستجابت الأمة ، سواء وراء « صلاح الدين » في حربه للصليبين ، أو وراء « قطز » في حربه للتار ، وصيحة « قطز » الشهيرة .. « وا إسلاماه » حين دخل المعركة الفاصلة بينه وبين التتار ، بهذه الصيحة العظيمة « وا إسلاماه » وتغير مجرى التاريخ ، لقد كان التتار قد خرجوا من ديارهم في رحلة مخربة مدمرة لم يتوقفوا فيها أبدا خلال ألوف من الأميال حتى دخلوا عاصمة الخلافة « بغداد » وعاثوا فيها فساداً بأبشع ما يعيث جيش غازٍ ، جيش بربري ، جيش لا يعرف للرحمة سبيلا ولا معنى من معاني الإنسانية ، يُقتّل .. يُذبّح .. لقد ألقوا بكتب المكتبة الكبرى في بغداد ، ألقوا بها في النهر لتعبر عليها خيولهم ، وحولوا مجرى النهر دماً أحمر أربعين يوماً وليلة من المذابح التى أوقعوها بالمسلمين ، ووصل الذل بالمسلمين يومئذ إلى حد أن التتري في بغداد كان يمر بالمسلم ، والتتري ليس معه سلاح فيقول للمسلم : قف مكانك حتى أذهب إلى بيتي فآتي بالسيف فأقتلك ، فيقف المسلم مكانه حتى يأتي التتري بالسيف ويقتله .

وبعث الله لهذه الأمة قائدها الذي يقودها باسم الإسلام وتحت راية الإسلام ، في تلك المعركة الشهيرة الحاسمة التى دخلها قطز رافعاً هذه الصيحة رافعاً هذه الراية « وا إسلاماه » وتغير مجرى التاريخ ، ففي يوم واحد ، في معركة واحدة ، استغرقت من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر ، تغير ميزان القوى ، وارتد التتار في « عين جالوت » لأول مرة منذ أن خرجوا من ديارهم ، هزموا وتقهقروا ، وكان ذلك فتحا تاريخيا لأن التتار بعد ذلك بدأوا يدخلون في الإسلام ٠

ومضت جولة جديدة للمسلمين ، اعتز فيها الاسلام ولكنه اعتز على دَخلٍ فيه ، تلك هى الفترة التى قامت فيها الدولة العثمانية ، وليس هنا مجال التفصيل في أمر هذه الدولة التى كثر الكلام ضدها في كتب التاريخ التى بين أيدينا ، حتى قام قائل وهو مسلم أو يدعى أنه مسلم ٠٠ يقول : « الإستعمار التركى » وما ينبغى لمسلم أن يتفوه بمثل هذه اللفظة ، إن المسلم لا يكون مستعمرا في أرض الإسلام ، قد يكون ظالماً ٠٠ نعم ، قد يكون فاسقاً ٠٠ نعم ، قد يحدث منه ما يحدث مخالفة ومعصيةً ، أما أن يكون مستعمرا وهو يحكّم شريعة الله ، إنها كلمة دخيلة ، أدخلها أعداؤنا إلى قلوبنا وأفواهنا لنكره الحكم الإسلامى ٠

ينبغى أن نحترس ونحن نتحدث عن هذه الدولة ، لقد كانت فيها مظالم كثيرة ٠٠ نعم ، ولقد كان فيها انحرافات كثيرة من دين الله ٠٠ نعم ، ولكن يكفى هذه الدولة عند الله أنها حمت العالم الاسلامى أربعة قرون متوالية من الغزو الصليبي والصهيوني ، ويكفي هذه الدولة عند الله أن السلطان « عبد الحميد » أبى أن يقيم الوطن اليهودى في الأرض الإسلامية ، ودفع حياته أو ملكه ثمنا لذلك ، وله عند الله العاقبة ٠

ولكن علينا أن نقف وقفة عند هذه الأحداث : (عبد الحميد واليهود) ، لأن حاضرنا الذى نعيشه مرتبط أشد الإرتباط بهذه الأحداث ، لقد ذهب اليهود بقيادة قائد الصهيونية أو مبتدعها « هرتزل » ذهبوا إلى السلطان عبد الحميد يعرضون عليه عروضا مغرية لو أنه كان يريد الحياة الدنيا ، وكان يريد لنفسه المجد والسلطان ، فلم يكن ليطلب لنفسه أكثر مما عرضه عليه « هرتزل » له ولدولته ، كانت « تركيا » في ذلك الوقت أو « الدولة العثمانية » تدعى « بالرجل المريض » لكثرة المشكلات التي كانت تحيط بها ، وتوقعاً لسقوطها ميتة بعد طول المرض ، كانت في أزمة اقتصادية حادة ، وكانت فيها مشاكل سياسية كثيرة ، وكانت الدول الصليبية لاتكف عن استثارة الأقليات ، المسيحية واليهودية لتشغل بال السلطان لكى لا يهدأ ولا يستقر ، كانت روسيا تستثير المسيحيين الأرثوذكس لأنها هى أرثوذكسية المذهب ، وكانت بريطانيا تتكفل بإثارة الأقليات الكاثوليكية والبروستانتية مع أنها هى بروستانتية » ، وكانت تلك الأقليات ، ومن أبرزها الأقلية الأرمنية لاتكف عن إثارة المشاكل

للدولة العثمانية . كل يوم مشكلة في ركن من أركان الدولة . ويضطر « السلطان » أن يضرب بيد من حديد على مثيري الفتن . فيقول الأعداء : انظروا . هذا هو الجلاد . هذا هو الدكتاتور . هذا هو البربري الذي لا يعرف الرحمة يقتلّ رعاياه . يستثيرونهم ليثوروا ضد الدولة . ضد الإسلام . يريدون أن يقوضوا الإسلام . فإذا فتك بهم . وما كان أمامه إلا أن يفتك بهم . يقولون : « انظروا إلى السفاح » .

وذهب « هرتزل » الى « عبد الحميد » يعرض عليه قروضاً طويلة الأجل ويعرض عليه تنشيط الحياة الاقتصادية في الدولة العثمانية . ويعرض عليه التدخل لدى الدولتين المناوئتين « روسيا » و « بريطانيا » لكي تكفا عن إثارة الأقليات . ماذا يطمع حاكم في أكثر من ذلك : يستقر حكمه . يغنى شعبه . يأمن من الفتن والاضطرابات . ماذا يريد أكثر من ذلك . وكان لهم في مقابل ذلك كله طلب صغير . هو إعطاء اليهود قطعة من الأرض في فلسطين ليقيموا عليها وطنا قوميا لهم . ورفض السلطان المسلم بما أوحى إليه إسلامه . وقال « لهرتزل » : إن هذه ليست بلادي ولكنها بلاد المسلمين وقد روتها دماؤهم . ولا أملك أن أتنازل عن شبر واحد منها .

وكان أن عُزل .. وكانت نهايته . كما تعلمون منفيا في الأرض . ولكن له الأجر عند الله . لأنه وقف تلك الوقفة البصيرة .. المستبصرة بنور الله . التي عرف فيها أن هؤلاء الخادعين يريدون هذه القطعة القليلة من الأرض لتكون غدا دولة ولتتوسع هذه الدولة ولتنخر في عظام العالم الإسلامى . وهذا الذي كان .

نريد أن نتتبع بشيء قليل من التفصيل تلك السنوات التي مرت ما بين هذا العرض الإجرامي الذي رفضه « عبد الحميد » . وبين قيام الدولة اليهودية لقد ائتمر المؤتمرون أو المتآمرون .. هرتزل ورفقاؤه . في مؤتمر أقيم في سويسرا عام ١٨٩٧ للميلاد .. وقرروا في ذلك المؤتمر ضرورة إقامة الدولة في خلال خمسين عاماً . وإذا حسبتم التاريخ تجدوا الدولة قد قامت بالفعل في خلال خمسين عاما ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ .. خمسون عاما بالضبط . فماذا فعل اليهود وأنصارهم وحلفاؤهم من الصليبيين لكى يقيموا تلك الدولة .

لقد بدأوا بإزالة الخلافة الإسلامية .. لأن الخلافة كانت هى السد المنيع الذى يقف أمام أطماعهم . حتى « الرجل المريض » كانت أوربا تخشاه !! . ولست أنا الذى أقول ذلك . اقرءوا ذلك إن شئتم في كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » بألسنتهم هم . يقول واحد من المبشرين : « إن أوربا كانت تخشى الرجل المريض وهو مريض .. لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين مستعدون للجهاد بإشارة من يده » . لذلك كانوا يخشونه وهو مريض . ولذلك كانوا يعملون بغية الإجهاز عليه . وبالفعل جاءوا بدعيِّهم « مصطفى » وما هو بمصطفى .

وما هو بمسلم ، ولكنه تمسْلَم · « مصطفى كمال أتاتورك » وهو من أصل يهودى ، من يهود « الدونمة » الذين هاجروا من المغرب إلى البلقان بأمر من قيادتهم السرية ، وتمسلموا « أدعوا الإسلام » قبل تلك الأحداث كلها بمائة وخمسين عاماً ، واستوطنوا بالقرب من دار الخلافة ليقيموا بدورهم حين يجيء الوقت المحدد لهذا الدور ، وجاء « كمال أتاتورك » المتسمي بمصطفى ليزيل الخلافة الإسلامية وليمهد لإقامة الدولة اليهودية في حين غفلة من المسلمين ، فما كان أحد في ذلك التاريخ يوم أزيلت الخلافة الإسلامية يتصور على الإطلاق أن الأحداث ستجري في طريق إقامة الدولة اليهودية في الأرض الإسلامية إنما كان الأشقياء ، كان الشريرون يعبثون ، يعيثون في الأرض فساداً وأول فسادهم إزالة الخلافة الإسلامية ، وتمزيق العالم الاسلامي ، أولا إلى كتلتين كبيرتين : الكتلة العربية ، والكتلة التركية ، وإثارة البغضاء والحقد والحسد بين الكتلتين ، يدعون الترك الى تتريك الدولة ، أي الى اضطهاد العرب ، ثم يذهبون إلى العرب فيلعبون بقلوبهم ، ويلعبون بعقولهم ، يجيء « لورانس » ويدعى أنه صديق العرب ، وأنه ينصحهم نصيحة خالصة ، وما كانت نصيحته إلاَّ إثارتهم ضد الدولة التركية ، فيتمزق العالم الإسلامي تمهيداً لتمزيق أكثر ، لتفتيته إلى دويلات لا تستطيع أن تحمي نفسها ، ولا تستطيع أن تدفع عن الإسلام شيئا ·

ومُزِّق العالم الإسلامى مزقا متنافرة متناحرة متنافسة متباغضة على غير ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ·

وتكون جيش من المسلمين العرب يقاتل الدولة الإسلامية تحت راية « أللنبي » البريطاني وحين يدخل « اللنبي » بيت المقدس عام ١٩١٧ م يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية ··· وما انتهت في الواقع ، ولكنها كلمة تعبر عن الحقد الصليبي الذي يمتلىء به قلب ذلك الرجل ، ولكن من أتباعه ؟ من المقاتلون معه ؟ مسلمون ، عرب ، يقاتلون مسلمين ·

ويقول لورد « أللنبي » في مذكراته : إنه لولا المعونة الضخمة التي قدمها الجيش العربي ما استطعنا أن نتغلب على الدولة العثمانية ·

يمزق العالم الإسلامى مزقا ، والعالم العربي بصفة خاصة ، لتزرع فيه تلك الدولة الدخيلة وما كان في الإمكان أن تزرع وهناك إسلام في الأرض يحكمها ، ما كان في الإمكان لشذاذ الآفاق أن يحتلوا الأرض المقدسة لو أن الناس كانوا يعون « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وإن هذه الكلمة كانت تقتضيهم ألاَّ يقبلوا أن تدنس أقدام الكفار شبرا واحدا من الأرض الاسلامية ، ولكن الأرض الإسلامية من المحيط إلى المحيط فيما عدا رقعاً قليلة منها أجزاء من الجزيرة العربية ، وجسم الدولة التركية ـ أرض تركيا ـ ما عدا ذلك كله دخل في نطاق

الاستعمار الصليبي . الذى تدخل الصهيونية تحت جناح الصليبية فيه لتعيث فساداً في الأرض ولتمكن وتهيىء لقيام الدولة اليهودية ·

وبعد خمسين عاماً من هذا التشتيت . من هذا التمزيق . في موعدها الذى قدره الله . والذى قال به « هرتزل » ·· وما كان ينطق بالغيب . ولكنه يخطط والمسلمون غافلون . يدبر . والمسلمون مشغولون بخلافاتهم بعضهم مع بعض . بأحقادهم بعضهم على بعض . بتنافسهم على لعاعات من الحياة الدنيا . ينسون بها الله وينسون بها الآخرة . ينسون بها مقتضيات لا إله إلاَّ الله » وإن كانوا يقولونها بألسنتهم صباح مساء ·

ومنذ قامت تلك الدولة ماذا حدث في العالم العربي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة ؟

لقد كان اليهود وحلفاؤهم الصليبيون قد دبروا وخططوا تخطيطا دقيقا ألا تقوم قوة على الاطلاق تواجه تلك الدولة . فأزالوا القوة السياسية والقوة العسكرية . والقوة الاقتصادية . والقوة الروحية للمنطقة كلها . فأما القوة السياسية فماذا تملك تلك الدويلات التى تحتضنها بريطانيا وفرنسا ؟ · ماذا تملك أن تصد عن نفسها وأن تمنع عدوان العادين ؟ وأما القوة العسكرية . فقد فتتت جيوش العرب . ووضعت تحت وصاية حليفتي اليهود بريطانيا وفرنسا . فصارت أسلحة العرب من بريطانيا وفرنسا . وذخيرة السلاح من بريطانيا وفرنسا . فإذا كفت هاتان الدولتان أيديهما من الذخيرة فقط تتوقف الجيوش العربية كلها في ساعة . أما الاقتصاد فقد سيَّره الصليبيون والصهيونيون في خطة معينة : إضعاف العالم العربى . واستنزاف ثرواته . وتركه مريضا فقيرا جاهلا لا يملك أمر نفسه ·

أما قوة الشباب . وهى قوة هائلة تُخشى . فقد سلطوا عليه السينما والإذاعة ولم يكن التلفزيون قد اخترع بعد . وسلطوا عليه المراقص . والحانات والشواطئ العارية . سلطوا عليه الصحافة ·· العارية بصورها العارية بأخبارها . العارية بقصصها ·· العارية بأفكارها ·· التي تبعد الشباب عن الله . تبعده عن الدين . تبعده عن الجدية في أي أمر من الأمور ·

وحسب المخططون أنهم قد خططوا تخطيطاً كما يقول المثل العامي « لا يخر الماء منه »«محكم » . وهو في الحقيقة محكم . ولكنهم نسوا أن هناك مسلمين ما يزالون يقولون « لا إله إلا الله » لا بأفواهم فقط ·· إنما يقولونها بقلوبهم . بأرواحهم . بمنهج حياتهم . يقولونها يقصدونها حقا . ويعيشون في ظلها . ويعيشون على نحوٍ مما عاش المسلمون الأوائل الذين قال فيهم أبو بكر رضى الله عنه « إنهم قوم أحرص على الموت من حرص أعدائهم على الحياة » ·

في عام ١٩٤٨ م حين أعلنت الدولة . وقامت مسرحية الحرب بين الدول العربية والكيان اليهودي . وتراجعت في نهايته الجيوش العربية إلى خط الهدنة المقرر من قبل . المصطلح عليه من قبل . الذى يعرف القادة المحاربون في المسرحية أنهم سيعودون إليه بعد المسرحية !! حين قامت تلك المسرحية كان « فتيةٌ » من المؤمنين بالله . من الذين يريدون أن يصلوا إلى الله شهداء . أو منتصرين : (قل هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين) (التوبة /٥٢) . الشهادة أو النصر .. كان « فتية » يملأ قلوبهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يقاتلون في أرض فلسطين . وما كانوا يزيدون في أية معركة عن مائة . ولكنهم كانوا يقاتلون بقوة الإسلام . بقوة الإيمان . القوة التي لا تغلب . فما إن عركهم اليهود وعركوهم في معركة أو معركتين . حتى صاروا إذا سمعوا صيحة « الله أكبر ولله الحمد » يفرون من مستعمراتهم . تاركين أسلحتهم وذخائرهم لينجوا بجلودهم . عند ذلك تقرر أنه لا يمكن للدولة الوليدة أن تعيش إلا إذا قضى على هؤلاء « الفتية » المقاتلين .

وكان تخطيط عالمي اشتركت فيه كل قوى الشر العالمية للقضاء على هذه « الحفنة » من المؤمنين لكى تستقر الدولة في مأمنها . لكى لا يزعجها « لاإله إلا الله محمد رسول الله » .

وقوتلت تلك « الفئة » من الشباب . وحوربت . واضطهدت . وعذبت .. عُذبت عذابا لا مثيل له في التاريخ إلا محاكم التفتيش في الأندلس . وما كان يقصد بمحاكم التفتيش في الأندلس إلا القضاء على الاسلام والمسلمين في تلك البلاد . لم تكن مجرد حرب . لم يكن مجرد اضطهاد . إنما هو تعذيب منظم للإبادة . ولكن قدر الله شيء . وما يقدره البشر شيء آخر . قدر البشر أن تفنى هذه الحفنة من « الفتية » المؤمنين . أن ينتهى الإسلام من الأرض لتستقر تلك الدولة . ولتستقر قلوب الصليبية الحاقدة . لتسقط الثمرة التى طالما اشتهوها . وظنوا أنها طابت واستوت . وأنها واقعة في أيديهم لا محالة . قدَّروا ذلك . وقدَّر الله أن يقوم بعث إسلامي في كل بلاد العالم الإسلامي . قدَّر الله أن ينشأ جيل جديد من الشباب يقول « لا إله إلا الله » لا يقولها بلسانه فقط . إنما يقولها بلسانه وقلبه . يعيشها .. يريد الإسلام واقعاً يُعايش . لا يريده كلمات جوفاء . لا يريده شعارات . لا يريده أفكاراً موضوعة في كتب .. سواء كانت تلك الكتب صحيحة التصوير للإسلام أم فاسدة التصوير .. إنها في حالتيها لا تصلح . الكتب وحدها لا تصلح الشعارات وحدها لا تصلح الأفكار الجامدة الميتة لا تصلح . إنما يصلح « لا إله إلا الله محمد رسول الله » عقيدة حية تملأ القلب . تشكل السلوك . تغير الواقع .

ومشيئة الله الغالبة . الله الذي أنزل هذا الدين ليبقى إلى يوم القيامة وليظهره على الدين كله . وحفظ كتابه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر /٩) . وحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . حيث لم تحفظ سيرة ولا سنة لنبي من قبل إلا ما حفظه القرآن من سير الأنبياء السابقين . هذا الدين الذي أنزله الله ليبقى لن يمحى من الأرض بإذن الله . فيقيّض الله له بقدر منه جنوداً يحمونه . ولا بد من هؤلاء الجنود . يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (الأنفال / ٦٢) .

ولقد كان يكفى لعقولنا نحن أن يقول الله سبحانه وتعالى « هو الذى أيدك بنصره » فماذا بعد نصر الله ؟!! ولكن الله يلفتنا إلى سنة من سننه : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) . لا بد أن يكون هناك مؤمنون في الأرض يكونون جنودا . يكونون ستاراً لقدر الله . يُجري الله قدره . ولكن من خلال هذا الستار البشري جنود مؤمنون . يعيشون « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يعيشونها واقعاً حيا . يسلكون بها سلوكهم الواقعى . فينصر الله بهم هذا الدين .

إن الواقع الذى عشناه في نهاية القرن الرابع عشر . ودخلنا به مستهل القرن الخامس عشر هو هذا الواقع الذى وصفته لكم .

الصليبية والصهيونية جاثمتان على أرض الاسلام . تمتهنان كل كرامة في الأرض الإسلامية . يسلبون المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم . ينتهكون أعراضهم . ينتهكون قلوبهم وأرواحهم بالغزو الفكرى . يضعون في تلك القلوب أفكاراً غير إسلامية وسلوكا غير إسلامى . واتجاهات غير إسلامية . وفي ذات الوقت بعث إسلامي جديد يملأ قلوب حفنة من الشباب . قليلون هم : نعم بالنسبة لتعداد المسلمين . ولكنهم هم الأمل . هم البشير الذى نستبشر به بالنسبة للقرن الخامس عشر وما يتلوه إن شاء الله من القرون .

قلت في مستهل كلامي : إن الاستبشار . إن الأماني الخاوية لاتغير شيئا . ولا يغير الله بها شيئا في الواقع . إنما يغير الله حين يغير الناس ما بأنفسهم : ـ (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد /١١) .

فهل حدث التغيير ؟ نعم لقد بدأ يحدث . بدأ منذ نهاية القرن الرابع عشر وندخل القرن الخامس عشر وهذا التغيير قائم في قلوب تلك الفئة من الشباب . إن تكن قليلة اليوم بالنسبة لتعداد العالم الإسلامى : الألف مليون .. الذين تحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في لمحة من لمحات الوحي فقال :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أمن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل انتم يومئذ كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور

عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (١) .

هذه الألف مليون من البشر التى تعمر الأرض الإسلامية غثاء كغثاء السيل ، لا يقام له وزن ، تقضى الأمور وهو غائب . كما كان الشاعر العربي القديم يقول عن قبيلة « تيم » : :

ويقضي الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنـــون وهم شهـــــود

كذلك الحال مع هذا الغثاء الذي يملأ الأرض الإسلامية . ولكن يشاء الله أنه من وسط هذا الغثاء يبرز هذا الجيل الذى نستبشر به ونرجو من الله على يديه الخير ، جيلٌ يرجع إلى أصول الإسلام الصحيحة من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وسيرة السلف الصالح ، يريد الإسلام واقعاً حقيقياً خالياً من الغبش ، لا يريده شعارات . لا يريده ألفاظاً ، لا يريده أفكاراً جامدة ، إنما يريده واقعا حيا مأخوذا من المنبع الصافي : من كتاب الله وسنة رسوله ، ومقتدى فيه بالسلف الصالح الذى كان يعيش الإسلام حقا ، ويدرك معانيه حقا ، ويطبقه في واقع حياته حقاً . هذا هو البشير الذى نستبشر به بالنسبة للقرن الخامس عشر . وما نقول أبدا إن الظلمات قد انتهت وإن المشكلات قد ذهبت ، ولا إن الأعداء قد تركوا عداءهم لهذا الدين . كيف والله تعالى هو الذى يقول : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة /٢١٧) .

إن أعداء الله الذين ذكرهم الله في كتابه المنزل ، إنهم فئات أربع : اليهود ، والنصارى ، والمنافقون ، والمشركون . هؤلاء هم أعداء « لا إله إلا الله » وهؤلاء هم الذين لم يكفوا أبداً عن عدائهم للإسلام ، قال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة /١٢٠) . وقال عن المشركين عامة : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن إستطاعوا) (البقرة /٢١٧) ومصداق ذلك هو الواقع الذى نعيشه ، بل مصادقة الأربع عشر قرنا التى عاشها الإسلام في الأرض ، ولكن هذا القرن بصفة خاصة ـ أقصد القرن الرابع عشر ـ كان مصداقا لتلك العداوات : اليهود والنصارى في كل بلاد الأرض ، المنافقون ، المشركون وهم اليوم فئات كثيرة أبرزهم الشيوعيون والملحدون الذين يعادون هذا الدين عداوة لا هوادة فيها .. والذين يتحالفون مع المعسكر الغربى حين يبرز الإسلام وينسون عداوتهم معه فهم في حرب دائمة مع أوربا وأمريكا إلا حين تكون القضية قضية الإسلام فيتحالف الأمريكان والروس كما تحالفوا في تقسيم « باكستان » إلى شرقية وغربية ، وكما تحالفوا في أفغانستان . إن المؤامرة التى تمت في أفغانستان ونفذها الشيوعيون كانت برضاً من المعسكر

---

(١) الحديث عن ثوبان رضى الله عنه . أخرجه أبو داود في الملاحم . ورواه أحمد في مسنده بسند قوي .

الغربى ، وإن كان المعسكر الغربى يتصايح بين الحين والحين .. إنه صياحُ يشجع القاتل على ذبح الفريسة ..

انك إذا وجدت رجلا يمسك بالسكين ليقتل إنساناً ثم وقفت من بعيد تصيح به « عيب يا شيخ ماذا تصنع ؟! » فأنت في الواقع تشجعه على أن يتم جريمته .. وهذا هو الذى حدث من أمريكا بالنسبة للشيوعيين .. هم الذين هيأوا لروسيا أن تغزو أفغانستان . نعم إن الشيوعية لها حقدها الخاص وهو أشد الحقد .. ولكنهم يتآزرون جميعا على حرب الإسلام .

ما من قضية يبرز فيها الاسلام إلاَّ وتتكالب كل دول العالم : اليهود والنصارى ، والمنافقون والمشركون .. كلهم في كل أرجاء الأرض يتكالبون للقضاء على الاسلام والمسلمين . وإن إستبشارى الذى أعبر عنه إننى لا أغفل عن الواقع الموجود . لا أغفل عن الظلام الذى يكتنف المسلمين .. لا أغفل عن المذابح التى تقع في كل أرض الاسلام للمسلمين .. لا أغفل عن مذابح سوريا أو مذابح افغانستان .. أو مذابح الفلبين .. أو مذابح تشاد .. أو مذابح أوغندا .. وكل بلد من بلاد المسلمين تقع فيه المذابح .. إلاَّ من رَحم ربك .

لا أغفل عن ذلك الواقع . ولا أغمض عينى عن الظلام الكائن اليوم .. ولكنى فقط أقول .. إن هناك فارقاً بين بداية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر .

لقد استعرضنا معاً أهم الأحداث أو أكبر الأحداث في القرن الرابع عشر .. فكيف كان حال المسلمين حين وقعت تلك الأحداث ؟ كانوا في يأس حين زالت دولة الخلافة .. يئسوا .. قنطوا .. شردوا من الاسلام .. انسلخوا منه .. ذهبوا وراء أوربا شرقها وغربها .. ظنوا أن طريق الخلاص هو أن يتبعوا أعداءهم ... حتى إن دخلوا جحر ضَبٍ دخلوه .

نبذت أوربا دينها فانسلخ المسلمون من دينهم .. عرَّت أوربا نساءها فعرى المسلمون نساءهم وأخرجوهن في الشوارع والشواطئ عاريات .. قالت أوربا إن التقدم يقتضى القضاء على الدين لأنه خرافة .. فقال مسلمون أو من يحملون أسماءً مسلمة .. إنه لا بد لنا لكى نتقدم أن نقضى على الغيبيات .. أن نقضى على الخرافات لكى نتقدم !!! . قالت أوربا إن التقدم هو المصانع .. وهذا التقدم المادى .. وهو التكنولوجيا .. بعيدا عن عالم الروح .. بعيدا عن الدين .. بعيدا عن الله .. بعيدا عن اليوم الآخر .. فقام مسلمون أو من يتسمون بأسماء المسلمين يقولون هلم ننشىء المصانع .. هلم نتعلم التكنولوجيا ولكن على أساس قتل الدين وإزالة الغيبيات من النفوس .

وذلك كان القرن الماضى .. واليوم تقع الأحداث في العالم الاسلامى وستستمر لأن العداوات المتأصلة مازالت متأصلة . ولأن القوة الاسلامية لم تنمْ بعد إلى الحد الذى تصد فيه

العدوان الصليبى والصهيونى والشيوعى والالحادى .. ولكن الفارق هو أن موجة الانسلاخ من الاسلام كانت هى عنوان القرن الرابع عشر ، وموجة العودة إلى الاسلام هى عنوان هذا القرن والقرون التالية باذن الله .

إنى استبشر بمستقبل الإسلام لأمرين كبيرين .. الأمر الأول هو الذى شرحته : قيام حركات البعث الاسلامى في كل مكان في الأرض الاسلامية .. العودة إلى الإسلام ، الرغبة في تطبيق الاسلام بصفاته ، بنقائه ، بحيويته ، بحركيته بواقعيته . والأمر الثانى الذى يبعث الاستبشار في نفسي - لامجرد أمانى ولكن قراءة للواقع ، وقراءة له على ضوء السنن الربانية .. هذا الأمر هو أن الحضارة الأوربية آخذة في الانهيار . ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال : ما علاقة هذه البشرى أو هذا الاستبشار بانهيار الحضارة الغربية ؟ .. نعم : لقد كان أشد ما فتن المسلمين عن دينهم في القرن الماضى بصفة خاصة هو هذه الحضارة الغربية .. ذلك لأن قوماً من المسلمين أو ممن يحملون أسماءً مسلمة قالوا لأنفسهم : هذه أوربا بلا دين وهى قوية ممكنة في الأرض ، ونحن مسلمون ومع ذلك فنحن جهلاء ، ونحن ضعاف ونحن متخلفون ، فما قيمة الدين إذن ؟! فلننبذه ولنصنع كما صنعت أوربا . تلك المعادلة الخاطئة غير المستبصرة كانت سببا في فتنة الشباب المسلم في القرن الماضى .

لقد شهدوا جزءاً من سنة الله ولم يدركوا بقية السنة ولم يدركوا الحكمة لقد وجدو أوربا الكافرة ممكنة في الأرض .. نعم .. ولكن ذلك لا يخالف سنن الله ، وحاشا لشىء يقع في الأرض أو في الكون كله أن يكون مخالفا لسنن الله .. لقد نسى أولئك الذين فتنوا بأوربا .. بل لم يتدبروا أصلاً قرآنهم الذى بين أيديهم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد /٢٤) .

يقول الله موضحا ومبينا ما يقع في أوربا اليوم وما وقع في أمم سلفت من الجاهليات القديمة .. يقول سبحانه وتعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) (الأنعام /٤٤) . نعم : هذه هى السنة الربانية ، نسيت أوربا ما ذكرت به ، نسيت إلهها نسيت الآخرة ، وانحصرت في الحياة الدنيا ، وعلى مستوىً من أحط المستويات من الحرص على الحياة الدنيا ومتاعها الرخيص . فماذا فعل الله بهم ؟ .. فتح عليهم أبواب كل شيء .. أبواب القوة السياسية .. أبواب العلم .. أبواب التكنولوجيا أبواب القوة الحربية .. أبواب القوة الاقتصادية .. كل أبواب القوة .. انظر إلى العبارة « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » .

نعم . هذا جزء من السنة الربانية .. ولكن المتدبر لكتاب الله يعرف النهاية المحتومة لهؤلاء القوم ، (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا .. أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) (الأنعام /٤٤) .

ولقد بدأت السنة تتحقق ، بدأ هذا الكيان الشامخ المخيف يتزلزل · القوة المادية ما تزال في أيديهم ·· نعم ·· ولكن كتابهم ومفكريهم وفلاسفتهم هم الذين يقولون إن هذه الحضارة آيلة إلى السقوط ·· آخذة في الانحدار لخلوها مما يسمونه هم « القيم الروحية » . ومما يسميه الله سبحانه وتعالى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ·

هذا البناء الشامخ المخيف الذى أزاغ قلوب المسلمين في القرن الماضى يبدأ اليوم يتزلزل · ولو قلت للناس قبل عشرات السنوات إن الحضارة الأوربية آخذة في الانهيار ما صدقوك · لكنهم اليوم والحمد لله يصدقون لأن أوربا تقول هذا من نفسها ·· تقول : انه مالم يتغير واقع الحياة الأوربية ·· مالم يعودوا إلى القيم الروحية ·· فانهم صائرون إلى الإنهيار ·

ماذا يهمنا نحن من انهيار أوربا ؟ أنشمت فيهم ؟ كلا : لا شماتة · ليست القضية قضية شماتة ·· إنما هى إرادة الخير للبشرية كلها ·· وأوربا من بينها ·· إن أوربا حين مُكنت فُتنت ·· وزادت جحوداً ، وزادت بعداً عن الله ·· ولن تعود إلى الله أبداً إلا بقارعة ·· لن تعود حتى يهتز كيانها اهتزازاً لن تعود حتى نحس أن بنيانها يتقوض ·· عندئذ إذا قدر الله لها ·· تعود إلى الله ·· فيغير الله لها حين تغير ما بأنفسها ·

ولقد بدأوا يحسون · فبدأ أفراد منهم يدخلون في دين الله ، ولكنا نطمع غداً ـ لا أن يدخلوا في دين الله أفراداً ـ إنما يدخلوا في دين الله أفواجاً ·

أرأيتم ما الذى يمنعهم اليوم من الإسلام ؟؟ · إنهم حائرون إن القلق والحيرة والضياع تملأ عليهم حياتهم ، فتضيق بهم الأرض ·· وتضيق قلوبهم بهم فينتحرون ، ويصيبهم الجنون والقلق والأمراض العصبية والأمراض النفسية · ويفرون يريدون العلاج ·· يبحثون عن الطريق ·· يدخل بعضهم في « البوذية » يظنون أنها هى الطريق · يدخل بعضهم في « الهندوكية » يظنون أنها هى الطريق · بعضهم يدخل في عبادة « كريشنا » وهى إحدى العبادات الجاهلية القديمة التى تعاد إلى الحياة اليوم في أوربا وأمريكا ·· ويدخل فريق منهم في الإسلام · لماذا لا يدخلون كلهم في الاسلام ؟! أولئك الباحثون عن الطريق · وهل الطريق إلاَّ الإسلام ؟! ·

تعلمون ما الذى يصدهم ؟ إنما يصدهم واقع المسلمين ·· يسمعون كلاماً طيباً عن الاسلام : في الدعوة ، في الكتب في المحاضرات ،، في البحوث التى تلقى عليهم ·· ثم يقولون للدعاة : إذا كان الإسلام بهذا الشكل فلماذا كانت حياتكم أنتم نقيضا لما تقولون ؟ ·

من أجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى وهو يعلم المؤمنين : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون · كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (الصف /٢ـ٣) ·

ولكن الجيل الجديد النابت في رحاب الإسلام .. الذى نستبشر به للغد في العالم الإسلامى .. نستبشر به أيضا لمستقبل البشرية . أن الحائرين الضالين الذين يلذعهم الضياع فيبحثون عن الطريق سيجدون الطريق غدا .. حين يجدونه في واقع سلوكى مطبق .. حين يجدون مجتمعا إسلاميا .. يعيش الإسلام حقا .. يعيش « لا إله إلا الله محمد رسول الله » مع بقية أركان الاسلام .. عندئذ فإن الجادين في البحث عن الطريق سيجدون الطريق أمامهم . وسيدخلون في دين الله أفواجاً . متى يحدث ذلك ؟؟ .. ذلك غيب .. ولكنا نرى بشائره منذ اليوم ..

ثم نستبشر ونختم حديثنا اليوم بهذه البشرى التى جاءت عل لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يتحدث بلسان الوحى :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الفرقد فانه من شجر اليهود (م - عن أبي هريرة) .

وفي إحدى روايات الحديث .. رواية عجيبة ، بالنسبة لنا .. ولا عجب في الوحى .. في إحدى روايات الحديث « أنتم شرقى الأردن وهم غربيه » .. فيتحدد مكان المعركة بالضبط .. المعركة التى نتهيأ بوادرها اليوم .. وقال واحد من الصحابة « ما كنا ندرى ما الأردن حتى سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الحديث » .

إنها لبشريات .. وما أقول أبداً إن الواقع الحالى مشرق مريح للأعصاب .. بل أقول : إنه يكتنفه الظلام .. تكتنفه العقبات .. تكتنفه المشقات .. تكتنفه المشانق المعلقة للمؤمنين في كل مكان في الأرض .. نعم ولكن البشرى غالبة بإذن الله .. إنى أمد بصرى إلى القرن القادم وقرون تالية بإذن الله .. فأرى أن هذا البشير الذى ولد في نهايةالقرن الماضى سيكبر بإذن الله .. يترعرع كما وصف الله المؤمنين .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراه ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) (الفتح /٢٩) .

يترعرع هذا الجيل بإذن الله .. ويمتد هذا الخط على الأفق .. فيلتقى بخط انهيار الحضارة المادية الكافرة فيكون النصر المؤزر بإذن الله .. وتكون جولة جديدة للاسلام .. يدخل فيها الناس في دين الله أفواجاً وتقوم المعركة الكبرى بين الإسلام وبين أكبر أعدائه .. بين المسلمين وبين اليهود .. فينتصر المسلمون بعون الله .. وتكتب صفحة جديده للإسلام .

ذلك ما خطر في نفسى من خواطر في مستهل القرن الخامس عشر أحببت أن أشرككم فيها .. أحببت أن تشاركونى استبشارى بهذا القرن .. لا على أنها مجرد أمانى .. ولكن على رصيد من الواقع بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اليورانيوم في الوطن الاسلامي

طالب الدكتور عدنان مصطفى الأمين العام المساعد لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (الاوبك) ببدء التحرك العربي لحيازة التقنية النووية تمهيداً لاستغلالها في تلبية الطلب المستقبلي على الطاقة في الوطن العربي .

وقال في ورقة العمل التي تقدم بها الى المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية أن أي قرار يتخذ بشأن استغلال الطاقة النووية لابد له أن يستند الى المعرفة التامة بمقدار وفرة مصادر الوقود النووية المقرر تشغيلها لتوليد الطاقة المطلوبة . وحث الدكتور مصطفى المنظمة العربية للثروة المعدنية ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط على التعاون لتحقيق رؤية عامة لمصادر اليورانيوم العربية .

وأشار الى وجود جهود جادة ومنهجية لاستكشاف وتقييم وجود اليورانيوم في مناطق محدودة في الجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال ومصر وفي العام الماضي تم توقيع عقود عديدة لاستكشاف الاورانيوم في السعودية والسودان والاردن .

وتذكر ورقة العمل أن مجمل الاحتياطي العربي المؤكد لاوكسيد اليورانيوم يقدر بحوالي ستين ألف طن إلا أن استخلاص اليورانيوم من الفوسفات الذي دخل في حيز الاستغلال الاقتصادي يرفع الكميات الممكن استخلاصها كنتاج ثانوي من الفوسفات الرسوبي العربي الى ٣ر٦ ملايين طن .

الرائد الهندية

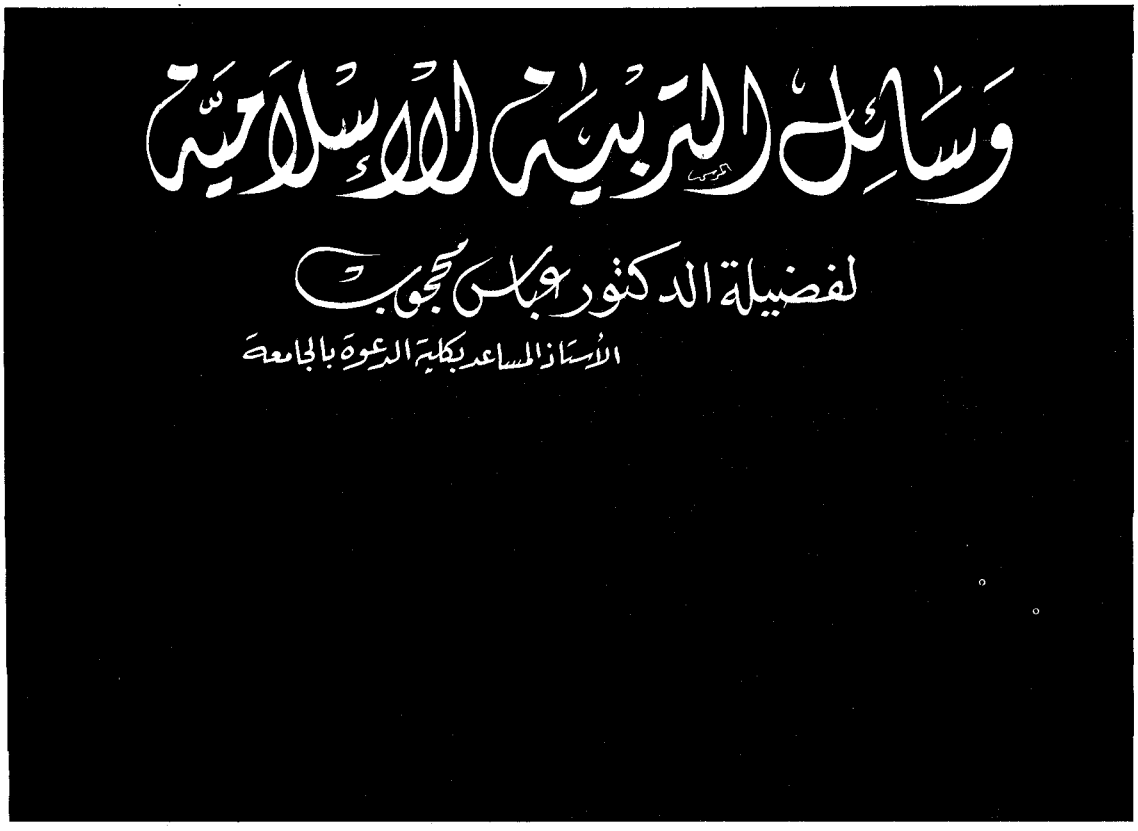

وابتغاء الوسيلة كما قال قتادة : التقرب اليه بطاعته والعمل بما يرضيه (١) (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وكذلك يقول الله تعالى في حديثه القدسى الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » (٢) .

وقد تتخذ عدة وسائل لغاية واحدة حتى اذا لم تفد الوسيلة الواحدة لجأ الانسان الى الأخرى بطريق التدرج كما في آية النشوز (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) (النساء /٣٤) .

كما دعا الاسلام الى اتخاذ الوسائل الطيبة للسلوك غير الحسن ، ولمواجهة الشر (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) (فصلت /٣٤ ، ٣٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ص٥١ . الاسراء ٥٧ .

(٢) رواه البخارى - رياض الصالحين ص١٨٦ .

وقد يكون الهدف المطلوب من الواجبات الأمر الذى يجعل الوسائل أيضا في درجتها ولذلك رأى العلماء أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب أيضا ·

لذلك كله اختلفت وسائل التربية وتعددت فيما سنفصله الآن .....

أولا ـ الوســـــائل الذاتيـــــة :

تقتضى التربية الذاتية للانسان نوعا من الوعى الفكرى والمعرفة بأهمية القواعد الصحية والأخلاقية والجسمية في استمرارية التربية التى يحتاج الانسان اليها مدى الحياة وأول وسائل التربية الذاتية مراقبة الانسان لنفسه وجعل ضميره حيا يقظا متحركا وهذه الوسيلة داخلية تحدثنا عنها في حديثنا عن القلب وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للانسان أن يستفتى نفسه فما اطمأنت نفسه اليه كان حسنا وما حاك في الصدر تجنبه والضابط لهذا الاستفتاء القلبى أن يكون القلب يقظا على صلة بالله دائما بالعبادة والدعاء والاستعانة على الخير والاستنجاد من الشر كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل دائما في دعائه المستمر في كل حركة من حركاته كما أن الالتزام بالفضائل يجعل المرء قوى الصلة بالله ، ويرى بعض العلماء أن من وسائل التربية الذاتية أن يتخذ الانسان لنفسه شيخا يعينه على التربية وينصحه ويوجهه ولا يشترط الاتصال المباشر بل قد يكون عن طريق الاطلاع على مؤلفاته وان كانت العلاقة الشخصية هى المطلوبة عملا بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (النحل /٤٣) ونسبة لتعذر الملازمة للشيوخ الناصحين في الدين المشتغلين بتهذيب العباد فان التجارب الشخصية النابعة من مخالطة الناس تساعد على تربية النفس لأن المؤمن مرآة أخيه فاذا علم صفات سيئة في الناس اتفقوا على سوئها وكراهتها أبعد نفسه عنها ، كما أن قوة الارادة والعزم على فعل الخير وممارسته من الوسائل التى تدفع الانسان الى السير في طريق الخير ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان أحب الأعمال الى الله أدومها وان قلت » (١) · والأيمان بالله الذى يصدر عنه الفعل من احساس بالواجب وحب للفضائل وترك للرذائل من وسائل تربية النفس والذى يساعد على ذلك كله أن تكون صحبة الانسان للأخيار من الناس ·

ولذلك يرى الغزالى أن تزكية النفس تتم بأمرين الأول ـ الابتعاد عن المعاصى ثم ممارسة الطاعات والعبادات ·

وتجرى عملية التزكية باتخاذ الوسائل السابقة في الارتقاء بالنفس من النفس الامارة بالسوء الى النفس اللوامة التى تستقبح المعصية وتلوم صاحبها بعد أن كانت لا تحدثه الا بالسوء ولا تأمره الا بالمعصية ثم ترتفع النفس إلى مقام الملهمة التى ألهمها الله الخير والشر

---

(١) رواه بخارى ومسلم ·

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس /٨،٧) ثم ترتفع درجة الى مستوى النفس المطمئنة الراضية بقضاء الله وقدره ثم كانت نفسا راضية باطمئنانها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى) (الفجر /٢٧ ـ ٣٠) فهى قد دخلت أخيرا في زمرة العباد الذين قال الله عنهم (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) (الحجر /٤٢) والجنة جنتان جنة الدنيا وهى المعرفة والعلم والحكمة ٠

والانسان بتزكيته لنفسه يحرر نفسه من الخضوع للشهوات والرغبات ويرتقى الى مقام العبودية لله ٠

ثانيـــــا : الوسائل الاجتماعيـة : وتتمثل في : ـ

١ ـ الرفقة الصالحة :

الانسان بطبيعته متأثر بغيره آخذ عنه سواء أحس بذلك أم لم يحس خاصة في مراحل الصبا فالرفقة الصالحة وهم الذين يسمون : (بشلة الرفاق) هم من وسائل التربية الأخلاقية والنفسية والعقلية للناشئة وواجب الآباء أن ينتقوا لأبنائهم هذه الرفقة بطريقة غير مباشرة من أصدقائهم الصالحين لأن صداقة الآباء تقتضى الزيارة والخروج في رحلات تعمق الصلات بين الأبناء وعن ذلك يقول ابن سيناء : (أن يكون الصبى في مكتبه مع صبية حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم لأن الصبى عن الصبى القن وهو عنه آخذ وبه آنس) (١) ٠

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٢) وعن تأثير الصحبة في الانسان ذلك الحديث الذى سبق أن ذكرناه عن الجليس الصالح والجليس السوء والمقارنة بينهما وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم نتيجة مصاحبة الأشرار وتخلى بعضهم عن بعض واتهام كل للآخر بأنه سبب ضلاله وكفره فالشيطان يقول (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) (ق /٢٧) ويقول (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا) (الفرقان ٢٨ ـ ٣٠) ويحذر الله سبحانه من شياطين الجن وشياطين الانس من الرفاق وأصحاب السوء لأنهم يوحون الى بعضهم زخرف القول غرورا ...

ان على الآباء أن يراقبوا ابناءهم وان يوجهوهم من غير اشعارهم بذلك لأن الأوامر والنواهى ومنع الأطفال من مصاحبة من في سنهم يؤدى الى نتائج غير كريمة وعلينا أن

---

(١) الابراشى التربية الاسلامية ص٢٣٠ ٠

(٢) رواه الترمذى ٠

نشجعهم على صحبة من نعجب بسلوكه من أصدقاء حيه أو دراسته وأن ننبهه الى عدم مصاحبة من نرى اعوجاجا في سلوكه مع اقناعه بذلك عن طريق الواقع والمنطق ويقول الغزالى (ويمنع الطفل من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والشتم وعن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء) (١) .

القـــــدوة الحسنـــــــة :

ينشأ الطفل فيجد أمامه شخصية والده تؤثر فيه وتثير عواطفه ثم يجد شخصية المربى الذى يعجب به الطفل ويتأثر بأفكاره ، ومعلوماته ، لذلك كان واجب الآباء والمربين أن يقدموا النموذج الطيب والأسوة الحسنة أمام الأطفال الذين يتعلقون بشخصياتهم ويدفعونهم الى السلوك الطيب عن طريق التأثير فيهم فكلاهما يمثل بالنسبة للطفل القيم الساميه والعواطف الطيبه الأمر الذى يجعل دورهما في حياة الطفل كبيرا فاذا تمثلت فيهما معانى الشجاعة والعفة والكرم والمروءة ، والصدق والأمانة قولا وفعلا نشأ الأولاد على ذلك أما اذا وجد ذلك في أقوالهم ودعوتهم لهم من غير أن يتمثلوه في حياتهم نشأ الطفل على عكس تلك الفضائل وفقد الثقة في سلوك أحب الناس اليه ومثله الأعلى في الحياة ولذلك حذر الله سبحانه وتعالى من أن يأمر الناس بالبر من ينسون أنفسهم وأن يقولوا مالا يفعلون وقد توعد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع بعذاب أليم يوم القيامة حيث يسأله الناس الم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيجيب بأنه كان يأمر بالمعروف ، ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه - والقرآن يخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اتصف بأعلى الكمالات وأنبل الصفات التى عرفتها البشرية هو قدوة حسنة للبشر قاطبة خلقه القرآن ومؤدبه ومربيه رب العالمين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب /٢١) ولأن التربية تحتاج الى القدوة العليا التى يقاس عليها فان الله سبحانه جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم النموذج الذى يهتدى به الناس والسراج الذى يضيئون به حياتهم ان اطاعه الناس اهتدوا وان خالفوه ضلوا (وان تطيعوه تهتدوا) (النور /٥٤) ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثال للقدوة النادرة في الجاهلية والاسلام في مجال الكرم والتواضع والحلم والشجاعة والقوة والثبات على الحق والصبر والجهاد والإيثار فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان وكان أزهد الناس فهو لم يشبع ثلاثة أيام تباعا وكان أكثر الناس تواضعا يأكل من عمل يده ويجيب دعوة من دعاه يجلس حيث ينتهى بأصحابه المجلس يرقع ثوبه ويخيط نعله ، يحلم عن المسيء ويعفو ويصفح بما لم يحدث في التاريخ حين قال لقريش (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وكان أشجع الناس ، وأقواهم يتقى به أصحابه اذا

---

(١) الاحياء ج ٣ ص٧٣ .

حمى الوطيس واحمرت الحدق ، ثبت على مبدئه حين عرضت قريش على عمه ما عرضت . ولذلك كله ولغير ذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى للمربين والمتربين كما كان أصحابه الاجلاء رضى الله عنهم القدوة بعده في الصفات السابقة كما دعا الى التأسى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم) وقد كانوا كما قال عنهم عبد الله بن مسعود ابر الأمة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا . ان الطفل يكون أكثر الناس حاجة الى القدوة الحسنة في حياته الأولى الأمر الذى يضع على كاهل المحيطين به عبأ كبيرا فالطفل يعتقد أن ما يفعله والده ومدرسه هو الحسن والخير وان ما يتركه الوالد والمدرس هو القبيح والشر ، والطفل مطبوع في هذه المرحلة على المحاكاة والتقليد وتنطبع في نفوسهم كل الصفات التى كانت سلوكا لأسوتهم .

وليس معنى هذا اقتصار القدوة في السلوك على الآباء والمربيين انما تتمثل القدوة في المجتمع كله بمؤسساته : البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فاذا وجد في قطاعات المجتمع القدوة الصالحة كانت التربية ناجحة لأن الطفل لا يحس بالتناقض في الأخلاقيات أو التباعد في السلوك بين أنشطة المجتمع الموجهة .

ان القدوة الحسنة من الآباء والمربين ومؤسسات المجتمع من أهم العوامل الموثرة في التربية والهادية الى الخير والمهيئة للفرد النافع للمجتمع والحياة .

ثالثـــــا ـ الوسائل العاطفيـــــة :

عرف بعض الدارسين العاطفة بأنها (عبارة تركيبية انفعالية (تجمع بعض الانفعالات الموجودة أصلا في نفس الفرد) هذه الانفعالات تنتظم فيما بينها ثم تدخل في تركيب جديد ، لم يكن موجودا من قبل . ان هذه التراكيب أو المجاميع الجديدة تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدرا من الانسجام وقد تتجمع من جديد في مجاميع أوسع وهذه بدورها حين تتجمع ثانية في نظام واحد شامل متناسق ، تكون ما نسميه بالشخصية ، ان العواطف الثابتة تعطى الحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو أهداف بالذات وان عاطفة قوية كافية لتجديد نشاط الفرد واتجاهه في حياته . فالعواطف تلعب دورا هاما في حياة الانسان وهى مصدر معظم دوافعنا وجهودنا) (١) . ولذلك كانت العواطف وتكوينها في الانسان من أهم ما اهتم به المربون ، فالحب والكراهية تكونان عناصر العاطفة في الانسان ومهمة التربية عاطفيا هى توجيه عاطفة الحب الى أنواع الفضائل والسلوك المراد غرسها في النفوس وتوجيه عاطفة الكراهية الى أنواع الرذائل والسلوك المراد ابعاد النفوس عنها كما أن الرغبة عاطفة تبعث على الحب والرهبة عاطفة تبعث على الكراهية فان دورهما في التربية كبير .

---

(١) د . مصطفى فهمي ـ الصحة النفسية ص٣٤٨ .

ولذلك ركز القرآن الكريم على مخاطبة العواطف الانسانية في جانبيها الايجابى والسلبى اذ أن الجانب الايجابى يمثل العواطف الخيرة بينما السلبى يمثل العواطف الشريرة .

فمن الجانب الايجابى : حديث القرآن عن الضعفاء والمساكين وأهمية العطف عليهم (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) (الضحى ٦ ـ ١١) ، ومن الحض على العفو والتسامح والصفح مع القدرة والأمثلة كثيرة في القرآن ومنه العطف على الوالدين (إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) (الاسراء /٢٣،٢٤) ، والآيات كثيرة في ذلك ومنه أيضا أحاديث الجهاد والتحكم في الانفعالات والإخلاص والتفانى في سبيل الله والجماعة وما الى ذلك من العواطف الانسانية السامية التى تعالج جوانب الروح والاخلاق والسلوك .

أما الجانب السلبى : الذى يعالج العواطف المنحرفة المتصلة بالسلوك والأخلاق فكثيرة أيضا مثل ذم الرذائل والموبقات والشح والبخل والنفاق والحقد والغرور والكراهية والطمع والجشع وحب المال والدنيا والأثرة والأنانية وغيرها وغيرها من جوانب السلوك غير الانسانى وغير الأخلاقى والتى تدل على جوانب نقص في الشخصية وقصور في النضج السلوكى والأخلاقى .

ان العاطفة وسيلة تربوية فعالة عندما تكون وسائط التربية كلها نماذج حية طيبة للعواطف السامية والأخلاق النبيلة ولأن الطفل يعيش في حياته الأولى على الاقتناع بالأشياء المحسة المشاهدة فان تكوين عاطفة الحب للفضائل أو الرذائل لا يكون بالدروس المجردة انما بالثناء على كل عمل طيب يأتيه والمكافأة عليه ، والاستنكار لكل رذيلة يأتيها أو يشاهدها والعقاب عليه فاذا وصل الطفل الى مرحلة فهم المجردات كان الاهتمام بالمثل العليا والعواطف السامية وتكوين الاتجاهات الطيبة نحوها ولذلك ركزت التربية الاسلامية فى تكوين هذه العواطف على محبة الله والارتباط به وحبه للمتقين والمحسنين وكراهيته للعصاة والظالمين ولذلك استعمل القرآن والسنة عدة أساليب في ذلك منها :

(١) القصص والتاريخ :

(والقرآن يستخدم القصص لجميع أنواع التربية والتوجيه التى يشملها منهجه التربوى : تربية الروح ، وتربية العقل ، وتربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس ، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة) (١) والقصة لها تأثير كبير في نفوس الصغار والكبار ولها القدرة على اثارة العواطف والانفعالات والاقناع الواقعى والعقلى والتوجيه نحو التفكير والتأمل ، فالله سبحانه استعمل القصة في القرآن كثيرا ليتعظ الناس منها وليثبت الرسول صلى الله عليه وسلم ـ (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) (هود /١٢٠) (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) (يوسف /١١١) وهى كما أنها للعبرة تدعو الى التفكير (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (الاعراف /١٧٦) وقد أورد القرآن قصص الأنبياء لبيان الحق والباطل وموقف البشر من أنبيائهم والمكذبين بالرسالات والرسل وقصة البشرية ممثلة في قصة آدم وقصصا تمثل النفس الانسانية في حالاتها المختلفة من الضعف والقوة والرغبة والرهبة والعدل والظلم والإيثار للحق والتمسك بالعفة . وتهدف هذه القصص كلها من الناحية التربوية الى :

١ ـ حال البشرية وموقفها من الرسالات والرسل وفيها عظة وعبرة للناس وتقوية وتثبيت للرسل .

٢ ـ وجوب ايثار الحق على الباطل مهما عظم وتجبر وتوعد واللجوء الى الله كما في قصة أصحاب موسى .

٣ ـ نموذج للشباب في العفة والتمسك بها ومراقبة الله والصمود أمام الشهوات والرغبات كما في قصة يوسف وقصة آدم .

٤ ـ نماذج من لحظات الضعف البشرى حينما يستسلم لها الانسان وينسى كما في قصة آدم أيضا موسى وفتنة سليمان وداود .

٥ ـ أسباب زوال الأمم وزوال الحضارات والمدنيات وهى الظلم والفساد والتجبر والطغيان وغيرها كما في قصص قوم لوط وثمود وابراهيم وأصحاب مدين وغيرها من الأمم التى ذهبت لتحلل أخلاقها وانحرافها عن جادة الطريق .

---

(١) محمد قطب منهج التربية الاسلامية ص٢٢٩ .

(٢) الترغيب والترهيب : المثوبة والعقوبة :

عواطف البشر نحو الفضيلة والرذيلة مرتبطة بالترغيب والترهيب فتوجيه الانسان نحو حب الفضيلة لأن الفضيلة خير تتحقق به سعادة الانسان في الدنيا والآخرة والرذيلة شر يؤدى الى الهلاك في الدنيا والآخرة والمثوبة والعقوبة وسيلتان للترغيب والترهيب . فاذا اختزن فعل الفضيلة في ذهن الطفل بالمثوبة وادخال الفرح والسرور في نفسه ماديا أو معنويا نشأ على حب الفضيلة كما أن ارتباط الرذيلة بالعقوبة والحرمان والتأنيب عدم الرضا ينشئه على كراهية الرذيلة ، ولذلك يرى علماء النفس أن توفر عامل الجزاء مهم لان الانسان لا يكرر الاستجابات التى لا تؤدى الى نوع من الترضية أو الجزاء أو الاشباع وكلما كان الجزاء واضحا دفع الانسان الى الحركة والنشاط واشباع الدافع .

ومن اسلوب الثواب والعقاب يقول الغزالى (اذا ظهر من الصبى خلق جميل ، وفعل محمود فانه ينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه مما يفرح به ويمدح امام الناس لتشجيعه على الأخلاق الكريمة والأفعال الحميدة ، واذا حدث منه ما يخالف ذلك ، وستره الصبى واجتهد في اخفائه ، تغافل عنه المربى وتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عما فعل حتى لا يخجله ، فان عاد ثانية الى الخطأ عوقب سرا وبين له نتيجة خطئه ، وارشد الى الصواب وحذر من العودة الى مثل هذا الخطأ ، خوفا من أن يفتضح أمره بين الناس) (١) فالغزالى يسبق علماء النفس التربويين في أنه لا بد من التدرج في الجزاء وان هناك جزاء ثانويا يتمثل في التشجيع والمكافأة والعتاب والتحذير والارشاد باللين الى الخطأ ـ هذا الجزاء له أثره الكبير في التربية والتعلم ولا يترك آثارا سلبية كما في الجزاء الأولى ، وفي تأييد هذه النظرية المثوبة والعقوبة يقول ابن سينا (انه من الضرورى البدء بتهذيب الطفل ، وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام ، قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة التى يصعب ازالتها اذا ما تمكنت في نفس الطفل اما اذا اقتضت الضرورة الالتجاء الى العقاب فانه ينبغى مراعاة منتهى الحيطة والحذر فلا يؤخذ الوليد أولا بالعنف وانما بالتلطف ثم تمزج الرغبة بالرهبة والمثوبة والعقوبة والنصح والتهديد ولأنها وسيلة اقرب الى عقلية الصغار وتجاربهم وخبراتهم المحدودة ولذلك استعملها لقمان مع ابنه كما حكى القرآن (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لى ولوالديك الىّ المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

---

(١) الأحياء ج ٣/٦٣ .

يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان ١٣،١٢) ٠

والموعظة للكبار أيضا في مناسبات يحتاجون اليها خاصة اذا كان الأمر متعلقا بالعقيدة (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) (سبأ /٤٥) ٠

وقد يعتاد الكبار على الموعظة المباشرة فيملونها ولا يستمعون اليها أولا تترك الأثر العاطفى عندهم وقد ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخولهم بالموعظة أى يعظهم فترة بعد أخرى ، ولذلك استعمل القرآن أساليب كثيرة متعددة للوعظ ، فالقرآن كله هدى وموعظة للناس (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (آل عمران /١٣٨) والموعظة وسيلة من وسائل الدعوة الى الله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل /١٢٥) ٠

ولا يستفيد بالموعظة الا المؤمن الكامل الايمان (ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) (الطلاق /٢) ٠

وقد تميز أسلوب القرآن في المواعظ بعدة أساليب منها :

١ ـ النداء الاقناعى مصحوبا بالاستعطاف والاستنكار (١) مثل (يا بنى) (يا مريم) (يانساء النبى) (ياقومنا أجيبوا) (يا أيها الذين آمنوا) (يأهل الكتاب) (ياأيها الناس) ٠

٢ ـ الاسلوب القصصى مصحوبا بالعبرة والموعظة كما في قصص الأنبياء وغيرها من قصص القرى والأمم ٠

٣ ـ التوجيه القرآنى مصحوبا بالوصايا والمواعظ والأوامر والتوجيهات والنواهى وغيرها مما هو كثير في القرآن والموعظة كما يقول الاستاذ محمد قطب درجات تتفاوت بدرجات الناس فهناك من تنفع معه الاشارة البعيدة ومن لا يصلح معه الا الغضب والتهديد ومن يكفيه التهديد ـ بالعذاب (٢) ٠

---

(١) يراجع كتاب عبد الله علوان : تربية الأولاد في الاسلام ص٧٣ وما بعده ٠

(٢) راجع محمد قطب ـ منهج التربية الاسلامية ص٢٣٦ ٠

رابعـــــا : الوسائل العقليـــــــــة :

لم تعتمد التربية في الاسلام على الوسائل العاطفية أو الوجدانية أو الاجتماعية وانما اعتمدت على الوسائل العقلية باعتبار العقل من النعم التى أنعم الله بها على الانسان وميزه به عن الحيوان ويمكننا أن نلمح هذه الوسائل في جوانب كثيرة منها :

١ ـ **التربية الفكريـــة** : والتربية الفكرية تهدف الى اخضاع العقل للتدريب والتمرين حتى يقوى فيه ملكة التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال والرؤية الصادقة والبصيرة النافذة ويمكن تدريب العقل بتقديم الحقائق العلمية على أساس أهميتها في الحياة وتقييمها للسلوك واستعمالها في طريق الخير والتفاعل معها بحيث تكون جزءا من حياة الشخص ثم تجربة تلك الحقائق مع واقع الحياة ليرى مدى فائدة الحقائق العلمية اذا ما استعملت في حياة الانسان وأهمية التربية الفكرية انها تزيد من قدرات الفرد على الادراك والتكيف وتقبل الحقائق والقيام بالواجبات كما أنها تهيىء مجالا لنمو الذكاء وارتفاع معدلاته بحيث ان الشخص الذكى يكون أقل عرضة للمشكلات التى تدفع الى الانحراف أو الجريمة لأن قوة عقله ينبهه الى الطريق القويمة والنتائج المترتبة على الانحراف السلوكي وعن طريق التربية الفكرية تحصل القناعة التى تجعل الفرد متمسكا بالخير لأنه خير وميتعدا عن الشر لأنه شر وأنه لا تعارض بين ما يقرره المنطق والعقل وما يطالب به المرء دينيا من الالتزام بسلوك أخلاقى ثابت ومعروف في حياته .

٢ ـ **تكوين البصيرة** : يقول الله تعالى في كتابه العزيز (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (آل عمران /١٦٤) والعلاقة وثيقة بين الحكمة والبصيرة فكلاهما من أعمال القلب والعقل وقد وصف الله سبحانه وتعالى الانسان بأنه على نفسه بصيرة والبصيرة هى القدرة الى النفاذ الى الأشياء ومعرفتها وحسن تقديرها والقدرة على التصرف فيها ولما بين البصيرة والحكمة من علاقة قوية دعا الله سبحانه الى اتخاذهما وسيلتين في الدعوة اليه فقال (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل /١٢٥) كما قال (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (يوسف/١٠٨) . ومن هنا فان تكوين البصيرة في قلب المؤمن غاية من غايات التربية ووسيلة من وسائلها أيضا ولذلك يقول الله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر لنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (الأنعام /١٠٤) والبصيرة والحكمة بمعنى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ عن طريق الاحساس الداخلى أو الوجدان من هبات الله على الناس ، فالله سبحانه وتعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (البقرة /٣٦٩) لأن الحكمة

(هى نفاذ البصيرة الى سنن الحوادث ومجريات الأمور ، واتقان العمل والتصريف ، دون صدام مع قوانين الظواهر في ضوء ظروف العصر الذى تواكبه لدى الفقيه القدرة على استنباط التشريعات والأحكام اللازمة في ميادين الحياة المختلفة حسب الظروف والأحوال ، وهى لدى القائد فهم معنى الجهاد والوقوف على منطلقاته وأهدافه وتنظيماته وحسن التعامل بذلك كله حسب المواقف والمتطلبات ، وهى لدى المربى المسلم فهم مبادىء التربية وأهدافها ومناهجها وأساليبها واتقان التعامل بذلك · وهى لدى الإدارى حسن تصريف الأمور · وهى لدى القيادة السياسية حسن التخطيط والتنفيذ في الداخل والخارج ـ وهى لدى الأمة ادراك معنى وجودها واجادة تنظيم هذا الوجود ووضعه برمته ومقدراته في خدمة الرسالة الاسلامية وبالتالى فالحكمة هى فهم كل فرد أو جماعة في الأمة لدوره واتقان أداء هذا الدور طبقا لمقاييس الاسلام ومنطلقاته) (١) ·

ودور التربية انها هى التى تبصر بالحقائق المتعلقة بوجودها ورسالتهم وهى التى تربى فيهم البصيرة والحكمة وتدعوهم بهما (وابصرهم فسوف يبصرون) (الصافات /٦) واذا كان البصر مجاله الادراك ـ المادى للأشياء فان البصيرة تمثل الادراك القلبى للأشياء (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) (النحل /٤٦) ·

وذلك لأن البخل وعدم الانفاق من طبائع النفوس كما أن الغضب وحب الانتقام كذلك ، ولذلك جعل الرسول القوى من الرجال الذى يملك نفسه عند الغضب والأحاديث كثيرة في فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكل والمشرب وغيرها وكلها تؤدى الى تقوية الارادة في جانب التغلب على شهوات البطن والفرج فالرسول عليه الصلاة والسلام وآله لم يشبعوا من خبز شعير يومين متتابعين حتى مات كما روت عائشة · ولأن الانفاق عامل من عوامل تقوية الارادة وعقاب النفس قرر الاسلام الزكاة في مقادير معلومة من المال (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (التوبة /١٠٣) وجعل المال كفارة لكثير من ـ الكفارات كما حث على الانفاق تفضلا وتدريبا للارادة المتغلبة على غرائز النفس حبا للخير ، ومحاربة للرذائل وايثارا للغير على النفس لأن تكاليف الاسلام كلها لا يقوم بها الا شخص قويت ارادته وعزيمته بحيث يبدأ من التكاليف التى تحتاج الى جهد بسيط لتتدرج في الوصول الى التكاليف التى تحتاج الى تضحية بالنفس والمال والحياة كلها في سبيل الله ·

---

(١) ماجد الكيلانى النظرية التربوية الاسلامية ص٥٠ ·

٢ ـ **الصبر** : الصبر وسيلة كبرى من وسائل تربية الارادة وتقويتها وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في ذلك منها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران /٢٠٠) ، وعن الآية يقول الحسن البصرى « امروا أن يصبروا على دينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الاسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الاعداء الذين يكتمون دينهم » وهذا من الصبر على الطاعات وعلى الصلاة ، والتكاليف كما أن الصبر يكون على البلاء (١) (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) (البقرة /١٥٥) وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر /١٠) (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) (محمد /٣١) والرسول عليه الصلاة والسلام يقول (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن : ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) (٢) والصبر من أنواع البر التى ذكرها الله تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (البقرة /٧٧) ولأن الصبر يقوى الارادة .

قال الله تعالى (ولمن صبر وغفر فان ذلك من عزم الأمور) (الشورى /٤٣) والله مع الصابرين (استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) (البقرة /١٥٣) والصدقة برهان والصبر ضياء ولا يكون الصبر الا بمجاهدة النفس وأخذها على التحمل وطلب العون عليه من الله سبحانه وتعالى لأن (من يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

وتارة يستخدم العبوس ، أو ما يستدعيه التأنيب ، وتارة يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب ، وذلك وفق كل حالة خاصة ، ولكن اذا أصبح من الضرورى الالتجاء الى الضرب ، ينبغى ألا يتردد المربى على أن تكون الضربات الأولى موجعة فان الصبى يعد الضربات كلها هينة ، وينظر الى العقاب نظرة استخفاف ، ولكن الالتجاء الى الضرب لا يكون الا بعد التهديد والوعيد ، وتوسط الشفعاء لأحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل) (٣) .

فالمثوبة والعقوبة وسيلتان ناجحتان في تكوين عاطفة الرغبة والرهبة إزاء الفضائل والرذائل سواء أكانت المثوبة والعقوبة ماديتين أو أدبيتين كما ان الترغيب والترهيب وسيلتان

---

(١) ابن كثير ج١ ص٤٤٤ .

(٢) رواه مسلم .

٣) نقلا عن الابراشى التربية الاسلامية ص٢٣٣ .

تربويتان تدفعان الفرد الى انماط من السلوك اعتمد عليهما القرآن والسنة في دفع الناس الى تطبيق كثير من التعاليم الاسلامية . ولذلك دعا الاسلام الى تخير الصحبة والاكثار من ذكر الله والعبادات بأنواعها لما لها من نتائج ترغب في ممارستها وحذر من المعصية والبعد عن الله لما لها من نتائج ترهب الممارس لها ، والترغيب والترهيب من المراحل الأولية في تزكية النفس وتهذيبها اذ الخوف من المعصية بما يترتب عليها من عذاب وعقاب من الله تكون البداية ثم تتعود النفس عن طريق الممارسة حتى تصل الى درجة الابتعاد من المعصية لقبحها كما أن حب الفضيلة والاستقامة والطاعة تكون لما يترتب عليها من جزاء حسن ومثوبة عند الله حتى يصل المرء الى درجة الاحسان وحب الفضائل لذاتها ومثل هذا يصل الى درجة من يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

٣ ـ الموعظـــة الحسنـــــة :

للموعظة الحسنة تأثير عاطفى كبير في الانسان لما لها من نفاذ الى القلوب واصغاء من الوجدان وسيطرة على المشاعر خاصة اذا كانت في بيئة صالحة وقدوة محترمة معايشة ، ولما للموعظة من أثر فان القرآن اتخذها أسلوبا في مخاطبة الكبار والصغار ، أما الصغار فلأن الموعظة تجد عندهم انتباها وتركيزا واهتماما خاصة اذا ربطت بالترغيب والترهيب ويمكن للمعلمين أن يكونوا البصائر بما وجه اليه القرآن من التعود على التأمل والتفكير والتدبر والتعقل في آيات الله حتى يكون التمسك بالمبادىء والتعاليم التى فيها عن اقتناع ومعرفة تؤديان الى اطمئنان القلوب وخوفها وخشوع الجوارح وانقيادها ، والآيات التى تحض على ذلك كثيرة منها قوله تعالى : (افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) (الحج /٤٦) (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) (آل عمران /١٩٠ ،١٩١) والقلوب التى لا تعرف الحق بالتأمل والتدبر هى التى لا تعقل (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد /٢٤) .

(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (ص /٢٩) أما الذين لا يتدبرون ولا يتأملون وينصرفون عن وسائل الحق فهم كما حكى الله عنهم (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنون بها) (الأنعام /٢٥) وعدم التعقل والتدبر والاستماع الى الحق يؤدى بالمشركين الى النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (الملك /١٠) . أما الذين يترفعون عن فهم آيات الله وينصرفون عن الحق ويكذبون فان الله أيضا صارفهم عن الحق (سأصرف عن آياتى الذين

يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (الأعراف /١٤٦) وبتكون البصيرة والحكمة في الانسان يتعرف الى الحق الذى أوجد الله سبحانه به الوجود وخلق به السموات والأرض لأن معرفة الحق هى التى تدفع الى التمسك به وبناء الحياة عليه (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) (الحجر /٨٥) والآيات بهذا المعنى والتعبير في القرآن كثيرة وعلى معرفة الحق تترتب نتائج معرفة خلق الانسان والوجود والمصير لقيام ذلك كله على الحق الذى نزل به القرآن (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) (الاسراء /١٠٥) ، كما أن البصائر نتائج للتفكير في عواقب الأفعال من المعاصى وما يترتب على الرذائل من هلاك للافراد والأمم والحضارات فالله يخبرنا بأن المعاصى هى التى تسببت في ضياع أمم وحضارات سابقة فيقول (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) (الأنعام /٦) ويقول : (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) (يونس /١٣) كما أن المقارنة الدائمة بين الخير والشر والخبيث والطيب والصواب والخطأ يساعد على تكوين البصيرة في الانسان ولذلك نجد القرآن يكثر من المقارنات :

يبين المواقف والأشياء ، ويدعو القرآن أيضا الى استعمال العقل في قياس الأمور لأن ذلك من دلائل البصيرة ، وقد تميز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة التى رباهم عليها مما جعل القياس عند المسلمين مصدرا من مصادر الشريعة بعد القرآن والسنة والاجماع ولولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مارس ذلك مع أصحابه فيما عهد اليهم من مهام ولا يجدون فيها نصا من كتاب الله لما كان للقياس تلك الأهمية مثل ما فعل سيدنا عمر في حد شارب الخمر عندما استشار فافتاه سيدنا على بالجلد ثمانين جلدة قياسا على حد القاذف لأنه اذا شرب سكر فهذى فافترى وحد المفترى القاذف ثمانون جلدة ومثل هذا كثير عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تميزوا به من نفاذ البصيرة والحكمة .

والتعود على الحقائق وممارستها من عوامل تكوين البصائر لأن الحقيقة تدل على جانب الخير في الفعل وجانب الشر فيه فيكون القرب والبعد مبنيان على معرفة حقيقة الخير وفائدته وسوء الشر وضرره ولا يستوى العالم والجاهل .

ان المربى يستطيع باخلاصه وادراكه للوسائل المتعددة لتكوين البصيرة والحكمة وممارسته لهما أن يساعد على بناء جيل راجح العقل حكيم متبصر متفتح يزن الأمور بميزان العقل والبصيرة لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها وأبصار ينظرون بها وبصائر يعرفون بها لأن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا .

٣ ـ تكوين الارادة :

الارادة قوة من القوى المحركة للانسان مرتبطة بالتصميم والعزم على فعل الشيء فعنها تصدر الأعمال الارادية للانسان ، ويرى البعض أن الارادة ميل النفس الى شيء ما وحملها على فعله ولكن الفرق واضح بين الميل والارادة لأنه قد يوجد الميل ولا توجد الارادة ، والارادة تشمل الميل والشعور والعزم ثم العمل ، والارادة هى القوى المحركة لملكات الانسان والدافعة لها الى العمل وللارادة نوعان من العمل فقد تكون دافعة للعمل وقد تكون مانعة تمنع الانسان من القول والفعل وأعمال الخير والشر في الانسان منبعها ارادته ولارتباط الارادة بالخلق (عرف بعضهم الخلق بأنه (عادة الارادة) يعنى أن الارادة اذا اعتادت شيئا فعادتها هى المسماة بالخلق فاذا اعتادت الارادة العزم على الاعطاء سميت عادة الارادة هذه خلق الكرم وقريب من هذا التعريف قول بعضهم هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار) (١) .

والارادة لها صلة قوية بالميول والبواعث والغايات والرغبات لأنها دوافع الى العمل ولانها تجتمع مع الارادة في جانب وتختلف في أخرى وقد ربطت التربية الاسلامية بين النية والارادة باعتبارها العزم على فعل الشيء والقصد التصميم القلبى عليه ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) (٢) .

والارادة لا بد أن تكون قوية دائمة بحيث تنفذ الأشياء التى يريدها مهما كلفها ذلك من متاعب ومشاق ومهما وضعت أمامها العقبات والصعوبات ومثل هذه الارادة لا تقوى الا اذا اعتمدت على عقيدة راسخة ثابتة لأن الارادة المبنية على العقيدة السليمة هى القوة المحركة للسلوك الناتج عنها كما أن التدريب على الفضائل ومعرفة قيمتها وممارستها وترك الرذائل ونبذها من مقويات الارادة ، قد تضعف الارادة أمام الشهوات وأهواء النفس والمغريات تفقد قوة الصمود أمامها تستسلم فتقع في المحظور وقد تكون الارادة قوية ولكنها مريضة أيضا لأن قوتها في الجانب السلبى جانب الشر ، وتوجيه هذه القوى والطاقة في الاجرام والانحراف والشذوذ .

---

(١) أحمد أمين كتاب الأخلاق ص٦٣ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وسائل تكوين الارادة الخيرة وتقويتهـــــــا :

١ ـ المران على فعل الخير والزام النفس بالأعمال التى تتطلب مشقة ومجاهدة للنفس لأن توفيق الله الانسان مرتبط بتلك المجاهدة فالله سبحانه يقول (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (العنكبوت /٦٩) وفي الحديث « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » ورواية مسلم (حفت) بدل (حجبت) أى بينه وبينها هذا الحجاب فاذا فعله دخلها) (١) ٠

ومن المران الواجب لتقوية الارادة صوم رمضان كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصوم تطوعا ودعا الشباب الى الصوم في سبيل التغلب على قوة الطاقة الجنسية ، ولأن الاسراف في هذه الوسيلة قد يؤدى الى نتائج عكسية فان الرسول صلى الله عليه وسلم منع مواصلة الصوم ونهى عن التبتل ودعا الى بذل الجهد على قدر الطاقة ٠

٢ ـ المران على التغلب على الغرائز الفطرية في الانسان واخضاعها لقيود الدين والعقل والأخلاق والقواعد الصحية التى تكون المصلحة في اشباعها واعطاء الجسم حقه بالطرق المشروعة وعدم ترك النفس على هواها والله سبحانه وتعالى يقول (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (آل عمران /١٣٤) ٠

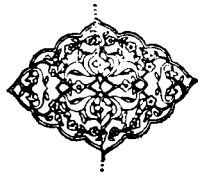

---

(١) متفق عليه رياض الصالحين ص٦١ ٠

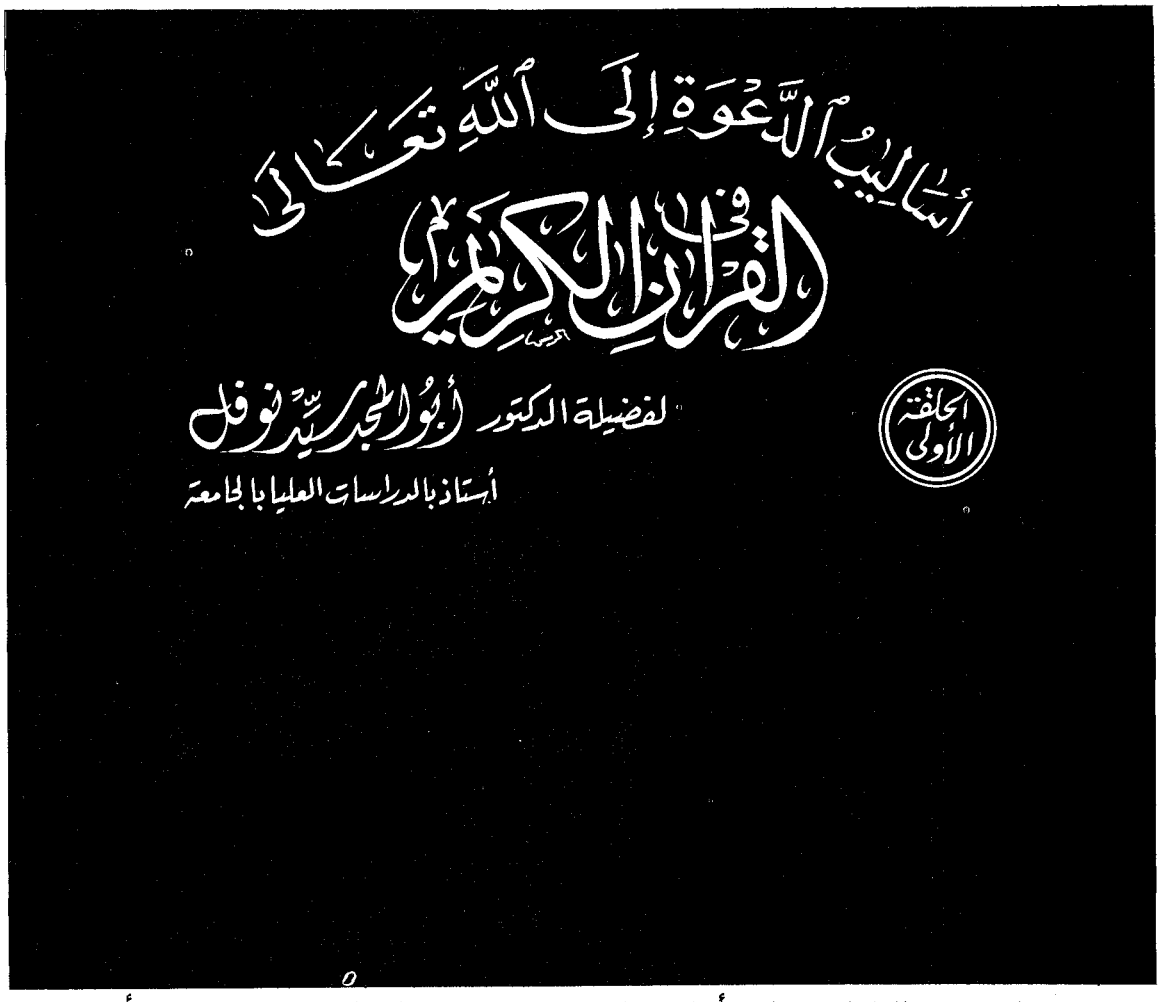

ولقد عنى العلماء بدراسة أساليب الدعوة ، ومن هذه الدراسة تقسيمهم هذه الأساليب الى خبرية ، وانشائية ، وجدلية ، وبراهينية ، وقصصية .. الى آخر هذه التقسيمات التى حفلت بها كتبهم قديما وحديثا . وهى تقسيمات تدور حول الألفاظ ، والجمل ، والتراكيب اللغوية والأدبية .

ونستطيع هنا أن نضيف تقسيما آخر لهذه الأساليب ، وهو يدور حول المعنى والمضمون الدينى فاذا اشتمل الأسلوب على معنى من معاني الايمان مثلا فهو أسلوب ايماني ، واذا دار حول معنى عبادة من العبادات يبين أمرها ، وحكمها .. فهو أسلوب عبادى . واذا اشتمل على أحكام تشريعية أو خلقية ، أو جهادية .. فهو أسلوب تشريعى ، أو خلقى أو جهادى ...

وهكذا تظهر لنا أساليب عقائدية ، وعبادية ، وتشريعية في حقل الدعوة وأساليبها . على أن كلا من هذه الأساليب سيظهر في صور متعددة ، وفنون مختلفة ، كفنون القصة والمثل ، والمجادلة وما إليها من الأساليب التى أشرنا اليها قبلا .

وفي هذا النهج محاولة لضبط أساليبها ، وتوضيح معانيها وتكاملها .

٢ ـ ما هو أسلوب الـــدعوة ؟

والمراد بأسلوب الدعوة هنا ما بلغت به أوامر الله تعالى وارشاداته الى المدعوين وهو لا يخرج عما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ٠

وهو يجمع على « أساليب » وهو الطريق ، والوجه ، والمذهب ، ... وهو الفن : يقـال أخذ فلان في أساليب من القول أى أفانين منه (١) ٠

وله تعاريف منها : أنه كلمات مناسبة في مواضع مناسبة ٠ أو هو الفن البياني الذى غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة وابداع الصورة وجمالها (٢) ٠

ومنهـــا : أنه الكلام الحسن الذى يصفه بعض علماء البيان بقوله : (يحسن بسلاسته وسهولته وفصاحته ، وتخير لفظه ، واصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه ، وتشبه أعجازه بهواد به ، وموافقة مآخيره لمباديه ...) (٣) ٠

هذه هى صفات الكلام الحسن ٠ أما الكلام الأحسن فهو كلام الله تعالى الذى وصفه الله تعالى بقوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) (الزمر آية ٢٣) ٠

ولقد أخذت هذه الأساليب بنفوس الكفرة ، وهم أرباب القول ، وفحول البيان ، فأعجبوا بها ، وافتتنوا بجمالها ، وشهدوا لها رغم عداوتهم للإسلام وبقائهم على الشرك ٠ روى أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وأن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى) (٤) ٠

٣ ـ خصائص هذه الأساليب :

وأساليب الدعوة جزء من الدعوة ، والدعوة هى القرآن الكريم ٠ ومن هنا فهى متعبد بتلاوتها والتدبر فيها (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ...) (محمد آية٢٤) ٠

ـ وقد تعهد الله تعالى بحفظها ، وجمعها ، وبيانها ، (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ٠ ثم ان علينا بيانه) (القيامة آية ١٦ ـ ١٩) ٠

---

(١) لســان العرب ٠
(٢) وحي القلم لمصطفي صادق الرافعي ٠
(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري ٠
(٤) ابن هشام جـ ١ ٠

وما دامت من عند الله تعالى فليس فيها تبديل ولا تحريف ، وليس لأحد ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أن يغير فيها أو يبدل (ولو تقول علينا بعض الأقاويل · لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين · فما منكم من أحد عنه حاجزين) (الحاقة آية ١٦ ـ ١٩) ·

ـ وهى من عند الله تعالى بلفظها ومعناها باللغة العربية (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربي مبين) (الشعراء آية ١٩٢ ـ ١٩٥) ·

ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحدى أمة البيان والبلاغة والانس والجن أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، فثبت أنه كلام الله لا كلام غيره (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين · فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (البقرة آية ٢٣ ـ ٢٤) ·

ولقد ظلت هذه الأساليب تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعا ، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة حتى اكتمل نزول القرآن ، وهو الموجود الآن في المصاحف والمحفوظ في الصدور · وهي على هذه الكثرة الكثيرة من السور والآيات البينات (١) لم يحصل فيها تناقض واحد ، ولا غلط واحد ·· وظلت كذلك حتى اليوم وبعد أربعة عشر قرنا هي هي سليمة من أى تبديل أو تحريف ·· وذلك بعكس أساليب اليهودية والنصرانية (٢) ·

ـ وأساليب الدعوة في القرآن على تعدد صورها وألوانها ··· لم تصطدم مع العلم قديمه وحديثه ، العلم الصحيح القائم على المنطق السليم ، وأن ما في أحدث نظريات العلم من حقائق عن الكون ومظاهر الحياة المادية والإنسان ، والحيوان ، والنبات ···· لا يتناقض مع مافي

---

(١) أحصى بعض العلماء آيات القرآن الكريم فوجدها أكثر من ستة آلاف آية · انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطى جزء ١ ص٨٨ طبعة ربعة ·

(٢) أثبتت الأبحاث الدينية أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل ، وأن التوراة الموجودة أو العهد القديم معظمها مجهودات بشرية ، وأن أناجيل النصارى المعتمدة عندهم الآن لا تخرج عن انجيل مترجم جهل الأصل المترجم منه كانجيل متى ، أو عن انجيل جهل كاتبه ولم يعرف على وجه اليقين · ومن هنا فهي كتب لا علاقة لها بالوحي ، ومن ثم فقد وقع فيها التضارب والاختلاف · وقد أحصى بعض الباحثين الاختلافات في العهدين القديم والجديد وذكر منها مائة وعشرين اختلافا ، كما أحصى الأغلاط وذكر منها مائة وعشرة من الأغلاط وأتى باستشهادات على التحريفات اللفظية ذكر منها خمسة وثلاثين شاهدا ، وعلى التحريفات بالزيادة وذكر منها خمسة وأربعين شاهدا ، وعلى التحريفات بالنقصان وذكر منها عشرين شاهدا ، ثم ذكر كثيراً من المغالطات التي امتلأت بها هذه الكتب وذلك بالأدلة التى لا مجال فيها للطعن ـ انظر اظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندى الجزء الأول ·

القرآن الكريم من أساليب · بل هذه الأساليب بمعانيها العميقة لا زالت ولن تزال تؤيد العلم في اتجاهاته السليمة ، واكتشافاته لمظاهر الكون لمعرفة أسراره ، وذلك بعكس الأديان الأخرى التى عاشت في صراع مرير مع العلم حتى الآن · (١) ·

ـ وهذه الأساليب فضلا عن تأديتها مهام العبادات والتكاليف والأحكام الشرعية ··· هى أساليب جمالية ونصوص أدبية امتاعية ، تقوم اللسان ، وتعلم البيان ، وترقق المشاعر ·· وكلما قرئت اطمأنت بها النفوس ، واقشعرت منها الجلود خشية لله وخضوعا لعظمته (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد آية ٢٨) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ···) (الزمر آية ٢٣) ·

ـ ومن مقومات هذه الأساليب أنها قامت على الحق (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ···) (السجدة آية ٢) · وعلى الصدق (ومن أصدق من الله قيلا) (النساء آية ١٢٢) ·

وعلى الوضوح والابانة (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) (النساء آية ١٧٤) · وعلى اليسر (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (القمر آية ١٧) ·

وعلى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ···) (النحل آية ١٢٥) ·

ـ وهى أساليب لا باطل فيها (·· لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ··) (فصلت آية ٤٢) · ولا كذب (··· ماكان حديثا يفترى ···) (يوسف آية ١١١) ·

ولا عسر ولا حرج (·· وما جعل عليكم في الدين من حرج ···) (الحج آية ٧٨) ·

ولا لغو ولا لهو ·· (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين · لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذنا من لدنا إن كنا فاعلين · بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ··) (الأنبياء آية ١٦ ـ ١٨) ·· ولا خيال ، وهو ما يقوم عليه شعر الشعراء ، وفن الأدباء ، وغيرهما

---

(١) فالكنيسة النصرانية تقول أن الله خلق العالم ابتداء من سنة ٤٠٠٤ ق · م . وظلت تقول بهذا القول حتى مطلع القرن الماضى · ولقد أعلن مجلس كنسي في بداية القرن العاشر الميلادى أنه القرن الأخير وأن العالم سينتهى بانتهائه لأن الله جعل المدة بين انزال ابنه (تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا) ونهاية العالم بعد ألف سنة فقط ـ انظر قصة الحضارة جـ١٤ ولديورانت ·

ولقد انتهى القرن العاشر الميلادى ولم ينته العالم كما قالت الكنيسة . ومر بعده تسعة قرون ولا زال العالم باقيا · ونهايته عند خالقه وصانعه (أن الله عنده علم الساعة ····) ·

مما يبعد عن الحقيقة ويضرب في أودية الوهم والخرافة .. (والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر انهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ...) (الشعراء آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧) .

ولن يدخل في هذا الخيال ما اشتملت عليه هذه الأساليب من تشبيهات وتراكيب بلاغية لأن هذه وان احتوت على ضروب من التصويرات فإنما هى لتقريب المعنى وإبرازه في صورة المحسوس ، وكشفه ، وتوضيحه واظهار الحقيقة دون زيادة أو نقصان ودون أى معنى خرافي أو اسطورى . لأن كلام الله عز وجل متنزه عن ذلك (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) (الفرقان آية ٥ ، ٦) . وهى أساليب هداية حقيقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتدعو الى المثل العليا والحياة الطيبة في أسمى صورها وغاياتها ، إنها شفاء للناس ، ورحمة للعالمين . (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ...) (الإسراء آية ٩) . (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ..) ((الإسراء آية ٨٢) .

وليست كأساليب المنافقين ، والمبشرين ، والمستشرقين .. التى تقدم للناس في صور ظاهرها فيه رحمة وباطنها من قبله العذاب ، ظاهرها تعليم ، وتطبيب ، وبر وإحسان وباطنها هدم ، وكيد ، وحرب للإسلام ، وليست كأساليب الشيوعية والاستعمار ، تنادى بالحريات ، وتدافع عن الفقراء ، وتشيد بالإنسان وتخفي وراءها الدمار والغصب ، وسفك الدماء ، واحتلال الأوطان ، ونهب خيراتها والقضاء على معتقداتها ، ومسخ الإنسان آلة لا إرادة لها ، وتحقيره ، ووأد حريته ... ليعيش عيشة الذل والفقر والهمجية .

ـ وأساليب الدعوة الإسلامية أساليب أدب وعفة .. ليس فيها ما يخدش الحياء أو ينافي الفضيلة ، أو يساعد على تحريك الغرائز الحيوانية الممقوتة في الإنسان . وإذا تعرضت هذه الأساليب إلى تصوير بعض المواقف التى تلعب فيها الغريزة الحيوانية بعض أدوارها لإظهار الصراع بين الخير والشر للعظة والتبصرة ... فإنها سرعان ما تسد النوافذ التى قد تطل منها تخيلات دنيا ، فنراها تنتقل بالنفس على الفور الى آفاق من السمو والرفعة ، وتفتح لها طاقات من النور والروحانية ... يتلاشى معها ما قد يكون علق بالنفس من شوائب تلك التخيلات .. ففى قصة يوسف عليه السلام هذا الموقف الذى تصوره هذه الآية (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) (يوسف آية ٢٣) . فهنا تشتمل الآية على عدد من الجمل ، نصفها الأول جاء لتصوير موقف امرأة العزيز من يوسف عليه السلام حيث تراوده عن نفسها (وراودته التى هو في بيتها عن نفسه) ، وتسد عليه النوافذ كيلا يهرب منها (وغلقت

الأبواب) وتأمره صراحة بعمل الحرام (وقالت هيت لك) وذكر هذه الأمور قد يفتح أمام النفس البشرية أودية من التصورات الدنيا مما يتوجب على الأسلوب الحكيم أن يطمس هذه التصورات ، ويسد هذه الأودية حتى لا تؤثر في النفس أثرها السيء · وهذا هو ما صنعه القرآن الكريم حيث سارع بإيراد موقف يوسف بعد إيراده موقف امرأة العزيز بدون فصل ، وفي آية واحدة ، في هذه الجمل الثلاث التى تحمل معانى الخشية من الله ، والأمانة على العرض ، والحذر من الهلاك ··· وهى قيم رفيعة ، ومثل عليا ، وروحانية صافية من شأنها أن تنتقل بالنفس من موقف المادية والجنسية والمراودة ·· الى آفاق الروحية ، والطهر والعفة ·· واستشعار النفس للإحاطة الالهية والمراقبة الربانية والتخوف من الذى لا يغفل عن ظلم الظالمين ولا ينام عن عقاب المعتدين (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) ·

وهكذا إذا أراد القرآن معالجة مشكلة من المشاكل المتصلة بالإنسان من حيث جانبه الحيوانى نراه يبتعد كل الابتعاد عن الخوض في التصورات الجنسية ، والإيحاءات النفسية الشريرة ، ويوصد الأبواب في وجه الوسواس الخناس (الذى يوسوس في صدور الناس) (الناس آية ٥) وينأى عن العبارات الفاضحة ، والألفاظ الخادشة للحياء ، والمثيرة للبهيمية في الإنسان (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل آية ٩) ·

وذلك بعكس أساليب الكتب التى يزعم أصحابها أنها مقدسة ، وأنها متصلة بالوحى ، إذ أن أساليب هذه الكتب تنطق صراحة لا ضمنا بألفاظ الفحش ، والغزل القبيح ، وعبارات الجنس المرذول ، وتفتح كل منافذ التصورات الدنيئة والتخيلات السوداء المثيرة للغرائز البهيمية في الإنسان ·

وأسوق بعض الأمثلة على ذلك وهى قليل من كثير فيما يلى :

جاء في سفر (نشيد الإنشاد) لسليمان ، والمسجل في العهد القديم ، وهو الذى يطلق عليه اليهود والنصارى التوراة ويعدونه كتابا مقدسا ما يلى :

(لقد شبهتك يا حبيبتى بفرس في مركبات فرعون · ما أجمل خديك ·· وعنقك ··)
(الإصحاح الأول) ·

(حبيبي بين ثديي يبيت ·· ها أنت جميلة يا حبيبتي ، ها أنت جميلة ، عيناك حمامتان) (الإصحاح الأول) ·

(كذلك حبيبي ، شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقني ···) (الإصحاح الثانى) ·

(ها أنت جميلة يا حبيبتي ، فمك حلو ، خدك كفلقة رمانة ...) (الإصحاح الرابع) .

(صوت حبيبي قارعا افتحى يا أختي يا حبيبتي ، ياحمامتي قد خلعت ثوبي كيف ألبسه قد غسلت رجلى فكيف أوسخها .. حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائى ، حبيبي بطنه عاج .. ساقاه عمود رخام .. حلقه حلاوة ، وكله مشتهيات ..) (الإصحاح الخامس) .

وهكذا . كتاب ديني ، مقدس عند اليهود والنصارى ، وهو المرجع الأساسي للديانتين معا ، يقوم على أشعار ، وإصحاحات ، وعبارات .. من هذا النمط الرخيص المتقدم !!! غزل فاضح ، وعبارات مستهجنة ، وتصورات جنسية سافلة ... !!!

فهل بعد هذا يتعجب متعجب من الدعوة اليهودية إلى التحلل ، والإباحيه ، ونشر الدعارة والفسوق ، وإذاعة الرذيلة .. في العالم كله .. على يد كتابهم ومؤلفيهم ورؤسائهم وفلاسفتهم .. وعلى يد فرويد .... وغير فرويد !!!

ومن تحلل أوربا وأمريكا ، وسائر المجتمعات التي تدين بالمسيحية .. ولا تجد غضاضة في اظهار عورات النساء أمام الأجانب ، والعلاقات الحرام بين الأنثى والذكر .. والسقوط الخلقي السافر الذى يسود هذه المجتمعات الآثمة الضالة ؟؟؟ !!!

ان القوم يخلصون لكتابهم ، ويحكمون شريعتهم فيما بينهم ، وينشرونها على الناس !!!! ولكن : اذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ان أساليب الوحي السماوى تفيض حياء ، وأدبا ، وعفة .. في ألفاظها ، وعباراتها ومعانيها . وهي نور وهداية إلى الخير والفضيلة ... ولا صلة لها البتة بالتغزل في أفواه النساء ، وخدودهن وبطونهن ، وحلوقهن ، وسيقانهن ، وشهواتهن ... على الوجه الحرام الذى يخدش الحياء ، ويزرى بالفضيلة ويهدم البناء الخلقي الصالح الى آخر ما جاءت به أساليب اليهودية والنصرانية معا !!!

٤ ـ الأساليب العقائدية ومنهج القرآن في تقريرها :

ونأخذ الآن في أساليب الدعوة في القرآن الكريم بادئين بالأساليب العقائدية فنقول : لقد بدأت الدعوة إلى الله تعالى في المرحلة المكية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتقريرها ، وتثبيتها في القلوب ، واستمرت على هذا النحو طوال هذه المرحلة ، والمرحلة التالية وهى المرحلة المدنية ، وستظل كذلك إلى ما شاء الله تعالى .

ولا بدع في ذلك ، اذ أن البدء بغرس العقيدة في النفس كالبدء بغرس الحبة في الأرض ، وهو أول عمل يقوم به من يريد أن يحصد الزرع المثمر · ولا ريب أن ثمار العقيدة هي الأخلاق وتكوين حماة الدعوة وأبطالها ، وتربية جنود الاسلام على الصبر والثبات ، والتضحية ، والصدق والجهاد في الله حق جهاده ، لنشر راية الاسلام والدفاع عنها ·

وهذا هو ما حدث في الماضي البعيد ، على يد الأنبياء والرسل والهداة ·· وفي الماضى القريب على يد النبي الخاتم صلوات الله عليه وسلامه ، ويحدث في مختلف مراحل التاريخ على يد دعاة الاسلام الذين لا يبدؤون دعواتهم الا بالدعوة الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والوثنية في شتى صورها · وهذه هى الدعوات الناجحة التى تستقيم بعدها أحوال العباد ·

ولقد شبه القرآن الكريم تمكن (لا إله إلا الله) من قلب المسلم ، وإثمارها الفضائل والعمل الطيب ·· في سائر الأوقات ما دامت على هذا النحو · بالشجرة الطيبة الثابتة الجذور فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء · تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (ابراهيم آية ٢٤ ، ٢٥) ·

ولعظيم شأن العقيدة في النفوس ، وما يترتب عليها من آثار خطيرة في سائر حياة الإنسان ·· فلقد استحوذت أساليبها على نصيب كبير في القرآن الكريم ، بل كادت أن تكون كله ، اذ أنه مامن جزء أو سورة ، أو آية خلت من الدعوة إلى العقيدة إما صراحة أو ضمنا ·

ولقد جاءت هذه الأساليب متنوعة ، وبهذه الكثرة ·· لتقرير العقيدة وتثبيتها ··· من ناحية وبيان أهدافها وأغراضها وآثارها من ناحية أخرى · واتخذ القرآن لبيان ذلك طريقين ·

أحدهما : ايجابي ، وهو يتمثل في بيان العقيدة الصحيحة ، وتفصيل عناصرها ، والاستدلالات عليها وبيان آثارها ، وصفات أهلها ···

وثانيهما : ، سلبي ، ويتمثل في بيان العقائد الفاسدة ، وأنواعها ، والاستدلال على فسادها وبيان آثارها ، وما يتصف به أهلها ···

ومن هنا نستطيع القول بأن منهاج عرض العقيدة الإسلامية في القرآن إنما هو منهج كامل واضح ، وذلك بتجلية العقيدة بالطريق الإيجابي المتمثل في بيانها وتفصيل أمرها ·· ثم بإيراد ما يضادها من العقائد الأخرى الفاسدة ، والقرآن بهذا يضع الحقيقتين المتضادتين بجانب بعضهما ، ليتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، ويتضح الليل من النهار ، والعمي من الإبصار ·· (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حى عن بينة ··) (الأنفال آية ٤٢)

وبضدها تتميز الأشياء وهكذا لم يعد هنا عذر لمعتذر ، ولا ريبة لمرتاب ، إلا من ختم الله على قلبه وجعل الغشاوة على سمعه وبصره ·

ولنضرب بعض الأمثال على ما ذكرنـــا فيما يلى :

فمن الطريق الأول : قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ···) (البقرة آية ٢٨٥) ·

وقوله تعالى : (إن يوم الفصل كان ميقاتا · يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا · وفتحت السماء فكانت أبوابا ـ وسيرت الجبال فكانت سرابا · إن جهنم كانت مرصادا · للطاغين مآبا · لابثين فيها أحقابا ···) (النبأ آية ١٧ ـ ٢٣) ·

وقوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (القمر آية ٤٩) ·

وهو لبيان العقيدة ، وبيان عناصرها ، من الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ·

وقوله تعالى : (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم · هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون · هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الحشر آية ٢٢ ـ ٢٤) ·

وقوله تعالى : (قل هو الله أحد · الله الصمد · لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحـد) (الإخلاص) · وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى آية ١١) ·

وهو لبيان بعض صفاته تعالى ، وعلى رأسها الوحدانية ، وأنه عز وجل له الأسماء الحسنى وليس كمثله شيء ، و (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس آية ٨٢) وقوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ··) (المؤمنون آية ٩١) ·

وقوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهى رميم · قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ···) (يس آية ٧٨ ، ٧٩) ·

وهو للاستدلال على الوحدانية والبعث ·

وقوله تعالى : (الم · ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين · الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون · والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون · أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (البقرة آية ١ ـ ٥) ·

وقوله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ....) (التوبة آية ٧١) .

وهو لبيان صفات أهل هذه العقيدة ، فهم المهتدون بالقرآن ، المتقون لربهم ، المقيمون الصلاة ، والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بكل ما أنزل الله ، والعاملون للآخرة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمطيعون لله ورسوله .

وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ..) (النور آية ٥٥) .

وقوله تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ....) (نوح آية ٩ ـ ١٢) .

وهو لبيان أثر العقيدة في الدنيا ، من الاستخلاف في الأرض ، وتمكين الدين ، والقوة والأمن ..

وقوله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) (الأنبياء ١٠١ ، ١٠٣) .

وهو لبيان أثر العقيدة في الآخرة ، فالمؤمنون مبعدون عن النار ، خالدون في النعيم مستمتعون بما تشتهيه أنفسهم ، لا يعتريهم ألم ولا حزن ، وهم في جنات عدن ورضوان من الله أكبر .

ومن الطريق الثانى : قوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (الرعد آية ١٤) .

وقوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (الأنعام آية ١٠٠) .

وقوله تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت آية ٤١) .

فالمشركون بالله غيره من الأصنام ، والأوثان ، والجن ، والناس ، وغيرهم ... على ضلال وعمى ، وجهل وغباء .. إذ أنهم يعبدون مالا قدرة له على عمل أى شيء إذ أنه فاقد القدرة والاستطاعة . فأنَّى له ذلك وهو الضعيف الذى لا يمد معبوده بأى نفع ، ومن ابتغى نفعا عند غير الله فكمن يضع كفيه في الماء لتحملا الماء ليشرب . لكن أنَّى له ذلك ويداه مبسوطتان فهيهات هيهات أن يحملا له ماء أو يذهبا عنه ظمأ ، وهو كمثل من يحتمي بالضعيف الواهن الذى لا قدرة له على شيء أصلا .

وهو لبيان بعض العقائد الفاسدة وهو الشرك ، والاستدلال على فساده وقوله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنَّى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (التوبة آية ٣٠ ، ٣١) .

وقوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) (المائدة آية ٧٣) .

وهو لبيان بعض عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين ينسبون الولد لله سبحانه وتعالى ، ويتخذون الإنسان وليا وربا ، ويعبدون مع الله آلهة أخرى وهاهم النصارى يكفرون بالله ويقولون عنه إنه ثالث ثلاثة . مع أن الجميع مأمورون بعبادة الإله الواحد ، وقد أنذروا من الانحراف عنها .

وقوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) (البقرة آية ٢٠٤ ـ ٢٠٦) .

وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ..) (البقرة آية ٨ ـ ١٠) .

وهو لبيان عقيدة النفاق التي تجعل صاحبها يظهر مالا يبطن ، وظاهره حسن ، وباطنه سوء ، ظاهره الإسلام وباطنه الكفر ، يسعى في الأرض فسادا ويهلك الحرث والنسل كدأبه في الحياة ، يحسب نفسه على شيء لكنه مخدوع مريض فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

وقوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ...) (البقرة آية ٦ ، ٧) .

وقوله تعالى : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (البقرة آية ٩٦) .

وقوله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة آية ٧٨ ، ٧٩) .

وقوله تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (التوبة آية ٦٧) .

وهو لبيان بعض صفات المشركين الذين قست قلوبهم وصمت عن سماع الحق ، وبعض صفات أهل الكتاب من اليهود الذين يعبدون المادة ويحرصون على المال بل هم أحرص الناس على حياة ولهذا فهم يكرهون الموت خوفا من العذاب ولكن هيهات . وبعض صفات المنافقين الذين يسعون في الأرض فسادا حيث ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ويدعون إلى الباطل .

وقوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (النور آية ٣٩ ـ ٤٠) .

وقوله تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (آل عمران آية ١١٢) .

وقوله تعالى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (التوبة آية ٥٥) .

(والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (التوبة آية ١٠٧) .

وهو لبيان آثار العقائد الفاسدة ، فالكفار لا وزن لأعمالهم ، ولو عملوا خيرا فلا اعتداد به ، وهم في ضلال وعمى لأنهم عبدوا غير الله .

أما اليهود فهم الأذلاء ولو كان معهم أقوى الناس ، والله لا يمدهم بنصره ولو ملكوا كل أسباب القوة المادية ، وهم العصاة الفسقة الذين باءوا بغضب من الله .

وكذلك المنافقون ، يعذبهم الله بأموالهم وأولادهم بسبب نفاقهم وسعيهم بين الناس بالفساد ، وهم الكاذبون في أعمالهم ولو كان منها بناء المساجد لأنهم يتخذونها رياء وسمعة وضرارا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله .

وهذه آثار العقائد الفاسدة في الدنيا . أما آثارها في الآخرة ففى قوله تعالى :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأنعام آية ١٧٩) .

وقوله تعالى : (إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم . يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (المائدة آية ٣٦ ، ٣٧) .

وقوله تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) (النساء آية ١٤٥) .

وهكذا يسير القرآن الكريم في عرض منهج العقيدة ، داعيا إلى التوحيد ، وناهيا عن الشرك والعقائد الفاسدة ، ومبينا آثار كل منها ليتميز الخبيث من الطيب ، وتتضح الحقائق كاملة لا شائبة فيها .

(يتبع)

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ :

ٱلنَّاسُ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ ، تَسُوسُهُم ثَلَاثُ سِيَاسَاتٍ :

.. طَبَقَةٌ مِنْ خَاصَّةِ ٱلْأَخْيَارِ تَسُوسُهُمْ بِٱلْعَطْفِ وَٱللِّينِ وَٱلْإِحْسَانِ .

.. وَطَبَقَةٌ مِنْ خَاصَّةِ ٱلْأَشْرَارِ تَسُوسُهُمْ بِٱلْغِلْظَةِ وَٱلْعُنْفِ وَٱلشِّدَّةِ .

.. وَطَبَقَةٌ مِنَ ٱلْعَامَّةِ تَسُوسُهُمْ بِٱللِّينِ وَٱلشِّدَّةِ لِئَلَّا تُخْرِجُهُمُ ٱلشِّدَّةُ وَيُبْطِرُهُمُ ٱللِّينُ .

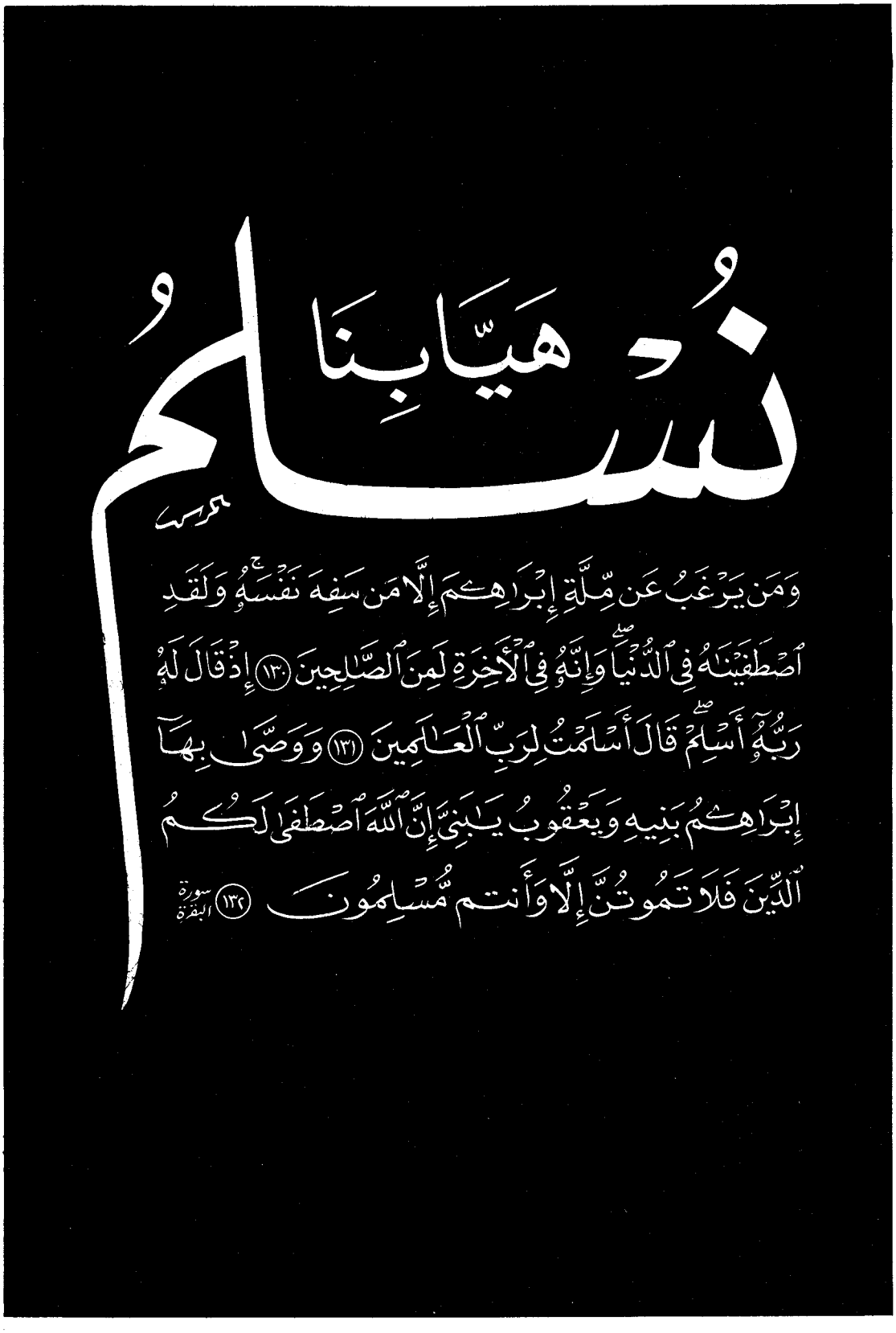
نُسَلِّمُ
هَيَّا بِنَا
وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ
ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ
رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ
إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ
ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ سورة البقرة

ندوة الخرطوم

في الأشهر القليلة الماضية عقدت ندوة في الخرطوم عاصمة السودان بين علماء من المسلمين ومجموعة من القسس بلغوا اثنى عشر قسيساً شرح الله صدورهم للاسلام . وقد عولجت في هذه الندوة قضايا في منتهى الخطورة كانت تحوم عليها شبهات أزالها بفضل الله علماء المسلمين وسوف تنشر ـ بحول الله وقوته ـ ما دار في هذه الندوة على حلقات متتابعة ، ونبدأ ذلك فيما يلى :

الحلقـــة الأولى

وبعـــــــد ...

إخوتي الأفاضل ... مستمعى الأعزاء

فإنه ليسعدني ويسعدكم أيضا مثل هذا اللقاء الذى يتم وتم بناء على طلب مقدم من السيد (جيمس بخيت سليمان) موجه لرئيس وأعضاء هيئة النشاط الإسلامي بالسودان ، وللملحق الدينى بالسفارة العربية السعودية بالخرطوم أيضا .

وإنه ليسعدنا جميعا أن يكون مثل هذا اللقاء عن الإخاء والمحبة لنعرف الحقيقة ولنعرف الحق من الباطل ، والله نسأل أن يوفقنا للحق أينما كان وحيثما كان وأن يرزقنا اتباعه ، ومثل هذه اللقاءات نرجو أن تتكرر في كل مكان وفي كل زمان ، كما نرجو أن تثمر ويكون لها أثر فعال إلى طريق الحق والخير والسلام .

وبعـــد .. ففى هذه الجلسة يفتتحها لنا أستاذى الفاضل وشيخى الأكبر الشيخ عوض الله صالح الرئيس العام لهيئة إحياء النشاط الإسلامى بالسودان ومفتى جمهورية السودان سابقا ، والعضو الحالى والمشارك في رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، فليتفضل جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين .

فقام الشيخ عوض الله وقال ، بعد أن حمد الله ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم :

الأخوة من مسلمين ومسيحيين ....

أنا سعيد بهذا اللقاء وأرحب بكم في هذه الدار نيابة عن الأخوة أعضاء هيئة إحياء النشاط الإسلامى ، وقد حضرت قبل خمس سنوات حواراً يشبه هذا الحوار في طرابلس بليبيا ، ولقد كان أول ما يلاحظ على تلك الندوة أنها بعدت عن كل كلمة نابية .. بل لم يذكر نبي من قبل المسلين غير محمد صلوات الله عليه وسلامه إلا ذكر بكلمات كلها تعظيم وتبجيل ، ولم يذكر من المسيحيين غير عيسى عليه السلام أي نبى إلاَّ وكانت تحف كل كلمة حوله مظاهر التبجيل والاحترام ، ولقد كانت تلك الندوة بحق ندوة بحث عن حقيقة ، وإن في العالم أخطاء كثيرة وأنا لم أدرس المسيحية ، ولكننى لا أنكر أن لنا أخطاء في الاسلام . إن بعض أفهام خاطئة عن الإسلام موجودة ، ولكنها تصحح بمرور الزمان ، فالإسلام شيء وأخطاؤنا شيء آخر . ولا أشك في أن المسيحية التي كانت أبعد عهدا من الإسلام لا بد أن تكون قد طرأت عليها أخطاء وهى قابلة للتصحيح ، ولا تمس بحال من الأحوال جوهر مافي الدين سواء كان من جانب المسلمين أو من جانب المسيحيين .

أنا لا أشك في أن كثيرا من الأشياء يلتقى فيها المسيحية مع الإسلام أو الإسلام مع المسيحية . فكلنا نوحد إلها واحدا ، .. ونحن المسلمين اشترط علينا قرآننا أننا إن كفرنا بعيسى فإن إيماننا بمحمد يكون قد اعترته الشكوك .. وعلى هذا فإني لست بمشارك في هذه الندوة .. ولكنى مرحب فقط عن أهل هذه الدار وقد أعجبني ما استمعت فيها إليه ... وأنا على يقين أنى سأعجب أيضا بما سأستمع إليه من الجانبين المسيحى والإسلامى .

إن أكثر ما أعجبنى في تلك الندوة بعد الذي قلت : هو أن اتفاقاً قد تم ونحن جميعا نعبد إلهاً واحداً - إن الاتفاق قد تم بألاَّ يذهب المسلمون إلى مناطق المسيحية لإدخالهم في الإسلام ، ولكن الذي يدخل طائعا مختارا نرحب به ، ونستقبله . وتم أيضا الاتفاق على ألاَّ يدخل أهل المسيحية في مناطق المسلمين ليدخلوا مسلمين في المسيحية ، .. أنا أعرف ماذا جري

من المسيحيين بعد هذا الاتفاق ... الذى فات عليه الآن أكثر من ست سنوات ، ولكنى أؤكد وفي هذا البلد بالذات أننا التزمنا بأننا لا نعمل إلا في جو المسلمين وأطفال المسلمين لنحتفظ بإسلامهم من أن ينحرفوا انحرافا لا يعجب الإسلام .

وإنى أرجو ألاَّ تذهب المسيحية إلى مواطن المسلمين لإغرائهم . وما أكثر ما يغرى الناس بسبب الفقر والضعف الفكرى ـ فيتحولون عن عقيدة إلى عقيدة .

أخشى أن أكون قد أطلت .. أرحب بكم جميعا . أبنائى وإخوانى من المسيحيين ... وأرحب بأساتذتى ومشايخي من المسلمين ، وأتمنى أن يسير الحوار بالصورة التى ترضيكم جميعا ، وترضي المستمعين أيضا ... والسلام عليكم .

ثم عاد مدير الندوة فعلق على كلمة الشيخ عوض الله بقولـه :

شكرا لهذا التوجيه الطيب من فضيلة شيخنا الأكبر الشيخ عوض الله صالح وشكرا لكم جميعا .. وأؤكد لكم أنه بناءً على قائمة الأسماء التى قرأتها .. بأسماء إخواننا الذين يسمون أنفسهم مسيحيين .. حينما قرأت قائمة الأسماء وجدت أنهم جميعا من أسر مسلمة بموجب الأسماء .. فهذا اسمه مسيحى واسم أبيه (محمد) أو أحمد أو عبد الله . وأؤكد لكم جميعا أن هؤلاء جميعا لم يخرجوا من الإسلام إلى المسيحية إلا لظروف خاصة وقاهرة ، وأرجو لهم التوفيق والسداد في أن يعيدهم الله سبحانه وتعالى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم الذى لاعوج فيه .

وبعـــــد : إخوتى الكرام فإن هذه الندوة سيدير فقراتها وحلقاتها فضيلة الدكتور محمد جميل غازى ، فليتفضل :

فتقدم الدكتور محمد جميل غازي ، وقـــــال :

بسم الله الرحمن الرحيم (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ...) وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

في الأول أقدم لكم الأخ (جيمس بخيت) ليتحدث إليكم . وقبل أن أقدمه إليكم ، لى رجاء ... أن أرى الا بتسامة على وجوه الكل .. لأننى ألاحظ أن الا بتسامة انعدمت من هذا الاجتماع ، فأرجو أن نكون جميعا على تفاؤل كامل ، لأننا مقدمون ، ولله الحمد ، على عمل طيب صالح ، ونسأل أن يكون موفقا ، لا عداء بيننا ولا كراهية ... وإنما هو الحب الذى جمعنا ، والحب هو الذى جعل كل واحد منا يتحدث الى صاحبه ... بالحب كله ، وبالتقدير كله ، أقدم اليكم الأخ (جيمس بخيت) وأرجو من خلال حديثه أن يشير إلى هذه الأسئلة

التي قدمها إلى فضيلة الأخ الشيخ طاهر لتكون هى مجال الحوار في هذه الندوة أو في هذا اللقاء الإسلامى ، المسيحي ، والذى ابتدأ انعقاده في هذه الليلة ، ولا يعلم إلا الله وحده ، كم يستمر من ليال أو كم يستغرق من ساعات ·

أيهـــا الســـادة : يتحدث نيابة عنه الأخ محمد رمضان :

السادة أعضاء هيئة النشاط الإسلامي ،
فضيلة الشيخ الملحق الديني السعودي بالخرطوم ،
السلام عليكم ورحمة الله ·

إنها بحق إرادة الله الذي مهد لنا هذا اللقاء الروحي لا للانتقاد أو الإدانة ، وإنما للاستذكار ، وتوضيح بعض المواضيع الدينية في الإسلام والمسيحية بالأدلة والبراهين ، كما أنزله الله على رسله ، بعيدين عن أي تعصب ديني ، آملين أن يهدينا الله جميعا لما فيه الخير لأمتنا ·

السادة الكرام : نحن قادة لمجموعات من الإخوة والأخوات بالعاصمة المثلثة وجبال النوبة مسلمين بالوراثة ··· ولكننا لم نتعمق في تعاليم الإسلام وتعلمنا أيضا شيئا من الديانة المسيحية نتيجة للتبشير المكثف الذي تقوم به الطوائف المسيحية في السودان ·

ســـــادتى : لقد أحدث هذا الخلط بين العقيدتين شكوكاً في نفوسنا مما أدى بنا للجوء إلى القسيس (جيمس بخيت) بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، بدعوة من إحدى الطوائف المسيحية هناك ، آملين أن نجد لديه المساعدة في هذا الشأن ، فإما أن نؤمن بالإسلام أو بالمسيحية ، بعد معرفة الحقيقة ، هذا والشيء الذي دعا بنا للجوء للقسيس (جيمس بخيت) ما لمسناه منه في اعتداله من الناحية الدينية ، وإيمانا منه بالحرية الدينية والعبادة ، مع أنه قد رفض كل الطوائف المسيحية بالسودان ، وهو الآن يقوم بتأسيس طائفة مسيحية يقوم بإدارتها إخوة سودانيون فقط ، وقد كانت توجيهاته لنا كما كفلت الثورة حرية العبادة للجميع ، فيجب علينا أن نساعد في تنفيذ هذا المبدأ ، مسلمين كنا أم مسيحيين ، ونبعد التعصب الديني من أنفسنا ، ونعطى كل فرد حريته في اختيار المذهب الذي يريده ، وقد نصحنا القسيس جميس بعدم الانضمام لأى مذهب دينى - حتى طائفته - رفض أن ننضم إليها إن لم يكن ذلك بالاقتناع وقام باختيار منازل بعض الأفراد للتجمعات الروحية ، وكان من نتائج تحركه واهتمامه بهذه المشكلة مولد اجتماع اليوم · ولا يفوتنا أيضا إلا أن نخص بالشكر الملحق الثقافى السعودى بالخرطوم لما بذله من جهود عظيمة في تحقيق رغبة الإخوة

في الالتقاء بهيئة النشاط الإسلامي ، كما لا يفوتنا أيضا أن نحيطكم علماً بأن هؤلاء الإخوة الذين ترونهم أمامكم إخوة يطلبون معرفة الحقيقة ، وليس من بينهم عالم أو متفقه في أمور الدين أيًا كان .

وفي الختام نسأل الله العظيم أن يساعدنا ويهدينا إلى الطريق القويم ويظلنا ببركاته والســـلام .

ـ الأخ جيمس يقرأ الأسئلة التي تقدم بها إلى الملحق الديني السعودى ، وهى أسئلة ذات شقين : شق يدور حول الديانة المسيحية . وشق يدور حول الديانة الإسلامية . فيتفضل بقراءة الأسئلة :

الجـــــانب المسيحى :

السؤال الأول : هل يؤيد القرآن المسيح والإنجيل ؟

السؤال الثانى : النسخ والتحريف في الإنجيل ، كيف تم كما يزعم المسلمون ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصـــل الإنجيـــل ؟

السؤال الثالث : الخمر محرم في القرآن ولكنه غير محرم في الإنجيل . فكيف تفسرون ذلك . وهل هناك آية في القرآن تحرم الخمر ؟

السؤال الرابع : هل يؤمن المسلمون برسل المسيح الذين اختارهم وأسند إليهم مهمة التبشير ... كما ذكر في الإنجيل ؟

السؤال الخامس : هل يؤيد القرآن الروح القدس ؟

السؤال السادس : صحة ما جاء في الإنجيل أن المسيح عليه السلام صلب ومات ودفن ثم قام من بين الأموات في اليوم الثالث . فماذا جاء في القرآن فيما يختص بهذا القول ؟

السؤال السابع : ورد في الإنجيل أن المسيح ابن الله فما رأى القرآن ؟

السؤال الثامن : هل يؤيد القرآن الأقانيم الثلاثة (الآب والابن والروح القدس) حسب ما جاء في الإنجيل ؟

السؤال التاسع : ماهى مكانة مريم العذراء لدى المسلمين كأم المسيح عليه الصلاة والسلام ؟

الجانب الإســـــلامى :

السؤال الأول : محمد صلى الله عليه وسلم كيف كانت حياته ونزول القرآن عليه ؟ وكيف نقنع المتشككين بأنه خاتم الأنبياء كما جاء في القرآن ؟

السؤال الثانى : كما يزعم بعض المسلمين والمسيحيين هل استعمل السيف في صدر الإسلام لإخضاع الكفار للدخول في الإسلام ؟ وهل كان ذلك في عهد الرسول أم في عهد الخلفاء الراشدين ؟

السؤال الثالث : ما رأي المسلمين في إخوتهم العلماء الذين قاموا بتفسير القرآن حسب آرائهم مما أدى ذلك إلى وجود طوائف مختلفة ؟ وما حقيقة هذه الطوائف ؟

السؤال الرابع : يتزوج المسلمون بأكثر من امرأة .. فهل هناك آية في القرآن توضح ذلك ؟ وما هى الأسباب التى جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يتزوج بأكثر من أربع نساء ؟

السؤال الخامس : لماذا يحرم القرآن لحم الخنزير ؟ وهل هناك آية تحرم ذلك ؟

السؤال السادس : هل يؤيد القرآن أن المسيح عليه الصلاة والسلام جاء لبني إسرائيل فقط ؟

السؤال السابع : نلاحظ في القرآن أن هناك آيات تنقض آيات مثل : (يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ..... إلى قوله : لكم دينكم ولى دين) . في حين أن هناك آية أخرى تقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي .....) فما رأى المسلمين في هذا التناقض ؟

السؤال الثامن : ما هي نظرة المسلم لغير المسلم فيما يختص بالمعاملات الاجتماعية المختلفة ؟

السؤال التاسع : لماذا تمنع السلطات السعودية دخول المسيحيين في الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية ؟

وبعـــــد : فإذا كان من المقرر أن ألقى كلمة في أول هذا الاجتماع ، وفي افتتاحه ، فإن كل ما يمكن أن أقول هو أن أقرأ عليكم بعض آيات من القرآن الكريم .

يقول الله سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع

العليم · ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم • ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين • إذ قال له ربه أسلم · قال أسلمت لرب العالمين · ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنىّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون • أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ · إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى · قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحدًا ونحن له مسلمون · تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون · وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين · قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط · وما أوتى موسى وعيسى · وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون · قل : أتحاجّوننا في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون · أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون » ·

وبعد ذلك تحدث مدير الندوة الدكتور محمد جميل غازى فقال :

أتمنى أن أدير حديثى لا مع هؤلاء الأفاضل الطيبين ، ولكن معكم أنتم أيها المسلمون ، بماذا تردون على هذه الكلمات الطيبة التى ألقاها في وجوهكم هذا الأخ الطيب ، حينما أعلنكم بهذه الحقائق المرة ؟ هل فكرتم فيها ؟ هل فكرتم أنكم الجناة الحقيقيون ؟ هل فكرتم أنكم ستدانون بين يدى الله ؟ وأنكم قصرتم في تبليغ كلمة الله ؟ لِمَ لَمْ تعلنوها ولَمْ تنطقوا بها ؟ غرتكم الحياة الدنيا ورفاهيتها ؟ عشتم في الدَعة والهدوء والاستقرار ، وآثرتم الطريق الآمن والأسهل في بلادكم ، في الوقت الذى كان يأتى الأجانب من آخر الدنيا يدكون حصونكم ويدقون أبوابكم دقاً عنيفاً ، ويسرقون أبناءكم وفلذات أكبادكم ، هل فكرتم في هذه الكلمات الطيبة التى قالها هذا الأخ الطيب الذي مزق كبدي بكلماته ، أرجو أن تفكروا .. إنها لكم ، لا بد أن تهز مضاجعكم ، حتى لا تهنأوا بعدها بمنام .. حتى لا تستقر جنوبكم على الأرض .. فلا نامت أعين الجبناء · إنما عليكم أن تحرسوا بناء محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تحرسوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الأنبياء جميعا ..

والأسئلة التى تفضل الأخ الكريم (جيمس) فقرأها عليكم .. رأيت أن أعيد وضع خريطة لها لتكون هذه الخريطة تؤدى بنا إلى مجموعة من الدراسات لأننا لسنا في حاجة إلى مواعظ ، ولسنا في حاجة إلى خطب رنانة وعلى جيوش الخطباء أن يوفروا لعابهم ، إننا في حاجة إلى دراسة علمية موضوعية هادئة وهادفة ، نعرف فيها الحق والطريق المستقيم ، ما هو الطريق المستقيم وأين هو حتى نسلكه جميعا صفاً واحدا ، وليلعن الله سبحانه وتعالى من يجانب الحق أو يبتعد عن طريق الحق .

رأيت أن أعيد تنظيم الخريطة ورأيت أن أوزعها على الإخوة الأساتذة الذين سيتولون الحديث معكم ، لا أقول في هذه الليلة الواحدة ـ فاصبروا علينا ـ لأن جهالات عصور كاملة ينبغى أن تُبحث .. وهى ليست متعة قول ، وإنما هي دراسة ديانات كاملة ، والديانات لا تدرس في رحلة ولا تدرس في جلسة ، إنما تدرس دراسات متأنية عبر النصوص المقدسة أمام الطرفين . تستخرج هذه النصوص أمام العقل ثم تبحث وتدرس .

رأيت أن أعيد تنظيم هذه الخريطة على الوجه التالى : الليلة سيحدثكم الأخ الأستاذ أحمد عبد الوهاب ، حول قضية قانونية الأناجيل ، ولقد جاء حولها أسئلة منها السؤال القائل : النسخ والتحريف في الإنجيل كيف تم ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصل للإنجيل ؟ يدور حديث الأستاذ أحمد حول هذا ، وقبل أن أقدم الأستاذ أحمد أحب أن أشير إلى نقطتين :

النقطة الأولى : أنني حينما وضعت هذه الخريطة لمعرفتي بإخوانى العلماء رأيت أن أقدم الجزء الأول : فالأخ (جيمس) كان مهذبا حينما عرض الأسئلة الإسلامية أولا .. ولكننا كنا أكثر موضوعية حينما قدمنا الأسئلة المسيحية أولا ، لأن الموضوعات المسيحية يجب أن تكون سابقة ، حتى إذا ما فرغنا من دراسة الأسئلة الموجهة حول الديانة المسيحية ظهر لنا سؤال جديد : فإما أن نحصل من نتاج هذه المناقشات التى أرجو أن تكون واضحة وصريحة وجلية وبصدر مفتوح ، وبتفكير عالى الصوت لا يخاف ولا يجبن ، وإنما يناقش ويهاجم كما يشاء ، وكما يحب ، فالحق لا يخاف ولا يستخذى ولا يغضب ، بل الحق يؤمن بالنوافذ المفتوحة على النور .

النقطة الثانيـــة : هى ما الذى سيعرضه الأخ الأستاذ أحمد في خلال حديثه ؟ أنا لا أكتفي بأن تكون الأسئلة حول هذين السؤالين .. النسخ والتحريف في الإنجيل كيف تم ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصل الإنجيل ؟ وإنما هناك أسئلة أيضا تضاف إلى هذا السؤال وينبغى للأستاذ أحمد أن يهتم بها اهتماماً بالغاً ...

من هذه الأسئلة مثلا :

ـ أين هو إنجيل المسيح ؟ وهل نزل على المسيح عليه السلام إنجيل واحد أو عدة أناجيل ؟ والتعداد القديم للأناجيل ، والذى انتهى بها إلى السبعين فما فوق السبعين ، كيف تم هذا التعداد وأين هذه الأناجيل السبعون ؟ وكيف انتهى مصيرها من خلال المجامع التي انعقدت مجمعا تلو مجمع ؟ وهذه الأناجيل الأربعة هل هي من كلام المسيح أم من كلام التلاميذ ؟ وهل هذه الأناجيل متفقة فيما بينها أم أنها اختلفت ؟ وفيم اختلفت ؟ ولماذا اختلفت ؟ وأرجو أن تكون إجاباته محددة وأرجو أن تكون الإجابات ذات وثائق ؟ ولا أحب أن تكون الوثائق إسلامية بحال من الأحوال . إنما أريد أن تكون الوثائق نصوصا من الكتاب المقدس أو نقولاً عن الشراح المسيحيين أنفسهم حتى يستريح العقل ويطمئن الضمير .

كذلك فإننا نريد أن ننظر نظرات فاحصة في وجوه الأناجيل إنجيلا إنجيلا .. ثم ننظر هل بين الإنجيل الواحد تناقضات معينة ؟ والأناجيل الجديدة كإنجيل يوحنا .. ما هو الموقف منه ؟ ثم الإضافات التي أضيفت بدءً من (بولس) وهى رسائل (بولس) أو ما تسمى بأعمال الرسل وغير ذلك ، ما هو الموقف منها ، كل هذه الدراسات وهى كما ترون عبء ثقيل نضعه بين يدى الأستاذ أحمد عبد الوهاب .

لدى أقلام ولدى أوراق .. متاحة للكل : مسلمين وغير مسلمين .. وإن كنت أرى أن الذين يجلسون بين يدى جميعا إنما هم مسلمون غير أن البعض قد علق بذهنه بعض الشكوك ، فهو جاء مجاهدا في سبيل تجلية هذه الشكوك والوصول إلى حقائق .

بين يديكم أوراق وأقلام لمن شاء منكم أن يسجل ملاحظات على كلام الأستاذ أحمد ، فكلامه ليس مقدساً ، وإنما هو كلام علمي ، والكلام العلمي يخضع للمناقشة ، فكلامه خاضع للمناقشة ، وأرجو أن يكون الكل قادراً على مناقشته بصراحة وبقوة حتى نصل إلى حقائق ثابتة ، والله يوفقنا جميعا لما فيه رضاه ، ويهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فإنه لا يهدى إلى الحق إلا هو ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلا وأن يرزقنا اجتنابه ، وأترككم مع الأستاذ الفاضل ، الأستاذ أحمد عبد الوهاب .

بسم الله الواحد الأحد .. أرحب بكم جميعا ، وخاصة الإخوة الذين تقدموا إلينا بأسئلة واستفسارات عما في المسيحية والإسلام من أمور يُتفق عليها وأخرى يختلف فيها ، ولا تزال موضع جدل بين المسيحيين والمسلمين . والسؤال البديهى في مثل هذا اللقاء هو « من أين يستقي الناس عقائدهم ؟ » .

من المتفق عليه أن العقائد الدينية تستقى من الكتب المقدسة من أجل ذلك فإن الموقف يقضى بدراسة الكتب المقدسة · وأولا قبل أن نناقش العقائد المستخرجة منها ، لاشك أن من أهم الدراسات لتلك الكتب هي الدراسات التى يقوم بها علماء تلك الديانة ·· وهذا ما سوف أقوم به ، أي أنني سأعرض خلاصة مركزة لبعض دراسات علماء المسيحية المشهورين وأغلبهم من المعاصرين حاليا ودراسات في أسفارها المقدسة ·

إن كثيرا من دراسات علماء المسيحية للأسفار المقدسة أصبحت تجعل صورة المسيح أكثر اقترابا مع حقيقته التى حددها القرآن الكريم ، وفي هذا المقام اقتطف الآتى من كتاب هام اشترك في تأليفه سبعة من علماء المسيحية ، وصدر في لندن في السبعينات (١٩٧٧) بعنوان « اسطورة الإله المتجرد » وجاء فيه :

« إن المعارف الإنسانية مستمرة في النمو بمعدل متزايد ، كما أن الضغط على المسيحية يقوى أبداً بما يجعلها تكيف نفسها لتصنع شيئا يمكن الإيمان به ، إيمان أهل الفكر الواعي والإخلاص ، أولئك الذين جذبتهم إليها بعمق شخصية « يسوع » وما تلقيه تعاليمه من أضواء على معنى حياة الإنسان · إن المشتركين في هذا الكتاب مُقتنعون أن تطوراً لاهوتيا آخر لا بد منه في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين وتنبع الحاجة إليه من تطور معرفتنا لمصادر المسيحية ، ويتضمن ذلك اعترافاً ان (يسوع) كان كما يقدمه لنا سفر « أعمال الرسل » الإصحاح الثاني العدد ٢٢،٢١ ، وهو يقصد ما قاله بطرس : « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون » رجل قد تبرهن من قبل الله لأداء دور معين خلال هدف إلهي ·· وأن التصور الذي لحق به أخيراً باعتباره الإله المتجرد والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس الذي عاش حياة البشر ، **إن كل ذلك إلا أسلوب أسطورى وشاعرى للتعبير عما يعنيه بالنسبة لنا ان هذا الاعتراف أصبح لازما لصالح الحقيقة ، ولنقلها الآن إن ما نأمل فيه هو تنقية الحديث عن « الله » وعن « يسوع » من الخلط وبذلك يتحرر الناس لخدمة « الله » في طريق المسيحية باستقامة وكمال** » ·

هذه فقرة ، خلاصة أو مقدمة ، للكتاب الذى ألفه سبعة من كبار علماء المسيحية المعاصرين ·

والآن أعرض خلاصة لبعض ما انتهى إليه علماء المسيحية في دراستهم للأسفار المقدسة

تحت عنوان « حديث عن أسفار العهد الجديد » يماثل تماماً التقرير الذي يتلقاه من يهمه الأمر من إحدى اللجان المتخصصة التي شكلت لدراسة مشكلة أو موضوع معين ، وهو ما يناسب مثل هذا اللقاء الذى نعقده الآن ، والذى لا يستغرق سوى فترة زمنية محدودة تقدر بالساعات أو بعدد من الأيام ·

بعد ذلك أعرض حديثا بعنوان « نظرة في أسفار العهد الجديد » يسمح لكل قارىء مهما كانت ثقافته أن يطلع بنفسه على حقيقة ما في هذه الأسفار ، وعلى الأسباب التى جعلت كثيرا من علماء المسيحية يقررون ما سبق أن عرضناه عند الحديث عن أسفار العهد الجديد ، وبهذا تكتمل الصورة اليقينية لكل باحث عن الحقيقة ، ومن حقه أن يطلب ذلك ، وأن لسان حال الإنسان الصادق مع نفسه دائما يقول : أريد أن أعرف ، وأن أتدبر ، وأن أتحقق ، ليطمئن قلبى ·

إذن أيها السادة : النقاط المختصرة التى سأقرأها حاليا لا تمثل كلام مسلم في المسيحية ، إنما تمثل خلاصة كلام علماء المسيحية ، أما حديث المسلم فيكون في النهاية حين نصل إلى تعليق أو توضيح أو رأي ·

« إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم ، وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية فقد كان يُنظر إليها جميعا باعتبارها إضافات أو ملحقا لأسفار الناموس والأنبياء ، وكانت تقرأ أسبوعيا في المعبد اليهودى والكنيسة المسيحية ·

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة · في فترة المائة والخمسين عاما الأخيرة تحقق العلماء من أن الأناجيل الثلاثة الأولى تختلف عن إنجيل يوحنا أسلوبا ومضمونا · إن إنجيل يوحنا يختلف اختلافا بيناً عن الثلاثة المتشابهة الأولى ، فهو لا يذكر أى شيء عن رواية الميلاد ، وبالنسبة للروايات الأخرى فإنه توجد اختلافات في الزمان والمكان ، إذا قورنت بنظيرتها في الأناجيل المتشابهة ، إن التاريخ المضبوط الذى تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد » ، هذه فقرات من كتاب « برايتى » وهو ألمانى ·

إن هناك مشكلة هامة وصعبة ، تنجم عن التناقض الذى يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة ، إن الاختلاف عظيم لدرجة أنه لو قوبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقا بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا ·

« ليس لدينا أية معرفة مؤكدة بالنسبة للكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك » · وبالنسبة لموضوع التحريف وإدخال كلمات في النص ، فإننا نقرأ الآتى :

« أما موقف الأناجيل فعلى العكس من رسائل (بولس) إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها » (١) ·

إن نصوص جميع المخطوطات في العهد الجديد تختلف اختلافا كبيرا ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ ، ومهما كان الناسخ حى الضمير فإنه ارتكب أخطاء ، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية · إن أغلب النسْخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المثقفين الذين لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة ·

نذهب الآن لدراسة الصورة العامة للأناجيـــل :

وهذا الذى أقوله ليس قولى :

« إن القول بأن « متى » « ولوقا » استخدما إنجيل « مرقس » أصبح على وجه العموم مسلما به ، ولكن بجانب إنجيل « مرقس » فلا بد أنهما استخدما وثيقة أخرى يشار اليها الآن بالحرف (Q) الذى يرمز لكلمة « المصدر » كما استخرجت من الكلمة الألمانية التي تعطى هذا المعنى ·

بالنسبة لإنجيل « مرقس » يقول « هارجارد » حوالى عام ١٣٥ « في الواقع أن مرقس الذى كان ترجمانا « لبطرس » قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال « يسوع » وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام ، ولقد حدث ذلك لأن مرقس » لم يكن قد سمع « يسوع » ولا كان تابعاً شخصيا له ، لكنه في مرحلة متأخرة قد تبع « بطرس » ، ويتفق مع (قول باباياس) هذا ما اقترفه « أرمنيوس » في قوله : « بعد موت بطرس وبولس فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس ، لم يوجد أحد بهذا الاسم ـ اسم مرقس ـ عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة « بيسوع » أو كانت له شهرة خاصة بالكنيسة الأولى ·· ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأن يوحنا هو مرقس المذكور في « أعمال الرسل » ١٢/٢٥ ، أو أنه

---

(١) دائـرة المعـارف البريطانيـــة ·

مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى ٥/١٣ أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس (في ٤/١٠) لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط بما ورد ذكره في العهد الجديد إنما ترجع جميعها لشخص واحد له هذا الاسم . ولكن عندما نتذكر أن اسم « مرقس » كان أشهر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الامبراطورية الرومانية ، عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة .

بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ، فإنه غالبا ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ٦٥ ـ ٧٥ ميلادية ، وغالبا ٦٥ أو ٦٦ ، ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م وأما عن مكان الكتابة ، فإن المأثورات المسيحية الأولى لا تسعفنا ، فإن كلمات السكندري ، وأورجين يقولان : ربما « روما » وأحيانا يقول آخرون : « مصر » ، وفي غياب أي تحديد واضح تمدنا به المأثورات لمعرفة مكان الكتابة ، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به ، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل « انطاكية » ، ولكن « روما » كانت الأكثر احتمالا .

تعليق :

لذلك يتضح أن أحداً لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، كذلك فإن أحدا لا يعرف بالضبط من أين جاء هذا الإنجيل .

مشاكل إنجيل مرقس :

يتخذ العلماء كلمة « مشاكل » للتعبير المهذب عن التناقضات والاختلافات التي توجد في الكتب المقدسة ، فبدلا من هذا العنوان يقولون : مشاكل الإنجيل .

من مشاكل إنجيل مرقس : اختلاف النسخ على مر السنين ولقد أدى ذلك إلى أنه ـ حسب النص ـ (ظهرت تغييرات تعذر اجتنابها ، سواء بقصد أو بدون قصد ، ومن بين هذه المخطوطات أو النسخ التى عملت باليد من إنجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن فإننا لانجد أى نسختين تتفقان تماماً ، كذلك من مشاكل إنجيل مرقس خاتمة هذا الإنجيل ، تلك الأعداد من ٩ إلى ٢٠ التي تتحدث عن ظهور المسيح وعن تعليم التلاميذ ، لتذكير العالم (بالآب ـ الابن ـ الروح القدس) هذه تعتبر إلحاقية أضيفت فيما بعد بحوالى مائة وعشر من السنين ، لم تظهر أول مرة إلا حوالى سنة ١٨٠ م .

ننتقل الآن إلى الحديث عن إنجيل (مَتّى) لا يزال من الواضح أن كلاً من بولس

ومتى المبشر اليهودى له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق بأعمال يسوع ، أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول بأنه كتب حوالى الفترة من ٨٥ ـ ١٠٥ م وعلى أية حال يمكن القول بأنه كتب في الربع الأخير من القرن الأول أى في السنوات الأولى من القرن الثاني وفيما يتعلق بمكان تأليفه فإن شواهد قوية تشير إلى أنطاكية ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة فمن المناسب أن نقول إنه يأتى من مكان ما في المنطقة المحيطة بها أو في مكان ما يقع في شمال فلسطين ٠

مشـــاكل إنجيل متى :

توقع نهاية العالم سريعاً ، والآن هذه الفكرة قد سيطرت على تفكير مؤلفى العهد الجديد إلا أن (مَتَّى) كان أكثرهم حرصاً على تأكيد ذلك ، فقد توقع أن تأتي نهاية العالم في أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد أكملوا التبشير في مدن إسرائيل ـ إصحاح عشرة عدد ثلاثة وعشرين ـ وقبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه ، (إصحاح ستة عشر عدد ثمانية وعشرين) وقبل أن يكون ملك الجيل الذي عاصر المسيح وتلاميذه قد تم ، (إصحاح أربعة وعشرون عدد ٣٤) ومن الواضح كما يقول (جون كونتن) أن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه (مَتَّى) ثم تأتى خاتمة الإنجيل التى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة وهي تنسب إلى المسيح قوله لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والا بن والروح القدس ـ إصحاح ٢٨ عدد ١٩ ـ ويرجع هذا الشك كما يقول ـ آبل هارمك ـ وهو من أكبر علماء المسيحية ـ إلى الآتى : لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية مايتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أبقى من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا ، إن صيحة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عهد الرسل ، وهو الشيء الذي كان حقيقة جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً ٠

إنجيـــــل لوقـــــــا :

نبدأ بالمقدمة التى ألقت كثيراً من الضوء على ما كان يحدث صدر المسيحية وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، فهو يقول : ـ اذا كان الكثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدام للكلمة ، رأيت أنا أيضا ، اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بترتيب أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز (جافينوس) لتعرف صحة الكلام الذى علمته من هذه المقدمة تتضح جملة أمور لا بد من التسليم بها ٠

إن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى جافينوس ، وإن هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما تتوفر له إمكانية الكتابة من وقت ومعلومات وإن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصي بحت بغية أن تصل المعلومات التى علم بها إلى صديقه . ولم يدع الرجل في رسالته أنه كتبها بإلهام ، أو مصوغة من الروح القدس ، بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي ، لأنه تتبع كل شيء من الأول بتدقيق . كذلك يقرر لوقا أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل وأخيراً يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن فى تلاميذه لكنه كتب رسالته بناء على المعلومات التى استلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا في خدمته ، ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل وهو أطول أسفار العهد الجديد هو الجزء الثانى من رسالة لوقا لجافينوس ، ولقد حاول العلماء معرفة جافينوس هذا ، ولكن جهودهم لم تصل إلى نتيجة محددة يقول فردريك براون لم يخبر بمن يكون جافينوس هذا ، قد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً كذلك لم يخطر بأولئك الكثيرين الذين أخذوا في تأليف قصة مماثلة . برغم أن الموضوع لا يتعدى مجرد احتمالات غير مؤكدة ، فليس من المتعذر أن يكون مؤلف إنجيل لوقا قد جمع مادة في فلسطين أو سورية مبكراً في الفترة من ٧٠ ـ ٨٠ م ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقس في وقت ما من السبعينات ، ثم أصدر إنجيله حوالى عام ٨٠ أو ٨٥ م وذلك بعد حوالى ٥ سنوات فإنه ذيل كتابه الأصلى برسالة ثانية نعرفها الآن باسم أعمال الرسل ، ثم نشر مصنفه في حوالى ٩٥ م .

من أقـــوال العلماء في إنجيل لوقـــا :

إن سفر أعمال الرسل يوجد فيه كثير من النقاط التى تتعارض تعارضاً تاماً مع التعاليم المذكورة في رسائل بولس ومن غير المعقول أن هذه قد سطرها شخص له معرفة ببولس ، ورحلاته التبشيرية ، من الواجب ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ في القرن الأول للمسيحية .

مشاكل إنجيـــل لوقـــــا :

يعانى نص إنجيل لوقا من التغييرات التى تعانى منها الكتب الأخرى في العهد الجديد ، إلا أن النص العربى للإنجيل وسفر أعمال الرسل يعانى من اختلافات مثيرة ، بالإضافة أو الحذف ، ثم هناك المشكلة الحادة التى نتجت عن اختلاف نسب المسيح كما ذكره لوقا ، عما جاء في نظيره إنجيل (مَتّى) وفي أسفار العهد القديم ، وهذه واحدة من مشاكل الأناجيل سوف نبحثهما فيما بعد .

إنجيـــل يوحنـــــــا :

حسب أقوال العلماء ، لقد كان من المعتقد لفترة طويلة أن يوحنا كان على بينة من وجود الخلافات السابقة وأنه قد كتب ليكملها أو ليصححها في حالة أو حالتين ، فقد جرى القول بأن حادثة تطوير الهيكل على سبيل المثال قد وضعها يوحنا عمداً في بداية بعثة يسوع لأنه حسبما تذكرها يوحنا الذي تقدمت به السنون كان ذلك موضعه .

كذلك لأنه صحح تاريخ الصلب حيث وضعه عشية الفصح وهو اليوم الذي تذبح فيه خراف الفصح ومن ناحية أخرى فإن لقب (ابن الانسان) الذي لم يستعمله بولس قط قد أبقى عليه يوحنا ، من هو يوحنا ؟؟ .

لقد كان يوحنا مسيحيا وبجانب ذلك إنه كان أردنياً ومن المحتمل أن لا يكون يهودياً ولكنه شرقي أو إغريقي ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في أنطاكية أو الاسكندرية أو حتى روما فإن كلًا من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد ويقول (جون مارك) في مقدمة ترتيبه لانجيل يوحنا تحت عنوان (استحالة التوقيف) حينما نأتى لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التى تتعلق بالإنجيل الرابع ، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة بالتعريف بالإنجيل وكاتبه يمكن إيجاد حل لها ، من كان هذا ال (يوحنا) الذي قيل إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ .

من الصعب بل من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا ، ويعتقد كاتب هذه السطور أى (جون مارك) أنه ليس من المستحيل الاعتقاد أنه خلال السنوات العشرة الأخيرة من القرن الأول الميلادى قام شخص يدعى (يوحنا) من الممكن أن يكون يوحنا مرقس ـ وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة التي كانت تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان .

مشاكل إنجيـــل يوحنـــــــا :

تقول دائرة المعارف الأمريكية : يوجد ذلك التضارب الصارخ بينه وبين الأناجيل المتشابهة ، فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس بالتسلسل التاريخى للأحداث ، وتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسى لرسالة يسوع ، بينما يقرر أنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية

كانت المركز الرئيسى وهناك مشكلة في الإصحاح الأخير رقم ٢١ من الإنجيل : إن القارىء العادي يستطيع أن يرى أن الإنجيل ينتهى بنهاية الإصحاح العشرين الذي يقول : (وأن هذه فقد قيلت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة بكر) ٠

إن هذا الإعلان يبين بوضوح الغرض الذى كتب من أجله هذا الكتاب ، بعد ذلك يأتى الإصحاح الأخير الذى أخبرنا أن يسوع ظهر (كرب) أقيم من الأموات إلى خمسة تلاميذ وأنه قال لبطرس : ارع خرافي !! وكذلك تعليق مبهم يقول : هذا هو التلميذ الذى جاء عن طريق الجماعة التى تشير لنفسها بكلمة « نحن نعلم » وفي حقيقة الأمر فإن هؤلاء يصعب تحديدهم ، وقد ظهر شيء من التآلف بين إنجيل « لوقا » وإنجيل « يوحنا » مما ساعد على ظهور نظرية تقول بأن يوحنا استخدم إنجيل لوقا كأحد مصادره ، إلا أن هذه النظرية موضع معارضة بسبب الاختلاف الواضح بين الإنجيلين في المواضع المشتركة بينهما ٠ فكلا الإنجيلين يتحدث عن بطرس وصيد السمك ، لكن أحدهما « لوقا » يضع القصة مبكرا في رسالة يسوع في الجليل أما الآخر « يوحنا » فيضعها بعد قيامته من الأموات (لوقا : إصحاح ٥ أعداد ١١٨ ، يوحنا : إصحاح ٢١ أعداد ١٤٨) ٠

وكلاهما يتحدث بلغة مشتركة عن كيفية مس يسوع بالطيب من امرأة ، لكنها في أحدهما « لوقا » كانت زانية في بيت شريف ، بينما في الآخر « يوحنا » كانت امرأة صديقة ليسوع ، وأن ذلك حدث في بيتها ٠

تعليق :

التعليق بعد هذه الخلاصة الذي أقوله ، والذي أعتقد أي مستمع يمكن أن يقوله ، أتصوره كالآتى :

إن النتيجة التي لامفر من التسليم بها كما بينتها هذه الخلاصة أن الأناجيل القانونية ما هي إلا كتب مؤلفة بكل معنى الكلمة ، وهى تبعا لذلك معرضة للصواب والخطأ ، لا يمكن الادعاء ولو للحظة واحدة أنها كتبت بإلهام ، كتبها أناس مجهولون في أماكن غير معلومة وفي تواريخ غير مؤكدة ، والشىء المؤكد الذي يلحظه القارىء البسيط هو أن هذه الأناجيل مختلفة وغير متآلفة ، بل إنها متناقضة مع نفسها ومع حقائق العالم الخارجي ٠

إن هذا القول قد يضايق المسيحي العادى بل إنه قد يصدمه ، لكن العالم المسيحي المدقق أصبح هذا القول الذي يعنى وجود أخطاء في أسفار الكتاب المقدس حقيقة مسلماً بها ، إن الكنيسة الكاثوليكية التى تتمسك بشدة بعقيدة الإلهام التى تأكد القول بها في مجمع

الفاتيكان الذي عقد عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ م ٠ والذي تقرر فيه أن الكتب القانونية لكل من العهدين القديم والجديد ، قد كتبت بإلهام من الروح القدس ، وقد أعطيت هذا للكنيسة ٠٠ لكنها عادت الآن بعد نحو قرن من الزمان لتواجه الحقائق وتعترف بها ، فلقد بحث المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان الذى عقد في الفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م ـ المشكلة التى تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص أسفار العهد القديم وقدمت له خمس صور مقترحة استغرق بحثها ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة وأخيرا تم قبول صيغة حظيت بالأغلبية الساحقة ، إذ صوت إلى جانبها ٢٣٤٤ عالم ضد صفر ٠٠ وقد أدرجت في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم في الفصل الرابع ص٥٣ تقول :

« بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وصفه المسيح ٠٠٠ تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو (الله) ومن هو (الإنسان) ، غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان » انتهى هذا النص ٠

إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن : كم من المؤمنين بقداسة هذه الأسفار واعتبارها تعليما إلهيا موحىً به من الله يعلم هذا الذي قررته الكنيسة بشأنها وما تحتويه من شوائب وبطلان ؟ ، ومالنا نذهب بعيدا ولدينا الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك ١٩٦٠ م وهو يقدم لأسفار موسى الخمسة بقوله : « كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه ، مما جعل المفكرين ـ كاثوليك وغيرهم ـ على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبي ، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب الأسفار الخمسة منذ قصة الخلق إلى قصة الموت كما أنه لا يكفى أن يقال إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة ٠٠ كما يقول الكتاب المقدس في تقديمه (القس راعون) ٠٠ « من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان بالبدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما ثم أضاف إليها عددا من التفاصيل يجعل الرواية أكثر حياةً ، ويعطيها قيمة أدبية ٠

وها هى كتب التفسير التي توزع هنا تعترف بتسرب أخطاء خطيرة إلى أسفار العهد الجديد ، فقد جاء في كتاب : « هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله ؟ » ص١٦٠ ما يلى :

(بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها ٠٠ مثال ذلك الإدخال الزائد في رسالة يوحنا الأولى ، الإصحاح الخامس ٠٠ فالجزء الأخير من العدد (٧) والجزء الأول من العدد (٨) يقول حسب الترجمة البروتستاتينية العربية طبع الأمريكان في بيروت : (في السماء الأب والكلمة والروح

القدس) ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد .. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة : (الروح والماء والدم) وهؤلاء الثلاثة هم في واحد ، ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد لم تشتمل أية مخطوطات يونانية على هذه الكلمات ، وترجمة مريطة العربية تحذف هذه الكلمات كليا من المتن .. والترجمة البروتستاتينية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة في المقدمة أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها) انتهى الإقتباس .

• أعتقد أن أبسط تعليق أن هذا النص الخطير الذي دخل ابتداء من القرن الثالث عشر والذي يُقتبس منه فكرة التثليث لم يكن له وجود طوال القرون السابقة ، وهذا تحريف خطير لأنه أساس العقيدة ، وهكذا نجد أن نصوصا وأفكاراً تتسرب إلى الكتابات التى اعتبرت مقدسة عبر القرون ، فكل ما يتعلق بتثليث أو ثالوث ما من شك أنه دخيل على مسيحية المسيح الحقة ، التي لا تزال لها جذور ثابتة في الأناجيل الموجودة الحالية ، ويكفي عندما يأتي العلماء لتفسير حالات المسيح الأخيرة التى يقول فيها « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » يقولون إن هذا توحيد صرف .

وهذا الكلام معناه باللغة العربية المتداولة « لا إله الا الله المسيح رسول الله » . ومن هذه النقاط يمكن أن تلتقى المسيحية مع الإسلام وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنت الإله وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » .... وفي فقرات أخرى في نقاش آخر مع الإسرائليين كان قوله « اسمع يا إسرائيل .. الرب إلهنا رب واحد » وهذه فقرة تشير إلى مافي أسفار العهد القديم .

وعندما تقدم إليه إسرائيلى يسأله : « أيها المعلم الصالح .. ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ . ماذا قال المسيح ... لم يقل له افعل كذا أو كذا . ولكنه أولا نفى الصلاح عن نفسه .. وقال الآتى : كيف تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله . بعد ذلك بدأ المسيح يعلمه ، ماجاء في أسفار العهد القديم وما دعى إليه وهو التوحيد في العقيدة والتمسك بشريعة موسى .

بهذا انتهى من الكلام عن أسفار العهد القديم .

بعد ذلك ندخل في الحديث عن أسفار العهد الجديد حيث يستطيع كل واحد ، مهما أوتي حظا من الثقافة والعلم أن يتأكد من صحة هذا الكلام .

الدكتور محمد جميل غازى : بعد هذا الجزء النظري .. نريد جزءً تطبيقياً بمعنى أن نستخرج بعض وجوه التناقض في روايات الأناجيل ... وبعض وجوه التناقض في

الرواية الإنجيلية الواحدة .. يعنى مثلا هل هناك تناقض في روايات إنجيل متىّ مع بعضها ؟ وهل هناك تناقض في روايات الأناجيل بعضها مع بعض ؟ . نرجو نماذج تطبيقية تكون واضحة .

بعد هذا العرض ... نعرف أن هناك تناقضات فيما بينها ، وانها غير موثقة وأن رواتها مجاهيل وأنها تفقد السند .. كل هذا الكلام قاله .. وقد نقلها عن الرواة الأجانب .. وختم كلامه في الرواية بما اتفق عليه المجمع المسكونى برئاسة البابا وقرروا بالإجماع أن هذه الأناجيل دخلت عليها أشياء دخيلة .

نريد أن نعرف النصوص التطبيقية ونحكم فيها عقولنا ، ونحكم فيها المراجعات بين نسخ الأناجيل المختلفة ومعنا والحمد لله نسخ من الأناجيل مختلفة فنرى ما الذى تقوله الأناجيل وتتناقض فيه وتتضارب فيه أو تلتقى عنده ونرى الإنجيل الواحد كإنجيل متى أو لوقا أو يوحنا .. نرى ماهى وجوه الخلاف بينها هذه ستوضح في الأسلوب التطبيقى الذى سيوضحه الآن :

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

نبدأ بالمشكلة الأولى التى أسميتها « الاختلاف الكثير » حيث يوجد اختلاف كثير بين الأناجيل الواحد والآخر .. واختلاف داخل الإنجيل نفسه وطبعا في أى دراسة تحكمنا القاعدة الأساسية التى لا بد أن يقبلها الكل « لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

النقطـــــة الأولى :

اختلف متى ولوقا في نسب المسيح فجعله متى يأتى من نسل سليمان بن داود حيث جاء يوسف خطيب مريم في الجيل رقم ٢٧ باعتبار داود الجيل رقم ١ . لكن لوقا جعله يأتى من نسل « ناسان » بن داود ابن أخ لداود حيث جاء يوسف في الجيل رقم (٤٢) باعتبار أن داود في الجيل رقم ١ .

كيف عرف العلماء ذلك ؟ وضعوا جدولا ... ووضعوا فيه أقوال كل من (متى) (ولوقا) .. وقارنوا المجموعتين مع بعض ..

أقترح أخذ فكرة عن الجدول لعمل مثله في البيت .. ونستطيع كل واحد أن يعمل مثله في البيت نعمل عمود في الوسط وهو أهم عمود ونكتب قوله سفر أخبار الأيام وعن يمينه

إنجيل متى وعن يساره إنجيل لوقا ونبدأ من (داود) طبعا الاخوة المسلمين ربما يستغربوا من فكرة نسب المسيح .. فقد جرت العادة في التعاليم المسيحية أن يوسف النجار كان خطيب مريم وبعد أن حملت من الروح القدس فكر أن يتركها وبعد ذلك عرف أن الحمل مبارك من الروح القدس فبقى معها .. المهم أن كلا الإنجيلين ينسب المسيح كنبوة ليوسف .. يقول هو ابن يوسف .. ابن كذا .. الخ .

نجد الآتى .. أن الخلاف الرئيسى أن متى جعل نسب المسيح من نسل سليمان بن داود .. ولكن لوقا نسبه إلى ناسان بن داود .. .

نمره ٢ : في تسلسل هذه الأنساب .. نجد أن بالاعتماد على أخبار الأيام الأول نجد أن (متى) أسقط مجموعة من الناس في الطريق .

نمره ٣ : أن متى أخطأ مع نفسه عندما قال جميع الأجيال من إبراهيم إلى داود (١٤) جيلاً ، ومن داود إلى .... (١٤) جيلا ومن ... إلى يوسف (١٤) .... وجدنا أن الأخيرين ١٣ وليس ١٤ جيلا .

فيمكن تلخيص هذا الاختلاف بناء على هذه المسلسلات ... نص ذكره نور ترثون في تفسيره لإنجيل متى ... أن يشير متى إلى أنه في كل من العقود الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلا رغم أنه في الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسما في الجيل الأخير ابتداء من الأصحاح الأول عدد ١٢ ـ ١٦ .

وفي منتصف قائمة لوقا نجد هذه الأسماء يوحنا بن ريسا بن برمبال لكن يوحنا هى صيغة أخرى لاسم حنانيا أن هذا الشخص ريسا لم يذكر البتة في سفر أخبار الأيام الأول . لكن ريسا هى كلمة آرامية تعنى أمير .

أن الخطأ الذى لحق بقائمة لوقا يمكن إرجاعه إلى أن القائمة الأصلية التى نقل عنها كانت مصنفة بترتيب عكسى هكذا (برمبال الأمير ولد يوحنا) هذا كلام نورترثون في ترتيبه لانجيل « متى » وخلاصة القول في نسب المسيح أننا اذا اعتبرنا سفر أخبار الأيام الأول هو المرجع الرئيسى لانساب الآباء وقد أخطأ « متى » في سلسلة نسب المسيح حين أسقط منها في الواقع خمسة أسماء المسلسلات ٩و١٠و١١و١٨و٢١ . وأخطأ لوقا حين أضاف ريسا المسلسل رقم ٢٤ بين برمبال ويوحنا ـ اختلف « لوقا » مع (متى) اختلافاً جوهرياً حين جعل يوسف خطيب مريم ينحدر من نسل (ناسان بن داود) بينما جعله (متى) ينحدر من نسل (سليمان بن داود) .

ونتيجة لهذا الاختلاف صارت الأجيال ١٤٠ جيلا حسب إنجيل لوقا ، ٢٣ جيلا حسب إنجيل متّى ·

وقد قدم مدير الندوة الاستاذ ابراهيم خليل أحمد ليتحدث عن هذه القضية حيث حققها وهى ما تتعلق بالنداءات الموجهة في الإنجيل أو نسب المسيح إلى داود ، ويثبت بطلان نسب المسيح إلى داود أساساً وأن نسبه إلى هارون لا إلى داود وأنه من سبط اللاويين ولا علاقة له بداود على الإطلاق :

الاستاذ ابراهيم خليل أحمد :

قال إن الحقيقة أن المعلومات التى سأقولها هى من الكتاب المقدس ومن القرآن الكريم فقد جاء في الكتاب المقدس في نصوص أناجيل (متى) (ولوقا) عندما دخل المسيح إلى أورشليم بدخول ابن قصارم ··· هلل الأولاد وقالوا : وصلنا مبارك الآتى باسم الرب مبارك بن داود ···

المقصود هنا من كلمة ابن داود أن يرجعوا بنسب المسيح إلى سبط يهوذا الذى منه داود الملك ، لكن في الحقيقة أريد أن أقول : ـ أن مرقس يختلف في هذه المسألة وإليكم النص في إنجيل مرقس : « ثم أجاب يسوع وقال : وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة أن المسيح ابن داود لأن داود نفسه قال : يابن الروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطأً لقدميك » الإصحاح ١٢ عدد ٣٥ ـ ٣٧ ·

فداود نفسه يدعوه رباً فمن أين هو ابنه ؟ وكان الجمع الكثير يسمعه · في مرقس هنا تيقن أن المسيح بن داود ·

عندما نأتى لنحقق ذلك في القرآن الكريم في سورة مريم ·

« يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سَوْء وما كانت أمكَ بغياً) معنى ذلك أن القرآن ينسبها إلى سيدنا هارون أخو موسى · وموسى وهارون من سبط اللاوى ·· وسبط لاوى هذا هم سدنة الهيكل · ومريم العذراء كانت المريم البتول التى عاشت في قدس الأقداس مع زكريا وهى أيضاً من سبط لاوى · فالمسيح نسب إلى أمه لأنه من سبط لاوى ولم يكن على الاطلاق من سبط داود الذى منه يوسف خطيب مريم ·

الفكرة من محاولة نسب المسيح لداود أن يلبسوا المسيح ثوب داود الملك على اعتبار أنه جاء ملك مخلص لبنى إسرائيل ويعيد مملكة إسرائيل التى هى مملكة داود ·

خلاصة الكلام أن المسيح نادى بغير ماكان يتصور بنو إسرائيل نادى بملكوت الله · وهم كانوا ينتظرون مسيحاً ملكاً يحررهم ويخلصهم من نير الرومانيين ·

مدير الندوة :

من غير المعقول أن ننسب المسيح إلى شخص لا علاقة له به بالمرة وهو يوسف النجار ـ فيوسف النجار عبارة عن خطيب لأمه · فإذا نسبنا المسيح في سلسلة نسب يوسف فهذا لا يقره عقل ولا خلق مع المسيح عليه السلام · إنما ينسب إلى أمه ثم إلى نسبه الذى ينتهى كما رأيتم إلى سبط اللاويين وليس إلى سبط يهوذا كما ينادى دائما يا بن داود لأنه ليس ا بن داود ، وإنما هو من سبط اللاويين ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب : ـ

قال : نأتى بعد ذلك إلى اختلاف كتبة الأناجيل في أسماء التلاميذ من المعروف أن المسيح كان له اثنا عشر تلميذاً · فاختلف (متى) (ومرقس) من جانب مع (لوقا) و (يوحنا) من جانب آخر في أسماء التلاميذ · فقد أورد الأخيران اثنين (يهوذا) : يهوذا الاسخريوطى ، ويهوذا بن يعقوب ولم يظهر (يهوذا بن يعقوب) في قائمة كل من (متى) (ولوقا) ·

وهنا يعلق (جون كيك) في تفسيره لإنجيل (لوقا) (عندما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ ·

أن (يهوذا بن يعقوب) لا يظهر في القائمة المذكورة في إنجيل كل من (متى) و (مرقس) · بينما شغل مكانه ميثاوس ·

تعليق : ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) ظهر تحت شمس التاريخ والصحابة كانوا بين مائة ألف ومائة وأربعة عشر ألفاً وعرضت وعرفت أسماؤهم وأنسابهم · فهل يعقل أن نجهل اثنى عشر تلميذاً ؟ · هذا هو الواقع ·

مدير الندوة :

قال : نريد أن نعرف الأسلوب الذى يمكن أن يتكلم به إله مع شجرة · فالإنجيل يقول : ـ ان المسيح ذهب إلى الشجرة ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

قال هناك نص آخر : في الإصحاح رقم ١٢ قبل متى « ودخل يسوع إلى هيكل الله

وأخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيالهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتى · بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ·

وتقدم إليه عمىٌ وعرجُ في الهيكل فسقاهم · فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون : ـ أوصلنا يا بن داود ··· » وقالوا له : تسمع ما يقول هؤلاء فقال له يسوع نعم · أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع إياك تسبيحاً قم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عمه وبات هناك وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط ـ فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة إلى الأبد » حادثة شجرة التينة حدثت بعد عودته من تطهير الهيكل ·

وفي إنجيل (مرقس) إصحاح ١١ عدد ١٢ ·

« وفي الغد لما خرج من بيت عمه جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين فذهب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد · وكان تلاميذه يسمعون وجاءوا إلى أورشليم ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلّب موائد الصيارفة والكراسى وباعة الحمام ولم يدع أحدا يجتاز الهيكل بالمساء وكان يعلم قائلاً بيتى بيت للصلاة والدعاء لجميع الأمم وأنتم جعلتوه مغارة اللصوص ، وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بُهت الجمع كله من تعليمه ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة ·

تعليق مدير الندوة :

فالروايتان مختلفتان · وقد صور يسوع وهو ما يسمى الرب بأنه جائع ـ وهل الرب يجوع ؟ ويجهل أن الوقت وقت تين ـ فكيف يكون خالق الشجرة جاهلا متى تثمر فيكون علمه أقل من علم الفلاح العادى ـ ثم يلعن الشجرة ـ وكان منطق الشجرة أن تقول له لم تلعننى وقد خلقتنى دون ثمر ؟

الأستاذ أحمد عبد الوهاب قال :

نأتى بعد ذلك إلى موضوع (يوحنا المعمدان) و (المسيح) والمعروف فى الإسلام يحيى بن زكريا ·

(من المعلوم فى المسيحية والإسلام أن يحيى بن زكريا (المعمدان) والمسيح بن مريم أقرباء تربوا مع بعضهم فرق السن بينهم ستة شهور وعاشوا فترتهم مع بعض ثم تلقى يحيى الرسالة أولاً وجاء ليقدم المسيح لبنى اسرائيل ومعروف فى خطبة التقديم أن الناس كانوا يعتمدون منه كيف يعرفون أن يتطهروا ويتوضؤوا فى ماء الاردن فجاء المسيح يعتمد منه فقال يوحنا للمسيح أنت أعظم منى فقال له المسيح إننى لا بد أن أكمل كل بر فاعتمد منه ومنذ ذلك الوقت بعد هذا الغسيل الذى غسله يوحنا للمسيح حلَّ عليه الروح القدس أو نزل معه الملك الذى يؤيده ـ هذا ملخص القصة بتمامها ـ

اذن من الثابت أن يوحنا المعمدان كان يعرف المسيح تماماً ويعرف أنه يعرف جميع بنى اسرائيل وهو الذى سلمه هذه الرسالة ·

بعد ذلك لأسباب سياسية فى ذلك الوقت يوحنا حصل منه مقاومة لطغيان حاكم الولاية فوضعه فى السجن نجد أن أنجيل (متى) الذى كتب هذا الكلام يقول : ما ملخصه « أن يوحنا وهو فى السجن بعد أن سمع بأعمال يسوع بعث يسأله هل أنت هو الآتى ام تنتظر آخر ؟ ·

نأتى بعد ذلك لموضوع هام جداً بالنسبة لكلمة نبى :

متفق بين علماء الديانات وخصوصاً ديانات الكتب المقدسة أن أحد تعاريف النبى (هو الذى ينبىء عن الله) أو يتكلم بوحى من خالقه فالمفروض أن يكون عنده شيء يأخذه بحذر بالنسبة للغيب أو المستقبل · ومن المؤكد أن الذى يصدقه فيما حدث فى الحياة الدنيا لا بد أن يصدقه فيما وعد به فى الحياة الآخرة لكن عندما تنسب نبوة لنبى ما ويشهر النبوءة ثم تثبت الحياة الدنيا أنها لم تتحقق يبقى ماذا يكون المصير بالنسبة لهواة الحياة الآخرة ـ هذه قاعدة أعتقد أننا متفقين عليها ـ فالنسبة لموضوع النبوءات نجد الآتى :

أن السيد المسيح مع تلاميذه تنبأ لهم بأن نهاية العالم سوف تأتى فى القرن الأول الميلادى وهذا يفرض فى نفوس كثيرة من ضمنها ومن الأفضل أن نقرأ النص « دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسه وأوصاهم قائلا : أنا أرسلكم كغنم وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمائم ومتى طردوكم من مدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فان الحق أقول لكم · لتكملون مدن اسرائيل حتى يأتى إبن الإنسان » ـ (متى) اصحاح عشرة الأعداد ١ و٢٣ · أى أن عودة المسيح ثانية الى الأرض تحدث قبل أن يكمّل تلاميذه التبشير فى مدن اسرائيل وهى كذلك تحدث قبل أن يكون معاصرى المسيح الذين عاشوا فى

القرن الأول من الميلاد قد ماتوا . والنص يقول : « إن ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » (مَتْىَ) أصحاح ١٦ عدد ٢٧ و ٢٨ . وبصورة أخرى تؤكد ما سبق فان نهاية العالم وعودة المسيح ثانية الى الأرض لا بد أن تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل فى القرن الأول من الميلاد . والنص يقول :

(بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوء والنجوم تسقط من السماء وقوة الأرض تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله) .

قال العلماء أن هذه التنبوءات خاطئة ولا يمكن الدفاع عنها .

تعليـــق :

نلاحظ فى العبارة التى تقول إن ابن الانسان يأتى على السحاب . فانهم طبعا لم يروا المسيح يأتى على السحاب بل رأوه على الصليب فكونهم يشبهونه أنه يأتى على السحاب فهذا ما لم يره أحد إطلاقاً .

• ومن النبوءات التى اتفق العلماء على أنها لم تحقق ولن تتحقق يلخصها هذا النص (أن المسيح جالس مع تلاميذه فقالوا له قد تركنا الدنيا وتبعناك فماذا يكون لنا ـ وتلاميذه فيهم يهوذا الخائن ـ لأنه خان فى آخر لحظة ـ قال لهم إنكم الاثنى عشر ستجلسون معى على كراسى تدينون إسباط إسرائيل) .

• فى حوار دار بين المسيح وتلاميذه عن من تكون له النجاة فى العالم الآخر . سأل بطرس . معلمه عن أجر المؤمنين فقال : (ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فأجابه المسيح : متى جلس إبن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على إثنى عشر كرسياً تدينون إسباط إسرائيل الإثنى عشر) اصحاح ١٩ ، ٢٧ ، ٢٩ .

تعليـــق :

لقد كان يهوذا الاسخريوطى أحد التلاميذ الإثنى عشر وبعد خيانته أصبح يعرف بالهالك لأنه طرد من صحبة المسيح فى الدنيا والآخرة وبهذا استحال تحقيق هذه النبوءة واذا رجعنا الى نظير هذه الفقرة فى انجيل لوقا لوجدنا الآتى : (وهو كلام من تفسير فمتون)

(أنه حذف العدد الإثنى عشر ولعل ذلك يرجع كما يقول (فمتون) إلى أنه كان يفكر فى يهوذا الاسخريوطى) ٠

تعليـــــق :

اذن استحال تحقيق هذه النبوءة ٠

• هناك نبوءة أخرى ـ ونكتفى بها فى موضوع النبوءات ـ أن المسيح يدفن فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ٠ حاول قاضى من اليهود تعجيز المسيح فقال له : نريد منك يا معلم أن نسمع منك آية فأجاب وقال جيل شرير وفاسق يطلب آية ؟ ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى ٠ لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال يكون هكذا ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) (متى) الاصحاح ١٢ العدد ٣٨ ٠

تعليـــــق :

هذا القول جاء فى الاناجيل وذكر فى انجيل (لوقا) مع إختلاف هام يلحظه القارىء وذلك فى قوله : (هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى) لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان أيضاً لهذا الجيل ... (لوقا) اذن تخلص من تحديد ثلاثة أيام وثلاث ليال ٠

نقرأ فى سفر (يونان) من أسفار العهد القديم (أعد الرب حوتاً عظيماً ليبتلع يونان فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فصلى يونان إلى رب إله فى جوف الحوت وأمر رب الحوت فقذف يونان الى البر) اذن من الواضح لتتحقق هذه النبوءة فى المسيح حسب قولهم يجب أن ينتظر ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى يظهر ثانيةً ويقوم ٠

لكن اذا رجعنا إلى ما تذكره الاناجيل من أحداث الصلب والخيانة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة ٠ (ولما كان المساء اذ كان الاستعداد ـ أى ما قبل السبت ـ جاء يوسف ودخل إلى بلاط الحاكم وطلب جسد يسوع ٠ فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات ؟ ولما عرف من قائد المائة ... اشترى كتاناً وأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى صخرة ودحرج حجراً على باب القبر) (مرقس) اصحاح ١٥ عدد ٤٢ ٠

وقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعوه أن ذلك القبر كان خالياً من الميت فى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد ٠

وبهذا يقول انجيل (متى) (وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدليه ومريم الاخرى لتنظر القبر فأجاب الملاك وقال للمرأتين ليس هو ههنا لأنه قام كما قام) ٢٨ العدد ١ ٠

كذلك يقول انجيل (يوحنا) (وفى أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر) .

تعليـــــق :

بعملية حسابية بسيطة نجد أن الأيام التى قضاها الميت فى بطن القبر يوم وليلتان أى يوم السبت وليلة السبت والأحد . إذن لا تصح دعوى ثلاثة أيام وثلاث ليال ولذلك فقد تخلص منها (لوقا) .

مـدير النـــدوة :

نريد أن ننظر فى الذين زاروا القبر لأنه أحياناً تكون مريم المجدلية وأحياناً تكون معها مريم أم يعقوب ، وأحيانا تكون الأسماء مختلفة . ثم لماذا يذهبون إلى القبر . لماذا تذهب مريم المجدلية إلى القبر ؟ الانجيل يقول أنها إخذت (حانوت) لتحنط المسيح مع أنه من المعروف أن المسيح حُنط بخمسين كيلو حلبة . فاذا كان المسيح قد حنط بخمسين كيلو فلماذا تذهب مريم المجدلية فى اليوم الثانى وماذا تعمل ؟ ولماذا تحنطه بعد أن حنط بأكثر من نصف وزنه ؟ كيف يمكن أن يعقل هذا ؟ . أرجو أن توضح لى الأسماء التى اختلفت فيها الاناجيل .

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

سيأتى ذلك عند دراستنا لموضوع القيامة .

مـدير النـــدوة :

لا مانع لأن عندنا موضوعات عن الصلب والفداء والقيامة ستُفصل . لأن في موضوع الصلب والفداء والقيامة أربعة وثلاثين تناقضاً سنوردها ونرى هذه التناقضات ولنرى كيف قال الله سبحانه وتعالى : **(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ...)** .

قضيـــة الصلـــب :

من أكبر معجزات القرآن الكريم أنه قال أن المسيح لم يصلب الآية ١٥٧ من سورة النساء .

لكن موضوع (ابن الله) ، وهو الله ذكر فى القرآن أكثر من مرة ونفى أكثر من مرة كذلك · (**قل هو الله أحد**) تعدل ثلث القرآن · هذه قمة المعجزات · ثم موضوع الصلب ما كان ممكناً لو أن القرآن ليس من لدن حكيم خبير وأن الله لم ينزله واخترعه أحد على الأرض ما كانت هذه قصة سالفة ومعروفة فى المسيحية معناها الصليب وهذه قصة مفروغ منها ما كان ـ ليش صلبوه مش دى مشكلة ـ انما يركز على موضوع ابن الله وهو الله وعنده ما يؤيده · اليهودية تؤيد التوحيد وفلاسفة الاغريق يؤيدون التوحيد ..... ؟ والقرآن دائماً يضع الحقيقة مهما كان عدد المؤمنين بها كثيرٌ أو قليل وبما أنها قضية وما نناقشه عبارة عن قضايا ففى قاعدة بسيطة متفق عليها سواء كانت الجلسة فى البيت أو المحكمة أو مجلس الشعب أو الكونجرس · القاعدة تقول كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ·

مدير الندوة :

قال : إن الأخ (جيمس) يرفض الرد الآن ، على أساس أن يأخذ « الأشرطة » فى البيت ويدرسها مع اخوانه ، وتكون ردوده فى جلسة قادمة · لماذا ؟ لأننا نقول معلومات مدروسة بالنسبة لنا ولعلها تكون جديدة الآن · فلا أن تتاح له فرصة كما اتيحت لنا فرصة ·· وذلك ليدرس ويراجع ثم لينظر هل هذه المراجعات صحيحة أو ربما كان فيها شيء من وجهة نظره ·

كما أنه (الأخ جيمس) يعتذر عن حضور جلسة الغد · وتؤجل الجلسة إلى الأربعاء · وقد سألت الأخ جيمس فتبين أن تعليقاته ستكون بعد كل جلسة ، على أساس أن نتكلم فى جلسة ثم يرد هو فى جلسة أخرى وهذا حقه ·· وهذا مشروعه وهذا هو المعقول ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

قال : بالنسبة لقضية الصلب ·· والأحداث التى ابتدأت بها عملية محاولة الصلب حتى انتهت بتعليق واحد على الصليب ·· نرى من يكون هذا ؟ وماذا قال ؟ وماذا عمل ؟ وكيف شهدوا عليه ؟ ·· الخ ·

يمكن تقسيم ذلك إلى عدد من العناصر :

١ ـ معروف فى الأناجيل (مسح جسد المسيح بالطيب) ·

اختلف فى هذه الأناجيل تماماً ·

فلو بحثنا عن مكان الحادث ·· متى جاءت المرأة لتمسح جسده بالطيب ؟ نجد فى (مرقس) و (متى) نجد أن هذا الحادث بدأ فى بيت (سمْعَان الأبرصَ) إنجيل مرقس إصحاح ١٤ عدد ١ ـ ٨ ·

مـدير النـدوة :

قال : نرجو مراجعة النصوص الآن للتأكد من صحتها ٠

الأستاذ ابراهيم يقرأ فى الانجيل :

انجيل (مرقس) إصحاح ١٤ من عدد ١ إلى عدد ٨ ٠

وانجيل (يوحنا) إصحاح ١٢ من عدد ١ إلى ٢ ٠

نقرأ من إنجيل (مرقس) إصحاح ١٤ من عدد ١ إلى عدد ٨ ٠ (وكان الفصح وأيام الفطر بعد يومين ٠ وكان رؤساء الكهنة والكنيسة يطلبون كيف يمسكون بمقرن ، يمسكونه بمقرن ، ويقتلونه ، ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب ، وفيما هو فى بيت عمها فى بيت « سمعان الأبرص » وهو متكىء جاءت امرأة معها قارورة طيب وادين خالص كثير الثمن ٠٠ فكسرت القارورة وسكبته على رأسه وكان قوم محتاجين فى أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا ، لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء ٠

(يتبـــع)

قرية كاملة تعتنق الاســلام

اعتنق سكان قرية (ميناكشي) الاسلام بأجمعهم وأصبحت اليوم تسمي (رحمة نجر) ٠

وقد احتفل هؤلاء المسلمون الجدد بتاريخهم الجديد ، وحضر الحفل ممثلو جمعية إشاعة الاسلام ورئيس العصبة الاسلامية بالهند السيد سليمان سيته والسيد عبد الصمد عضو البرلمان والأستاذ عبد الكريم باريكه من زعماء (رسالة الانسانية) وآخرون من أساتذة الجامعة ، وفي مقدمتهم سماحة الداعية الاسلامي الكبيرالشيخ أبي الحسن الندوي ٠

الرائد الهندية

سيرة
و
نسب

موقعة اليرموك

دراسة وتحليل

لفضيلة الدكتور محمد السيد الوكيل وكيل كلية الحديث بالجامعة

اليرموك نهر ينبع من جبال حوران ، يجرى قرب الحدود بين سوريا وفلسطين ، وينحدر جنوبا ليصب في غور الأردن ثم في البحر الميت ، وينتهى مصبه في جنوب الحولة ، وقبل أن يلتقى بنهر الأردن بمسافة تتراوح بين ثلاثين وأربعين كيلو مترا يوجد واد فسيح تحيط به من الجهات الثلاث جبال مرتفعة شاهقة الارتفاع ، ويقع في الجهة اليسرى لليرموك .

اختار الروم هذا الوادى لأنه المكان الذى يتسع لجيشهم الضخم الذى يبلغ عدده مائتين وأربعين ألف مقاتل .

وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى ، وضربوا معسكرهم هناك في واد منبطح يقع على الطريق المفتوح لجيش الروم ، وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدده ، فلم يعد للروم طريق يسلكون منه ، أو يفرون إذا اضطروا للفرار ، لأن جيش المسلمين قد أخذ عليهم مسلكهم الوحيد .

وقد يعجب الإنسان كثيرا ، وهو ينظر إلى الخارطة ، ويرى نفسه مضطرا لأن يسأل كيف رضي قواد الروم لجيوشهم هذا الموقع ؟ وكيف وافق الجنود على النزول فيه وهم يرون ألا سبيل للخروج منه إلا عن طريق هذا الوادي الذى احتله المسلمون ؟ .

أفما كان الأجدر بهم إن اضطروا إلى اتخاذ هذا المكان ميدانا للجيش لأنه لا يوجد مكان سواه يتسع لجيشهم أن يحموا الفتحة الوحيدة التى لا طريق لهم غيرها ؟ .

لاشك أن البديهيات العسكرية تحتم حماية أمثال هذه الفتحة ليؤمن الجيش طريقه إذا اضطر إلى الخروج من هذا الوادى المحاصر بشواهق الجبال .

ولكن يبدو أن قوات الروم كانت مغرورة بكثرتها الهائلة مزهوة بالنصر الذى أحرزته على خالد بن سعيد ومن معه من قوات المسلمين ، كما يبدو أن هذا النصر أنساهم أبسط التخطيط العسكري في مثل هذا الموقف .

ازداد حماس الخليفة لفتح الشام بعد ما أصاب خالد بن سعيد وجنده من الهزيمة والفرار ، فندب أعظم قواده للذهاب إلى بلاد الشام ، فأمر عمرو بن العاص على فرقة من الجيش وأمره أن يتجه بها إلى فلسطين ، واستدعى يزيد بن أبى سفيان وولاه على جيش لجب فيهم سهيل بن عمر وأمثاله من أهل مكة ، وألحقه بجيش آخر بقيادة أخيه معاوية ، ووجه شرحبيل بن حسنة ليقود جماعة من جيش خالد بن سعيد ، وندب الخليفة جيشا عظيما وأمّر عليه أبا عبيدة بن الجراح وعين لكل جيش طريقه ، وأمره أن يسلكه حتى يصل إلى مقره · فأخذ عمرو بن العاص طريق المعرقة · وسلك أبو عبيدة الطريق نفسه ، وأخذ يزيد بن أبى سفيان طريق التبوكية وسلكه معه شرحبيل بن حسنة ، وتوجه الأمراء إلى الشام ، فلما وصلوها نزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل يزيد البلقاء ، ونزل شرحبيل الأردن ، ونزل عمرو بن العاص العربة (١) ·

هرقل ينصح قومـــه :

علم الروم بدخول الجيوش الإسلامية أرضهم ، فكتبوا إلى هرقل ، وكان بالقدس فقال هرقل : أرى أن تصالحوا المسلمين ، فو الله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم (٢) ·

وأغضبت هذه النصيحة قواد الروم ، وظنوا أن الأمبراطور قد وهن وضعف وسيسلم البلاد للغزاة الفاتحين ، والحق أن هرقل قد ضعف أمام غضبة قواده ، وعزم على قتال المسلمين مع يقينه بالهزيمة ، وجمع هرقل الثائرين ، وتوجه بهم إلى حمص ، وهناك أعد جيشا ضخم العدد كثير العدد ، وقسمه أربعة أقسام ، وجعل كل قسم منه يقابل فرقة من جيش المسلمين ليوهنهم ويشغلهم عن مناصرة إخوانهم ·

عـــدد الجيش :

بلغ جيش المسلمين ثلاثين ألفا أو تقل قليلا ، وأما جيش الروم فقد بلغ مائتين وأربعين ألفا (٣) ·

---

(١) ابن الأثير (٤٠٦/٢) ·
(٢) نفسه ·
(٣) الصديق أبو بكر ص٢٨٥ ·

فزع المسلمون لهذه الأعداد الضخمة التي واجهتهم ، وكتبوا إلى عمرو بن العاص يسألونه ماذا يفعلون ، فأجابهم (الرأى لمثلنا الاجتماع ، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة) (١) وكتبوا إلى أبى بكر فأجابهم بمثل ما أجابهم به عمرو وقال : (إن مثلكم لا يؤتى من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف ، والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليصل كل رجل منكم صاحبه) (٢) ٠

إتجه المسلمون إلى اليرموك تنفيذاً لوصية الخليفة ، فوجدوا الروم قد نزلوا بالوادى السابق الذكر ، وعبر المسلمون النهر فنزلوا بإزائهم ٠

الخليفة يدرس أسباب تأخر النصر :

واستشار الخليفة أصحابه من ذوى الرأي ، وقلب الأمر على كل وجوهه ، فاهتدى إلى أن ضعف المسلمين ناتج عن ضعف القيادة ، ذلك لأن الأمراء الذين بعثهم الخليفة إلى الشام ليس فيهم من يصلح في نظر الخليفة لخوض هذه المعركة الرهيبة ، فأبو عبيدة بن الجراح مع قدرته العسكرية الفائقة إلا أنه رقيق القلب لا يقدم على الحسم ، وابن العاص مع دهائه وحسن حيلته يهاب الإقدام على عدوه ، وعكرمة مع إقدامه وحنكته غير أنه تنقصه دقة التقدير للمواقف ، وبقية القواد لم يشتركوا من قبل في مثل هذه المعارك الكبيرة ٠

وهناك أمر آخر ينبغى للخليفة أن يقدره ولا يغفله ذلكم هو تساوي القواد في القدرة فليس فيهم من يقرون له بالتفوق أو العبقرية التى يتميز بها عليهم حتى يجتمعوا عليه ٠

من أجل هذا فكر الخليفة كثيرا في الأمر وطال تفكيره فالأمر ليس بالهين اليسير ، وإنما هي معارك فاصلة لا بد أن تحسم في الشام كما حسمت في العراق ٠

واهتدى الخليفة ـ رضى الله عنه ـ إلى الحل فقال لمجلس الشورى : (والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد) (٣) ٠

خـــالد يتوجه إلى الشـــام :

كتب الخليفة إلى خالد يأمره بأن يستخلف على العراق ويتجه بخيرة جنده إلى الشام ، وصدع خالد بأمر الخليفة واتجه إلى الشام في تسعة آلاف مقاتل من خيرة الجند ، حيث

---

(١) الطبرى (٣٩٢/٣) ، ابن الأثير (٤٠٦/٣) ٠

(٢) نفســـــه ٠

(٣) ابن كثير (٥٨/) ٠

اختار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وضن بهم على المثنى بن حارثة خليفته على العراق ، وغضب المثنى لذلك التقسيم وقال : (والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبى بكر ، وبالله ما أرجو من النصر إلا بأصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم -) (١) فلما سمع خالد منه ذلك أرضاه وأسكته ، وأراد خالد أن يغادر العراق وهو مطمئن فرد النساء والضعفاء إلى المدينة حتى لا ينشغل بهم المثنى عند منازلة عدوه ·

وقطع خالد بجيشه بادية الشام المعروفة ببادية السماوة وهو طريق لم يعبره جيش قط قبل جيش خالد ، وذلك لوعورته وقلة الماء فيه ، وتعرض من يسلكه للهلاك بالعطش والضياع ، وإنما صمم خالد على اختراق هذه البادية رغم تحذير العارفين بها لأنه كان يريد أن يباغت العدو فينزل خلفهم حتى لا يحبسوه عن إغاثة المسلمين ·

وبالعزم والإيمان اخترق خالد وجيشه تلك البادية ، وغامر هذه المغامرة ، وقطعها في خمسة أيام ، وكلما مر بجماعة من أعداء المسلمين قاتلهم وتغلب عليهم وغنم منهم حتى وصل اليرموك في آخر ربيع الآخر من السنة الثالثة عشرة من الهجرة ·

كانت الجيوش الإسلامية قد نزلت موقفها من اليرموك قبل مجيء خالد اليهم بثلاثة أشهر : صفر وربيع الأول وربيع الآخر ، وكان المسلمون قد ضجروا وملوا هذا الموقف الذى لا يتناسب مع إقدامهم وشجاعتهم وتضحياتهم في سبيل الله ، فأرسلوا إلى الخليفة يصفون له الحال ويستمدونه ليحسموا الموقف ، وكان عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قد أحس من المسلمين بما يشبه اليأس من طول المقام وعدم القدرة على خوض معركة تفصل بينهم وبين عدوهم ، وخاف أن تسري هذه الروح إلى صفوف المسلمين فيضعفون ولا يستطيعون مواجهة العدو ، ولم يكن العدو يرجو من وراء هذا الموقف أكثر من ذلك ، فإن روح اليأس إذا سرت في جيش مهما كانت قوته لا بد أن يؤول حاله إلى أحد أمرين : إما أن ينسحب ويفوز خصمه بالسلامة من غير قتال ، وإما أن يدخل في معركة تكون نتيجتها حتما في مصلحة الطرف الآخر ·

أدرك عمرو بن العاص أن هذه الروح بدأت تدب في أوصال الجيش المرابط أمام عدوه ثلاثة أشهر فأراد أن يخفف عنهم ، وينفخ فيهم روحا جديدة تبعث فيهم الأمل ، وتجدد فيهم نشاطهم وحيوتهم ، فنظر إلى جيوش الروم الكثيرة العدد الكثيفة العُدد ، ولفت نظر المسلمين إلى وضعهم الجغرافي الذى لا يحسدون عليه ، وقال : (أيها الناس ، أبشروا ، حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير) (٢) ·

---

(١) ابن الاثير (٤٠٧/٣) ·

(٢) الطبرى (٣٩٣/٣) ·

وصادف قدوم خالد قائد المسلمين وصول باهان قائد الروم ، واستبشر المسلمون بقدوم خالد ، بقدر ما فرح الروم بوصول باهان ، وبلغت إحصاءات الجيش عندئذ ما وصفه الطبرى بقوله : وحارب المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيد : أربعون ألفا مسلسلون للموت ، وأربعون ألفا مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف راجل ، وثمانون ألف فارس ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفا ممن كانوا مقيمين ، إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفا)) (١) .

وتواجه الجيشان في تعبئة لم ير مثلها قط ، وكان القسيسون والشمامسة والرهبان يحرضون جيوش الروم ويحثونهم على القتال لمدة شهر قبل المعركة حتى امتلأوا حماسا واخذوا يتحينون الفرصة للقاء .

خالد يدعو إلى توحيد القيادة

ونظر خالد إلى المسلمين فوجدهم متساندين كل جماعة على رأسها قائدها ليس لهم أمير واحد يجمعهم ، ورأى - رضى الله عنه - بعبقريته العسكرية أن هذا الحال لا يؤدى إلى النصر ، فخطب في المسلمين ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بأعمالكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولاتقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغى ، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته .

قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلموا فإن هؤلاء تهيئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليكم اليوم ، فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه (٢) .

---

(١) الطبرى (٣٩٤/٣) .

(٢) الطبرى (٣٩٥/٣ - ٣٩٦) ، إبن الأثير (٤١١/٢) .

كانت لكلمة خالد تلك أعظم الأثر في نفوس المسلمين من تحريض القسيسين والرهبان في نفوس الروم ، ولئن ظل هؤلاء يعبئون تلك التعبئة الروحية لمدة شهر كامل ، فإن نفوسهم لم يكن فيها من اليقين وحسن الثقة في وعد الله كما كان في نفوس المسلمين ، ولذلك أثمرت كلمة خالد التى لم تستغرق دقيقتين مالم تثمره مواعظ الرهبان والقسيسين لمدة شهر ، لأن النفوس المؤمنة بالحق تكون دائما مهيأة لاستقبال التوجيه والموعظة ، سريعة التأثر بما يلقى عليها إذا ذكرت بوعد الله ـ عز وجل ـ ، حسنة الثقة فيما عنده ·

على أننا نرى في كلمة خالد ـ رضى الله عنه ـ من الإخلاص والحث عليه ، وعظيم الإعتماد على الله مالا يمكن أن يخيب صاحبه ، زد على ذلك بعد نظر خالد ، وإدراكه لما حوله من أبعاد المعركة وقدرته العسكرية التى تجعل أصحابه يدينون له من غير منازع ، كل ذلك جعلهم يجتمعون على قيادته بعد أن كانوا متساندين لا يدين أحد لأحد ، ولا يرى أحد أن أحدا أحق بالأمرة منه ·

خطـة خالـد لمواجهة الروم

اجتمع المسلمون على خالد بعد أن مكث شهراً على اليرموك ليس بينه وبين الروم قتال واقترح خالد بعد أن آلت إليه القيادة العامة لجيش المسلمين أن يقسم الجيش إلى كراديس (فرق) كل فرقة من ألف رجل ، وجعل على كل كردوس رجلا ممن اشتهروا بالشجاعة والإقدام ، أمثال القعقاع بن عمرو وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل وأضرابهم ، وأسند قيادة القلب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وقيادة الميمنة إلى عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وقيادة الميسرة إلى يزيد بن أبى سفيان · وقال لأصحابه : (إن عدوكم كثير وليس تعبية أكثر في رأى العين من الكراديس) (١) ·

حاول خالد بذلك أن ينسي المسلمين كثرة الروم المخيفة ، وأن يظهر المسلمين في حالة تدخل الرعب والفزع في عدوهم ، ولكنه لم يلبث أن سمع رجلا يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فغضب خالد لما سمع وصاح مغضبا ، بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان ، والله لوددت أن الأشقر ـ يعنى فرسه ـ براء من توجّيه وأنهم أضعفوا في العدد ، وكان فرسه قد حفي من مشيه بالمفازة (بادية الشام) (٢) ·

وخشي خالد أن تسرى كلمة الرجل في صفوف المسلمين فتوهنهم ، وتضعف مقاومتهم ، فعجل بالمعركة ليشغل المسلمين بها بدلا من أن يشغلوا عنها بالنظر في عددهم وعدد عدوهم ·

---

(١) ابن الأثير (٤١١/٣) .

(٢) ابن الاثير (٤١٢/٣) .

لم ينس خالد أن يختار من جنوده من يتولى أمور المسلمين ، فبعد أن نظم الكراديس واختار لها مهرة القواد ، عين أبا الدرداء قاضيا ، وأبا سفيان واعظا ، وجعل على الطلائع قباث ابن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، وكان القارىء المقداد ، يقول الطبري : (ومن السنة التى سن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ـ وهى الأنفال ـ ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك » (١) .

وقام أبو سفيان بدوره كواعظ للمسلمين خير قيام فقال وهو يمشى بين الكراديس : يامعشر المسلمين ، أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل ، نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة ، وإن الأرض وراءكم ، وبينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معول إلا الصبر ، ورجاء وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هى الحصون .

ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى ، يامعشر أهل الإسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، ورجع إلى موقفه في الصف حيث كان .

وقام أبو هريرة بعد أبى سفيان فقال : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم ـ عز وجل ـ في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم (٢) .

خـالد يأمر بالهجوم :

سمع المسلمون هذه الكلمات فوقعت من نفوسهم موقعا أنساهم قلتهم وكثرة عدوهم ، وتطلعت قلوبهم إلى ما عند الله ، وهبت عليهم من خلالها نسائم الجنة فاشتاقوا إليها ، ولمح خالد في الجنود حماسا لم يره من قبل ، ورأى حبهم للجهاد على النحو الذى كان يتطلع إليه منذ قدم إلى اليرموك ، وتأكد أن المسلمين قد تأهبوا للمعركة بكل إمكاناتهم ، فانتهز الفرصة ، وأمر عكرمه والقعقاع أن ينشبا القتال ، فبرز القعقاع وهو يرتجز :

---

(١) الطبرى (٣٩٧/٣) .

(٢) ابن كثير (٩٨) .

ياليتى ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الورَّاد
وأنت في حلبتك الوراد

وتبعه عكرمة وهو يقول :

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي

ونشبت المعركة حامية الوطيس ، مستعرة الأوار ، السيوف تخطف الأرواح ، وتزيل الهام ، وتفرى الأجسام .

خالد يستقبل بريـــد الخليفة :

وبينما المسلمون كذلك إذ أقبل البريد من المدينة مسرعا يتخطى الناس ، ويسأل عن خالد ، والناس وراءه يتبعونه ليستطلعوا منه أخبار المدينة ، والبريد يبشرهم بالخير ، ويخبرهم عن الأمداد .

ولما بلغ البريد خالداً سلمه الكتاب ، وأخبره بوفاة أبى بكر ، أسر إليه به ، وأخبره بما أخبر به الجند، فسر خالد من حسن تصرف البريد وقال له : أحسنت ، ووضع الكتاب في كنانته حتى لا يطلع أحد على مافيه فيجزع الجند ، وينتشر الأمر .

إسلام قائد من قواد الروم :

وفي الوقت نفسه خرج جرجة من صفوف الروم حتى وقف بين الصفين ، ونادى ليخرج إلى خالد ، فخرج خالد إليه ، وأناب أبا عبيدة عنه ، والتقى الرجلان بين الصفين ، وسأل جرجة خالدا عن سبب تسميته سيف الله ، فأخبره خالد بأن الرسول هو الذى سماه بذلك ودار بين الرجلين حديث طويل أسلم جرجة على أثره ، وتبع خالدا إلى خيمته ليعلمه الإسلام .

موقف عكرمة من هجوم الروم :

ظن الروم أن جرجة حمل على المسلمين ، وأنه في حاجة إلى المدد ، فحملوا على المسلمين حملة أزالتهم عن مواقفهم ، وثبت لهم عكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام ، وكانا على حامية فسطاط خالد ، ولما رأى عكرمة تراجع المسلمين قال : قاتلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ، ثم نادى في المسلمين ، من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور ومعهما أربعمائة من أبطال المسلمين

وفرسانهم ، ودافعوا عن الفسطاط حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتلوا إلا من برأ وكان منهم ضرار بن الأزور (١) .

وتراجعت الروم أمام ثبات عكرمة وأصحابه ، ورأى خالد تراجع الروم فزحف بقواته يرافقه جرجة على جيوش الروم المنهزمة ، وظل يضرب فيهم بسيفه ومعه جرجة يضرب ويقتل من طلوع النهار حتى مالت الشمس إلى الغروب ، وقاتل كل فريق من المسلمين تحت رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا .

يقول ابن كثير : فلم تر في يوم اليرموك إلا مخًّا ساقطا ، ومعصما نادرا ، وكفا طائرة ((٢) .

خالد يدير المعركـــة :

وواجه خالد ميسرة الروم التى حملت على ميمنة المسلمين ، فقتل منهم ستة آلاف ، والتفت إلى أصحابه وقال : والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد إلا ما رأيتم ، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم ، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس على مائة ألف منهم ، فلم يكد يصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل عليهم المسلمون حملة صادقة ، فانكشفوا لا يلوون على شيء وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون .

وصلى المسلمون صلاة الظهر والعصر إيماء : واستشهد جرجة ، وحمل خالد برجاله على الروم حتى صار في وسطهم ، وذعر الروم لهول ما رأوا من المسلمين ، وفر خيالتهم وأفسح لهم المسلمون الطريق ، فهاموا على وجوههم في البلاد ، ثم تبعوا من فر من الخيالة ، واقتحم خالد عليهم الخندق ، وجعل الروم يتقهقرون أمام الهجوم الكاسح الذى شنه خالد في اللحظة المناسبة حتى وصلوا إلى الواقوصة ..

وجعل الذين سلسلوا أنفسهم لئلا يفروا يتساقطون في الواقوصة كما يتساقط الفراش في النار ، وكلما سقط رجل من مجموعة سقطت معه بأكملها حتى سقط فيها ، وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفا ، ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق ، سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل (٣) ، وأخر الناس صلاة العشائين حتى استقر الفتح .

وأمعن المسلمون في قتل الروم ، وظلوا يقاتلون حتى أصبحوا ، ودخل خالد رواق تذارق أخى هرقل ، فلما أصبحوا وقد انتهت المعركة أتى خالد بعكرمة بن أبى جهل جريحا فوضع

---

(١) الطبرى (٤٠١٣) .
(٢) ابن كثير (١٣٨) .
(٣) الطبرى (٤٠٠٣) .

رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ، ومسح وجهيهما ، وأخذ يقطر في حلقيهما الماء حتى استشهدا ، وقال : زعم ابن حنتمة - يعنى عمر - أننا لا نستشهد (١) .

وقاتل نساء المسلمين في هذا اليوم ، وقتلوا عددا كبيرا من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ، وعندئذ يرجع المنهزمون ، وكان عمرو بن العاص من المنهزمين ومعه أربعة نفر حتى بلغوا النساء ، فلما زجرنهم رجعوا إلى القتال (٢) .

دفع شبهـــة :

وكان يزيد بن أبى سفيان من الذين ثبتوا ولم يفروا ، وقاتل قتالا شديدا ، لأن أباه مر به ، وذكره بما يجب عليه وعلى أمثاله من الأمراء ، وأمره بالصبر والثبات ، ورغبه فيما عند الله من الأجر والمثوبة ، فأجاب يزيد ، أفعل إن شاء الله (٣) .

وهذه الرواية ترد رواية ابن الأثير التى رواها عن عبد الله بن الزبير ، وفيها يتهم أبا سفيان ورجالا من مكة يسميهم مهاجرة الفتح ، بأنهم تنحوا عن الميدان ، وظلوا بعيدا يتربصون بالمسلمين فإذا ركب الروم المسلمين قالوا : إيه بني الأصفر ، وإذا غلب المسلمون يقولون : ويح بنى الأصفر .

تدل هذه الرواية على تجنب أبى سفيان المعركة ، وأنه لم يشترك فيها ، ولكن ابن الأثير نفسه يذكر ما يكذب ذلك ، حيث يروى بعدها مباشرة وفي الصحيفة نفسها أن عين أبى سفيان قد أصيبت في المعركة ، وذلك أمر مجمع عليه من المؤرخين ، فكيف يكون أبو سفيان بعيدا عن ميدان المعركة يتربص بالمسلمين ، وكيف يصيبه سهم في عينه فيفقؤها وينتزع السهم من عينه أبو حثمة (٤) .

ويروى ابن كثير عن سعيد بن المسَّيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول : يانصر الله اقترب ، الثبات الثبات يا معشر المسلمين قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد (٥) .

---

(١) ابن الاثير (٤١٤/٣) .
(٢) ابن كثير (١٣٨٠ - ١٤) .
(٣) نفســـه .
(٤) ابن الأثير (٤١٤/٣) . والطبرى (٤٠١/٣) .
(٥) ابن كثير (١٤/٧) .

أين كان أبو سفيان ، وهو ينادى نصر الله ؟ وهو يطلب الثبات من المسلمين ؟ هل كان يطلب الثبات وهو هارب من الميدان ؟ وهل يليق برجل كأبى سفيان أحد زعماء قريش أن يطلب الثبات من المسلمين ويفر هو خارج المعركة ؟ ومن الذي يصيح بالمسلمين ليثبتوا ثم يرى بعد ذلك بعيدا عن الميدان ؟ ·

أغلب الظن أن الرواية مكذوبة على أبى سفيان ، فقد أجمع المؤرخون على أنه كان واعظ الجيش وروى عنه المؤرخون كلمات في الحض على القتال والحث على الثبات تثير إعجاب كل من قرأها أو سمع بها ·

هزيمـة الروم :

وفر المنهزمون من اليرموك حتى بلغوا دمشق ، وأما هرقل فإنه لما بلغه خبر اليرموك وكان بحمص تركها وولى عليها رجلا وجعلها بينه وبين المسلمين ، وودع سوريا الوداع الأخير ·

وتوجه المسلمون بعد ذلك إلى الأردن ، وطهروها مما بقى فيها من جنود الروم ، ثم تابعوهم إلى دمشق حيث حاصروهم هناك ·

وبلغ عدد الشهداء من المسلمين ثلاثة آلاف شهيد بينهم كثير من كبار الصحابة مثل سعيد بن الحرب بن قيس السهمى ، ونعيم النحام ، والنضير بن الحارث ، وأبو الروم عمير ابن هشام أخو مصعب بن عمير · وكان في جنود هذه المعركة ألف صحابى منهم مائة ممن شهد بدرا (١) ·

وغنم المسلمون كل ما كان في معسكر الروم ، وكان شيئا عظيما حتى خص الفارس من النفل ألف وخمسمائة درهم (٢) أو ألف وخمسة دراهم (٣) ، وكانت الموقعة الفاصلة عند اليرموك في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة بعد أن مكث المسلمون قرابة أربعة أشهر لا ينالون من الروم ، ولا ينال منهم ·

ولما انتهت المعركة ، وطارد المسلمون الروم حتى حصروهم في دمشق أظهر خالد الكتاب الذي جاء به البريد ، فإذا هو نعي للخليفة ، وعزل لخالد من الإمارة وتولية لأبى عبيدة بن الجراح إمارة الناس ، وعندئذ قال خالد ـ رضى الله عنه ـ وهو يعلن وفاة الخليفة

---

(١) ابن الأثير (٤١٠/٣ ، ٤١٤) ·

(٢) الطبرى (٤٠٠/٣) ·

(٣) هيكل ص٣٠٣ ·

وتولية عمر : (الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر والحمد لله الذى ولى عمر ، وكان أبغض إلى من أبي بكر ، وألزمني حبه) (١) .

وفـــاة الصـــديق :

ونحن نلاحظ خلافا في تاريخ وفاة الصديق - رضى الله عنه - ينبغى أن يحقق ، فالطبرى وابن الإثير وابن كثير والسيوطي والبلاذري كلهم مجمعون على أن الوفاة كانت في جمادى الآخرة وهذا أمر لا خلاف فيه بين المؤرخين ، .

وكما اتفق المؤرخون على الشهر الذى توفي فيه الخليفة ، فهم كذلك متفقون على أن الوفاة كانت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

ويأتى الخلاف بعد ذلك في اليوم الذى حصلت فيه الوفاة ، والرواية التى تكاد تحظى بإجماع المؤرخين أنه - رضى الله عنه - اغتسل في يوم شديد البرد ، وكان ذلك يوم الأثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، فحم على أثر ذلك خمسة عشر يوما ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة (٢) .

ولكننا نرى أن البريد قد وصل والمسلمون في اليرموك والمعركة دائرة بينهم وبين الروم والمؤرخون أنفسهم يرون أن معركة اليرموك انتهت في جمادى الآخرة كذلك ، فمتى يصل البريد من المدينة إلى الشام ؟ وفي كم يوم يقطع المسافة ؟؟ .

إن البريد مهما كانت سرعته لا يمكن أن يقطع هذه المسافة في أقل من عشرة أيام ، ولو توفى الخليفة لثمان بقين من جمادى الآخرة لتحتم أن تكون المعركة قد امتدت إلى شهر رجب .

ولهذا فإنى أرجح أن تكون وفاة الصديق في النصف من جمادى الآخرة قبل انتهاء المعركة بعشرة أيام كما ذكر الطبري حيث يقول : (ومرض أبو بكر - رحمه الله - في جمادى الأولى وتوفي للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشرة أيام) .(٣) .

وهذه الأيام العشرة يمكن أن يصل البريد فيها من المدينة المنورة إلى الشام حيث تدور المعركة .

---

(١) ابن كثير (١٤٨) .
(٢) الطبرى (٤١٩/٣) . ابن الأثير (٤١٨/٣) . ابن كثير (١٨٨) السيوطى ص٨١ .
(٣) الطبرى (٣٩٤/٣) .

منهج المؤرخين المسلمين في التأليف

دكتور عوض عبد الهادي العطا

إن الدارس للتاريخ الاسلامى من مصادره الأولية ، والذى يقارن ذلك بالدراسات التى طرأت حديثا أو في فترات تاريخية متعاقبة ، يجد أن هناك دراسات وأبحاثاً وخاصة كتابات الغربيين ورجال الكنيسة ومن تأثر بهم من الكتاب المحدثين ، يلاحظ أن حقائق في التاريخ الإسلامى وأحداثه ومرتكزاته قد أصيبت بالخدش والتجريح ، أحيانا في محاولة لاستقراء أحداث التاريخ الاسلامي ووضع افتراضات خاصة للوصول إلى نتائج معينة قد يكون من بينها التأثير على الأحداث الهامة التى كونت التاريخ والتراث الاسلامى بصفة عامة ، ولعل مصدر ذلك راجع إلى تأثر بعض ممن يكتبون في التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية بآراء ووجهات نظر لمؤرخين أجانب أو مستشرقين .

فعندما خرجت جيوش الإسلام تحمل لواء الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية في جهادها لنشر الإسلام على عهد الخليفة أبى بكر الصديق ، كان الدافع الرئيسى هو الجهاد في سبيل الله ، ذلك الجهاد الذى بدأه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما أرسل الكتب إلى كبار الملوك والأباطرة حينذاك يعرض عليهم اعتناق الإسلام ، وشرع في إعلاء كلمة الله .

وكان أبو بكر الصديق ، قد نادى المسلمين عند بيعته العامة بالجهاد باعتباره ركنا أساسيا لنشر الدين الاسلامى وذلك حين قال في خطبته المشهورة (.. لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل ...) (١) .

---

(١) أبو الفدا الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية جـ٦ ص٣٠١ (بيروت) .

ورغم ذلك يشير بعض الكتاب بأن هذه الفتوحات لاتعدوا أن تكون امتداداً لموجات الهجرات السامية السابقة إلى مناطق الهلال الخصيب وأن هدف هذه الهجرات اقتصادي وذلك بالتحرك من مناطق مجدبة الى مناطق أكثر خصوبة ، ويذكرون آراء ليدعموا بها نظرية العامل الاقتصادي في هذه الفتوحات ولا يعطون الهدف الحقيقى من هذه الفتوحات الوزن الكافي له ٠

الواقع أن اهتمام المؤرخين الغربيين والمستشرقين بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية كبير ، ولكنه يأخذ منطلقات خاصة ، فقد اهتموا بالكتابة في هذه الموضوعات وتحليل أحداثها وسرد تواريخها ولكن لما كانت خلفياتهم العلمية قائمة على دراسات علمانية ومرتكزات مسيحية أو يهودية ، فإن اهتمامهم بتاريخ الإسلام لا يمكن فصله عن هذه الخلفيات ، فضلا عن أن الدارس لتاريخ معين أو لتراث معين لكي يقدم حقائقه متكاملة لا بد أن يكون قد تشربه ونشأ في محيطه حتى يدرك كثيراً من حقائقه التى لا تؤخذ بالعلمية المجردة ولذلك تجد الفارق كبيرا بين كتابات هؤلاء وما خطه المؤرخون المسلمون ، ذلك إن اهتمام الباحث الغربي في تاريخ الإسلام تناول الأحداث كحقائق علمية مجردة فتأثرت تخريجاته واستنتاجاته الى حد بعيد بخلفية نشأته العلمية والحضارية ولذلك فهو لا يهتم بالقضايا ذات الخصوصية لدى المسلمين والتى لا يكون الخوض فيها لائقا من ناحية مكانة أصحابها وخاصة ما يتعلق بشخصية الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأصحابه الميامين ٠

كذلك فإن كثيرا من الباحثين والدارسين من المسلمين في العصر الحديث اهتموا بالكتابة في مجالات عسكرية وسياسية ومن قام بدراسة الحضارة الإسلامية تناولها في بعض الأحيان من وجهة نظر خاصة ، فقد قرأت لكاتب يكتب في تاريخ الخلفاء الراشدين ، يتحدث عن الجيوش الإسلامية بأنها جيوش عربية وكيف أنها حققت انتصارات على الفرس والروم ، ولم يتناول الموضوع من زاوية الإسلام التي هي أكثر شمولا ومن أجلها خرج أولئك المجاهدون رغم أنه تخصص في التاريخ وأصبح مسئولا في كتابة التاريخ الاسلامى وحسب ٠

في حين أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد خصص كتابات في الحضارة الإسلامية أوردوها من خلال كتاباتهم أو أفردوا لها أبحاثا مستقلة تناولوا فيها عصراً من العصور ومنهم من كتب في حضارة الإسلام بصفة عامة ومن هؤلاء المؤرخ الإسلامى المقريزي (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) (١) ٠ في الوقت الذى اهتم فيه كثير من المؤرخين الغربيين بحضارة الإسلام

---

(١) محمد عجاج الخطيب . **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر** ص٢٩٤ (بيروت ـ دمشق) ٠

وصنفوا فيها المؤلفات مثل جوستاف لوبون في حضارة العرب وآدم متز في الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري وجب وباون Gibb.N. and Bowen في كتابهما المجتمع الإسلامى والغرب (١٩٣٧) ٠

ويقودنا هذا المفهوم إلى أسلوب المؤرخين القدامى والذين حفظوا التراث الإسلامي وتولوا مسألة صيانته ونقله بالأمانة والدقة العلمية ، فالمؤلف حينذاك يتناول أحداث التاريخ بتفاصيلها ويسردها كاملة دون أن يكثر من إبداء الرأي حولها تاركا ذلك لمن يأتى بعده ، فالطبري (٣١٠ هـ) مثلاً في كتابه الشهير تاريخ الرسل والملوك ، يتناول بالسند الحقيقة التاريخية وهذه بالطبع مهمة شاقة للغاية لكنها دقيقة أيضا ومن ثم جاء كتابه متكاملاً اعتمد عليه شيوخ المؤرخين فيما بعد ٠

وينطبق مثل ذلك على ابن الأثير (٦٣٠ هـ) في الكامل في التاريخ وابن كثير (٧٧٤ هـ) في البداية والنهاية ، فكلاهما تناول أحداث التاريخ بالسنوات وعرض فيها ما جد من أحداث ٠ ولأن هؤلاء تناولوا الموضوعات بهذه الطريقة فقد عرف المؤرخ حينذاك بالإخبارى الذى ينقل الخبر الحقيقي دون أن يزيد عليه أو يضفي شيئا من تعليقه إلا ما رآه من تضارب في الروايات السابقة عن الحدث نفسه وترجيحه للصواب منه حسب تقديره له ٠

ولذلك فقد حفظ لنا شيوخ المؤرخين من السلف الطيب وكتاب السيرة النبوية التراث الإسلامى الخالد طاهراً نقياً ٠ فإن تنقيح ابن هشام لسيرة ابن اسحاق التزام بالمنهج العلمي الدقيق ، فقد اهتم بتدقيق الرواية والسند الصحيح ولم ينقل كل ماورد فيها خاصة ما اعتقد أنه من الأساطير أو الخرافات ، ولعل هذا ما جعله يحذف كثيرا من الأخبار والأشعار عند تقويمه لسيرة ابن اسحاق فهو يقول في منهجه بعرض السيرة النبوية (... وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكر به من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعضه يسوء بعض الناس ذكره ...) (١) ٠

ومن ثم وصلت الينا مجموعة كبيرة من المؤلفات لا يرقى لمستواها أي تراث أو حضارة لأمة أخرى بل إنها وضعت الأساس وكانت المعين الذي نهلت منه الحضارات المختلفة في الشرق أو الغرب على السواء ٠

---

(١) ابن هشام ، **السيرة النبوية** جـ١ ص٦ ، (القاهرة) ٠

ذلك أن المؤلف الإسلامى الأول كان موسوعة في العلوم الإنسانية والدينية والتطبيقية ، فهو يكتب في التاريخ كما يكتب في التفسير والحديث ، ويعالج تخصصات مختلفة ، وقد عرفت أغلب كتاباتهم بالدقة والأمانة والأصالة والموضوعية ، وذلك إما بالرجوع بالسند إلى أصله وبذل الجهد والطاقة لتحقيق ذلك ، أو الاعتماد على أصول لا يرقى إليها الشك .

فيذكر ابن الأثير أنه حين كان في زيارة إلى بيت المقدس اجتمع حوله نفر ممن يهتمون بالعلم والحديث والحفظ والاتقان ، وذكروا له أن بعض العلماء الذين كتبوا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في النسب والصحبة ولا يعرفون حقيقة الأمر وطلبوا منه أن يعد مؤلفا في أسماء الصحابة وذلك لما يعرفونه عنه من عناية ودقة .

ورغم ذلك فإنه اعتذر لهم في ذلك الحين لأنه لا يستطيع أن يكتب وهو بعيد عن مصادره ، وعندما ألحوا عليه بدأ العمل بما تيسر له من مادة علمية وبدأ بذلك كتابه المعروف (بأسد الغابة في معرفة الصحابة) .

ويشرح منهجه في تأليف هذا الكتاب فيقول إنه جمع ما ذكره العلماء وأشار الى أربعة منهم باعتبارهم أكثر دقة فوضع لكل منهم رمزاً كاختصار لاسمه فهو يرمز لابن مندة بالعلامة (د) ولأبى نعيم بالعلامة (ع) ولابن عبد البر بالعلامة (ب) ولأبي موسى بالعلامة (س) ، فإذا اتفقوا جميعا عل اسم صحابي وضع أمام الاسم جميع هذه الاشارات وإلا ذكر الرمز الذي يشير الى من ذكر اسم الصحابي ، ويذكر في آخر الحديث اسم من أخرجه فإذا ذكر أخرجه الثلاثة مثلاً فإنه يقصد ابن مندة وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البر ، ولا يقول أخرجه فلان وفلان وفلان كما أنه التزم حروف الهجاء في ترتيب الأسماء (١) .

وهذا منهج علمي متقدم في التأليف والكتابة ويعطينا الإحساس الكامل بدقة وصحة ما يكتب ، بل إن هذا المنهج تسير عليه أغلب الجامعات الحديثة عند إعداد الرسائل الجامعية ، سواء في الإشارة إلى المصادر أو إلى ذكر مؤلفي المصادر أو المخطوطات وهو ما يعرف بنظام الاختصارات ABBRVIATIONS)وهي التي ترمز إلى نوع المصادر التى يشير إليها الباحث واسم المؤلف ومصدره كاملاً سواء كان للمؤلف كتاب واحد أو أكثر وكمثال لذلك يمكن أن يضع الباحث اختصارات معينة ويعمل بموجبها على أن يوضح ذلك عند بداية بحثه ، فمثلاً يمكن أن يشير إلى مجلة الجامعة الإسلامية بالرمز (م ج س) ويشيرون مثلاً إلى الهامش بالحرف (Foot Note) (F.N.) . مثلما فعل المورخ الإسلامى في أسد الغابة .

---

(١) عز الدين بن الأثير . **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، جـ١ ص١١ (القاهرة) .

ولذلك لم يعد في تقديرى تدريس التاريخ يقوم على الألفاظ الرنانة التى تصور التاريخ وكأنه صور خيالية أو حقائق جافة مجردة من أى إحساس تربوي · وقد يستطيع الدارس مثلاً أن يدرك دور المجاهدين المسلمين كاملاً من خريطة توضيحية أو خطوط تصور حقيقة معركة كاملة أكثر من خطبة رنانة يلقيها مدرس التاريخ على طلابه ، فقد لاحظت أن صدى ما بذله المسلمون في معركة مثل اليرموك أو فتح المدائن يظل عالقا وواضحاً بتفاصيله لدى الدارسين عند استخدام الوسيلة التوضيحية بصورة فعالة أكثر مما لو استخدم المدرس أسلوب السرد فقط ·

والحقيقة فإن ما خطه المؤرخون القدامى فاق كل تقدير ، ولفت كل نظر الباحثين الغربيين فقد لاحظوا المؤلف الإسلامي يكتب في كل علم بمقدرة فائقة ، فقد أحصيت مؤلفات الامام جلال الدين السيوطي فكانت ٧٢٥ عددا ، ووصف بأن الكتابة كانت يسيرة عليه غير عسيرة فقد حرر في اليوم الواحد عدداً من الكراسات مع قيامه بالتدريس والإملاء ، وورد أنه كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً (١) ·

وإنه حين شرع في تأليف كتابه (حسن المحاضرة) طالع كتبا عديدة ، زادت عن الثلاثين كتابا منها الخطط للمقريزي وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع ، والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، وطبقات الشافعية وغير ذلك (٢) وقد أوفى السيوطي أو كاد أن يؤلف في كل علم كتابا ويخرج في كل فن تصنيفا إلا المنطق والحساب فقد ذكر أن الحساب استعصى عليه ، وأنه من العذر دراسة المنطق (٣) ·

والواقع فإن فضل هذا العالم والمؤرخ واسع وكبير في حفظ التراث الإسلامي ، وخاصة وهو يكتب في العهد المملوكى الذى ذخر بكثير من التقلبات السياسية المقترنة بأمزجة الحكام ، وتداخلت عوامل كثيرة في مناهضة العلماء أو توجيه كتاباتهم بطريقة خاصة ·

ولكن اعتمد منهج الإمام السيوطي في كتابة التاريخ على تربيته ونشأته التى كانت في أسرة انقطع معظم رجالها لطلب العلم والاشتغال بالتعليم ، فتعلم تعليما دينيا عاليا وشغل منصبا في الجهاز الحكومي المملوكي حينذاك لفترة ، وقد أثرت عقليته الموسوعية في منهجه في كتابة التاريخ الذى اعتمد على سعة الاطلاع وغزارة الانتاج ، وقد وجد علم التاريخ في عهد

---

(١) أحمد الشرقاوى إقبال ، **مكتبة الجلال السيوطى** ، ص١٤ الرباط (١٣٩٧) ·

(٢) جلال الدين السيوطى ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ١ ص٤ (القاهرة) ·

(٣) انظر جلال الدين السيوطي ، **بحوث ألقيت في الندوة التى أقامها** المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٧٦) ·

السيوطي انتعاشاً واهتماما كبيرا . فالسخاوى أحد معاصرى السيوطي ومنافسيه ألف كتابا سماه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) وربما كانت المنافسة شديدة بين من يكتبون في التاريخ كعلم عام وبين من يهتمون بمسائل علمية أخرى .

وتظهر موسوعية الإمام السيوطي في هذا الكتاب حسن المحاضرة بعدد الكتب التى رجع اليها وكثرة المصادر التى نقل منها ورغم ذلك فإنه يعالج موضوعات هذا الكتاب بطريقة (تصلح لمسامرة الجليس وتكون للوحدة نعم الأنيس) فهو ينقل عن غيره مثلاً في وصف مصر أنها اقليم العجائب ومعدن الغرائب وكانت مدنا متقاربة على الشطين كأنها مدينة واحدة والبساتين خلف المدن متصلة كأنها بستان واحد والمزارع من خلف البساتين حتى قيل : إن الكتاب كان يصل من الاسكندرية إلى أسوان في يوم واحد يتناوله قيم البساتين من واحد إلى واحد ، وقد دمر الله تلك المعالم وطمس على تلك الاحوال والمعادن (١) .

ولكن السيوطي في نقله مثل هذا الخبر لم يعلق عليه بما ينقضه أو يوضح غرابته أو يشرحه بما يساعد القارىء على تفهم مثل هذه المبالغة في الوصف وربما ترك ذلك لفطنة القارىء ، لأن الخبر بهذه الصورة يكون مبالغا فيه بطريقة قد يستنكرها القارىء وخاصة فيما يتعلق بوصول الكتاب في يوم واحد من الاسكندرية إلى أسوان مهما كانت الوسيلة التي استخدمت حينذاك لنقل مثل هذا الكتاب ، على أن إقامة محطات متقاربة متصل بعضها ببعض في العصر الإسلامى لنقل البريد كان أمرا معروفا ومطروقا ولكن لم يصل للدرجة التى يقطع مثل هذه المسافة في يوم واحد ، وربما مثل هذا الخبر يدخل في باب المسامرة التى أرادها الإمام السيوطي بكتابه ، وهو يجهد نفسه في ذكر كثير من الروايات والرجوع الى عديد من المصادر في موضوع واحد بقصد أن يوف الموضوع حقه من العرض والدراسة .

وإذا كانت حياة العلماء بهذا المستوى الرفيع من التوسع والدقة والاهتمام في تسجيل الأحداث التاريخية والمعارف والعلوم الدينية وغيرها فإنه ينم أيضا على مستوى حضاري عالى ، ويشير إلى مقدرة في التفكير السليم ، مما يساعد على توجيه الدارسين بصفة عامة ويساعد على تأكيد وجود السلوك الإسلامي والخلقي لدى هؤلاء الدارسين مما يكسبهم الخبرة والقدرة على الفهم والاستيعاب بسهولة ، وهو ما اهتم به التربويون في العصور الأخيرة من أن التاريخ مادة من مهامها تدريب الذاكرة ، وتقوية الخلق والفضيلة ، وحل المشكلات الحاضرة (٢) .

---

(١) جلال الدين السيوطي . **المصدر السابق** ، ص٢٣ .

(٢) عبد الحميد السيد . **التاريخ في التعليم الثانوى** ، أهدافه . مناهجه . تدريسه . ص٤ (القاهرة) .

وفي دراسة التاريخ الإسلامي من مظانه الأولى معين لربط الدارسين على مناهج الدعوة الإسلامية ، لأنه سجل هام لأمة الإسلام على مدى تاريخها ، بتجاربها وخبراتها وتراثها الذي أثرى العالم بصفة عامة ، وكان معينا هاما انكب عليه الغرب الأوربى فاستفاد منه وبنى عليه دعائم أساسية من حضارته العلمية ·

ومن هنا جاءت ضرورة الإهتمام بالتاريخ الإسلامى وغرسه لدى الناشئة والباحثين والدارسين على اختلاف مراحلهم ، لأنه يقوى الخلق ويربطهم بأصولهم في مواقفها المتعددة وعلاقاتها المختلفة مما يولد عندهم الاهتمام بعظمة ذلك التراث وأخذ العبر منه ·

لماذا الخوف والفزع من الإسلام .. ؟!

يقول « مورو بيرجر » فى كتابه العالم العربى المعاصر : إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام · يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى الى قوة العرب لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ·

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الأفريقية ·

الحلقة الثالثة

عثمان بن عفان رضي الله عنه

لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

في سلسلة الدعاة الذهبية يأتى النموذج الثالث وهو عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه .

نسبـــــــــــه :

فمن هو عثمان بن عفان ؟ إنه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرد بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي ، الأموى المكنى بأبى عمرو ، والملقب بذي النورين ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجهز جيش العسرة ، المبشر بالجنة على بلوى أصابته .

فضـائـــــله :

إن لذى النورين عثمان بن عفان من الفضائل والكمالات مالم يكن لغيره من كثير من الدعاة الصالحين ونماذجهم ، بيد أن الفضائل والكمالات التي هى مجرد عطاء إلهي لا دخل للمرء في كسبها والحصول عليها ، لا نحب أن نستعرضها إلا لماما ، لأن الائتساء بها لا يتأتى للمرء ، وإنما الائتساء يكون في الفضائل والكمالات النفسية التي جرت سنة الله تعالى باكتسابها والحصول عليها بواسطة الرياضة والجد والعمل ، ومن فضائل عثمان التي لا مطمع للمرء في الحصول عليها أنه خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج اثنتين من بناته ، هما رقية وأم كلثوم ، فقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ابنته رقية ، وأسلم وهاجر فهاجرت معه وتوفيت أيام وقعة بدر ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أم كلثوم رضى الله عنها ، فتم له أن تزوج بنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، الأمر الذي

قالت فيه العلماء إنه لم يتفق لأي إنسان في هذه الحياة أن تزوج بنتي رسول قط إلا عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

ومن فضائله الذاتية التي لا مجال للقدوة فيها أنه كان أجمل رجل في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني : رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه .

ومن فضائله غير المكتسبة استحياء الملائكة منه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج الشيخان أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه ، وغطى ساقيه ، لما دخل عليه عثمان ، وقال ألا استحي من رجل تستحى منه الملائكة ؟ .

أسبقيتـــــــه :

لقد أسلم عثمان وحسن إسلامه في أول من أسلم ، حيث لم يسلم قبله من رجال قريش إلا أبو بكر الصديق ، فكان رابع أربعة من المسلمين ، إذ أسلم قبله زيد وعلى وأبو بكر الصديق ، أسلم بدعوة الصديق فكان من السابقين الأولين .

وهاجر أول من هاجر إلى الحبشة من المسلمين ، فكان أول المهاجرين رضى الله عنه وأرضاه ، وفي هجرته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط .

فمبادرته إلى الإسلام وإلى الهجرة تدل على كمال عقله ورجاحته ، وكذلك كان رضى الله عنه ، كان من أرجح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلا ومن أزكاهم نفسا وأطيبهم قلبا ، وأسماهم خلقا .

صلابته في دينه ، وصدقه في إيمانه :

لقد كان عثمان رضى الله عنه ذا صلابة في دينه ، صادقا في إيمانه الأمر الذى كان فيه مثالا يحتذى وإماما به يقتدى ـ ولنذكر مثالين لذلك بهما تنكشف لنا هذه الحقيقة :

الأولى : أخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : لما أسلم عثمان بن عفان أخذ عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا ، وقال له ، ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه وحل وثاقه ، فصبره رضى الله

عنه على الوثاق وما يتبعه من حرمان ، وهو من هو في قومه شرفا وعزا ورفاهة عيش وحسن حال ، دال على قوة إيمانه وصلابته فيه ٠

والثانية : أنه لما داهم المدينة الغوغاويون من مصر ، مطالبين الخليفة بعزل والى مصر والقصاص منه حيث قتل رجلا منهم ظلما ، وهاجت الفتنة في المدينة ، ودخل عثمان بيته فكان لا يقدر على الخروج منه ، دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له : إنك إمام العامة ، وقد نزل بك ما ترى وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا : إما ان تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن نخرق لك بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة ، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام ومعهم معاوية ، فقال رضى الله عنه : أما أن ـ أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفض عثمان كل هذه المقترحات صابراً محتسبا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما : يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا ، فإن أرادك ـ المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني وكذلك كان أراده المنافقون أن يخلع نفسه من إمارة المسلمين ، وهى القميص ، فلم ير ذلك وصبر للبلاء حتى لقى الله تعالى شهيدا مخضبا بدمه في منزله بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرضى الله عن عثمان وأرضاه ٠

سخاؤه وكرمـــــه :

إن السخاء والكرم من صفات الكمال في الداعي ، وقد لا يعثر على داعية إسلامي كان عاريا من صفة السخاء والكرم ، إذ ضدهما الشح والبخل وهما من عوائق الدعوة ٠ إذ الناس بفطرتهم لا يؤثر فيهم إلا من يكرمهم ويسخوا عليهم أما من يهينهم ويبخل عليهم فلا يستجيبون له نداء ، ولا يقبلون منه دعوة ٠

وعثمان بن عفان ذو النورين ، وهو أحد الدعاة الصالحين ، كان كريما سخيا ، لم يلمز بشح ، ولم يطعن فيه ببخل ، فوصله لأرحامه ، وصلته لأقاربه مما نقمه عليه كثير ، وكان سبب تلك الفتنة التي أودت بحياته رضى الله عنه ، وإن طلبنا شاهدا على سخاء عثمان وكرمه فإنا لا نجد خيرا من تجهيزه لجيش العسرة ، وتسبيله بئر رومة ، فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب : قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش

العسرة ، فقال عثمان بن عفان يارسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضّ على الجيش ، فقال عثمان يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء ·

وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، مرتين ·

وكتجهيزه جيش العسرة حفره بئر رومه ، فقد أخرج البخاري عن أبى عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومه فله الجنة ؟ فحفرتها ، فصدقوه بما قال ·

سياستـــــــه :

كان قد غلب على عثمان طابع التقوى والرفق واللين فكان في هذا الجانب من أقوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناهيك بالشهادات التالية : قالت عائشة لما بلغها مقتل عثمان : قتلوه وإنه والله لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب ، وهو أحد المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض · وقال فيه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم الجعدة وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضا عند كل مكرمة ، حييا أبيا وفيا ، صاحب جيش العسرة وختن رسول الله · وقال فيه غير واحد : إنه كان طيب النفس حليما متواضعا رفيقا بالناس ، قال فيه المسعودي كان عثمان في نهاية الجود والكرم والسخاء والبذل في القريب والبعيد ·

فغلب جانب الورع والتقوى والحلم والكرم جانب السياسة والحزم والدهاء ، فلذا كان ضعيفا في السياسة ، قال فيه بعضهم : كان عثمان بن عفان شيخا كبيرا ضعيف الإرادة فلم يستطع الاضطلاع بأعباء الحكم رغم نزاهته وفضائله الكثيرة رضى الله عنه ، وقد أثار بسياسة الضعف التي سار عليها مع انحيازه إلى ذوى قرباه ومحاباتهم كراهة بعض الناس من أهل

المدينة ومن غيرهم من أهل الأمصار ، مما جر عليه تلك الفتنة التي انتهت بقتله ، وما انتهت في الحقيقة إلى اليوم ، إذ كانت بداية ولم تكن لها نهاية ... والله غالب على أمره ، وما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، ومع ضعف سياسة عثمان رضى الله عنه فقد كانت خلافته خيرا وبركة على المسلمين ، فقد شهد المسلمون على عهده من الأموال والخيرات وكثرة الفتوحات ، مالم يشهدوه في خلافة من قبله ولا من بعده . ويكفى من ذلك فتح افريقيا والذي كان خطوة أولى إلى فتح بلاد الأندلس .

علمه رضى الله عنـــــه :

أما علم عثمان فكان علما غزيرا ، كتب للرسول صلى الله عليه وسلم ، واتخذه سفيرا بينه وبين قريش في صلح الحديبية ، واستخلفه على المدينة في غزوته ذات الرقاع ، وقد روي له ستة وأربعون حديثا ومائة ، ويكفيه علما حفظه لكتاب الله وهى منقبة اختص بها إذ لم يجمع القرآن من الخلفاء الراشدين سواه ، وكذا من الخلفاء غيرهم ممن جاء بعدهم إلا المأمون ابن هارون الرشيد ، فانه كان جامعا للقرآن حافظا له ، ومن حفظ القرآن من أولئك البررة السابقين كان كمن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه .

كرامـــــاته :

إن لكل ولى كرامة عند الله ، وكيف لا يكرم الله وهو ذو الكرم والفضل أولياءه ، وما يكرم به الله أولياءه من الكرامات أنواع : منها الدعوة المستجابة ، ومنها أن يثأر الله تعالى ممن آذى وليه وعاداه ، ومن كرامات عثمان على ربه تعالى ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن جهجاه الغفاري قام إلى عثمان وهو على المنبر يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته . فما حال الحول على جهجاه حتى أرسل الله في رجله الأكلة فمات منها ، ومنها ما أخرجه ابن عساكر عن يزيد بن حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنُّوا ، والعياذ بالله تعالى .

وفـــاته رضى الله عنـــه :

قضى عثمان رضى الله عنه اثنتي عشر سنة في خلافة المسلمين ، منها ست سنوات لم ينقم المسلمون فيها عليه شيئا أبدا ، بل كان فيها أحب إلى قريش من عمر بن الخطاب ، قال الزهري : لأن عمر كان شديدا عليهم ، فأما عثمان فلان لهم ووصلهم .

وبعد الست سنوات الأولى توانى عثمان رضى الله عنه ، واستعمل أقرباءه على

الأمصار ، وعزل كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير أقربائه · قال الزهري وكتب لمروان بخمس إفريقية ، وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال ، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما ، وإني أخذته فقسمته في أقربائي · فأنكر الناس عليه ذلك ، وفي السنة الأخيرة من خلافته وهى سنة خمس وثلاثين ، كثرت شكاوى أهل الأمصار ، ولاسيما أهل مصر ، من ولاتهم ، وكانوا يطلبون من عثمان أن يعزلهم فلا يعزلهم ، وجاء أهل مصر يشكون واليهم الأموي ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتابا هدده فيه طالبا منه أن يكف عن الرعية ظلمه ، فلم ينته ابن أبى سرح عما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان حتى قتله · وعندئذ تجمع كثير من الغوغاوين وأوباش الناس ، وجاءوا إلى المدينة ، وطالبوا الخليفة بخلع ابن أبى سرح ، فاستجاب لهم وخلعه وولى محمد بن أبى بكر الصديق بدله ، وكتب إليه كتاب العهد ، وأمره أن يتوجه إلى مصر ، فسار محمد بن أبى بكر الصديق إلى مصر في ركب من الناس ، وفي أثناء الطريق شاهدوا غلاما أسود على بعير يخبطه خبطا ، كأنه طالب أو مطلوب ، فرابهم أمره فأوقفوه وسألوه من أنت ؟ فمرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان ، فقال له محمد بن أبى بكر إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر ، قال بماذا ؟ قال برسالة ، قال معك كتاب ؟ قال لا · ففتشوه فوجدوا الكتاب في إداوة قد يبست ففتقوها وأخرجوا الكتاب فاجتمعوا عليه وقرأوه ، وإذا فيه : إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم ، وأبطل كتابه ، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إلى يتظلم منك ليأتيك أمري في ذلك ·

وهنا رجع محمد بن أبى بكر ومن معه ، وكانوا قد ساروا ثلاثة أيام ، رجعوا إلى المدينة واجتمع عليهم الناس وقرأوا الكتاب على عثمان ، فأنكر أن يكون قد كتب به أو أمر بكتابته ، ثم اجتمع على وطلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة ، وكلهم يدري ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير ، فقال له على : هذا غلامك ؟ قال نعم ، قال والبعير بعيرك ؟ قال نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ، ولا علم لى به ، قال على له : فالخاتم خاتمك ؟ قال نعم ، قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك ، وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف بالله ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ، ولا وجه الغلام إلى مصر قط ، وعرفوا أن الخط خط مروان ، وأنه هو الذى قام بهذه المؤامرة ، فطلبوا من عثمان أن يسلم إليهم مروان ، فخاف أن يقتلوه ، وعز عليه

ذلك ، فأبى أن يسلمه إليهم ، ولازم بيته معتصما فيه ومروان معه ، فحاصر الناقمون من الأمصار بيت عثمان وترك علّى ابنيه الحسن والحسين يحرسان الباب ، ويردان كل من يريد اقتحام المنزل على عثمان ، غير أن البغاة تسوروا الدار من منزل أحد الجيران ، ودخلوا عليه يتقدمهم محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته ، فقال له عثمان ، والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني ، فتراخت يده ، وتركه وانصرف ، ودخل رجلان عليه فوجآه حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وأخرج ابن عساكر أن الذى قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار ، ومن أحسن ما رثي به عثمان من المراثي رضى الله عنه وأرضاه ، قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ... العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار الرياح الجوافل

وكانت وفاة عثمان رضى الله عنه على ما قيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء بالبقيع ، على عمر نيف على الثمانين سنة ، فرضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

(يتبع)

****

طبقات الإخوان

مما ينسب الى الخليفة (المأمون) قوله :
الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء قد يحتاج إليه وطبقة كالداء جنبك الله اياه .

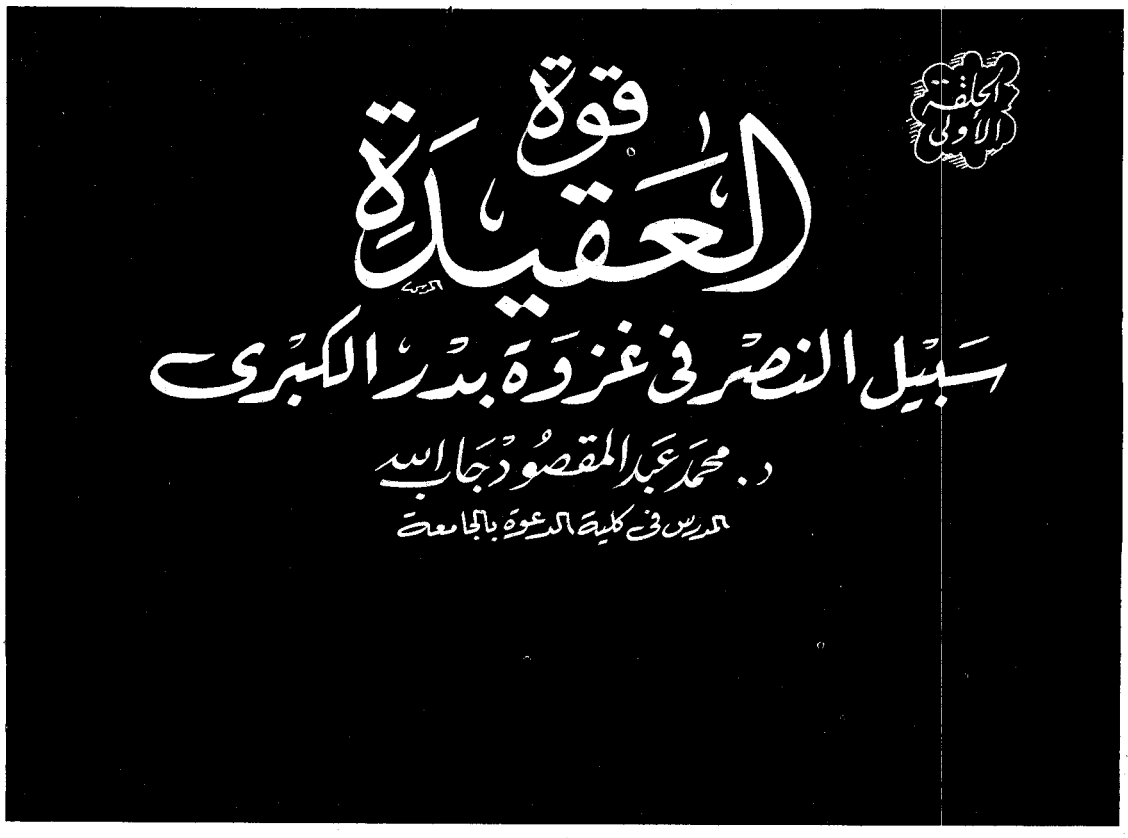

فإن الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها مستنفرة الآن للدفاع عن حقوقها ضد أعدائها الذين يتربصون بها ، ويتكالبون عليها تكالب الأكلة على قصاعها .

ولن يدفع هؤلاء الأعداء عنها ، ويصدهم عن سبيلها ، إلا إعلان الجهاد المقدس ، ورفع رايته تلك الدعوة التى وجهها سمو ولى عهد المملكة العربية السعودية الأمير فهد بن عبد العزيز ، فكان لها صدى عميق في جميع الأقطار الإسلامية ، واستجابت لها بالتأييد والدعم ، وباركتها قلوب الملايين من المسلمين .

ولا بد من بيان المثل والقدوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلافنا الأوائل في جهادهم وقتالهم لأعدائهم لنترسم طريقهم ، ونمشى على منوالهم ، وأمثل طريق للاقتداء هو غزوة بدر الكبرى تلك الغزوة التى انتصر فيها المسلمون بقوة عقيدتهم ، وتفانيهم في الذود عن الإسلام ، والدفاع عن حياضه ضد المشركين ، وأعداء الدين .

هذه الموقعة الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، بل في تاريخ البشرية كلها إلى يوم الدين ، هذه الموقعة التى قدر المسلمون أن تكون غايتها غنيمة أموال المشركين ، وقدَّر ربُّ العالمين أن تكون فيصلا بين الحق والباطل ، وأن تكون مفرق الطريق في تاريخ الإسلام ، ومن ثم تكون مفرق الطريق في خط سير التاريخ الإنسانى العام ، والتى ظهرت فيها الآماد

البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الخير ، وتدبير ربّ البشر لهم ولو كرهوه في أول الأمر .

والباطل مهما طال أمده ، وقويت شوكته ، لا بد له ـ على كثرة أنصاره وقوة عوده ـ من يوم يخر فيه صريعا أمام روعة الحق ، وقوة الإيمان (كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأمَّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (الرعد آية ١٧) .

وليست غزوة بدر الكبرى التى قام بها المسلمون في السنة الثانية من الهجرة وفي رمضان المبارك إلا تطبيقا عمليا لهذه السُّنَّة التى وضعها الله سبحانه وتعالى في صراع الحق للباطل ، وهى من السنن التى لا تتبدل ولا تتغير ، وليس الحديث عنها حديثا عن مجرد معركة قامت بين فريقين اختصما على بعير أو قطعة من الأرض ، أو على قتل نفس بريئة فانتصر أحدهما على الآخر ، وإنما هو حديث عن كيف يصرع الحقُّ بجلاله الباطل بعدته .

والصراع بين الحق والباطل ليس صراع وقت دون وقت ، ولا مكان دون مكان ، وإنما هو شأن بشريٌّ عام مادام الإنسان ، وما دام في الإنسان إيمان ورحمة ، وتقى وصلاح ، وفيه كفر وقسوة ، وفجور وانحراف .

وتلك طبيعة الإنسان لم يخلقه الله حين خلقه إلا كان من جنده قوى الخير تدفعه إلى الإيمان وإلى الكفاح في سبيله ، وكان من جنده قوى الشر تدفعه إلى الطغيان وإلى الكفاح في سبيله قال الله سبحانه وتعالى : (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) (الشمس آية ٧ ـ ١٠) .

وقال سبحانه وتعالى : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيراً ، إنا هديناه السبيل إمَّا شاكراً وإما كفوراً) (الإنسان آية ٢،٣) وسأتناول الحديث عنها في النقاط الآتية :

١ ـ مقدمة الغزوة .
٢ ـ سبب الغزوة ووصف المعركة وفضل الله على المسلمين فيها .
٣ ـ تسجيل لمواقف الخزى والعار بالنسبة لقريش ورجالها .
٤ ـ أسباب النصر وعوامله .
٥ ـ الأسرى وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم .
٦ ـ الخاتمـــــة .

أولا : مقـــدمة الغزوة :

مكث النبى صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة من غير قتال صابراً على شدة إيذاء العرب بمكة المكرمة واليهود بالمدينة المنورة ، فكان يأتيه أصحابه ما بين مضروب ومجروح · يشكون إليه حالهم ، ويطلبون منه السماح لرد العدوان بالمثل ، فيقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم « اصبروا لأنّى لم أومر بالقتال ، حتى أن بعض أصحابه قتل من جراء العذاب ، منهم سمية أم عمار بن ياسر ، وزوجها ياسر ، عذَّبهما آل المغيرة على إسلامهما ليرجعا عنه وماتا تحت العذاب (١) ·

ثم تطورت الأحداث بعد ذلك ، وتفنن المشركون في إيذاء المسلمين حتى أجمعوا أمرهم على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما علم بقصدهم هاجر إلى المدينة المنورة ، حيث استقبله أهلها بالترحاب ، وبايعوه على الإسلام ·

ولم يكتف المشركون بمحاولتهم قتل النبى صلى الله عليه وسلم ، بل ألبوا عليه القبائل الجاهلية لإبطال دعوته والقضاء عليها ·

ومنع المستضعفون من المسلمين من الهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم وانضماما إلى إخوانهم · فكان أمام هذه المحاولات أن أذن للنبى صلى الله عليه وسلم بالقتال من قبل الله سبحانه وتعالى ·

وإذا أمعنا النظر في النصوص القرآنية التى أمر الرسول فيها بالقتال رأيناها تعترف بأن الحرب وسيلةٌ لدفع العدوان · اعترفت بها لأن طبيعة البشر كثيراً ماتفضى إلى التنازع والبغى ، والإعتداء على الحريات ·

وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (الحج آية ٣٩،٤٠) ·

ففى هاتين الآيتين إذن بالقتال ، وتعليل له بما مني به المسلمون من الظلم والاعتداء ، وما أكرهوا عليه من الإخراج من الديار والأوطان بغير حق ، ويقول الله سبحانه وتعالى : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص٣٢٠ الطبعة الثانية مطبعة الحلبى ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥ ·

يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيراً) (الإنسان آية ٧٥) ٠

يلفت الله سبحانه وتعالى إلى أن الحرب في الإسلام ليست للتحكم في الرقاب ولإذلال العباد ، بل هى في سبيل الله ، وفي سبيل المستضعفين من المؤمنين الساكنين في مكة ، الذين استذلوا ومنعوا من الهجرة ليفتنوهم عن دينهم ٠

فالإسلام في جهادٍ دائم لا ينقطع أبداً لتحقيق كلمة الله في الأرض ولرفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض ٠

ومكة التى أكره الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة منها فراراً بدينه ، والتى ترك المسلمون فيها أموالهم وديارهم ، تَعْتَمد في معيشتها على التجارة ٠ وعمل قريش الأول هو التجارة مع الشام ، وطريق التجارة إلى الشام محفوف بالخطر ، فالمسلمون في طريقه ، ولقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية ووضعها في المقام الأول ، لأن في القضاء عليها قضاءً على القوة العسكرية ٠ واهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك يظهر من الغزوات الأولى والسرايا التى بعث بها الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بدر ، فقد كان هدفه الأول منها القضاء على تجارة قريش ومنع قوافلها من الخروج إلى الشام ٠

ونحن في عصرنا هذا نسمع عن الحرب الاقتصادية والحصار الاقتصادى وهما ذات السلاح الذى استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وكانت هذه الغزوات والسرايا التى قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه بقيادة بعضها ، بمثابة الاستكشاف والاستطلاع لمعرفة قوة عدوه ، والوقوف على ما يدبره القرشيون من المكايد له صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين في المدينة ٠٠٠٠ ولقد ظن الكثيرون أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يهدف بتلك السرايا والغزوات إلى جر قريش إلى الحرب ٠

والواقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرمى إلى غرضين نبيلين همـــا :

١ ـ رغبته في أن تشعر قريش أن المسلمين في المدينة قوة ، وأن في استطاعتهم قطع طريق القوافل إلى الشام وأن هذا معناه ضرورة إعادة النظر في موقف قريش من محمد صلى الله عليه وسلم ورجاله ، وأن على قريش أن تفكر جدّياً في أن مصلحتها تقتضى التفاهم مع المسلمين ، فتكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين في نظير سلامة تجارتهم وقوافلهم ٠٠

وكان هذا بمثابة إنذار لقريش وبيان عقبى طيشها ، فقد حاربت الإسلام ولا تزال تحاربه ، ونكلت بالمسلمين في مكة ثم ظلت ماضية في غيّها لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله ، ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قراراً في بقعة أخرى من الأرض ·

فأحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشعر زعماء مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستُلحق الأضرار الفادحة بهم ، وأنه قد مضى إلى غير عودة ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين ، وهم بمأمن من القصاص ، لأن المؤمنين قد تخلصوا من ضعفهم القديم · ذلك الضعف الذى مكن قريشا من مصادرة حرياتهم ، واغتصاب دورهم وأموالهم ·

ومن حق المسلمين أن يُعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها ، فإن المتربصين بالإسلام كثروا ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده ·

وهذا تفسير قوله سبحانه وتعالى : (ترهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) (الأنفال آية ٦٠) ·

وهذا ما عرفته الجيوش الحديثة باسم المناورات العسكرية ، والاستعراضات التى تقوم بها بين الحين والحين ·

٢ ـ والغرض الثانى رغبته صلى الله عليه وسلم في أن يعقد الصلح والمعاهدات مع القبائل التى تقطن بجوار المدينة ، وسيظهر ذلك في خلال الحديث عن هذه السرايا والغزوات التى سأكتفى بذكر بعضها ···

١ ـ في صفر من السنة الثانية من الهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه بعد أن جمع جموعه من المهاجرين دون الأنصار بعد أن علم أن تجارة لقريش ستمر بطريق الشام ، ومضى بجيشه حتى بلغ ودَّان (١) ·

إلا أن عير قريش كانت قد مرت من قبله ، فلم يحدث اشتباك ، وصالح بنى ضمرة وحالفها ، وكان بينه وبينها كتاب جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمدً رسول الله لبنى ضمُرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصرة على من رامهم إلاَّ أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه · عليهم بذلك ذمة الله ، وذمة رسوله » ·

---

(١) ودَّان : قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع . وقيل : واد على الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة ·

وكانت هذه الغزوة أول غزوة للرسول صلى الله عليه وسلم غاب فيها عن المدينة خمس عشرة ليلة (١) ·

٢ ـ وفي العام الثانى من الهجرة وفي شهر رجب بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدى ، ومعه جماعة من المهاجرين · وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما بعثه على رأس السرية : « لأ بعثن إليكم رجلًا أصبركم على الجوع والعطش » وأطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لقب أمير المؤمنين ، فكان أول من تسمى به في الإسلام · ودفع إليه بكتاب وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ، فإذا نظر فيه ووعى ماكلفه الرسول به ، مضى في تنفيذه غير مستكره أحداً من أصحابه ·

فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه : امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم ·

فقال عبد الله : « سمعا وطاعة » وأطلع أصحابه على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : إنه نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معى ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم · فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحدُ ، إلَّا أن سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان ذهبا يبحثان عن بعير كانا يعقبانه وكان قد ندَّ فأسرتهما قريش ···

ومضى عبد الله برفاقه حتى نزل أرض نخلة · فمرت عير قريش ، فهاجمها عبد الله ومن معه ، فقتل في هذه المعركة عمرو بن الحضرمى ، وأسر اثنان من المشركين ، وعاد عبد الله إلى المدينة ومعه العير والأسيران ·

وهكذا عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن السِّرِّية فيها النصر والغلبةُ على الأعداء ·

وقد وقع هذا القتال في آخر شهر رجب أى في الشهر الحرام ، فلما قدم عبد الله وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف التصرف في العير والأسيرين ، ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله وكثر في ذلك القيل والقال حتى نزل الوحى حاسما هذه الأقاويل ، ومؤيدا مسلك عبد الله تجاه المشركين (٢) ·

---

(١) السيرة لابن هشام القسم الأول ص ٥٩١ ، أبو الفداء ٢٤٣/٣ ، فتح البارى ٢٧٩/٧ ·

(٢) السيرة لابن هشام ٦٠١/٢ ـ ٦٠٥ ، أبو الفداء ٢٤٨/٣ ـ ٢٥٢ ، فتح البارى ٢٨٠/٧ ·

فقال سبحانه وتعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفرٌ به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنةٌ أكبر من القتل) (البقرة آية ٢١٧) .

وبنزول هذه الآية سعد المسلمون وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء عبد الله في الغنيمة ، وقبض على الأسيرين وهما عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، فبعثت قريش تطلب فداءهما فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا فإنا نخشاكم عليهما - يعنى سعداً وعتبة - فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » .

وقدم سعد وعتبة ، فسلم النبى عليه الصلاة والسلام الأسيرين ، وأعلن أحدهما وهو الحكم بن كيسان إسلامه وبقى بالمدينة ، ومات شهيداً في مؤتة . أما عثمان بن عبد الله فقد عاد إلى مكة ومات بها كافراً .

وهذه الضجة التى افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله فما الذى أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة .

ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين قرر المشركون قتل نبيهم وسلب أموالهم . لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها هدم القوانين والدساتير جميعا .

ولقد زكىَّ القرآن عمل عبد الله وصحبه رضى الله عنهم فقد نفذوا أوامر الرسول بأمانة وشجاعة ، وتوغلوا في أرض العدوّ مسافاتٍ شاسعة متعرضين للقتل في سبيل الله ، متطوعين لذلك من غير إكراه أو حرج فكيف يجزون على هذا بالتقريع والتخويف .

كيف وقد قال الله سبحانه وتعالى فيهم : (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) (البقرة آية ٢١٨) .

والمستشرقون الأوربيون ينظرون إلى هذه السرايا كأنها ضرب من قطع الطريق ، وهذه النظرية صورة للحقد الذى يعمى عن الحقائق ، ويتيح للهوى أن يتكلم ، ويحكم كيف شاء ، وهذا الاستشراق المغرض يذكرنا بما حدث عند قمع الانجليز لثورة الأهلين في إفريقيا الوسطى « كينيا » وهم يطلبون الحرية لوطنهم ويحاولون إجلاء الأجانب عنه . إذ قال جندى

انجليزى لآخر - يصف هؤلاء الإفريقيين - إنهم وحوش تصور أن أحدهم عضنى وأنا أقتله .(١)

إن هذه الأضحوكة صورة من تفكير المستشرقين في إنصاف أهل مكة والنَّعى على الإسلام وأهله ...

ولقد حققت هذه السرايا أهدافها ووصلت إلى غرضها - ولم يكن ذلك إلا بقوة الإيمان وثبات العقيدة .

ثانيـــــــا :

سبب الغزوة ، ووصف المعركة ، وفضل الله على المسلمين فيهـــا :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرمى إلى القضاء على إقتصاديات قريش كما بينت ، وكان يرى في ذلك إضعافاً لقوتها العسكرية . وكان قد علم بخروج قافلة كبيرة لقريش قيل إنها جمعت جميع أموالها حتى أنه لم يبق بمكة قرشى ولا قرشية يملك مثقالاً فصاعداً إلا بعث به في تلك القافلة ....

وقدرت أموالها بخمسين ألف دينار ، وحملت تجارتها على ألف بعير يقودها أبو سفيان ومعه سبعة وعشرون رجلا وفي رواية أخرى تسعة وثلاثون منهم مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن القضاء على هذه القافلة فيه هدم لاقتصاديات قريش بالإضافة إلى إضعاف مركزها العسكرى ، وما ينتج عن ذلك من زيادة قوة المسلمين ، ورفع روحهم المعنوية .

وبهذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العشيرة . إلا أن القافلة كانت قد مرت فرأى عليه الصلاة والسلام أن ينتظر عودتها ، وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد ينتظران عودة القافلة فنزلا على كشدٍ الجهنى بالحوراء ، وأقاما عنده في خباء حتى مرت العير ، فأسرعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يفضيان إليه بأمرها . وما رأيا منها .

ولم ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم عودة رسوليه إلى الحوراء ، فقد كان يخشى أن تفوته في عودتها كما فاتته في ذهابها إلى الشام .

---

(١) فقه السيرة ص٢٢٥ .

ولهذا دعا المسلمين وقال لهم « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلَّ الله ينفلكموها » (١) .

ولم يعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على أحد بالخروج ، ولم يستحث متخلفا فخف بعضهم وثقل بعضهم (٢) .

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بمن أمكنه الخروج ، وكان الذين صحبوا الرسول هذه المرة يحسبون أن مضيهم في هذا الوجه لن يعدوَ ما ألفوا في السرايا الماضية ، ولم يدر بخلد واحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام ، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ، ولتسابقوا في الخروج ولم يبق منهم أحد ...

وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، فعلم من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك .

واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى أهل مكة ، وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو مسرعا إلى مكة (٣)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وكان عددهم ٣١٣ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا ، ثلاثة وسبعين من المهاجرين ، ومائتان وأربعون من الأنصار وكان خروجهم من المدينة في رمضان ، وجعل عمرو بن أم مكتوم ليصلى بالناس ، واستعمل عليها أبا لبابة الأنصارى ، وارتفعت أمام المسلمين رايتان سوداوان وكانت إبلهم سبعين بعيراً يتبادلون ركوبها ، كل ثلاثة أو أربعة يتعاقبون بعيراً ، وكان حظ الرسول صلى الله عليه وسلم كحظ سائر أصحابه فكان هو وعلي ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يتعاقبون بعيراً ، وكان رفيقا الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوانه ليركب ويقولان له : « اركب حتى نمشى معك » فكان يرفض منهما هذه الدعوة ويقول : « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » (٤) ولم يقبل أن يتميز عليهما .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام١ / ٦٠٧ .

(٢) فتح البارى ٧ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦ . ابن هشام١ / ٦٠٧ . أبوالفداء ٣ / ٢٥٦ .

(٣) المصدر السابق . أبو الفداء ٣ / ٢٥٧ .

(٤) أبو الفداء ٣ / ٢٦١ .

وأسرع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه خوفاً من أن يفلت أبو سفيان منهم هذه المرة .

ونزل المسلمون في وادى ذَفْران ، وهناك علموا بخروج قريش بأجمعها لتحمى قافلتها في أثناء عودتها .

وكانت قريش ترى في استيلاء محمد على القافلة هزيمة منكرة لها وتثبيتا لمركزه وتأكيدا لصدق دعوته ، ولهذا قررت أن تحاربه وتناضله ، لتحمى قافلتها ، ولتقضى على قوته فلا يعود ثانية إلى الوقوف في وجه قوافلها .

(يتبع)

العدوان على الإســـلام في الفيلبـين

اتهم قائد جبهة مورو الاسلامية في الفيلبين نور ميسواري حكومة مانيلا بالقيام بحملة ا بادة هائلة للمسلمين في جنوب البلاد .

وأن القوات الفيلبينية قتلت في الأونة الأخيرة حوالي (١٥٠٠) مسلم من رجال ونساء وأطفال . واتهم ميسواري السلطة بإغلاق ثلاثة مساجد في جزيرة انا واستخدامها كمسالخ للكلاب .

النور المغربية

إحياء التراث الإسلامي

من عقائد السلف

الرد على الجهمية

الملف الثاني

للإمام الحافظ ابن منده - ٣١٠-٣٩٥ هـ

تحقيق وتعليق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بـــــاب

ذكر قول الله عز وجل (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (ص/٧٥) .

ذكر ما يستدل به من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على أن الله جل وعز خلق آدم عليه السلام بيدين حقيقة .

١ ـ (٣٨) أخبرنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو المصري ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يارب أين أبونا الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ؟ فأراه الله آدم ، فقال موسى عليه السلام : أنت آدم ، فقال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال : من أنت ؟ قال : أنا موسى قال : أنت الذى كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ، قال : نعم ، قال : فما وجدت في كتاب الله أن ذلك كائن قبل أن أخلق ، قال : نعم ، قال : ففيم تلومني في شيء سبق من الله جل وعز فيه القضاء قبلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى (١) .

---

(١) د/ في السنة / باب في القدر ، ٧٨/٥ ح ٤٧٠٢ من طريق أحمد بن صالح قال ثنا ابن وهب به وإسناده حسن .

٢ ـ (٣٩) أخبرنا أحمد بن عمرو ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ، ثنا ابن وهب ، أنبا يونس (١) عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن وهب (٢) أنه سمع أبا هريرة حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

احتج آدم وموسى عند ربهما ، فحج آدم موسى عليهما الصلاة والسلام ، فقال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك الأرض ، فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني · قال موسى بأربعين عاما ، قال آدم : فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربَّهُ فغوى) (طه /١٢١) قال : نعم ، قال : فتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (٣) ·

٣ ـ (٤٠) أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم مولى بنى هاشم ، ثنا أبو أمية الطرسوسي ، ثنا أبو الوليد ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا يحي بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، حدثني أبو هريرة ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ٦ / ب

تحاج آدم وموسى فقال آدم لموسى : أنت الذى اصطفاك الله على خلقه وفضلك برسالته ، ثم صنعت الذي صنعت ، النفس التى قتلت ، قال موسى لآدم : فأنت آدم الذى خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ، ثم فعلت الذى فعلت ، لولا ما فعلت دخلت ذريتك الجنة ، فقال آدم : تلومني في أمر قد قدر علي قبل أن أخلق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حج آدم موسى (٤) ·

٤ ـ (٤١) أخبرنا محمد بن الحسين بن القطان بنيسابور ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا النضر بن محمد الجرشي ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، ثنا

---

(١) يونس - هو ابن يزيد بن أبي النجاد الأيلى ... ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلا ، وفي غير الزهري خطأ . من كبار السابعة ، مات سنة تسع وخمسين على الصحيح ، روى عن ابن شهاب ، وعنه ابن وهب . تقريب ٢ /٣٨٦ · تهذيب ٤٥/١١ ·

(٢) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني ، ثقة ، من الثانية ، مات سنة خمس ومائة على الصحيح ، روى عن أبي هريرة ، وعنه ابن شهاب · تقريب ٢٠٣٨ · تهذيب ٤٥/٣ ·

(٣) إسناده حسن ·

(٤) فيه متابعة أبي سلمة لحميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وقد جاء فيه تقديم قول آدم على قول موسى ، ولعل هذا من عكرمة بن عمار وهو العجلى أبو عمار اليمامي ، وهو صدوق يغلط ، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٦١/٧ ، وتقريب التهذيب ٣٠/٢ ·

· وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣١٥ ·

أبو سلمة قال عكرمة بن عمار وسمعته من عبد الله بن عمير الليثي (١) ، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحاج آدم وموسى ، فقال آدم : ياموسى أنت الذي بعثك الله برسالته ، واصطفاك بكلامه على خلقه ، ثم فعلت كذا وكذا ، فقال موسى : ياآدم أنت آدم أبو الناس الذي خلقك جل وعز بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ، ثم صنعت الذي صنعت فلولا أنت لدخل ذريتك الجنة ، قال آدم لموسى : أتلومني على أمر قدر علىّ قبل أن يخلقني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى (٢) .

٥ ـ (٤٢) أخبرنا أبو عمرو ، ثنا أبو أمية ، ثنا حامد بن يحيى (٣) ، عن أيوب ابن النجار اليمامي (٤) ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تحاج) آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام ، فقال موسى : ياآدم أنت أبونا خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة ، فقال آدم : أنت موسى كلمك الله تكليما ، وخط لك التوراة بيده واصطفاك برسالته ، فبكم وجدت في كتاب الله تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى) قال : بأربعين سنة ، قال : فتلومني على أمر قدره الله على قبل أن يَخْلُقَني بأربعين سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى .

وهذه أحاديث صحاح ثابتة لا مدفع لها ، ولهذا الحديث طرق عن أبي هريرة منها أبو سلمة (٥) ، ومحمد بن سيرين (٦) ، والأعرج ، وسعيد بن المسيب وغيرهم (٧) .

---

(١) هو عبد الله بن عبيد . بالتصغير بغير اضافة ابن عمير الليثي المكى . ثقة . من الثالثة استشهد غازيا سنة ثلاث عشرة . م عم . تقريب ٤٣١/٨ . روى عنه عكرمة بن عمار . تهذيب ٣٠٨/٥ . تهذيب الكمال ٣٥٥/٥ مصور بالجامعة الاسلامية .

(٢) إسناده حسن . فقد صرح يحيى بن أبي كثير بالتحديث . ثم إن عكرمة بن عمار الذي في روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب . قد رواه عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي غير أن فيه تقديم قول آدم على قول موسى . وهذا يخالف الروايات الأخرى .

(٣) حامد بن يحيى بن هانئ البلخى . ثقة حافظ . من العاشرة . مات سنة اثنتين وأربعين . روى عن أيوب بن النجار . تهذيب ١٦٩/٣ . تقريب ١٤٦/١ .

(٤) أيوب بن النجار بن زياد الحنفي . أبو إسماعيل قاضي اليمامة . ثقة مدلس من الثامنة . / خ م س . وفي التهذيب قال ابن أبي مريم . عن ابن معين ثقة صدوق . وكان يقول : لم أسمع من يحيى بن أبي كثير إلا حديثا واحدا : التقى آدم وموسى . قلت : وهو هذا الحديث وقد صرح فيه بالتحديث . انظر تهذيب ٤١٣٨ . تقريب ٩١/٨ .

(٥) خ / في التفسير / باب / فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . فتح الباري ٤٣٤/٨ ح ٤٨٣٨ من طريق قتيبة . ثنا أيوب بن النجار . عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة .

(٦) خ / التفسير / باب / واصطنعتك لنفسي . فتح الباري ٤٣٤/٨ ح ٤٨٣٦ .

(٧) منهم أبو صالح عن أبي هريرة . ت / أبواب القدر . ٣٣٦/٨ . ح ٢٢١٧ تحفة الأحوذي .

. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣١٦ . من طريق أبي الزناد وهو عبد الرحمن .

(ذكر خبر آخر يـــدل على ما تقـــدم)

٦ ـ (٤٣) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى رجاء ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا قتيبة بن سعيد ح ثنا محمد بن يعقوب بنيسابور ، ثنا محمد بن نعيم ، ثنا قتيبة ، ثنا الليث ابن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ما تصدق أحد بصدقة إلا أخذها الرحمن عز وجل بيمينه ، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه ، أو فصيله . وهذا خبر ثابت باتفاق (١) ، وله طرق عن أبي هريرة منها أبو صالح السمان (٢) ، وأبو سعيد المقبري وغيرهما

« ذكر خبر آخر يـــدل على ما تقـــــدم »

٧ ـ (٤٤) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار المكي ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين ، هم الذين يعدلون في حكمهم ، وأهليهم وما وُلُّوا (٣) . ٧/آ

وهذا حديث ثابت باتفاق .

---

(١) م / كتاب الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب . ٧٠٢/٢ / ح ٦٣ .
. جه / كتاب الزكاة / باب فضل الصدقة . ٥٩٠/٨ ح ١٨٤٢ .
. الموطأ / كتاب الصدقة / باب الترغيب في الصدقة ٦١٥/٨ طبعة الشعب .
. ابن خزيمة / في التوحيد ص ٦١ .
(٢) خ / كتاب الزكاة / باب الصدقة من كسب طيب . فتح الباري ٢٧٨/٣ ح ١٤١٠ .
. حم / ٤١٩/٢ .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٨ .
(٣) م / كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل ..... ١٤٥٨/٣ ح ١٨ . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة . وزهير بن حرب . وابن نمير قالوا : ثنا سفيان بن عيينة به .
. حم / ١٦٠/٢ ، ٢٠٣ .
. ن / كتاب آداب القضاة / فضل الحاكم العادل في حكمه ١٩٥/٨ .
. والآجري في الشريعة ص٣٢٢ .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٤ .

بـــــــاب

في ذكر ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم مما يدل على معنى قول الله جل وعز (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء (المائدة /٦٤) .

١ ـ (٤٥) أخبرنا محمد بن سعيد بن إسحاق ، ثنا عمرو بن سعيد الجمال ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ح / وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها (١) .

٢ ـ (٤٦) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي رجاء بمكة ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا محمد بن الصباح ، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، حدثني أبي ، عن عبيد الله بن مقسم عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ، ثم يقول : أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون (٢) . وهذا حديث ثابت باتفاق .

٣ ـ (٤٧) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، وعبد الله بن إبراهيم المقري ، قالا : ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، أنبا على بن إسحاق ، ثنا ابن المبارك ، ثنا يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ، ويقول : أنا الملك أين ملوك الأرض (٣) .

٤ ـ (٤٨) أخبرنا عبد الله بن ابراهيم ، ثنا أبو مسعود الرازي ، ثنا على بن إسحاق

---

(١) م / كتاب التوبة / باب قبول التوبة .... ٢١١٣/٤ من طريق محمد بن المثنى . ثنا محمد بن جعفر . ثنا شعبة به . وفيه : إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار .
. حم / ٣٩٥/٤ ـ ٤٠٤ . كرواية مسلم .

(٢) م / كتاب صفات المنافقين . ٢١٤٩/٤ ح ٢٥ . من طريق سعيد بن منصور . ثنا يعقوب بن عبد الرحمن . ثنى أبو حازم به .
. جه / مقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية . ٧١/١ ح ١٩٨ . وفي الزهد / باب ذكر البعث ١٤٢٩/٢ ح ٤٢٧٥ .

(٣) خ / في التفسير / باب والأرض جميعا قبضته يوم القيامة .... فتح البارى ٥٥١/٨ ح ٤٨١٣ من طريق .... ابن شهاب به .
. وفي التوحيد / باب قول الله تعالى (ملك الناس) فتح البارى ٣٦٧/١٣ ح ٧٣٨ من طريق ..... سعيد بن المسيب به .
. جه / المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية . ٦٨/١ ح ١٩٢ من طريق يونس به .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٣ .

عن ابن المبارك ، عن عَنْبسَه ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة قالت :

سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله جل وعز (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (الزمر /٦٧) ، أين الناس ؟ قال : على الصراط (١) .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من ذكر اليـــد)

٥ ـ (٤٩) أخبرنا أبو عمرو مولى بني هاشم ، ثنا أبو حاتم الرازى ، ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يد الله مَلأى لا ينقصها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص مما في يده ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان ، يخفض ويرفع (٢) .

(ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن الصدقة تربـــو في كف الرحمن عز وجـــــل)

٦ ـ (٥٠) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف الأخرم بنيسابور ، ثنا محمد بن نعيم ثنا ابن قتيبة ، ح وثنا محمد بن عبد الله بن أبى رجاء ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا قتيبة ، ثنا الليث ، عن سعيد بن أبى سعيد بن يسار ، سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ، هذا حديث ثابت باتفاق (٣) .

---

(١) ابن جرير في التفسير ٢٨/٣٤ من طريق ابن حميد ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسه به .

(٢) جه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، ٧١/٨ ح ١٩٧ ..... عن أبي الزناد به .

. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٨ .

(٣) خ / الزكاة / باب الصدقة من كسب طيب / فتح البارى ٢٧٨/٣ ح ١٤١٠ من طريق عبد الله بن منير ... عن أبي هريرة . ولفظه . فان الله يتقبلها بيمينه .

. وفي التوحيد / باب قول الله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) . فتح البارى ٤١٥/٨٣ ح ٧٤٣٠ عن طريق خالد بن مخلد .. عن أبي هريرة . وسعيد بن يسار عن أبي هريرة .

. م / في الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها . ٧٠٢/٢ ح ٦٣ من طريق قتيبة بن سعيد به .

. حم / ٣٣١/٢ ، ٤١٨ ، ٤٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ .

. ت / الزكاة / باب ما جاء في فضل الصدقة . تحفة الأحوذى ٣٢٧/٣ ح ٦٥٦ .

. الدارمي / الزكاة / باب فضل الصدقة . ٣٣٣/٨ ح ١٦٨٢ . تحقيق السيد عبد الله هاشم طبعة ١٣٨٦ هـ .

. الموطأ / الصدقة / باب الترغيب في الصدقة ص٦١٥ طبعة الشعب .

. جه / الزكاة / باب فضل الصدقة ٥٩٠/٨ ح ١٨٤٢ .

. والدارقطنى . في الصفات . ورقة ٤/ب خ بالجامعة الاسلامية

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من معنى قوله لما خلقت بيدى)

٧ / ب

٧ ـ (٥١) أخبرنا محمد بن ابراهيم بن عبد الملك القرشى ، ثنا أحمد بن ابراهيم البسرى ، ثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو ، ثنا خالى عبد الحميد ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن داود بن أبي هند ، عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جل وعز خلق الفردوس بيده ، وحظرها عن كل مشرك ومدمن خمر (١) .

٨ ـ (٥٢) أخبرنا أحمد بن سلمة المؤدب بمصر ، ثنا أبو الزنباع ، ثنا سعيد بن عفير ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جل وعز خلق الفردوس بيده ، وحظرها عن كل مشرك ومدمن خمر سكير (٢) .

٩ ـ (٥٣) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر بن أبان ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا أبي ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبى عجلان ، قال سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الله جل وعز كتب على نفسه بيده لما خلق الخلق أن رحمتي تغلب غَضَبي . روى هذا الحديث جماعة عن أبي هريرة ، لم يذكر فيه كتب على نفسه بيده غير ابن عجلان (٣) .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من ذكر اليد والكف)

١٠ ـ (٥٤) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، وعبد الله بن ابراهيم : قالا : ثنا أحمد بن الفرات . أنبأ عبد الله بن صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، أن رجلا قال :

يارسول الله أنبتدىء الأعمال أم قد قضى القضاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في

(١ ، ٢) لم أعثر على من خرجهما . وفيما تقدم من آيات وأحاديث ما يغنى عنهما . وقد وجدت للحديث شاهدا مرسل في الأسماء والصفات (للبيهقي من حديث عبد الله بن الحارث عن أبيه . ص٣١٨ .

(٣) جه / مقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧٨ ح ١٨٩ من طريق محمد بن يحيى ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة . وفيه : كتب على نفسه بيده .

. وابن خزيمة في التوحيد ص٥٨ . والدارقطنى / في الصفات . ورقة ٢/ب خ .

كفه فقال : هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار فأهل الجنة ميسرون لعمل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل النار (١) ·

رواه جماعة عن معاوية بن صالح فلم يذكروا فيه هذه اللفظة ، ثم أفاض بهم في كفه · وروى الزبيدي عن راشد فقال في كفيه · فممن رواه عبد الله بن وهب ومعنى بن عيسى القزاز · وغيرهما ، أخبرناه على بن العباس الطحان المصرى ، ثنا جعفر بن سليمان النوفلي ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحراني ، ثنا معنى بن عيسى ، عن معاوية بن صالح بهذا الحديث ·

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم في معنى اليـــد)

١١ ـ (٥٥) أخبرنا عبد الله بن ابراهيم المقرىء ، ثنا رجا بن صهيب ، ثنا يعقوب الحضرمى ثنا شعبة ، ح وثنا أحمد بن عبد الله بن الحسن العدوي بمصر ، ثنا معاذ بن المثنى واللفظ له ، ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن أبي اسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن أبيه ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ساعد الله أشد من ساعدك ، وموسى الله أحد من موساك (٢) ·

١٢ ـ (٥٦) أخبرنا عبد العزيز بن سهل الدباس بمكة ، ثنا محمد بن الحسن الخرقي البغدادي ، ثنا محفوظ ، عن أبى توبة ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جل وعز ينزل إلى سماء الدنيا ، وله في كل سماء كرسي ، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ، ثم مد ساعديه فيقول : من ذا الذى يقرض غير عادم ولا ظلوم ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه · فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه · هكذا

---

(١) ابن جرير الطبري . التفسير ١١٧/٩ من طريق أحمد بن الفرج الحمصي . قال : ثنا بقية بن الوليد قال حدثني الزبيدي عن راشد بن سعد به . وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ١٤٣/٣ أن الحديث أخرجه ابن جرير والبزار والطبراني . والآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ·

· والآجري في الشريعة ص١٧٢ ·

· والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٦ ·

(٢) حم / ٤٧٣/٣ من طريق عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة · ١٣٧/٤١/٤ ·

رواه الخرقى عن محفوظ عن أبى توبة (١) عن عبد الرزاق ، وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل (٢) ٠

١٣ ـ (٥٧) أخبرنا محمد بن عبد الجبار بمصر ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا ابن وهب ، ثنا أسامة بن زيد ، عن أبى حازم ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يخطب الناس فقال :

يأخذ الجبار سماواته والارضين فيجعلها في كفيه ، ثم يقول بهم هكذا كما يقول الغلام بالكرة ، أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز (٣) ٠

١٤ ـ (٥٨) أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادى بمصر ، ثنا هاشم بن يونس ، ثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عمر بن عمرو عن بعض أهل الشام قال :

إن ربك عز وجل أخذ لؤلؤة فوضعها على راحته ثم دملجها بين كفيه ، ثم غرسها وسط الجنة ، فقال لها : امتدى حتى ···· مرضاتي ففعلت ، فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة وهي طوبى (٤) ٠

١٥ ـ (٥٩) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد ، ثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ، البغدادي ثنا سعيد يعني ابن عامر ، ثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس في قوله : جل وعز (فلما تجلى ربه للجبل) (الأعراف /١٤٣) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجلى منه خنصر (٥) فمن نورها جعلها دكا ٠

١٦ ـ (٦٠) حدثنا أحمد بن زياد ، ثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ، ثنا إسحاق بن أبي إسحاق ، ثنا داود يعني ابن الزبرقان (٦) ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس عن النبى صلى

---

(١) محفوظ بن أبي توبة ، سمع عبد الرزاق ، ضعف أحمد أمره جدا وقال : كان يسمع معنا باليمن ولم يكن ينسخ ، قال ابن حجر : وهو محفوظ بن الفضل ، روى عن معن وضمرة وربيعة ، حدث عنه اسماعيل القاضي وعمر بن أيوب السقطي ولم يترك ٠ انتهى وذكره العقيلى في الضعفاء ٠ توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ٠ لسان الميزان ١٩/٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ الأعلمي للمطبوعات الميزان ٤٤٤/٣ ٠ تاريخ بغداد الجرح والتعديل ٤٢٢/٨/٤ ـ ٤٢٣ ٠

(٢) الحديث ضعيف لأن فيه محفوظا وهو ضعيف جدا كما ترى في ترجمته ، وفي الباب آيات قرآنية وأحاديث صحيحة تغنى عن هذا الحديث ٠

(٣) ابن جرير في التفسير ٢٦/٢٤ من طريق الربيع بن سليمان ، ثنا ابن وهب به ٠ وفيه حتى لقد رأينا المنبر وانه ليكاد أن يسقط به ٠

(٤) في إسناده جهاله ، وهو قوله عن بعض أهل الشام ٠

(٥) ابن جرير ، التفسير ٥٣/٩ من طريق ··· ثابت عن أنس نحوه ٠

(٦) ابن الزبرقان هو الرقاشي البصري قال ابن حجر متروك ٠ تقريب ٢٣١/٨ ٠

الله عليه وسلم نحوه . قال : الجبل في الأرض . روى هذا الحديث محمد بن سواء (١) عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مثله مرفوعا . وهما من حديث شعبة غريب مرفوع .

(حديث آخر يدل على ذكر القبضة)

١٧ ـ (٦١) **أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادي بمصر ، ثنا يحيى بن أيوب** ، ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الله جل وعز يخرج قبضته من النار فيطرحهم في نهر الحياة فيدخلهم الجنة (٢) .

(حديث آخر يدل على ذكر الأصبع)

١٨ ـ (٦٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد بمكة ، ثنا الحسن بن محمد الزعفرانى . ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمشى ، عن ابراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال :

أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا أبا القاسم ان الله يحمل الخلائق على أصبع ، والسموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والبحر على أصبع ، والثرى على أصبع ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله جل وعز : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (الزمر /٦٧) (٣) .

١٩ ـ (٦٣) أخبرنا حاجب بن أبي بكر الطوسي ، ثنا عبد الله بن حاتم الطوسي ، ثنا يحيي بن سعيد ، ثنا سفيان ، عن منصور ، وسليمان ، عن إبراهيم ، عن

---

(١) محمد بن سواء الدوسي . صدوق . رمي بالقدر . تقريب ١٦٨/٢ .

(٢) خ / التوحيد / باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فتح البارى ٤٢٠/١٣ ح ٧٤٣٩ من طريق ..... عطاء ابن يسار عن أبى سعيد به مطولا .

. م / الايمان / باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/٨ ح ٣٠٢ من طريق ..... عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدري به مطولا .

. حم / ٩٤/٣ من طريق ..... عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري به مطولا .

(٣) خ / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) فتح البارى . ٣٩٣/١٣ ح ٧٤١٥ من طريق عمر بن حفص بن غيث . ثنا أبى . ثنا الأعمش به .

. وباب قول الله : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) فتح البارى ٤٣٨/١٣ ح ٧٤٥١ .

. م / كتاب المنافقين / ٢١٤٨/٤ حـ ٢١ من طريق عمر بن حفص بن غياث . ثنا أبى عن الأعمش به .

. ابن خزيمة في التوحيد ص٧٦ .

. والدارقطنى في الصفات . ورقة ١/ خ .

. والبيهقى في الأسماء والصفات ص٣٣٣ .

عبيدة ، عن عبد الله ، أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع والشجر على أصبع ، والخلائق على أصبع ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : (وما قدروا الله حق قدره) . قال يحيى بن سعيد وحدثنى الفضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا (١) ٠ ٨ / ب

٢٠ ـ (٦٤) أخبرنا أبو عمرو مولى بني هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب بن أبى تمام العسقلاني ثنا آدم ، ثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن ابن مسعود قال : جاء حبر من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد انا نجد في التوراة إن الله يجعل السموات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ٠ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما قدروا الله حق قدره) ٠ وهذا حديث ثابت باتفاق(٢) ٠

٢١ ـ (٦٥) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم ، قالا : ثنا أبو مسعود ، أنبا محمد بن الصلت (٣) ، ثنا أبو كدينة (٤) ، عن عطاء بن السائب (٥) عن مسلم ابن صبيح (٦) ، عن ابن عباس قال :

مر رجل من اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال له : حدثنا يا يهودى فقال :

---

(١) خ / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) فتح البارى ٣٩٣/٨ ح ٧٤١٤ / من طريق مسدد سمع يحيى بن سعيد عن سفيان به ٠

٠ وابن خزيمة / في التوحيد / باب ذكر امساك الله تبارك وتعالى اسمه السموات ... الخ على اصابعه ص٧٧ ٠

٠ والدارقطنى في الصفات . ورقة ٣/ب خ ٠

(٢) خ / التفسير / باب (وما قدروا الله حق قدره) فتح البارى ٥٥٠/٨ ح (٤٨١١ من طريق ..... عبيدة عن ابى مسعود به ٠

٠ وفي التوحيد / باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) فتح البارى ٤٧٥/١٣ ح ٧٥١٣ ٠

٠ ابن جرير في التفسير ٢٦/٢٤ ٠

٠ م / كتاب المنافقين . ٢١٤٧/٤ ح ١٩ . من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس . ثنا فضيل بن عياض . عن منصور به ٠

٠ والبيهقى في الأسماء والصفات ص٣٣٥ ٠

(٣) محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى . أبو جعفر الكوفي الأصم . ثقة ٠ تقريب ١٧١/٢ ٠

(٤) أبو كدينة ـ وهو يحيى بن المهلب البجلى ـ أبو كدينة بنون مصغرا . الكوفي . صدوق ٠ تقريب ٣٥٩/٢ ويظهر أنه ممن روى عن عطاء بن السائب بعد الاختلاط ٠ انظر التقييد والايضاح ص٤٤٢ ـ ٤٤٥ ٠

(٥) عطاء بن السائب أبو محمد الثقفى الكوفى . صدوق . تغير بآخره ٠ تقريب ٢٢/٢ . تهذيب ٣٠٦/٨ ٠

(٦) مسلم بن صبيح . بالتصغير . الهمذانى أبو الضحى الكوفى العطار . مشهور بكنيته . ثقة فاضل تقريب ٢٤٥/٢ ٠

أبلغك يا أبا القاسم . ان الله يجعل السماء على ذه ، والأرض على ذه · فأنزل الله جل وعز (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (١) ·

٢٢ ـ (٦٦) أخبرنا أبو عمرو مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب العسقلاني ، ثنا آدم ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي السائب ، وعن أبى الضحى ، عن مسروق (٢) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهودي : أذكر من عظمة الرب جل وعز ، فقال : السموات على هذه ، يعنى الخنصر ، والأرض على هذه ، يعنى البنصر ، والجبال على هذه ، يعنى الوسطى ، والماء على هذه يعنى السبابة ، وسائر الخلق على هذه يعني الابهام · فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) ·

٢٣ ـ (٦٧) أخبرنا أبو عمرو مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، ثنا آدم ، ثنا حماد عن أبى سفيان ، عن وهب بن منبه ، قال :

ما الخلق كلهم والأرضون في قبضة الله جل وعز إلا كخردلة له ها هنا من أحدكم في العقد الثانى ، يعنى البنصر ·

(ذكر خبر يدل على ما تقدم من ذكر الأصابع)

٢٤ ـ (٦٨) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا الوليد ابن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ثنا بسر بن عبد الله ، ثنا أبو ادريس الخولاني ثنا النواس بن سمعان ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قلب الا وهى بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل إذا شاء أن يقيمه أقامه ، واذا شاء أن يزيغه أزاغه . ويقول : يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك · قال · والميزان بيد الرحمن جل وعز يرفعه ويخفضه (٣) ·

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد / باب امساك الله تبارك وتعالى السموات والأرض وما عليها على أصابعه ص٧٨ من طريق عبيد الله ابن عبد الكريم ..... أبو زرعة والرازى ثنا محمد بن الصلت به ·

(٢) مسروق بن الأجدع ، ثقة ، لم يدرك الرسول صلى الله عليه وسلم . والأحاديث المتقدمة قبل هذين الحديثين متفق عليها ، وهى تغنى عنهما ·

(٣) حم / ٢٨٢/٤ من طريق عبد الله حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم به ·

· وجه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، ٧٢٨ ح ١٩٩ من طريق هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ، ثنا ابن جابر به · والدارقطنى في الصفات ، ورقة ١/٤ خ ·

· وله شاهد في المسند ١٦٨/٢ ، ١٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ·

· ومن حديث عائشة ٩١/٦ ، ٢٥١ ·

· وابن خزيمة في التوحيد ص٨٠ ·

٢٥ ـ (٦٩) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا خلاد ابن يحيى ، ثنا سفيان ، عن الأعمشى ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فقيل يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به ، فقال : إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن جل وعز يقلبها كيف يشاء ، هكذا ، ووصف سفيان الثوري بالسبابة والوسطى فحركهما ، هذا حديث ثابت باتفاق (١) . وكذلك حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم .

٢٦ ـ (٧٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا أحمد بن محمد بن أبى الحناجر ، ثنا الهيثم بن حميد ح / وأخبرنا الحسن بن النضر ، ثنا إسحاق بن إبراهيم البغدادى ، ثنا عمر ابن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : (فلما تجلى ربه للجبل) قال : تجلى عز وجل منه مثل هذا ، ووضع الإبهام على الخنصر زاد الهيثم قال حماد لثابت : لا تحدث بهذا الحديث ، فلكم في صدره وقال له قولا شديدا ، فقال : يعنى ثابت : أنس يحدثنى به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : لا تحدث به (٢) . ٩/أ

٢٧ ـ (٧١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر الوراق ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، ثنا هريم ، ثنا محمد بن سوا ، عن سعيد عن قتادة عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم (فلما تجلى ربه للجبل) قال : هكذا وأشار صلى الله عليه وسلم بطرف الخنصر (٣) . وهذا حديث مشهور ، وقد روي من طرق عن أنس بن مالك .

٢٨ ـ (٧٢) أخبرنا خيثمة ، ثنا محمد بن ابراهيم بن كثير ، ثنا مؤمل ، ثنا

---

(١) ت / قدر / باب ما جاء أن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن . تحفة الأحوذي ٣٤٩/٨ ح ٢٢٢٦ من طريق هناد ..... عن أبى سفيان عن أنس . وقال حديث حسن صحيح وقال روى بعضهم عن الأعمشى عن أبى سفيان عن جابر . وحديث أبى سفيان عن أنس أصح . قلت : ورواية أبى سفيان عن جابر هى رواية المصنف . وقد أخرجه الدارقطنى في الصفات . ورقة ١/٤ خ . وقال الهيثمى في مجمع الزوائد باب الأدعية المأثورة ١٠/١٧٦ رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح . وقد أخرج م /له شاهداً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في القدر / باب تصريف الله تعالى القلوب / ٢٠٤٥/٤ ح ١٧ .

. وحم ١٦٨/٢ ـ ١٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو .

. وحم / ٢٥١/٦ من حديث عائشة .

. وحم / ٣٠٢/٦ ، ٣١٥ من حديث أم سلمة .

(٢) ابن جرير الطبري في التفسير ٥٣/٩ من طريق المثنى قال ثنا هدبة بن خالد . قال : ثنا حماد بن سلمة به .

(٣) ابن جرير الطبري في التفسير ٥٣/٩ من حديث أنس .

عبيدالله بن أبي المليح ، عن أبي مليح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل في منامي في أحسن صورة ، فقال لى : يامحمد · قلت : لبيك وسعديك · قال · هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، يارب · فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثدي ، وذكره (١) ·

٢٩ ـ (٧٣) أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادى بمصر ، ثنا هارون بن كامل ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن أبي يحيى وهو سليم (٢) ، عن أبي يزيد عن أبي سلام الحبشي ، أنه سمع ثوبان قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح فقال : إن ربي عز وجل أتاني الليلة في أحسن صورة فقال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا علم لي يارب : فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ، فتجلى لي ما بين السماء والأرض ، وذكر الحديث ·

٣٠ ـ (٧٤) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفي بمصر ، ثنا ابراهيم بن مرزوق ، ثنا أبو عامر العقدي ، ثنا زهير بن محمد ، عن يزيد بن جابر ، عن خالد بن اللجلاج ، عن عبد الرحمن بن عايش ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وهو طيب النفس ، مشرق اللون ، فقلنا له ، فقال :

مالى وأتاني ربى عز وجل في أحسن صورة · الحديث (٣) · هكذا رواه عن يزيد بن يزيد (٤) ، وزاد في الاسناد رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم · ورواه الأوزاعي وعبد الرحمن بن جابر وغيرهما عن خالد بن اللجلاج ولم يذكروا الرجل في الإسناد ·

٣١ ـ (٧٥) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ، وخيثمة بن سليمان ، قالا : ثنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني أبي ، ثنا ابن جابر ، والأوزاعى قالا : ثنا خالد بن اللجلاج ، سمعت عبد الرحمن بن عايش قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث مثله وقال فيه : فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثدي فعلمت ما في الأرض والسموات ، ثم قرأ (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) (الأنعام / ٧٥) (٥) قال عبد الله (٦) : رواه أبو سلام ، عن عبد الرحمن بن عايش ، عن مالك بن يخامر عن معاذ

---

(١) سيأتي تخريجه حديث رقم ٧٥ ·

(٢) سليم بن عامر الكلاعي ، أبو يحيى الحمصي ، ثقة ، من الثالثة · تقريب ٣٢٠٨ · تهذيب ١٦٦/٤ ·

(٣) حم / ٦٦/٤ من طريق عبد الله حدثنى أبي ، أبو عامر به أتمّ من هذا ·

(٤) ويزيد بن يزيد هو ابن جابر · وسيأتى الحديث كاملا ·

(٥) ابن جرير في التفسير ٢٤٧/٨ ·

(٦) لعله : أبو عبد الله ·

بن جبل (١) · وروى هذا الحديث ابن حنبل (٢) · وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقلها عنهم أئمة البلاد ، من أهل الشرق والغرب ·

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقـــدم)

٣٢ ـ (٧٦) أخبرنا محمد بن الحسين القطان النيسابورى ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي ح / وأنبأ عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم ، قالا : ثنا أبو مسعود الرازي ، قال : أنبأ عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ٩ / ب

خلق الله جل وعز الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق بني آدم مما وصف (٣) · وهذا حديث ثابت باتفاق ·

٣٣ ـ (٧٧) أخبرنا محمد بن الحسين القطان ، ثنا أبو الأزهر النيسابوري ، ثنا صدقة بن سابق ، قال : قرأت على محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعته يقول : خلق الله الملائكة ثم قال : ليكن منكم ألف ألفين ، فيكونون ، فإن في الملائكة لخلقا هم أصغر من الذباب ، وقال غيره وزاد فيه وخلقهم من نور الذراعين والصدر ·

٣٤ ـ (٧٨) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا شريح ، بن يونس ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، وقال : ليس شيء أكثر من الملائكة ، إن الله قد خلقهم من نور فذكره ، وأشار شريح بيده الى صدره · وقال : أشار أبو خالد إلى صدره ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنيه

---

(١) وصله ت / في التفسير / ١٠٦/٩ ـ ١٠٧ ح ٣٢٨٨ تحفة الأحوذى . من طريق محمد بن بشار ، ثنا معاذ بن هانى ... عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل به مطولا ، ثم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث ، فقال : هذا صحيح وقال : هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : ثنا خالد بن اللجلاج حدثنى عبد الرحمن بن العايش الحضرمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ، وهذا غير محفوظ · هكذا ذكر الوليد في حديثه عن عبد الرحمن بن عايش قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم · وروى بشر بن بكر ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، هذا الحديث بهذا الإسناد عن عبد الرحمن بن عايش عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا أصح · وعبد الرحمن بن عايش لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم ا هـ ·

· والدارمي في السنن / باب في رؤية الرب تعالى في النوم ، ٥١/٢ ح ٢١٥٥ ·

(٢) حم / ٢٤٣/٥ ·

(٣) م / كتاب الزهد / باب في أحاديث متنوعة ، ٢٢٩٤/٤ ح ٦٠ · وفيه : وخلق آدم ·

· حم / ١٦٨/٦ ·

أبي ، ثنا أبو أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر (١) .

٣٥ ـ (٧٩) أخبرنا أبو عمر مولى بنى هاشم ، ثنا أبو أمية الطرسوسى ، ثنا عبيدالله بن موسى ، ثنا شيبان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار ، وضرسه مثل أحد (٢) .

٣٦ ـ (٨٠) (ثنا) أحمد بن محمد بن زياد ، ومحمد بن يعقوب بن يوسف ، قالا : ثنا الحسن بن على بن عفان ، ثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يعنى جل وعز : أنا عند ظن عبدي بي ، إن تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة (٣) .

٣٧ ـ (٨١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا أبي ، ثنا أبو اليمان ، ثنا ابن عياش ، عن أم عبد الله بنت خالد بن معدان عن أبيها ، أنه قال : إن ريح الجنة ليضرب على أربعين خريفا والخريف باع الله عز وجل (٤) .

بـــــــاب

قول الله جل وعز (كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص /٨٨) .

وقال الله عز وجل (ويبقى وجه ربك ذو الجلال) (الرحمن /٢٧) .

وذكر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على حقيقة ذلك .

---

(١) الحديث من قول عبد الله بن عمرو . وقد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٣ . وأشار الى أنه من الإسرائيليات .
. والسنة / لعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ص١٥١ .

(٢) حم / ١٧١/٢٤ ح ٤١٩ ترتيب الساعاتى .
. الحاكم في المستدرك / كتاب الأهوال ، ٥٩٥/٤ . على شرط البخارى ومسلم .

(٣) م / في كتاب التوبة / باب في الحض على التوبة ، ٢١٠٢/٤ ح ١ . من طريق سويد بن سعيد ..... عن أبى صالح وفيه زيادة .
. خ / في التوحيد ، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه ، فتح الباري ٥١٢/٨٣ ح ٧٥٣٧ من حديث أبي هريرة .
. حم / ٣٥١/٢ ، ٤١٣ وفيه زيادة .
. جـه / في الأدب / باب فضل العمل ، ١٢٥٥/٢ ـ ١٢٥٦ ح ٣٨٢٢ .
. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية / للبخارى ص١٨٨ .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٢ .

(٤) تقدم الحديث رقم ٨٠ يغنى عن هذا وهو في معناه .

١ ـ (٨٢) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن منده ، ثنا اسماعيل بن عبد الله بن مسعود ثنا أبو نعيم ، وعمرو بن عون ، ثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة ، عن أبى عمران الجونى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جنات الفردوس أربع ، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة حليتهما وما فيهما ، ليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن ، وهذه الجنات تشخب من جنات عدن ، ثم تصدع بعد أنهار (١) .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من النظر إلى وجه الله عز وجل)

٢ ـ (٨٣) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم المقرىء قالا : ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، أنبا أبو داود ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن صهيب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (يونس /٢٦) ، قال : النظر إلى وجه ربهم جل وعز (٢) ، وقال ابن مسعود رحمه الله في المسند النظر إلى وجه ربهم جل وعز .

٣ ـ (٨٤) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفى بمصر، ومحمد بن يعقوب الأصم بنيسابور، قالا : ثنا إبراهيم بن مرزوق، ثنا عثمان بن عمر، ثنا إسرائيل، عن أبي اسحاق عن عامر بن سعد، أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال في هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (يونس /٢٦)، قال : النظر الى وجه الله جل وعز (٣) . قال **أبو عبدالله :** وكذلك فسرها حذيفة بن اليمان (٤) .

٤ ـ (٨٥) أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار ببغداد، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا مسلم ابن سالم، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابت عن أنس، قال :

---

(١) خ / التوحيد . ٤٣٣/٨٣ ح ٧٤٤٤ . من طريق على بن عبد الله . ثنا عبد العزيز عن أبى عمران به .
. م / الايمان / باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١٦٣/٨ ح ٢٩٦ .
. ت / في الجنة / باب ما جاء في صفة غرف الجنة / ٢٣٢/٧ ح ٣٦٤٨ .
. جـه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ٦٦/٨ / ح ١٨٦ .
(٢) م / الايمان / باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ١٦٣/٨ ح ٢٩٧ . ٢٩٨ .
(٣) الآجرى في الشريعة ص٢٥٧ .
(٤) الآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : للذين أحسنوا العمل في الدنيا الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم جل وعز .

(ذكر خبر آخر يدل على النظر إلى وجه الله عز وجل)

٥ ـ (٨٦) أخبرنا خيثمة بن سليمان، ثنا محمد بن عون بن سفيان، ثنا عبد الله ابن موسى، أنبا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار بن ياسر، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه : اللهم إنى أسألك الرضا، بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين (١) . رواه حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب مثله، ورواه أيضا أبو الدرداء عن زيد بن ثابت (٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(ذكر خبر آخر يدل على إجازة السؤال بوجه الله عز وجل)

٦ ـ (٨٧) (ثنا) محمد بن إبراهيم بن مروان، ثنا أحمد بن إبراهيم البسري، ثنا مضر بن محمد بن سليمان بن أبي ضمرة، ثنا أبي، ثنا داود بن على بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول: اللهم إنى أسألك بوجهك الكريم (٣)، وذكر الحديث، وهذا الحديث له طرق كثيرة عن ابن عباس .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم)

٧ ـ (٨٨) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة ، ثنا عبد الله ابن الزبير الحميدى ، ثنا سفيان ، ح / وأنبا عبد الله بن إبراهيم ، ثنا أحمد بن الفرات الرازى ، ح / وأخبرنا على بن العباس الغزي ، ثنا محمد بن حماد ، قالا : أنبا عبد الرزاق ، عن معمر قالا : جميعا عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : نزلت (قل هو القادر على أن

---

(١) اللالكائى في السنة / الرؤية عن عمار بن ياسر ص٦٤ ـ ٦٥ خ / مكتبة الشيخ حماد الأنصارى بالمدينة المنورة .
وفي مجمع الزوائد . باب الأدعية المأثورة عن رسول الله . ١٧٧٨٠ عن السائب الثقفى قال : كنت عند عمار وكان يدعو بدعاء في صلاته . وفيه واسألك شوقا الى لقائك .

(٢) اللالكائى في السنة / الرؤية . عن زيد بن ثابت . خ ص٦٥ مكتبة الشيخ حماد الأنصارى وفي مجمع الزوائد ١٧٧٨٠ عن أم الدرداء قالت كان فضالة بن عبيد يقول . الحديث رواه الطبرانى في الأوسط والكبير ورجالهما ثقات . وكذا اللالكائى في السنة / الرؤية ص٦٦ .

(٣) مجمع الزوائد . باب أدعية الصحابة . ١٨٤٨٠ وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك . (أو من تحت أرجلكم) قال صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك . (أو يلبسكم شيعا) (الأنعام /٦٥) . قال : هذه أهون (١) .

٨ ـ (٨٩) أخبرنا أحمد بن الحسن ، وعمر بن محمد البزار ، قالا : ثنا أحمد بن عمر بن أبى عاصم ، ثنا أحمد بن عبيدة العصفرى ؟ ثنا يعقوب بن اسحاق ، ثنا سليمان بن معاذ ، عن ابن المنكدر ، عن جابر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يسأل بوجه (الله) الا الجنة (٢) .

وفي هذا الباب أحاديث منها : من سألكم بوجه (الله) فأعطوه .

ومنها حديث ، ملعون من سأل بوجه الله ، ولا يثبت من جهة الرواة (٣) . والله أعلم .

وذلك أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل بوجه الله ، واستعاذ بوجه (الله) (٤) وأمر من يسأل بوجه الله أن يعطى ، من وجوه مشهورة ، بأسانيد جياد ، ورواها الأئمة عن عمار بن ياسر ، وزيد بن ثابت ، وأبي أسامة (٥) ، وعبد الله بن جعفر ، وغيرهم . ١٠ / ب

(ذكر خبر آخر يدل على أن نور الجنان من نور وجه الله عز وجل)

٩ ـ (٩٠) أخبرنا عبد الله بن إبراهيم ، ومحمد بن محمد ، قالا : ثنا أحمد بن عاصم ثنا مؤمل ، ثنا حماد بن سلمة ، عن الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله ، عن ابن مسعود قال :

---

(١) ابن جرير في التفسير . ٢٢٢/٩ ـ ٢٢٣ .

(٢) د / الزكاة / باب كراهية المسألة بوجه الله . ٣٠٩/٢ ـ ٣١٠ ح ١٦٧١ . فيه سليمان بن قرم بن معاذ البصري النحوي قال ابن حجر في تقريب التهذيب : سيء الحفظ يتشيع . وفي التهذيب وثقه أحمد وضعفه آخرون تهذيب ٢١٣/٤ . تقريب ٣٢٩/٨ .

. وله شاهد في ن / الزكاة / من سأل بوجه الله ٦٢/٥ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

(٣) في مجمع الزوائد ج / ١٠٣/٣ عن أبي عبيد مولى رفاعة بن رافع أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه . قال : وعن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله ... رواه الطبراني في الكبير واسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق . وفي ج ١٥٣/٨٠ باب السؤال بوجه الله الكريم عن أبى موسى الأشعري وقال : رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح . وهو ثقة وفيه ضعف .

(٤) د / الأدب / باب ما يقول عند النوم . ٣٠١/٥ ح ٥٠٥٢ من حديث على رضي الله عنه .

(٥) مجمع الزوائد . ١٠٢/٣ ـ ١٠٣ قال : رواه الطبراني في الكبير . ورجاله موثقون إلا أن فيه بقية بن الوليد وهو مدلس ولكنه ثقة .

. قوله (ألفي سنة) في د / ألف سنة .

إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، ونور السموات من نور وجهه ، وذكر الحديث بطوله .

وفي هذا المعنى خبر مسند عن النبى صلى الله عليه وسلم ، رواه وهب بن جرير ، عن ابن اسحاق عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، دعا (حين) خرج إلى الطائف ، اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له (نور) السموات ، أخبرناه-كذا . وهذا الحديث يدل على معنى قول الله تعالى ، الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة . الآيـــة .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من النظر إلى وجه الله عز وجل)

١٠ ـ (٩١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ثنا أبو معاوية عن عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير بن أبي فاختة (١) عن ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه (ألفي) سنة ، يُرى أقصاه كما يُرى أدناه ، وأن أفضلهم منزلة لَمَنْ ينظر إلى وجه الله جل وعز كل يوم مرتين (٢) .

وروى هذا الحديث إسرائيل وغيره عن ثوير مثله (٣) . وروي عن ابن عمر من وجوه من قوله (٤) .

« ذكر خبر آخر يدل على ما تقـــدم »

١١ ـ (٩٢) أخبرنا محمد بن حاتم بمرو ، ثنا عبد الله بن روح المدايني ، ثنا سلام ابن سليمان ، عن شعبة وغيره ، عن ليث ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس ، ح / وثنا أحمد

---

(١) ثوير ـ مصغرا ـ ابن أبي فاختة ، بمعجمة مكسورة ومثناة مفتوحة ، سعيد بن علاقة بكسر المهملة ، الكوفي ، أبو جهضم ، ضعيف ، رمي بالرفض ، من الرابعة ، / ت . تقريب ١٢١٨ .

(٢) ت / صفة الجنة / باب رؤية الله في الجنة ، تحفة الأحوذى ، ٢٦٨/٧ ـ ٢٧٠ ح ٢٦٧٧ . من طريق عبد بن حميد ، أخبرنى شبابة ، عن إسرائيل ، عن ثوير .

(٣) ابن جرير الطبرى في التفسير ١٩٣/٢٩ . من طريق أبى كريب ، قال ثنا الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر به .

(٤) ابن جرير الطبري في التفسير ١٩٣/٢٩ . من طريق على بن الحسين بن أبجر ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا اسرائيل بن يونس عن ثوير عن ابن عمر به .

. واللالكائى في السنة ، الرؤية ص٦١ خ مكتبة الشيخ حماد الأنصارى .

. ت / صفة الجنة / باب رؤية الرب ..... تحفة الأحوذى ، ٢٧٠/٧ ح ٢٦٧٨ .

. واللالكائى في السنة ، الرؤية ص٧١ خ مكتبة الشيخ حماد الأنصاري .

ابن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن حنبل واللفظ له ، عن عبد الأعلى النرسي (١) ، ثنا عمرو بن يونس ، عن جهضم بن عبد الله ، حدثني أبو طيبة ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء ، فقلت : ما هذه ياجبريل ؟ قال : الجمعة ، وذكر الحديث وقال فيه : فيتجلى لهم ربهم عز وجل ينظرون الى وجهه (٢) هذا حديث مشهور عن عثمان بن عمير (٣) .

قال **أبو عبد الله** ، قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أجمع أهل التأويل ، كابن عباس (٤) وغيره من الصحابة ، ومن التابعين محمد بن كعب ، وعبد الرحمن بن سابط ، والحسن بن أبي الحسن (٥) ، وعكرمة (٦) وأبو صالح ، وسعيد بن جبير وغيرهم : أن معناه الى وجه ربها ناظرة ، والآخرون نحو معناه ومن روى عنه (٧) أن معناه أنها تنتظر الثواب ، فقول شاذ لا يثبت ، ومعنى وجه الله عز وجل هاهنا على وجهين :

أحدهما وجه حقيقة ، والآخر : بمعنى الثواب .

فأما الذي هو بمعنى الوجه في الحقيقة ، ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى (٨) ، وصهيب (٩) ، وغيرهم ، مما ذكروا فيه الوجه ، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه جل وعز ، واستعاذته بوجه الله ، وسؤاله النظر الى وجهه جل وعز ، وقوله صلى الله عليه وسلم : لا يسأل بوجه الله ، وقوله ، أضاءت السموات بنور وجه الله ، وإذا رضى عز وجل عن قوم أقبل عليهم بوجهه جل وعز ، وكذلك قول الله جل وعز : (إلى

---

(١) النرسى - عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلى مولاهم البصري . أبو يحيى المعروف بالنرسى . بفتح النون وسكون الراء وبالمهملة . لا بأس به . من كبار العاشرة . مات سنة ست أو سبع وثلاثين . خ / دم س تقريب ٤٦٤٨ .

(٢) الآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

ومجمع الزوائد / باب في رؤية أهل الجنة لله تبارك وتعالى .... ، ٤٣١٨٠ قال : رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه . وأبو يعلى باختصار . ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح . غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم . وإسناد البزار فيه خلاف .

(٣) عثمان بن عمير . والآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

(٤) واللالكائى في السنة . الرؤية ص٦٣ - ٦٤ خ مكتبة حماد الأنصارى . وقد سرد عددا من الصحابة والتابعين فليراجع .

(٥) ابن جرير : التفسير . ١٩٢/٢٩ .

(٦) ابن جرير : التفسير . ١٩٢/٢٩ .

(٧) روي عن مجاهد . ابن جرير : التفسير ١٩٢/٢٩ .

(٨) حديث أبن موسى تقدم ح رقم ٨٩ .

(٩) حديث صهيب تقدم ح رقم ٨٣ .

ربها ناظرة) (القيامة /٢٣) ، وقول الأئمة بمعنى ، الى الوجه حقيقة الذى وعد الله جل وعز ورسوله الأولياء ، وبشر به المؤمنين ، بأن ينظروا إلى وجه ربهم عز وجل ·

وأما الذي هو بمعنى الثواب ، فكقول الله عز وجل : (إنما نطعمكم لوجه الله) (الإنسان /٩) · وقوله جل وعز : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه) (الأنعام /٥٢) ، وما أشبه ذلك في القرآن · وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ما قائل يلتمس وجه الله ، وما أشبه ذلك مما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ··· فهو على معنى الثواب ·

وبالله التوفيق والحمد لله وحده · آخره ، ولله الحمد والمنـــة
وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك أول يوم شهر صفر المبارك
من شهور سنة أربع وثمانين بعد الألف
وختم بخيـــر

جمعية العودة الى الاسلام في اسبانيا

تقوم جمعية العودة الى الاسلام في اسبانيا بحركة طيبة لاحياء روح الاسلام من جديد في بلاد الأندلس التي أخرس أعداء الله صوت مآذنها بعد سقوط الأندلس كلية على يد الصليبيين ·

وجدير بالذكر أن هذه الجمعية قد بدأت نشاطها عام ١٩٧٦ على عاتق اثنين من مسلمي غرناطة ثم انتقلت الى اشبيليه ثم عادت الى غرناطة منذ ستة أشهر فقط ·

وقد وصل عدد أعضاء الجمعية لما يتجاوز المائة من كلا الجنسين ·

وقد أقامت الجمعية علاقات مع المسلمين في فرنسا والدنمارك وألمانيا وانجلترا والولا يات المتحدة الاميريكية واندونيسيا والأرجنتين ·

« جريدة العلم المغربية »

اللغة في أدب

الأدب الذي نريده للإسلام

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

ملاحظة
قدم لهذا البحث إلى: الندوة العالمية للأدب الإسلامي: المنعقدة في ندوة العلماء بلكناو في ١٣-١٦/٦/١٤٠١هـ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده المصطفى محمد بن عبد الله الذي أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

أما بعد فمن حق ندوة العلماء على حملة القلم الإسلامي فى كل مكان أن يسجلوا لها بمزيد من التقدير المحمدة التى سبقت إليها بالدعوة الى هذا الحفل ، الذي يتوقع أن يكون له أثره البعيد فى إضاءة الطريق أمام الكلمة المؤمنة ، لتنطلق على نور ، وتعالج قضايا الحياة على بينة ، ليس فقط فى نطاق العربية ، لغة الإسلام الأولى والعليا ، بل فى كل وسائل البيان الذى يترجم به الأديب المسلم أفكاره وتصوراته وتأملاته ووجداناته .

وليست هذه هى المأثرة الأولى ولا الأخيرة التى تقدمها هذه المؤسسة الإسلامية العريقة للفكر الإسلامي ، ففي تاريخها الحافل بالجلائل ما يجعلها محط الآمال لتحقيق الكبير الكريم من الأعمال فى خدمة الإسلام العظيم ، الشامل لكل ما يصلح الحياة من فكر وعلم وتشريع وفنون رفيعة نظيفة .

وإنه ليسعدنى بوجه خاص أن هذه الدعوة تحقق لى حلما جميلا طالما دغدغ خيالى ، فكتبت وخطبت وحاضرت فى توجيه العزائم والأذهان اليه ... وفى كتابى الموسوم بعنوان (أفكار إسلامية) بحث مفصل لما أتصوره من موجباته وعناصره وأهدافه .. ولولا بعض التطورات المتصلة بموضوع الأدب مما

أعقب ذلك البحث ، خلال العشر السنوات الماضية ، لاكتفيت بتقديمه الى هذه الندوة الموقرة دون أي تعديل .. ومن هنا كان شكرى لفضيلة الرائد الإسلامي الكبير الشيخ أبى الحسن أمتع الله بحياته مزدوجا ، فهو شكر على تحقيق حلمي الذى فاتحت به العديد من إخوانى فى هذه الديار أثناء رحلتي السابقة للهند ، وهو أيضا شكر ، بل تهنئة قلبية ، لندوة العلماء لنهوضها بهذا الواجب الذى ليس أحق به من حملة الفكر الإسلامي فى شبه القارة الهندية ، التى قدمت ولا تزال تقدم لعالم الإسلام قمماً من الرجال الذين أهدوا إليه روائع من إبداعهم فى مجال العلوم الإسلامية ، وبخاصة الحديث الشريف الذى يكاد وقفاً عليهم فى هذا العصر .. وحسبهم أن منهم العلمين العالميين اللذين أثبتا بصماتهما على ثقافة الجيل الإسلامي المعاصر ، إذ كان أحدهما الشيخ أبو الحسن الندوي صاحب الصوت الأعلى فى الدعوة العملية الى تعليم إسلامي صميم متحرر من سلطان الغرب والشرق ، ومجددٍ لبناء الشخصية الربانية على أسس الكتاب والسنة ومناهج السلف الصالح .. وكان ثانيهما الامام أبا الأعلى المودودي تغمده الله برضوانه ، ذلك السابق المجلّي فى مجال الفكر العلمي ، الذي رفع لواء المعرفة الإسلامية فوق سائر المذاهب الجاهلية ، وقدم لهذا الجيل المخطّط المحكم لنهضة واعية قادرة على مواجهة كل مشكلاته العالمية بالحلول الإسلامية الحاسمة ..

ولقد كان بودي أن أسهم فى هذه الندوة ببحث ضاف عن الأدب الإسلامي ، يستوعب خبراتى الطويلة فى خدمة الأدب والفكر الإسلاميين ، ويعالج التطورات الطارئة على مسيرة هذا الأدب خلال تاريخه الحافل ، وبخاصة فى هذه الحقبة التى سجلت فيها هذه التغيرات ذروتها .. ولكن الأعباء الكثيرة ، إلى قصر الوقت ، حالت دون المراد ، وأكرهتني على الاجتزاء بالإشارات العجلى إلى أهم النقاط التى تراودني في هذه المناسبة .

الأدب : قيمتــه وأثــره :

بغض النظر عن كل التعريفات الإتباعية أقدم فكرتي عن الأدب على أنه (الفن المصور للشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة) ومن هنا كان الأدب بنظري هو ضابط الارتباط بين جوانب الحياة الإنسانية على اختلاف منطلقاتها وتصوراتها .. وفى ضوء هذا التعريف

البرقي تتضح قيمة هذا الفن وآثاره فى مسيرة الحضارة البشرية على امتداد ساحاتها وتعدد مذاهبها ·

ومع كل الضجيج الذى يحركه ذوو النوايا الطيبة فى تنكرهم للكلام ، وتحريضهم على الاكتفاء بالعمل ، سيظل للكلمة مفعولها العميق فى إثارة العقول والقلوب ، ثم التوجيه إلى الأعلى أو الأدنى من مسالك الحياة · وغير خافٍ على أولي العلم أمثلة ذلك فى رسالات النبيين ، الذين كانت الكلمة المبينة البليغة وسيلتهم الفضلى الى أعماق الإنسان ، وقد تجلى ذلك على أتمه فى المعجزة الكبرى التى أنزلها الله على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قرآناً يَهدى للتي هى أقوم ، وسنةً تُخرجُ الناسَ من الظلمات الى النور ·

وبهذين الرافدين من أدب السماء بدأ التغيير الأكبر فى أدب العرب ، شعراً وخطابةً وحكمةً ومثلاً ، ثم ترسُّلاً وتصنيفاً وقصةً وملحمة ·· وما الى ذلك من أساليب وفنون أدت مهمتها فى تبليغ الرسالة ، وتوسيع المدارك ، ونشر الثقافة العليا فى كل مجال وصلت إليه الفتوح الإسلامية ، أو أظله الفكر الحيّ الجديد ·

● وقد استمر ذلك الأدب عربيَّ اللسان اللسان ربانيَّ المضمون ، حتى بدأ الخلل فى مسيرة الحياة السياسية ، فاختلف حَمَلَةُ الرسالة حتى الاقتتال ، وكان مستحيلا على الأدب أن يقف على الحياد فى ذلك المعترك الصاخب ، فإذا هو مأخوذ برَهَجِه ، يضطرب بين المختلفين فى تحيز ترك أثَره عميقاً فى الكثير من شعره ونثره على السواء ، ثم تتابعت الأحداث ، وتفاقمت المشكلات ، وإذا نحن خلال عصور الأدب التالية تلقاء ركامٍ من الكلام ، قليلٌ منه المتماسك فى نطاقِ المواريثِ العُليا ، وأكثره الزائغ الخطى هنا وهناك ·· حتى إن الأديب الواحد ليجمع فى نتاجه بين الضربين المتضادين من الألوان ، فهو فى بعضه إسلامي الرؤية لا يفارق خطَّ النور ، ولكنه فى بعضه الآخر مدخول الهوية لا يمت الى المنظور القرآني بأي صلة ، والمؤسف بل المبكي أن مسيرة الأدب العربى ـ بخاصة ـ واصلت حركتَها فى هذا الطريق المضطرب ، فلم تُقَيَّض لها القوة التى تردها إلى المسلك السليم ، حتى إذا فوجئت بطلائع الزحف الغربي الدافق ، لم تكن لديها المقومات القادرة على مواجهته بالوعي الذي يفرق بين الغث والسمين ، فكان من نتائج هذه المواجهة تراكم العقبات فى طريق الفكر الإسلامي ، وطغيانُ الضجيج الصادر عن المبهورين بتلك الطلائع ·· وهكذا وجدنا أنفسنا أمام جيلٍ لا يرى سبيلا للتقدم إلا بالإعراض الكلي عن المنهج الإسلامي الأصيل ، والذوبانِ التام فى تيارات الفكر الواغل الدخيل ·

• وقد بلغت هذه الدفعة الرهيبة أشدها فى أعقاب النكبة الكبرى التى نزلت بعالم الإسلام اثر سقوط الخلافة ، إذ انفرط عِقد المجموعةِ الإسلامية ، فتوزعتها النزعات الوافدة مع الزحف الغربي ، فاذا الأمة أمم ، والأسرة الواحدة فرق ، لا تقل عدداً ولا خطراً عن الفِرَق التى أفرزتها الثقافات الدخيلة خلال قرون الدولة العباسية ..

وقد انعكست آثار ذلك كله فى هذا السيل العارم من نتاج الأقلام ، التى اختلط فيها الحابل بالنابل ، وإذا هناك أخيرا مؤتمرات مشبوهة يحمل كل منها لافتة أدبية ذات لون خاص ، تحتضن فى ظلالها أقزاماً لا يكادون يُرَون من ضالتهم ، ولكنهم لا يزالون يُنفَخون ، وتُسَلط عليهم الأضواء الملونة حتى يوشكوا أن يحجبوا الرجال ذوي الأصالة فى عالم الفكر والأدب والانتاج الحق .. ولقد اتسع مدى جناياتهم حتى شمل لغة القرآن نفسها ، فراحوا ينبزونها بكل نقيصة ، فهي في زعم بعضهم فقاعات من التحاسين اللفظية لا محصول لها من فكر ولا علم ، وهي في نظر بعضهم الآخر معرض للجمود الفاضح لا تمد الباحث بأي قدرة على إعطاء مدلول صحيح .. ومن هنا كان أدبها ميتا أو مختصرا لا يملك قدرة التعبير عن أي جانب من النفس الإنسانية ، فضلا عن أن يحاول اللحاق بموكب الآداب العالمية ، ... وطبيعي أن غرضهم الأقصى من هذه الحملات إنما هو تشكيك قرائهم فى صلاحية العربية للحياة ، ومن ثم صرفهم عن الاهتمام بكتابها الأسمى الذي يقول منزله : (ما فرَّطنا فى الكتاب من شيء) .

• على أن لكل أجل كتابه ، ولكل نبأ مستقره ، كما قرر الحكيم العليم ، وهكذا لم يكن بد لهذه الغمرة المضلّلة من حد تصير اليه ، ثم ينجلي ما وراءها من المخلفات ، كما تنجلي سحابة الدخان المصطنع بعد أن حجبت حقائق الأشياء إلى حين . وكذلك استفرغت هاتيك المزاعم طاقاتها ، فهى اليوم تترنح تحت صفعات اليقظة الاسلامية التى لم تنطفىء شعلتها قط ، ولم تستسلم لمناورات الباطل ، منذ الغارة الأولى التى شنتها الشعوبية القديمة ، وحتى آخر السلسلة من هجمات الشعوبية الحديثة على حصون الأدب القرآني في كل مكان أتيح فيه للقلم الإسلامي أن يتنفس .

ونظرة واعية الى ميدان الصراع الفكري الراهن ، سواء على نطاق الأرض العربية وحدها ، أو على مستوى العالم الإسلامي كله ، تكشف للمبصر هذه الحقيقة على أتمها ، إذ تُريه أعداء الإسلام على اختلاف هوياتهم وتبعياتهم للصليبية المحلية ، أو اليهودية العالمية ، أو الشيوعية المفترسة ، أو الوثنية الحاقدة ، قد شرعوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، أمام انتفاضة الفكر

الإسلامي ، الذي أخذ يكتسح بأشعته قطع الظلام التي دسها الغزو الشيطاني فى غيبة الوعي الإسلامي ، كما اكتسحت عصا موسى (عليه السلام) حبائل السحرة التى خُيّل للناظرين أنها تسعى ، وحسبنا شاهدا على ذلك معارض الكتاب الإسلامي التى تنهض هنا وهناك وهنالك ، فتلقى من إقبال القراء على اختلاف مستوياتهم ما لا يحظى ببعضه كل نتاج الفكر الهدام فى عالم الإسلام ٠

● أجل ٠٠ لقد أثبت الأدب الإسلامي وجوده حتى اليوم شامخاً متألقاً فى كل فنون الأدب ، ففي حلبة الشعر يعلو صوت إقبال كل ما عداه من أصوات الشعراء العالميين ، ليس فقط بالأسلوب الفني الذى تستأثر به لغة الشعر فى كل لسان ، بل بالروح الإيمانى الذى يخترق بأسراره جدران الباطل ليستقر فى القلوب ، نوراً يُضيء ، وطاقةً تُحَرّك ، وحبًّا تتلاشى فى طريقه الحواجز ، ليشعر كل مسلم فى الأرض أنه عضو فى جسد يشمل كل مسلم على وجه الأرض ، وعلى سَنَن اقبال تنطلق مواكب الشعر الإسلامي لتوقظ ما غفا من مشاعر الإيمان ، وتُثيرَ العزائمَ الفتية للاندماج فى كتائب الجهاد الزاحف لمكافحة الطغيان فى كل مكان وزمان ٠

وفى الطريق نفسه مضى النثر الإسلامي يصور مشكلات الحياة قاطبة : قصةً تدغدغ الضمائر ، وروايةً تجسم المنظور الإسلامي فى أعماق المشاعر ، وبحثاً يكشف الحقائق فى ضوء الوحيين ، ليأخذ بأيدي التائهين الى ساحة النور ، ومقالةً تعالج مشكلات الانسان فى مسيرته اليومية ، فتفتح الأعين على كل ما هو بحاجة اليه منْ ألوان المعرفة المضيئة ، ولا حاجة لاستقصاء الفنون التى يحقق بها الأدب الإسلامي رسالته فى عالم الكلمة ، لأن استقصاء ذلك فوق حدود الطاقة ، وقصارى القول : أن الأدب الإسلامي قد استعاد بفضل الله ، ثم بهمم الصفوة من موهوبي المؤمنين ، الكثير مما فقده من أسباب التفوق ، ولا تزيده التجارب اليومية إلا نشاطاً ودأباً فى هذه السبيل المَهدِيَّة بنور الله ، على الرغم من مئات العقبات التى تقيمها فى طريق الحق الأيدي الملوثة بجراثيم الشيوعية ، والقوى المسخّرة لأهواء الظُّلام من طواغيت الحكام ، وبخاصة أن هذه الأيدي هى التي تقبض على مخانق الوسائل الإعلامية مقروءةً ومسموعةً ومرئيةً فى معظم بلاد المسلمين فتسخّر كُل شيء لخدمة أنصابها ، حتى لتجعل من المسخ الهزيل كبيرَ العمالقة ، ومن ألد أعداء الإسلام داعيةً يستحق ألوان التقديس ، ثم زاد اضطراب الرؤية لدى الجماهير المتأثرة بالإعلام المضلّل ، ذلك التكريمُ الذي توجهه السياسة المكيافيلية لقادة الفكر التخريبيّ ، إذ يدعون للمشاركة فى كل مؤتمر يحمل اسم الإسلام ، ثم ينفضُّون ليستأنفوا حربهم للإسلام شريعةً وتربيةً وتعليماً وإعلاماً ، وكأنهم أخذوا من وجودهم

في تلك المؤتمرات تفويضاً بمواصلة مساعيهم الشيطانية لتهديم كل ما هو إسلامي ، وتنشيط وتشجيع كل ما هو مضاد لحقائق الإسلام ..

• ولا أكشف سرا اذا ذكَّرت بآخر ما يشهده عالم الإسلام ، من تلك المواقف المشبوهة ، حيث طُرحتْ قضية الغزو الشيوعي لأرض الإسلام فى الأفغان الشقيقة ، فوقف هؤلاء ينافحون عن فجائعه بكل وقاحة ، وفي مجتمع آخر قريبٍ حيث طرحت قضية تطبيق الشريعة الإسلامية ، فكان أن وقف ممثل لإحدى الدول المشاركة فيه باسم الإسلام ، ليعلن على رؤوس الأشهاد أنه لا يوافق على هذا المطلب ، ولكن شاء الله أن يجعل من تلك المفارقات قوة جديدة للدفع الإسلامي ، إذ ساعدت على تمييز الراشد من الضائع ، فشدَّتْ أواصر أهل الإيمان ، وأبرزت انعزالية المعادين للإسلام ، وكان أعظم ردّ فعلٍ لموقف ذلك الرافض لحكم الله ، هو الذي قدمه ممثل نيجيرية المسلمة فى التعقيب على ذلك الكفر الصراح ، يقترفه وزير لأوقاف إسلامية ، أول واجبه هو احترام عقيدة شعبه ، وتسخير كل مقومات منصبه لإعلاء كلمة ربه ، فكان الرد النيجيري تذكيراً حكيما بقوله تعالى فى أمثاله : (ألم تَرَ إلى الذين يَزعُمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلِك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوتِ ، وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يُضلّهم ضلالا بعيدا) (٤ ـ ٥٩) .

ولن يقل عن هذا وذلك تلك الحملة الطائشة التى تنطلق اليوم فى وجه السنة النبوية ، حيث يُقحم رجلٌ نفسه فى مالا صلة له بعلمه ، فينكر ، ويُفتي ، ويسفّه ، ويريد بذلك أن يجد جيلًا من المنتفعين بما لديه من مال المسلمين يصلح لإفساد الإسلام ، وهو يظن ، اذا أحسنا الظن ، أنه يعمل كل ذلك فى خدمة الإسلام ..

أجل .. إن العقبات التي تريد تثبيط المد الإسلامي لأكبر وأكثر من أن تُحصى ، ولكنها على الرغم من هولها ، ومن النكال الذي ينزله طواغيتها بحملة الفكر الإسلامي ، مما يتجاوز بفظاعته حدود التصور ، لا تزيد ذلك المدَّ المقدَّسَ إلا اندفاعاً وانتشاراً وعمقاً ، وإنها للصورة التى تبدو أكثر ما تكون تكاملًا فى ألوان الأدب الإسلامي ، الذى يطالعنا صباح مساء فى أكداس المنشورات ، التى تدفع بها المطابع ، مصنفاتٍ ودواوينَ وصحفاً ومجلاتٍ ، تتعدَّدُ تخصصاتها ، وتلتقي فى إطاراتها المميزة على خدمة الفكر النقي فى الكلمة الجميلة البليغة ..

• وأخيرا .. إن عشرات الصفحات تسطر فى هذا الموضوع لن تستوعب الأفكار التى تثيرها في صدور الذين أوتوا العلم ، ولذلك لا نرى مندوحة عن ضغطها فى فقرات محدودة تنم

بالقليل عن الكثير ، وتعدل عن الهامّ الى الأهَم ، عملا بالحكمة القائلة (ما لا يُدرك كله لا يُترك جله) ٠

(١) إن منطلق الرؤية الإسلامية هى **العقيدة السليمة** كما أوحى بها الله وتلقيناها عن رسوله الأعظم (صلى الله عليه وسلم) دون تأويل ولا تعطيل ، وما لم تتركز هذه العقيدة فى قلب الأديب ، حتى تسيطر على كل تصوراته ، فسيظل أدبه بعيدا عن سبيل المؤمنين ، وأبعدَ من أن يكون أدبا إسلاميا ، ومن البدائه أن منبع العقيدة الصحيحة هو الوحي الماثل فى كتاب الله وسنة نبيه ، فالتزامهما إذن أساس لا منصَرفَ عنه لتثبيت الرؤية الإسلامية السليمة فى قلب الأديب وطالب الأدب على السواء ، ثم الاتصال بالمؤلفات الموثوقة فى نطاق الثقافة الإسلامية المبنية على هذا الأصل ٠ ومن هنا كان فرضا على من يريد العمل فى نطاق الأدب الإسلامي ان يتشبع بهذه المناهل ، كي يظل فى مسيرته على الطريق اللاحب فلا يزيغ بصره عنها ولا يطغى ٠٠

(٢) لقد كثر الذين يتكلمون فى الإسلام ، وكثر ما يكتبونه وما يذيعونه وما ينشرونه فى هذا المضمار ، ولكن قليل منهم الذين يلتزمون أصول هذه الحقائق الإسلامية ، فهم يقولون الكثير فى كتاب الله دون أن يعتمدوا في ذلك على أساس سليم ، متناسين أن أي عمل يُراد تحقيقه لا بد من العدة المتعلقة به ٠ وقد وجد هؤلاء بعض الإقبال على ما يذيعونه من قبل البسطاء ، فتمادوا فى جرأتهم على هذه القحمات ، يحسبون ، أو بعضهم ، أنهم يحسنون صنعا ، وقد أُخِذَ قراؤهم ببعض الطرائف التي وفِّقوا إليها فتوهموا أن كل ما يقولونه حق لا مرية فيه ٠ وفي هذا ما فيه من تغرير بالجيل الذي لم يزود بالعواصم من القواصم ، وعلى هذا فلا بد من حوار مع هؤلاء يذكّرهم ويعظهم ويوجههم إلى الحق ، وينوه فى الوقت نفسه بالمصيب السديد من أعمالهم ، ولقد جربت ذلك مع بعضهم فوجدت نية حسنة واستجابة طيبة وإقراراً بالأخطاء ووعدا بالعدول عنها ، فمثل هؤلاء لا يكتبون أدباً إسلاميا خالصا ، ولكن بالإمكان تسديد خطاهم حتى يكون ما يكتبونه من الأدب الإسلامي المنشود ٠

(٣) لا بد من تعاون الأدباء الإسلاميين على حماية الإسلام من تسرب **الأفكار الدخيلة** الى حقائقه ، وذلك بإيضاح استقلالية الإسلام الكاملة عن كل فكر أو مذهب آخر ، كالاشتراكية والماركسية والديموقراطية وما إلى ذلك من مُدَّعيات كثر القائلون بها فى هذه الأيام ، حتى يعلم القارىء أيّاً كان أن الإسلام هو دين الله المصفّى ، فلا مساومة ولا ترقيع ،

بل شعاره الخالد أبدا هو (قل يا أيها الكافرون · لا أعبدُ ما تعبدون · ولا أنتم عابدون ما أعبد · ولا أنا عابدُ ما عبدتم · ولا أنتم عابدون ما أعبد · لكم دينُكم ولى دين) ·

(٤) كذلك لا بد من قصر دلالة (**الأدب الإسلامي**) على معناه الحق ، فاذا وجدنا لكاتب أو شاعر نتاجاً متفقا مع روح الإسلام اعتبرناه من الأدب الأسلامي ، وكل إنتاج له شذ عن ذلك الخط أعطيناه حقه من التعريف منفصلاً عن الجانب الإسلامي ، وأضرب مثلاً على ذلك بالدكتور محمد إقبال فهو فى الذؤابة من شعراء الإسلام ، ولكنه فى فلسفته بعيد عن الخط الإسلامي ، لأنه أخذ بمفهومات الفلاسفة الوثنيين والصليبيين ، وأثَّر بطريقته هذه على غير واحد من مفكري المسلمين فى هذا الجانب ، ومثله فى ذلك كتّاب قدموا للإسلام خيرا كثيرا ، فهم من هذا الجانب ذوو أدب إسلامي أصيل ، ولكنهم فى جانب آخر من إنتاجهم خرجوا حتى على نصوص الوحي المتواتر فى القرآن والحديث ، فأنكروا ما هو معلوم بالضرورة ، وبذلك التقوا مع المؤوّلة من الباطنية الذين قامت نحلهم على صرف المعاني عن وجوهها التى أجمعت عليها الأمة على توالى القرون ، فأدبهم من هذه الناحية مجانب للمعنى الإسلامي ومرفوض بمقياس الإسلام ·

(٥) من مهام الأديب الإسلامي **مناقشة هذه الانحرافات بالحكمة** والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن ، حتى يستقيم أمر أهلها على الجادة ، وإذا أصروا على شذوذهم كان فى ذلك النقاش خير للقراء إذ يصبحون هم الشهداءَ عليه · ومثلُ ذلك يقال فى كل محاولةٍ لتشويه الوجه الإسلامي ، سواء جاءت من الخارج أو الداخل ، حتى لا يصل إلى أعين القراء الا وبإزائها التفنيد الكفيل بتزييفها ، ·

(٦) من العقبات التي تواجه الأدب الإسلامي فى أوساط المسلمين ، قلة قرائه ، إذا قيسوا بغيرهم من الشعوب المتحضرة ، والكثرة من هذه القلة تتجه في اختيارها إلى المجلات الملغومة والمسمومة مأخوذة بجاذبية الإخراج ، وهى علة لا مندوحة عن معالجتها بالدواء الناجع ، وهو محصور فى المضمون المشوّق والإخراج الجميل ، وبازاء الجمهور الأكبر من محسني القراءة طلاباً أو عمالاً نرى أفضل ما يقدم إليهم متمثلاً فى **القصة** التي يجب أن تمدهم بالمتعة والفائدة من خلال المنظور الإسلاميّ ، الذي لا يضيق بأي جانب من الزاد الفكري الخيّر ، وفى عناية دقيقة بالإخراج المنافس بل المتفوق على سواه ·

(٧) لقد أدى تدهور الثقافة فى الأوساط الشعبية ـ فى البلاد العربية ـ إلى **شيوع اللحن** ومجانبة العربية السليمة ، ومن ثم انتشار الأدب العامي الذي زاد فى تشتيت المجموعة العربية ، حتى لا يكاد يفهم العربيُّ العربيَ إلا عن طريق اللسان الوسيط ، ومع أن التقدم الواسع فى نطاق التعليم والنشر ، قد ساعد على تفتيت الكثير من تلك الحواجز ، فلا يزال لذلك الأدب العامي سوقه الرائجة فى مختلف بلاد العرب ، وهو منافس خطير للأدب الإسلامي الذي نريده · والذى نراه أن أفضل مقاوم لهذا الواغل هو **العناية بتفصيح العامية** ، وأعني بها إقبال الأديب الإسلامي على تتبع المفردات الفصيحة فى لغات العامة ، واستعمالها فى عرض مناسب خلال تعابيره ، دون أن يُقيم وزناً لمقاييس البلاغيين الذين يرون ذلك من معايب البيان العربي ، وبذلك نكسب المزيد من القراء فى الوقت الذى نربح الرشيق الجميل الذي كان محجوبا من لغتنا الحبيبة ، وبذلك يقترب أولو المواهب الشعبية من لغتهم الأم ، حتى يأتي اليوم الذى يلجئون فيه الى الأسلوب الفصيح فى الإعراب عن مشاعرهم · بيد أن هذا التدبير سيظل مشلولا حتى يمسك المدرسون وأولو العلم عن هجرهم الفصحى خلال الدروس وفى المواقف الأخرى ، فيرفعوا بذلك أسلوبهم التعبيري ، ويرفعوا مستويات مَن حولهم ممن لا يجدون مفرا عن محاكاتهم والتأثر بهم من الأهلين والطلاب والإخوان ·

(٨) **الطفل المسلم** هو إنسان الغد الذى سيتعهد البناء الاجتماعي بالإعلاء أو التدمير ، وقد أهملناه طويلا فلم نسعفه بالتوجيه الإسلامي الحافظ ، ولم نقدم إليه من المنشورات ما يحبب إليه القراءة ، والقراءة الإسلامية بوجه خاص ، ومن المؤسف القول بأن ما يقوم به بعض المجلات الإسلامية من محاولات لسد هذه الثغرة قلما يراعي استعداده الفطري والبيئي ، وبذلك يظل عرضة للمؤثرات غير الإسلامية ، ولا سيما بعد تسلط التلفاز والفيديو والوسائل الإعلامية الأخرى على جو المنزل ، وهذا يقتضي من كتاب القصص الإسلامي بوجه خاص إعادة النظر فى هذا الجانب ، وبذل الوسع لايجاد البديل الإسلامي الجذاب ، الذي يجب أن يأخذ سبيله إلى الطفل والبيت عن طريق هذه الأجهزة الحديثة بأي ثمن ، ولئن كان بعض هذه الأجهزة مغلق النوافذ والأبواب بوجه الإسلاميين فإن بعضها الآخر مفتوح ولله الحمد ، وقد بدأ يبذل رعايته لهذا النوع المنشود من الأدب الرفيع فى مسلسلات تعتبر من التجارب الناجحة فى هذا الميدان · فما على القاصّ الإسلامي إذن إلا إبداع الروائع لتأخذ طريقها إلى تلك الميادين ، محفوفة برعاية المؤمنين من ذوى النفوذ الفعال فى تلك الأجهزة ·

(٩) للقلم المسلم جولاته المشرقة فى كل جانب من عالم الإسلام ، فهناك القصة الجيدة ، والمقالة البارعة ، والبحث النافع ، والمؤلف الفخم العميق ، ومن الظلم لهذا الإنتاج الكريم ان يُحبس في نطاق اللغة التي أنشئ فيها · ومن فضل الله أن كثيرا من هذه الكرائم قد أخذت سبيلها **للترجمة إلى مختلف لغات المسلمين** ، وكان لها الفضل الكثير فى توثيق عرى الأخوَّة بين أعضاء الجسم الإسلامي ، وهذا ما يؤكد الحاجة الى المزيد من هذا المجهود المحمود ·

وطبيعي أن لذلك تكاليف تنوء بها كواهل الأفراد من الناشرين ، الذين لا مندوحة لهم عن إقامة أعمالهم على أساس الربح والخسار ، ومن هنا كان أثرهم فى إشاعة هذا الخير محدوداً في نطاق قدراتهم الشخصية ، ويمكن تدارك ذلك عن طريق الاستعانة بإعانات المحسنين من ميسوري المسلمين ، الذين لمسنا آثارهم فى كل مكان ولله الحمد ، وكثير منهم على أتم الاستعداد للإسهام فى نشر المؤلفات التى يتقرر نفعها للناس ، لو أتيح من يقنعهم بأهمية هذا النوع من الإحسان · واني لأعرف رجالا يبذلون الآلاف المؤلفة فى بناء المساجد تقرباً الى الله ، ولكنهم لم يقتنعوا بعد بفضيلة الإسهام فى نشر الثقافة الاسلامية ، ولن يترددوا فى تقويم نظرتهم إلى هذا الجانب إذا قرؤوا فى الموضوع فتوى الثقات من العلماء ·

(١٠) إن العناية بنشر العربية على المستوى العالمي واجب يُسهم بحمله كل مسلم مستطيع ، وهو أكثر توكيداً بالنسبة للعالم الإسلامي ، الذى يفتح ذراعيه لاحتضان لغة القرآن بلهفة المحب إلى لقاء حبيبه الأثير ، وقد رأينا دول الغرب الصليبي تبذل أكداس الملايين لإشاعة لغاتها فى كل مكان ، تثبيتاً لمصالحها السياسية والاقتصادية ، ومما لا شك فيه أن مصلحة الدول العربية بإذاعة لغة القرآن فى الشعوب الإسلامية ، غير الناطقة بالعربية ، أكثر وأعظم وأعمق ، ومن فضل الله أن بعض هذه الحكومات قد تنبهت لهذه القضية الهامة ، فهى تبذل الكثير لنصرتها ، ولكن الذي نراه أن يرفع اقتراح الى مجموع الدول العربية وعن طريق جامعتهم بتخصيص نصف بالمئة على الأقل من ميزانية كل منها لتمويل هذا العمل الجليل ، بوساطة النادي الذي نرجو أن ينبثق عن هذه الندوة الموقرة ، وفى ذلك خير لا يقدَّر لأنه سيزيد عرى الأخوة الإسلامية قوة ، ويقرب بين الأفكار ، ويسهل سبيل التفاهم بين أبناء الإسلام ، ويعيد للعربية مكانتها التي سبق أن أحتلتها فى عالم الإسلام أيام ازدهار الحضارة الإسلامية ·

• وحتى الآن نكاد نقتصر فى فقراتنا الآنفة على مجرد العرض النظري ، ومن حق الناظر فيها أن يسأل : وأخيرا ما السبيل الى ترجمة هذه المقترحات الى أعمال ؟

وهنا ننتهي إلى الغاية التى نعتقد أنها أهم الوسائل إلى تحقيق ذلك وأكثرَ منه بفضل الله .

فى نهاية البحث الذى ختمتُ به محاضرتى فى موضوع الأدب الإسلامي قبل عشر سنوات قلت : (إن أقرب السبيل لإخراج هذا الحلم إلى حيز الواقع تأليف لجنة تحضيرية تتولى الدعوة الى مؤتمر للأدباء الإسلاميين يخطط لمستقبل الأدب ، الذي لا بد منه فى هذه الفترة الحرجة من حياة العالم الإسلامي ، وعن هذا المؤتمر ينبثق النادى الدائم باسم (نادى القلم الإسلامي) وإلى عضويته ينتسب كل مؤمن بأهدافه ، التى يجب أن تحدَّد فى دستور مستوحى من التصور الإسلامي المحض ، بحيث يصبح كل عضو منتسب ملتزماً بإقامة أدبِه على أساس من ذلك الدستور ، حتى اذا انحرف عن سبيله نُزعت عنه عضويته ، ومفروض فى هذا النادي أن يضم شمل أدباء الإسلام فى سائر أقطارهم ، ويجمعهم فى مؤتمرات دورية لدراسة ما جدَّ وما ينبغي أن يجدَّ من العمل ، وبديهي أن هذا يقتضي وجود مكتب دائم للنادي يظل فى انعقاد دوري ، ليعمل على متابعة مقرراته واستطلاع آراء أعضائه فى كل طارىء ، ويتولى تنسيق مجهوداتهم ، ليتمكنوا من أداء واجبهم في توعية الشعوب الإسلامية توعيةً تُبَصِرها بما يراد لها ، وما يجب عليها ، ويُحَصّنِها من السقوط فى حبائل الختالين من أصحاب الشمال واليمين)

وها نحن أولاء فى هذه الندوة المباركة نحقق الجانب الأول من هذه الأماني ، ويبقى الجانب الآخر وهو تكوين (نادي القلم الإسلامي) ووضع دستوره المحكم .

أما مقر هذا النادي فيقرره المؤتمرون ، وإن كنت من الموقنين أن مقره الطبيعي هو الجامعة الإسلامية فى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث وضع القدر أول لبنة فى بناء الأدب الإسلامي العظيم .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم وبارك على قائد الفكر الإسلامي فى الطريق القويم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

شاعرية البحتري

لفضيلة الدكتور بابكر البدوي دشين
كلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيّدنا محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــــــد ، فقد غلب الوصف بالشاعرية على أبى عبادة البحتريّ حتى كاد يقصر عليه دون غيره من الشعراء ، ومما يدلّ على هذا ما روى عن أبى الطيب المتنبي أنه قال : « أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى »

وعسى القارئ الكريم أن يذكر حديث النحويّين عن « أل » في كلمة الشاعر هنا وأمثالها ، فإنها تدل عندهم على استغراق خصائص الجنس ، وهذا أمر فوق الوصف بالشاعرية كما هو واضح .

هذا ونقترح أن أهمّ ما تتجلّى فيه شاعرية البحتري شيئان : أنغامه المُطْربة ، وانفعالاته الخافقة .

أمَّا ناحيه الإطراب في شعره فقد تنبَّه لها القدماء ، وفي مقدمتهم معاصروه الذين كانوا يسمعون إنشاده ، ومن هؤلاء الفتح بن خاقان وزير المتوكّل ، كما يفهم من هذا الخبر الذى رواه الصولىّ قال : (١) « وحدَّثنى أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال : إنى لعند الفتح إذ دخل البحتري فأنشده قصيدته :

شرخ الشباب أخو الصِّبا وأليفُـــه ... والشيب تَزْجِيـــةُ الهوى وخُفُوفُـــهُ

فلمَّا بلغ قولـــــه :

ملك بعاليـــة العراق قبابـــه ... يقري البدور بها ونحن ضيوفُـــهُ

---

(١) « أخبار البحتري » للصولىّ تحقيق الدكتور صالح الأشتر . ط . الثانية م . دار الفكر بدمشق ص٧٩

فلما بلغ إلى قولـــــه :

فهلمّ وعدك في الإمام فإنـــــه فضل إلى جدوى يديك تضيفُـــــهُ

رأيت الفتح قد اهتزّ وطرب لذلك ..... فأعاد البحتري الأبيات الخ » .

كيف لا يطرب الفتح ويهتز - وهو الأديب البليغ - من سماع هذه القصيدة الفائيّة وفيها قول البحتري :

فإذا تـــحـــمَّـــل مـــن تـــهامة بارق لـجـب تـسـير مـع الـجـنوب زحوفُـهُ

صـخـب الـعـشيّ إذا تـصوَّب مزنـه ذعر الأجادل في الـسـماء حـفـيـفُـهُ

فسقى اللّوى لا بل سقى عهد اللوى أيام نرتـبـع الـلوى ونـصـيـغُـهُ

حَـنَّـتْ ركابـي بالـعراق وشاقـها في ناجر برد الـشآم وريـفُـهُ

ومدافـع الـساجور حـيـث تـقابـلـت في صـنـفـتـيـه تلاعـه وكـهوفُـهُ

بعد إنشادنا هذه الأبيات ذات الكلمات المتخيَّرة الرنّانة . والعبارات المنسَّقة البديعة . والانفعالات القوية الخافقة من القصيدة الفائية التي اهتزّ الفتح لها وطرب . نعود فنقول : وممن تَنَبَّه لناحية الإطراب في شعره . ممدوحه الخليفة المعتز . فقد روى البحتري قوله له (١) : « ياوليد ما أنشدتني قطُّ إلا أطربتنى » ومن القدماء الذين تنبهوا لناحية الأطراب في شعره أبو بكر الخوارزمىّ . كما يفهم من قول الثعالبىّ عنه (٢) : « ومن أطرف شعره وأرقّه وألطفه قوله : - وكان أبو بكر الخوارزمىّ يقول لا تنشدونيهما فأرقص طربا ....

يذكرنـــيـــك والذكرى عـــنـاءُ مَـشَابِـهُ فـيـك بَـيِّـنةُ الـشُـكولِ

نـسـيـم الروض في ريـحٍ شـمال وبرد الماء في راحٍ شـمول

وهناك طريفة أرويها هنا . لما فيها من الدلالة على ما أنا بصدد تأكيده من ناحية الأطراب في شعر البحتري قال (٣) :

.... أخبرنا ابن حبيب المذكر قال : دخلت دار المَرْضَى بنيسابور فرأيت شابّاً من أبناء النعم يقال له أبو صادق السكري . مشدوداً وهو يجلب فلما بصر بي قال : أتروي من

---

(١) نفســـه ص ١٠٧ .

(٢) خاص الخاص لأبى منصور الثعالبي منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .

(٣) مصارع العشاق لأبي محمد القارىء ط بيروت مجلد أول ص ٣٨ .

الشعر شيئاً ؟ قلت : نعم قال : من شعر مَنْ ؟ قلت من شعر من شئت قال : من شعر البحتريّ قلت : أيّ قصيدة تريد قال :

ألمع برق سرى أم ضـــوء مصبـــاح
أم ابتســـامتها بالمنظر الضـــاحي

فأنشدته القصيدة فقال : أفأنشدك قصيدة ؟ قلت : نعم ، فأخذ في إنشاد قصيدته :

أقـصرا إنَّ شأنـي الأقـصـــارُ وأقلَّا لا يـــنـــفـــع الإكـــثارُ
إن جرى بيـننـا وبـيـنـك عـتْـب أو تـــنـاءت مـــنَّا ومـــنـــكِ الدِّيارُ
فالـغـلـيـل الذى عَـهِدْتِ مـقـيـم والدموع الذى شـــــــهِدْتِ غِزار

فقفز وجعل يرقص في قيده ويصيح ، إلى أن سقط مغشيا عليه .

هذه الحادثة الطريفة على الأقلّ مما يستأنس به في الدلالة على مدى ما في شعر البحتري من قوة الاطراب ، والحقُّ انَّ البحتري نفسه كان شديد الاحساس بناحية الإطراب في شعره شديد الاحتفال لها ، يدلك على صِحَّة ما نقول افتخاره بها في غير ما موضع من شعره مثل قوله :

وكم لى من محبوكـــة الوشى فيكم إذا أنشدت قام امرؤ يستعيـــدها

أي يهز الطربُ سامعَها فيقوم طالبا من الشاعر إعادتها ، لقد كان شعره يَهُزُّ كلَّ السامعين ، حتى الخلفاء والملوك الذين عرفوا بالهيبة والوقار ، كان يطربهم شعره ويهيجهم فيتخرقون في العطاء ويصيحون بالثناء كما يفهم من قوله :

يهيّج اطراب الملوك استماعُها فيحمـد راويها ويُحْبَى قئولهـــا

هذا ومما يدلك على شدة إحساس شاعرنا بناحية الاطراب في شعره ما عرف عنه من عادة الترنم بشعره وإنشاده إياه ، مع الإتيان بأشياء غريبة ساعة إنشاده تدلُّ على إعجابه بشعره وطربه به ، حيث كان يتلفت يمنة ويسرة حين إنشاده ويتفل ، ويصيح في الناس : ألا تسمعون ؟

وقد روى (١) المعرّي أنَّ أبا عبادة « كانت قدماه قدمي طاووس (٢) » .

---

(١) رسائل المعرى ص ٨٩ .

(٢) في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ ص ٣٦٨ قدما ديك بدل طاووس بينما النص الانجليزى " Peacocks Seet " ومعناها قدما طاووس ونحسب ما في الترجمة العربية وَهْمًا من الأساتذة الفضلاء المترجمين أوقعهم فيه ورود النص الانجليزى مقطع هكذا Pea. آخر السطر ثم Cocks Feet أول السطر التالى فحسبها المترجمون قدمى ديك وأنظر الطبعة الانجليزية V.I.P. 774

والواضح فيما نرى ـ أن يكون المقصود بهذا وصف حركاته ومشيه زهوا وطربا ساعة إنشاده شعره ·

أضف إلى ما مضى أن البحتري انفرد بعادة لم يشركه فيها أحد من الشعراء حسب اطلاعنا وهى أنه كان إذا فرغ من إنشاد القصيدة أعاد البيت الأول منها ، كما يدل عليه ما جاء في الأغانى (١) : « ···· أن البحتري أنشد المتوكل وأبو العنبس الصيمريّ حاضر قصيدته :

عن أىّ ثغر تبتســـــم وبأىّ طرف تحتـــكم

إلى آخرها ، وكان إذا أنشد يختال ويعجب بما يأتى به فإذا فرغ من القصيدة ردَّ البيت الأول فلما رده بعد فراغِه منها وقال :

عن أى ثغر تبتسم وبأيِّ طرف تحتكم

قال أبو العنبس الخ »

يهمنا من هذه الرواية أنها تثبت العادة التى ذكرنا انفراد البحتري بها وهى ردُّ مطلع القصيدة بعد الفراغ منها ، وهذا كما ترى يدل على طرب واندفاع في الإنشاد يمضى به الشاعر من أول القصيدة حتى ينتهى به عند إعادة البيت الأول منها يعيده على السامعين من شدة طربه به ·

والحق أن هذه العادة التى امتاز بها البحترى وهى رد البيت الأول من القصيدة لها دلالة نقدية قيِّمة تنبه لها الدكتور عبد الله الطيب حيث وضح أن فيها دلالة قوية على الوحدة الفنية في القصيدة العربية ، كأنَّ الشاعر حين يقرن في إنشاده أول القصيدة بآخرها فلا يختل بهذا شيء من بناء القصيدة ينبهك على أن قصيدته بناء فنى كامل تنتظمه وحدة فنية وهذا كما ترى عكس مالهج به بعض الكتبة المحدثين من نفى الوحدة الفنية عن القصيدة العربية فشتان ما بين صنيعهم وصنيع الدكتور عبد الله إذ في صنيعه شجاعة الإحساس بقيمة اللغة العربية وآدابها ·

هذا ومما لا ريب فيه أن ناحية الإطراب والنغم التى كاد البحتري يكون فيها الشاعر المجلى من أهمّ مقومات الشعر العربي بل إنها الركيزة الثابتة له التي عرفها أعداء اللغة العربية فحاولوا هدمها فكانوا كما قال الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليُوْهِنَهـــا فلم يضرهـــا وأوهى قرنـــه الوَعِلُ

---

(١) جـ١٨ ص١٧٤ مطبعة التقدم بمصر ·

عَدٌ عن هؤلاء وأنشد الناس قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

تَغَنَّ في كل شعر أنتَ قائلـــه إنَّ الغنـــاء لهذا الشعر مِضْمَـــارُ

وفي هذه الدلالة الواضحة على مكان الوزن والعروض والقافية والنغم في الشعر العربيّ وهى الناحية التى فاز شاعرنا البحتري منها بأكثر نصيب . هذا ما كان من أمر الحديث عن ناحية الإطراب في شعره .

أما ناحية الانفعال الخافق في شعره ، فإنها أوضح من أن يدل عليها وهو معروف بالإجادة فيها كما ذكر هذا الدكتور عبد الله الطيب فقال (١) :

« والبحتري رحمه الله كان يحسن تصوير الانفعالة الخافقة » .

هذا ونود هنا أن نوضح بعض مظاهرها وآثارها في شعره ، فمن هذا وصفه لتكشف الأشياء وانجلائها فقد كان معنيا بهذا مثل قوله :

إلى أن بـدا صحن العراق وكشِّفَتْ

سجوف الدجى عن مائـــه ونخيلـــه

حيث سجل فيه حركة تكشف الظلمات والتماعة الماء والنخيل من ورائها ووصفُ التماع الماء من المعاني التى تكررت في شعره كما سيمر بنا

ومن أمثلة انجلاء الأشياء قوله يتحدث عن شبابه الذى ولّى :

كـيـف بـه والزمان يـهرب بِـهْ ماضـي شـباب أغذذت في طـلـبـه

مـقـتـرب الـعـهـد إن أرُمْـهُ أجدْ مـسافة الـنـجـم دون مـقـتـربـه

يَرْفَضُّ عن ساطع المشيب كما أر فـضَّ دخان الـضرام عـن لـهـبـه

في القاموس المحيط : ارفضاض الدموع ترششها ومن الشىء تفرقه وذهابه . وقد اختار الشاعر هذا الفعل وكرره ليستعين به على تسجيل حركة تكشف الدخان عن اللهب المتضرم . لقد غدا الشيب لهيبا ضراما وسواد الشباب دخانه المتبدد . وعسى أن نقارن هذا بقول الفرزدق (٢) :

والشيب ينهض في الشبـاب كأنه ليـل يصيح بجـانبيـه نهـار

---

(١) انظر كتابه مع أبى الطيّب .

(٢) ديوانه ط دار صادر بيروت جـ ١ ص ٣٧٢ .

فنحن ـ عند الشاعرين ـ أمام معنى ظلام يقشعه ضياء في حديثهما عن الشيب لكننا نحسّ في بيت الفرزدق حيوية الحركة والجلبة والصياح . بينما نحس في بيت البحتري حيوية الحركة وخفقة الالتماع من وراء الدخان ومن آثار هذا في مدحه كثرة وصفه للحظات ظهور الممدوح كأنّه البدر أو الصبح لحظة تجليه من وراء الحجب كما ورد هذا في مثل قوله :

حتى طلعت بضـــوء وجهك فانجلت
تلك الدجى وانجـــاب ذاك العِثْيَر

وفي مثل قولـــــه :

وما كـــان ذاك الهول إلا غَيـــابة بدا طالعـــاً من تحت ظلمتهـــا البـــدر

وقولـــــــــه :

وتعطف أثنـــــاء السرادق حوله على قمر تنجـــــاب عنـــه سدولهـــا

وقولـــــــه :

يصـــون منـــه الحجـــاب منظرة تبـــدو بُدوّ الهـــلال من حجبـــه

وقولـــــــه :

يؤدُّون التحيـــــة من بعيـــــد إلى قمر من الإيوان بـــــادى (١)

تشترك هذه المثل في اشتمال كل منها على تشبيه الممدوح بالبدر منجابة عنه الظلمات وقد سجّل فيها الشاعر انفعال نفسه بالخفقة التي تكون أول ظهور الشيء وبدوّه وبخاصة الضوء اللامع ساعة انبثاقه لينبه بهذا على قوة تعلق أنظار الناس بالخليفة أو الممدوح ، بحيث لا يكاد يشغل إنسان عن أول لحظة يطل عليهم فيها بوجهه .

وقريب من هـــذا قولـــه :

ورأيت بِشْرك والتنـــائف دونـــه والليل يكشف غيهبـــــاً عن غَيْهب

إذ فيه انفعال نفس البحتري بحركة انقشاع الظلام ؛ هذا وبشر الممدوح الذى رآه البحتري هنا من وراء التنائف هو الصبح الذي يتجلى له دائما من وراء الحجب والظلمات واستمع إليه يقول :

والـــلـــيـــل في لون الـــغراب كأنـــه هو في حلوكته وإن لم ينعب
والعيس تنصل من دجاه كما انجلى صبغ الشباب عن القذال الأشيب
حـتى تـجـلّى الـصـبـح في جـنـباتـه كالماء يـلـمـع مـن وراء الـطـحـلـب

(١) الياء في كلمة بادى وأمثالها في القافية ليست بلام الكلمة بل هى وَصْل .

فإن فيه انفعال نفسه بحركة تجلى الأشياء البيض المضيئة والتماعها من وراء حجبها تحس هذا في حركة نصول العيس البيض من الدجى وفي انجلاء صبغ الشباب عن بياض المشيب وفي تجلى الصبح في جنبات الليل وأخيراً تحسه في التماعة الماء من وراء الطحلب وهى اللمعة التى تعلق بها البحتري كما ذكرنا قبلاً .

هذا وكأنَّ البحتري هنا ينظر الى شاعرين الأول ذي الرمة في قوله يصف ورود الحمر الوحشية الماء :

فغلست وبياض الصبح منصدع عنها وسائره بالليل محتجب
عينا مطحلبة الأرجاء طامية فيها الضفادع والحيتان تصطحب

هذا منظر الحمر الوحشية وقد ظهر أول نور الفجر فأظهرها ولا يزال الظلام يحجب باقى نور الفجر ومنظر العين تلمع من وراء طحلبها . وقد قصدتها هذه الحمر للشرب في هذا الوقت لا تسمع إلا صخب ضفاضعها وحيتانها . والفرق بين الوصفين أنك تحس في وصف ذى الرمة بمشهد كامل وشخص كأنه واقف يتأمل هذا المشهد بينما لا تحس في وصف البحتري بهذا الانفصال لأن البحتري قدر على أن ينقل لك المشهد وانفعال نفسه به . لقد ولَّد معنى ذى الرمة . وجعل عيسه متحركة تنصل به من دجى الليل . وهذه الحركة كافية في أن تنقل لنا انفعاله .

هذا والشاعر الثاني الذى نظر إليه البحتري هنا هو الراعي النميري في قوله يصف العيس :

في مهمه قلقت به هاماتهـــا قلق الفؤوس إذا أردن نصـــولا

حيث شبه حركة هامات الإبل حين ترقل بحركة الفؤوس التى توشك أن تنصل فولَّد البحترى معنى الراعي وجعل النصول للعيس نفسها والله تعالى أعلم .

هذا ومن مظاهر انفعاله الخافق . كثرة وصفه لالتماع الأشياء حين تنعكس في شىء آخر كقوله يصف الطيف :

أهوى فأسعف بالتحيـة خلسة والشمس تلمع في جنـاح الطـائر

فهو هنا يسجل انفعاله بانعكاس ضوء الشمس في جناح الطائر . وهذا كما ترى وقت الشروق قبل أن تظهر الشمس لعينيك فأنت لا ترى الشمس وتظنها لم تشرق بعد . ولكنك إذا نظرت وقد مرَّ طائر محلق في السماء فإنك سترى التماع الشمس في جناحه وهذا من معانى البحتري المبتكرة التى تدل على دقة ملاحظته ؛ ومن الأمثلة أيضا قوله :

هذا الربيع يُسدي من زخـارفـه وشيـاً يكـاد على الألحاظ يلتهب

نلاحظ هنا أنه يعبر عن انعكاس الأشياء المضيئة في الألحاظ بالالتهاب ، وهو يفعل هذا في غير ما موضع ، كقوله يصف ياقوتة حمراء في يد الخليفة :

اذا التهبت في اللحظ ضاهى ضيـاؤها جبينك عنـد الجود إذ يتألّق

ففى هذين المثالين يقرن بين شيئين يوحيان بالخفقة السريعة ، وهما اللحظ والالتهاب .

ومن آثار هذا في معانى مدحه أنك تجده يخلع على الممدوحين بعض صفات نفسه المنفعلة بالخفقات السريعة كقوله :

رآك إن وقفوا في الأمر تسبقهم هديا وإن خمدوا في الرأى تلتهب

كأنه هنا يصف نفسه فهو الذى يكره الخمود ويولع بالالتهاب حتى يكاد يلتهب في الرأي ، وكقولـه :

فتى لم يضيّع وجه حزم ولم يبت يلاحظ أعجـاز الأمور تعقبـا

وكقولـــــه :

مأخوذة للأمور أهبته تسبقهـا قبـل وقتهـا عـدده

يمدحه هنا بالتيقظ للأمور ومهاجمتها قبل وقتها ، وهو هنا كأنّه يتحدث عن نفسه فهو الذى ينفعل بالأشياء قبل اكتمال ظهورها ، كلمعة الماء من وراء الطحلب ولمعة الضياء من وراء الحجب ، بل إن نفسه لتنفعل بجذوة الثورة وهي في نفوس أصحابها ويكاد يسمع جلبتها في خفوتها ، استمع اليه رحمة الله عليه إذ يقول :

تـشوّف أهـل الـغرب فارم بـعزمة إلى إرمٍ إذ مانـعـت وعـمادِها

لتسكن ضوضاء العَريش وتنتهي فلسطون عن عصيانها وعنادها

فكم ثَمَّ من إجلابة تحت خفتة ومـن جـمرة مـخـبوءة في رمادها

إنه هنا ينبه على الفتنة وهى لاتزال في نفوس أصحابها ، سبحان الله كأنَّ أبا عبادة في بعض كلامه يتكلم عن فلسطين اليوم ، إن في كلامه حيوية لا يحسنها ذوو الكلام الركيك ممن يزعمون أنفسهم مجددين في الشعر . نعم يا أبا عبادة قل ، فلن تسكن ضوضاء العريش ، ولن تنتهى فلسطين عن عصيانها وعنادها حتى يعود القدس الشريف إلينا وحتى تنتصر الثورة الفلسطية ياقومنا الفلسطية أفصح من قولكم الفلسطينية فلا تتركوا الأفصح إلى غيره نصركم

الله نعود بعد هذا الاستطراد إلى وصف أبى عبادة لنورد مثالا آخر من بديع كلامه في هذا المضمار إذ يصف فيه انعكاس المعانى والمحسوسات وذلك حين يقول :

ووجـــه رق ماء الـــجود فـــيـــه على الـعرنـيـن والـخدّ الأسـيـلِ
يريـــك تألُّـــقُ المـــعروف فـــيـــه شعاع الشمس في السيف الصقيل

لقد أرانا أبو عبادة الجود وهو من المعانى التى لا تحس متألقا يشع من وجه الممدوح المضيىء . وأما قوله شعاع الشمس في السيف الصقيل فإنه عَوذْةُ كلامه كما كان يقول الثعالبىُّ وفيه كما ترى وصف التماع شعاع الشمس الخافق منعكساً في التماع السيف الصقيل وهذا تشبيه رائع أُعْجِب به الشاعر الشامى المشهور السرى الرفَّاء فأخذه من بيت البحترىّ وذلك في قوله :

أتتك يجول ماء الطبع فيها مجال الماء في السيف الصقيل

لقد رام السرىّ مراماً صعباً فأخذ الماء والسيف الصقيل ولكنَّه لم يستطع أن يأخذ من بيت البحترى تألقه ولا التماع الشعاع فيه ؛ مسكين أنت أيها السرىُّ فقد أتعبك شعر البحترى وصدق عليك قوله :

سوائر شعر جـــامع بدد العلى تعلقن من قبلى وأتعبن من بعدي

إن شعر أبى عبادة فرس أرِنٌ لا يتعب ولا يلْغب وبعض الشعر يتعب ويلغب ، كما قال هو عن قصائده :

بـلـغـن الأرض لـم يـلـغـبـن فـيـها وبـعـض الـشـعـر يدركـه الـلـغوب

هذا وقريب مما تقدم قول البحتريّ :

يـجـلّـي سدفة الـهـيـجا بوجـه يـضـيىء على الـعـيون ويـسـتـنـير
إذا لـمـعـت بوادي الـبـشر فـيـه رأيـت الماء يـلـبـسـه الـصـبـير

ولا نغالى إذا قلنا إن شعر البحترى كله بريق ولمح ولمع ومن هنا كان الشعر عنده لمحاً كما قال :

والشعر لمح تكفي إشـــارته وليس بالهذر طُوِّلَت خطبـــه

هذا وكان البحتري يجيد وصف آثار الذعر ، كقوله يصف السحاب :

صخب العشيِّ إذا تألق برقه ذَعَرَ الأجادلَ في السماء حفيفه

سجل هنا رعشات الذعر التى تصيب قلوب الأجادل من حفيف هذا السحاب الذى جعله كأنَّه أجدل كبير أو رُخٌّ أخافها وكأنَّ هذا من قول علقمة الفحل :

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقهـــا لطيرهن دبيب

كما كان البحتري يجيد وصف التلفت وفي التلفت حركات وخفقات ، مثل قوله :

ولما خطونـا دجلـة انصرم الهوى فلم يبق إلا لفتـــة المتذكر

إذ تحس فيه خفقة اللفتة التى يبعثها التذكر وحسبك في هذا قوله :

نظرت وضمَّت جانبىَّ التفاتة وما التفت المشتـــاق إلا لينْظُرا

هذه خفقة انتظمت الجسم كله ومن هذا أيضا قوله :

اذا انصرفت يومـا بعطفيه لفتةٌ رأيت هوى نفس بطيىء نزوعهـا

ونُنَبِّهُ هنا على موضع التاء في لفتة وفي التفاتة . اذ أن البحتري مولع بهذا وبخاصة في المصادر . كما رأينا فيما سبق في قوله : إجلابة . وكما في قوله :

إمَّا تعذَّرَ نائل من منعم لم أنصرف عنه انصرافة عاتب

حيث ذكر الهاء في المصدر وهو انصراف فقال انصرافة وكقوله :

أمَدّ الرجال لبثه حين يرتىء وأسرعهم إمضاءة حين يعزم

وقولـــــــه :

فما تزيد على إلمامة خُلْسُ بأحمد بن علىّ ثم تنقلب

وقد لاحظ المعري هذا وجعله من خصائص شاعرنا حيث يقول (١) : « أبو عبادة يدخل الهاء على المصادر كثيراً وقلما يوجد ذلك في أشعار المحدثين . وإدخال الهاء على المصادر عريق فصيح »ا هـ .

ونحن نميل إلى تفسير هذه الظاهرة بما يدخلها في حاقِّ عناية البحتري بوصف الانفعالات الخافقة السريعة . إذ في المصدر ذي الهاء ما يوحي بالسرعة كأنه أخذ جزء منه وهو دلالته على المرَّة وسيتضح لك هذا إذا رجعت إلى الأمثلة السابقة أو إلى غيرها من كلامه . وارجع على سبيل المثال إلى قوله :

نظرت وضحَت جانبىَّ التفاتة الخ .

لترى أثر التاء في سرعة الالتفاتة بخلاف ما لو جاء المصدر بغير تاء فقيل : التفات . وبعـــد .

أيها القارئ الكريم . هذه هى شاعرية البحترى تجلت في أنغامه المطربة وانفعالاته الخافقة . فكان حقا كما قال ابن الأثير عنه (٢) :

« وأما أبو عبادة فإنَّه أحسن سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنَّى » .

هذا وآمل أن أوفق لإكمال هذا الموضوع في مقالة أخرى أتحدث فيها عن طيفه . وحسن سبكه ورصفـه . والله الموفق .

---

(١) عبث الوليـد .

(٢) المثل الســائر .

فضيلة الشيخ عبد الرؤوف البدري
المدرس بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية

أختي العزيزة هـل

لقد أرسلت إليك قبل هذه الرسالة رسائل ثلاثا حدثتك فيها عن أربع صيغ من الصيغ التى أدخل فيها على « لـم » النافية الجازمة للفعل المضارع . وها أنا ذي اليوم محدثتك عن الصيغة الخامسة « ألـم يروا أن ... »

فى هذه الصيغة ترينني أنا همزة الاستفهام قد دخلت على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » مسندا إلى ما يدل على جمع هو واو الجماعة . يليه « أنَّ » المفتوحة الهمزة المشددة النون . وقد جاءت هذه الصيغة في إحدى عشرة آية :

١ ـ الآية الأولى قوله تعالى : **(واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)** الآية (١٤٨) من سورة الأعراف

٢ ـ الآية الثانية قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب)** الآية (٤١) من سورة الرعد

٣ ـ الآية الثالثة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا)** الآية (٩٩) من سورة الإسراء .

٤ ـ الآية الرابعة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)** . الآية (٨٦) من سورة النمل .

٥ ـ الآية الخامسة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)** الآية (٦٧) من سورة العنكبوت .

٦ ـ الآية السادسة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)** . الآية (٣٧) من سورة الروم .

٧ ـ الآية السابعة قوله تعالى : **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)** . الآية (٢٠) من سورة لقمان .

٨ ـ الآية الثامنة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)** . الآية (٢٧) من سورة السجدة .

٩ ـ الآية التاسعة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون)** . الآية (٧١) من سورة ياسين .

١٠ ـ الآية العاشرة قوله تعالى : **(فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون)** . الآية (١٥) من سورة فصلت .

١١ ـ الآية الحادية عشرة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير)** . الآية (٣٣) من سورة الأحقاف .

وقد جاءت هذه الصيغة أيضا وقد أسند فيها مضارع « رأى » إلى ما يدل على جمع هو اسم الموصول (الذين) فى قوله تعالى : **(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)** . الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .

وقد جاءت هذه الصيغة أيضا وقد أسند فيها مضارع « رأى » إلى اسم جنس يفيد العموم بسبب اقترانه بـ (أل) الجنسية وهو (الانسان) (١) فى قوله تعالى : **(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)** . الآية (٧٧) من سورة ياسين .

وعلى هذا تكون هذه الصيغة قد جاءت فى ثلاث عشرة آية .

هذه الآيات الكريمة الثلاث عشرة المتقدمة منها ما يتضمن بعض آثار قدرته سبحانه

وتعالى الدالة على أنه واحد لا شريك له . ومنها ما يرد على منكري البعث ويقيم الدليل على قدرته تعالى على أن يحيى الناس مرة ثانية يوم القيامة . ومنها ما يذكر أنواعا من النعم تفضل الله بها على عباده . وفى الآية الأولى ذكر تعالى قوم موسى الذين اتخذوا عجلا صنعوه من الحلي بأيديهم إلهاً وكانوا ظالمين .

ومعنى همزة الاستفهام فى هذه الصيغة الواردة فى الآيات الثلاث عشرة المتقدمة . معناها الإنكار والتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم ألاّ يروا رؤية تدبر وتبصر ما تضمنته هذه الآيات من آثار قدرته تعالى التي تؤدي إلى الإيمان بأنه واحد لا شريك له .

وينكر عليهم سبحانه وتعالى ويوبخهم ألاّ يروا ما تضمنته من أدلة تؤدي إلى الإيمان بقدرته تعالى على أن يبعث الموتى وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن وخلق هؤلاء المنكرين أنفسهم من نطفة .

وينكر عليهم سبحانه وتعالى ويوبخهم ألاّ يروا ما تضمنته من نعم توجب على هؤلاء المنعم عليهم **(لو كانوا يبصرون)** أن يشكروا الله عليها وأن يخلصوا العبادة له وحده .

وفى الآية الأولى ينكر الله سبحانه وتعالى على الذين اتخذوا العجل إلهاً أن لم يروا الرؤية التى ترشدهم إلى أنه لا يصلح أن يكون إلهاً . ويوبخهم على ذلك .

والإنكار هنا بمعنى لا ينبغي . ويجيء أحيانا فى غير هذا الموضع بمعنى النفي المحض .

والفعل المضارع فى صيغة الاستفهام هذه (ألم يروا أن ...) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون . وواو الجماعة ضمير مبني على السكون فى محل رفع فاعل . والفعل المضارع فى (أو لم ير الذين ...) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الألف والذين اسم موصول مبني على الفتح فى محل رفع فاعل .

و (يـر) فى هذه الصيغة بمعنى يعلم فهي تتعدى إلى مفعولين . و (أنَّ) من نواسخ المبتدأ والخبر تنصب الأول وترفع الثاني وهى حرف مصدري تؤوّل هي وخبرها بمصدر فى محل نصب يسدّ مسدّ مفعولي (يَـرَ) فى هذه الصيغة . و (أنَّ) فوق هذا وذاك حرف توكيد . تؤكد مضمون جملتها . ومضمون الجمل التى أكدتها في الآيات السابقة جدير بالتوكيد . لأنها ما عدا الآية الأولى أخبار عن الله سبحانه وتعالى . فجاء توكيدها اهتماما بما تضمنته ومزيد عناية به .

أما في آية قوم موسى الذين اتخذوا العجل إلهاً فقد جاء التوكيد لتنزيلهم منزلة المنكرين · والواو الواقعة بين همزة الاستفهام و (لم) عاطفة على ما قبل الهمزة . وهذا رأى سيبويه والجمهور . وزعم الزمخشرى أنها عاطفة على فعل مقدر بين الهمزة والواو . وأبو السعود فى تفسيره ممن يرون رأي الزمخشري فى هذه المسألة . وربما كان أكثر المفسرين عناية بتقدير المعطوف عليه لكل واو أو فاء تجيء بعد همزة الاستفهام . وقد قدّر المعطوف عليه فى الآية التاسعة من الآيات المتقدمة الذكر **(ألم يتفكروا أو لم يلاحظوا)** (٢) · وقدره فى الآية العاشرة من هذه الآيات : **(أغفلوا أو ألم ينظروا)** (٣) ·

ولعلك تلاحظين أيتها الأخت أن هذه التقديرات للمعطوف عليه لا يتطلبها معنى ولا سياق ولا أسلوب . وإنما هي تكلف يدل على ما في هذا الرأي من ضعف . وقد ذكر ابن هشام في كتابه مغني اللبيب أوجه الضعف فى رأي الزمخشري هذا (٤) وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى الرسالة الثالثة من هذه الرسائل ·

أختى الكريمة « هـل »

أنتقل بك الآن إلى الصيغة السادسة من الصيغ التى أدخل فيها أنا همزة الاستفهام على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » وهى : « ألم يروا كيف ··· » وقد جاءت هذه الصيغة فى آيتين :

الآية الأولى قوله تعالى : **(أو لم يروا كيف يُبْدِئُ الله الخلق ثم يُعيده إن ذلك على الله يسير)** · الآية (١٩) من سورة العنكبوت ·

الآية الثانية قوله تعالى : **(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)** · الآيتان (١٥ ـ ١٦) من سورة نوح ·

وتتضمن هاتان الآيتان الصورة البديعة التى خلق الله عليها الانسان أول مرة بعد أن لم يكن شيئا مذكورا . وخلق عليها السموات السبع وما فيهن . تلك الصورة التى رآها المشركون وكان ينبغي أن تدلهم على أن الذى خلق هذه الأشياء على هذه الصورة الرائعة البديعة قادر على أن يعيد خلقهم مرة ثانية بعد الموت وأن ذلك عليه يسير · فليس لهم من عذر بعد أن رأوا ما رأوا أن ينكروا البعث وأن يكذبوا الرسل ·

وهمزة الاستفهام فى هذه الصيغة معناها الإنكار أي النفي . وقد دخلت على حرف النفي « لـم » فتكون قد نفت النفي . ونفي النفي إثبات . أي قد رأوا ذلك وعلموه ·

وهذا معنى قولهم الاستفهام للتقرير أي تثبيت المنفي بـ « لـم » وتثبيت المنفي بـ (لـم) معناه : قد رأوا ذلك وعلموه . فقولنا الهمزة لإنكار النفي وقولنا الاستفهام للتقرير معناهما واحد وهو الإخبار بما ولي حرف النفي على جهة الإثبات .

وهمزة الاستفهام هنا فى هذه الصيغة تفيد التوبيخ أيضا . يوبخ الله سبحانه وتعالى هؤلاء المشركين على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله فيما يرونه من خلق أنفسهم والأشياء التى تحيط بهم .

ولقد مر إعراب (أو لم يروا) أكثر من مرة . و (يروا) بمعنى يعلموا فهو فعل متعد إلى مفعولين ولكنه معلق عن العمل فى مفعوليه . والذى علقه عن العمل اسم الاستفهام (كيف) . و (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح فى محل نصب على الحال من مفعول الفعل الذى بعده . و (كيف) وجملتها في محل نصب سدّت مسد مفعولي فعل (يروا) .

أختى الكريمة « هـل » :

لم يبق فى هذه الرسالة شيء أكتبه إليك سوى الصيغة السابعة . وهى الصيغة الأخيرة من هذه الصيغ التى أدخل فيها على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » . وهذه الصيغة هي : (ألم يروا كم ...) . وقد جاءت فى آيتين اثنتين :

الآية الأولى قوله تعالى : **(ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشانا من بعدهم قرنا آخرين) . الآية (٦) من سورة الأنعام .**

والآية الثانية قوله تعالى : **(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون) .** الآية (٣١) من سورة ياسين .

تتضمن هاتان الآيتان أن أهل مكة قد علموا أنه تعالى قد أهلك قبلهم كثيرا من الأمم بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل . وكانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا للأموال وخصبا فى الأرض ورفاها فى العيش . أهلكهم ولم يُبق منهم أحدا . وأنشأ بعد المهلكين أمما أخرى تعمر أرضهم وديارهم .

فليحذر أهل مكة أن يصيبهم من العذاب ما أصاب المكذبين بالرسل من قبل .

وهمزة الاستفهام فى هذه الصيغة وفى هاتين الآيتين معناها الإنكار أي النفي ، وقد دخلت على نفي فأبطلته فأصبح الكلام مثبتا ، والمعنى قد علم هؤلاء الكفار أننا أهلكنا قبلهم كثيرا من الأمم ·

ومن العلماء من يقول بدلا من هذا : الاستفهام هنا معناه التقرير أي الإيجاب ، والمعنى : قد علم هؤلاء الكفار ··· الخ ·

والقولان معناهما واحد كما تقدم فى الصيغة السادسة ·

وهمزة الاستفهام هنا فى هاتين الآيتين تفيد التوبيخ أيضا ، يوبخ الله سبحانه وتعالى أهل مكة أن لم يروا رؤية تبصر واعتبار واتعاظ ما أصاب كثيرا من الأمم قبلهم من إهلاك وتعذيب وتدمير من جراء كفرهم وتكذيبهم الرسل ، وقد كان مَن قبلهم أشد منهم قوة وأكثر مالا وأوسع نعمة ·

وإعراب (ألم يروا) قد تقدم أكثر من مرة ، والرؤية هنا علمية (فيما أرى وأرجح) و (يروا) بمعنى يعلموا ، فالفعل متعد إلى مفعولين ·

و (كم) فى هاتين الآيتين تكثيرية (فيما أرجح) مبنية على السكون فى محل نصب مفعول به مقدم للفعل الذى بعدها وهو أهلك ·

و (كم) ـ وإن كانت تكثيرية ـ معلقة لفعل الرؤية عن العمل فى مفعوليه ، وهذا التعليق باعتبار أصلها وهو الاستفهام (٥) ·

وكم مع جملتها فى محل نصب سدّت مسدّ مفعولي (يروا) ·

أختى الكريمة « هل »

يكفيني ويكفيك هذا المقدار من هذه الرسالة ، وأسأل الله تعالى أن يعين على رسالة خامسة أكتبها إليك عما قريب ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ...

اختك

همزة الاستفهام

* المـــراجـــع *

أولا : المراجع التى أشير إليها بالأرقام المسلسلة الواردة فى هذه الرسالة :

١ ـ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٨١ . طبعة الحلبى بمصر .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ١٧٨ . الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .

٣ ـ تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٨ . الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .

٤ ـ مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى : جـ ١ ص ٨ : تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله . الناشر : دار الفكر .

٥ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٢١ . طبعة الحلبى بمصر .

ثانيا : مراجع صيغ الاستفهام الواردة فى هذه الرسالة :

١ ـ مراجع صيغة : « ألم يروا أن ... » وهي الصيغة الخامسة :

أ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى . الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض . جـ ٤ ص ٣٩٢ / جـ ٦ ص ٨٢ / جـ ٦ ص ٣٠٨ / جـ ٧ ص ٣٤٧ / جـ ٧ ص ٤٩٠ .

ب ـ تفسير أبى السعود . الطبعة السالفة الذكر

جـ ٣ ص ٢٧٢ / جـ ٥ ص ٢٧ / جـ ٦ ص ٦٤ / جـ ٧ ص ٧٣ / جـ ٧ ص ١٧٨ / جـ ٧ ص ١٨٠ / جـ ٨ ص ٨٩ .

جـ ـ الفتوحات الإلهية المشهورة بحاشية الجمل على الجلالين . طبعة الحلبى بمصر . جـ ٢ ص ١٩٢ / جـ ٢ ص ٥١١ / ج ٣ ص ٥٢٥ .

د ـ تفسير ابن كثير . طبعة الحلبى بمصر . جـ ٢ ص ٢٤٧ .

هـ ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٥٢٤) الطبعة السالفة الذكر .

و ـ تفسير الزمخشرى · جـ ٣ ص ٢٢٣ · الطبعة السالفة الذكر ·

ز ـ تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٢٨١ · الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٢ ـ مراجع صيغة (ألم يروا كيف ···) وهى الصيغة السادسة ·

أ ـ تفسير البحر المحيط · جـ ٧ ص ١٤٦ (المؤلف والطبعة السالف ذكرهما) ·

ب ـ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٣٤ الطبعة المتقدمة الذكر

جـ ـ الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٣٧١ الطبعة المتقدمة الذكر

د ـ تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٣٣٦ الطبعة المتقدمة الذكر

٣ ـ مراجع صيغة (ألم يروا كم ···) وهى الصيغة السابعة ·

أ ـ تفسير البحر المحيط جـ ٤ ص ٧٥ (المؤلف والطبعة السالف ذكرهما) ·

ب ـ تفسير أبى السعود جـ ٣ ص ١١٠ · الطبعة السالفة الذكر

جـ ـ الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص ٦ · الطبعة السالفة الذكر

د ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٥١١) الطبعة السالفة الذكر ·

هـ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٢١ ·

و ـ إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس تحقيق الدكتور زهير غازى زاهد الناشر : مطبعة العانى ـ بغداد ·

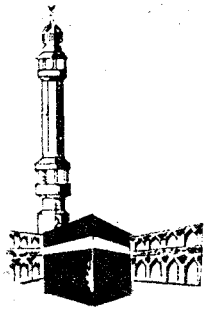

بحث في صيغة "أفعل"

(بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية)

لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس
المدرس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الحلقة الثانية

آراء العلماء فى فعل وأفعل بمعنى واحد :

رأى ابن درستويه فى مجىء فعل وأفعل بمعنى واحد وقد أورده السيوطى فى المزهر (١) قال :

قال ابن درستويه فى شرح الفصيح (٢) : لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد الا أن تجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين . وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة . وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد وأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم فان كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا عليهم فى تأويلهم ما لا يجوز فى الحكمة وليس يجىء شىء من هذا الباب الا على لغتين متباينتين كما بينا أو يكون على معنيين مختلفين أو تشبيه شىء بشىء على ما شرحناه فى كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى فعل وأفعل .

---

(١) انظر المزهر جـ ١ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦ . وانظر تصحيح الفصيح جـ ١ ص ١٦٥ تحقيق عبد الله جبورى طبعة بغداد . وقد ذكر هذا الكلام تعقيبا على الامام ثعلب تصحيح الباب الثالث وهو باب فعلت بغير ألف .عند قوله . وأما قوله فى رعد وبرق فى باب فعلت انه يقال فيه أرعد وأبرق فان لكل واحد من هذين معنى يخصه ... الخ .

(٢) فى تصحيح الفصيح اتمام للكلام هو : الهمزة التى تدخل لنقل الفعل الذى على فعل فيجعل على أفعل نحو كرم وأكرم وحسن وأحسن .

ومن ههنا يجب أن يتعرف ذلك وأن قول ثعلب : وقفت الدابة ووقفت أنا ، ووقفت وقفا للمساكين لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو ، والمجاوز على لفظ واحد فى النظر والقياس لما فى ذلك من الإلباس ، وليس إدخال الإلباس فى الكلام من الحكمة والصواب ، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم ، وانما اللغة موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية ولكن قد يجىء الشىء النادر من هذا لعلل ، كما يجىء فعل وأفعل فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين وان اتفق اللفظان ، والسماع فى ذلك صحيح من العرب فالتأويل عليهم خطأ وانما يجىء ذلك فى لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ وذلك ان الفعل الذى لا يتعدى فاعله إذا احتيج الى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذى هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر إما بأن يزاد فى أوله الهمزة (١) أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ليستدل السامع على اختلاف المعنيين الا انه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب فى كلام العرب حتى يحاولوا تخفيفه فيحذفوا حرف الجر منه كقولهم : كلته ـ وزنته أى كلت له وزنت له فيعرف بطول العادة وكثرة الاستعمال وينوب المفعول واعرابه فيه عن الجار والمجرور المحذوف ، أو يشبه الفعل بفعل آخر متعد على غير لفظه فيجرى مجراه لاتفاقهما فى المعنى كقولهم حبست الدابة وحبست مالا على المساكين .

وقد استقصينا شرح ذلك كله فى كتاب فعلت وأفعلت بحججه وروايه أقاويل العلماء فيه وذكر علله والقياس فيه ا هـ . وقال فى موضع آخر : أهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة قد يجيئان لمعنى واحد وان قولهم دير بى وأدير بى من ذلك وهو قول فاسد فى القياس والعقل مخالف للحكمة والصواب ، ولا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد الا أن يجىء أحدهما فى لغة قوم والآخر فى لغة غيرهم ، ، كما يجىء فى لغة العرب والعجم أو فى لغة رومية ولغة هندية .

وقد ذكر ثعلب أن أدير بى لغة فأصاب فى ذلك وخالف من يزعم ان فعلت وأفعلت بمعنى واحد ، والأصل فى هذا قد درت وهو الفعل اللازم ثم ينقل اما بالباء واما بالألف فيقال : قد دير بى أو أدرت فهذا القياس .

ثم جىء بالباء مع الألف فقيل : قد أدير بى كما قيل قد أُسْرى بى على لغة من قال

---

(١) هناك واما بان يوصل الخ مثل ذهب بغيره ، وقام وقام بآخره .

أسرى فى معنى سرى لأن ادخال الألف في أول الفعل والباء فى آخره للنقل خطأ إلا أن يكون قد نقل مرتين إحداهما بالألف والأخرى بالباء (١) اهـ .

رأى ابن قتيبة :

وقال ابن قتيبة (٢) باب فعلت وأفعلت باتقان معنى .

جد فلان فى أمره وأجد . ويقال فلان جاد ومجد . لاق الدواة وألاقها « الفراء » أضاء القمر وضاء وانشد غيره للعباس بن عبد المطلب عم الرسول يمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

أنت لما ظهرت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق

وقال الفراء أوحى ووحى وأومأ ووما وقال غيره محصته السوء وأمحصته . وسلكته وأسلكته . قال الله تعالى : « ما سلككم فى صقر » .

وقال الهذلى :

حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة شَلًّا كما تطرد الجَمالة الشُرُدا

عمر الله بك دارك وأعمرها . أمر الله ما له وآمره . نضر الله وجهك وأنضره . مددت الدواة وأمددتها وأمددته بالرجال لا غير . خلف الله عليك بخير وأخلف . نهج الثوب وأنهج اذا بلى . سكت القوم وأسكتوا . وصمتوا وأصمتوا . خلق الثوب وأخلق . سمح الرجل وأسمح . مسح الكتاب وأمسح اذا درس . ينعت الثمرة وأينعت . نسل الوبر وأنسل اذا وقع . سندت فى الجبل واسندت . قطرت عليه الماء وأقطرت . خلد الى الأرض وأخلد . نزفت البئر وأنزفتها . جلب الجرح وأجلب اذا صارت عليه جلبة . قدعته وأقدعته . فتنته وأفتنته . ساس الطعام وأساس اذا سوس . وداد وأداد اذا دود . سريت وأسريت . كنبت يداه وأكنبت اذا اشتدت وغلظت . سوءت به ظنا وأسأت الظن . قتر الرجل وأقتر اذا قل ماله . خففت الأمر وأخففته وهرقت الماء وأهرقته . زها البسر وأزهى . شنقت القربه وأشنقتها اذا شددت رأسها . قصر عنه وأقصر عنه . زكا الزرع وأزكى الزرع . جمَّت الدابة والركية وأجمت . قلته البيع وأقلته . سار الدابة وأسارها . مُطرنا وأمطرنا . وأبو عبيدة يفرق بينهما . غسا الليل يغسو وأغسى إذا أظلم . حشمته وأحشمته . اغضبته . زننت به خيرا وأزننت . جهده السير وأجهده . جرمت

---

(١) قال فى اللسان : أسريت بالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن العزيز بهما جميعا .

(٢) انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٦٠ دار صادر بيروت .

وأجرمت من الجرم . خلا المكان وأخلى . عسرت الرجل وأعسرته اذا طلبت الدين منه على عسرة خفق الطائر بجناحيه وأخفق . سفقت الباب وأسفقته . ثاب جسمه وأثاب . أجرت الغلام وآجرته . ذرت الريح وأذرت . لغطوا وألغطوا . وضجوا وأضجوا .

نبت البقل وأنبت . رجنت الشاه وأرجنت . ثرى الرجل وأثرى اذا أيسر . رجف وأرجف اذا أعيا . سحته الله وأسحته اذا استأصله . وقرىء فيسحتكم وفيسحتكم (بفتح الياء وضمها) . جاح الله ماله وأجاحه . هديت العروس وأهديتها . عرض لك الخير وأعرض حدت لمرأة وأحدت . فرزت الشيء وأفرزته .

عقم الله رحمها وأعقمها . حدق القوم به وأحدقوا . أوخفت الخطمى ووخفته دجنت السماء وأدجنت . جلبوا عليه وأجلبوا اذا صاحوا . لاذوا به وألاذوا وجرته الدواء وأوجرته . صلَّ اللحم وأصل . وخمّ وأخمّ سعرنى شرا وأسعرنى . مهرت المرأة وأمهرتها . شار العسل وأشار . عذر الغلام وأعذره . ضب الرجل وأضب اذا سكت . صددت الرجل وأصددته . صردت السهم وأصردته اذا انفذته . وعيت العلم وأوعيته . وأوعيت الطعام لاغير . وفيت بالعهد وأوفيت به . وأوفيت الكيل لا غير . غللت وأغللت من الغلول . لحدت القبر وألحدته ولحد الرجل فى الدين وألحد . وقرىء يَلحدون يُلحدون (بفتح الياء وضمها) بدأ الله الخلق وأبدأ وقال عز وجل يبدىء ويعيد . بشرت الرجل وأبشرته وبشرت الأديم وأبشرته اذا قشرت ما عليه .

قبل وأقبل ودبر وأدبر . وقح الحافر وأوقح . جهشت فى البكاء وأجهشت . أجمع القوم رأيهم وجمعوا رأيهم . سمل الثوب وأسمل . عصفت القارورة وأعصفتها . حل من إحرامه وأحل . بل من مرضه وأبل أى نجا . ثويت عنده وأثويت . منيت وأمنيت من المنى . مذيت وأمذيت من المذى . طافوا به وأطافوا . حال فى متن فرسه وأحال . صرّ الفرس أذنه وأصر . مر الطعام وأمر . وقعت بالقوم فى القتال وأوقعت . نويت النوى وأنويته . اذا أكلت التمر ورميت بالنوى . غمى عليه وأغمى . مطيت عنده وأمطيت تنحيت . وكذلك مطت غيرى وأمطته هذا قول أبى زيد وقال الأصمعى مطت أنا وأمطيت غيرى لا غير . قمعت الرجل وأقمعته . صعقتهم السماء وأصعقتهم . ألقت عليهم صاعقة . قمسته فى الماء وأقمسته اذا غططته . مضَّنى وأمضَّنى قال الأصمعى أمضنى بالألف ولم يعرف غيره . صليت الشيء فى النار وأصليته نجوت الجلد عن اللحم . وأنجيته اذا قشرته . جننته فى القبر وأجننته . ربعت عليه الحمى وأربعت . وغبت عليه وأغبت . رميت على الخمسين وأرميت زدت . كلأت الناقة وأكلأت إذا أكلت الكلأ . حكمت الفرس وأحكمته . ورسنته وأرسنته . رحبت الدار وأرحبت

اذا اتسعت . جهرت بالقول وأجهرت . خسرت الميزان واخسرته نقصته . حصُر الرجل من الغائط وأُحصر . صقعت الأرض وأصقعت من الصقيع . عَنَدَ العِرقْ وأعند اذا سال وأكثر . لخيت الغلام وألخيته اذا أوجرته الدواء . فرشته فراشا وأفرشته . صرَّت إلَّ رأسه وأصرته اذا املته ضنأت المرأة وأضنأت اذا كثر ولدها . هلكت الشيء وأهلكته . ٠ قال العجاج : ومهمه هالكٍ مَنَ تَعرَّجا بمعنى مهلك هذا قول أبو عبيد وقال غيره أى هالك المتعرجين أى من عرج فيه واحتبس هلك ٠

جذا الشيء وأجذى اذا ثبت قائما . زلت الشيء وأزلته . رفل من مشيته وأرفل . وضعت فى مالى وأوضعت . ووكست وأوكست . زحفت فى المشى وأزحفت اعييت . أويته وآويته . وأويت إلى فلان مقصور لا غير . حلت فى ظهر دابتى وأحلت اذا وثبت عليه . حشت عليه الصيد وأوحشت . قصرنا . واقصرنا من قصر العشىّ ٠

وكف البيت وأوكف . خطل فى كلامه وأخطل . حاك فيه القول وأحاك أى نجح . غمدت سيفى وأغمدته . رشّت السماء وأرشّت . وطشّت وأطشّت . هلت عليه التراب وأهلت . نار الشيء وأنار . خذ ما طف لك وأطف . شمس يوما وأشمس . حالت الدار وأحالت مِنَ الحول . وبان وأبان . حضرت حتى عنت وأعينت أى بلغت العيون . طلق يده بالخير وأطلق رملت الحصير وأرملته . وسففته وأسففته نسجته . بر الله حجك وأبره . وسعده الله وأسعده ونعشه الله وأنعشه . قطبت الشراب وأقطبته فرجته . شظظت الوعاء وأشظظته من الشظاظ . رجعت يدى وأرجعتها . لمحته وألمحته . تبله الحب وأتبله . جلا القوم عن الموضع وأجلوا تنحوا عنه . وأجليتهم أنا وجلوتهم ٠

قال أبو ذؤيب :

فلما جلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذُلُّها واكتئابها

يعنى مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره ٠

لاح الرجل وألاح أى اشفق . سقت اليها الصداق وأسقته . جفلت الريح وأجفلت . خوت النجوم وأخوت اذا سقطت ولم تمطر . غبش الليل وأغبش أظلم . ذرق الطير وأزرق . صم الرجل وأصم . غامت السماء وأغامت . خلف فوه وأخلف . زففت العروس وأزففتها . وعزت اليك فى الأمر وأوعزت . شنقت الناقة وأشنقتها . اذا كففتها بزمامها . وسنفتها وأسنفتها من السناف بقّت المرأة وأبقّت كثر ولدها . وقد بقفت يا رجل وأبقفت اذا كثر كلامه .

حرست الناقة وأحرستها اذا سرت عليها حتى تهزل ، قحدت الناقة وأقحدت اذا صار مقحادا وهى العظيمة السنام .وهنه الله وأوهنه قال طرفه اننى لست بموهون فقر ٠

فقال الآخـر :

أقتلت سادتنا بغير دم الا لتوهن آمن العَظْم

صغوت الى الرجل وأصغيت ، ذروت الحب وأذريته الفراء، وجملت الشحم وأجملته أذبته ، نجزت الحاجة وأنجزتها قضيتها ، ركست الشيء وأركسته إذا رددته قال الله تعالى : « والله أركسهم بما كسبوا » يروى فى التفسير ردهم إلى كفرهم ابن العربى ، مرأنى الطعام وأمرأنى ، وروى لطَّ دون الحق بالباطل وألطَّ ، وقول الناس الالطاط وهو ملط من هذا ، ويروى كفأت الاناء وأكفيته ، ألفت المكان وآلفته ، ، نكرت القوم وأنكرتهم ، نعم الله بك عينا وأنعم ، جدب الوادى وأجدب ، وخصب وأخصب ، وبأت الأرض وأوبأت ، وحطبت وأحطبت ، وعشبت وأعشبت وبقلت وأبلقت ، وضبعت الناقة وأضبعت اشتهت الفحل ، لحقته والحقته ومنه إن عذابك بالكفار ملحق أى لاحق ، قويت الدار وأقوت ، زكنت الامر وأزكنته ، خطئت وأخطأت ٠

وقال الله تعالى : « لا يأكله إلا الخاطئون »

وقال الشاعر :

عبادك يخطئون وأنت رب بِكفَّيك المنايا لا تموت

ردفته وأردفته ، ملح الماء وأملح ، ونتن الشيء وأنتن ، اعورت عينه وعرتها ، دير بالرجل وأدير من دوار الرأس ، مرع الوادى وأمرع ... انتهى كلام ابن قتيبة ٠

***

قال فى لحن العامة (١) فعل وأفعل : يخلطون بين هذين الوزنين ففى العربية أفعال جاءت على وزن أفعل ينطقونها ثلاثية على فعل فيقولون : ضج القوم ، وحكّنى رأسى وأحس كذا وشرعت الرمح ، وعييت ، وحسن الشيء ومسكت كذا وصح الله بدنك ، وعازنى الشيء وباده الله وخزاه ٠

---

(١) انظر لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر طبع وزارة الثقافة المصرية ص ٩٤ ٠

وشبه فلان أباه . وصحت السماء فهى صاحية . وجبرت فلانا على كذا . وفلان يأوى اللصوص ... وكل هذه الأفعال رباعية فى اللغة العربية على أفعل .

وحدث عكس ما سبق أيضا قالوا : أرفدت فلانا وأرسنت الدابة . وأردمت الباب . واسعرهم شرا . وأشملت الريح . وأشغلت فلانا . وأشفاك الله وأصرفته عما أراد . وأعنانى الشىء . وأقلينا ماء . وأقست الشىء وأكريت النهر . وأكببت فلانا على وجهه . وأنعشه الله وأنجع الدواء . وانبذت . وأوقفت دابتى . وأهديت العروس وصواب ذلك كله على وزن فعل لا أفعل وهذا الباب أعنى الخلط بين فعل وأفعل قد شاع من القرن الثالث الهجرى فعالجه ابن السكيت فى اصلاح المنطق (١) وابن قتيبة فى أدب الكاتب (٢) . وثعلب فى الفصيح .

وقد صنفت فى باب (أفعل وفعل) كتب خاصة للأصمعى وأبى عبيد القاسم بن سلام وأبى اسحاق الزجاج (٣) .

***

أفعال ينطقها العامة بالهمز والفصيح بدونه

وقد عقد لها ابن السكيت بابا فى كتابه إصلاح المنطق (٤) .

تقول نعشه الله ينْعشُه . أى رفعه الله ومنه سمى النعش نعشا لارتفاعه ولا يقال أنعشه . ونقول : قد نجع فيه الدواء . وقد نجع فى الدابة العلف ينجع ولا يقال قد أنجع فيه .

ويقال قد نبذت نبيذا وقد نبذت الشىء من يدى اذا ألقيته فقال : أبو محمد انشدنى غير واحد :

نظرت على عنوانه فنبذته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

ومنه قوله تعالى : « **فنبذوه وراء ظهورهم** » ولا يقال أنبذت نبيذا . وقد شغلته ولا يقال أشغلته .

---

(١) من ص ٢٢٥ الى ص ٢٢٨ . من ٣٣٣ ـ ٣٥٣ .

(٢) أبواب فعلت بغير ألف . فعلت وأفعلت . أفعل .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربى لبروكمان جـ ٢ ص ١٤٩ .

(٤) انظر إصلاح المنطق ص ٢٥١ باب يتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت .

ويقال سعرهم شرا ولا يقال أسعرهم . وقد رعبته اذا أفزعته وكذلك رعبت الحوض اذا ملأته وهو مرعوب .

قال الهذلى أبو خراش

نقاتل جوعهم بمكلّات من الفُرنىّ يرعبها الجميل

ويقال جملت الشحم اذا اذبته وكذلك اجتملت وقال مليح بن الحكم الهذلى :

بذى هيدب أيما الربا تحت ودقة فتروى وأيمـــا كـل واد فـيرعب

أيمـــا فى معنى أمـا

وقد هزلتُ دابتى وكذلك هزل فى منطقه يهزل هزلا ويقال قد أهزل الناس إذا وقع فى أموالهم الهزال .

وقد كفأت الاناء فهو مكفوء اذا قلبته .

ويقال قد قلبت الشىء وأقلبته قلبا . وقد قلبت الصبيان وصرفتهم بغير ألف .

وقالوا أقلبت الخبزة إذا نضجت وأنى لها أن تقلب . وقد وقفت دابتى وقد وقفت وقفا للمساكين . ووقفته على ذنب كله بغير ألف .

وحكى الكسائى : ما أوقفك ها هنا ؟ أى شىء أوقفك ها هنا ؟ صيرك الى الوقوف .

قال الأصمعى : جنبت الريح وشملت وقبلت وصبت ود برت كله بغير ألف .

ويقال قد برقت السماء وأرعدت وقد برق ورعد اذا تهدد وأوعد . قال ولم يكن يرى بيت الكميت حجة لانه عنده مولد وهو قوله :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر .

وحكى أبو عبيدة وأبو عمرو : برق ورعد . وأبرق وأرعد اذا تهدد وأوعد . الفراء يقال وعدته خيرا ووعدته شرا باسقاط الألف فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير وعدته وفى الشر أوعدته . وفى الخير الوعد والعدة وفى الشر الإيعاد والوعيد واذا قالوا أوعدته بالشر أو بكذا اثبتوا الألف مع الياء وأنشد .

أوعـدنى بالسـجن والأداهـم رجلى ورجلى شثنة المناسم

ويقال قد كببته لوجهه وكب الله الأبعد لوجهه ولا يقال أكب الله . ويقال قد علفت الدابة وقد رسنتها بغير ألف .

وقد حششت بعيرى . وقد حميت المريض وأحميه حمْيةً وقد حميت أَنَفاً ان أفعل كذا وكذا حمية ومحمية إذا أنفت أن تفعله .

ويقال : عبته ولا يقال أعبته . وحدرت السفينة ولا يقال أحدرتها . وعن غير يعقوب حميت المكان وأحْميته أى جعلته حمى لا يقرب . ومنعت الناس منه وكذلك المسمار وأحميته أنشدنا أبو الحسن ويعقوب وغيره .

حمى أحماته فَتُركن قفرا وأحمى ما يليه من الإجام

وقد رفدته ولا يقال أرفدته .

وقد عقد لها الزجاج فى كتاب فعلت وأفعلت باب ما تكلم فيه بفعلت دون أفعلت وما اختير فيه فعلت (١) على أفعلت .

يقال بهأت به وبهئت به اذا أنست به ... وبردت عينى أبردها ... وبرد الماء حرارة جوفى بردا ... وبحرت اذن الناقة شققتها وبترت الشىء قطعته من أصله .

* * *

تنح بالمكان وتنأ به أقام به وتمك السنام إذا ارتفع

* * *

ثنيت الشىء عطفته . وثلمت الشىء فهو مثلوم . وثبر الله العدو أهلكه فهو مثبور . وثروت الرجل اذا كنت اكثر منه مالا وثلجت صدر الرجل اذا أتيته بما يسره وهو حق . وثمأت رأسه بالحجر شدخته .

* * *

يقال دمعت العين تدمع ... ودرأته عن الشىء أدراه دفعته . ودهنت الناقة ودهنت اذا قل لبنها . ودنأ الرجل يدنأ دناءه ودنوء اذا كان دنيا لا خير فيه .

---

(١) انظر الأفعال لابن القطاع . واصلاح المنطق لابن السكيت وتصحيح الفصيح جـ ١ ص ١٦٣ طبعة بغداد .

يقال رعف الرجل من الرُعاف ، ورعبت الرجل أرعبُه ورزأته أرزؤه وزءً أى أصبت منه خيرا ... وربأت القوم أربؤهم اذا كنت لهم طليعة ... ورفأت السفينة رفءً اذا قربتها من الشط ... ورقأت العين اذا جفت دمعها .. ورأيت الشيء إذا أصلحته ... ورأفت الرجل أرأف به اذا رحمته ورأس الرجل القوم صار رئيسهم .

* * *

يقال زريت على الرجل أزرى عليه اذا أعبته ، وزرى الرجل وجهه عنى ، وزوى الميراث عن الورثة ... وزعيت له من المال زعية أعطيته منه قطعة ، وزيده زيدا أعطاه ... وزأدت الرجل دعوته ... وزناً فى الجبل صعد وزبرت الكتاب كتبته .

* * *

سحوت القرطاس وسحيته قشرته ... وسبيت العدو سبيا وسبأت الخمر شربتها ... وسأبت الرجل ختنته ... وسرأت المرأة كثر ولدها ... وسلأت السمن أسلؤهُ اذا خلصته .

شريت الشيء أشتريته وشريته بعته ، وشملت الريح ... وشأوت القوم سبقتهم ... وشفأ الناب طلع .

* * *

صرف الله عنك الأذى ... وصرفت القوم عن الشيء وصرف عن الأمر أعرض عنه ... وصمدت للشيء أصمد له وصبت الريح من الصبا ... وصبأت عن الشيء رجعت عنه وصبا الرجل فى دينه صار صابئاً ... وصبأ الناب طلع وصال الطيب وغيره يصيل بالشيء إذا لزق به .

* * *

ضفا الشيء اذا كثر يضفو ... وضمر الشيء فهو ضامر ... وضفرت الشعر ... وضربت اليه لجأت اليه ... وضامه يضميه اذا ظلمه ... وضبأ الرجل بالمكان اذا اختبأ ضبوءا ... وضلعت مع فلان ملت مَعَه .

* * *

طما الشيء يطمو اذا علا ... وطمأت الشيء واريته ... وطم الشعر جزه ... وطان الكتاب يطينه ختمه بالطين ... وطبأه الى الشيء يطبؤه دعاه اليه ... وطبن له فطن له .... وطببت له صرت طبيبا ... وطببت الطب صرت رفيقا بالشيء فهما به .

* * *

عبأت الطيب وغيره خلطته ... وعبأت بالشيء باليت به ... وما عبأت بفلان ما باليت ... وعابنى فلان وعبته بغير ألف وعرضت الجيش ... وعلفت الدابة ... وعنانى الأمر يعنينى بغير ألف ... وعززت فلانا بالشر ... وعدا فلان على فلان يعدو اذا ظلمه .

* * *

غارهم اذا أتاهم بالميره وغار على الشيء غيرة ... وغبنته فى البيع غبنا . وغلت القدر تغلى ... وغثت نفسه تغثي وغبطته أغبطه اذا أحببت أن يكون لك مثل ما له من غير أن يُسلبه .

* * *

فتأت الرجل عن رأيه أفتوه صرفته عنه ... وكل شيء رددته عنك فقد فتأته عنك .

قال الشاعر :

تغور علينا قدرهم فنديمها وتفتؤها عنا اذا حميتها غلى

وفأوت رأسه شقتته وفأيته أيضا ... وفأدت الرجل أصبت فؤاده ... وفرق الرجل بين الشيئين وهو فارق بينهما فرقا ... وفقأت عينه .

* * *

قاس الرجل الشيء يقيسه ... وقلمت ظفرى ... وقنا للون إذا احمر ... وقلبت الشيء ... وقلبت القوم الى منازلهم وقريت الضيف أطعمته . وقنط الرجل قنوطا اذا استحكم يأسه .

* * *

كسبت مالا بغير ألف أكسبه ... وكتفت الرجل اكِفُه توليت حياطته ... وكرف الحمار

اذا شم البول ورفع رأسه ... وكبا الزند يكبو اذا لم يخرج ناره ... وكفلت الرجل صرت كفيله . وكعَّ الرجل عن قرنه كبن عنه ... وكلمت الرجل اذا جرحته وكَسأت وسطه قطعته بالسيف .

* * *

لبأت القوم أطعمتهم اللّبا ... ولطأ الرجل بالأرض لزق بها ... ولمّ الشَّعث أصلحته ... ولبأت اللحم من العظم قشرته ... ولززت الشيء بالشيء ألزقته ... ولددت الصبى صببت الدواء عن جانب فيه ... ولبقت الطعام خلطته ومثله لكته ... ولهف الرجل ولهث .

* * *

مجن الرجل صار ماجنا ... ومأوت بين القوم أفسدت بينهم ... ومأست بينهم مثله ... ومأنت الرجل احتملت مؤنته .... ومريت الشيء مسحته ... ومقرت السمك مقرا جعلته فى الخل .

* * *

نفيت الرجل بغير ألف انفيه ... ونبذت النبيذ اتخذته ... ونبذت الشيء القيته ... ونقل الرجل بين القوم سعىّ بالفساد بينهم وناء الرجل بالحمل ينوء اذا نهض به ... وناء اللحم ينىء اذا لم ينضج فى الطبخ ونسأت الا بل فى مشيها تأخرت ... ونبأت من بلد الى بلد خرجت ... ونكأت الجرح ... ونكيت فى العدو ... وما نبس فلان بكلمة أى ما نطق ... ونوى البعير سمن .

* * *

وقفت الدابة والضيعة بغير ألف ... ووصلت بين الشيئين جمعت بين طرفيهما ... وودیت الرجل أعطيته دیته ... ووراه الداءُ يريه أفسد جوفه ... ووسمت الدابة وسما ووألت من الشيء نجوت منه ... ووسقت المرأة حملت ... ووسق الا بل حملها ... ووشيت الثوب من الوشى وولب الرجل الكلام سلقه وأسرع فيه ... ووقمت العدو قمعته وقهرته ... ووأد المؤودة دفنها وهى فى الحياة ووترت الرجل فن التِّرة وهى العداوة ... ووصل السيب كثر واتصل ... ووشيت الشيء اذا خرزته .

* * *

هنأته النعمة وهنأنى الأمر ... وهرف القوم بالرجل أفرطوا فى مدحه ... وهرقت الماء صببته ... وهتيت بالرجل اذا دعوته رافعا صوتك ... وهمدت النار طفئت . وهمد الثوب أخلق ... وهزأت بالرجل وهزئت به سواء ... وهال التراب صبه وهالنى الأمر بغير ألف ... وهجأنى الطعام أشبعنى .

* * *

يمن الرجل القوم بيمنهم إذا صار ميمونا عليهم مباركا ... ويعر الجدى يتعر يعارا اذا صاح ... ويسرت بالقداح إذا ضربت بها .

* * *

أجر العظم اذا جبر على فساد ... وأفل النجم اذا غار وغاب وأبر النخل يأبرها إذا لقحها ... وأدمت الخبز أكلته بإدام وأممت القوم صرت لهم إماما ... وأجن الماء يأجن ويأجن وأسن يأسن ويأسُن إذا تغيرت راحته ... وأطر الرجل الشيء على الشيء اذا ثناه عليه ... وأصر الشيء يأصره اذا عطفه ... وأشر الرجل الشيء بالحديد يأشره ويأشره بالمنشار .

(يتبـــع)

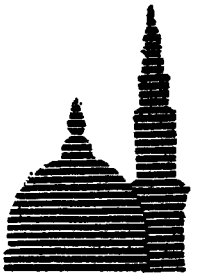

حداثة الشعر العربي

الدكتور: عبد الباسط بدر
الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بالجامعة

الحلقة الأولى

تعد قضية الحداثة من قضايا الشعر العربي الخطرة ، إن لم تكن في عصرنا أخطرها على الاطلاق ، فهي قضية تطوره وتغير مفهومه وطبيعته وعناصره الشكلية والموضوعية .

وقد اكتسبت هذه القضية أهميتها الخطيرة في عصرنا من كونها تحولت إلى مسوغ أساسي لتغير أيٍ من مقومات الشعر ، ولا أستثني من ذلك كيان الشعر كله . وصارت عند بعض المتنطعين غاية وهدفاً .

لأجلها « يُسْتَشهد » بعضهم ، وفي سبيلها يعاني آخرون المتاعب ويعللون فقرهم في الجمهور ، وبسببها يتحمل فريق ثالث لعنات مجتمعه غير مبال بها . فهو - كما يزعم - يؤصل قواعد الحداثة ويرود التطوير .

وللحداثة قامت صراعات كثيرة بين أجيال متوالية في هذا القرن ، ومازالت تقوم ، تشتد تارة وتهدأ تارة .. وربما تظل كذلك إلى ما شاء الله .

فما الحداثة ؟ ولم صارت شغل النقاد والشعراء ؟ وهل تستند إلى جذور أصيلة في تراثنا الأدبي ؟

هذا ما سأجيب عنه في الصفحات التالية ..

من الحقائق الثابتة أن ظواهر الحياة البشرية ، المادية والفنية ، تخضع لتطور دائم عبر الزمن . ونظرة سريعة إلى أية ظاهرة منها في زمنين متباعدين تظهر الفروق الكبيرة بين شكل الظاهرة في الزمن الأول وشكلها في الزمن الثاني ، حتى ليصح أن يقال : إن الثابت الوحيد في هذه الظواهر هو التطور .

والشعر ظاهرة فنية عريقة ، صاحبت الحياة البشرية منذ فترة مبكرة من تاريخها ، وستصحبها إلى ما شاء الله ، هذا الشعر لا يخرج عن قانون التطور أياً كان زمانه ومكانه ، ولا يمكنه أن يتوقف عن التطور دون أن تتصلب شرايينه وتسكت نبضات الحياة فيه ، فالتطور ـ أو لنقل التغير خشية أن يفهم التطور على أنه الاتجاه نحو الأفضل ـ خيط دقيق يمتد فيه طوال تاريخه ، وقد يدق ويرق في عصر من العصور حتى لا يرى منه إلا أثر بسيط ، ولكنه لا يغيب نهائياً · **والشعر العربي ـ مهما قيل عن ثباته وتطوره ـ لا يخرج عن هذه الحقيقة ·**

وقد أدرك الشعراء العرب هذه الحقيقة منذ القديم ، وكان بعضهم واعياً يحس نبضها في شعره ، كما أدركها عدد من النقاد القدماء ورصدوها بمقاييس مختلفة ، وجعلوها احدى قضايا نقدهم التطبيقي حيناً والتنظيري حيناً آخر ، واتخذها بعضهم مقياساً في تقويم العمل الشعري ·

وفي العصر الحديث تطور قضية الحداثة وتطور مفهومها ، وغدت صاحبة الدور الأساسي في قيام الاتجاهات الشعرية الجديدة وكسب الأنصار والمؤيدين · ولا بد ـ لتوضيح قضية الحداثة ـ من العودة إلى جذورها ، والمرور بها ـ خطفاً ـ في الشعر القديم ونقده ، تمهيداً لرصدها في العصر الحديث ، والوقوف على بصماتها في الحركات الشعرية المتتالية ، وتطورها بين هذه الحركات ·

الحـداثة في الشـعر القـديم

بلغ الشعر العربي في الفترة التي نعرفها عن العصر الجاهلي ـ درجة عالية من النضج ، وتنبئنا الصورة التي وصلتنا عنه أنه حصيلة تطورات فنية لا نعرفها ، وأن قواعده بلغت درجة من الاستقرار جعلت الشعراء يخضعون لها حقبة طويلة من الدهر ، ولو كانت بداياته المبكرة (١) مدونة لاستطعنا أن نعرف شكل تطوره واتجاهاته ·

ولا يعني هذا أن الشعر لم يتطور منذ الفترة المعروفة من العصر الجاهلي ، فقد شهد بعض التطور في العصر الأموي ، إذ تغيرت بعض موضوعات الشعر ، وتطور بعضها الآخر ، وظهرت أصداء الحياة الإسلامية في شعر الفتوح وشعر الطوائف السياسية · ولوّن الشعراء الكبار ـ ولا سيما جرير والفرزدق والأخطل ـ قصيدة المديح بألوان جديدة مستمدة من نظرية

---

(١) ثمة اشارات كثيرة إلى بداية الشعر العربي ، تربطه بالموسيقى أو بالعمل أو بالعبادة · أنظر عرضا موجزاً لبداية الشعر العربي في الدكتور أحمد كمال زكي ، نقد ـ دراسة وتطبيق ٦٥ · دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧ ·

الدولة الأموية في الخلافة ، ومن الظروف المعيشية آنئذ ، وثبّت جرير ألواناً حديثة من قيم المديح استقاها من الإسلام ، أما الجانب الفني في القصيدة فالتجديد فيها قليل الشأن إذ بقيت هندسة القصيدة على حالها ، وظلت وسائل التصوير بمستواها القديم وطريقتها القديمة ، ولم يتطور القاموس الشعري إلا عند الشعراء الغزليين كعمر بن أبى ربيعة وكثيّر ، وبقيت الأوزان الشائعة في قصائد العصر الجاهلي مستعملة بالنسبة نفسها تقريباً في العصر الأموي (١) اللهم إلا المقطوعات التي نظمها عمر بن أبى ربيعة في الغزل على أوزان خفيفة والأدوار التي تغنى بها المغنون ، وإلا المقطوعات التي أنشدها المجاهدون في معارك الفتح ..

وهكذا يمكننا القول : إن ملامح التجديد في العصر الأموي يسيرة وإن أثرها في شكل القصيدة وبنائها الفني محدود ، في حين أنها أكثر وضوحا في موضوعها ومضمونها (٢) .

وفي العصر العباسي لا نجد انعطافاً حاداً ، بل نجد تطويراً أوسع من تطوير العصر الأموي يشمل الشكل والمحتوى معاً ، ففي الشكل صفت لغة القصيدة وبلغت درجة عالية من الرشاقة والعذوبة عند عدد من الشعراء ، لتلائم الحياة العباسية الجديدة وتناسب الذوق الموسيقي الشائع ، وكثرت المقطوعات الصغيرة المنظومة على الاوزان الخفيفة والمجزوءة ، واتنعشت بحور كانت ضامرة من قبل كالمضارع والمجتث والمقتضب (٣) ، وظهر المتدارك الذي يقال إن الأخفش استدركه على الخليل ، ولحق القوافي بعض التجديد فظهر المزدوج والمسمط في فترة مبكرة ، ويذكر الجاحظ أن بشاراً كان صاحب مزدوج (٤) . كما نجد في دواوين أبي العتاهية وبشر بن المعتمر وابن المعتز عدة مزدوجات . ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن المزدوج هو الذي رشح لظهور الرباعيات في الشعرين العربي والفارسي (٥) .

ولعل أوسع تجديد شعري عرفه العصر العباسي هو التجديد البديعي وقد سماه معظم النقاد القدماء « **شعر المحدثين** » . ويجمع الدارسون ـ قديماً وحديثاً ـ على أن بشار بن برد رائد هذا المذهب ، وأنه كان يحافظ على توازن دقيق بين العناصر الجديدة والعناصر التقليدية . وأن مسلم بن الوليد طور المذهب من بعده وجعل الشعر صنعة مجهدة ، لا بد فيها

---

(١) أنظر : الدكتور ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ١٩٣ ـ ١٩٤ مكتبة الانجلو ١٩٧٢ .

(٢) استفدت في عرض ملامح التجديد في العصر الأموي من كتاب الدكتور شوقي ضيف : التطور والتجديد في العصر الأموي ص ٦٠ ـ ١٤٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ١٩٥ ـ ١٩٦ مكتبة الانجلو ١٩٦٥ .

(٤) البيان والتبين ١ : ٩٤ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٦ م .

(٥) الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ١٩٨ دار المعارف بلا تاريخ .

من التريث والتدقيق ، ولا بد فيها أيضا من الصقل والتجويد ، وأن أبا تمام أخذ الشوط من بعدهما فبلغ به الغاية ·

ويُعَدُّ لمذهب البديع ـ إن صحت تسميته مذهباً ـ قدرته على استيعاب الفلسفة ومعظم جوانب الثقافة الأخرى في العصر العباسي وبراعته في المواءمة بين العناصر الفنية والعناصر الفكرية في القصيدة فالأدوات البديعية من جناس وطباق ومشاكلة ··· الخ تمتزج بالفكرة الفلسفية وتخدمها ، والاستعارة تأخذ أطرافاً من المنطق ، والقواعد الفلسفية تؤثر على الصورة الفنية عامة ، وعلى لغة القصيدة ، وتجعل اللون العقلي أقوى من اللون العاطفي · وهذا الضرب من الصناعة الفنية لم يألفه الشعر العربي من قبل ·

أما محتوى القصيدة فكان متأثراً إلى حد كبير بالحياة الجديدة فى العصر العباسي ، وكان متصلا بالثقافات المنتشرة · وقد لحق موضوعات القصيدة تطور واضح : تطور الغزل وذاعت فيه ضروب من الصراحة المكشوفة ، وظهرت في بعضه دعوة إلى التهتك والخلاعة وانتهاز اللذات ، ومن جهة أخرى ازداد الاهتمام بموضوع الزهد وشاع في عدد من القصائد والمقطوعات · أما قصيدة المدح « الشعر الرسمي » فكان أقل نصيباً في التطور ، لأن الشاعر المداح يحرص على التجديد في مضمون القصيدة دون شكلها غالباً ، ويستخدم كل ما ترفده به الثقافة من معان جديدة لإضفائها على ممدوحه ، وقد جعل البديعيون ـ ولا سيما أبو تمام ـ ألفاظ الثقافة ومعانيها معرضاً للمذهب الجديد ·

وبوجه عام لم يكن التغيير في الشعر العباسي كبيراً : لم تتغير موضوعاته بل بقيت كما كانت من قبل : المديح والهجاء والرثاء والوصف والغزل ، وقد تجددت هذه الموضوعات دون أن تتغير ، ولم يكن تجديدها جوهرياً ولا مضطرداً · كما لم يتغير في شكله ، بل بقي يعتمد على وحدة الوزن والقافية ، ولم تشع المسمطات والمزدوجات ، ولم تلق تشجيع النقاد آنئذ (١) ··

وفي الأندلس : كان الشعر يحتذي خطوات الشعر في المشرق الإسلامي إلى حد كبير ، حتى قال عنه بعض المشرقيين : هذه بضاعتنا ردت إلينا · ولكن القرون الأخيرة من حياة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ولا سيما عصر ملوك الطوائف ، شهد تطويراً أوسع في لغة القصيدة وفي عدد من أدواتها التصويرية ، وشهد انتشار الموشح بأنغامه القوية وألوانه

---

(١) استفدت في عرض ملامح التطور في العصر العباسي من : الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ١٥٩ ـ ٢٠٠ ط دار المعارف بمصر بلا تاريخ ـــ والعصر العباسي الثاني ص ٢٠٣ ـ ٢٥٤ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م ·

الموسيقية الجديدة ، وسواء أكانت ولادة الموشح في الشرق على يد ابن المعتز أم كانت في الأندلس على يد شعراء أندلسيين لم يتأثروا بالمشرقيين في توليده · فإن الواضح تماماً أن الموشح نما وتطور في الأندلس وأنه بخصائصه الفنية ومقوماته الأخرى(١) ـ صناعة أندلسية كاملة ·

ولا شك أن الموشح هو أوسع تجديد شكلي عرفه الشعر العربي قبل العصر الحديث · وقد تداوله الشعراء في الأندلس وفي عدد من البلاد الإسلامية الأخرى · وعدوه تلويناً في موسيقى الشعر العربي لا يلغي ما قبله بل يرفده بإضافة جديدة ـ فكتبوا به كما كتبوا بالأوزان الخليلية الأخرى ، ولم يجدوا أى تعارض بينهما ، وسرعان ما طوعوه لأغراض القصيدة كلها ، فكان فيه المديح والوصف والهجاء إضافة إلى موضوعه الأساسي ·

وفيما عدا الموشح في الأندلس ، والتجديد الذي شهده العصر العباسي لا نجد طائلاً ، فقد ضعف الشعر بعد ذلك وأصبح الابتكار فيه ينحدر به درجة بعد أخرى · وشاع التقليد الضعيف ، وغدا الشعراء المتأخرون يستهلكون التراث القديم ويحتالون على ألوان البديع ويملؤون بها شعرهم ، ولكنها ألوان باهتة ليس لها قدرة كبيرة على التعبير وإبداع الجمال · وأسفّت موضوعات معظم القصائد وأصبحت أقرب إلى العبث واللهو ، لذا من العبث أن نبحث عن التجديد والحداثة في تلك الفترة فهو تجديد خير منه العدم (٢) ·

الحداثة في النقد القديم :

على الرغم من أن الحداثة في الشعر القديم لم تكن شيئاً كبيراً ، فإن صداها في النقد كان كبيراً ، أثار خصومة واسعة ، وأنشأ قضية نقدية شغلت النقاد ردحاً من الزمن هي قضية « الحداثة والقدم » ·

وقد ظهرت قضية الحداثة والقدم أول مرة عند النقاد اللغويين ، وكان هؤلاء النقاد يتصدرون ساحة النقد في القرن الثاني الهجري من خلال عملهم في اللغة ، وكانوا يجمعون الشعر القديم ويدونونه ويتخذونه مثالاً للغة الفصيحة الصحيحة · وقد دفعهم اهتمامهم الشديد به إلى منحه هالة من التعظيم واتخاذه نموذجاً أعلى للشعر ·

---

(١) أنظر رصداً لهذه الخصائص والمقومات في المؤلفات القديمة : ابن سناء شاء الملك : دار الطراز في مجمل الموشحات · بتحقيق د · جودة ركابي ١٩٤٩ · وفي المؤلفات الحديثة : د · مصطفى عوض الكريم · فن التوشيح · بيروت ١٩٥٩ ·

(٢) أنظر : الدكتور عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة الصفحات ٢٢٦ ـ ٧١٠ · دمشق ١٩٦٥ م ·

يروي ابن رشيق أن اللغوي الكبير أبا عمرو بن العلاء كان يقول : « لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق » (١) · ويقول عنه أيضا : « وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين » (٢) ·

وينقل ابن الأثير عنه هذه الرواية : « قال أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية لما فضلت عليه واحداً » (٣) ·

وتعرض كتب الأدب والنقد حكايات كثيرة عن ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما من أعلام اللغويين آنئذ · تتشابه كلها في أظهار حماستهم للشعر القديم لأنه قديم فحسب ، منها أن ابن الأعرابي سمع ارجوزة أبي تمام ـ وكان معاصراً له ـ التي مطلعها :

وعاذل عذلتــــه في عذلــــه فظـن أنى جاهـل مـن جـهـلـه

فاستحسنها وأمر بكتابتها ، ولما عرف أنها لأبي تمام قال : خرقّوه (٤) ·

ومنها أن إسحق الموصلي أنشد الأصمعي بيتين يقول فيهما :

هـل الى نـظرة الـيـك سـبـيـل فيروى الـصدى ويـشـفى الـغـلـيـل
ان ما قل منك يكثر عندى وكـثير مـمـن تـحـب الـقـلـيـل

فقال الأصمعي : لمن البيتان ؟ قال إسحق : لبعض الأعراب · فقال الأصمعي : هذا هو والله الديباج الخسرواني ، قال إسحق : فإنهما لليلتهما · فقال الأصمعي : لا جرم ، والله إن أثر الصنعة والتكلف باد عليهما (٥) ·

هذه الحكايات ـ وأمثالها كثيرة في كتب الأدب والنقد ـ تظهر تعصب اللغويين الشديد للقديم ·

وقد نلتمس لهؤلاء اللغويين بعض العذر في أنهم ارتبطوا بقواعد التقنين اللغوي ، فالشعر القديم مقياس القاعدة اللغوية وحجتها ، في حين ان الشعر المعاصر لهم متهم لاحتمال

---

(١) و (٢) ابن رشيق القيرواني : العمدة ١ : ٩١ المكتبة التجارية الكبرى · بتحقيق محي الدين عبد الحميد ·
(٣) ابن الأثير : المثل السائر ٤٨٩ مطبعة حجازي بمصر ١٩٣٥ ·
(٤) الآمدي : الموازنة ١ : ٢٢ دار المعارف بمصر ٩٦٠ بتحقيق أحمد السيد صقر ·
(٥) السابق : ١ : ٢٣ ·

وقوع اللحن فيه · الأمر الذي جعلهم يشكلون تياراً مضاداً للحديث والحداثة ، ولكن لا عذر لهم في مخادعة أذواقهم الفنية ·

لذا لم يكن من الممكن أن يستمر النقد على مقاييس اللغويين « الاجتماجية » وبدا أن اتجاها مناقضاً سينمو ويأخذ بناصية النقد · ويخبرنا تاريخ النقد العربي أن هذا الاتجاه ظهر على أيدي النقاد المنهجيين الأوائل كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والآمدي والجرجاني وابن رشيق وسواهم · وقد سعى هؤلاء النقاد لإنصاف الشعر المحدث وإسقاط مبدأ « الأفضلية المطلقة للقديم » فأعلن ابن قتيبة في مقدمة مصنفه الكبير « الشعر والشعراء » أنه يرفض مقياس اللغويين المجحف ، وأنه سيتخذ مقياساً جديداً يقوم على « الجودة الفنية » · قال :

« ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلًا حقه · فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله · ولم يقصر الله العلم والشعر على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثاله يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته » (١) ·

وكذلك فعل النقاد المنهجيون الآخرون ، فقد اتخذوا « الجودة الفنية » مقياساً يحكمون به على الشعر ، لا فرق بين قديمه وحديثه ، ولا ميزة لأحدهما على الآخر ، ولأول مرة يزاحم شعر المحدثين شعر الأقدمين في مصنفات الأدب والشعر وعند الرواة ، ويزيد من هذه المزاحمة ظهور شعراء ذوى مواهب فذة ترفد الرواة والمصنفين بقصائد رائعة كالبحتري وأبي تمام وابن الرومى وأبي العتاهية وأبي فراس والمتنبي وغيرهم ·

ويبدو أن هؤلاء المبدعين عكفوا على الشعر القديم فتثقفوا به ثقافة عالية ، ثم أضافوا ثقافة عصرهم · واستخدموا كل ذلك في نسج روائعهم الشعرية ، فنجحوا في شد الأنظار إليهم وأثاروا ضجة واسعة وكتب عنهم النقاد والمصنفون ، فكان هذا سبباً في اشاعة الاهتمام بالشعراء من أبناء العصر نفسه ·

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٦ و ٧ دار احياء الكتب العربية · القاهرة ١٣٦٤ بتحقيق أحمد محمد شاكر ·

وقد بلغ الاهتمام درجة جعلت ابن المعتز يصنف كتاباً عن طبقات الشعراء ويقصره على الشعراء المحدثين أبناء عصره ، ويصرح في ثناياه بأن شعر المحدثين أصبح في عصره أكبر مكانة من شعر القدماء ، فيقول :

ولكننا لا نخرج عن شرط الكتاب (الاختصار) لئلا يمله القارىء إذا طال عليه الفن الواحد ، وليحفظ هذه النكت والنوادر والملح ، وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ، فإن هذا شيء قد كثرت رواية الناس له **فملـــوه** . وقد قيل : لكل جديد لذة · **والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم** · فمن هاهنا أخذنا من كل خبر عينه ، ومن كل قلادة حبتها » (١) ·

وهكذا تكشف عبارة ابن المعتز أن الذوق الأدبي في عصره اتجه إلى شعر « المحدثين » وأنه مـلّ « القديم » لأن العناصر الجديدة في الشعر المحدث أقرب إلى أذواق النقاد والمهتمين بالشعر · ولأن هؤلاء النقاد حكّموا حسهم الجمالي ، وأن التجديد الذي جاء به المحدثون استطاع أن يهزهم ويشد انظارهم ·

ولكن بعض الدارسين في عصرنا ينظر الى هذا النقد نظرة مخالفة ويرى أنه بجملته كان يرجح كفة القديم على المحدث ، وأن النقاد المنهجيين تحيزوا الى القديم على الرغم من اعلانهم الصريح عن تساوي القديم والحديث عندهم وعن خضوعهما لمقياس الجودة الفنية وحسب (٢) · وحجتهم في ذلك أن مقاييس الجودة الفنية التي اتخذوها معياراً للحكم مرتبطة إلى حد كبير بالشعر القديم · وأن شواهدهم على فصاحة اللفظ وروعة التشبيه وحسن الاستعارة ولطف الكناية ... الخ مأخوذة من أبيات متفرقة من الشعر القديم ، وأنهم في تحليلهم لنماذج من الشعر المحدث يرتبطون - بشكل ما بنماذج من الشعر القديم ويقيسونها بها ويشبهون جودة هذه بروعة تلك ·

وأجدني أميل إلى هذا الرأي · ويشجعني على ذلك موقف معظم النقاد المنهجيين من حركة البديع في الشعر ، فقد ترددوا في قبولها ، وحاكموها بمقاييس الشعر القديم ، وعدوها خروجاً على عمود الشعر (٣)·

وكذلك الحال في موقف النقاد من محاولات التجديد الشكلية ، فقد أهملها معظمهم ، وعدها بعضهم محاولات هزيلة تدل على ضعف الشاعرية ، وهذه صورة أخرى لارتباط المقاييس الفنية ارتباطاً شديداً بأنظمة الشعر القديم ·

---

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء المحدثين ٨٦ دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ·

(٢) الدكتور محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ١٣٠ دار نهضة مصر بلا تاريخ ·

(٣) أنظر : الدكتور أحمد ابراهيم موسى : الصبغ البديعي في اللغة العربية ٨٢ - ١٠١ دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٦ ·

فابن رشيق الذي أنصف المحدثين وشعرهم في مثل قوله : فالمولد المحدث على هذا إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب ، على أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة » (١) · نجده بعد ذلك يشكك في المخمسات والمسمطات ، وينسبها إلى ضعف الشاعرية فيقول : « وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون فيها ، ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها ، لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ، ما خلا امرؤ القيس في القصيدة التى نسبت إليه ـ وما أصحها له ـ وبشار بن برد ، قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة ، وبشر بن المعتمر ، فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة ، ووضع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح ، وقصيدة في سيرة المعتضد ، ركب فيها هذا الطريق ، لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ، ولمراده التوسع في الكلام ، والتملح بأنواع السجع » (٢) ·

مما سبق نصل إلى النتائج التالية :

أولاً : ان مفهوم الحداثة كان عند بعض النقاد لا يتعدى معناه اللغوي البسيط ، أي الشيء الجديد ، وبناء على هذا المفهوم رفض هؤلاء النقاد كل جديد يظهر في عصرهم دون ان يميزوا بين الجديد الذي يحمل سمات فنية جديدة ، والجديد الذي هو نسخة عما قبله ·

ثانيا : ان مفهومها تطور عند نقاد آخرين وأصبح يعني : الجديد الذي يحمل سمات فنية جديدة ، وهذا المفهوم هو أساس مفهوم الحداثة في عصرنا الحاضر بعامة ·

ثالثا : ان النقاد القدماء لم يهتموا بمصادر السمات الفنية الجديدة ، ولم يربطوا بينها وبين الثقافة الوافدة في ذلك العصر ·

رابعاً : ان قضية الحداثة برمتها ـ كانت في النقد القديم ـ قضية مضخمة شغلت جزءاً أكبر من حجمها ، واستهلكت من الجدل والنقاش أضعاف التجديد الذي جاء به المجددون ·

(يتبـــع)

---

(١) العمدة : ١ : ٩ ·

(٢) السابق : ١ : ١٨٣ ·

مِنْ تُرَاثِنَا الشِّعْرِي

لِيَزِيْدَ بْنِ الحَكَمِ

يا بَدْرُ والأمثالُ يَضْـ ... ـرِبُها لذى اللُّبِّ الحكيمُ
دُمْ للخليلِ بِوُدِّه ... ما خيرُ وُدٍّ لا يَدومُ
واعرِفْ لجارِك حَقَّهُ ... فالحقُّ يعرِفُه الكريمُ
واعلم بأنَّ الضيفَ يو ... مأ سَوفَ يَحْمَدُ أوْ يَلومُ
والناسُ مُبْتَنِيان مَحْمُو ... دُ البِناية أوْ ذميمُ

***

واعلم بُنَيَّ فإنه ... بالعلمِ يَنْتَفِعُ العليمُ
إنَّ الأمورَ دقيقُها ... مما يَهيجُ له العظيمُ
والتِّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تُقْـ ... ـضاهُ وقد يَلوى الغريمُ
والبغْيُ يَصْرَعُ أهلَه ... والظلمُ مرتعهُ وخيمُ
ولقد يكونُ لك الغريبُ ... أخاً ويَقْطعُكَ الحميمُ
والمرءُ يُكْرَمُ للغنى ... ويُهانُ للعَدَم العديمُ
قد يُقْتِرُ الحَوِلُ التقيّ ... ويُكثِرُ الحَمِقُ الأثيمُ
يُمْلَى لذاك وَيَبْتلى ... هذا فأيُّهما المَضِيمُ
والمرءُ يَبْخَلُ في الحقو ... ق وللكلالة ما يُسِيمُ

ما بـخـلُ مـن هو لـلـمـنو ... ن ورَيْـبِـهـا غَرَضٌ رجـيـمُ
ويرى الـقـرون أمامـه ... هـمدوا كـما هـمد الـهـشـيـمُ
وتُـخَـرَّبُ الدنـيا فلا ... بؤسٌ يدوم ولا نـعـيـمُ
كـل امرىءٍ ستـئـيـم مَـنْـ ... ـهُ العِرْسُ أو مـنـها يـئـيـمُ
ما عِـلْـمُ ذِى وَلَدٍ أيَـشْـكَـلُ ... ـهُ أم الولدُ الـيـتـيـمُ
والحربُ صاحبُها الصليـ ... ـب على تَلَاتِـلِـها الـعَزُومُ
مـن لا يَـمَـلُّ ضِراسـها ... ولدى الـحـقـيـقةِ لا يَـخِـيـمُ
واعـلـم بأنَّ الـحربَ لا ... يـسـطـيـعُـها المرِحُ الـسَّؤومُ
والـخـيـلُ أجودُها المُـنا ... هِـب عـند كـبَّـتِـها الأزُومُ

خيرٌ وشرٌّ

للشيخ محمد المجذوب

يا أيـها المـغرور في مالـه ... ان كنت لا تدري ألا تسأل !
المال خير في يَدَيْ شاكرٍ ... لله لا يـطـغى ولا يـجـهـل
ويالـه شراً بـكـف امرىءٍ ... لا يـتـقـي الله ولا يـعـقـل
فـلـيس بالـمال يَـعزّ الـفـتى ... ان لم يكن في فضله يؤمل
فكم خسيسٍ لم يزل كلما ... زاد غـنى في قومـه يـسـفـل
والـكـلـبُ قد يَـسـمـنُ لـكـنـه ... وإن علاه الدهن لا يؤكل

رسالة إلى شباب الإسلام

لفضيلة الشيخ محمود محمد سالم
المدرس بكلية اللغة العربية بالجامعة

هنيئاً بنى الإسلام عزٌّ وسؤدد ... توارثتم المجد الذى يتجدد
وكنتم - ومازلتم - أباةً أعزةً ... لغير إله الكون لم تتعبَّدُوا
بكم تزدهى الدنيا ويبقى جمالها ... على الدهر لا يبلى ولا يتبددُ
فديننكم التوحيد آمال عالمٍ ... تنازع فيه اليوم طاغٍ وملحدُ
وشرعتكم في الحق والعدل مورد ... به يأمن العانى الشقي ويسعد
وماضيكم الزاهي سجل بطولةٍ ... ترددها الأيام والدهر يشهد
تقاصر عنها الطامحون إلى العلا ... وقصَّر عنها في المفاخر أصيد
بكل مجال في الحياة نماذجُ ... من المسلمين الغُرِّ تسمو وتخلد
وتبقى على الأيام نوراً وقدوةً ... لأهل المعالى نورها متجدد
جهادهم في الله كان - فأينما ... تولَّوا فإن الله مولىً ومقصد
وهانت عليهم في الجهاد نفوسهم ... فعزوا بأمر الله حين توحّدوا
إذا قيل هبوا للجهاد تواثبوا ... أسودا يُخاف الشر منها ويُرْعَدُ
وإن قيل هيا للفلاح تواكبوا ... صفوفا لوجه الله تعنو وتسجد
أولئك جند الله حول رسوله ... بها ليل ربّاها النبى محمد
يحُفوّن بالهادى البشير أحبةً ... يطيعونه فيما يقول ويقصد
يفدون بالأرواح من جاء رحمة ... من الله يهدي العالمين ويرشد
نبى الهدى والحق كان إمامهم ... وكان لهم نعم الإمامُ المسدّد
فكانوا - كما شاء الإله أئمة ... بهم يرتجى خير الحياة ويُنْشَد
وكانوا شموساً للمعالِي وقادةً ... بهم تعمر الدنيا ويصلح مفسد
بهم ولهم دان الوجود فأسسوا ... على العدل والتقوى فأعلوا وشيدوا

تساوَوْا فلا الأنسابُ تفرق بينهم ... ليسفل عبد أو يمجد سَيِّد
هم المثل الأعلى هم النور والهدى ... هم القدوة المثلى التي تتجسّد

* * *

فإن يُذكَروا يخفقْ فؤادي بحبهم ... وينطقْ لسانى بالمديح يُرَدَّد
ونحن على ما خلفوا من فضائل ... نعيش ومن أخلاقهم نتزود
وإن تكن الأيام لم تبق بيننا ... من العزة القعساء ما نتقلد
فإن الغد المأمول فيكم أحبتي ... سعيد فلا تأسوا ولا تتنكدوا
ولا تيأسوا أن تستردوا مكانكم ... إذا كان منكم للشريعة مقصد

* * *

شباب بنى الإسلام آن أوانكم ... لأن تجهروا بالحق لا تترددوا
فهذا أوان الجد والبذل فانهضوا ... لما يأمر الباري وللحق فاصمدوا
وضحوا بما ضحى الأوائل منكمُ ... وجودوا بما جادوا به وتوحدوا
ولله عودوا واستعينوا بعونه ... يعنكم فإن العود لله أحمد
ولا ترهبوا حزب الشياطين إنه ... ضعيف وحزب الله أقوى وأرشد
ولا تأمنوا كيد المضلين إنهم ... عيون على الإسلام في الشرق ترصد
تقُر عيون الحاقدين بما ترى ... من الخلف بين المسلمين وتسعد
ويكبتهم أن يجمع الله شملنا ... على كِلْمة التوحيد فينا تَرَدَّدُ
ويسعدهم أن يبصروا في ديارنا ... صديقا يواليهم وفِدْماً يُمجِدُ

* * *

فوا أسفاه !! هل نوالى عدونا ... وما لبعدو الله إلا المهند
وهل يصبح الإلحاد يوماً حليفنا ... وما هو إلا مجرم يترصد
وهل ترتجى الصلبان إلا حتوفنا ... وهل غاب عنا يوم حطين مشهد
وهل صار صهيون ابن عم ليعقنا ... يواليه دون المسلمين ويحمد
يكال لصهيون المديح وغيره ... يساء بلا ذنب إليه ويبعد
فكان كأشقاها قدار بن سالف ... شقيُّ ثمود حين ضلوا وأفسدوا
وقد كذَّبوا آي السماء مضيئة ... وعابوا نبي الله حين يهدّد
فما هى إلا صيحة بعد رجفة ... طَوَتْهم فسُوُّوا بالتراب وأخْمِدوا
وإن مصير المجرمين لواحدٌ ... يمهنم تشويهم وخزي مؤبد

* * *

لقد ضلَّ فينا من أباحوا عدونا حمانا ومن منَّا إليه تودَّوا
ومن عجب أن يُحْسَبوا من صفوفنا وهم لعدو الله جند مجند
فبين ضلوعى من تخاذلهم أسىً وبين نياطي جمرة تتوقد
وما تنتهى شكواي إلا إذا انتهى من الأرض طاغوت ومزّق ملحد
وحتى أرى الإسلام لا دين غيره يسود ولا صوت سواه يردد
وما ذاك إلا أن نعود لشرعه ونرضى بما يرضاه منا محمد
ونصبح جند الله لله أمة وللحق نسعى في الحياة وتحفد

* * *

هيا إخوة الإسلام هذى رسالتي إليكم يُزَجّيها هوى يتجدد
فأنتم غدُ الإسلام أنتم حماته وفيكم ومنكم يشرق اليوم والغد

• • •

أخي ...

الشيخ محمد رجب حميدو

أخي في الله في الدين ... أخي في الهند والصين
شكوتُ إلىّ من همٍ ... يعذبني ويضنيني
فما يشقيك يؤلمني ... وما يؤذيك يؤذيني
وحتفك يا أخي حتفي ... وما يحييك يحييني
كلانا اليوم مذبوح ... بسيف أو بسكين
فمت موت الرجال ولا ... تمت موت المساكين
ولا تك مطعماً سهلاً ... بأفواه الشياطين
وصبراً يا أخي صبرا ... فإن لعسرنا يسرا
وإن الله مولانا ... سيحدث بعد ذا أمرا
وإن هلالنا ينمو ... ليكمل في الدجى بدرا
وسنة ربنا جعلت ... لكل مقدَّر قدرا
فمن ضيق إلى سعة ... ومن عسر إلى لينِ
أخا الإسلام لا تجزع ... فإنَّ الحق لن يُصرع
وإن البغي لن يقوى ... على تقويض ما نصنع
وإيمان الفتى أمضى ... من الصاروخ والمدفع
فلا تخشع لنازلة ... فما آذاك قد ينفع
وإن غامرت في شرف ... فخذ بالأرفع الأرفع
وإلا فاسترح واقعد ... أسير الذّل والهُون
أخي كم عاث طاغيةً ... وأعيا الناس داهيةً
وكم حكمت أكاسرةً ... وكم ملكت أباطرةً

وكـــم عُـــبدت فراعـــنةٌ ... وكـــم ظَـــلَـــمـــتْ جـــبابرةٌ
فأيـــن هـــمُ ؟ لـــقد ذهـــبوا ... وما لـــلـــقوم باقـــيةٌ
وكـــأس المـــوت ياهـــذا ... على الأحـــــــياء دائرةٌ
فـــمـــحـــمول على نـــعـــشٍ ... ومـــســـتـــبـــقىً إلى حـــيـــنِ
حذار فإنـــهـــم شـــقُّـــوا ... لـــنـــا ياقـــوم أخدودا
وصار الـــقـــيـــد في يدهـــم ... على الأبرار مـــــشدودا
وصَرْحُ الـــديـــن قد أمـــسى ... بـــنار الـــحـــقـــد مـــهـــدودا
وأغروا كـــل ســـاقـــطة ... فـــبات الـــعُـــهْرُ مـــحـــمـــودا
فـــهـــل في الـــعـــيـــش مـــن خـــيرٍ ... بلا عرض ولا ديـــــــنِ ؟ !

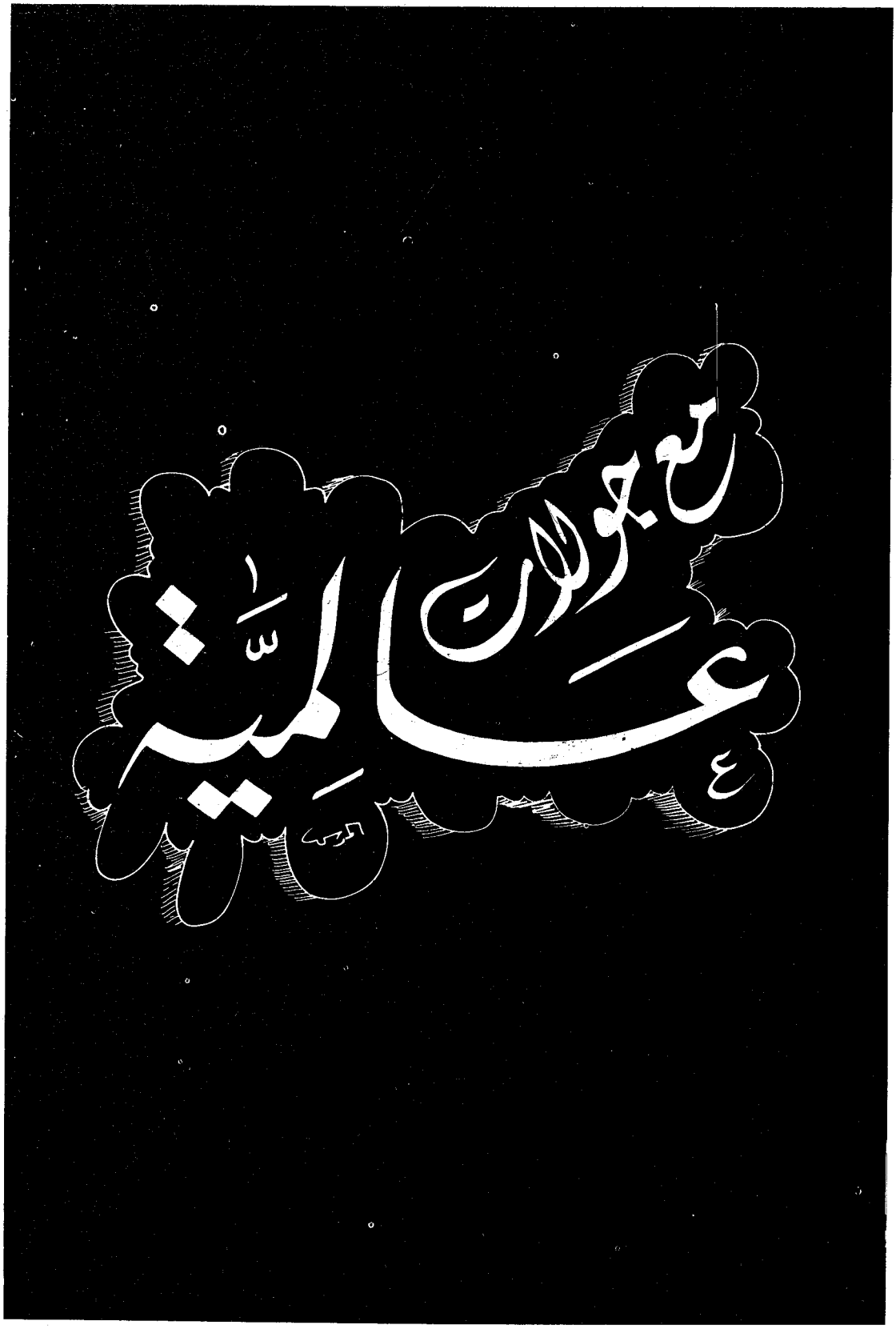
تحولات
عالمية

فى مطار هنغ كنغ :

وكان وصولنا إلى مطار هنغ كنغ فى تمام الساعة الثانية بتوقيت طوكيو ، الواحدة بتوقيت هنغ كنغ ، فكانت مدة الطيران أربع ساعات وكان الاتجاه الى الجنوب الغربى باستمرار ·

وعندما دخلنا الى قاعة مبنى المطار بدأنا نحس بأن المعاملة تختلف عن البلدان التى زرناها ، وأصبحت شبيهة بمعاملة الموظفين والعمال فى منطقتنا ؛ فكان العمّال يرمون العفش بعنف ، وبدأ موظفوا الجوازات يدققون ، كما بدأنا نشعر بالخوف من المجرمين الذين يختلسون الجيوب أو يسرقون الأثاث ، الا أن المفتش كان لطيفا معنا فلم يفتح حقائبنا الكبيرة ·

شاب صالح فى انتظارنا :

وبعد انهاء الاجراءات خرجنا من الباب المعد لخروج مسافرى الرحلات الخارجية ، فوجدنا شابا ملتحيا بيده ورقة كتب فيها اسمى وعندما رآنا سأل أفيكم الأخ عبد الله قادرى فقلت نعم فأخذ يعانقنا ويرحب ترحيبا عاطفيا ، ومعه شاب من نفس الجزيرة اسمه يوسف كريم ، وهو مسئول عن الطلبة المسلمين فى هنغ كنغ ·

وكان الأخ الشاب الباكستانى هو محمد أحمد الذى اتصل به بعض الأخوان من طوكيو عن طريق الهاتف وأخبره بقدومنا ، فأخذ هو وزميله حقائبنا وخرجنا الى الشارع لاستئجار سيارة توصلنا الى الفندق الذى كان الأخ محمد قد حجز لنا فيه حجرة ، وكان المطر منهمرا بغزارة ، كان سحبا كاملة تسقط على الأرض ·

والمعمول به في سيارات الأجرة توزيعها تحت اشراف جندى مرور على المسافرين يجب ترتيبهم الأول فالأول ، وجاء دورنا فأخذنا سيارة أوصلتنا الى الفندق ·

وصعد بنا الفرّاش الى الحجرة وبعد أن وضع العفش فى الحجرة وقف ينتظر ، ولم ندر لماذا ؟ ولكن الأخ محمد أفهمنا أنه يريد شيئا من المال وهذه أول مرة فى رحلتنا يقف الخادم ينتظر منا شيئا من المال · نعم اذا أعطى الخادم فى الغرب مالا يأخذه ويشكرك . ولكنه لا ينتظرك ولا يشير بحركات تدل على أنه يطلب شيئا ·

عـــوائـق :

ومكث الأخ محمد معنا فى الفندق مدة طويلة يشرح لنا أوضاع المسلمين في هذه البلاد . وهو فى غاية السرور لقدومنا وأخلاقه فاضلة . وحماسه للإسلام واضح وتمسكه به كذلك . وأراد أن يرتب لنا لقاء عاما مع من يمكن ابلاغهم من المسلمين الموجودين . ولكن المطر كان غزيرا ومستمرا ليلا ونهارا . اذ كان ذلك موسم الأمطار ·

ولذلك لا يدرى ما يفعل . وسألنا عن الوقت الذى يمكن أن نقضيه فسألناه نحن عن الرحلات الجوية هل هى متيسرة فى كل وقت ؟ فقال : هى متيسرة إلا أنها فى هذه الأيام بسبب وجود العواصف تتعطل الرحلات بين وقت وآخر وفى الأسبوع الماضى بقى الركاب لمدة يومين لم يتمكنوا من السفر بسبب ذلك . ولذلك فقد حصلت الآن زحمة فى الرحلات وذكر أنهم يتوقعون عاصفة شديدة يشتد بسببها هياج المحيط وتتعطل الرحلات ·

وكنا عازمين على أن نكون فى المملكة من أول يوم من أيام رمضان وكان الزميل الدكتور بيلو يبدى رغبته فى مواصلة السير لارتباطه بنهر النيل من الدلتا الى الأزرق والأبيض وذلك يقتضى منه رحلات أخرى بالاضافة الى قرب وقت عودته الى المدينة ·

طلـب متكـــرر :

لذلك طلبنا من الأخ محمد أحمد أن يحجز لنا يوم الأحد فى أقرب رحلة وواصل معنا الحديث وتمنى أن يوجد فى هذه البلاد من يقوم بارشاد المسلمين وتعليم أولادهم . وذكر أن المسلمين يجتمعون يوم الأحد مع أولادهم على الطعام . ويلعب الأولاد . وبهذا الاجتماع والأكل واللعب يشعرون بارتباطهم بالإسلام . وهذا يقع فى قاعة تابعة لأحد المساجد ·

وطلب منا ابلاغ الملك خالد هذه الرغبة . وذكر أنه قد طلب من الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ومن رابطة العالم الاسلامي بعث مرشدين الى هنغ كنغ عندما زار المملكة فى صيف السنة الماضية ١٣٩٧ هـ · عضوا فى ندوة الشباب العالمية ·

وذكر أن إمام الحرم المكي . والأخ أحمد توتنجى زارا هذه البلاد واطلعا على حالة المسلمين وحاجتهم ووعدا أنهما سيقدمان تقريرا بذلك . وأنه قد جاءت كتب من المملكة على

أثر ذلك . ولكن الكتب لا تفيد الا قليلا من المسلمين والمهم هو بعث من يدعو الناس وتعليمهم مباشرة .

وقال الأخ محمد : ان عدد المسلمين فى البلاد يبلغ ما بين خمسة وعشرين الفا وخمسين ألفا . وأغلبهم من أهل الصين . وهم المتعلمون (العلم المدنى) والأقليات الأخرى يغلب عليهم الجهل .

وقال الأخ محمد : حبذا لو منحت المملكة المسلمين فى هذه البلاد مدرسة ومدرسين ، وتكون جامعة بين المنهج الإسلامي والمواد المطلوبة هنا .

وذكر أن المدرسة الثانوية التى يدرس فيها الدين عامة . ويدرس فيها شخص واحد مسلم صينى . وهو لا يمثل الإسلام فى سلوكه . وان كان قد تأثر بنصح إمام الحرم وأحمد توتنجى له .

فى مسجد قالــون :

ذهبنا بعد ذلك الى مسجد قالون . وقالون هذه بلدة متصلة بالصين الشعبية . وهى قطعة من أراضيها استأجرتها منها بريطانيا بعد استيلائها على جزيرة هنغ كنغ التى تقع فى جنوب شرقى الصين . وهذا المسجد انشأته بريطانيا للمسلمين من الباكستان عندما استولت على الجزيرة وكانوا فى الجيش .

والمسجد قريب من الفندق الذى نزلنا فيه . وعندما دخلنا المسجد كان قد حان وقت المغرب . فأذن المؤذن . والتقينا بذلك الشيخ الكبير الذى تضرب لحيته فى نصف صدره . طويل القامة . وقور . وفرح بنا أيما فرح حتى لقد اغرورقت عيناه بالدموع . وأراد منا أن نصلى بالناس ولكنا أصررنا على أن يصلى هو . لأنه إمام المسجد . وصلى بنا . وبعد الصلاة جلسنا نتذاكر معه أحوال المسلمين ونتعرف عليه هو . فظهر ان له فى هذا المسجد ستة عشر عاما يسكن فى منزل صغير تابع للمسجد وهو يتكلم باللغة العربية وكان المصلون قليلين بسبب انهمار المطر المستمر . وكان فى تلك اللحظات قد خف قليلا **وأبدى حزنه وأسفه الشديد على الحالة التى يعيشها المسلمون فى هذه البلاد ، وقال إن الدول الإسلامية مسئولة عنا وقد نسيتنا ههنا فلم تبعث لنا من يعلم أبناءنا .**

وهذا المسجد يخشى عليه من السقوط وهو لا يتسع للناس أيام الجمع ولا أيام الأعياد وبدأ الناس يفدون الى المسجد فكان من جاء صلى وجلس معنا وكلهم متفقون على ضرورة بعث من يقوم بدعوة المسلمين وتعليمهم وانشاء مدرسة . ووعدناهم بأننا سنعمل جهدنا فى ابلاغ الجهات المختصة بذلك ورجونا الله لهم التوفيق . كما حرضناهم على بذل - جهدهم فى

الحفاظ على أولادهم وطلبنا من الشيخ الإمام أن يكرس جهوده فى تعليم ابناء المسلمين مبادىء الدين الإسلامي واللغة العربية فى المسجد .

ولكنه قال : أبناء المسلمين لا تفيدهم الا مدرسة فيها المواد الإسلامية والمواد الأخرى .

بقينا معهم الى أن صلينا العشاء ، ورجعنا الى الفندق ، وذهب الأخ محمد أحمد الى منزله على أن يعود الينا فى الغد .

المكالمة الهاتفية :

وفى هذه الليلة ـ أى ليلة السبت ـ كان الزميل يحاول الاتصال هاتفيا ببعض طلبة الجامعة الإسلامية الباكستانيين فى كراتشى لنشعره بقدومنا حتى يحجز لنا غرفة فى الفندق ، وسيكون وصولنا فى آخر الليل نحتاج الى من يرشدنا .

ولكن الاتصال الهاتفى اختلف علينا عن الاتصال الهاتفي من أمريكا ، حيث كنا اذا أردنا أن ننام فى مدينة ديترويت أو انديانا أو لوس انجلس نرفع السماعة وفى خلال دقيقة يكون صاحبنا قد رفع سماعته فى المدينة المنورة ليقول نعم أما هنا فى هنغ كنغ فأمسى الزميل ينتظر ويعاود الاتصال وكانت موظفة الهاتف تسليه بين وقت وآخر تتصل به وتقول له : قريبا تأتى المكالمة .

أما أنا فقد سبحت فى بحر نوم عميق هادىء ، والمحيط الهادى حولى فى هياج عنيف فى جزره ومده ، أمواجه تتلاطم والأمطار تنهمر بغزارة طول الليل .

وبعد مضى وقت تم الاتصال الهاتفى بكراتشى فوقع الدكتور فى مشكلة ، ان الطالب الذى نريده متأثر وليس قريبا من الهاتف ، والأسرة الموجودة عند الهاتف فى حيرة ، الزميل يتكلم بالعربية أو الانجليزية وهم لا يجيدون الا لغتهم المحلية ويتكلمون فيما بينهم للتشاور فيما يفعلون وهو يظنهم يكلمونه فيكلمهم مرة بالعربية وأخرى بالانجليزية دون جدوى .

ولكن موظفة الهاتف فى هنغ كنغ فهمت مشكلته فأنقذته اذ جعلت الاتصال بينه وبين موظف الهاتف فى كراتشى وهو يجيد الانجليزية فسمع كلام الزميل ووعده بنقله الى الاسرة المحتارة وكان ذلك فعلا .

وفى يوم السبت الموافق ٢٤ ـ ٨ / ١٣٩٨ هـ تأخر عنا الأخ محمد أحمد بسبب غزارة الأمطار ، وعدم وجود مواصلات بسبب ذلك .

المظلات :

ثم جاءنا بعد ذلك فى شدة غزارة الأمطار حرصا على لقائنا وعدم التأخر عنا وهو

يحمل ثلاث مظلات ـ لنرفعها فوق رؤسنا للوقاية من المطر عندما نخرج · وخرجنا مع الأخ محمد رافعين مظلاتنا فوق رؤسنا ، والهواء يكاد يأخذها من أيدينا ، وذهبنا الى مضيق من البحر يفصل بين قالون التى نزلنا فيها ، وبين هنغ كنغ ، وهى التى استأجرتها بريطانيا من الصين ، وهى الجزيرة التى استعمرتها بريطانيا وتقع جنوب قالون وبها يسكن الأخ محمد ، وهناك ركبنا زورقا أوصلنا الى الشاطىء الذى تقع عليه الجزيرة ·

على قمـــة الجبـــل :

وأراد الأخ محمد أن يرينا أحد الأماكن السياحية فى الجزيرة ، فهناك جبل عال يصعد إليه السائحون (الزائرون) ووسيلة النقل سيارة نقل « حافلة » تسير بالكهرباء على الحديد ، مخصصة لذلك الجبل تهبط بقوم وتصعد بآخرين ، وقفنا قليلا واذا الحافلة قد جاءت فركبنا ، وكان صوتها مزعجا وكان طلوعها مخيفا اذ يشعر الإنسان أنها ستسقط على ظهرها ، والبيوت تكتنف الطريق من الجانبين والسكان الذين ركبوا معنا يوقفونها بين لحظة وأخرى فى المكان المناسب لهم · وما كنا نرى البيوت القريبة منا الا بمشقة لان الأمطار الكثيفة تحول بيننا وبين الرؤية ، وعندما وصلنا الى قمة الجبل وجدنا بعض المبانى السياحية وفيها بعض البقالات وبعض الدكاكين ، فأسرعنا بالدخول الى قاعة المبنى المحاط بسور من الزجاج الذى يدفع الرياح الشديدة التى تحمل الأمطار الى الداخل لولا وجوده ·

ولم نجد فائدة فى البقاء هناك ، اذ كان المطر ينزل فى هيئة سحب كثيفة فلا يتمكن الانسان من رؤية شيء لذلك فضلنا أن نعود فورا · فأستأجرنا سيارة صغيرة لتوصلنا الى منزل الأخ محمد الذى كان قد أوصى أهله بتهيئة طعام الغداء ·

فى منزل الأخ محمد :

وكان السائق يسير بنا فى الطريق الملتوى ، وكان فى بعض الأوقات يدور بنا حول بعض التلال الصغيرة فى الجبال حتى أوصلنا الى منزل الأخ محمد الذى يسكن فى احدى عمارات شركات الكهرباء التى يعمل موظفا فيها والأجرة التى يسلمها للشركة رمزية ، ولكن الأخ محمد كان قد ترك الشركة وعنده مشروع تجارى نأمل أن يحقق به للمسلمين فوائد طيبة ·

رجـل عمل ولكنه مـــربى :

واستقبلنا أبناء الأخ محمد فى منزله ، فرأينا أثر تربيته فى الأولاد ، فهم فى غاية الأدب ، وذكر أنه قد انتهى من قراءة القرآن بنتاه الكبيرتان وأحد أبنائه وأن الآخر من أبنائه فى طريقه الى اكماله ، كما علمهم بعض مبادىء الإسلام والصلاة وغير ذلك مما يدخل تحت طاقته الثقافية والزمنية ·

وهناك لعبة محببة الى قلوب أولاده . وهى فى الواقع ليست لعبة . بل انها رمز تذكارى لما تهفو اليه نفوس المسلمين من كل أقطار الأرض . أنها صورة مجسمة لمبنى الحرم المكي على هيئته الجديدة التى تمت فى العهد السعودى الحاضر فى وسطه الكعبة وفيه بطاريات وشريط تلبية يضغط الولد على الزر فتضىء منارات الحرم وتنطلق التلبية . والأولاد حوله يكادون يطيرون الى بيت الله الحرام الذى كثيرا ما شوقهم اليه أبوهم الذى صارحنا أنه يتمنى أن يحج هو وأسرته وأبوه وأمه .

وقدم لنا طعام الغداء الخامس من نوعه من حيث الاطمئنان الى حله والثالث من حيث الطهى الشرقى اللذيذ الذى ألفناه . وكان الأول فى بريطانيا فى منزل الأخ محمد أشرف والثانى فى منزل الأخ الدكتور محمود رشدان فى انديانا والثالث فى منزل الأخ الدكتور أحمد العسال فى انديانا والرابع فى منزل الأخ محمد نور السودانى فى شيكاغو وهذا هو الخامس .

انضمام مظهر السيد الينا :

وبينما كنا نتذاكر فى أمور المسلمين . ويرينا الأخ محمد بعض الكتب الموجودة عنده . بعضها باللغة الانجليزية . وبعضها باللغة الأردية . وغالبها من مؤلفات الأستاذين المودودى والندوى . وبعضها للأستاذ محمد قطب وخليل الحامدى . جاءنا الأخ مظهر السيد مع أسرته التى جاءت لزيارة أسرة الأخ محمد وللبقاء عندها لأن الأخ مظهر أحب أن يرافقنا للاستفادة والمؤانسة . وهو مهندس اذاعي ومن الباكستان أيضا . ويتوقد حماسا للإسلام مثل أخيه محمد والجو بالنسبة للأسرة المسلمة يعتبر خانقا ولذلك ـ فوجود أسرة مسلمة مع مثيلتها يجلب الأنس .

واصلنا المذاكرة وأكد الأخ مظهر السيد ما طلبه منا الأخ محمد من بعث الدعاة والمعلمين . وبعد ذلك صلينا الظهر والعصر جمع تأخير بالنسبة لنا وخرجنا فودعنا أولاد الأخ محمد وهم يبدون عاطفة جياشة لفراقنا .

مقارنة بين بيوت الله الواحد وبيوت الشرك الثلاثى :

وذهبنا بعد ذلك الى أحد المساجد فى هنغ كنغ ليرينا الأخوان حالة المساجد فوجدنا بعض النساء يخرجن فرش المسجد المبللة لتجفيفها ويجرفن المياه التى تجمعت فيه . وعندما رأيننا اعتذرن لنا بأننا لا نستطيع الصلاة فى المسجد الآن لحالته التى نراها وكن ظنن أننا جئنا للصلاة فيه .

ثم ذهبنا لنرى بعض الكنائس القريبة منه لنرى كيف يعتنى بها فى بنائها ونظافتها

ونقارن بينهما . وبعد رؤيتهما **سجلت عندى أنه يجب ابلاغ رابطة العالم الاسلامي خاصة المجلس التأسيسي الأعلى للمساجد الذى يجب أن يوفد الى العالم من يقدم له تقارير عن المساجد وحالتها للقيام ببناء المساجد وتجديد ما يحتاج الى تجديد وبعث الأئمة والمرشدين فى وقت واحد . فالامكانات المادية موجودة ، والدعاة موجودون ، ويمكن الاستفادة من الطلبة الذين يتخرجون فى الجامعة الإسلامية أو من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .**

ومهما قدمنا من مساعدات فى مجال الدعوة والإمامة وغيرها من الشئون الإسلامية فلا فضل لنا فى ذلك الا أداء واجب مفروض من الله الخالق الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس بشروطها .

وكم يبذل المسيحيون من مال ورجال فى مجالات متعددة لا تصل جهودنا الى عشر معشار ما يعملون ، ونحن أهل حق وهم أهل باطل ؟ .

سيل من المطر لا يبقى على وجه الأرض :

ثم ذهبنا بعد ذلك الى السوق لقضاء بعض الحاجات الخفيفة والمطر ينهمر والناس يمشون فى الشوارع وعلى رؤسهم المظلات ولو قعدوا فى بيوتهم انتظارا للصحو لما قضوا حاجاتهم لاستمرار نزول المطر . ومع شدة نزول المطر واستمراره لا تجد فى الشوارع ما يبلل ثوبك . بل كأن المطر لا ينزل الا لتنظيف الشوارع لأن الشوارع شبه مسنمة وبجانبها مجارى تصريف الماء الذى لا يقع فى الشارع الا ليهبط الى المجرى . تذكرت عندئذ كيف تنطفىء سياراتنا فى شوارعنا اذا نزل مطر كثير نسبيا والمطر عندنا نادر فقلت : أما درس مهندسونا فى بلاد الغرب فيكون تخطيطهم مثل هذا ـ التخطيط ؟ .

عدنا بعد ذلك الى الفندق . وتواعدنا على اللقاء غدا الأحد صباحا لنجتمع ببعض المسلمين فى أحد المساجد التى يجتمع فيها المسلمون يوم الأحد من أجل تقديم النصح لهم والأجابة على أسئلتهم .

وفى يوم الأحد ٢٥ / ٨ / ١٣٩٨ هـ . تأخر عنا الأخ محمد أحمد كثيرا . ثم اتصل بنا معتذرا من كثرة الأمطار وعدم وجود مواصلات ووعدنا أنه سيصل فى أقرب وقت ممكن . وجاءنا بعد ذلك . ومعه الأخ مظهر السيد . وقالا : الاجتماع فى المسجد متعذرا لعدم استطاعة الناس الاجتماع فيه من شدة المطر وتفرق أماكنهم .

لذلك نزلنا إلى السوق قليلا ثم ذهبا بنا الى مطعم باكستاني يقدم للمسلمين الطعام الحلال فتناولنا فيه الطعام وكان الأخ مظهر اتصل ببيته فأفاده أهله ان ابنه الصغير سقط من

على السرير وانه ينزف دما ، فهمس للأخ محمد وأخبره بذلك ، فقال له الأخ محمد : يجب أن تذهب لتنظر ما اذا كان يحتاج الى اسعاف فلم يرض فأخبرنا الأخ محمد فألححنا عليه أن يذهب ، وبعد ألحاح ذهب وهو مكره ، لأنه أحب أن يودعنا عند السفر .

وأتصل الأخ محمد بأهله وطلب منهم زيارة بيت الأخ سيد لمؤانسة أهله ومساعدتها ان احتاجت ، ثم اتصل بعد ذلك للاطمئنان على صحة الطفل فأفادوه أنه طيب فحمدنا الله على ذلك .

سفرنا فى الليل كان اضطرارا :

ثم رجعنا الى الفندق وحاسبنا المسئول فيه واستأجرنا سيارة الى المطار ، وكان ذلك فى الساعة الثامنة مساء ، وهذه أول رحلة لنا يكون سفرنا فيها ليلا اضطرارا خشية عدم تيسر الرحلات فى الأيام التالية كما كانوا يتوقعون ، اذ كانت رحلاتنا كلها فى النهار من أجل التأمل فى الكون الدال على خالقه سبحانه من بحار وأنهار وغابات وقفار وغيرها .

وبعد عمل الاجراءات اللازمة ودعنا الأخ محمد أحمد فدخلنا الى الطائرة التى أقلعت فى العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين من مطار هنغ كنغ .

فى مطار بانكـوك :

وكانت المحطة الأولى لهذه الرحلة ـ والطائرة سويسرية ـ فى بانكوك عاصمة تايلند وكان هبوط الطائرة فى مطار بانكوك فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين بتوقيت هنغ كنغ فكانت مدة الطيران ساعتين وعشر دقائق .

والفرق بين التوقيت المحلى لتايلند والتوقيت المحلى لهنغ كنغ ساعة واحدة ، فكان وقت هبوطنا فى مطار تايلند بتوقيت بانكوك الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

نزلنا فى مطار بانكوك وأخذنا بطاقة المرور (ترانزيت) وتجولنا قليلا فى قاعات المبنى ثم رجعنا وكانت مدة الوقوف ساعة تقريبا اذ أقلعت بنا الطائرة فى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والأربعين الى كراتشى .

وكنت متلهفا لرؤية المناظر التى تمر الطائرة فوقها ، وأغلبها جبال وغابات وأنهار حسب معرفتى الجغرافية ، ولكن الله أراد ما أراد ، لذلك سبحت فى بحر النوم فوق تلك الجبال والغابات والحمد لله على راحة أرادها لى هو سبحانه .

فى مطار كـراتشى :

لم أفق من نومى إلا بالقرب من مطار كراتشى عندما بدأت الطائرة تنزل استعدادا للهبوط ، وكان الهبوط فى مطار كراتشى فى تمام الساعة الخامسة بتوقيت هنغ كنغ ، والساعة الثالثة بتوقيت كراتشى ، والفرق بين توقيت هنغ كنغ وتوقيت كراتشى ساعتان ·

بذلك تكون مدة الطيران من هنغ كنغ الى كراتشى ست ساعات تقريبا ·

ودخلنا الى قاعة تسلم الأثاث فى المطار وأخذنا فى الانتظار فكان العمال يأتون بعفش اثنين أو ثلاثة فيشكو الباقون ، وتتصل الموظفة المسئولة بجهاز اللاسلكى الذى بيدها بالجهات المسئولة فيأتى العمال بمثل ذلك ، وهكذا استمر الحال وشبهت حالنا وحال عفشنا بالطفل الذى يجب أن يعطيه الدواء ولى أمره بمقدار معين فى أوقات معينة وكان انتظارنا لا يقل عن ساعتين حتى فرج الله علينا · بمجىء حقائبنا التى كنا نظنها قد ارتفعت بين السماء والأرض فى الطائرة السويسرية وتذكرنا أنا وزميلى ما كان يحصل فى مطارات الغرب حيث كانت حقائبنا فى كثير من الأحيان تسبقنا وتنتظرنا هى · وأخذنا نلتفت يمنة ويسرة لعلنا نرى الأخ خليق أحمد أحد طلبة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية الذى تم الاتصال بأسرته من هنغ كنغ ، وكان الأمل فى لقائه ضعيفا لأن أهله ذكروا أنه مريض ولكن الرجل كان ينتظرنا هو وزميل له من نفس الكلية ووالد زميله وعندما رأونا أسرعوا الينا ، وكان الوقت متأخرا جدا فرحبوا بنا وأخذوا حقائبنا الى الجمرك الذى احترمنا فلم يفتش الحقائب بل أشار عليها وخرجنا ·

فى فندق مهران :

فركبنا فى السيارة التى كانت معهم وأوصلونا الى فندق مهران وتركونا حيث لم يبق على الفجر الا نصف ساعة تقريبا ، ووعدنا الأخ خليق أحمد أن يأتينا غدا ، بل اليوم الاثنين فى الساعة الثانية عشرة لتناول طعام الغداء فى منزل والده · توضأنا وصلينا الفجر ، ثم اسلمنا أنفسنا للنوم الذى أخذ حقه فلم يطلقنا الا عندما قرع الباب الأخ خليق أحمد فى الوقت الذى وعدنا أن يأتينا فيه الساعة الثانية عشرة يوم الاثنين ٢٦ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ·

فى منزل مفتى رشيد أحمد :

قمنا توضأنا ولبسنا وذهبنا معه ، وكان وصولنا وقت أذان الظهر دخلنا المسجد الذى يقع بجوار بيت والده ، بل فى داخل الحائط الدائر حول المنزل · وجاء والده واسمه مفتى رشيد أحمد الى المسجد فرحب بنا وأقيمت الصلاة فصلى بالناس إماما ·

ثم قام وطلب منا الدخول معه الى منزله ، فدخلنا فى غرفة الاستقبال التى يجتمع به

فيها تلاميذه وضيوفه ، وفيها بعض الكتب من المراجع الاسلامية ومن مؤلفاته وفتاواه · والرجل يحب العزلة الا فى مذاكرة العلم ، ويكثر من ذكر الله تعالى فبدأ فى مذاكرة بعض المسائل العلمية ، ومنها كيفية تحديد القبلة بمناسبة رحلتنا الطويلة التى كانت حول الأرض فى مشارقها ومغاربها وكذلك تحديد أوقات الصلاة ، وتحديد الأهلة ، وله إلمام طيب بعلم الفلك وله فى ذلك مؤلفات ، تأتيه الفتاوى من داخل باكستان ومن خارجها فيجيب عليها ·

ومن الأمور التى ينتقدها التبكير بصلاة الفجر فى الحرمين الشريفين كما قال : فقلت له : اننا نصلى فى المسجد النبوى ، ونخرج والصبح مسفر جدا أما فى المسجد الحرام فلم أنتبه له ، وهو ينتقد تقويم أم القرى ويرى أنه مأخوذ عن تقويم أجنبى غير سليم ولذلك لا بد من اعادة النظر فى ذلك ·

وكان من الحاضرين فى مجلس الشيخ الأستاذ محمود أمين عام دار العلوم الذى طلب منا زيارة الدار غدا الثلاثاء فلبينا الطلب ·

وبعد أن تناولنا طعام الغداء عدنا الى الفندق وفى هذا اليوم تم الحجز فى الخطوط الباكستانية ذهابا وايابا الى لاهور لزيارة الجماعة الاسلامية هناك ، كما تم الحجز فى الخطوط السعودية من كراتشى الى جدة يوم الجمعة الموافق ٣٠ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ·

وفى يوم الثلاثاء ٢٧ / ٨ زارنا بالفندق الأخ عبد الله كاكاخيل الذى يعمل الآن مدرسا فى نيجيريا ، والأخ عبد الرزاق اسكندر ، وكلاهما كانا من زملائى فى الجامعة الاسلامية اذ تخرجنا معا فى ٨٥ ـ ١٣٨٦ هـ ·

وفى الساعة الحادية عشرة جاء الينا الأخ خليق فأخبرنا أن والده فى انتظارنا ليصحبنا الى دار العلوم ، فحاسبنا المسئولين فى الفندق وأخذنا حقائبنا ليوصلها الأخ خليق الى منزلهم ، لأنا سنسافر مساء اليوم الى لاهور ، على أن يقابلنا الأخ خليق بالحقائب مساء الخميس فى مطار كراتشى ·

متخمـــون وعـالـــة :

وعندما خرجنا الى والد الأخ خليق الذى كان ينتظرنا فى السيارة وجدنا بعض الفقراء موجودين يتوسمون فينا قضاء بعض حاجتهم ، وكانوا يلحون فى الطلب ، فسألت الدكتور اذا كان عنده شىء يمكن أن يساعدهم به وعندما رأوه يدخل يده فى جيبه أخذوا يتزاحمون ويتدافعون فأعطاهم وكانت عجوز مسنة تمد يدها ففاتها أن تنال شيئا فأخذت تصرخ وتضارب بعض الذين نالوا شيئا · وهكذا وجدنا حالة الناس فى باكستان بائسة جدا ، إذ لم يجد بعضهم المأوى ، فرأينا من ينام تحت قطعة قماش ربطت على أربعة أخشاب جوانبها لا يسترها شىء ، ومنهم من ينام تحت الأشجار ومنهم من ينام تحت الجسور ·

وسبب ذكرى لهذا الأمر هو التنبيه على حالة بعض المسلمين فى الشعوب الاسلامية ، مع أن الناس فى شعوب أخرى يلتمسون ما يهضم لهم الأكل الذى أصيبوا من كثرته وتنوعه بالتخمة وبالأمراض الكثيرة التى تستدعى العلاج والاستشفاء ويرمى الطعام فى آنية القمامة فتأكل منه الحيوانات ويزيد ، مع أن الآخرين لا يجدون لقمة العيش بسهولة .

بعد هذا كله قلت : ترى لو أن للمسلمين خليفة واحدا ترتفع راية خلافته على كل بلاد من بلدانهم أترى كان يحصل هذا التفاوت العظيم .

وهنا رجوت لدعوة التضامن الاسلامي أن تحقق أمل المسلمين فى كل مكان .

فى دار العلـــوم :

ذهبنا بعد ذلك الى دار العلوم ، وهى فى ضاحية من ضواحى كراتشى حيث تم اللقاء بالأمين العام للدار ، ونائب المدير العام وبعض أساتذة الحديث الشريف فى الدار .

وحصل نقاش ومذاكرة لأحوال المسلمين الذين زرناهم فى جولتنا هذه وللعمل الاسلامي فى باكستان . وقد خصصت للدار أرض واسعة أقيمت عليها مبانى سكنية للطلبة ، وفصول دراسية ومسجد ومكاتب ادارية ، وتبنى الآن مكتبة كبيرة تتسع للكتب الموجودة وغيرها من الكتب التى تشترى مستقبلا وبها قاعات للمطالعة .

وذكرنا لهم حاجة الأخوة الباكستانيين فى هنغ كنغ الى التشجيع ببعث الكتب المترجمة الى اللغة الانجليزية ، أو المؤلفة بالأردية فوعدوا بمراسلتهم .

وقد تأسست دار العلوم فى كراتشى عام ١٣٧١ هـ . أسسها الشيخ محمد شفيع . وهى تشتمل على ثلاث مراحل :

المرحلة الابتدائية ـ ومدتها خمس سنوات .

المرحلة الثانوية ـ ومدتها خمس سنوات .

المرحلة العالية ـ ومدتها خمس سنوات .

وبها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .

فى جامعة العلوم الإسلامية :

وبعد أن انتهينا من زيارة دار العلوم ذهبنا الى جامعة العلوم الاسلامية التى أسسها الشيخ محمد يوسف البنورى ، اذ كنا على موعد مع الأخ عبد الرزاق اسكندر الذى يعمل فى نفس الجامعة المذكورة ، وعند بابها ودعنا الشيخ مفتى رشيد أحمد الذى عاد الى منزله .

استقبلنا الأخ عبد الرزاق . وكانت الصلاة قد أقيمت فصلينا معهم الظهر فى المسجد الموجود بداخل المدرسة وهو جامع كبير .

وبعد الصلاة أطلعنا الأخ عبد الرزاق على أقسام الدراسة بالجامعة فقال : يوجد بها القسم الاعدادى . ومدته ثلاث سنوات .

والقسم الثانوى . ومدته ثلاث سنوات .

والقسم العالى . ومدته أربع سنوات .

وقسم التخصص فى ثلاث شعب : هى الحديث . والفقه الاسلامي . والدعوة والارشاد ومدته سنتان فى كل شعبة وأن فى الجامعة طلبة وافدين من خارج باكستان من نحو خمس وعشرين دولة من دول أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا وكندا .

وتجولنا فى مبانى الجامعة . المشتملة على فصول الدراسة والمسجد وسكن الطلبة المغتربين والمكتبة . ودار الافتاء ودار التصنيف .

كما ذكر الأخ عبد الرزاق أن للجامعة مشاريع جديدة منها مساكن لأساتذة الجامعة وموظفيها .

ثم قدم لنا طعام الغداء فى نفس الجامعة . وودعناهم بعد ذلك وذهبنا الى مطار كراتشى . للسفر الى لاهور . وباطلاعنا على دار العلوم . وجامعة العلوم الاسلامية رأينا تلك الجهود الجبارة التى يقوم بها المسلمون دون أى عون يأتى من الحكومات . بل يقومون بجهود يحاربها بعض الحكام وهذا يدل على الرغبة الشديدة عند الأهالى لنشر العلوم الاسلامية وتعليم أبنائهم .

والواجب على المسلمين أن يكونوا مستعدين دائما للبذل والتضحية فى سبيل نشر العلم الاسلامي واقامة المساجد والمؤسسات الاسلامية سواء حصلت اعانات من حكام تلك الشعوب لتلك المؤسسات أم معارضات .

وعلى تبرعات الأهالى تقوم المؤسسات الاسلامية فى الهند والباكستان وغيرها من العالم ، من مساجد ومدارس وجامعات ومستشفيات وغيرها .

من كراتشى الى لاهـــور :

ذهبنا الى مطار كراتشى . ومعنا التذاكر التى تم الحجز عليها الى لاهور ثم من لاهور الى كراتشى . وعندما وصلنا الى المطار . نظرت الموظفة فى التذاكر وقالت لم يحجز الا لواحد منكم . قلنا كيف ؟ قالت هكذا . وواحد منكم ينتظر وبعد ربع ساعة راجعها الأخ خليق

فقالت : لا يوجد مقعد لأحد منهما ولم يتم الحجز . وتأثر الأخ خليق وذهب ليشكو الى صديق له فى المطار ولكن الموظفة بعد قليل أخذت التذاكر وأعطتنا بطاقتى الدخول .

وهكذا فى خلال ساعة تقريبا حصلت هذه التناقضات . وكان اقلاع الطائرة من مطار كراتشى فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين كما كان هبوطها فى مطار لاهور فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء يوم الثلاثاء المذكور .

فى المنصـــورة :

وكان فى استقبالنا الأخ فيض الرحمن الذى انتدب لاستقبالنا من قبل الجماعة الاسلامية بسيارة خاصة . واصطحبنا معه الى مدينة المنصورة الخاصة بالجماعة والتى تحتوى على دار للضيافة ضمن مبانيها تتكون من دورين . وهى ـ دار الضيافة ـ شبيهة بفندق صغير . وكان فى استقبالنا الأخ الأستاذ خليل الحامدى مدير دار العروبة . وهى ادارة مختصة بما يتعلق باللغة العربية ترجمة وتأليفا وغير ذلك . وقد هيئوا لنا حجرة خاصة نزلنا بها فشعرنا بالارتياح ونحن ننزل بين اخوة أحبة فى الله واسترحنا من أجواء الفنادق التى سئمنا النزول بها .

وبعد قليل من نزولنا جاء الينا الأستاذ طفيل محمد أمير الجماعة وبعض أعضاء الجماعة فرحبوا بنا وأظهروا سرورهم لزيارتنا فشكرناهم على حسن الضيافة والاستقبال .

وبعد أن قدم لنا طعام العشاء . صلينا العشاء ثم نمنا الى الصباح . وفى يوم الأربعاء ٢٨ / ٨ / ٩٨ بعد صلاة الفجر بقليل جاء الينا الأخ خليل الحامدى وقدم طعام الافطار والشاى . ثم أخذنا الأخ خليل الحامدى لزيارة المدينة التى تشتمل على مبانى سكنية لعوائل العاملين المتفرغين من الجماعة . وعلى رأسهم أمير الجماعة . ومكاتب ادارية . ومسجد كبير بجواره مسجد صغير للنساء . فصل عن مسجد الرجال بجميع مرافقه ولكنه وضع ليكون صالحا لتصلى فيه النساء صلاة الجماعة مع الرجال . وفى الدور الأعلى فى المسجد خصص ليكون معهدا يوضع له منهج يخرج المسلم الذى يجمع بين علم السلف والعلوم الجديدة .

وعندهم مشروعات للمستقبل جيدة . ولكنهم يسيرون خطوة خطوة فى التنفيذ حسب استطاعتهم .

مع أمـير الجماعة الإسلامية :

ثم زرنا الأستاذ طفيل أمير الجماعة الذى كان فى انتظارنا فى مكتبه وشرح لنا منهاج الجماعة الاسلامية فى العمل والأوضاع الحالية فى الباكستان وطلب منا أن ندعو للباكستان بأن يبلغها الله غايتها التى انفصلت عن الهند من أجلها وهى تطبيق الإسلام . وأثنى آنذاك

على الجنرال ضياء الحق وذكر أنه يريد تطبيق الإسلام فى الباكستان . كما يظهر من حاله وأعماله . والله سبحانه المسئول ان يذلل الصعاب التى تعترضه فى ذلك .

وكان قد ضرب لنا موعدا مع الأستاذ أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة سابقا . وحدد الموعد بعد صلاة العصر من هذا اليوم عدنا بعد ذلك الى مقر نزولنا .

زيارة الأستاذ المودودى :

وبعد أن صلينا الظهر وتناولنا طعام الغداء . وكان معنا الأستاذ خليل الحامدى . نمنا الى أن أذن لصلاة العصر . صلينا العصر فى مسجد الجماعة ثم ذهبنا لزيارة الأستاذ المودودى فى داخل المدينة وكان وصولنا الى منزله فى تمام الساعة السادسة مساء . وكان عنده بعض الزوار . ولم ننتظر فى غرفة الانتظار الا دقيقتين تقريبا فخرج الذين كانوا عنده فدخلنا نحن الى الغرفة الصغيرة التى انطلقت منها صيحات انذار الأستاذ المودودى منذ أكثر من ثلاثين سنة . وفيها ربى رجاله الذين رأى فيهم ثمار تربيته فى حياته . لم أكن قد رأيت الأستاذ المودودى شخصيا على رغم أنه زار الحجاز وزار المدينة المنورة وأنا موجود فيها عندما كنت طالبا بالجامعة الاسلامية فى كلية الشريعة بها التى هى أول كلية أنشئت بالجامعة الاسلامية . لأنى فى تلك الفترة لم أكن قد قرأت كتب المودودى بامعان . وان كنت مررت مرورا سريعا ببعضها ولكن بعد ذلك قرأت غالب كتبه فرأيت فيها عمق التفكير وتشريح الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية . وبيان الجذور التى أثمرت هذا الواقع داخلية كانت أم خارجية . ثم الدعوة الى تغيير هذا الواقع الأليم بأسلوب الاسلام فى الدعوة والتربية والتكوين واقامة راية الاسلام باقامة نظامه الذى طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن سار بعدهم على هديهم .

كما سمعت عن المودودى أنه يطبق ما يدعو اليه فعلا فتعرض للمخاطر والمضايقات والسجون والمعتقلات وهو واقف كالجبل الاشم الذى لا تحركه عواصف الامتحان والابتلاء من قبل قوم أذاقوا المسلمين وبالا وشعوبهم فناء ، كل ذلك جعلنى أشتاق للقاء عملاق الفكر الاسلامي الذى أنجبَ أمة عاهدته على السير فى طرْيقه الذى هو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهو الدعوة الى الله على بصيرة مع الصبر على الأذى مهما كان ذلك الأذى .

دخلنا غرفة الأستاذ المودودى . وهو يقعد على كرسى عادى . بجانبه بعض الكراسى المشابهة للزوار . فسلمنا عليه ورحب بنا . وجعلت أحييه وأنا أنظر الى هذه الغرفة التى ملئت بالمصادر الاسلامية باللغة العربية والانجليزية والأردية وعن يساره من الجهة الشرقية الشمالية من الغرفة يوجد الباب الذى يدخل منه ويخرج الى غرفة نومه ومنها الى هذه الحجرة وعندما

سألناه عن حاله أجاب بقوله : الحمد لله . اشتدت على الآلام من مدة سبعة شهور حيث أشعر بأنى مشلول النصف الأسفل . **وعمر الرجل خمس وسبعون سنة ، كان أغلبها فى جهاد وكفاح مريرين ولا زال الرجل يجاهد ويكافح** . اذ يقضى ثمانى عشرة ساعة يوميا فى العمل كما أفادنا الأستاذ خليل الحامدى .

وكانت عندى بعض الأسئلة تتعلق بنقد بعض العلماء فى الباكستان للمودودى كنت أود أن أسأله عنها ولكنه فى تلك الحال لا يتحمل كثرة النقاش واطالة الكلام . وكان يتكلم معنا باللغة العربية وان كان فيها ثقل فهى مفهومة . وسئل الأستاذ المودودى أن يقدم نصيحة لنا وللمسلمين فلم يزد على وصية الله للأولين والآخرين : وهى تقوى الله وخشيته فى السر والعلانية .

وتخفيفا عن الرجل استأذنا لندعه يستريح فاذن لنا ودعا لنا بخير وبعد أن خرجنا وأردنا أن نركب فى السيارة جاءنا مدير مكتبه الخاص الذى لم يكن موجودا من قبل يطلب منا الرجوع الى غرفة الاستقبال لنتناول الشاى أو البارد . وكان ذلك بطلب من الأستاذ المودودى . الذى قال لمدير مكتبه اعتذر لى منهم لخروجهم من عندى قبل أن يتناولوا شيئا ولا بد أن يقدم لهم شىء . فحققنا رغبة الأستاذ ثم خرجنا .

وسألت الأستاذ خليل الحامدى عن الدار التى يسكن فيها الأستاذ المودودى بأسرته أهى ملك له أم مستأجرة ؟ فأجاب عندما انفصلت باكستان عن الهند أقام أعضاء الجماعة الاسلامية المخيمات فى مدينة لاهور . ثم أستأجرت الجماعة هذه الدار منذ ثلاثين سنة . وأخذ الأستاذ المودودى شقة منها لأسرته وكان يعطى الجماعة أجرتها سنويا . وعندما ارتفعت الاسعار كان هو يزيد باستمرار . ويقول : كما يزيد الناس فى الاجرة فأنا يجب أن أزيد .

وفى عام ١٩٧٣ اشترى المنزل فأصبح ملكا له . بعد أن اشترى للجماعة الأرض التى أقيمت عليها مدينة المنصورة حاليا .

وقد تنازل الأستاذ المودودى عن إمارة الجماعة بصفة رسمية ولكن الجماعة لازالت تتجمع حوله كما يتجمع خلايا النحل على يعسوبها يستشيرونه فى أمورهم المهمة ، وهو ينصح ويشير (١) .

---

(١) ولقد نقل الينا نبأ وفاة مجدد القرن الرابع عشر الهجرى عملاق الفكر الاسلامى المجاهد فى سبيل الله العلامة الشيخ أبى الاعلى المودودى رحمه الله فى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ م . حيث وافته المنية فى احدى مستشفيات نيويورك . وقد نقل جثمانه بعد ذلك بثلاثة أيام حيث صلى عليه فى كراتشى واسلام أباد ما يقارب مليونا من المسلمين .

وقد هز نبأ وفاته العالم الاسلامى كله . وقد وجهت خطاب تعزية لأمير الجماعة الإسلامية الأستاذ طفيل محمد . بعد سماع نبأ وفاته كما أنشأت قصيدة فى رثائه رحمه الله بعنوان : « غوثاه » وقد نشرت فى العدد الأول من السنة الثانية عشرة من هذه المجلة .

وكانت وفاته فى وقت إعدادى هذه المذكرات للطبع . رحمه الله رحمة واسعة .

وفى طريقنا الى المنصورة تعطلت بنا السيارة . فاستأجرت سيارة لايصالنا . وعندما ركبنا نزل السائق وهو شيخ كبير السن مثل سيارته فأخذ يغلق الأبواب بقوة ليطمئن أنها أغلقت . والظاهر أنها لا تغلق الا بمثل تلك القوة . لأنها مصلبة . كبقية هيكلها وأخذت ترتفع منها أصوات ضربات حديدها بعضه ببعض . وعندما أظلم الليل سألناه ان كان عنده نور فمال بسيارته الى جانب الطريق ونزل منها ففتح غطاء الماكينة وأشعل النور من هناك بسبب عدم اتصال النور بالزر الذى عنده فى داخل السيارة .

وهنا تواردت الذكريات السودانية على الزميل الدكتور محمد بيلو فقال : كأننا فى السودان . ثم شرح ذلك بحالة السيارات فى السودان بأنها لا تختلف عن هذه . ولقد وصلنا الى مدينة المنصورة فى تلك السيارة والحمد لله .

وفى صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ / ٨ ـ ١٣٩٨ هـ . بعد أن تناولنا طعام الافطار تم اللقاء مرة أخرى بالأستاذ خليل الحامدى الذى زودنا ببعض مؤلفات الأستاذ المودودى .

نبذة موجزة عن حياة المودودى

١ ـ ولادته : ولد بمدينة أورنك أباد فى ولاية حيدر أباد فى أسرة هندية فاضلة اشتهرت بالدين والفضل والعلم .

٢ ـ تعليمه : التحق بمدرسة دينية فى سن الحادية عشرة . وقد كان والده على ثقافة عالية . رفض هذا الوالد أن يرسل أولاده الى المدارس الانجليزية ومنهم المودودى . ولم يتمكن المودودى من إكمال تعليمه وحصل على الشهادة الثانوية فقط ذلك لتدهور صحة والده بسبب إصابته بالشلل فانصرف إلى خدمة والده وتعلم منه فى المنزل اللغات الأردية والعربية والفارسية والانجليزية . ولم تطل حياة هذا الأب الفاضل فافتقده المودودى فى يفاعه وهو فى السادسة عشرة من عمره .

٣ ـ أهم أعماله : تولى منصب رياسة التحرير فى كبريات صحف الهند مثل « تاج » و « مسلم » وصحيفة الجمعية فى دلهى . ثم أصدر مجلته الشهيرة بترجمان القرآن عام ١٩٢٣ م . وقدم على صفحاتها تصوراً واضحاً للإسلام ولكنه خطا خطوات أعظم آثاراً فى ميدان العمل الاسلامى بايجاد تجمع حركى يتمثل هذا التصور الواضح للإسلام فى حياته الواقعية وأول خطوة خطاها فى هذا السبيل إنشاءه « دار السلام » عام ١٩٣٨ م بدأت هذه الدار بأربعة رجال شاركوه فى تبنى الفكرة وأخذ العدد يتزايد يوماً بعد يوم مما شكل خطرا على المودودى نفسه وبدأت حملات مكثفة للنيل منه شأن كل داعية يكون له أثر فى دنيا الناس

كما أرجف به المرجفون وجسموا له المخاطر التى ستحيق به إن هو واصل السير فى هذا الميدان الاسلامى فقال قولته الشهيرة الفياضة بروح اليقين والثقة بالله قال : « وهل خفى عنى كل ذلك عندما أقدمت . لقد أعددت للشدة يقينا وللمعوقات دينا . وللظلم صبرا . وللسجون قرآنا وذكرا وللمشانق « وعجلت إليك ربى لترضى » هذا اليقين والإيمان هو الذى يقف فى وجه الطغيان المائج الهائج ولا يقدر على ذلك من لا يملك هذه الروح وهذا الإيمان والتجارب أمامنا أكبر برهان · تعرض المودودى للسجون واعتبرته السلطات الحاكمة خطراً عليها فشددت الرقابة عليه وزجوا به فى السجن فى أكتوبر عام ١٩٤٨ م وأطلق سراحه فى ٢٨ من مايو سنة ١٩٥٠ م ثم قبض عليه فى ٢٨ من شهر مارس عام ١٩٥٣ م عندما كتب كتابه « المسألة القاديانية » ثم أطلق سراحه فى ٧ من مايو فى نفس السنة ثم اعتقل مرة أخرى فى العام نفسه وقدم إلى محكمة عسكرية حكمت عليه بالإعدام شنقا . وحين سمع المودودى الحكم وقف فى ملابس الإعدام وخاطب ابنه قائلا « لا تضطرب يا بنى ·· لو نادانى ربى إلى جواره وحانت لحظات اللقاء فعلى الإنسان أن يذهب للقاء ربه مسرورا وإذا لم يصدر حكمه عز وجل فى هذا الأمر فلن يشنقوا لى إصبعاً واحداً رغم كل من شنقوهم من قبل » · واهتز العالم الاسلامى لنبأ هذا الحكم وإنهالت برقيات الإحتجاج وتدخلت حكومة المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت فخفف الحكم إلى السجن المؤبد وحين طلب منه أن يلتمس العفو رفض فى عزة المؤمن بالله قائلاً : « إن تعليقى على حبل المشنقة أهون علىّ من أن أطلب العفو من أناس يعرفون جيداً ما هى التهمة الموجهة ضدى » وفى هذا السجن أكمل تفسيره الشهير « بتفهيم القرآن » فى سبعة مجلدات وفى سنة ١٩٥٥ م صدر حكم بالافراج عنه وعن زملائه ثم فى عام ١٩٦٧ م اعتقل مرة أخرى لمدة شهرين ثم أطلق سراحه . هكذا كانت حياة المودودى سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح الطويل والنضال المرير وألف مجموعة من الكتب الفكرية هدف منها إلى تنقيح الأفكار وغربلة الدعوات ومعالجة المشكلات فى الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة كما هدف إلى إفراغ التعاليم الإسلامية فى قالب عصرى يلائم مدارك أهل العصر وأذواقهم مع الاحتفاظ بالأصالة الإسلامية التى لا تميع فيها ولا جمود وقد كشف النقاب عن عورات زنادقة هذا العصر والمنحرفين والقاديانيين وفند مزاعم منكرى حجية السنة وانتقد جمود بعض علماء المسلمين وزيف أباطيل المتصوفة المنحرفين عن منهج الكتاب والسنة ومعظم تراث هذا الداعية باللغة الأردية لم يترجم منه إلى العربية إلا النزر اليسير ·

عاش المودودى حياته كلها وهو يسعى لتحقيق قيام الإسلام ليحكم حياة الناس واتخذ لذلك أساليب شتى جديرة بالدراسة الجادة للاستفادة منها فأفكار هؤلاء المفكرين ليست هى النهاية فى التصور الإسلامى الواعى ولكنها منافذ معرفة وفكر يدخل منها الجيل الإسلامى

المنشود ليشيد البناء وليتمم العمل وليكمل النقص أما الوقوف عند هذه الأفكار واعتبارها النهاية القصوى فى المعرفة والفكر فذلك لا يعدو أن يكون تقليداً أعمى على غرار التقليد المذهبى المتعصب الجامد الذى أمات روح الأبتكار ووقف بالمد الإسلامى عند اجترار أفكار من سبق فكانت كارثة عظيمة لا تخفى نتائجها فى كل الظواهر فعسى أن لا تتكرر المأساة مع العاملين فى الحقل الإسلامى وأن يأخذوا العبرة ويطوروا من أساليب العمل للإسلام .

نال المودودى الرضى فى جميع الأوساط الإسلامية . ونهل الشباب والعلماء من بحر أفكاره ولا تزال كتبه ورسائله ومحاضراته معيناً فكرياً غزيراً . وقد توجته المملكة العربية السعودية بجائزة الملك فيصل العالمية تكريماً منها له على جهوده العظيمة فى مجال الجهاد والفكر والعمل الإسلامى فى شتى المجالات وفى يوم السبت الثانى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٩ م توفى المودودى بعد أن خلف تركة ضخمة فى خدمة ميراث النبوة جزاه الله عن كل ما قدم خير ما يجزى عباده الصادقين ورزق الله المسلمين خير خلف لخير سلف وإنا لله وإنا إليه راجعون .

جامعة إسلامية بكوريا الجنوبية

قرر اتحاد المسلمين الكوريين انشاء جامعة اسلامية في كوريا الجنوبية وذلك من أجل تجميع الأنشطة الدينية في البلاد لمواجهة الدعاية الخبيثة التى ينشرها أعداء الاسلام من صليبيين وشيوعيين وصهيونيين ومذاهب هدامة ، لما لمثل هذه الجامعة من دور فعال ونبيل في بناء الفرد وبلورة أفكار المجتمع في اطار اسلامى .

والجدير بالذكر أن في كوريا الجنوبية مع صغر حجمها مالايقل عن مائة جامعة تمتلكها الارساليات المسيحية والبوذية .

وستضم الجامعة الاسلامية ان شاء الله تعالى خمس عشرة كلية موزعة على أربعة أقسام تضم مجموعة من الكليات منها كلية الشريعة وكلية الدراسات المقارنة بين الأديان وكلية التاريخ الاسلامى وكلية اللغة العربية .

وتشكل لجان خاصة من المختصين الأساتذة لوضع المناهج لهذه الكليات .

هذا وقد تبرعت الحكومة الكورية بقطعة من الأرض مساحتها أربعمائة وثلاثون ألف متر مربع بالقرب من سيول العاصمة لاقامة الجامعة الاسلامية عليها مع العلم بأن شركة سن للتعمير والهندسة في سيول قد قامت باعداد الخرائط والرسوم من أجل البدء في تنفيذ هذا المشروع الذى دخل في دور التنفيذ وقد حددت المرحلة الأولى منه زمنيا بسنتين .

والجدير بالذكر أن المسلمين في كوريا الجنوبية كانوا قد قاموا ببناء مركز اسلامى ومسجد جامع في العاصمة سيول .. ولاشك أن هذه الجامعة سوف تؤدى خدمة كبيرة للمسلمين وللثقافة الاسلامية في المنطقة .

« الرأى الهندية »

باب ۱

الفتاوی

مِنْ فَتَاوَى اللجنة الدائمة
للبُحُوثِ العِلمِيَّةِ وَالإفتاءِ

س (١) : هل يعتبر باب الاجتهاد في الاحكام الاسلامية مفتوحا لكل انسان . أو هناك شروط لا بد أن تتوفر في المجتهد . وهل يجوز لأي إنسان أن يفتى برأيه دون معرفته بالدليل الواضح . وما درجة الحديث القائل (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) أو ما في معناه ؟

والجـــواب : باب الاجتهاد في معرفة الأحكام الشرعية لا يزال مفتوحا لمن كان أهلا لذلك بأن يكون عالما بما يحتاجه في مسألته التى يجتهد فيها من الآيات والأحاديث قادرا على فهمهما والاستدلال بهما على مطلوبه . عالما بدرجة ما يستدل به من الأحاديث وبمواضع الإجماع في المسائل التى يبحثها حتى لا يخرج على إجماع المسلمين في حكمه فيها . عارفا من اللغة العربية القدر الذى يتمكن به من فهم النصوص ليتأتى له الاستدلال بها والاستنباط منها . وليس للانسان أن يقول في الدين برأيه . أو يفتى الناس بغير علم . بل عليه أن يسترشد بالدليل الشرعى ثم بأقوال أهل العلم ونظرهم في الأدلة وطريقتهم في الإستدلال بها والاستنباط . ثم يتكلم أو يفتى بما اقتنع به ورضيه لنفسه دينا .

أما حديث (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) فقد رواه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سننه عن عبد الله بن أبى جعفر المصري مرسلا . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

س (٢) : هل يجوز استعمال العطورات ومزيل رائحة الإبط ومعجون الأسنان والايسكريم والشامبو لاحتوائها على الكحول . والصابون الذى فيه دهن خنزير . وهل الخمر نجسة كنجاسة البول . واللحم اذا اختلط بدهن أو دم خنزير ولو بنسبة بسيطة جدا والجبن ؟

والجـــواب : الأصل في الأشياء الحل والطهارة فلا يجوز أن يحكم الشخص على شيء بأنه محرم ونجس إلا بدليل شرعي . ومتى تيقنت وغلب على ظنك اختلاط اللحم المباح بدهن أو دم خنزير وكذلك الجبن اذا خلط بدهن أو دم خنزير فلا يجوز لك تناوله . وقد دل القرآن والسنة والإجماع على تحريم لحم الخنزير وأجمع العلماء على أن شحمه له حكم اللحم . أما اذا كنت لا تعلم فيجوز الأكل منه لما سبق من أن الأصل في الأشياء الحل حتى يقوم دليل على التحريم .

والعطورات ونحوها التى مزجت بها الكحول حتى بلغت مبلغ الاسكار القول بنجاستها وطهارتها مبنى على القول بنجاسة الخمر وطهارتها . والجمهور على القول بنجاستها . وعليه فينبغي تجنبها إذا بلغت مبلغ الاسكار بسبب ما خلط بها من الكحول . وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

س (٣) : هل يجوز استعمال العادة السريـــة ؟

والجـــواب : الصحيح من أقوال العلماء في الاستمناء باليد المعروف بالعادة السرية التحريم ، لعموم قوله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فأثنى سبحانه وتعالى . على من حفظ فرجه . فلم يقض وطره إلا مع زوجته أو أمته . وحكم بأن من قضى وطره فيما وراء ذلك أيا كان فهو عاد متجاوز لما أحله الله له . ويدخل في عموم ذلك الاستمناء باليد « العادة السرية » . ولأن في استعمال ذلك مضاراً كثيرة . وله عواقب وخيمة . منها إنهاك القوى وضعف الأعصاب . وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنع ما يضر بالإنسان في دينه وبدنه وماله وعرضه . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

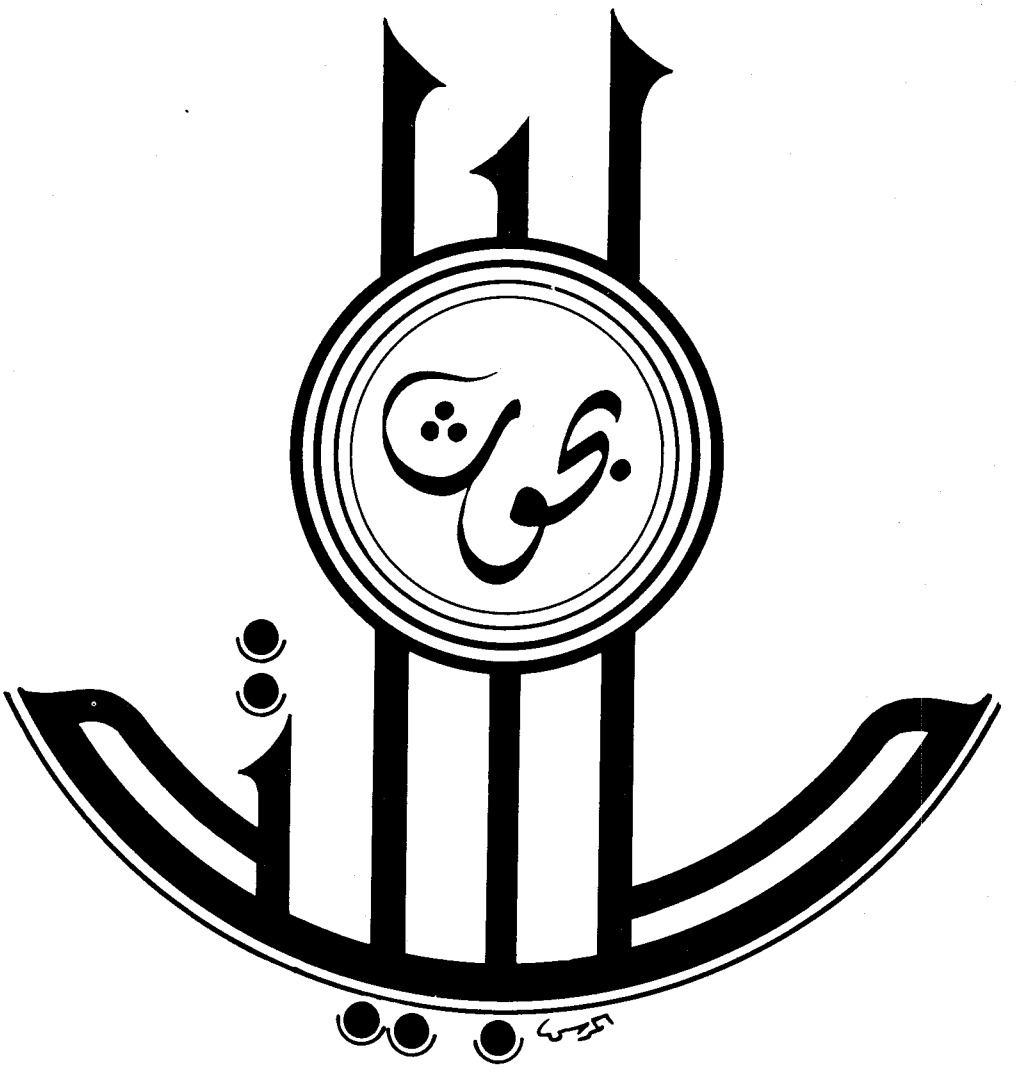
بحوث

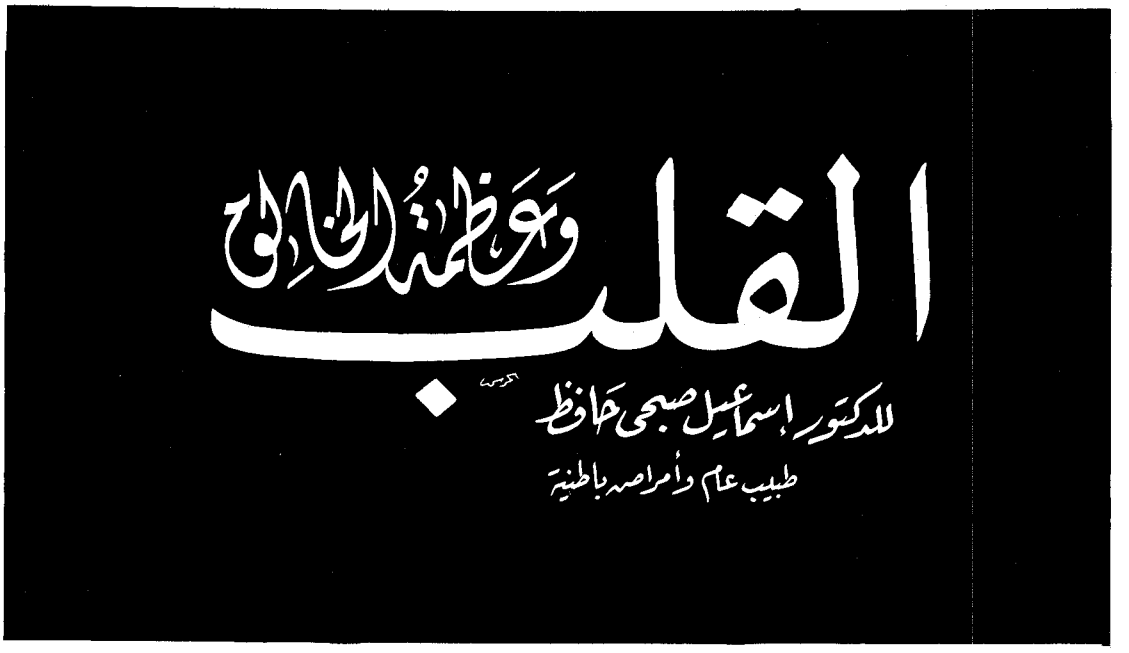

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعـــــــد :

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) القمر /٤٩ ، وقال : (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) لقمان /١١ ، وقال : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات /٢١ .

ألا تبصر أيها الإنسان في نفسك التى بين جنبيك ، وتتأمل عظمة الخالق في جسدك ولحمك ودمك وأعضائك ، فترى العجب العجاب ، ترى خلق الله في توازن وتناسق وتكامل ، كل له دور يؤديه ، وعملٌ يقومُ به على أكمل وجه ، (تبارك الله أحسنُ الخالقين) المؤمنون /١٤ . وإذا تبَصَّرت وأبْصَرت ، وخاصة إذا كنت من فئة الأطباء ، ترى كيف صنع الخالق هذا الجسم البشرى من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ ثم خلق النطفة عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، وجعل أجهزة كلٌ يؤدى وظيفته بإحكام وإتقان .

تبَصَّر أيها الانسان في جوف صدرك ، تجد جرماً صغيراً ، آية في الخلق والا بداع ، آية في التخطيط والتصميم ، ترى قلبا حوى ما يخطر لك ببال ، من غرف وقنوات ، ووصلات اتصال ، ومولد ذاتي ، ومحرك كهربائى ، وأسلاك كهربائية ، تعمل بأمر العلى القدير ، فستعجب وتقول في نفسك ، ياعجبا لأمر هؤلاء الكفرة والملاحدة من بنى الإنسان ، لماذا هم

عن الفهم مبعدون وفي أنفسهم لا يبصرون ؟ وتقول في نفسك واعجباً من أمر أولئك الأطباء الذين تعلموا الطب في بلاد الغرب والشرق . بعد هذا يكفرون وقد تبين لهم أنه الحق . وأنه من صنع عليم حكيم . وأحسن كل شيء خلقه .

عجباً للطبيب يلحد في الخا لِق من بعد درسه التشريحا

تأملْ وتبَصرْ في نفسك أيها الإنسان . تجد قلبا عجيبا . تجد فيه مولداً . ومحركاً . ومنبهاً . وخزاناً . ومغذياً . إذا توقف توقفت الحياة .

لذلك سأبحث هذا الموضوع على قدر جهدي البسيط . لعلى أوصل إلى قارئي بعض المعلومات المفيدة . لأن أعماقه تحتاج إلى مجلدات . تبحث وتمحص من قبل ذوى الاختصاص . وأصنف بحث الموضوع في ثلاث نقط . كما يلى :

أولا : القلب الطبيعي أو المادى .
ثانيا : العوامل المؤثرة في القلب .
ثالثا : القلب المعنوى أو الروحي .

أولا : القلب الطبيعي :

(أ) لمحة تشريحية أو بنيويــة :

يتألف القلب من أربع غرف هى الأذَيْنَة اليسرى والبُطَين الأيسر . والأذينة اليُمنى والبُطين الأيمن . والغرف اليسرى . تحوى الدم الأحمر القاني . واليمنى تحوى الدم الأسود القاتم .

والقلب يتركب كذلك من طبقات :

١ ـ غشاء خارجى يغلف القلب هو التأمور .
٢ ـ وطبقة عضلية .
٣ ـ وغشاء باطنى . هو الشفاف الذى يغطى القلب من الباطن .
٤ ـ وحجاب يفصل القلب الأيسر ذو الدم الأحمر القاني عن القلب الأيمن ذو الدم الأسود القاتم .
٥ ـ وأوعية تصب في الأذينة اليسرى . وهى الأوردة الرئوية تحمل الدم الأحمر القاني المملوء بالأكسجين والمواد الغذائية .
٦ ـ وأوعية تصب في الأذينة اليمنى وهى الوريد الأجوف العلوي والسفْلى . ويحملان الدم الأسود الممتلىء بثانى أوكسيد الفحم .

٧ ـ وأوعية تنشأ من البطين الأيسر . وهو شريان الأبهر الذي يحمل الدم الأحمر القاني إلى كل جزء من الجسم . حتى القلب نفسه يأخذ منه بالأوعية الأكليلية . والشريان الرئوي الذي ينشأ من البطين الأيمن . ليذهب بالدم الأسود إلى الرئة فيتصفى هناك بالمبادلات الغازية ٠

ويتألف القلب من مركز تنبيه . ومولد ذاتي هي العقدة الجيبية . وتوضع في جدار الأذينة وتسمى بصانع الخطى . تصل بواسطة سلك إلى العقدة الأذينية البطينية . ومنها سلك هو حزمة هيس . تتفرع إلى الغصن الأيسر والغصن الأيمن يتفرعان إلى أغصان بوركنج التى تتوزع في عضلات البطينين ٠

(ب) لمحة فيزيولوجية آليـــة : كيف يعمل القلب ولماذا يعمل القلب ؟

القلب خزانٌ يأتيه الدم النقي الأحمر الذي يحمل الأكسجين والمواد الغذائية بالأوردة الرئوية . بعد أن يكون قد أخذ الأكسجين بالمبادلات التنفسية . ثم يبقي في الأذينة اليسرى حتى ينفتح الصمام بينها وبين البطين الأيسر . أثناء راحة القلب من الانقباض . ثم ينقبض البطين الأيسر . فيخرج الدم الأحمر من الأبهر حيث يتوزع على جميع أنحاء الجسم . حاملاً الأكسجين والمواد الغذائية الضرورية لجميع خلايا الجسم بدون إستثناء . حتى خلايا القلب نفسه . فتأخذ خلايا الجسم ما تحتاجها من أوكسجين ومواد غذائية لتقوم بحياتها وتطوراتها التى قدرها الله تعالى . وتطرح الفضلات والمواد السامة في الدم العائد الأسود القاتم ضمن الأوردة . لتعود إلى الأذينة اليمنى . حيث تبقى فيها بنفس وقت خزن الأذينة اليسرى أثناء انقباض القلب . ثم يفتح الصمام الأيمن بين الأذينة اليمنى والبطين الأيمن أثناء راحة القلب من الانقباض . فيمتلىء البطين الأيمن . ثم ينقبض طارحاً الدم القاتم ضمن الشريان الرئوى ليذهب إلى الرئتين ليتصفى من المواد السامة . ويعود أحمر نقياً ٠

هذا يحدث في كل نبضة من نبضات القلب . أى بمعدل (٨٠) مرة في الدقيقة ٠

كيف ينقبض القلب :

إن في القلب عقدة صغيرة في جدار الأذينة هى العقدة الجيبية . أودعها الله سراً ذاتيا

بأن تكون مبدأ التنبيه . أو نقطة الانطلاق التى تخرج منها التنبيهات بمعدل (٨٠) مرة في الدقيقة . ولكن قد يتغير عددها حسب حالات كثيرة . ثم ينتقل التنبيه ضمن الحزمة الأذنية البطينية . ثم إلى محطة أخرى هى العقدة الأذنية البطينية . ثم إلى حزمة هيس فالغصنين . ثم أغصان بوركنج . فينقبض القلب المتلىء بالدم إلى أماكنه المخصصة لها . ليعود بالأوردة إلى القلب من جديد · وهكذا في دوران مستمر . إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ·

والعبرة ليست في عملياته المتلاحقة . وإنما في هذه العقدة الصغيرة . التى أسكنها نظما ذاتيا بقدرته لتطلق هذه التنبيهات . فتحدث هذه المراحل . ولو أمرها الله بالتوقف لوقفت الحياة . فكيف تكفر بعد هذا يا أيها الإنسان الجحود ؟ أفلا تبصر قلبك لترى هذا العضو الصغير الذي خلقه الله تعالى بقدرته . وقال له منذ أن ظهرت الحياة على ظهر الأرض . أطلق تنبيهاتك بأمرنا . حتى قدرك المحتوم . وعندها نقول لك كُفَّ عن التنبيه فقد حان الأجل المحتوم تباركت يارب في عليائك وسمائك . كم أنت عظيم في خلقك ما أعظمك ·

فكيف لا تبصر أيها الإنسان وتفكر . وتتدبر في هذا الجرم الصغير الموجود في القلب . وكيف لا تبصر هذا المولد الذاتي الذى يعمل من تلقاء نفسه بمشيئة الله . ويا أيها الملاحدة انظروا في أجسادكم . انظروا في أنفسكم . انظروا في قلوبكم . يامن لستم قادرين على أن تخلقوا ذبابة . انظروا إلى هذا الجرم الصغير وتفكروا . تجدوا أنكم لا تملكون إلا أن تطأطئوا رؤوسكم خاشعين أذلة . أمام عظمة الخالق الذى بيده مقاليد كل شيء . أتعلم أيها الإنسان أن دواءك فيك وما تبصر ·

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولا) الإسراء /٣٦ ·

فكل شيء يسبح بعظمة الخالق . وكل نبضة من نبضات القلب تقول : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) النمل /١٩ والأحقاف /١٥ ·

ثانيا : العوامل المؤثرة في القلب :

١ ـ **الجهد :** كل جهد أو عمل لا يثير ألماً في القلب ولا ضيق نفس في الصدر .

يجب أن يشجع عليه . لأن طاقة القلب ضمن إمكانياته . فالقلب الطبيعى لا يتأثر ضمن الحدود المعينة وحتى لو كان مريضاً . تشجيع الجهد .

٢ ـ **التدخين :** إن التدخين وخاصة المفرط يؤثر على تقبض الأوعية النبيلة في القلب . ومنه نقص التروية . ونقص تغذية عضلة القلب . ونقص الأكسجين فيها . وكذلك تسرع القلب عن الحد الطبيعى .

٣ ـ **الخمر (الكحول) (١) :** يحدث إعتلال العضلة القلبية ويتلفها .

٤ ـ **الانفعال والغضب :** يزيد سرعة القلب . ويرفع الضغط . ويشنج الأوعية المغذية للقلب .

٥ ـ **المرض : يجب** وقاية القلب خاصة من مرضى الروماتيزم الحاد . وعلى الأخص في مراحل الطفولة إذ أن الروماتيزم يعضُّ القلب . فيجب عدم التهاون في هذا المرض خاصة عند الأطفال . والانتباه إلى التهاب اللوزات المتكرر الذي يعزى إليه هذا الروماتيزم .

٦ ـ **الإفراط في الطعام :** تمتلىء المعدة كثيرا ويحدث انتفاخ في البطن وتضغط على الصدر . ويحدث تسرع في القلب . وقد تحدث آلام انعكاسية .

ثالثا : القلب المعنوي أو الروحي :

لا أقصد به القلب المادي الذي يضخ الدم لأنحاء الجسم . بل أقصد به القلب من حيث المعانى القرآنية أو الروحية . التى وردت في ذكر القلب . إذ أن هناك كثيرا من الناس لها قلوب من لحم ودم . ولكن ليس لها قلوب روحية أو معنوية . وقد أشار الله تعالى لهذا في قوله (إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ق/٣٧ . وإن بعض الناس قلوبهم عمياء (لهم قلوب لا يفقهون بها) الأعراف /١٧٩ فالقلب المعنوى أو الروحي قلب مطمئن بالإيمان لأنه ذاكر لله دائما (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد /٢٨ . وهو كذلك قلب بعيد عن النفاق والرياء والشرك . يبين الله تعالى فوز صاحبه يوم القيامة في قوله : (إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء /٨٩ قلب لا يخشى إلا الله . لاتجده وجلا إلا من خالقه . بين الخوف والرجاء

---

(١) الكحول تحريف للأصل العربي الذى هو الغول . وقد ورد ذكره في الكتاب الحكيم : في قوله تعالى : **(لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)** الصافات / ٤٧

يرجو رحمته ويخشى عذابه . فوصف صاحبه بالإيمان في قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الأنفال /٣ قلب فيه الرأفة والرحمة : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) الحديد /٢٧ قلب منيب تائب هادىء : (لمن خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ق /٣٣ . (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) الفتح /١٨ .

وقلوب المؤمنين مؤلفة مؤتلفة متجانسة (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الأنفال /٦٣ . واطمئنان القلب . وإعتقاده بالله . والإيمان به . والثقة به . لا تتغير مهما كانت الظروف والأحوال . لو تغير اللسان . بالأقوال والجوارح بالإكراه : (إلاَّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) النحل /١٠٦ .

وهذه الصفات المعنوية للقلب المؤمن . نجد أنها أحياناً يعبر عنها بصفات جسدية . فتجد القلب هادئا في مكانه آمنا مطمئنا ينبض باتزان وتؤدة . يأخذ الوقت الكافي للانقباض . والوقت الكافي للاسترخاء والإمتلاء من الدم . ينبض ضمن الحدود الطبيعية . غير هياب ولا خائف من الناس . غير مسرع السرعة التى تفوق الحد الطبيعى عند تعرضه للشدة والانفعال والغضب والمصائب والأهوال وذلك للاطمئنان والسكينة بذكر الله .

(وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) الأنفال /١٠ . بينما نجد قلب الكافر أو المنافق في التعبير القرآنى . قلباً مريضاً : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) البقرة /١٠ . قلباً خائفاً إلى حد اضطراب التوازن النفسى . إلى حد اليأس والقنوط : (وقذف في قلوبهم الرعب) الأحزاب /٢٦ . (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) آل عمران /١٥١ . قلباً أسود مليئاً بالفسوق والعصيان : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففون /١٤ قلباً قاسياً : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) البقرة /٧٤ (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) المائدة /١٣ . (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم) الأنعام /٤٣ . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) الزمر /٢٢ . (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) الحديد /١٦ .

وقلوب الكافرين أو المنافقين قلوب جاهلة : (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) الروم /٥٩ قلوب مشمئزة من ذكر الله : (إذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا

يؤمنون بالآخرة) الزمر /٤٥ . قلوب مقفلة لا يخترقها التدبر ولا التفهم : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد /٢٤ (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) البقرة /٨٨ . (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) النساء /١٥٥ . (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) فصلت /٥ .

وهى قلوب زائغة منحرفة يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء الانحراف والأهواء . (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) آل عمران /٢٧ وهي قلوب نجسة ملوثة : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) المائدة /٤١ . وهي قلوب مترددة . شاكة . (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) التوبة /٤٥ . وقلوبهم تبطن شيئا وتظهر ألسنتهم غير ذلك : (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) الفتح /١١ . وقلوبهم محل للارتكاس والثأر وحمية الجاهلية : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الفتح /٢٦ . وهي قلوب متفرقة : (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) الحشر /١٤ . وهي قلوب ملئت بالكبر والخيلاء والجبروت : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) غافر /٣٥ . وهي قلوب غافلة عن ذكر الله منشغلة بأهواء الدنيا وشهواتها : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) الكهف /٢٨ .

وهي قلوب عمياء (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج /٤٦ .

فهذه الصفات القرآنية لقلوب الكافرين والمنافقين والفاسقين . قد يعبر عنها أحيانا بصفات جسدية . فتجد قلوبهم غير مطمئنة . إن أصابتهم مصيبةٌ تثور ثائرتهم وتنتفخ أوداجهم ويتسرع قلبهم إلى حد الرجفان . لأنها قلوب غير مكبوحة الجماح بالإيمان . أو الذكر أو العلم . فترتعش الأعضاء ويهتز الصدر كجناحي الطائر . وآخر دعوانا : أن الحمـــد لله رب العالمين .

التدخـين والانتحـار البطىء

ليس اغرب من (التحذير الرسمى) الملصق على كل علبة سجاير فى الأسواق . والذى يقول ان (التدخين يضر بصحتك ... ننصحك بالامتناع عنه) .. بينما السم داخل العلبة . وتحت هذا التحذير مباشرة ..

اقول ليس اغرب من ذلك .. الا الطبيب الذى يلح على مريضه بالاقلاع عن عادة التدخين . ثم يرسل فى وجه المريض سحابة من سيجارته . أو يمص غليونه امامه على مهل .. وباناقة .. ان هذين التصرفين . أو المظهرين بعيدان عن المسئولية التى يتطلبها منع السم عن المريض . أو اقناع المدخن بالاقلاع عن التدخين .. الذى اصبح محورا للعديد من البحوث العلمية فى الأونة الأخيرة وكلها تجمع على ان التدخين سبب العديد من الأمراض القاتلة . وفى مقدمتها السرطان .

امامى نتائج دراسات عديدة . وبحوث علمية استغرقت سنوات طويلة . فى أكثر من بلد . والى المدخنين أسوق بعض النتائج المذهلة كما وردت فى (المختار) :

● خلال ٦ ثوان يصل النيكوتين من دخان السيجارة الى الدماغ . ومن يدخن علبة سجاير واحدة فى اليوم يتعرض لكمية تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ ألف جرعة نيكوتين سنويا .

● تحتوى علبة السجاير اليوم على أقل من ستين ملليغراما من النيكوتين . وهذه الكمية كافية لو تناولها الانسان جرعة واحدة ان تقتله .

● يسبب النيكوتين تسارعا عنيفا فى دقات القلب . وبسببه تضيق الأوعية الدموية ويرتفع الضغط . وتتدفق الاحماض الدهنية فى الدم .. ثم يشعر المدخن بالارتخاء والتعب . فتخف سرعة القلب وينخفض الضغط . ويفقد العقل فطنته الحادة ..

● عندما يبلغ النيكوتين الدماغ . يثير الوصلات العصبية ثم يهمدها . كما ينشط افراز (الادرينالين) ثم يهمده . وهو ينبه الاعصاب فى العضلات . ولكن سرعان ما ينتهى هذا التنبيه بنوع من الشلل . وهو اذا اعطى بكميات صغيرة يؤدى الى الرجفة وبكميات كبيرة يؤدى الى التشنجات .

● والنيكوتين يهيج التقيؤ اللا ارادى فى الدماغ وفى أعصاب المعدة وله تأثير مقاوم لادرار البول .. وعلى الرغم من انه ينشط الامعاء فى البداية الا ان الجرعات اللاحقة منه (خلال التدخين) تبطىء حركة الجهاز الهضمى بأسره .. وكذلك الحال بالنسبة للفم والمجارى الهوائية .

هذه بعض النتائج فقط وهى كافية لوصف التدخين بانه (انتحار بطىء) .. وعسى ان يتعظ المدخنون عندما يتصور الواحد منهم كل تلك التفاعلات داخل جسمه وعقله مع كل سيجارة .. أو حتى كل (جـرعة) ..

من أعماق
الكتب

« مـن أعمـــاق الكتب »

لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا الحاضر ؟

إن العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه ، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام .

لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذى قام عليه صرح الإسلام ، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما . أَفَيُدْهِشُكَ أن يتقوَّض ذلك البناء كأنه بيت من ورق ؟

إننا نستعمل هنا كلمة السنة بأوسع معانيها . على أنها المثال الذي أقامه لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أعماله وأقواله . إن حياته العجيبة كانت تمثيلا حيًّا . وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم . ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذى قد بلَّغ الوحي صلى الله عليه وسلم .

لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التى لا تجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة فى الآخرة . تلك الخاصة الظاهرة فى الإسلام تجلو الحقيقة الدالة على أن نبينا ـ الذى كان فى رسالته الدليل الهادي للإنسانية ـ كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية فى كلا اتجاهيها . في المظهر الروحي . والمظهر المادي . وإن القول بأننا مجبرون على اتباع الأوامر المتعلقة بالنوع الأول . ولكننا لسنا مجبرين على أن نتبع الأوامر المتعلقة بالنوع الثانى إنما هو نظر سطحي . وهو فوق ذلك مناهض فى روحه للإسلام . مثل الفكرة القائلة بأن بعض أوامر القرآن الكريم قد قُصِد بها العرب الذين عاصروا نزول الوحي . لا النخبة من الأكياس (الجنتلمان) الذين يعيشون فى القرن العشرين .

ـ إن هذا القول بخسٌ شديدٌ لقدر النور النبوي الذى قام به المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ـ وكما أن حياة المسلم يجب أن تقوم على التعاون التام المطلق بين ذاته الروحية وذاته

الجسدية . فإن هداية نبينا يجب أن تضم الحياة على أنها وحدة مركبة . أى على أنها مجموع أعمق المظاهر الخلقية . والعملية . والشخصية . والاجتماعية ـ وهذا هو أعمق معانى السنة ·

من كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)
للمستشرق النمسوى المسلم : محمد أسد

تعليـق التحـرير

إن محمد أسد ـ المستشرق النمسوى المسلم ـ بفضل الله تعالى خالطت بشاشته بشاشة الإسلام قلبه . وظهر ذلك فيما سطره فى كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) ·

فقد كتب فيه كلماتٍ رائعة عن السنة المطهرة . وأوردت منها ما ذكره من أن ترك السنة هو انحلال الإسلام . وأن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تمثيلًا حيًّا . وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم . فلا بد اذن من اتباعها . فى القرن العشرين كما اتبعت فى الماضى . فى الحياة الروحية والجسدية على السواء ·

وما أروع تصوير هذا المستشرق المسلم لعظمة السنة المشرفة وأهميتها للمسلم . وضرورة الأخذ بها مع القرآن الكريم . لأن الأخذ بها أخذ بالقرآن الكريم . وردها رد للقرآن الكريم . فقد جاء فيه قول الله جل وعلا : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (الحشر آية ٧) . وذلك لأن كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو وحى من الله تعالى كما قال جل شأنه : **(وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى)** (النجم آية ٣ . ٤) · وحذر تعالى من ترك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** (النور آية ٦٣) · إذ أنه بدون السنة لا يفهم ولا يُطبق كثير من أحكام الدين ·

فإلى منكري السنة المشرفة . والمعرضين عنها . والمحادين لها . نوجه هذا التحذير الإلهى الشديد . وإلى الذابين عن السنة المطهرة . نوجه الدعاء لهم بالتوفيق . ونستحثهم للجد . وعدم ترك لواء الذب عن المصدر الثانى للتشريع الإسلامي . والله معهم . ولن يترهم أعمالهم ·

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه ...

سـعد نـدا
عضـو التحـرير

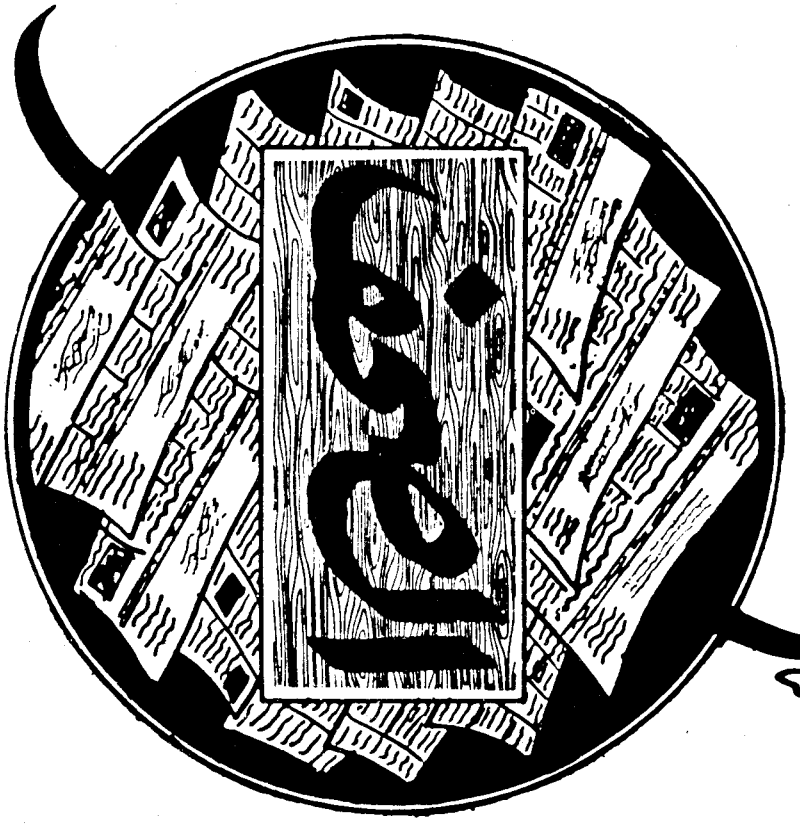

مختارات من

اعتماد مخطط جامعة أم القرى

علمت « الندوة » أنه قد اعتمد فى ميزانية هذا العام المخطط العام لجامعة أم القرى وذلك باعتماد تصاميم المخطط العام للمدينة الجامعية الذى يشتمل على جميع منشآت الجامعة من كليات حالية وحديثة وهى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية ومعهد اللغة العربية والكليات الجديدة والمراكز العلمية بالجامعة وجميع ما يستلزم الجامعة من خدمات .

« الندوة »

احدث كتاب عن الإسلام فى الأسواق الفرنسية

صدر فى باريس مؤخرا كتاب بعنوان « سحر الإسلام » وهو للكاتب الفرنسى الأشهر « مكسيم رودينسون » الذى صدر له قبل ذلك كتاب عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم أما موضوع الكتاب الذى يعتبر أحدث ما صدر عن الإسلام من كتب فى الأسواق الفرنسية : فهو تأثير الإسلام على الغرب . لاسيما فى القرن التاسع عشر . ويتناول الكاتب بالعرض والتحليل آراء مجموعة من المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام . واعتبروه « القوة الدافعة » للتقدم الإنسانى المنشود .

« المدينة »

سياسيون يابانيون يعتنقون الإسلام من بينهم وزير سابق

فى نبأ من طوكيو ان اثنى عشر سياسيا يابانيا قد اعتنقوا الإسلام بعد دراسة متأنية واطلاع واسع ومن بينهم **« محمد يوشير كوميانا »** عضو الحزب الديمقراطى والوزير السابق للبرق والبريد والهاتف **ورشيد كاكوندو** عضو الحزب الاشتراكى الديمقراطى . ومستشار العلاقات الخارجية بالمؤتمر الإسلامى اليابانى .

وعبد الملك ايتيش عضو الحزب الديمقراطى الحر . ورئيس اللجنة البرلمانية للشئون الخارجية . بالاضافة الى تسعة اعضاء اخرين بالمجلس المحلى للعاصمة اليابانية .

١٥ شخصا يشهرون إسلامهم أمس بجدة

شهدت محاكم جدة الشرعية ظهر يوم الاثنين ١٠ / ٥ اشهار اسلام ١٥ شخصا من كوريا والفلبين وتايلند وفرنسا من بينهم امرأة تعمل مربية وفرنسى يعمل خبيرا فى علوم البحار لدى سمو الأمير مشهور بن عبد العزيز ٠

وقد التقى بهم الشيخ عبد العزيز العيسى رئيس محاكم جدة الذى رحب بهم وتناقش معهم كثيرا عن الأمور الدينية عن طريق مترجم المحكمة وقد نطقوا جميعا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإيمان بالله ورسوله وأن الجنة حق والنار حق ٠

وتحدثوا أمام فضيلته عن رغبتهم وعزمهم الأكيد فى التمسك واتباع تعاليم الدين الإسلامى الحنيف عن حب ورغبة والالتزام باركانه الخمسة واتباع ما أمر الله به ورسوله واجتناب ما نهى عنه ٠

وقد عبر المسلمون الجدد « للمدينة » بعد تسجيل اعتناقهم للإسلام شرعا بأنهم سعداء ومسرورون للغاية فى هذه الساعة وان اعتناقهم للإسلام تم بعد تأثرهم كثيرا بالمسلمين فى المملكة وتمنوا ان يمن الله على اخوانهم الآخرين بالهداية الى اعتناق هذا الدين ليتذوقوا حلاوة الإيمان وينعموا بما يتوفر فى ظل الشريعة الإسلامية السمحة ٠

« المدينة ١١ / ٥ / ١٤٠١ هـ »

مخطط سوفيتى من أجل اضعاف الإسلام بالجمهوريات الإسلامية الآسيوية .. !!

تقرير خطير لمراسل وكالة الأنباء الفرنسية فى (طشقند) جاء فيه :

أن مخاوف الاتحاد السوفيتى تتضاعف بسبب الزيادة المذهلة لعدد المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية بآسية الوسطى . وهى أعلى نسبة فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى . كما ترجع الى تمسك هذه الجمهوريات بالدين الإسلامي حتى الآن وأن الاتحاد السوفيتى حاول منذ قيام الثورة الشيوعية العمل على ابادة الإسلام والمسلمين . فقد تناقص عدد المساجد من خمسة وعشرين ألف مسجد الى أربعمائة وخمسين مسجدا فقط . ابقى عليها لخداع المسلمين عن حقيقته المعادية للأديان . أما المدارس الإسلامية فهى فى طريقها الى الانقراض . وكذلك المطبوعات الإسلامية . خاصة القرآن الكريم . فهى نادرة الوجود ٠

الإسلام والتعريب جنبا الى جنب فى الجزائر

فى نبأ لصحيفة المجاهد الجزائرية : أن السيد عبد الرحمن شيبان « وزير الشئون

الدينية » قد وجه نداء قويا من أجل تقوية برامج التعليم الإسلامى فى الجزائر . وقال ان بلاده تواجه « أزمة هوية » منذ الاستقلال . لم يستطع حلها : الشعور القومى . ولا عملية التعريب . وقال : أن فكرة التعريب والإسلام قد برزتا جنبا الى جنب .. كوجهين متلازمين لحقيقة واحدة . ولكن ثمة أمثلة تظهر أن التعريب شكل غطاء للتخلى عن المضمون الإسلامى . ولا بد للتأكيد . أكثر من أى وقت مضى . أن لا مكان فى الجزائر للتعريب الخالى من الإسلام .

ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البولندية

قام أحد الأساتذة بمعهد الدراسات التابع لاكاديمية العلوم البولندية لأول مرة بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البولندية . وقد استغرقت هذه الترجمة خمسة وثلاثين عاماً . وجدير بالذكر أن المسلمين البولنديين يصل عددهم الى بضعة آلاف ينتمون الى أصول تركية وتتارية . ومعظمهم يقيم فى (**وارسو**) العاصمة . وقريتين أخريين فى منطقة (بلاى ستوك) وهم حريصون أشد الحرص على دينهم . ويقوم الامام الشيخ (**محمود طه زوق**) باصدار نشرة دورية بعنوان (الإسلام) . وبينما كان عدد مساجدهم قبل الحرب العالمية « ستة عشر مسجدا » ـ أصبح عددها الآن مسجدين فقط (!!) .

« المدينة ١٩ / ٦ / ١٤٠١ هـ »

المسلمون فى ايطاليا يشترون مقر السفارة البريطانية

يتمتع المسلمون فى أوربا وفى ايطاليا بوجه خاص بكثير من الحرية لتأدية شعائر الإسلام . خصوصا اذا قورنت هذه الحرية ببعض البلاد الآسيوية التى تحارب الإسلام والمسلمين علنا كالفلبين وبورما .. فالجاليات الإسلامية متضامنة ويعملون باخلاص فى ايطاليا . وتضمهم الجمعية الثقافية الإسلامية التابعة للمركز الإسلامى . تحت اشراف سفراء الدول الإسلامية ..

وقد نجحت جهود المركز الإسلامى فى شراء قصر عظيم كان مقرا للسفارة البريطانية لدى الفاتيكان . والقصر مكون من ثلاثة طوابق . يحيط به حديقة غناء . تبلغ مساحته (خمسة آلاف متر مربع) بمجهود سفير المملكة العربية السعودية (سعادة الأستاذ خالد ناصر التركى) الذى يبذل جهدا ملموسا فى ارساء دعائم المركز الاسلامى بايطاليا مع زملائه من سفراء الدول الاسلامية المتعاونة جزاهم الله .

« المدينة ٢٨ / ٦ / ١٤٠١ هـ »

كمبيوتر باللغة العربية

نجح علماء ومهندسو معهد الأبحاث بجامعة البترول والمعادن بالظهران بالتعاون مع اخصائيين من جامعة مونتريال الكندية فى تطوير جهاز (نهائى الكمبيوتر) يمكن الاستفادة منه فى مجال التطبيقات الادارية والمكتبية والتعليمية والعلمية ·

ويقضى هذا التطوير باستخدام اللغة العربية أو أى لغة لاتينية الأصل فى هذا الجهاز عن طريق ادخال المعلومات وتنسيقها والاستفادة منها فى البرامج والقدرات المتنوعة للكمبيوتر ·

ويتكون الجهاز النهائى للكمبيوتر من شاشة تليفزيونية ولوحة أصابع يمكن بواسطتها ادخال المعلومات بالجهاز الذى يمثل المرحلة الأولى من مشروع الكمبيوتر العربى الذى بدأ منذ عدة شهور بهدف تطوير حاسب آلى متكامل باللغة العربية للاستفادة من قدراته المتنوعة ·

ويعتبر جهاز نهائى الكمبيوتر الأول من نوعه من حيث بنائه على حسب النظام المقترح من قبل اللجنة المنبثقة عن الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس ·

« البلاغ »

لتقوية الغربيين وإضعاف المسلمين

« ولعل مما يلفت النظر أن الغرب يعمل جاهداً على زيادة النسل لا على تحديده . مع أنه هو الذي ينذر بالخطر ويساعد الدول الإسلامية على تحديد النسل · فحكومة اليونان قررت صرف مكافأة شهرية ثابتة لكل أبوين عن الطفل الثالث وما بعده . كما جاء في جريدة « كالاجار » بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٧٥ · وفي روسيا أصدر مجلس السوفيت الأعلى عام ١٩٧٢ قراراً بإهداء ميدالية فخر الأمومة إلى الأمهات المنجبات لأكبر عدد ممكن من الأطفال . كما جاء في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٧٢ · كما أنهم منعوا تداول الحبوب المانعة للحمل وأعطوا اجازات أطول للزوجة الحامل · وفي أسبانيا أهدى الجنرال فرانكو قديما جائزة الأب المثالى إلى فلاح أسبانى أنجب ٢١ طفلاً كما جاء بصحيفة الجمهورية القاهرية بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٧٣ · وألمانيا الغربية تدفع ١٠٨ دولارا للطفل الثالث و٥٤٠ للرابع · وفرنسا ودول غرب أوربا تدفع مرتباً ثابتاً ٨٣٠ دولارا لكل طفل »

« الدعوة القاهرية »

تعليق المجلـــة

هكذا يشجع الغرب شعوبه على زيادة النسل بمختلف المغريات . ولكنه لا ينفك - يبذل المستحيل لإقناع حكام المسلمين بتخفيض نسلهم ... فلم هذا التفريق بين الفريقين ؟ ولم يكون الانفجار السكاني بين المسلمين وحدهم ؟ ! ...

مخططـــات خطـــيرة

كتبت مجلة اليمامة تقول :

ان شنودة الثالث بابا النصارى في مصر اصدر كتابا يطمئن فيه الاقباط على أن مصر ستعود قبطية مثلما عادت الأندلس مسيحية بعد ثمانية قرون من الفتح الإسلامي » .

ويقتضي لذلك الاستيلاء على مصر وتحويلها الى دولة نصرانية كاملة ولتبدأ بدولة صغيرة في الوجه القبلي « جنوب مصر » ولتكن عاصمتها اسيوط مؤقتا ولا بأس أن تتحول مصر الى لبنان أخرى أو فلبين مادام النصارى سيجدون تأييدا من امريكا بالذات وخاصة وان شنودة الثالث استقبل هناك استقبال رؤساء الدول تماما » .

تعليـــق المجلـــة : لا ندري من أين استقت اليمامة هذا الخبر وإن كانت القرائن القائمة في مصر كافية للتوكيد على أن مثل هذا المخطط الشيطاني ليس بعيد اً عن تفكير البا با شنودة ، الذي سبق أن نشرت مجلة الجامعة الإسلامية خلاصة وافية عنْ تقريره الذي ألقاه في اجتماع كنسي مغلق ، وفيه يحض أتباعه على الاكثار من النسل ، والعمل الجاد للاستيلاء على زمام السلطة في مصر كلها ، مبشراً اياهم بالعون الموعود من أميركة واسرائيل .

ولكن .. بقي أن تتنبه الحكومة المصرية إلى هذه المؤامرات بقوة وحزم لتفوت على أعداء مصر والإسلام أغراضهم الخبيثة .

محمد المجذوب

عضو التحرير

الاقتصاد الإسلامى

عقد المؤتمر العلمى الثامن للجمعية المصرية للإدارة المالية فى الفترة من ١٤ ـ ١٦ ابريل سنة ١٩٨١ بفندق السلام ، واستغرقت أعماله خمس جلسات متصلة ، حضرها نائب رئيس الوزراء للشئون المالية ووزير المالية والاقتصاد ووزير الأوقاف ونقيب التجار وحشد كبير من وكلاء الوزارات ورؤساء الهيئات والمؤسسات والشركات وأساتذة الجامعات · لمناقشة موضوع (العدالة الاجتماعية فى ضوء السياسات المالية والاقتصادية ·· فى مصر) ·

وكانت أولى توصيات المؤتمر بالنص التالى :

(أن النظام الإسلامى وهو يوائم بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع فى مجالات الحرية والعمل والتملك والتوزيع ·· نظام متكامل يضع أساس المجتمع بكل مقوماته الاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم فان تحقيق التوازن الاجتماعى بين الفرد والمجموع من ناحية ، وبين الأفراد من ناحية أخرى يحقق التكامل الاجتماعى ومن ثم العدالة الاجتماعية بتحقيق حد الكفاية للإنسان والذى لا يقتصر على كفالة الضروريات وانما يمتد ليشمل طيبات الحياة الأخرى ·

ان مرونة النظام الإسلامى وواقعيته وشموله تجعله نموذجا انمائيا شاملا قابلا للتطبيق فى كل زمان ومكان ·· وفى مصر يتطلب الأمر تهيئة المجتمع تشريعيا للأخذ بهذا النموذج ، وكفالة تطبيقه تطبيقا كاملا أمينا) ·

محنة الاسـلام في أندونيسية

قرر وزير التربية الأندونيسى توزيع ٧٦ كتابا نصرانياً ضمن مشروع المكتبات الصغيرة للمدارس المتوسطة ·· وعندما سئل الوزير عن سبب عدم وضعه كتابا اسلامياً واحداً في هذه المكتبات · أجاب بأن هذه هى الطريقة الأمريكية ·

وفي خبر آخر قدمه يوسف هاشم أحد أعضاء البرلمان من حزب الاتحاد الاسلامى بأن ٤٢ شخصاً حكمت عليهم الحكومة الأندونيسية بالاعدام في جاوى الشرقية بتهمة تعاطى السحر ·· جميعهم من الذين يعلمون القرآن أطفال المسلمين في المساجد والمدارس ·

« النور المغربيـة »

أحداث العالم الإسلامي

منقور

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم

«ملخص لبحث قدم للمؤتمر السادس للجامعة الإسلامية لعموم الهند - حيدر أباد: ربيع الآخر ١٤٠١هـ»

للدكتور محي الدين الألوائي
بالجامعة الإسلامية

إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة إسلامية تتميز بميزات لم تجتمع لمؤسسة أخرى على وجه الأرض حتى الآن، فقد اجتمع لها إلى سمو الهدف وعالمية الغاية شرف المكان حيث تقوم في مهبط الوحي ودار الهجرة وعاصمة الاسلام الأولى. ويفد إليها أبناء العالم الإسلامي من كل فج عميق للاغتراف من مناهلها الفياضة كما توفد الدعاة والعلماء المتخصصين من العلوم الإسلامية واللغة العربية إلى بلاد عديدة.

ومما زادها مهابة وساعدها على قفزات إلى الأمام في سبيل تحقيق أهدافها النبيلة أن رئيسها الفخري هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ورئيسها الأعلى صاحب السمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد. وأما المجلس الأعلى للجامعة فيتألف من كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي من مختلف أنحاء العالم.

وفي هذه المناسبة التي تحتفل فيها الجماعة الإسلامية ـ التي هي إحدى المؤسسات الإسلامية الكبرى في هذا العصر، أرى من المناسب أن نقوم بتطواف سريع حول «الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة التي لها علاقات عديدة ووطيدة بالجامعات والمعاهد والمؤسسات الإسلامية في الهند وعلمائها، وتستقبل كل عام طلابا جددا من أبنائها، كما توفد إليها وفودها الخاصة حينا فآخر لتعرف أحوال المسلمين فيها واحتياجاتهم.

أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦١ م لأبناء العالم الإسلامي كله ليتفقهوا فى دين الله ويتضلعوا في علوم الشريعة واللغة العربية ثم يعودوا إلى بلادهم حاملين مشاعل الهدى يدعون الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله . وينقلون إليهم نور العلم والعرفان . ومنذ إنشائها تلقى عناية خاصة من حكومة المملكة العربية السعودية نظرا لعالميتها وشمول نفعها وشرف مكانها · وتتدرج الجامعة منذ إنشائها فى مجال التقدم والازدهار كأكبر مصدر للإشعاع الروحي وأزهى مشعل للهداية ·

ويمكن تلخيص الأهداف التي حددها نظام الجامعة فيما يلى :

أولا ـ تعليم الطلاب الذين يفدون إليها من شتى أنحاء العالم اللغة العربية والعلوم الإسلامية متزودين من سائر العلوم والمعارف التي تؤهلهم للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام وتنوير المسلمين فى شئون دينهم ودنياهم على هدى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح ·

وثانيا ـ نشر رسالة الإسلام بين الشعوب المختلفة وغرس روح الدين بين الأفراد والجماعات وتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء فى حياة الفرد والجماعة وتعميق هذه الروح بكل الوسائل الممكنة ·

وثالثا ـ إعداد الدعاة المخلصين فى مجال تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم من طريق الدعوة والتعليم والإرشاد والقدوة الحسنة ·

وأنشئت فى الجامعة كلية خاصة باسم كلية الدعوة وأصول الدين لتحقيق هذا الهدف المنشود على وجه أتم وصورة أشمل ·

ورابعا ـ تجميع التراث الإسلامى والعناية بتحقيقه ونشره · ولهذا الغرض تهتم الجامعة بإقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات العلمية فى مختلف بلدان العالم ·

وخامسا ـ القيام بإعداد البحوث العلمية فى مجالات العلوم الإسلامية والعربية بصفة خاصة وسائر العلوم والمعارف التى يحتاج إليها المجتمع الإسلامي بصفة عامة ونشرها وترجمتها . حتى تعم الفائدة وينتشر الانتفاع بها · وبفضل هذه الأهداف التى تعمل الجامعة من أجلها منذ إنشائها قد صارت فعلًا مؤسسة إسلامية عالمية متكاملة من حيث الغاية والتطبيق العملي وإلى جانب الكليات والمعاهد ومجالسها الخاصة أنشئت فى الجامعة الإسلامية مجالس

متخصصة عديدة ومنها : مجلس شئون الدعوة الإسلامية ويتبعه مركز شئون الدعوة . والمجلس العلمي وتتبعه إدارة البحث العلمي . ومجلس شئون المكتبات ·

وتوفد الجامعة وفودا الى مختلف البلاد لزيارة المكتبات العلمية والتاريخية فيها وتتبع المخطوطات فيها وتصويرها وتجميع فهارسها والتزويد بها مكتبة الجامعة المركزية وفى العطلة الصيفية الماضية أوفدت الجامعة وفدا الى الهند لهذا الغرض . وفى هذا العام أيضا يقوم وفد يتألف من عدد من أساتذة الجامعة وطلابها بزيارة للهند لمشاهدة معالمها وآثارها الإسلامية وتوطيد أواصر التعاون والتفاهم مع المراكز الثقافية ودور العلم فى أنحائها ·

وفيما يلى جولة سريعة حول كليات الجامعة الإسلامية ومعاهدها المختلفة :

١ ـ كلية الشريعة : وهى تعتني بدراسة الفقه وأصوله مع دراسات من التفسير والحديث والتوحيد وفقه اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والأديان والفرق والمذاهب ·

٢ ـ كلية الدعوة وأصول الدين : وتهتم بدراسة التوحيد والتفسير والحديث وبصفة خاصة طرق الدعوة الإسلامية الى جانب العلوم الاجتماعية والديانات والمذاهب والفرق والملل والنحل ·

٣ ـ كلية القرآن : وتوجه عناية خاصة نحو دراسة علوم القرآن الكريم والقراءات والتفسير وإعجاز القرآن . إلى جانب دراسات التوحيد والفقه والحديث ومناهج البحث العلمي ·

٤ ـ كلية اللغة العربية : وهى تعنى بدراسة علوم اللغة العربية والتاريخ وطرق البحث العلمي إلى جانب سائر العلوم الإسلامية ·

٥ ـ كلية الحديث : وهى تقوم بتدريس علوم السنة النبوية والإسلام والمذاهب المعاصرة . وطرق الدعوة والتدريس . وحاضر العالم الإسلامي إلى جانب دراسات فى التوحيد والتفسير وأصول الفقه . واللغة العربية . ونظام الإسلام والأديان والفرق والمذاهب ·

ومدة الدراسة بكليات الجامعة الإسلامية أربع سنوات ويحصل المتخرج فيها على الشهادة العالية أى الليسانس ·

٦ ـ قسم الدراسات العليا : وهو قسم مستقل عن الكليات ـ ويمنح القسم درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه . وفيه الآن أربع شعب هى : شعب التفسير . وشعبة السنة النبوية . وشعبة أصول الفقه . وشعبة الفقه ·

٧ ـ شعبة اللغة العربية لغير العرب وتعنى بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية للطلاب الوافدين إلى الجامعة الذين لا يتكلمون اللغة العربية أو لا يجيدونها حتى يتمكنوا من الدراسة والتخاطب بها . وبعد نجاح الطالب فيها يلحق بالمرحلة الدراسية المناسبة حسب مؤهلاته العلمية . وتعتبر هذه الشعبة من أهم شعب الجامعة من حيث الغاية ودورها في تعليم اللغة وعلومها لغير الناطقين بها . ومدة الدراسة فيها الآن سنتان .

٨ ـ المعهد الثانوى : ويعنى بالدراسات الإسلامية والعربية . ويلتحق به الحاصلون على شهادة المرحلة المتوسطة (الإعدادي) أو ما يعادلها . ويحصل الطالب منه الشهادة الثانوية . ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

٩ ـ معهد الدراسة المتوسطة : ويحصل الطالب منه على شهادة المرحلة المتوسطة (الإعدادي) ويعنى أيضا بالدراسات الإسلامية والعربية . ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

١٠ ـ دار الحديث : وكانت مدرسة أهلية مستقلة وضُمت الى الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٤ هـ . وتوجد بمكة المكرمة أيضا دار مماثلة تابعة للجامعة تتفق مع دار الحديث المدنية . فى المناهج والخطط الدراسية .

ويبلغ مجموع طلبة الجامعة فى الوقت الحاضر حوالي ٦ آلاف (٦٠٠٠) طالب من مائة دولة من مختلف قارات العالم . (أما عدد الطلاب الهنود فيها الآن فيزيد عن مائة وخمسين طالباً) . وهم موزعون بين مختلف المعاهد والكليات وقسم الدراسات العليا . ويحصل الطالب على منحة دراسية شهرية طوال العام . وفضلا عن المكافأة الشهرية يتمتع طالب الجامعة بالامتيازات التالية :

١ ـ استقدام الطالب من بلده جوًّا على حساب الجامعة عند قبوله بها وترحيله عند تخرجه .

٢ ـ ترحيل الطلاب فى العطلة الصيفية الى بلادهم ذهابا وايابا على حساب الجامعة كل عام تيسيرا لالتقاء الطالب بأهله وقومه .

٣ ـ تأمين السكن المؤثث دون مقابل للطلاب من داخل الحرم الجامعى أو خارجه .

٤ ـ تقديم وجبات الطعام عن طريق « مطعم الجامعة » مقابل اشتراك رمزي ·

٥ ـ تأمين جميع الكتب الدراسية المقررة لكل طالب بالمجان ·

٦ ـ تأمين المواصلات بسيارات الجامعة (بين مقر الجامعة والمدينة المنورة) صباحا للحضور إلى الدراسة . وعند انتهائها وفى المساء وفى أيام العطل للصلاة بالمسجد النبوى الشريف ·

٧ ـ صرف ١٠٠٠ (ألف ريال) لكل طالب ينجح بتقدير ممتاز . من جميع سنوات الدراسة بكليات الجامعة ·

٨ ـ أنشئت فى الجامعة إدارة لشئون الإشراف والتوجيه الاجتماعي تعنى بتوفير الرعاية للطلاب فى حياتهم السكنية والدراسية ومعاونتهم على حل مشكلاتهم وتنمية علاقات الاخوة والمودة والتعاون فيما بينهم · وان الجامعة الإسلامية الآن مظهر من أهم مظاهر وحدة المسلمين فاذا زرت كليات الجامعة ومعاهدها ومهاجعها تجد ملامح هذه الوحدة كأروع ما يكون حيث ترى الطلاب من مختلف الاجناس واللغات والألوان والأوطان يعيشون تحت راية الإسلام وحظيرة العلم وشعارهم : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ورايتهم : العلم رحم بين أهله ·

٩ ـ يتبع الجامعة صندوق خاص لمعاونة الطلاب على مواجهة ظروف الحاجة الطارئة بتقديم المساعدات المالية ·

١٠ ـ تؤمن الجامعة الخدمات الطبية لجميع طلابها وأساتذتها وموظفيها مع صرف الأدوية مجانا ·

وأما مستوصف الجامعة فيعمل صباحا ومساء تحت إشراف نخبة من الأطباء والإخصائيين ·

١١ ـ تتبع الجامعة دار للطلبة بجدة لاستقبال الطلاب الوافدين والمرتحلين يسكنون فيها حتى تنتهى معاملتهم ويغادرون جدة الى المدينة المنورة أو إلى بلادهم كما تقوم بمعاونتهم وتيسير إجراءات سفرهم ·

وتصدر الجامعة مجلة إسلامية علمية باسم « مجلة الجامعة الإسلامية » وترسل بدون مقابل إلى الهيئات والمؤسسات العلمية والإسلامية فى أنحاء العالم الإسلامي ·

وتنظم الجامعة أيضا موسما ثقافيا يلقى فيه أساتذة الجامعة محاضرات فى شتى الموضوعات العلمية الهامة ·

مجالس الجامعـــة :

١ ـ المجلس الأعلى للجامعة : وهو يتألف برئاسة الرئيس الأعلى للجامعة وعضوية رئيس الجامعة ونائبه والأمين العام للجامعة ورئيس ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ووكيل وزارة المعارف ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة وأحد العمداء وثلاثة عشر عضوا من كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي ومديري الجامعات وأساتذتها . على أن يكون من بينهم عشرة أعضاء من خارج المملكة يمثلون مختلف المناطق الإسلامية فى العالم ·

٢ ـ مجلس شئون الدعوة الإسلامية ويتبعه مركز شئون الدعوة الإسلامية ولجنة التأليف والترجمة ·

٣ ـ المجلس العلمي وتتبعه ادارة المجلس العلمي ·

٤ ـ مجلس شئون المكتبات وتتبعه المكتبة المركزية ومكتبات الكليات · وتضم هذه المكتبات مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع العلمية فى مختلف فروع المعرفة · وتعمل المكتبة المركزية على جَمْع المخطوطات الإسلامية وتصويرها من شتى أنحاء العالم · ويوجد فيها قسم لتصوير المخطوطات والكتب النادرة وكذلك قسم آخر للكتب فى اللغات الأجنبية ·

أخبـــار الجامعـــة

نائب رئيس الجامعة الإسلامية في لقاء مع المسلمين في أقطار مختلفة من العالم بين الشرق والغرب

قام فضيلة الدكتور عبد الله الزائد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بجولة إسلامية طويلة استغرقت أكثر من شهر ، وبرفقته فضيلة الشيخ / عمر محمد فلاتة الأمين العام للجامعة وشملت كثيرا من أقطار العالم في الشرق والغرب ·

وقد صرح فضيلته بأن هذه الجولة كانت رحلة استطلاعية للتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم من جهة ، ولزيارة بعض خريجي الجامعة الإسلامية في مواقع عملهم ، وكانت استجابة لرغبات كثير من الجامعات والجمعيات والجماعات الإسلامية في هذه الأقطار من جهة أخرى ، وقد شملت هذه الجولة كلا من البرازيل والأرجنتين وألمانيا وبعض الولايات في أمريكا الشمالية ثم الهند وبنجلاديش وباكستان ونيبال ·

وقد التقى فضيلته بكثير من جماعات المسلمين في كل هذه الأقطار حيث شارك في عقد الندوات الإسلامية في المركز الإسلامي وفي الجمعية الإسلامية بمدينة برازيليا عاصمة البرازيل · كما زار المركز الإسلامي في كل من الأرجنتين وواشنطن ومركز وارث الدين آية اليجا · إلى جانب لقاءات إسلامية لفضيلته في جامعة متيشجان الأمريكية وفي مركز اتحاد الطلبة المسلمين والوقف الإسلامي في مدينة إنديانا وفي جامعة بلومونكتون وفلادليفيا ·

وفي تحقيقات صحفية أجرتها مع فضيلته بعض الصحف المحلية مثل جريدة عكاظ وجريدة البلاد وجريدة الجزيرة وجريدة المدينة ، أشاد فضيلته بنشاط الجماعات الإسلامية العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية وقوة فعاليتها وتأثيرها في مجال الدعوة الإسلامية ، وعلل فضيلته ذلك بما تتمتع به من حرية في مجال ممارسة الشعائر الدينية والقيام بالدعوة الإسلامية ، وأيضا ما تتمتع به الجاليات الإسلامية في كل من أمريكا وبعض دول أوربا من مستوى ثقافي واجتماعي رفيع يجعلها في مركز حيوى وفعال وتصبح معه قادرة على النهوض

بأعباء الدعوة إلى الإسلام وتعريف العالم بسماحة هذا الدين العظيم القادر على تحقيق سعادة المجتمعات البشرية وتحقيق تقدمها وانتشار العدل والمساواة بين الناس ·

ودعا فضيلته كل المسلمين الى القيام بواجبهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان والاهتمام بأحوالهم عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) وأوضح أن واجب الدول الإسلامية هو العناية بتعريف الأقليات الإسلامية بالعقيدة الصحيحة وبسماحة الشريعة الإسلامية السمحاء . ولاسيما وأن الدول الاستعمارية والإلحادية تساعد ـ في غير مواربة ولا خفاء ولا استحياء ـ أصحاب الديانات الباطلة والمذاهب الفاسدة بلا حدود ·

وفي منطقة الشرق الإسلامي شارك فضيلته في احتفالات مؤتمر الجماعة الإسلامية في مدينة حيدر آباد . كما افتتح الموسم الثقافي الذى أقامته الجامعة السلفية ببنارس . كما أنه قام بزيارة لجمهورية بنجلاديش اطلع خلالها على المدارس والجمعيات الإسلامية القائمة هناك وعلى أحوال القائمين عليها كما التقى ببعض الدعاة من خريجى الجامعة الإسلامية . وأكد فضيلته أن الجامعة الإسلامية ستجعل من اهتماماتها في المستقبل تلبية الاحتياجات العلمية والتطبيقية للأقليات الإسلامية التى يضيق عليها في فرص العمل مما يوجب تكوين ذوي الخبرات العملية والمهنية ··

وقائع الدورة الحادية عشر للمجلس الأعلى ·

عقد المجلس الأعلى اجتماعاته للدورة الحادية عشرة التي بدأت صباح يوم السبت الموافق ٢٢ / ٦ / ١٤٠١ هـ . ونيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة ترأس معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن آل الشيخ أعمال المجلس الأعلى في هذه الدورة ·

وقد بدأت الجلسة الافتتاحية بتلاوة من آيات الذكر الحكيم . وقدم فضيلة الشيخ عمر محمد فلاتة الأمين العام للجامعة لأعمال هذه الدورة بكلمة ترحيب بمعالي الوزير وأصحاب السماحة والفضيلة الأعضاء . ثم ألقى معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي كلمة نيابة عن سمو ولي العهد ··

كلمة معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن آل الشيخ في المجلس الأعلى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الدين ، وبعـــد :

فيسعدنى ويشرفنى أن أشارك في افتتاح هذه الدورة للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية نيابة عن صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء الذى كان شديد الحرص على حضور هذه الدورة وترؤسها لولا ما تعلمون ونعلم من التزاماته ومسئولياته أعانه الله ووفقه .

والجامعة الإسلامية أيها الإخوة حينما أقدمت المملكة العربية السعودية على إنشائها بوحى من شعورها بمسئوليتها العظمى عن دعوة الإسلام وعن كل مسلم يؤمن بالله ، ويتجه إليه فى صلاته وتلاوته إنما كانت بما فعلت تمارس واجبها المتعين ، ورسالتها الكبرى .. وجدت فيما وجدت حربا شرسة لا تعرف الهدوء ضد رسالة الإسلام فى الأرض ، وزيفا وضلالا يأخذ بالمسالك ويعرقل المساعى ، وظلما لا حد له ينزله أعداء الله والمسلمين فى كل مكان ـ لا لذنب إلا لأنهم قالوا آمنا بالله .. وجموع تنتشر فى كل مكان تنتسب إلى الإسلام لكنها تجهل حقائقه وتدخل عليه ما ليس منه .. وجهود مجرمة حاقدة تعمل على تفريق شمل المسلمين ، وحرمانهم من أدنى حقوقهم وإبعادهم عما هم بحاجة إليه .. وهال ولاة الأمر فى هذه البلاد التى قدسها الله وشرفها ـ هالهم ما وجدوا وما سمعوا وما شاهدوا .. فكانت الفكرة الرائعة الموفقة بإذن الله ، وبدأت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مسيرتها .. وفتحت ذراعيها للمئات من شباب الإسلام ليتفقهوا فى دينهم ، ويستزيدوا من نوره وإشراقه .. ثم دفعت بهم من حيث أتوا ليمارسوا دورهم الطليعى فى شرح دين الله والدعوة إليه ، والدفاع عنه .. ولم تكتف المملكة بما فعلت لكنها أخذت على عاتقها عون بعض الدعاة ممن أكملوا دراستهم ليستطيعوا الاهتمام والتفرغ لنقل ما علموا إلى من لم يعلم .. وأخذت على عاتقها مع ذلك دعم هذه الجامعة ، وتدعيم جهازيها الإدارى والعلمى ، وتمكينها من تحقيق المزيد من الانطلاقة المرجوة لها ومنها .. وولاة الأمر فى ذلك إنما ينطلقون من دورهم الطبيعى كأنصار لدين الله ، ومن مركز القيادة الإسلامية التى منحها الله لهذه الديار يوم أن اختارها موضعا لبيته ، ومثوى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه .. ولن تتردد المملكة عن موالاة تأييدها ودعمها لهذه الجامعة الفريدة من نوعها لكنها تؤمل أن يعى الدارسون بها دورها ودورهم .. وأن يستشعروا عمق مسئولياتهم ، وضراوة الحرب التى تواجههم ، والوسيلة التى تدنيهم من أهدافهم ، جاعلين من

الحكمة والبصيرة والموعظة الحسنة سبيلهم فى دعوتهم اقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام . وسعيا وراء إبلاغ ما يدعون إليه .. ومرحبا بالأخوة أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس الأعلى للجامعة وبكل العاملين بها . ودعاء إلى الله أن يجزل مثوبته لكل من عمل فى سبيله .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

كلمة فضيلة الدكتور عبد الله الزايد
نائب رئيس الجامعة في المجلس الأعلى

الحمد لله . نحمده ونستعينه . ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزعات الشياطين . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له . ونصلى ونسلم على محمد عبد الله ورسوله نبينا وإمامنا خاتم الأنبياء والمرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه . ومن اهتدى بهديه واقتدى بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

صاحب المعالي وزير التعليم العالي

الرئيس المناب للدورة الحادية عشرة للمجلس الأعلى للجامعة .

أصحاب السماحة والمعالي

أصحاب الفضيلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أما بعد :

فانى أرحب بكم فى بداية أعمال هذه الدورة الحادية عشرة للمجلس الأعلى . وادعو الله عز وجل أن يوفق خطانا على طريق الحق والهدى إلى ما يحبه ويرضاه . وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم .

وأنه لمن الموافقات الطيبة أن تنعقد هذه الدورة فى الوقت الذى تجددت فيه آمال المسلمين فى البعث الإسلامي الجديد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى . ومع صدور قرارات مؤتمر القمة الإسلامى الثالث الذى انعقد فى بيت الله الحرام بمكة المكرمة . تلك القرارات التى اعتبرها العالم خطوات إيجابية نحو تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة ولتمكين المسلمين من الوقوف بعزة وقوة أمام التحديات العالمية حتى يعودوا قوة فعالة ومؤثرة فى مصير العالم وقضاياه .

إن تجدد هذه الآمال فى تحقيق وحدة المسلمين لتزداد معها حاجتهم إلى العلم والعمل بالإسلام عقيدة وشريعة وآدابا ، وأخلاقا ، وإنه مع حاجة الناس إلى العلم بالإسلام تزداد الحاجة إلى تدعيم هذه الجامعة الإسلامية ومثيلاتها فى العالم ، وهذا يضاعف مسؤوليات المسئولين عن إدارة هذه الجامعة ويفرض عليهم أنَ يبذلوا كل جهودهم وطاقاتهم ليجعلوا من هذه الجامعة أداة فعالة لتقديم الإسلام إلى الناس فى كل مكان ، ويفرض عليهم السعي الدائب الحثيث ـ إلى تطوير أساليبها ، وطرقها فى الإدارة والنظم وفى التربية والتعليم والتوجيه حتى تتمكن من تخريج الدعاة والقضاة والمربين القادرين على تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة فى كل مكان ·

وان الجامعة الإسلامية ـ وهى تستمد من الله عز وجل القوة والعون على أداء رسالتها السامية ـ لتحمده سبحانه وتعالى أن قيض لهذه البلاد قادتها الساهرين على رعاية الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن الجامعة لتجد من صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز حفظه الله ، ومن ولى عهده صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية ، ومن النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز ومن حكومة صاحب الجلالة الملك كل دعم مادى ومعنوى يمكنها من السير قدما فى العمل على كل ما من شأنه الوفاء بآمال المسلمين وتطلعاتهم نحو هذه الجامعة التى هى بحق جامعة كل المسلمين ـ كما قال صاحب السمو الملكى الأمير فهد فى كلمته التى ألقاها سموه فى الدورة السابقة للمجلس ·

ولقد لمست فى الجولة التى قمت بها فى كثير من أنحاء العالم فى الشهر الماضى ومن خلال اللقاءات التى تمت مع كل العاملين فى ميدان العمل الإسلامى للأقليات الإسلامية وللدول الإسلامية أن للمسلمين فى كل مكان آمالا جساما فى المملكة العربية السعودية ، وأن الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة هى أحد المعالم البارزة التى أقامتها حكومة جلالة الملك لتجسد هذه الآمال إلى واقع ملموس وحقيقة ماثلة للعيان ، وهذا ما يضاعف قوة إحساسنا بالمسئولية نحو هؤلاء المسلمين الذين تشتد حاجتهم إلى من يجلى لهم أصول الدين الإسلامى الحنيف ويضع أيديهم على مصادره ومنابعه ، ويوضح للناس كافة قدرة الإسلام على قيادة الحياة الإنسانية وريادتها إلى حاضر أحسن ومستقبل أسعد ·

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة أعضاء المجلس الأعلى :

إن الجامعة لكبيرة الأمل فى أن تستفيد من خبراتكم المتنوعة فى مجال التربية والتعليم الجامعى والإدارة ، وفى مجال الدعوة الإسلامية وفى مجال تحويل المبادىء السامية إلى سلوك عملى ، وإنه ليطيب لنا القول بأن آراءكم السديدة ان شاء الله التى ستقدمونها فى هذه الدورة كما قدمتموها فى الدورات السابقة ستكون لنا بمثابة المصابيح الكاشفة المضيئة أمامنا لكل قرار من شأنه ان يقدم خدمة ونفعا لأبناء المسلمين ، وإننا لعلى يقين بأن مناقشاتكم فى هذه الدورة ستثرى أعمال المجلس الأعلى وستقدم أفكارا بناءة ورائدة ستوضع فى الاعتبار عند كل تطور منشود إن شاء الله تعالى ، وإن الجامعة لَتَتَقَدَّم إليكم بمشروعاتها ومرئياتها للمستقبل وهى تتطلع بالأمل فى الله أن تتجسد طموحاتها إلى واقع حى ، وهى واثقة أنكم لن تضنوا عليها بجهد ، ولن تحول مشاغلكم الكبيرة ، ومسئولياتكم الجسيمة فى ميادين أعمالكم دون بذل أقصى الطاقة فى سبيل التعاون مع الجامعة نهوضا بها لأداء مهامها ، وارتقاء دائبا الى الأفضل والأحسن إن شاء الله .

واننا لا نستطيع ان نوفى لكم واجب الشكر والعرفان على ما تقدمونه للجامعة من خدمات وما تبذلونه فى سبيلها من جهود وعلى ما تلاقونه فى السفر والارتحال من متاعب ومشاق ونضرع الى الله أن يجزل ثوابكم ويحسن جزاءكم ، فهو وحده القدير على أن يوفيكم جزاء أعمالكم وجهودكم فى سبيله .

وفى ختام كلمتى أتوجه باسمكم بالتحية والتقدير لصاحب المعالى الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالى والرئيس الأعلى للجامعات الذى شرفنا بحضوره ، وبرئاسة هذه الدورة نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية حفظه الله .

وأستأذنكم أن يرفع المجلس باسمكم التحية والتقدير إلى كل من جلالة الملك وولى عهده الأمير فهد والنائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء والى الحكومة الرشيدة لما يقدمونه للجامعة من تدعيم يمكنها من أداء رسالتها التى قامت من أجلها وهى تبليغ رسالة الإسلام .

وإنى لأتوجه بالتحية والتقدير والشكر لسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد على ما يوليه للجامعة الإسلامية من اهتمام ورعاية ، وعلى ما يمدها به من إرشاد وتوجيه له عظيم الأثر فيما تقوم به من مهام وما تضطلع به من مسئوليات .

وأخيرا وليس آخرا أدعو لكم بالتوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

ثم ألقى فضيلة الدكتور محمد أديب الصالح كلمة الأعضاء .

وبعد إلقاء هذه الكلمات أغلقت الجلسات واستمرت صباحية ومسائية خلال يومي السبت والأحد ٢٢ ، ٢٣ / ٦ / ١٤٠١ هـ ، وفى الجلسة الختامية لأعمال هذه الدورة ألقى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كلمة جامعة نصحا لعلماء المسلمين وقادتهم وعامتهم وطلاب العلم والدعاة .

كما ألقى فضيلة الدكتور الزايد كلمة بهذه المناسبة شكر فيها الأعضاء على ما أبدوه من آراء وأفكار وما قاموا به من جهود فى أعمال هذه الدورة .

قرارات وتوصيات المجلس الأعلى فى الدورة الحادية عشرة

وفى الجلسة الختامية أعلنت أهم القرارات والتوصيات التي اتخذها المجلس فى هذه الدورة منها :

١) الموافقة على لائحة الابتعاث للدراسة خارج المملكة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه فى التخصصات التى لا توجد فى جامعات المملكة .

٢) كما قرر المجلس تعديل بعض مواد اللائحة التنفيذية للجامعة لإعطاء بعض الصلاحيات لعمادة شئون الطلاب .

٣) كما نظر المجلس التقرير السنوى للجامعة للعام ٩٩ / ١٤٠٠ هـ ، ومشروع ميزانية الجامعة للعام المالى القادم ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ وأقر ما جاء فيهما .

٤) كما وافق على مساعدة بعض الطلاب المتفوقين الذين يدرسون في جامعات المملكة ، ولا تسمح ظروفهم بالبعد عن ذويهم .

٥) كما وافق المجلس على تعيين الدكتور أحمد الحاج على الأزرق الأستاذ المشارك بكلية الشريعة عضوا بمجلس الجامعة لمدة سنتين قابلة للتجديد لمرة واحدة .

أخبار الدراسات العليا

تعتبر الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية ـ وفى كل جامعة ـ إحدى الغايات الرئيسية التى يهدف إليها التعليم العالي ، ذلك أنها تضع خريج الجامعة على عتبة البحث العلمي الصحيح ثم إذا اجتاز هذه المرحلة من مراحل الدراسة والبحث استطاع أن يرقى صعدا وإلى الأمام دائما . وحينئذ يكون قادرا على التوجيه والإرشاد ، ويكون قادرا على حمل

الأمانة ، والمسئولية في توجيه الآخرين توجيها صحيحا و بمقدار ما تقدم الجامعات من خريجي الدراسات العليا يكون عطاؤها لحركة البحث العلمي ، ويكون نفعها لعملية تطوير المجتمعات وتقدم الأمم ·

والدراسات العليا في الجامعة الإسلامية كثيرة العطاء ، متجددة البذل ، فقد حفلت الأشهر الخمسة الأولى من العام الهجرى الجديد بمجموعة من رسائل الماجستير وقد بلغ عددها اثنتي عشرة رسالة ·

مـن النشـاط الثقافي

النـدوات والمحاضـرات

حفل الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ بالعديد من ألوان المعرفة والثقافة على مختلف المستويات سواء فيما يتصل بنشاط الكليات والمعاهد والدور أو فيما نظمته وأشرفت عليه عمادة شئون الطلاب بالتعاون مع بقية أقسام الجامعة ·

أ ـ النـدوات

وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامى الثالث الذى انعقد بمكة فى شهر ربيع الأول ١٤٠١ هـ نظمت الجامعة الإسلامية ندوتين حول موضوع المؤتمر ومضمونه :

أولاهمـا : ندوة عن حاضر المسلمين ومستقبلهم : شارك فيها صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة ومعالى الدكتور / عبد الله ابن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية · وصاحب الفضيلة الشيخ / عبد الله الزاحم مساعد رئيس المحاكم الشرعية بمنطقة المدينة المنورة ·

وأدار الندوة والحوار صاحب الفضيلة الدكتور / عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية وقد عقدت هذه الندوة يوم ١٩ ، ٢٠ / ٣ / ١٤٠١ هـ ·

ثانيتهما : ندوة موضوعها التضامن الإسلامي : شارك فيها كل من فضيلة الشيخ عطية محمد سالم القاضى بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة وسعادة الشيخ عبد العزيز الربيع مدير التعليم بمنطقة المدينة المنورة والشيخ محمد المجذوب المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين وقد أدار الندوة والحوار فضيلة الشيخ عبد الله أحمد قادرى عميد كلية اللغة العربية وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢١ / ٣ / ١٤٠١ هـ ·

ب ـ المحاضـــرات

وقد زخر الموسم الثقافي بكثير من المحاضرات الدينية والثقافية والعلمية القيمة ومنها :

١ ـ **تجديد الدين :** محاضرة يوم ٢٥ / ١ / ١٤٠١ هـ . ألقاها الدكتور / جعفر شيخ إدريس الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية « مركز البحوث » .

٢ ـ **الاتجاهات الفكرية بين قرنين :** محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ / مناع خليل قطان مدير قسم الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٣ ـ **تطلعات الى المستقبل فى مستهل القرن الهجرى الجديد :** محاضرة ألقاها الأستاذ / محمد قطب الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وذلك يوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٤٠١ هـ .

٤ ـ **الزواج وأثره فى الإسلام :** محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ / صالح العلي الناصر رئيس قسم الفقه بجامعة الإمام وذلك يوم الأربعاء ٢٦ / ٤ / ١٤٠١ هـ .

٥ ـ **اللحم الحـــرام :** بحث علمى يتجلى فيه بعض مظاهر حكمة الله فى تحريم اللحم الحرام . محاضرة علمية قيمة ألقاها سعادة الدكتور / عبد الحافظ حلمى أستاذ علم الحيوان في جامعة الكويت وذلك مساء يوم الأربعاء ١٤٠١/٣/٢٢ هـ .

٦ ـ **واجب الشباب المسلم :** المحاضرة الدينية الرائعة التى ألقاها سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث والافتاء والدعوة والإرشاد . وذلك مساء الثلاثاء ٢٥ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

٧ ـ **الإسلام بين الجاهليتين :** موضوع المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / أبو زيد محمد حمزة أحد الدعاة البارزين فى السودان وذلك يوم الإثنين ٣٠ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

٨ ـ **أمتنا وآفـاق المسئولية :** محاضرة لفضيلة الشيخ / عمر عودة الخطيب رئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك يوم الأربعاء ٢٨ / ٤ / ١٤٠١ هـ .

٩ ـ **القرآن بين الدراسة والتطبيق** : موضوع المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / محمد الـراوى رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك مساء يوم الأربعاء ٢٦ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

١٠ ـ **التكامل الاجتماعي الإسلامي** : محاضرة الدكتور / أحمد الأزرق الأستاذ بكلية الشريعة يوم الإثنين ٢ / ٦ / ١٤٠١ هـ . ضمن نشاط جماعة الفقه وأصوله بكلية الشريعة بالجامعة .

١١ ـ **البدع وأثرها فى انحراف التصور الإسلامى** : عنوان المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / صالح السحيمى فى قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية بعد المغرب من يوم الاثنين ٩ / ٤ / ١٤٠١ هـ .

١٢ ـ **منهاج القرآن فى الدعوة الى الله** : موضوع المحاضرة التى ألقاها الدكتور / محمد السيد طنطاوى رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليا وذلك يوم الأربعاء ١٩ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

صـور من النشاط الثقافي بالجامعة

١ ـ كلية الدعـوة

أقامت كلية الدعوة وأصول الدين أمسية ثقافية مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٨ / ٥ / ١٤٠١ هـ . بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية حضرها فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة والدكتور / أحمد عطية الغامدي عميد كلية الدعوة ، وأساتذة الكلية وطلابها وعدد كبير من أساتذة الجامعة وطلابها من مختلف الكليات والمعاهد ، وقد احتوت هذه الأمسية على ألوان من النشاط الثقافي الذى قدمه الطلاب من الكلمات والقصائد الشعرية والمختارات الأدبية والقصص التمثيلية .

وفي نهاية الأمسية ألقى فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد كلمة توجّيهية أشاد فيها بجهود كلية الدعوة وغيرها من كليات الجامعة ومعاهدها ودورها فى مجال التربية والتعليم والتوجيه وفي مجال النشاط التى تعد هذه الحفلة لونا من ألوانه وتعد تدريبا عمليا للطلاب على أساليب الدعوة والاتصال بالناس ، كما وجه فضيلته النصح للطلاب والمشرفين على التمثيل المسرحي بألا تتعرض التمثيليات لشخصيات الأئمة والصحابة والتابعين لعدم وجود النص الجيد الذى يحقق عرض الصورة الحقيقية والوجه الأكمل لهذه الشخصيات القائدة الرائدة فى

تاريخ الإسلام والإنسانية ولأن الطلاب الذين يمثلون أدوار هؤلاء الأئمة لا يتمكنون من السيطرة على حركات أنفسهم ، كما لا يستطيعون إبراز العظمة الإنسانية فى هؤلاء السلف الصالح ·

٢ ـ كلية اللغة العربية

يدور نشاط كلية اللغة العربية فى إطار جماعات بلغت إحدى عشرة جماعة منها جماعة القرآن وجماعة الحديث ، وجماعات كل من الدعوة والخطابة والبحوث والندوات والإعلام وجماعة الإسعاف والتعارف والحفلات والجوالة ، ويشرف على هذه الجماعات أربعة وعشرون أستاذا فى الكلية ·

وقد أسهمت كلية اللغة مع مكتب التربية العربي لدول الخليج فى إقامة ندوة لمعلمى اللغة العربية لغير الناطقين بها واستمرت هذه الندوة لمدة أسبوع من ١ / ٥ / ١٤٠١ هـ الى يوم الخميس ٦ / ٥ / ١٤٠١ هـ ·

وقد أقامت الكلية عددا من الندوات لأساتذتها فى قاعة خصصت لإقامة الندوات العلمية ·

وقد قامت الكلية برحلة لزيارة معالم المدينة ورحلة مخيم بشاطىء ينبع على فوجين انتظمت كل طلبة الكلية وأساتذتها ، ورحلة إلى مكة لأداء العمرة ورحلة إلى الرياض لزيارة جامعات المملكة فى الرياض ·

٣ ـ كلية الحديث

أقامت كلية الحديث والدراسات الإسلامية حفلها الختامي للنشاط الطلابي للعام الجامعي ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ وذلك فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء ١١ / ٦ / ١٤٠١ هـ ·

وقبل بداية هذا الحفل تفضل فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد بافتتاح المكتبة الناطقة للمكفوفين وهذه المكتبة فرع تابع للمكتب الاقليمى للشرق الأوسط للمكفوفين ·

إن هذه المكتبة الناطقة قد زودت بأحدث الأجهزة السمعية ، وسجلت أمهات الكتب على أشرطة كاست ، فى علم اللغة والأدب والتفسير والحديث ومختلف فروع المعرفة فى العلوم الإنسانية ، وقد روعى فى الكتب المسجلة أن تكون متنوعة المجالات والمستويات لتخدم القطاع العريض من المشتركين باشتراك رمزى فى مختلف مراحل التعليم من المكفوفين ·

٤ ـ كلية الشريعة

قامت كلية الشريعة خلال هذا العام الدراسى بأنشطة متعددة فى عدة مجالات وتكونت فيها عدة جماعات مثل جماعة الرحلات وجماعة الصحافة وجماعة البحوث والمكتبات وجماعة الفقه وأصوله .

وقد قامت الكلية بعدة رحلات طلابية ، واحدة فى الفصل الدراسي الأول إلى منطقة القصيم ، ورحلتان فى الفصل الدراسي الثاني إحداهما إلى المنطقة الشرقية والأخرى إلى مكة المكرمة .

وتكونت بالكلية جماعة الصحافة التى أصدرت صحيفة بالكلية تحت اسم « أضواء الشريعة » ، وجماعة البحوث والمكتبات . وصدر عن الجماعات المختلفة صحف ونشرات تبين رأى هذه الجماعات فى شتى الموضوعات .

شخصيات ووفود إسلامية في زيارة الجامعة

استقبلت الجامعة الاسلامية في فترة الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ الوفود التالية :

* وفد من طلاب جامعة الرياض يضم مائة طالب من مختلف الكليات .
* وفد من كلية التربية بجامعة الرياض يضم ٤٥ طالباً من اللجنة الاجتماعية .
* وفد من طلاب المعهد العلمي برأس الخيمة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإشراف الشيخ ثميم بن عبد الله .
* وفد جمعية التضامن الإسلامي ، ووفد وزارة الشبيبة والرياضة بمملكة المغرب .
* وفد جامعة اليرموك يضم ٥٠ طالبا .
* وفد من جمهورية مالديف برئاسة نائب وزير التربية والتعليم ومدير مكتبه .
* وفد طلابي من فيجي .
* وفد كلية العلوم بالرياض من ٤٥ طالبا برئاسة الدكتور عبد الكريم خفاجي .
* وفود من طلاب جامعة البترول والمعادن بالظهران على فوجين مع طلاب من كلية الزراعة بجامعة الرياض .

* وفد ماليزى برئاسة فخامة الحاج واتوسيرى رئيس وزراء مقاطعة فيراق بماليزيا ·
* وفد من جامعة عليكرة الإسلامية بالهند ضم الأستاذ محمد شافعي نائب رئيس الجامعة والأستاذ م · د أنصارى رئيس كلية الهندسة والأستاذ جلال الدين عميد كلية الهندسة والتكنولوجيا والأستاذ س · هـ رسول رئيس قسم الجولوجيا ·
* وفد من عمداء جامعات المغرب ضم الدكتور ادريس العلوى عميد كلية الحقوق بجامعة القاضى عياض بمراكش والدكتور محمد حجي عميد كلية الآداب بالرباط والدكتور آمال عميد كلية الحقوق بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس ·
* الدكتور عين الدين عبد الواحد مدير جامعة التكنولوجيا بماليزيا ·
* سفير باكستان بالبرازيل سعادة أحمد حسن إحساني ·
* سعادة الأستاذ محمد الحافظ النحوي ، مدير التعليم الفني والمهني ومبعوث وزير التعليم العالي بموريتانيا ، وتفقد أحوال الطلاب الموريتانيين بكليات الجامعة ومعاهدها ·
* الدكتور إبراهيم عمر مدير جامعة كنو بنيجيريا ويرافقه الدكتور محمد زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية وذلك لعقد اتفاق ثقافي مع الجامعة ·
* وفود من جامعة أم درمان الإسلامية
* وفود من الجامعة السلفية بالهند ·

وفي كثير من هذه اللقاءات مع فضيلة الدكتور عبد الله الزايد تعرفت هذه الوفود والشخصيات على أوجه التطور الأكاديمي والتعليمي الذي تسير فيه الجامعة الإسلامية ، وعلى ما تقدمه الجامعة لمنسوبيها من خدمات مختلفة وما وفرته من رعاية صحية واجتماعية ، والتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية لتقوم الجامعة بتلبية حاجات الجامعات والجمعيات والجماعات الإسلامية من الكتب والمدرسين · وتقديم إمكانياتها في خدمة المسلمين تحقيقا لرسالتها في نشر الدعوة الإسلامية ·

اعداد فضيلة الشيخ محمود محمد سالم
المستشار الصحفى بادارة العلاقات العامة

محتويــــات العــــدد

الموضــــــــــوع		الصفحـة

• قبس من كتاب الله		
• من نــور النبـوة		
• حكمـة العـــدد		
• كلمـــة التحرير	لفضيلة الدكتور على بن محمدبن ناصر الفقيهي	١٣
*** بحوث إســــلامية :**		
ـ التفسير وأصولـــه :		
التمتع في الحج	لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري	٢٣
ـ الحديث وأصولـــه :		
ازالة الشبهة عن حديث التربة	لفضيلة الشيخ عبد القادر السندي	٢٩
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينـــة	موفق القصـــاب	٤٠
ـ في ظـلال العقيـدة :		
مفهوم الأسماء والصفـات	لفضيلة الشيخ سعـد نـدا	٤٣
البدع وأثرها في انحراف التصور الإســلامي	لفضيلة الشيخ صالح سعد السحيمي	٥٦
ـ الفقـه وأصولـــه :		
وفروا اللحى وأحفوا الشوارب	لفضيلة الدكتور محمد أحمد الشريف ...	٧١
رخصة الفطر في رمضان وما يترتب عليها من الاثـــار	لفضيلة الدكتور أحمد طه ريان	٨٢

الموضـــــــــــوع		الصفحـة
ـ ثقافـة اســـلامية :		
تطلعات الى المستقبل في مستهل القرن الهجري الجديد	لفضيلة الاستـاذ محمد قطب	٩٣
وسائل التربية الاســلامية	لفضيلة الدكتور عباس محجوب	١١١
أساليب الدعوة الى الله تعالى في القرآن الكريم	لفضيلة الدكتور أبو المجد سيد نوفل ...	١٢٧
ـ هيــا بنــا نسلم :		
ندوة الخرطـــوم		١٤٣
* سيرة وتــاريخ :		
موقعة اليرموك ـ دراسة وتحليل	لفضيلة الدكتور محمد السيد الوكيل ...	١٧٥
منهج المؤرخين المسلمين في التأليف	لفضيلة الدكتور عوض عبد الهادى العطا	١٨٧
نماذج أخرى من الدعاة الصالحين :		
عثمان بن عفان	لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري	١٩٤
قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بـدر الكبرى	لفضيلة الـدكتور محمد عبـد المقصود جـــاب الله	٢٠١
* إحياء التراث الإســـلامي :		
الرد على الجهميـــة	لفضيلة الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهي	٢١٣
* لغـــــة وأدب :		
الأدب الذي يريده الاسلام	لفضيلة الشيخ محمد المجذوب	٢٣٧
شاعرية البحتري	لفضيلة الدكتور بابكر البدوي دشين ...	٢٤٨
رسائل لم يحملها البريـــد	لفضيلة الشيخ عبد الرؤوف اللبدي	٢٥٨

الموضـــــــــــوع		الصفحـة

بحث في صيغة أفعل	لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس ...	٢٦٦
حداثة الشعر العربي	لفضيلة الدكتور عبد الباسط بدر	٢٧٩
من تراثنا الشعري (شعر)	يزيـــد بن الحكم	٢٨٨
رسالة إلى شباب الإسلام (شعر)	لفضيلة الشيخ محمود محمد سالم	٢٩٠
أخي (شعر)	لفضيلة الشيخ محمد رجب حميدو	٢٩٣

* جولات عالميـــة :

في المشارق والمغارب	لفضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد قادري	٢٩٧

* الفتـــاوي :

من فتاوي اللجنة الـدائمة للبحوث العلمية والإفتـاء ٣١٧

* بحـوث طبيـــة :

القلب وعظمـة الخـالق	للدكتور اسماعيل صبحي حافظ	٣٢١

* من أعماق الكتب ٣٣١
* مختـارات من الصحف ٣٣٥
* أحـداث العالم الإسلامي ٣٤٣
* أخبـار الجـامعة ٣٤٩
* محتويـات العـدد ٣٦٢
* القسم الانجليزي ٣٦٥

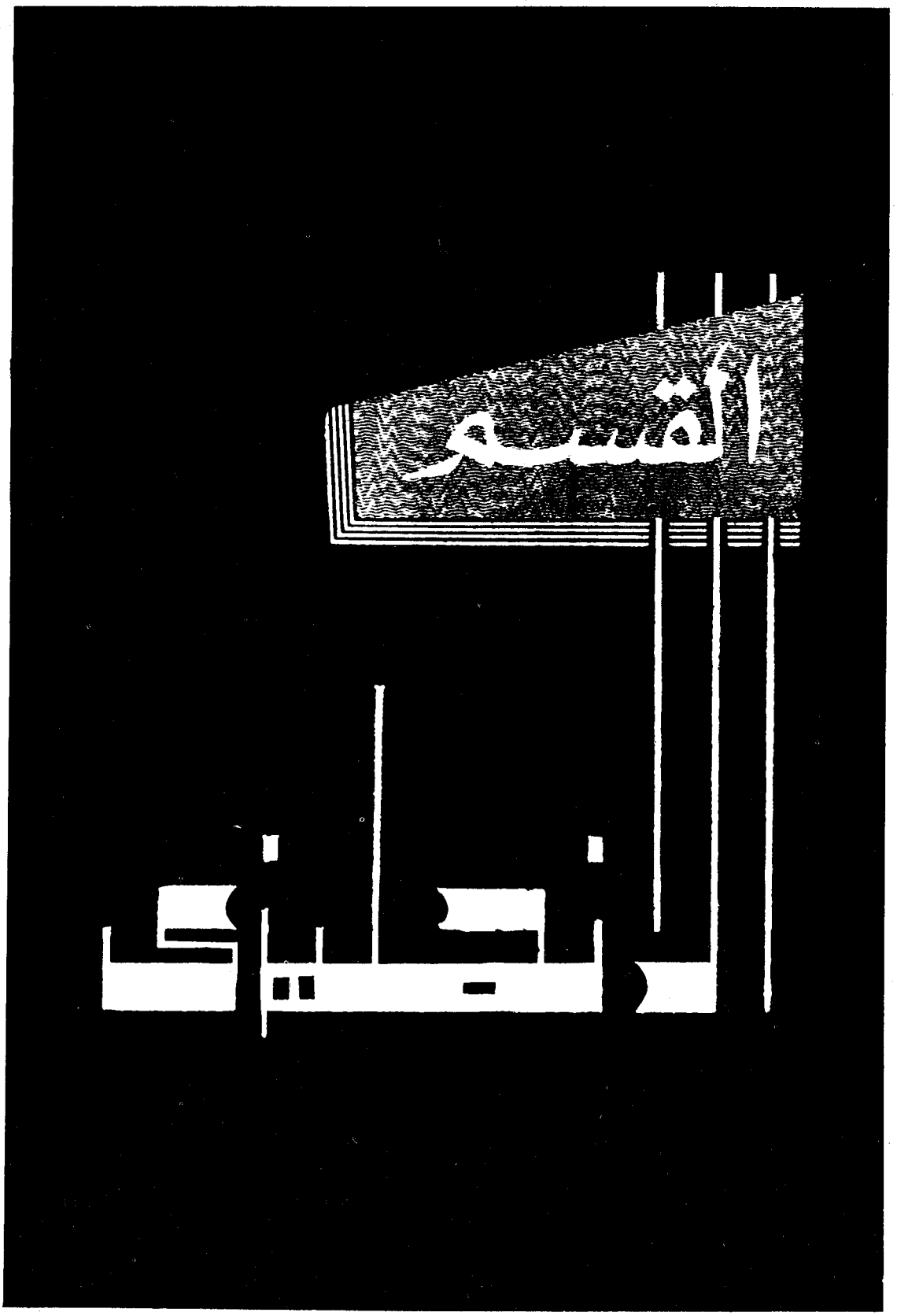
القسم
النظري

New Era :

With the advent the Prophet a new era dawned upon the city of Yathrib. The two tribes of Aus and Khazraj rallied round the standard of Islam and they bore the noble title of Ansar (helpers). The faithful people who had forsaken their birthplace in the way of Allah received the title of Muhajireen (emigrants). In order to unite the Ansar and Muhajireen in closer bonds under the banner of fraternity and equality, the Prophet established a common brotherhood which linked them together in sorrow and in happiness. Yathrib changed its ancient name and became as Madina tunNabi (the city of the Prophet) or Al-Madinah Al Munawwarah (The illuminated city). It is now shortly called Madinah. Immediately after the commencement of fraternization between Ansar and Muhajireen on the other hand, the nucleus of the Muslim community had emerged.

A New Community :

Till the Hijra the Prophet had been a Preacher only. From then he was the ruler of a state, a very small one at first, which grew in ten years to a developed state. The kind of guidance which he and his people needed after the Hijra was not the same as that which they had before needed. Because till then the Prophet was giving guidance to the individuals as a warner, thenceforth he started to give guidance to growing community, in all walks of life, as a law giver, reformer, and an exemplary ruler.

The Prophet had begun the reorganisation of the community by developing the spiritual as well as the material aspects of life, for the welfare of the individual and the society is largely dependent on these two aspects.

The Prophet's first concern as a ruler and preacher was to establish public worship and lay down the constitution of the state. Soon he built a mosque, in a simple form, its walls were of brick and earth, and its roof was of palm leaves. Everything in this humble place of worship was conducted with the greatest simplicity. A portion of the mosque was set apart as a shelter for those who had no home of their own. The Prophet preached and prayed in this simple structure, suited to the simple and natural religion he preached. The devoted hearts around him beat in harmony and affection with his soul-stirring words of his speeches.

His life and works are a clearly written record, no mystery and no tales around his life story. The life of the Prophet Muhammad puts before mankind the key to the treasures of a simple, but meaningful life.

but when his horse got up, the 100 camels made him forget his promise. He started again to follow them, but again, when he approached, the horse's hooves began to sink in the sand. Surakah called again the Prophet, promising not to follow him, but again he did so, and the same thing happened the third time. Surakah fell from the back of his horse . He swore before the Prophet that this time he really would not follow the Prophet.

The Prophet continued on his way to Madinah. On their way they felt hungry and thirsty. They passed a tent in the desert, with a bedouin woman there. They asked her if she had something to drink. she apologized to them as she had nothing at all, apart from a very weak and old goat and this didn't give milk. When the Prophet touched the udder, however, it gave plenty of milk and they drank as much as they wished, leaving a lot for the woman and her husband. After they had left the woman was astonished to find that the goat continued to give plentiful supply of milk ! . The woman and her husband always remembered this blessed day when this Blessed man came to her tent and whom she didn't know.

The Prophet in Madinah :

News of the Prophet reached the people of Yathrib, and spread through the town, and he was expected there before his arrival. They all wanted to be the first to see him This was a feast day among the people of Yathrib, when they saw the Prophet was with them.

The Prophet entered the city of Yathrib (Madinah) on Friday 16th Rabi awwal (2nd July 622 A.D.). From that day the Prophet settled in Madinah, and because of the importance of that day it is regarded as the beginning of Hijra Year.

The departure of the Prophet from Makkah to Madinah was a clear division in the history of his mission . It marked the end of 13 years of persecution and humiliation, and beginning of the 10 years of success and accomplishments. The Prophet entered the city of Yathrib (Madinah) in the company of his faithful friend, Abu Bakr, after several adventures, marking the greatest development in the human history. From the moment of his advent into Madinah he stood foremost amongst the grandest of figures upon whom the light of history has ever shone.

According to the history of the city of Yathrib, it was founded by an Amalakite chief, whose name it bore until the advent of the Prophet. The city is said to have been inhabited by the Amalakites. Flying before Greek, Roman and Babylonian persecutors or avengers, the Jews entered Arabia and established themselves in Yathrib and its environs in the northern part of Hijaz. The successive colonies of Jews overwhelmed and destroyed the indigenous people. They had domineered over the neighbouring Arab tribes and they established fortifiol colonies. The most important of these colonies were the Banu Kainuka near Madinah, Banu Nadir at Khaiber, and Banu Kuriza at Fidak. The two Arab tribes of Aus and Khazraj at Yathrib were living in habitual feuds and quarreling among themselves.

(being abbreviated letters) By the wise Quran. You are truly among the Messengers, on a straight path; the sending down of the AlMighty, the All Wise, that you might warn a people whose fathers were never warned, so they are heedless. The word has been realised against most of them, yet they do not believe. Surely, We have put on their necks fetters up to the chin, so their heads are raised and We have covered them so they do not see ". (36 : 19).

And after he had left they noticed the time had passed and thought he had not yet come out of his house, as he usually did. They were worried and looked through the key hole. They saw some one sleeping on the bed. They decided to wait until daybreak as they didn't know what had happened. When the sun rose they saw that the person asleep on the bed was not Muhammad and they were filled with rage and went around looking for him everywhere, realising that their plot had failed. Then they started to search outside Makkah, offering a reward of one hundred camels to anyone who could find the Prophet, alive or not.

The Prophet went to his friend Abu Bakr, who was waiting for him. When he reached his house, Abu Bakr made arrangements with his family and his workmen. Then he and Muhammad left together. They went to the cave out side Makkah on the way to Madinah. This cave was called the Cave of ' Thaur '. When they reached there the Prophet told his friend they would spend sometime in this cave. They went in and stayed there for three days. Abu Bakr asked a shepherd there to graze his sheep around the cave during the day and to come and stay there during the night to inform him of the news from the people of Makkah. This shepherd let his sheep move around the cave until they had removed the footprints of the Prophet and his companion and, during the night, he gave them milk and food and informed them of what the people of Makkah were saying about them.

During their stay in the cave the people of Makkah came to the mouth of the cave, looking for them. Abu bakr told the Prophet : " O Prophet if one of them looked at his feet, they would see us !; But the Prophet answered : " Don't worry, Abu Bakr, no harm will come to those whom God is with ". There was a spider's web at the mouth of the cave and a bird had come and put two of her eggs there. When the people saw the web and the eggs they did not look inside the cave, as someone remarked : " This was there even before Muhammad was born " !

When the people of Makkah left, Muhammad and his companion stayed for three more days and then went on their way. On their way to Madinah something extraordinary happened. One whose name was Surakah ibn Malik, heard about the reward of one hundred camels and someone told him that three men had been seen in the desert, he knew it must be the Prophet and his friends. Then he got upon his horse and followed them. When he approached them his horse's fore legs sank into the sand and when he tried to lift the horse up he couldn't until the Prophet had gone far ahead. Then Surakah cried : " O Muhammad, ask God to free my horse and I shall not follow you ".

rejected this idea also, saying that his words influenced people so greatly that he would soon find other tribes to accept his call and would establish a strong army with thousands of soldiers and everyone would join him.

Then the third suggestion was made. They would choose one young man from each tribe in Makkah and each of them would have a sharp sword. They would be ordered to go to Muhammad and all of them would share in his killing. His family would be given the ransom for his life and would not be able to fight every tribe represented by the assassination. This suggestion was accepted. They quickly started to put this plan into action and chose the young men who would take part in the plot and the arrangements were made for a certain time and date. Before this, Muhammad had advised most of his companions to emigrate to Madinah. His friend Abu Bakr did not go, as Muhammad asked him to wait behind. Perhaps they could find another companion and leave together.

Miracles of Hijra :

When the decision to kill the Prophet was made by the people of Makkah, he was warned of it through a Revelation from God. God ordered him to leave Makkah and go to Madinah on the night they planned to kill him. The Prophet started to prepare for this journey and he went to Abu Bakr one day at noon and informed him what they were to do. He instructed him to make arrangements for the journey and to find some one who had experience of the desert.

The day before the night of departure the Prophet called his cousin, Ali ibn Abutalib and asked him to get ready to sleep in his house that night, in place of the Prophet. He also instructed him to return all the deposits he had kept to his followers who had put all their trust in Muhammad, and for this reason any one who had something very precious and wanted to keep it in a safe place would ask Muhammad to take care of it. The Prophet wanted to stand by his duty and return all these things and so had to choose a member of his own family to do this .

That night the Prophet went to bed as usual and during the night these young men came and took their places, standing outside his frontdoor, their hands placed on their swords. They were ready to kill the Prophet as soon as he came out; they knew of his regular habit of leaving his house late at night to go to the Ka'ba to pray until dawn.

Hijra to Madinah :

It is related that when the Prophet wanted to leave the house, God caused these men to feel so tired that they went to sleep while standing in their positions and Muhammad (peace be upon him) came out without their knowledge, reciting these verses of the Quran: " Ya Sin

It was clear there was no help at all for the Prophet from anyone on earth When he came near to Makkah the news of the failure of his journey had got there before him, and he couldn't enter Makkah without first sending a message to a man called Al-Mutt'im ibn Adwie, asking him to be his protector, as was the custum of the Arab tribes at that time.

Abu Bakr Al-Siddiq :

It was in this situation that the Journey from Makkah to Jerusalem and from Jerusalem to heaven took place, to give spiritual aid to the Prophet, and to assure him that Allah was with him always, even if there was no one to help him from the creation; and at the same time, through this journey he saw many signs that showed him the power of God, to give him more aid; as the Holy Quran says : " To show him from among Our signs ".

This journey took place during part of one night and was over before the dawn broke. On the next day, when the Prophet informed the people of Makkah about this journey they became enraged and they accused the Prophet Muhammad, calling him a liar, and they tried to use the strangeness of this event as proof to persuade people to give up the religion. They even tried to influence Abu Bakr (may Allah bless him) with this.

They asked, ' Do you know what your friend has said ' ' What did he say ? ' said Abu Bakr. He claims that he went to Jerusalem during the night and returned before dawn ', they said; " A journey of one month each way ! How can this be done in few hours of the night ? " " If he said so, then he is telling the truth ". Abu Bakr replied.

The people of Makkah were astonished. ' Do you believe him, then ? ' they asked. " Why not ? " Abu Bakr answered. " I would believe more than that about him. I believe that the revelation came from heaven ".

13 Years in Makkah :

The Prophet had spent 13 years in Makkah calling its people to Islam, using every means he had to help them accept his call. But for their part, they used every means to stop him from continuing his call, they hurt him and they persecuted his followers, they even killed some of them. They wanted to kill him too but that they did not try as they were afraid of his family. But when they could find no other way to stop him they had a meeting in a house in Makkah to discuss a way to stop Muhammad from calling people to his religion.

During that discussion one of them suggested putting him in prison and leaving him to die, without food or water. The others did not agree with this, arguing that some of his followers would help him to escape, he might persuade the guards to let him free, for his influence on people was so profound. Another proposal was that they should drive him out of their country and let him do what he liked elsewhere. But the members of the meeting

Taif he began by meeting the heads of the tribes, discussing with them the matter of belief, and inviting them to the religion of Islam. But unfortunately their response was not good, and he had to bear the hardship of receiving their refusal. He asked them to keep his discussion with them a secret in order to keep the people of Makkah from knowing about this failure in Taif.

But they would not agree to this, and their words to him were very impolite. One man swore by Allah that if the Prophet spoke the truth, then he was their superior and should not speak to them, because discussion between them would be unsuitable. But if, on the other hand the Prophet was a liar, then he was the inferior of the tribesmen and they should not keep the company of such an inferior.

His experience in Taif :

When the Prophet (Peace be upon him) began to leave the town, the people ordered their slaves and naughty children to line the street on either side of his way and to stone him as he walked. until the blood flowed and covered his heels. His servant Zaid tried to protect him, but was unable. After the Prophet left the town he was in a most unhappy state, and sat down under the shade of some trees.

These trees were on the boundary of a vineyard which belonged to two men from Quraish, whose names were Otbah and Shaibah, sons of Rabia. These two saw what had happened to the Prophet, and felt pity for him, and sent a slave of theirs to him with a bunch of grapes. When the Prophet started to eat he said, " Bismillah AlRahman AlRahim (In the name of God, the Merciful, the Compassionate)". The slave was astonished to hear those words, and said, ' Sir, this was a custom not used by the people of this region '. The Prophet asked him which country do you come from? The man answered,' I come from Ninawa '. The Prophet said, ' It is the town of the righteous man, Younos ibn Matta '. How do you know Younos ? the man said. ' He is my brother ', said the Prophet, He was a Prophet, and I am a Prophet, also. The man knelt down and kissed the hands of the Prophet. His masters were most surprised to see him behaving in this way. When they questioned him about his conversation with the Prophet, and heard his answer, they warned him not to be affected by the ways of Muhammad (Peace be on him).

Then the Prophet raised his hands praying to God : " O my Lord ! You are my God, and the God of those who are weak, to whom do you leave me, ? to an enemy, giving him full control of my affairs, ? I ask You, by the light of Your Face, by which the darkness becomes shining and by which the whole earth and the heavens stand in order to give me Your help, so long as I know You are not angry with me, I don't care what people do against me ".

Public call :

It was the first time that the Prophet had made a public announcement of his call, but the people were astonished at the information he gave them, because he had never told a lie, and yet what he asked them was extraordinary. One of his uncles, Abu Lahab, got annoyed and spoke to him harshly.

From that time onward, the Prophet started to call people to accept Islam, openly, and at the same time the people of Quraish to inflict more and more harm upon him; he continued his call and did not give any attention to the harm he suffered from the people.

The Ascension of the Prophet :

There is a chapter in the Holy Quran called Al-Isra. In the Beginning of the chapter, Allah says : " Glory be to Allah who took His servant by night from the inviolable place of worship to the far distant place of worship, the nighbourhood whereof We have blessed, that We might show him our tokens ! Lo ! He, only He is the Hearer, the Seer ".

This is about the journey from Makkah to Jerusalem, and other Journey, from Jerusalem to Heaven. It is mentioned in detail in the Hadith of the Prophet and some verses of the Holy Quran in'Surat an-Najm', refer to this event.

But we have to know why this event took place at this particular time in the life of the Prophet, and what was the significance of it, and exactly what happened during that night. It is related that within the space of one year the Prophet lost his uncle, Abu Talib, who used to protect him from the aggression of the people of Makkah, and also his wife, Khadija, who was a good wife to him, and who used to smooth for him the various difficulties he had to face from people outside the house. The loss of these two persons in one year caused a lot of sorrow for the Prophet (Ptace be upon him) and he called this year the year of sorrow. After the death of Abu Talib the people of Quraish harrassed the Prophet more and more, and when he went home he did not find anyone to make it easy for him as Khadija used to do.

Journey To Taif :

It was a hard time for the Prophet, and it seemed there was no helper or protector in Makkah. Therefore he decided to go to the town of Taif, in which the tribe of Thaqif lived, to call them to Islam, hoping that he would find a helper from among them. He started the journey from Makkah to Taif with his servant, Zaid and the Prophet kept his journey secret, because he didn't know if the people of Taif would accept his call or not. When he arrived in

Khadija's Faith This was a shock for Muhammad (peace be upon him), and he was amazed. He turned his face away but wherever he turned the voice came to him and he saw the Angel. He could not understand how such a thing could have happened to him, and he left the cave and returned quickly to his home. But on the way the Angel appeared to him and the voice of the Angel filled his ears. He was afraid and when he reached his house his wife knew he was worrid and he asked her to bring plenty of blankets as he was so cold. Sweat flowed from his face. When he had become calm and his wife was beside him, he wondered what had happened to him. His wife asked him to explain what had happened as she wanted to remove this worry from his mind.

When he told her, she told him not to worry, and she reminded him that Allah will never disgrace those who help the weak and give money for the poor and spend their lives helping others, as Muhammad had always done. Then he slept. The Prophet's wife had an uncle called Waraqa Ibn Nawfal. He was an old man and he was one of those who rejected idolatory and was looking for an ideal religion. He had read the Old and New Testament and he followed Christianity. He there fore had a knowledge of prophethood and revelation. From his knowledge he had come to know the religious men of the ' People of the Book ' and knew from them that they were expecting the Prophet to come.

Khadija took the Prophet to him. And when the Prophet told him what happened, Waraqa said, ' By Allah, you are the Prophet for whom we have been waiting. I hope I shall live until your people drive you out ". The Prophet asked him : " Will they drive me out ". And Waraqa explained that no one had ever told his people such things without being driven out. Waraqa promised that if he lived he would do every thing he could to help Muhammad.

The First Believers :

Muhammad (peace be upon him) started to speak to his close friends and his own family. Khadija, his wife, was the first woman to accept Islam, and Abu-Bakr the first man. Ali Ibn Abitalib, his cousin was the first boy to accept Islam, and Zaid was the first servant to accept Islam. The number started to increase slowly through the personal contact of the Prophet and his close friend, Abu Bakr, but when he received the verse " warn your close relatives ", it was a sign to inform the whole people of Makkah of his cause.

The Prophet climbed a hill called AlSafa and started to call out : " O people of Makkah ! " with a loud voice. They were sitting around Ka'ba. When they heard his voice they came and gathered round him. He said : " What would you say if I informed you that there is an army coming to attack you from the other side of the mountain ? " They answered : " We never knew you to tell lies. " Then he said : " I am the manifest warner, and I am the Prophet of God to you, and therefore I call you to worship God alone and not worship idols ".

Nobility :

One of the leaders suggested that they should accept the judgement of the first man to enter the place. This suggestion was readily accepted, because nobody wanted this threat to continue; they were afraid of the consequences as they might well be killed. They all stood with their eyes facing towards the way which led to the Ka'ba. Then they saw the Prophet Muhammad coming towards them. At that time Muhammad had not claimed to be a prophet but he was the most highly respected man in Makkah renowned for his honesty and trustworthiness. For this reason they used to call him Al-Sadiq, Al-Amin – the trustworthy, the truthful and when they saw him coming all of them cried with one voice : ' Al-Sadiq Al-Amin ' ! in a tone of appreciation. And they all felt happy and at peace in their minds and they felt sure no harm would now befall any of them, and that whatever Muhammad's decision, it would be accepted by all.

When they explained the problem he requested them to bring a piece of cloth and he chose four men, one from each tribe. He then placed the stone on the cloth and asked each of the four men to take one corner. The four men then shared the carrying of the stone until they came near to the wall, and the Prophet then took the stone in his hands and put it in its place in the wall. By making this decision he was able to prevent the ' blood bath ' and peace prevailed in Makkah. This too, was the first day that the people realised the outstanding wisdom of Muhammad (peace be upon him) and he came to be regarded as the most revered person in Makkah.

First Revelation :

It was his practice to retire with his family for a month every year to a cave in the desert for meditation. His place was the cave on Mount of Hira, and his chosen month was Ramadan. It was one night towards the end of this month that the first Revelation came to him, when he was 40 years old.

The Angel Gabriel came to him and said : " O Muhammad ! ' You are the messenger of God and I am the Angel Gabriel. Then he embraced him strongly and said : " Read ". The Prophet answered : " I cannot read ". Then the Angel embraced him again and said : " Read ". The Prophet answered : " But I am unable to read ". The Angel embraced him for the third time strongly, and said : " Read in the name of thy Lord who created. Created man from a clot. Read and your Lord is the Most Generous. He taught man by the pen. Taught man what he knew not ". [96 : 1 – 5)

It is recalled that with all his affection for his People, he seemed far removed from them, in his ways of life and mode of thoughts. The lawlessness prevailed among the people of Arabia, the sudden outbursts of causeless and meaningless quarrels among the tribes, and the immorality of the people, naturally caused feelings of intense horror and disgust in his mind.

Marriage :

In the 25th year of his age, he travelled once more into Syria as an agent of the noble lady of Quraish, Khadija. The nobility and ability with which he discharged his duties impressed the lady Khadija. In spite of the disparity of age between Muhammad and Khadija, a marriage was arranged between them.

The marriage proved a very happy one though she was 15 years older than he was.

This marriage gave him rank among the nobles of Makkah. Throughout the 26 years of their life together he remained devoted to her. There always existed the tenderest devotion on both sides. This marriage provided him with the rest and freedom from the daily duties, which he needed in order to prepare his mind for his great task, and beyond that it gave him a loving heart, that was the first to believe in his mission, and that was ever ready to console him in his despair.

Children :

Khadija bore him seven children : sons and 4 daughters but the sons all died in infancy. The daughters long survived. The next 15 years after his marriage was a silent record of spiritual communion, preparation and looking inward. Muhammad rich with his alliance with Khadija, and Abbas, the brother of Abutalib, were the most opulent citizens of Makkah.

Wisdom :

When the Prophet was 35 years of age the people of Makkah wanted to rebuild the Ka'ba, because it had been damaged by the floods which covered the valley of Makkah at that time. The tribes of Makkah cooperated with each other to rebuild the Ka'ba, because it was an honour for them, and all the Arab tribes.

All the Arab people respected those of Makkah and regarded them as the people who looked after the House of God. When they started building they came to the place where they had to replace AlHajar AlAswad, the Black Stone. From this moment the arguments started; who could have the honour of putting the stone in its place ? Each tribe wanted to have this honour. They started arguing, and this almost led to a fight. Some of them called for a fight, and blood bath threatened Makkah. The wise leaders of the tribes recognised this as an extremely dangerous situation and they wondered what they could do to prevent this tragedy.

SPOTLIGHTS ON THE LIFE OF THE PROPHET (Peace and Blessings be upon Him)

BY

Dr. Mohiaddin Alwaye

Islamic University

Madinah

His Birth

Muhammad the prophet was born on the 12th of RabiAwwal, (the 29th of August, 570 A.D.). In accordance with the customs of the Arabs, the child was confided during early infancy to a Bedouin woman of the tribe of BaniSaad, and upon being returned by her to his mother Amina he was brought up with tenderest care.

His father, Abdullah, had died before he was born, in the course of a journey to Yathrib (Madinah), in the 25th year of his age. He was bereft of his mother when only 6 years of age. The doubly orphaned child was thus brought up by his grandfather Abdul Muttalib. Towards the year 579 A.D. he lost his grandfather also. On his deathbed Abdul Muttalib had confided him to the care of his uncle Abu Talib. In the house of Abu Talib Muhammad passed his early life.

Early Life :

His early life was not free from the burden of labour, for he often had to go into the desert to watch the flocks of his uncle. Abu Talib, like his father and grandfather, carried on considerable trade with Syria and Yemen. He transported to Damascuss, to Baara, and other places in Syria the dates of Hijaz, and perfumes of Yemen, and in return brought back with him products of the Byzantine Empire.

Muhammad accompanied his uncle and guardian on one of his mercantile journeys to Syria. During this period it was opened before him the scene of religious degradation, and social misery prevalent in the world.

Silently and humbly, with many thoughts in his mind, the solitary orphan boy grew from childhood to youth.

يقول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقونَ ● أيَّامًا معدوداتٍ فَمَنْ كان منكم مريضًا أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَرَ وعلى الذين يُطيقُونَهُ فِدْيةٌ طعامُ مسكينٍ فَمَنَ تَطَوَّعَ خيرًا فهو خيرٌ له وأنْ تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمونَ ● شهرُ رمضان الذى أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدًى للناسِ وبيناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقان فَمَنْ شَهدَ منكم الشهرَ فلْيَصُمْهُ وَمَنْ كان مريضاً أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ من أيَّامٍ أُخَرَ يريدُ الله بكم اليُسْرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ولعلكم تَشْكُرُون ● وإذا سألكَ عِبَادى عنِّى فإنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لى وَلْيُؤْمِنُوا بى لعلهم يَرْشُدُونَ ● »

(من سورة البقرة آية ١٨٣ ـ ١٨٦)

Allah (سبحانه وتعالى) says :

" O you who believe, Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that you may ward off evil.

Fast a certain number of days, and for him who is sick among you, or on a journey, the same number of other days, and for those who can afford it there is a ransom : the feeding of a man in need, but who does good of his own accord, it is better for him : and that you fast is better for you if you did but know.

Ramadan is (the month) in which was revealed the Quran, a guidance for mankind, and clear signs for guidance, and the Criterion (of right and wrong). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosever of you is sick or on a journey, let him fast the same number of other days. Allah desires for you ease. He desires not hardship for you, and He desires that you should complete the period, and that you should magnify Allah for having guided you, and that peradventure you may be thankful.

And when My servants question you concerning Me, then surely I am nigh. I answer the prayer of the subliant when he cries onto ME.

So let them hear My call and let them believe in Me, in order that they may be led aright ".

[From Suratul–Baqarah v. 183–186]

أعضاء هيئة تحرير مجلة الجامعة الإسلامية:

يتوجهون خالص الشكر:

- أولاً: إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا في تزويد المجلة بمقالاتهم وبحوثهم القيمة.
- ثانياً: إلى المجلس الأعلى للجامعة لموافقته على تقرير مكافآت سنوية للكتاب الكرام تقديراً لجهودهم.

والأمل وطيد في أن تواصل أصحاب الفضيلة الكتاب إمداد المجلة بما تجود به قرائحهم خدمة للإسلام والمسلمين. وعلى الله قصد السبيل.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمٰتِ رَبِّيْ

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّيْ

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهٖ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

مجلة الجامعة الإسلامية
لا تلتزم بردّ البحوث والمقالات التي لم تنشر
إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM-SAFAR-RABI'-UL-AWWAL
1401 A. H.

[QUARTERLY]

49

13 th YEAR

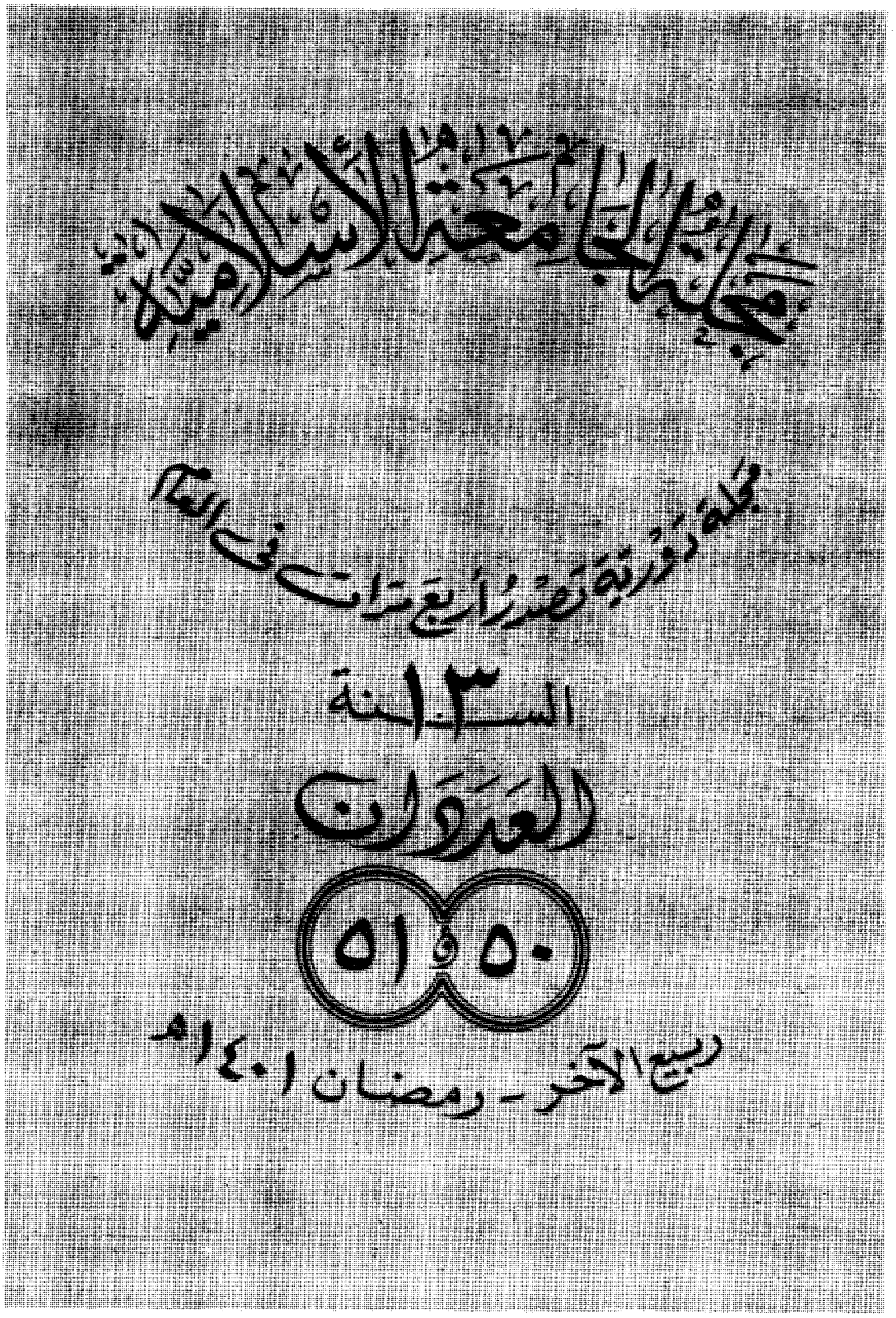
مجلة الجامعة الإسلامية
مجلة دورية تصدر أربع مرات في السنة
السنة ١٣
العددان
٥٠ ، ٥١
ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ

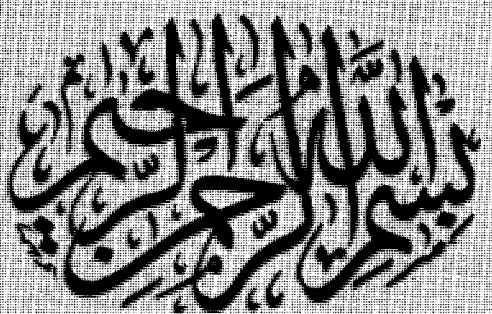
بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. علي بن محمد ناصر الفقيهي

مدير التحرير

الشيخ سعد ندا

الأعضاء

د. أحمد عطية الغامدي

د. محمد السيد الوكيل

الشيخ محمد المحذوب

المراسلات:

ترسل باسم مدير التحرير . الجامعة الإسلامية . المدينة المنورة

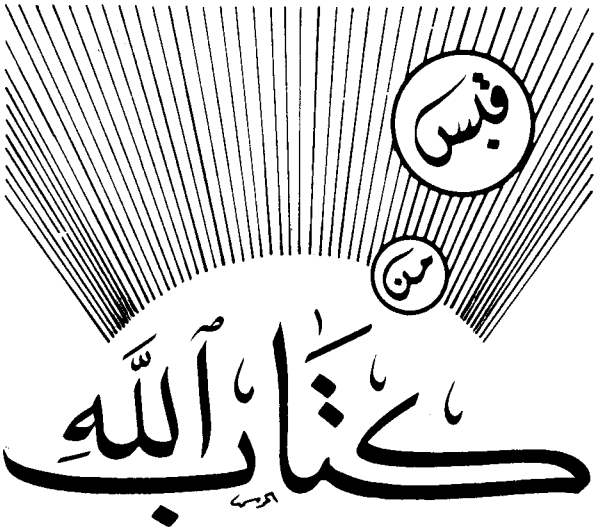

قال الله تعالى :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

« سورة التوبة »

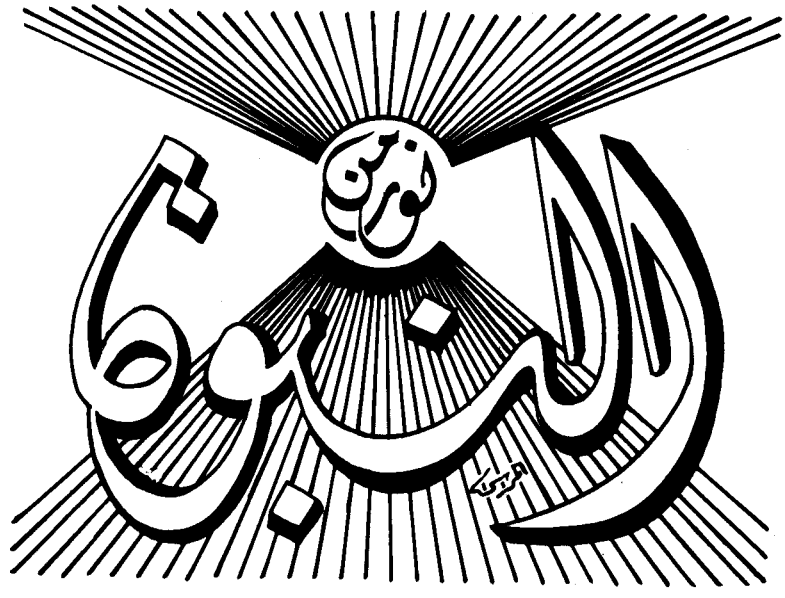

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا.»

«رواه مسلم»

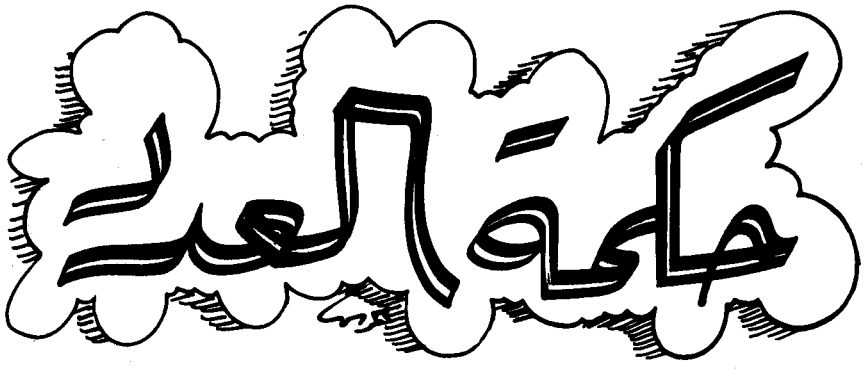

إِذَا ٱللَّهُ لَمْ يَحْرُزْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
فَلَا ٱلدِّرْعُ مَنَّاعٌ وَلَا ٱلسَّيْفُ قَاضِبُ

«أبو فراس الحمداني»

كلمة التحرير

أمتنا المسلمة

بقلم: سعد ندا

مدير التحرير

أمتنا المسلمة هى خير أمة أخرجت للناس ، كما يقول تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** » (آل عمران) . ذلك لأنها تميزت بصفات لم تبلغها أمة لم تنعم بنعمة الإسلام .

وأمتنا المسلمة ينضوى تحت لوائها أفراد يسيرون مساراً واحداً لا عوج فيه ، كما أمرهم ربهم سبحانه « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » (الأنعام) ، وذلك ابتغاء بلوغ مرامهم الأسمى المشار إليه فى قوله تعالى : « **فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون** » (الأعراف) . وهؤلاء الأفراد المتجانسون يكونون مجتمعا له شخصيته الفريدة ، الفذة ، القوية ، العابدة ، المؤمنة ، التقيّة ، التى تجعله دائما في صدارة المجتمعات .

يقول تعالى : « **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » (الأنبياء) .

وأمتنا المسلمة تنتظم أفراداً كلٌّ منهم لبنةٌ فى صرحها الشامخ ، إذا صلحوا صلحت الأمة ، وإذا فسدوا فسدت الأمة .

والإسلام يجعل الإصلاح النفسى للفرد هو الدعامة الأولى لصلاحه واستقامة أمره فى الحياة الدنيا والآخرة . وهو فى سبيل تحقيق ذلك ينظر إلى الفرد من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن فيه فطرة طيبة تميل إلى الخير ، وتفرح بإدراكه ، وتأسى للشر ، وتحزن بارتكابه .

والناحية الثانية : أن فيه نزغات طائشة ، وطبائع شريرة ، تنحرف به عن سواء السبيل ·

ومصير الإنسان فى دنياه وآخرته مرتبط بالناحية التى تكون لها الغلبة عليه ·

وإلى هذا يشير قوله تعالى : « **ونفسٍ وماسوَّاها ، فألهمها فجورَها وتقواها ، قد أفلح من زكَّاها ، وقد خاب من دسَّاها** » (الشمس) ·

والإسلام يهتم بفطرة الإنسان اهتماما بالغا من جهة ، فيدعمها ، ويدعو إلى المحافظة على طهرها ونقائها ، وتخليصها مما عسى أن يكون قد لابسها من أخلاط وشوائب ، كما أمر تعالى : « **فأقِمْ وجهَك للدين حنيفاً ، فطرةَ الله التى فَطَرَ الناسَ عليها ، لا تبديلَ لخلقِ الله ، ذلك الدينُ القَيِّم ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون** » (الروم) ·

ومن جهة أخرى يحذر الإسلام من الاستسلام لنزغات الشياطين التى أشار إلى بعضها قوله تعالى : « **زُيِّنَ للناس حبُّ الشهواتِ من النساء ، والبنينَ ، والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ ، والخيلِ المُسَوَّمَةِ ، والأنعامِ والحرثِ ، ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا ، والله عندهُ حُسْنُ المآبِ** » (آل عمران) · وكما أشار قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (يشيبُ ابن آدم ويشيبُ معه خصلتان : الحرصُ ، وطول الأمل) (مسلم) ·

والإسلام ـ فوق ذلك كله ـ يرى أن نزغات الشر تلح على النفوس إلحاحاً مستمراً لتوهن من عزماتها وتجذبها لتلقى بها فى ساحات الهوى · وبؤر الضلال ، للاستمتاع الفانى ، والزاد الهباء ، وتزيين التشبث بهذه الحياة العاجلة ·

والإسلام ـ من أجل ذلك كله ـ ربط النفوس بعبادات من شأنها أن تتكرر بين أوقات قريبة متلاحقة لتكون صقلاً لها ، وغرساً لمبادىء البر فيها غرساً سليماً تثمر به ، وتؤتى أكلها طيبةً بإذن ربها · وبهذا يكون الفرد المسلم شخصية مسلمةً حقاً لها قدرها ووزنها عند الله ، ثم عند الناس ، ومن ثم تصلح نواةً للأمة المسلمة التى فضلها الله تعالى على أمم العالمين ·

من هذا المنطلق ، أدعو كل مسلم أن ينظر فى نفسه ، ويراجع أحوالها ، ليرى : هل يصلح بها أن يكون نواةً للأُمَّةِ المسلمةِ ؟ فإن وجدها كذلك ، فليحمد الله تبارك وتعالى ،

وليسأله الثبات ، والمزيد من الخير ، وإن وجدها غير ذلك ، فَلْيَرْعَوِ ، ولْيَحْزِمْ أحوالها ، ولْيَسْتَقِمْ بها على أمر الله ، إذ أن المسلمين أشد ما يكونون اليوم حاجةً إلى لَبِناتٍ قوية صالحة ، تشيد بناء أمتهم ، وترسخ دعائمه ، وتعلى صرحه ، لتدكَّ معاقل أعداء الله : من صهاينة غادرين ، وصليبيين حاقدين ، وشيوعيين ملحدين ، واشتراكيين ماركسيين ، وأعوان هؤلاء وأولئك فى أى صورة ، وفى أى مكان ، حتى تقرّ أعيننا بأمتنا المسلمة الواحدة التى تكون لها الهيمنة والصدارة على مدى الزمان ·

أسأل الله تعالى أن يعجل بتحقيق ذلك ، إن عليه وحده قصد السبيل ، وإن عليه وحده التكلان · وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه ···

سـعد نـدا

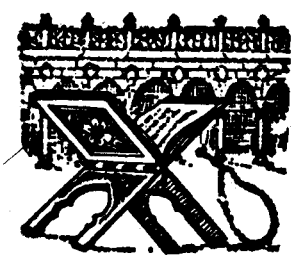

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ السَّلامُ وَأَنَا الإِسْلامُ فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ اليَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ اليَوْمَ أُعْطِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ.

رواه أحمد

التفسير وأصوله

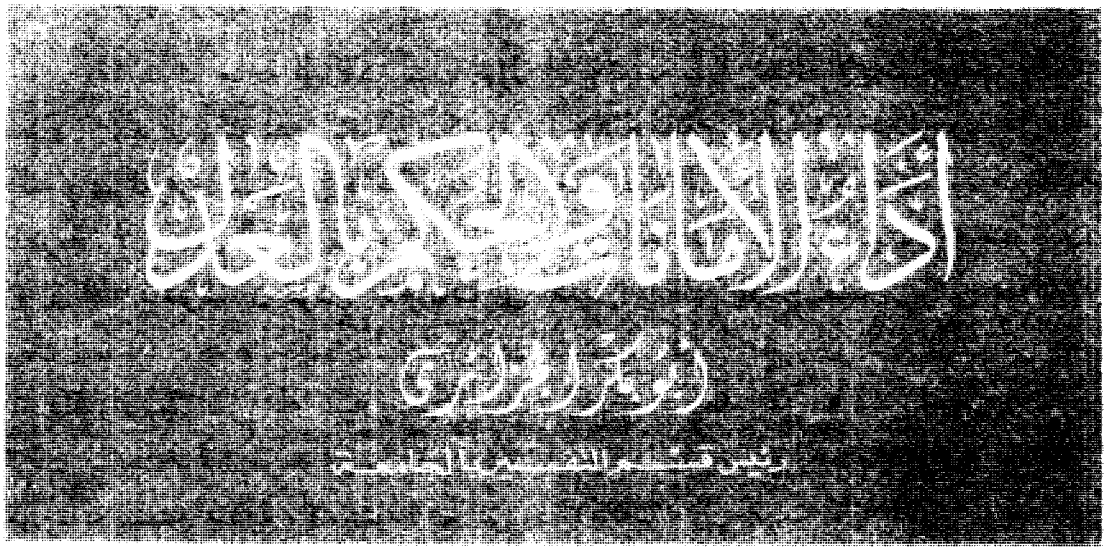

يقول الله تعالى : **(إنّ الله يأمرُكم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعمَّا يعظكم به ، إنَّ الله كَانَ سَميعاً بصيراً)** « النساء الآية : ٥٨ » ٠

مناسبة الآية لما قبلها :

كانت الآيات فى التنديد بأهل الكتاب وإظهار بعض مساوئهم ، والتعجيب من حالهم إذ هم أهل كتاب ، ثم هم يسفون إسفاف أهل الجهل والضلال ، حتى إنهم فضلوا أهل الوثنية ـ كفار قريش ـ على أهل الدين الحق والتوحيد الخالص ـ محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ـ إذ قالوا لكفار قريش : أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، وذلك لما سألهُم بعض زعماء قريش عن أىّ الفريقين أهدى ...

ولو أدى أهل الكتاب الأمانة التى أؤتمنوا عليها وهى البيان للناس ، وعدم كتمان الحق ، لما جحدوا نبوّة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كفروا به وبالدين الحق الذى جاء به ، ولكن خانوا أمانتهم ، وجاروا فى حكمهم ، فكتموا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحكموا بتفضيل الباطل على الحق ، والكفر على الإيمان ، والعياذ بالله تعالى ، فناسب أن يذكر الأمر بأداء الأمانات ، والحكم بالعدل ٠ فقال تعالى : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات)** الآية ٠ فكان وجه المناسبة واضحاً قوّياً بين الآيات ٠

سبب نزول الآيــة :

ما هناك حاجة إلى ذكر سبب نزول الآية بعد بيان اتصال الآيات ببعضها واتحاد معناها . بيد أن أكثر أهل التفسير يذكرون هنا حادثة مفتاح الكعبة . وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم له من عثمان بن طلحة ورده إليه بعد دخوله الكعبة وخروجه منها يوم فتح مكة المكرمة ، لأن سياق القصة يقول : خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من البيت وهو يتلو آية : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)** وأعطى المفتاح لعثمان ، وابن عمه شيبة وقال لهما (١) : خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم . فظن أن الآية نزلت فى هذه الحادثة والرسول صلى الله عليه وسلم فى البيت فخرج يتلوها . غير أنه ليس لازماً أن تكون نزلت بالبيت ، لأن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم لها بعد خروجه من الكعبة قد تكون من باب التمثل بالآية والاستشهاد بها على رد الأمانات ، وإن كانت الآية قد نزلت قبل فى سياق السورة الطويلة سورة النساء التى منها هذه الآية . كما أنه لا مانع أن تكون الآية قد نزلت فى هذه الحادثة أثناء وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فى داخل الكعبة وخرج يتلوها بياناً لحكم رد المفتاح إلى عثمان وابن عمه وقد أخذه منهما على أساس أنه أمانة مؤداة كما جاء فى ألفاظ القصة ، ثم وضعت الآية فى الموضع الذى يناسبها من السورة .

ولعل القراء الكرام يودون سماع قصة المفتاح فنورد لهم بعض ألفاظها هنا فنقول : ذكر صاحب تفسير المنار رحمه الله تعالى : ان صاحب كتاب لباب النقول قال : أخرج ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن أبى طلحة فلما أتاه قال : أرنى المفتاح ! فلما بسط يده إليه ، قام العباس فقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمّى اجمعه لى مع السقاية ، فكفَّ عثمانُ يدَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتِ المفتاح يا عثمان ، فقال هاك أمانة ، فقام ففتح الكعبة ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح ، فدعا عثمان ابن طلحة فأعطاه المفتاح ، ثم قال ، **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)**

---

(١) عثمان وشيبة ابناء عم . إذ عثمان هو عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى أسلم فى الهدنة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص . وأما شيبة فهو ابن عثمان بن أبى طلحة . مات عثمان بن أبى طلحة فى غزوة أحد مشركا إذ كان حامل لواء المشركين فيها . وبقيت السدانة فى أولاد شيبة إلى يومنا هذا ..

حتى فرغ من الآية . وأخرج شعبة فى تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال نزلت هذه الآية فى عثمان بن أبى طلحة أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فدخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فناوله المفتاح ، قال : وقال عمر ابن الخطاب ما سمعته يتلوها قبل ذلك . قلت ظاهر هذا أنها نزلت فى جوف الكعبة اهـ .

مباحث الألفاظ :

إن : حرف **توكيد** ونصب ، توكيد يؤكد به الخبر الذى تضمنته الجملة التى دخل هو عليها . **ونَصْب** أى ينصب الاسم الذى بعده . **ويرفع** الخبر لفظاً ان كان مفرداً ، أو حكماً إن كان جملة كما هو هنا (يأمركم) .

الله : هذا هو اسم الجلالة الأعظم ، وهو عَلَمٌ على ذات الربّ تبارك وتعالى ، فيُنادى به ويُدعى فيقال يا الله ، فيجيب سبحانه وتعالى .

يأمركم : الأمر : الطلب على وجه الاستعلاء ، فالله تعالى هو الآمر ، والعباد هم المأمورون ، والله تعالى هو الغالب القاهر والعباد هم المغلوبون المقهورون .

فلذا كان طلبه تعالى منهم أداء الأمانات والحكم بالعدل أمراً يجب أن يطاع فيه .

أنْ : حرف مصدر ونصب . سميّت المصدريّة لأنها تسبك مع الفعل الذى دخلت عليه بمصدر فقوله : أن تؤدوا الأمانات ، يصح سبك أنْ والفعل بمصدر فيصبح الكلام : تأدية الأمانات ، أو أداء الأمانات . ونسبت إلى النصب لأنها تنصب المضارع بعدها فيُفْتَحُ إن كان مجرداً من ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو نون المخاطب ، وتحذف النون إن كان متصلاً به ما ذكر من ألف الاثنين .. الخ .. كما هو الآية : أن تؤدوا . فحذفت نون تؤدون وهى نون الرفع المتصلة بواو الجماعة . فأصبحت تؤدوا .

تـؤدوا : معناه : تعطوا ما ائْتُمِنْتُم عليه وتُقْضُوهُ صاحبه الذى أمنكم عليه ، وائتمنكم على حفظه .

الأمانات : جمع أمانة وهى كل ما أئتمن عليه الإنسان ليحفظه ويؤديه إلى من ائتمنه عليه وقت الطلب . ويدخل فى الأمانات كل ما تعهد العبد بأدائه لله تعالى من سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة أمانة . وأحاديث تجرى فى المجلس أمانة وفى الخبر المجالس بالأمانات .

إلى : حرف جر يجر الاسم ويخفضه نحو ذهبت إلى المسجدِ فالمسجد مجرور بمعنى مخفوض بالجرة التى هى الكسرة · ويقال فيها حرف جر وغاية لأن المجرور بها هو منتهى المطلوب وغايته ·
فغاية الذهاب المسجد · وغاية أداء الأمانات أهلوها ·

أهلها : أصحابها المستحقون لها استحقاقا شرعياً لأنها لهم وهم مالكوها · ولذا لم يقل أصحابها بل قال : أهلها ، لما فى معنى (أهل) من الأهلية التى هى الاستحقاق بجدارة وتأهيل وثبوت ·

وإذا : الواو حرف عطف ، إذ عطفت بها جملة الحكم بالعدل على جملة أداء الأمانات · و (إذا) شرطية ، وهى ظرف لما يستقبل من الزمان ، خافض لشرطه منصوب بجوابه ·

حكمتم : قضيتم بما يمنع أحد الخصمين من صاحبه ويكفه عنه ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان القضاء بالحق ·

بين : ظرف بمعنى وسط منصوب على الظرفية ·

الناس : لفظ دال على جمع كلفظ قوم ورهط · وَاحِدُهُ من غير لفظه وهو إنسان ، ويجمع إنسان على أَنَاسِىّ وهم البشر · خلاف الحيوان والجان والملائكة ·

أن تحكموا بالعدل :

أنْ : حرف تقدم معناه ·

تحكموا : تقدم معناه أيضا ·

بالعدل : الباء حرف جر ومعناها هنا الآلة بمعنى أن ما دخلت عليه فيه معنى الآلة التى يكون بها الشىء · فقولنا ذبحت بالسكين : السكين آلة الذبح ، وحكمت بالعدل : العدل آلة الحكم · والعدل ضد الميل والجور ، وهو إذاً الإنصاف والمساواة بإعطاء صاحب الحق حقه ، ومنع الآخرين من الجور والظلم ·

إنَّ : تقدم معناها ·

الله : تقدم معناه أيضا ·

نِعِمَّا : أصل الكلمة نِعْمَ · ما · فنعم كلمة مدح واستحسان ، مشتقة من النعمة التى هى الخير وما يحسن بالإنسان ولا يسوؤه · **ومـا** نكرة بمعنى شيء · ركبّت مع بعضها بعضا فأصبحت نِعِمَّا · ودخلها إعلال بتسكين الميم الأولى وإدغامها فى الثانية ، وكسر العين بعد تسكين الميم حتى لا يلتقى ساكنان ·

يعظكم : يأمركم · أى نعم شيء يأمركم الله به : أداء الأمانات والحكم بالعدل ·

بـه : الباء حرف جر : الضمير يعود على الشيء المأمور به وهو أداء الأمانات والعدل فى الحكم بين الناس ·

إنَّ : حرف تقدم معناه ·

الله : تقدم معناه أيضا ·

كان سميعاً بصيراً : كان فعل ماض ناقص يخبر به عن الماضى المنقطع ، والمستمر إلى زمن التكلم وما بعده · يرفع الاسم وينصب الخبر ، واسم كان هنا ضمير مقدر فيها تقديره هو ، يعود على الله تعالى ، وسميعا بصيراً خبران عن اسم كان · ومعنى السميع ذو السمع الكثير ، والبصير ذو الإبصار الكثير أيضا ، لأن صيغة فعيل المعدولة عن فاعل تكون للمبالغة فى الكثرة فهى أعظم من سامع ، ومبصر ·

معنى الآية الإجمالى :

يخبر تعالى أنه يأمر عباده المؤمنين بأداء الأمانات إلى أهلها الذين ائتمنوهم عليها ، وبالعدل فى أحكامهم إذا هم حكموا بين الناس فى كل شيء حكموا فيه · كما يخبرهم أن ما أمرهم به من أداء الأمانات ، والحكم بالعدل هو أمر حسن ، لهم فيه خير عظيم إذ عليه تتوقف سعادتهم وهناؤهم فى دنياهم وأخراهم · وحفزاً لهم على قبول أمره وامتثاله لما فيه من الخير الكثير أخبرهم أنه سبحانه وتعالى سميع لما يقولون بصير بما يعملون ، يعلم منهم أماناتهم ، وخياناتهم ، وعدلهم ، وجورهم · وسيرتب جزاءهم على كسبهم ، ويجزيهم به إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر ·

خَطَرُ هـذه الآية :

إن هذه الآية الكريمة : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الخ ··· ذات خطر عظيم

على الهيئة البَشرية كلها ؛ لأن قوام الحياة كلها على أداء الأمانة ، والحكم بالعدل ، ولذا قال بعضهم : هذه الآية والآية التى بعدها (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) عليهما قيام الدولة الإسلامية ، ولو لم ينزل فى القرآن غيرهما لكفتا ، ولما احتيج فى نظام الدولة إلى غيرهما ·

وبيان ذلك : أن الأمانة لفظها يشمل كل ما ائتمن الله تعالى عليه عباده المؤمنين من سائر التكاليف وهى **أعمال القلوب والألسن والجوارح** ، فإذا أدى كل فرد ما التزم به مما ائتمنه الله تعالى عليه استقامت الحياة للناس كلهم وسعدوا أجمعون · وبما أن الضعف فطرى فى الإنسان (وخلق الإنسان ضعيفاً) فإن وجود ظلم أو حيف من بعض الأفراد من أهل الأمانات ضرورى حسب طبيعة الحياة الإنسانية ، فإذا وجد الحكم العادل وكان خلقا لكل مؤمن ، فما يحكم أحدٌ فى شىء إلا تحرى العدل وحكم به ، تلافى المؤمنون ذلك الضعف فى حياتهم الإيمانية ، فكملوا وسعدوا · والكمال والسعادة فى الدنيا آية الكمال فى الآخرة والسعادة فيها · كما أن النقص والشقاء فى الدنيا علامة الشقاء والنقص فى الحياة الآخرة ·

عنايَة الشارع برعاية الأمانة والعدل :

لما كانت الحياة السعيدة وهى الآمنة المطمئنة لا تتوفر إلا فى أجواء الأمن والعدل الكاملين ، كانت عناية الشارع بهذين الخُلُقين كبيرةً جداً ، ففى القرآن الكريم ، تذكر الأمانة فى موضع منه ، وأنها عامة فى سائر التكاليف الشرعية ، فكل شىء فى حياة المؤمن أمانة يجب رعايتها « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فالمؤمن مسئول عن قلبه لا يسمح للشيطان أن يحتله عليه فيفسده عليه ولا يخرج منه ، مسئول عن بدنه بكل حواسه لأنه الآلة التى بها يعبد ربه ، فإذا فرَّط فى جزء منه تعطلت المهمة التى خلق لها وهى العبادة · وموضع هذه الآية المفيدة لعموم الأمانة هى قوله تعالى من سورة الأحزاب : **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان · إنه كان ظلوما جهولا)** ·

كما تذكر الأمانة فى موضع آخر من القرآن وأنها أحد الأسباب القوية فى تطهير الروح وتزكية النفس من داء الشح ومرض الهلع · وذلك من سورة المعارج · كما ذكرت فى سورة المؤمنون وأنها أحد موجبات الجنة ومقتضيات دخولها والأسباب المورثة لها · وفى السنة النبوية تصريحات خطيرة فى شأن الأمانة ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان

لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » رواه أحمد وابن حبان وغيرهما وعلم عليه بالصحة فى الجامع الصغير · ومعناه ظاهر ، فإن الذي لا يحفل بالأمانة ولا يهتم برعايتها حتماً سيؤدى به ذلك شيئاً فشيئاً حتى يسلب الإيمان · والعياذ بالله تعالى ، لأن المعاصى بريد الكفر كما يقولون ، وهو الواقع ·· وكمضيع الأمانة ناكث العهد فإن نكث العهود والاستمرار على ذلك لم يبق للعبد ديناً يدين به لله تعالى ، وذلك لعدم احترامه لالتزاماته مع الله ومع الناس · وما دام لم يلتزم لله بطاعة ، ولا لعباده بحق ، فماذا بقى له من الدين ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ·

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُنْ من خانك » (١) · فإنه صلى الله عليه وسلم لم يأذن للمؤمن أن يعاقب من خانه بخيانة مثل خيانته ، وذلك خشية أن يؤدى استعمال الخيانة ولو مرة واحدة وقصاصا أيضا لا ابتداء ، خشية أن يؤدى إلى أن تصبح الخيانة خلقا للمؤمن فيسلب إيمانه ويهلك ·

هذا فى الأمانة · أما ما جاء فى العدل · فهو أعظم · فمن سورة الأنعام يقول تعالى فى الوصايا العشر : **(وإذا قلتم فاعدلوا)** فهو تعالى يأمر بالعدل فى القول ، وهو يتناول الأخبار ، فيلتزم المؤمن فى أخباره بالصدق المنافى للكذب ، ويتناول الشهادات ، فيلتزم المؤمن فيها بالعدل فيؤديها كما تحملها فلا يحرفها ولا ينقص فيها ولا يزيد ، كما لا يخفى شيئا ولا يكتم آخر منها · ويتناول الأحكام إذ من شأنها تصدر بالقول فيلتزم الحاكم العدل فى حكمه ولو حكم على نفسه أو أقرب الناس إليه ·

ومن سورة (ص) ينادى تعالى عبده داود ويذكره بما مَنَّ عليه به من نعمة الدولة والسلطان ويأمره بالعدل فى الحكم فيقول : **(يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)** ·

---

(١) رواه أحمد وأهل السنن وهو صالح للاحتجاج ·

ومن سورة الحجرات يأمر الله تعالى المؤمنين بالعدل فى الصلح إذا أصلحوا بين المختصمين ويأمرهم بالعدل في الحكم ويرغبهم فيه بذكر حبه لأهله فيقول : **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بَغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)** ·

ومن أجلّ ما ورد فى السنة فى شأن العدل وفضله وفضل أهله ـ جعلنى الله وإياكم من أهله ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وَلُوا » · رواه مسلم وأحمد والنسائى ·

فأى ترغيب أعظم ، وأى شرف أجل وأكبر كما هو فى العدل وأهله · إن أهل الإقساط والعدل على منابر من نور ، وأين ؟ إنهم على يمين الرحمن ، فأى كرامة أكبر من هذه الكرامة ؟ !

وهذا وحده كافٍ فى الدلالة على أهمية العدل وشرفه وشرف أهله · ومن هنا قدمنا القول بأن جماع صلاح الدنيا والآخرة والسعادة فيهما ، هو فى أداء الأمانات ، والعدل فى الأحكام ·

وأخيراً ، من الأحكام العملية فى هذا الباب أن من ائتمن على شىء ولم يفرط فيه بأىّ وجه من أوجه التفريط ، ثم ضاع منه بدون رضاه · فلا يلزمُهُ أداؤه شرعاً ولا أدباً · كما أن من اجتهد فى إصابة العدل والحق وكان من أهل الاجتهاد فعلا ، ثم لم يصب الحق والعدل فى قوله أو حكمه أو فعله بأن أخطأ فلا إثم عليه ، إذ لا يؤاخذ الله العبد إلا بفعله أو قوله الإرادى الاختيارى · وفى الحديث « من اجتهد فأخطأ فله أجر اجتهاده » ···

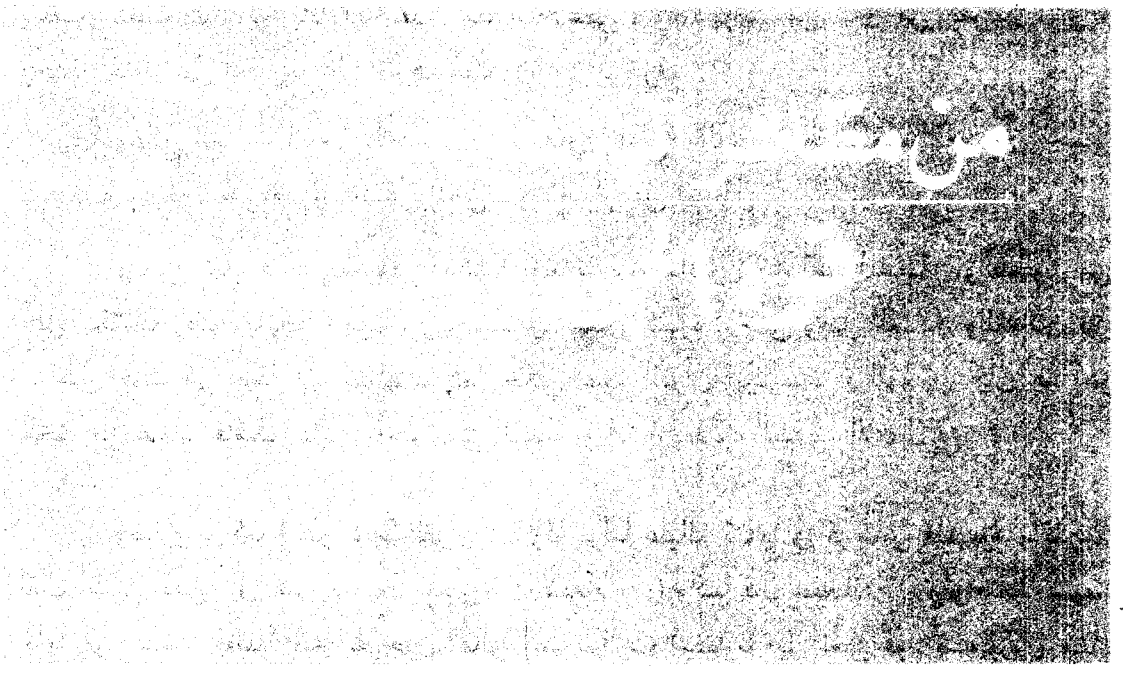

عرض القرآن الكريم لكثير من قضايا الدين والدنيا ، وسلك في عرضها أساليب مختلفة متنوعة ، وما عرض لقضية في صورة من الصور إلا أتى فيها بما يثلج الصدور ، ويروى الظماء ، وبما يقنع من يريد أن يقتنع ، ويهدى من يبحث عن جادة الطريق .

ولم يجنح بالضالين منذ عهد البعثة إلى يومنا هذا عن سواء السبيل إلا الجهل أو العناد ، أو هما معاً .

وأخطر أدواء الجهل هو الجمود على دين الآباء والأجداد ، وأخطر أدواء العناد هو الحقد على الدعوة ، وصاحبها ، ثم على الإسلام والمسلمين .

وقد عالج القرآن الكريم هذين الداءين بما يحسمهما ، لو اعتصم المارقون بالعقل ، وخلدوا الى الإنصاف ، وصنعوا لأنفسهم ، وبغوا لها الخير والصلاح في الدين والدنيا ، وربأوا بها عن الارتكاس في ظلمات الجهل ، والتردى في نيران الحقد .

عالج الجهل بالدعوة الى النظر في ملكوت السموات والأرض ، والى الاستماع لآيات الله وإمعان النظر فيها ، وبالأمر بسؤال أهل الذكر ، حين تستبهم المعالم ، وتضل الطريق ،

وتطبق الظلمات ، ثم بالزراية على التقليد الأعمى ، وبالتهوين من شأن من يقولون : « إنا وجدنا آباءَنا على أمَّة وإنَّا على آثارهم مُهتَدُون » (الزخرف /٢٢) .

وعالج العناد بالحجة الحاسمة ، والبرهان الدامغ ، الذى لا يجد المعاند معه ـ أن أحسن الى نفسه وعقله ـ طريقا إلى التنكر للحق ، والأصرار على الباطل .

ولكن كفار قريش ، ومعهم مشركو العرب ، والمنافقون من أهل المدينة ، والضالون من أهل الكتاب رضوا بالجهل حيناً ، وبالعناد في أحيان كثيرة ، حتى وصل العناد ، والتمادى فى الباطل بمشركى مكة أن يقولوا ـ كما حكى عنهم القرآن الكريم ـ « اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحقَّ مِنْ عندك فأمْطِر علينا حجارةً من السماء أو إئتنا بعذاب أليم » (الأنفال /٣٢) .

وصاروا ـ كما أخبر عنهم القرآن : « ولو نزَّلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوهُ بأيْديهم لقال الذين كَفَرُوا إنْ هذا إلاَّ سْحِرٌ مبين » (الأنعام /٧) وكما قال سبحانه : « ولو فتحنا عليهم بابا من السَّماء فظلُّوا فيه يَعْرُجون لقالوا إنما سَكرتْ أبصارنا بل نحن قوم مسْحورُون » (١) (الحجز /١٤ ، ١٥) .

وكما قال تعالى : « ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قُبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون » (الأنعام /١١١)

بل اشترطوا لإيمانهم وخضوعهم شروطاً : « قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله » (الأنعام /١٢٤) .

وقد سبقهم بنو اسرائيل بمثل هذا العناد ، فخالفوا على نبيهم موسى ، وردوا دعوته : وقالوا « لَنْ نؤمن لك حتى نرى الله جَهْرة » (البقرة /٥٥) . « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » (الأعراف /١٣٢) .

وكان فعل اليهود هذا تسلية للنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قص عليه القرآن نبأهم حين ضاق النبى بتعنت قومه ، وطلبهم الآيات : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السَّماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرِنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقةُ

---

(١) ومعنى الآية ـ كما قال ابن عباس ـ : لو ظل المشركون يصعدون فى تلك المعارج ، وينظرون إلى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه ، وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا في تلك الرؤية ، وبقوا مصرين على كفرهم وعنادهم .
ومعنى (سكرت أبصارنا) لا تدرك الأمور عل حقائقها ، فكأنها منعت من النظر ، فحارت وسكنت عن النظر .

بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » (النساء /١٥٣) ٠

وقد كان أهل الكتاب يعرفون محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يعرفون أبناءهم ، ويعرفون ـ كما يعرف كفار مكة ـ أن القرآن حق ، وأنه من عند الله ، ولكنها الكبرياء والعناد والجهل ، عوائق تصدهم عن ذوق حلاوته ، وفيهم يصدق قول أبى الطيب المتنبى : ـ

ومن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يجـدُ مرًّا به الماءَ الزُّلالا

وقد عرض القرآن الكريم مختلف الأدلة والبراهين في كل قضية عرض لها ، وكان يسلك أسلوب البسط أحيانا ، وأسلوب الإيجاز أحيانا أخرى ، وفي كلتا الحالتين كان يصل إلى نهاية المدى في إبلاغ الحجة ، وإقامة الدليل ، مع القوة والوضوح ٠

كان يتناول القضية فيلم بجميع أطرافها حتى لا يترك فيها مقالا لقائل ، أو يتناولها فيكتفى بموضع الحجة ، ولكنها الحجة الحاسمة الدامغة ٠

ومن أروع ما في المحاجات القرآنية أنها لم تقتصر على خطاب العقل وحده كما هو الشأن في البراهين المنطقية ، ولا على مخاطبة الوجدان وحده ، كما هو الشأن في الخطابات ، والأخيلة الشعرية ٠ وإنما كان يشرك مع العقل الوجدان فيخاطبهما معاً ، وبذلك تبلغ الحجة من العقول والقلوب ما تريد ، من تثبيت الحق ، وازهاق الباطل ، واقناع ذوى الفطر السليمة ٠

ولم تكن حجج القرآن وبراهينه مغرقة في الفلسفة ، ولا موغلة في المنطق ، ولا بعيدة عن الفطرة ، بل اعتمد أكثرها على لفت النظر إلى المشاهد الحسية ، والبديهيات التى لا خلاف عليها ، وربما نظر بعضها إلى الاقناع المنطقى ، ولكنه لا يستدعى التفكير الطويل ، ولا يشوبه شيء من الغموض الذى يشوك طريق السالك إلى الحق : « لو كان فيهما آلهةٌ إلاَّ اللهُ لفسدتا » (الأنبياء من الآية ٢٢) ٠ « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهْوَن عليه » (الروم من الآية ٢٧) (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يُحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أوَّلَ مَّرة وهو بكل خلق عليم » (يس الآيتان ٧٨ ـ ٧٩) ٠

وقد وجه القرآن الأنظار إلى كثير من آيات الله في خلق السموات والأرض ، وفي خلق الأنفس ، وسائر الكائنات ، وضَرَبَ الأمثالَ ، وصرَّفها على وجوه كثيرة ، وألزم المعرضين في كل ذلك الحجة على صحة ما وجههم اليه ٠

وربما استغرقت القضية ـ كما أشرت ـ العدد الكثير من الآيات ، بل ربما جاءت السورة بأكملها ـ مع طولها ـ لتشرح قضية من القضايا ، وتحتج لها ، وربما اكتُفي بالآية الواحدة ، بل بالجملة من الآية ، بل بالكلمة ، فتقام بذلك الحجة ، ويقنع به البرهان ٠

وسأكتفى في هذا البحث الموجز بالحجج القصيرة التى أغنت ـ مع إيجازها ـ عن كلام كثير .

لقد سيطر الجهل على عقول المشركين فزعموا ـ فيما زعموا من ترهاتهم وأباطيلهم ـ أن لله ولدا ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذا الزعم في أكثر من آية : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً » (مريم الآية ٨٨) وزعموا أن هذا الولد ليس من الذكور بل هو من الإناث : « ويجعلون لله ما يكرهون » (النحل من الآية ٦٢) . « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا » (الاسراء الآية ٤٠) . وهذه هى الفرية الثالثة أنهم جعلوا الملائكة بنات الله .

ثلاثة أباطيل أذاعوها ، وآمنوا بها : أن لله ولدا ، وأن هؤلاء الولد هم الملائكة ، وأن هؤلاء الملائكة إناث .

فماذا كان رد القرآن عليهم ؟

لقد جاء في بعض الآيات ردود قصيرة على مجرد اتخاذ الولد ، فهم يزعمون أن لله ولدا ولكنهم لا يقولون أن له زوجا ولدت الولد ، فحجهم القرآن : « وجعلوا لله شركاء الجنَّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديعُ السموات والأرض أنىَّ يكون له ولد ولم تكنْ له صاحبةٌ وخلق كلَّ شيء وهو بكل شيء عليم » (الأنعام ١٠١) .

« بغير علم » . « أنىَّ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » . حجتان مقنعتان لمن يريد أن يقتنع فدعواهم صادرة عن جهل لا عن علم ، فكيف تكون موضع يقين عندهم ؟ بل كيف تكون موضع شك ، أو وهم ؟ وهى دعوى لا تستند على أساس صحيح ، فكل من ولد كانت له زوج ، وأنتم مؤمنون بأنه لا زوج له ، فأين تذهب بكم أوهامكم ؟ !

ثم بين سبحانه في آية أخرى مصدر العلم الصحيح ، ونفاه عنهم في أوجز عبارة ، وأقوى حجة : « وجعلوا الملائكة الذين هم عبادُ الرحمن إناثا أشهِدوا خلقهم » (الزخرف من الآية ١٩) .

هكذا في ايجاز وحسم : « أشهدوا خلقهم » مع هذا الاستفهام الإنكارى التوبيخى الذى أدى ما يعجز الخبر التقريرى عن أدائه .

وقد جاء هذا الرد الحاسم في آية أخرى : « فاسْتَفْتِهم ألربك البناتُ ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون » (الصافات الآيتان ١٤٩ ـ ١٥٠) .

فالملائكة خلق من خلق الله ، لم يطّلع أحد من البشر على حقيقة خلقهم ، فلا سبيل للحكم بنوع هؤلاء العباد ؛ لأن الحكم على شيء ما ، لا بد أن يكون عن طريق مشاهدته ، أو عن طريق خبر صادق عنه ، وهم ـ قطعا ـ لم يشهدوا خلقهم ، ولا ينكرون أنهم لم يشهدوا ، ولم يأت به خبر صادق ، لا من القرآن الكريم ، ولا من خبر الصادق الرسول الأمين ، فكما أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة كما صرحت الآية الكريمة ، وكما هو أمر لا جدال فيه ، كذلك ليس عندهم علم عن طريق الأخبار الصادقة ، وبذلك تحداهم القرآن : « ألا إنَّهم من إفكهم ليقولون وَلَد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطانٌ مبينٌ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين » (الصافات الآيات ١٥١ ـ ١٥٧) . وأين هو الكتاب ؟ فقد انتفت عنهم المشاهدة ، وانتفى عنهم الخبر الصادق . فمن أين جاء لهؤلاء المفترين أن الملائكة إناث ، وأنهم بناتُ الله ؟ وكيف سمحت لهم عقولهم أن يدَّعوا دعوى لا يمكنهم اقامة الدليل عليها من مشاهدة عيان ، أو من خبر صادق ؟ .

ومشركوا مكة اتَّهموا رسول الله محمدا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ بالجنون ، ويبدو أن هذه كانت أول تهمة اتهموه بها ، فقد جاء ذكرها في سورة القلم ، وهى من السور الخمس الأوائل نزولا . ثم جاء ذكرها في آيات أخرى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » (القلم الآيتان ١ ـ ٢) . « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزِّقتم كل مُمزَّق أنكم لفى خلق جديد أفْترى على الله كذبا أم به جِنَّةٌ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » (سبأ الآيتان ٧ ـ ٨) . « أم يقولون به جِنَّة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون » (المؤمنون الآية ٧٠) . « أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولَّوا عنه وقالوا مُعلَّم مجنون » . (الدخان ١٣ ـ ١٤) الى غير ذلك من الآيات .

فماذا كان ردُّ القرآن عليهم في نفي هذه التهمة عن رسوله المبين ؟

بأوجز كلمة . وأقواها دلالة ردَّ عليهم القرآن الكريم في ثانى آية نزلت بعد : « اقرأ باسم ربك » وهى آية القلم : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .

قال الفخر الرازى في تفسير هذه الآية : « نفى الجنون عنه ، ثم إنه تعالى قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها ، وذلك لأن قوله : « بنعمة ربك » يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة ، والعقل الكامل ، والسيرة المرضية ، والبراءة عن كل عيب ، والاتصاف بكل مكرمة ، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون ، فالله تعالى نبَّه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم إنه مجنون) .

ونلاحظ أن الكلمة جاءت في سياق الكلام ، ولم توضع موضع الرَّد ، ولا سيقت مساق الحجة على نفي التهمة ، وإنما قرنت بالآية ليتنبه لها الفطين ، ويدرك ـ كما أنهم ولا شك أدركوا أنها من أقوى الأدلة ، وقد جاءت الكلمة نفسها في آية أخرى : « فذكِّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » . (الطور ـ ٢٩) (١) .

ومثل ذلك يقال في كلمة : « مبين » التى وردت في آية (الدخان) فهم لا يجهلون أنه مبين بل لا يجهلون أنه من أبين أبينائهم ، فلا شك أن الكلمة لفتتهم لفتا قويا إلى مدى ما يرتكسون فيه من باطل حين يتهمون هذا الرسول المبين بما هو أبعد شيء عن الإبانة ، ذلك أن من أول ، بل من أقوى آلاتها العقل ، بل العقل الحصيف الواعى .

وكذلك حجَّهم القرآن بكلمة واحدة في نفى ما بهتوا به الرسول من الجنون : وفي أول الدعوة ـ أيضا ـ ، فقد جاء في سورة (التكوير) ، وهى خامس سورة نزلت قوله تعالى : « وما صاحبكم بمجنون » (التكوير الآية ٢٢) . والمراد بصاحبهم في الآية رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد كرَّر القرآنُ هذا الوصف فجاء في سورة (الأعراف) : « أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّةٍ إن هو إلا نذير مبين » (الأعراف الآية ١٨٤) ، وجاء في سورة (سبأ) : « قل إنما أعظكُم بواحدة أنْ تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّة إن هو إلا نذير لكم بين يَدَىْ عذاب شديد » (سبأ الآية ٤٦) .

والذى يَلْفِتُ النظر في هذه الآيات هو تكرار كلمة (صاحب) ، واضافتها إلى كفار مكة ، وربطها بالفِرْية العظمى التى افتروها على الرسول ، وهى اتهامه بالجنون .

فكيف وهو (صاحبهم) مرة بضمير الغيبة ، ومرة بضمير الخطاب ، وهو (صاحبكم) أيها المتهمون له بالجنون ؟ !! .

نشأ بينكم ، وقضى طفولته وشبابه وكهولته بين ظهْرانيكم ، وأنتم تعرفونه حق المعرفة ، فهو صاحبكم ، تعرفونه ، ويؤكد بعضكم أنه لم يكذب قط ، بل تعرفون أنه لم ينحرف لحظة واحدة عما يقتضيه العقل والحكمة ، وحسن الروية ، وبعدُ النظر .

أبعد أربعين سنة عاشها بينكم ، وهو من أوسطكم دارا ، وأشرفكم نسبا ، وأكرمكم أباً وأما ، يصدق في القول ، ويحفظ الأمانة ، ويحكم ـ حين تحكمونه ـ بأعدل حكم ، وأنتم في كل ذلك تصحبونه في غدوه ورواحه ، ومَنْشطه ومكرهه . وتلقبونه بالصادق الأمين دون أن

---

(١) وتلاحظ في آية (الطور) أن القرآن نفى عن الرسول الكهانة أيضا ، وهي مما اتهم به ، ومن اليقين أن الكهانة لا تجتمع مع نعمة الله فى قلب إنسان .

يطلب منكم أن تثنوا عليه ؛ أو ترفعوا من قدره ، وإنما أنطقكم بذلك واقعه ٠

أبعد كل هذا تتهمونه بما تعتقدون أنه منه براء ، وأنه إذا كانت هناك صفة أبعد ما تكون عن إنسان فهى صفة الجنون يوصف بها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ !!

وليس بعجيب أن يتخبط الكافرون المعاندون ، فقد جاء في القرآن الكريم : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون » (الذاريات :آية ٥٢) ٠

فهى سنة الله تعالى مع أنبيائه ، ومع أقوامهم ٠

ولكن كان على كفار مكة أن يتفكروا ، وأن يطيلوا التفكير قبل أن يلقوا هذه التهمة على أعقل العقلاء ، وأحكم الحكماء : « أفَلَم يدَّبروا القول أم جاءهم ما لَمْ يأتِ آباءَهم الأولين أمْ لَمْ يعرفوا رسولَهم فهم له منكرون » ٠ (المؤمنون : آية ٦٨ ، ٦٩) ٠

بلى : هم يعرفون رسولهم ، وإنما أنكروا وجحدوا وادَّعوا عِنادا وطغيانا ، وتكبرا ، وتجبرا ، كما أخبر سبحانه بآية كريمة واضحة بعد آيات (الذاريات) السابقة : « أتَوَاصَوا به بلْ هم قوم طاغون » ٠ ليس التواصى هو سبب هذه الادعاءات الباطلة ، وإنما هو الطغيان بدليل (بـــل) الاضرابية ٠

قال العلامة أبو السعود في تفسير هذه الآية : « بل هم قوم طاغون » ٠ قال : (إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشرِّ تواصيهم بذلك ، وإثبات لكونه أمرا أقبح من التواصى ، وأشنع منه ، من الطغيان الشامل للكل الدال على صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلَّته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم) ٠

فلولا هذه النفوس الخبيثة ، وهذه الطباع السيئة لكان أدنى تفكير في هذه الكلمة القرآنية الحاسمة : (صاحبكم) كفيلا بأن يردهم إلى الصواب ، وينطقهم بما هو أجدر بعقولهم ، ومكانتهم في قولهم وفي العرب فيرجعوا عن بهتانٍ هم أول من يعلم أنه بهتان ٠

لو أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان من شعب آخر غير الشعب العربى ، أو لو أنه رُبِّى في بيئة أخرى غير بيئة مكة ، أو بين ظهرانى قومٍ غير قريش ، لو كان شىء من ذلك لكان لقولهم وجه ما ٠

وقد زعم مشركوا مكة أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعلم القرآن من بشر ٠ قال تعالى : « ولقد نعلم أنَّهم يقولون إنما يعلمه بشر » (النحل آية ١٠٣) ٠

واختلفت نقول المفسرين في تعيين هذا البشر ، ولكن اتفقت كلمتهم ـ كما أكد القرآن الكريم ـ على أنه رجل ليس بعربى .

ومما قيل إنه كان غلاما روميا يصنع السيوف بمكة ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ربما مرَّ به فجلس عنده ، وسمع منه كلاما ، فوجد المشركون في هذا اللقاء بين النبى والرومى متنفَّسا لأحقادهم ، فادَّعوا أن النبى أخذ القرآن من هذا الرومى ، وهم على يقين من أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يأخذ ، ولا يمكن أن يكون مثل هذا الغلام مصدراً للقرآن الذى أعجز العرب بفصاحته وبلاغته ، ولذلك كان الرد عليهم في غاية الوضوح والحسم ، وكان مخجلا لمن لاتزال عنده بقية من حياء ،: ومن اعتصام بالتعقل ، والتعالى عن سفاسف الأقوال : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » .

هل يحتاج هذا البرهان الحاسم الى أكثر من التذكير به ، بل الإشارة إليه ؟ وهل يسع عاقلا أن يقف في وجه هذا البرهان إلا إذا فقد الحياء من الناس ، ومن نفسه ، أو إلا إذا فقد عقله أو تجاهله ؟ .

الرجل معروف عندهم ، يرتضخ لكنة أعجمية ، ولا يكاد يبين عما في نفسه ، وهم يفدون عليه ويروحون ، ولا شك أن كثيرا منهم عامله وخاطبه ، واستمع إليه ، وعرف مدى علمه بالعربية ، ودرجة نطقه السليم بها ، والقرآن بين أيديهم ، يسمعونه ، ويعجبون بفصاحته وبلاغته ، فلا حاجة ـ اذاً ـ إلى اطالة الحجج ، وتنويع البراهين ، فمجرد الاشارة ـ كما قلت ـ إلى هذا التفاوت العظيم ، والبون البعيد بين لغة الرجل ولغة القرآن كافية في اقناع من يريد أن يقتنع ، بل أكاد أقول أنها كافية في التوبيخ والتقريع والتجهيل ، وبيان مدى مجافاتهم للحق ، وتنكرهم للواقع ، وتمسكهم بالأوهام والأباطيل .

ولا يخطىء الملاحظ هنا أمرين :

الأول : التعبير باللسان ، وكان يمكن أن يقال : (الّذى يلحدون إليه أعجمى) ، ولكن التعبير باللسان هو لب هذا البرهان ، فلو عدل عنه إلى التعبير بالذى مثلا لكان للمشركين أن يقولوا : وما العجب في أن يأخذ محمد هذه المعانى من هذا الأعجمى ؟ ان المعانى شركة بين العجم والعرب ، أو يقولوا : إنه أعجمى ولكنه عالم بالعربية ، فأخذ عليهم القرآن الطريق ، وسدّ أمامهم منافذ الجدل ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا إن صاحب اللسان الأعجمى يملى على العربى مثل هذا الكتاب ، وزاد هذا الافحام قوة وصف اللسان بأنه (مبين) بعد وصفه بأنه (عربى) وهم لا يمارون في أن هاتين الصفتين من أخص خصائص القرآن .

على أنهم حتى لو ادّعوا أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ معانى القرآن من هذا الغلام لكانوا مبطلين حتى عند أنفسهم ، فإنهم أعقل من أن يتوهموا ان هذه التشريعات والحكم والمواعظ ، وسائر المعانى الأخرى الرائعة تصدر عن غلام أو غلمان يقومون بالصناعة في بلد لم يعرف ـ آنذاك ـ بأنه بيئه علمية ·

ويا للعجب · لو كان القرآن من وحى هذا الأعجمى فكيف عجزوا هم عن أن يعارضوه بأقصر سورة من مثله ، وهم فرسان الكلام ، وأبطال اللّسن والفصاحة ؟ ·

الثانى : التعبير ـ هنا ـ بالفعل (يُلحدون) ، ومعناه يميلون عن القصد ، يشيرون اشارة المائل الى الباطل ، الحائد عن الحق ·
وفيه لطيفتان :

(احداهما) : أنه مجرد ميْل واشارة ، كأنهم حين قالوا : إنما يعلمه بشر لم يكونوا يقصدون في واقع الأمر ما يقتضيه التعلم والتعليم من تردد المتعلم على المعلم ، ومن طول مكثه عنده ، ولم يكن في أذهانهم ـ حقيقة ـ ما يكون بين الطالب والأستاذ من وضع كل منهما في موضعه المعروف المتقرر ، وإنما هى إشارة ولاغير ، واشارة بعيدة عن الصواب مغرقة في الباطل ·

(ثانيتهما) : أن مادة هذا الفعل توقع في النفس معناها الأول ، وهو الإلحاد ، وإيحاؤه معروف ·

ومن العجب أنه لم يرد هذا الفعل بهذا المعنى المراد في هذه الآية في القرآن الكريم إلا هذه المرة ، وقد ورد بمعنى التجنّى على أسماء الله ، وتحريفها عن حقائقها في قوله تعالى : « ولله الأسماء الحُسنى فادْعُوه بها وذَرُوا الذين يُلحدون في أسمائه » (الأعراف : الآية ١٨٠) ، وبمعنى الميل عن الحق في آيات الله ، وتكذيبها ، والطعن على ما فيها من أدلة وبراهين ، في قوله تعالى : « إن الذين يُلْحِدون في آياتنا لا يَخفَوْن علينا » (فصلت : الآية ٣٢) ·

وقد ورد مصدر هذا الفعل مقترنا بالظلم في قوله تعالى : « إنَّ الذينَ كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والباد ومن يُرد فيه بالحادٍ بِظَلم نُذِقه من عذاب أليم » (الحج : الآية ٢٥) ·

فلا غرو أن يكون في هذا الفعل الذى جاء فى سورة (النحل) ما يوحى ـ مع أن المراد

به الاشارة ـ بأشنع أنواع الظلم ، وأخطر ألوان الميل عن الحق ·

... ...

ويزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله ينزلهم منه منازل الأبناء من آبائهم ، فلا يزيد القرآن الكريم في الرد عليهم عن عبارة واحدة فيها التكذيب المدعم بالدليل القاطع ، وفيها الإنكار والتوبيخ فى أوجز عبارة ، وأقوى مواجهة : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم » (المائدة : الآية ١٨) ·

فالدعوى باطلة ، والزعم لا أساس له ، لأن من يكون بهذه المنزلة من الله تعالى يكون بمنأى عن أمرين عظيمين :

أولهما : لا يعصى الله ما أمره ، وهذا ما كان ـ ولا يزال ـ من الملائكة المقربين : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (التحريم : الآية ٦) ·

وأنتم أيها الزاعمون ببنوة الله ، وحبه لكم تذنبون ، وتقعون في الخطايا التى تستوجب العذاب ، وكأن هذه الإضافة تشير الى شدة التصاق الذنوب بهم ، وإلى أنها ذنوب عليها طابعهم : « ذنوبكم » ·

ثانيهما : لقد زعمتم أيها اليهود أن النار تمسكم أياما معدودات ، وزعمتم فيما يروى الرواة أنها الأربعون التى عبدتم فيها العجل ، فإذا كنتم أبناء الله وأحباءه فلم يعذبكم ؟ إن الأب لا يعذب ابنه ، والحبيب لا يؤاخذ حبيبه على ما يقع فيه من أخطاء ، حتى في هذه الدعوى التى أشرت إليها يرد عليهم القرآن ردا موجز مفحما : « وقالوا لَنْ تمسنا النار إلاّ أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلنْ يْخلف اللّه عهدَه أم تقولون على الله مالا تعلمون » · (البقرة : الآية ٨٠) ·

لم يتخذوا عند الله عهدا ، وهم يعلمون ذلك ، ولو أنهم اتخذوا هذا العهد لفازوا ؛ فإن الله لا يخلف عهده ، هم متأكدون بأنه لاعهد بينهم وبين الله ، ومتأكدون كذلك أنهم يقولون مالا يعلمون ، فأى حجة ملزمة أقوى وأحسم من هذه الحجة ؟ ·

ومزاعم اليهود والنصارى كثيرة ومتشعبة ، وردود القرآن على مزاعمهم دامغة ·

ومما يضاف للمزاعم السابقة زعمهم بأن أحدا غيرهم لن يدخل الجنة : « وقالوا لن يدخل الجَّنة إلا منْ كان هَودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (البقرة : الآية ١١١) ·

اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ، ولا يمكن أن يفهم من الآية إلا هذا ؛ لما هو معروف من العداوة بين الفريقين · ومن هنا أوجز القرآن غاية الايجاز في الرد عليهم : « قل هاتوا برهانكم » ، فليس هناك أبلغ في التكذيب والتبكيت ، وابطال زعم الزاعمين ، وتخرص الكاذبين من أن تطلب اليهم أن يجيئوا بالبرهان ، وأنت على يقين من أنه لا برهان عندهم ، فتطالبهم ببرهان لن يجيئوا به ، وتشكك في صدقهم ، فلما عجزوا عن اقامة البرهان على ما يزعمون تأكد كذبهم ، وبطل زعمهم ·

وقد سلك البوصيرى ـ رحمه الله ـ هذا النهج القرآنى فجاء بما تقره العقول الراجحة المنصفة ، وبما يقف الخصم أمامه حائرا مبهوتا :

خبِّرونا أهلَ الكتابَيْن من أيـ ـن أتاكم تَثْليثكم والبَداء ؟
ما أتى بالـعـقـيدتين كـتابٌ واعتقاد لا نصَّ فيه ادّعاء
والدَّعاوى ان لم تقيموا عليها بـيـناتٍ أبـناؤُها أدْعـياء

... ...

وقضية البعث · لعلها ظفرت من القرآن الكريم ـ بعد قضية الوحدانية ـ بأوفى نصيب ·

فقد : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا » (التغابن الآية ٧) · « واقسموا بالله جَهد أيمانهم لا يبعث الله مَنْ يموت » (النحل : الآية ٣٨) وقالوا : « إن هى الا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » (الجاثية : الآية ٢٤) « وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (الأنعام : الآية ٢٩) ·

واستبعدوا أن يعودوا للحياة بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا وترابا : « أئذا مْتنا وكنَّا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون » (الصافات : الآية ١٦) (وقالوا أئذا كنا عظاما ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » (الاسراء : الآية ٤٩) ··

وسخروا سخرية بالغة من الرسول الذى أكد لهم أمر البعث ، والعودة الى حياة أخرى بعد الموت : « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجلٍ يُنبِّئكم إذا مُزِّقتم كل مُمزَّق إنكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة » (سبأ : الآية ٧) ·

واذا كانوا ـ كما أخبرت عنهم هذه الآية ـ اتهموا الرسول بالافتراء على الله ، أو بأن به مسًّا من الجنون ، فإنهم في موقف آخر زعموا أن إخبارهم بالبعث سحر وأى سحر : « وَلئِنْ

قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولَنَّ الذين كفروا إن هـذا إلاَّ سِحْر مبين » (هـود : الآيـة ٧) ٠

إلى أقوال ومزاعم أخرى أخبرنا بها القرآن الكريم عنهم ٠ فهم ـ إذًا ـ رفضوا قضية البعث رفضا باتاً ، وعبروا عن رفضهم هذا بأساليب مختلفة ، وركبوا في إنكارهم متن عشواء ، فكان لا بد أن يأتى القرآن بما يكشف الأغطية عن عيونهم ، ويرفع الأكنَّة عن قلوبهم ، ويزيل الحجب التى حالت بينهم وبين تصديق الرسول ، ويذيب الوقر الذى سدَّ آذانهم ، وكان هذا كله يقتضى من غير القرآن جدلا طويلا ، وحججا مسهبة ، وبراهين ما تكاد تنتهى حتى تبدأ ، ولكن القرآن ـ وهو المعجزة الخالدة ـ لم يزد في بعض الآيات عن كلمة واحدة ، وإن كان في بعضها الآخر يذكر أكثر مِنْ حجة ، ولكنه لا يخرج عن حد الايجاز المعجز ، ٠

وبهذا البيان الرائع ، والبراهين الدامغة الموجزة اهتدى من أراد الله هدايته ، وبقى على عماه وصممه واعراضه من أراد الله خذلانه ، وحق عليهم ما قالوه عن أنفسهم : « وقالوا قلوبنا في أكِنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقْر ومِنْ بيننا وبينك حجابٌ فاعمل إننا عاملون » (فصلت : الآية ٥) وما أخبر به سبحانه : « ختم اللهُ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيم » (البقرة : الآية ٧) ٠

وقد سلك القرآن في الرد عليهم مسلكين :

أحدهما : تأكيد أن البعث واقع ، وقوة هذا التوكيد ترجع إلى أن القرآن أعجزهم ، فثبت بذلك صدقه ، وأنه من عند الله ، فطبعى أن يكون صادقا في كل ما أخبر به ، وكان يخبر دون قسم تارة ، وبالقسم تارة أخرى ٠

فمن الأول قوله تعالى : « وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون » (الصافات : الآيتان ١٥ ، ١٦) ، ومن الثانى قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن » ٠

ثانيهما : ايراد الحجج التى بلغ من قوتها ووضوحها أن تفضح من ينكرها ، وتدعه أحد رجلين إما إنسان مصاب في عقله ، وإما إنسان مكابر ٠

وقد كثرت هذه الحجج في القرآن ، بل فاقت ما أورد من حجج في قضايا أخرى لعلها أهم من قضية البعث ٠

قال الفخر الرازى عند تفسيره لقوله تعالى : « والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى » ٠ قال الفخر : (إن الله أقسم كثيرا على وقوع البعث ، وقليلا على الوحدانية والنبوة ،

وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة ، وشواهد النبوة كثيرة أيضا ، وأما الحشر فيمكن ثبوته بالفعل ، ولكن لا يمكن وقوعه إلا بالسمع ، فلذلك أكثر من القسم عليه ٠٠

ثم ان القرآن ربما أطال قليلا في ذكر بعض البراهين ، ولكن السمة الغالبة عليه أن براهينه في هذه القضية تتسم بالايجاز المعجز ٠

ونحن في هذا البحث نخص البراهين القصيرة ٠

ونرجع إلى آيتين أوردتهما في مطلع هذا البحث ، ففى كل منهما برهان دامغ يقذف بالحق على الباطل : « ونَسِى خلْقَه » ٠ « وهو أهونُ عليه » ٠

فليس هناك أدلّ عل امكان البعث من ظاهرة خلق الانسان : أوجده من عدم ، أوجده من تراب ، أوجده من نطفة ، تطورت النطفة فكان خلقا آخر : « فلينظر الانسان ممَّ خلق خُلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر » (الطارق : الآيتان ٥ ـ ٨) ٠ « يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخَلَّقة لنبين لكم ونُقَّر في الأرحام ما نشاء الى أجل مُسَمًّى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يُرَّد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وَرَبتْ وأنبتت من كل زوْج بهيج » (الحج : الأيتان ٥ ، ٦) « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (النحل : الآية ٧٨) ٠

وقد كانوا مقرّين بأن الله هو الذى خلقهم ، فحين يحجهم بأنه خلقهم انما يحجهم بشىء لا ينكرونه ، ولا يجادلون فيه ، قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من خَلَقهم ليقولُن الله فأنى يؤفكون » ٠ (الزخرف : الآية ٨٧) ٠

(نسى خلقه) كلمتان فيهما القول الفصل ، والبرهان القاطع ، وقد وضح القرآن بعض التوضيح هذه الحجة فى قوله تعالى : « ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » (مريم : الآيتان ٦٦ ، ٦٧) ٠

فهناك نسى (نسى خلقه) ، وهنا استفهام توبيخ وتقريع : « أو لا يذكر » ٠

ثم في هذه الآية الأخيرة اضافة جديدة ، وهى معلومة لهم ، ولا يحتاجون إلا لمجرد التذكر : « خلقناه من قبل ولم يك شيئا » ، فهو من عدم ، والذى ينشىء من العدم يقدر على الاعادة والمادة قائمة : « كما بدأكم تعودون » (الاعراف : الآية ٢٩) ٠

قال السيد رشيد رضا تعليقا على هذه الجملة القصيرة التى تضمنت برهانا قاطعا : « وهذه الجملة من أبلغ الكلام المعجز ، فإنها دعوى متضمنة للدليل بتشبيه الاعادة بالبدء ، فهو يقول : كما بدأكم ربكم خلقا وتكوينا بقدرته تعودون إليه يوم القيامة) ·

وقد ذكر المفسرون فى قصة الآية الكريمة : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » أن أبَى ابن خلف أو غيره من مشركى قريش قال : (ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ، واللات والعزّى لأصيرن إليه ولأخصمنه ، وأخذ عظما باليا فجعل يفتّه ، ويقول : يا محمد · أترى الله يحيى هذا بعد مارمَّ ؟!

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : نعم · يبعثك ، ويدخلك جهنم ، فنزلت) ·

ومع هذه الحجة الحاسمة لفت القرآن أنظارهم بقوة إلى براهين أخرى ، يكفى النظر العابر للاقتناع بها ، وفى ايجاز ووضوح أيضا : « قل يحييها الذى أنشأها أوَّلَ مرَّة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » (يس : الآيتان ٧٩ ، ٨٠) حجتان واضحتان : « يحييها الذى أنشأها أول مرة » وهذه توضيح لما أجمل قوله : « ونسى خلقه » · فالذى ينشىء ـ وهم معترفون بذلك ـ قادر على الاعادة ·

وهو : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » ومن المعلوم أن الماء يضاد النار وأن الخضرة ـ بالبديهة ـ لا تجتمع مع اليبوسة ، قال العلامة النسفى : (فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر ، واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع بلا ترتيب) · وقال العلامة أبو السعود : (فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على اعادة الغضاضة إلى ما كان غضا تطرأ عليه اليبوسة والبلى) ·

ثم أعقب القرآن الكريم هاتين الحجتين بحجة جامعة مانعة : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلَّاق العليم » ·

هم مقرون بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض : كما أخبر القرآن عنهم بذلك : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » (الزخرف : الآيـة ٩) ·

ومن تمام الحجة ، بل قوامها أن يكون من تحجه معترفا بالمقدمة التى تبنى عليها النتيجة · ثم من البدهى أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس في الحقيقة ، وفي مرأى العين عند التأمل كما قال تعالى : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (غافر : الآية ٥٧) ·

ومن الرائع في هذه الحجة الثالثة صياغتها في أسلوب سؤال وجواب ·

أما ما جاء في الآية الأخرى : « وهو أهون عليه » فهو منتهى الالزام للمعاند ؛ ذلك أن مجرد القدرة على الاعادة بعد النشأة الأولى حجة في ذاتها ، فإذا أضيف إليها أن العقول السليمة تدرك بالنظرة العابرة أن الاعادة أهون وأيسر من البدء ولله المثل الأعلى ·

وقد ذكرت هذه الحجة في مواطن أخرى من القرآن الكريم : « أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير » (العنكبوت الآية ١٩) ·

قال جار الله الزمخشرى : (« ذلك » يعود إلى ما رجع إليه « هو » في قوله : « وهو أهون عليه » من معنى « يعيد ») ·

ومن ذلك قوله تعالى : « يوم تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم سِراعا ذلك حشرٌ علينا يسير » (ق : الآية ٤٤)

ومما لفت القرآن الكريم الأنظار إليه في شأن البعث حال الأرض تكون يابسة جرداء فينزل عليها المطر فإذا هى يانعة خضراء ، وقد تكرر في القرآن ضرب هذا المثل ، وجاء واضحا في آية (الحج) التى احتجت للبعث بخلق الإنسان ، ومروره بأطوار مختلفة : « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » ·

والتشبيه صريح في آية الأعراف « وهو الذى يُرسل الرياح بُشرا بين يَدَىْ رحمته حتى إذا أقلّت سحابا ثِقالا سُقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » (الأعراف : الآية ٥٧) ·

وكذلك جاء صريحا ومباشرا فى آية فاطر : « والله الذى أرسل الريَّاح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » (فاطر : الآية ٩) ·

وكذلك جاء في سورة (ق) ، ، فبعد أن ذكر الله سبحانه أنه نزل من السماء ماءً فأنبت به جنات ، وحب الحصيد ، والنخل باسقات ، وأنه أحيا به بلدة ميتا ، قال : « كذلك الخروج » (ق : الآية ١١) ·

وبكل هذه البراهين الساطعة الدامغة مع ايجازها ووضوحها لم يعد هناك عذر لمنكرى البعث ، فإذا كان معها براهين أخرى ذكرها القرآن مطولة بعض الشىء كان انكار البعث

عنادا ، بل من أشنع ألوان العناد .

ولا يخفى على ذى بصيرة موضع الاعجاز فى ايراد هذه البراهين ، فإن كل برهان منها مع ما عرض فيه من وجازة ووضوح يغنى عن الكثير من الجدل والحجاج : « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير » (العنكبوت : الآية ٢٠) .

وكل البراهين التى أوردتها فى القضايا المختلفة ، وغيرها مما لم أورده ، مما جاء ذكره في القرآن الكريم يغنى ويكفى ، بل هو فوق الاغناء والكفاية في البلاغ والاقناع والاعجاز .

ولكن الأمر كما قال عز وجل : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (يوسف : الآية ١٠٣) قال سبحانه : « « وان تطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن يتبعون ألا الظن وإن هم الا يخرصون » (١) (الأنعام : الآية ١١٦) .

و « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » (الصافات : الآية : ١٨٠ ـ ١٨٢) .

وانـــا له لحافظـــون

قالت صحيفة « الأهرام » ان النيران التى أحرقت احدى مكتبات القاهرة لم تمس ٥ آلاف مصحف شريف ، وأشارت الصحيفة أن شهود الحريق الذي وقع في مكتبة بشارع عابدين فوجئوا بعد اخماد النار بجميع المصاحف سالمة ولم تمس النيران سوى هوامش بعض المصاحف ولم تمس أبداً آيـــات الله الكريمة .

---

(١) ومعنى يخرصون : يكذبون . وأصل الخرص الحزر والتخمين . ويسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة .

آلحَدِيثُ وَ أُصُولُهُ

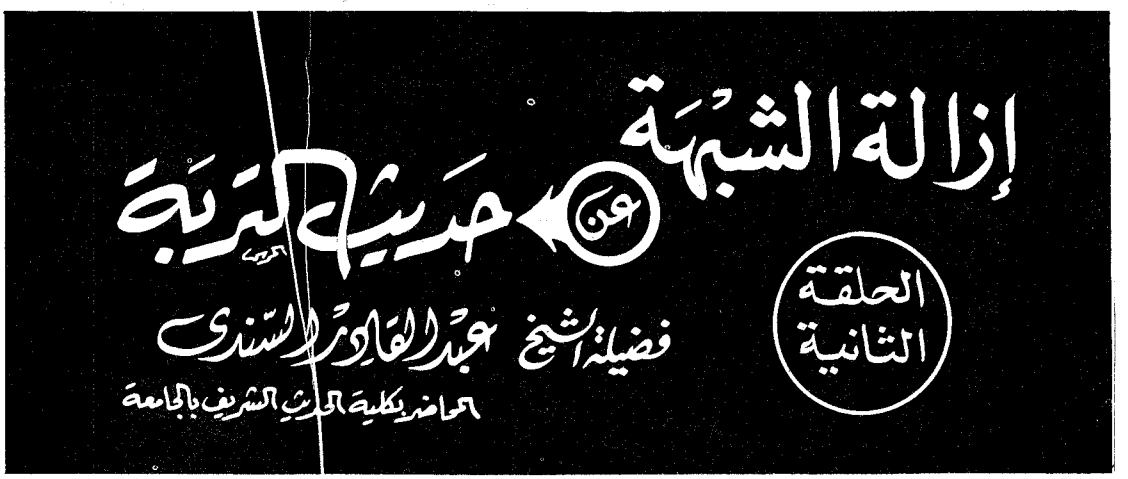

معنى الحديث

وأما معنى هذا الحديث فهو معنى واضح كما يظهر ذلك من ترجمة الباب التى عقدها الإمام النووى رحمه الله تعالى اذ قال : باب ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام أى انه قصد رحمه الله تعالى من هذه الترجمة ان ابتداء الخلق كان يوم السبت كما فى هذا الحديث لا فى يوم الأحد كما زعمه من زعمه من بعض أهل التفسير والتاريخ وقد تكلم على هذا الموضوع الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه تاريخ الأمم والملوك وذهب إلى ان ابتداء الخلق كان يوم الأحد بناء عل سياقه تلك الاسانيد الضعيفة الواهية الآتية ثم رد عليه الإمام الفقيه المحدث والمؤرخ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هـ . والمتوفى بمصر سنة ٥٨١ هـ فى كتابه البارع النفيس الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه أحاديث السيرة النبوية للإمام عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ . وأنا أسوق تلك الاسانيد والمتون التى ساقها الإمام أبو جعفر ثم اعتمد عليها ولا يجوز الاعتماد عليها كما سوف يظهر لك جليا واضحا ان شاء الله تعالى اذ قال رحمه الله تعالى فى تاريخه (١) واختلف السلف فى اليوم الذى ابتدأ الله عز وجل فيه خلق السماوات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ فى ذلك يوم الأحد ثم قال : ذكر من قال ذلك ثم ساق اسناده بقوله : حدثنا اسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيبانى ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال عبد الله بن سلام : ان الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٢ ـ ٢٤ / ١ .

قلت : رجال هذا الاسناد كلهم ثقات ولكنه موقوف على عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه وهو معروف رضى الله عنه بروايته عن أهل الكتاب وليس فى قوله هذا حجة وقد ثبت أنه روى هذا القول عن أهل الكتاب وليس هو بمرفوع كما سوف يأتى تفصيله قريبا ان شاء الله تعالى ، ثم ساق أبو جعفر رحمه الله تعالى اسناده الثانى عن طريق أبى معشر السندى عن عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه بنحو ما تقدم آنفا وهذا الاسناد لا يحتج به لكونه ضعيفا ولكن المعنى قد ثبت عن طريق الاسناد المتقدم ، ثم ساق اسناده الثالث عن طريق شيخه محمد بن حميد الرازى أبى حيان - وهو متهم بالكذب عن كعب الاحبار · وفيه ان الله بدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين وهذا الاسناد لو كان صحيحا لما كان فيه حجة لما قلت بمثله فى عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكعب الاحبار رحمه الله تعالى ، أكثر رواية عن أهل الكتاب · وقد اجمع علماء التفسير على ذلك ولكن الاسناد ضعيف جدا لا يحتج بمثله ·

ثم ساق الإمام أبو جعفر رحمه الله تعالى اسناده الرابع فى هذا الموضوع بقوله : حدثنى محمد بن أبى منصور الآملى ، حدثنا على بن الهيثم · - هكذا فى المطبوعة - والصحيح على بن الميثم بالميم - عن المسيب بن شريك ، عن أبى روق ، عن الضحاك فى قوله تعالى (وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام) قال من أيام الآخرة كل يوم مقداره الف سنة ابتدأ الخلق يوم الأحد أهـ ·

قلت : هذا اسناد موضوع مكذوب مختلق على الإمام الضحاك بن المزاحم الهلالى أبى القاسم الخراسانى وهو من الطبقة الخامسة ، وكانت وفاته بعد المائة بمدة وفى اسناد هذا المتن المقطوع على بن الميثم العوفى احد الرافضة ، قال الحافظ فى لسان الميزان (١) حكى عنه النظام قال : كنا نكلمه فيذكر ما يذهب اليه ثم ذكر الحافظ بقية الكلام وفيه أثبت انه كان كذا با ·

وفى هذا الاسناد رجل يسمى المسيب بن شريك قال الامام الذهبى فى الميزان : هو أبو سعيد التميمى الشقرى الكوفى ، عن الأعمش ، قال يحيى : ليس بشىء ، وقال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال البخارى سكتوا عنه ، وقال مسلم وجماعة : متروك ، وقال الدارقطنى : ضعيف ثم ذكر بقية الجرح ·

قلت : لا يصلح للاعتبار والشواهد ، والمتابعات فضلا ان يكون حجة والله تعالى أعلم ·

ثم ساق أبو جعفر رحمه الله تعالى اسناده الخامس بقوله : حدثنى المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد قال : بدأ الخلق يوم الأحد ·

---

(١) لسان الميزان : ٢٦٥ / ٤ ·

قلت : المثنى فى هذا الاسناد هو المثنى بن ابراهيم الآملى ولم اجد له ترجمة فى المراجع التى بين يدىّ والغالب على الظن أنه مجهول ولو كان الاسناد صحيحا لما كان فيه حجة لانه كلام مقطوع من قول مجاهد بن جبر المكى رحمه الله تعالى وقد خالف قوله هذا نص صحيح مرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سوف يأتى قريبا ·

وأثر مجاهد السابق أخرجه الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره (١) وهو برقم ١٤٧٧٣ وقال فى تفسيره بعد سياق الاسناد عن مجاهد رحمه الله تعالى بدأ خلق العرش والماء ، والهواء ، وخلقت الأرض من الماء ، وكان بدأ الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ، وجميع الخلق فى يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش أهـ · هكذا ساق الاسناد والمتن فى التفسير عن مجاهد بن جبر المكى رحمه الله تعالى وكان من الواجب عليه رحمه الله تعالى ان يسوق الاسناد والمتن المرفوع الصحيح الذى ساقه فى تاريخه وهو اسناد صحيح ومتن مرفوع عن طريق شيخيه القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن على الصدائى كما سوف يأتى قريبا وقد مضى فى تخريج الحديث سابقا ·

والجواب عن هذا الاسناد الاخير مع صحة اسناده الى مجاهد بن جبر المكى رحمه الله تعالى بانه متن مقطوع ولو كان موقوفا صحيح الاسناد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم تكن فيه حجة البتة لثبوت حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه والامام أحمد فى مسنده والبيهقى فى الاسماء والصفات والنسائى فى السنن الكبرى وابن مردويه فى تفسيره وابن جرير الطبرى فى تاريخه وهو ينص على أن ابتداء الخلق كان فى يوم السبت كما يأتى تفصيله ان شاء الله تعالى ·

ثم قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : وقال آخرون : اليوم الذى ابتدأ الله فيه فى ذلك يوم السبت ثم قال رحمه الله تعالى : ذكر من قال ذلك ، ثم ساق اسناده بقوله : حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنى محمد بن اسحاق قال : يقول أهل التوراة : ابتدأ الخلق يوم الأحد وقال أهل الانجيل ابتدأ الله الخلق يوم الاثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأ الله الخلق فى يوم السبت وقد مضى ذكرنا الخبرين ، غير انا نعيد من ذلك فى هذا الموضع بعض ما فيه من الدلالة على حجة قول كل فريق منهما ·

---

(١) تفسير الطبرى : ٤٨٢ / ١٢ ·

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون كان ابتدأ الخلق يوم الأحد فما حدثنا به هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى سعد البقال عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال هناد : وقرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين أهـ .

قلت : الاسناد الأول الذى ساقه عن محمد بن اسحاق عن طريق محمد بن حميد الرازى أبى حيان وهو متهم بالكذب وقد مضى الكلام فيه ولا يثبت بمثل هذا الاسناد شىء الا انما اسند الى ابن اسحاق من قوله من ابتداء الخلق عند أهل التوراة وأهل الانجيل ، وأهل الاسلام فهو ثابت عنه رحمه الله تعالى وقد حذفه الامام العلامة ابن هشام المعافرى عند اختصاره سيرة ابن اسحاق وقد اثبته الامام المحدث الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى فى الروض الأنف وهو شرخه لاحاديث سيرة ابن هشام المختصرة كما يأتى ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى فى موضعه .

وأما سياق الاسناد الذى ساقه الامام أبو جعفر الطبرى عن طريق شيخه هناد بن السرى التميمى والذى فيه ان ابتداء الخلق كان يوم الأحد والاثنين فهو اسناد ضعيف جدا ولا يحتج بمثله ولا يصلح للاعتبار فضلا ان يكون حجة لأن فى اسناده راويين ضعيفين وهما أبو بكر بن عياش الكوفى المقرىء قال الامام الذهبى فى الميزان (١) قال أبو نعيم : لم يكن فى شيوخنا احد أكثر غلطا منه ، وكان يحيى بن سعيد لا يعبأ به اذا ذكر عنده كلح وجهه ، وقال الامام أحمد : كثير الغلط جدا وفى اسناد هذا الخبر أبو سعد البقال وهو سعيد ابن مرزبان العبسى مولاهم أبو سعد البقال الكوفي الأعور ضعيف مدلس ، قال الامام الذهبى فى الميزان (٢) : كوفى مشهور تركه الفلاس ، وقال ابن معين : لا يكتب حديثه ، وقال أبو زرعة : صدوق مدلس ، وقال البخارى منكر الحديث .

قلت : هذا الاسناد الذى ساقه الامام محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه لا يحتج به لو كان منفردا فكيف اذا عارضه حديث صحيح أخرجه مسلم والامام أحمد فى مسنده وابن جرير الطبرى فى تاريخة باسناد صحيح . ثم قال أبو جعفر : واما الخبر عنه بتحقيق ما قاله القائلون من ان ابتداء الخلق كان يوم السبت فما حدثنى به القاسم بن بشر بن

---

(١) الميزان : ٤٩٩ ـ ٥٠٣ / ٤ .

(٢) الميزان : ١٥٧ ـ ١٥٨ / ٢ .

معروف ، والحسين بن على الصدائى قالا : حدثنا حجاج قال : ابن جريج اخبرنا اسماعيل بن امية عن ايوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة قال : اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ثم ذكر الحديث الذى انا بصدد الكلام حوله ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى فى نهاية هذا الحديث الصحيح اسنادا ومتنا ، وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : اليوم الذى ابتدأ الله تعالى ذكره فيه خلق السماوات والأرض يوم الأحد لاجماع السلف من أهل العلم على ذلك ، فأما ما قال ابن اسحاق فى ذلك فانه انما استدل بزعمه على ان ذلك كذلك لأن الله عز ذكره فرغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة وذلك يوم السابع وفيه استوى على العرش وجعل ذلك اليوم عيدا للمسلمين ، ودليله على ما زعم انه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه وذلك ان الله تعالى اخبر عباده فى غير موضع من تنزيله انه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم ذكر الامام أبو جعفر هذه الآيات القرآنية التى نصت على ان الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام اهـ .

قلت : وكان من الواجب على الامام أبى جعفر رحمه الله تعالى ان يقارن بين هذه الاسانيد التى ساقها فى ترجيح احد القولين فى ضوء صحة هذه الاسانيد ، والا لم يكن لسياقه هذا لتلك الاسانيد الكثيرة كبير فائدة ، مادام ذهب اخيرا الى تركها كليا لأن القرآن يعارضها وكان يكفى له رحمه الله تعالى فى أول القول انها معارضة بآيات القرآن الكريم كما فصل اخيرا دون ان ينظر نظرته العلمية فى ترجيح هذه الاسانيد صحة وضعفا ومن هنا قد تصدى له فى الرد عليه الامام العلامة الحافظ عبد الرحمن السهيلى فى الروض الأنف (١) اذ قال رحمه الله تعالى (قال المؤلف) أى ابن اسحاق : وكان اليهود انما اختاروا السبت لأنهم اعتقدوه اليوم السابع ثم زادوا فى كفرهم ، ان الله استراح فيه تعالى الله عن قولهم لأن بدأ الخلق عندهم الأحد ، وآخر الستة الأيام التى خلق الله فيها الخلق الجمعة وهو أيضا مذهب النصارى ، فاختاروا الأحد لأنه أول الأيام فى زعمهم وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفريقين باضلال اليوم وقال فى صحيح مسلم : ان الله خلق التربة يوم السبت ، فبين ـ الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ـ أن أول الأيام التى خلق الله فيها الخلق السبت ، وآخر الأيام الستة اذا الخميس وكذلك قال ابن اسحاق فيما ذكر عنه الطبرى اهـ .

---

(١) الروض الأنف : ٢٧٠ / ٢ .

قلت : هكذا رد العلامة السهيلى على القائلين بأن الأحد هو الأول من الأيام التى وقع فيه الخلق مستدلا من هذا الحديث الذى أنا بصدد الكلام حوله وعليه اعتمد ابن اسحاق فى قوله وغيره من أصحاب الحديث والتاريخ والسير · ثم قال العلامة السهيلي فى الروض (١) : فى تسمية هذه الأيام بالاثنين الى الخميس ما يشد قول من قال ان أول الاسبوع الأحد وسابعها السبت كما قال أهل الكتاب ليس الأمر كذلك لأنها تسمية طارئة وانما كانت اسماءها فى اللغة القديمة شيار ، داول ، واهون ، ذجبار ، ددبار ، ومونس ، والعروبة ، واسماءها بالسريانية قبل هذا ابوجا دهو ، زحطى الى آخرها ، ولو كان الله تعالى ذكرها فى القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة على المسمى به ، ولكنه لم يذكر فيها الا الجمعة والسبت وليسا من المشتقة من العدد ، ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا لتسميتها ولعل قومه ان يكونوا قد اخذوا معانى هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم ، فالفوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم ، والا فقد قدمنا ما ورد فى الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد الحديث · والعجب من الطبرى على تبحره فى العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث ، واعنف فى الرد على ابن اسحاق وغيره ، ومال الى قول اليهود فى ان الأحد هو الأول ويوم الجمعة السادس لا وتر ، وانما الوتر فى قولهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله اليه وما احتج به الطبرى من حديث آخر فليس فى الصحة كالذى قدمناه اهـ ·

قلت : هكذا رد العلامة السهيلى على الامام أبى جعفر الطبرى مع تبحره فى العلم على ترجيحه بلا مرجح وذهابه الى قول اليهود والنصارى وتركه هذه السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ساق اسنادها عن طريق شيخيه القاسم بن بشر بن المعروف والحسين بن على بن يزيد الصدائى وكلاهما معروف بالعدالة والضبط · وأما تعارض هذا الحديث اعنى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بنص القرآن الكريم الوارد فى سبع مواضع فى كتاب الله تعالى فسوف يأتى الكلام حوله عند الكلام على معنى خلق آدم عليه الصلاة والسلام الذى ورد ذكره فى هذا الحديث الشريف وان خلقه قد تأخر عن خلق السماوات والأرض وما بينهما بآلاف السنين وليس هناك تعارض البتة كما يأتى مفصلا ·

---

(١) الروض الأنف : ٢٧١ / ٢ .

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى رحمه الله تعالى فى الأنوار الكاشفة (١) فى الرد على أبى رية :

أما الوجه الثالث فالآثار القائلة ان ابتداء الخلق يوم الأحد ما كان منها مرفوعا فهو أضعف من هذا الحديث بكثير ـ أى حديث أبى هريرة الذى أنا بصدد الكلام حوله والذى أخرجه مسلم وغيره ـ وأما غير المرفوع فعامته من قول عبد الله بن سلام ، وكعب ووهب ومن يأخذ عن الاسرائيليات اهـ ·

قلت : وقد بحثت هذه الاسانيد التى اشار اليها العلامة المعلمى رحمه الله تعالى فان الأمر كما ذكر رحمه الله تعالى بل أشد وأعظم مما ذكر ثم قال رحمه الله تعالى : وتسمية الأيام كانت قبل الاسلام تقليدا لأهل الكتاب ، فجاء الاسلام وقد اشتهرت ، وانتشرت فلم ير ضرورة الى تغييرها ، لأن اقرار الأسماء التى قد عرفت واشتهرت ، وانتشرت لا يعد اعترافا بمناسبتها لما أخذت فيه أو بينت عليه ، اذ قد أصبحت لا تدل على ذلك ، وانما تدل على مسمياتها فحسب ولأن القضية ليست مما يجب اعتقاده أو يتعلق به نفسه حكم شرعى فلم تستحق ان يحتاط لها بتغيير ما اشتهر وانتشر من تسمية الأيام اهـ ·

ثم قال رحمه الله تعالى : ان هذا ذكره السهيلى فى الروض الأنف وهو كما قال رحمه الله تعالى ، وكلامه كما ترى وجيه سديد · وهنا اكتفى بالكلام حول الجزء الأول على معنى الحديث وقد ثبت بهذا ان ابتداء الخلق كان يوم السبت كما فى هذا الحديث الصحيح ·

وأما الكلام حول الجزء الثانى من معنى هذا الحديث فهو خلق آدم عليه السلام ثم عدم ورود ذكر خلق السماوات فى الحديث لفظا فانى افرد الكلام حوله مبتدءً على خلق آدم عليه الصلاة والسلام وانه خلق متأخر عن خلق السموات والأرض بآلاف السنين ثم جمع فى هذا الحديث بين الخلقين المتقدم والمتأخر ومن هنا ظهر التعارض الظاهرى بين القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف الذى تكلم عليه تخريجا واسنادا ·

والى هذا المعنى الواضح البين اشار الامام أبو عبد الله الحاكم فى مستدركه ·

---

(١) الأنوار الكاشفة : ص ١٩١ ·

متى كان خلق آدم

أخرج الحاكم أبو عبد الله فى مستدركه (١) حديثا باسناده الصحيح اذ قال رحمه الله تعالى : اخبرنى عبد الله بن موسى الصيدلانى ، ثنا اسماعيل بن قتيبه ، ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن بكر بن الاخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد ، قال الله تعالى : (انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وقد كان فيها قبل أن يخلق ـ آدم ـ بألفى عام الجن بنو الجان ، فأفسدوا فى الأرض ، وسفكوا الدماء ، فلما قال الله : (انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) يعنون الجن بنى الجان ، فلما افسدوا فى الأرض بعث عليهم جنودا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور ، قال : فقالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل أولئك الجن بنو الجان ؟ قال : فقال الله : (إنى أعلم ما لا تعلمون) ثم قال الحاكم مبينا درجه اسناد هذا الحديث : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال الامام الذهبى فى التلخيص : صحيح وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢) الى الحاكم فى المستدرك وصححه ثم ذكر الحديث بطوله .

والشاهد فى هذا الحديث هو ان آدم عليه الصلاة والسلام لم يكن خلقه داخلا فى الأيام الستة المذكورة فى القرآن الكريم وان خلقه قد تأخر عن خلق السماوات والأرض مدة طويلة كما فى هذا الحديث الصحيح الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وابن أبى حاتم في تفسيره ونقله ابن كثير فى تفسيره (٣) باسناد ابن أبى حاتم وفيه خطأ فى اسناده فى النسخة المطبوعة وهو بعد ذكر الاسناد يقول عن مجاهد عن عبد الله بن عمر وهذا خطأ مطبعى وقع فى جميع نسخ ابن كثير المطبوعة والصحيح عن مجاهد عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وان كان قد ثبت سماع مجاهد عن العبادلة الأربعة الا ان هذا الاسناد الذى ساقه ابن كثير عن تفسير ابن أبى حاتم وهو مخطوط لا يصح السماع عن طريقه عن

---

(١) المستدرك : ٢٦١ / ٢ .

(٢) الدر المنثور : ٤٤ ـ ٤٥ / ١ .

(٣) تفسير ابن كثير : ١٣٣ / ١ .

عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما والله أعلم بالصواب · ولهذا يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى فى الأنوار الكاشفة (١) · ويجاب عن الوجه الثانى بانه ليس فى هذا الحديث انه خلق فى اليوم السابع غير آدم ، وليس فى القرآن ما يدل ان خلق آدم كان فى الأيام الستة ولا فى القرآن ولا السنة ولا المعقول ان خالقية الله عز وجل وقفت بعد الأيام الستة ، بل هذا معلوم البطلان وفى آيات خلق آدم أوائل البقرة وبعض الآثار ما يؤخذ منه انه قد كان فى الأرض عمار قبل آدم عاشوا فيها دهرا فهذا يساعد القول بأن خلق آدم متأخر بمدة عن خلق السماوات والأرض · فتدبر الآيات والحديث على ضوء هذا البيان يتضح لك ان شاء الله تعالى ان دعوة مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت ولله الحمد اهـ ·

قلت : وقد نص القرآن الكريم على تأخير خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما فى قوله تعالى في سورة البقرة : (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون) والشاهد فى هذه الآية الكريمة ان الله تعالى أخر خلق آدم عليه الصلاة والسلام عن خلق الملائكة كما فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المتقدم والذى أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وابن أبى حاتم فى تفسيره كما نقله الامام ابن كثير والى هذا المعنى يشير قوله جل وعلا فى سورة الرحمن (يسأله من فى السماوات والأرض كل يوم هو فى شان فبأى آلاء ربكما تكذبان) ·

قال العلامة الامام ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢) حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، عرضه ما بين السماء والأرض ، ينظر فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة ، ويحى ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء ·

وقد اورده الامام ابن كثير في تفسيره (٣) وسكت عن بيان درجة اسناده ·

---

(١) الأنوار الكاشفة : ١٩٠ ·

(٢) تفسير الطبرى : ١٣٥ / ج ٢٧ ·

(٣) تفسير ابن كثير : ٤٩١ / ٦ ·

قلت : وفى اسناده أبو حمزة الثمالى واسمه ثابت بن أبى صفية الثمالى بضم المثلثة ، قال الحافظ فى التقريب (١) : كوفى ضعيف رافضى من الخامسة مات فى خلافة أبى جعفر ورمز له بانه من رجال أبى داود فى السنن وابن ماجة ، والشاهد فى هذه الرواية الضعيفة التى هى تصلح للاستشهاد هو معنى كل يوم هو فى شأن أى يخلق ولهذه الرواية الموقوفة التى لها حكم الرفع لو صح اسنادها شاهد قوى أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره وذلك من مرسل قتادة بن دعامة السدوسى اذ قال ابن جرير الطبرى حدثنا ابن بشار قال : ثنا مروان ، قال ثنا أبو العوام ، عن قتادة (يسأله من فى السماوات والأرض كل يوم هو فى شأن) قال : يخلق خلقا ، ويميت ميتا ، ويحدث أمرا .. هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات يحتج بهم وقد ثبت بذلك هذا المعنى أى أنه يخلق كل يوم ويميت ويحدث الأمر ، ويوم السبت داخل فى الأيام التى يخلق فيها الرب سبحانه وتعالى خلقه فلو كان الأحد هو أول الأيام التى ابتدأ الله فيها الخلق لكان قول اليهود والنصارى صادقا كما سبق الرد عليه من قبل العلامة السهيلى على الطبرى ومع أن تلك الأسانيد التى ساقها الامام أبو جعفر وفيها أن الأحد هو أول الأيام الستة هى موضوعة ومنكرة كما مضى تحقيقه وبيانه فى الكلام على اسناد حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

وأما قول الشيخ عبد القادر القرشى فى الجواهر المضية فى طبقات الحنفية (٢) وقد روى مسلم أيضا خلق الله التربة يوم السبت ، واتفق الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق وأن ابتداء الخلق يوم الأحد .

فقلت : لم أقف على هذا الاتفاق الذى أشار اليه العلامة القرشي رحمه الله تعالى وانما هو قول للعلامة أبي جعفر الطبرى في تاريخه ولم ينقل الاتفاق وكان يرد بذلك على الإمام محمد بن اسحاق صاحب السيرة القائل بأن ابتداء الخلق كان في يوم السبت وقد أيده العلامة السهيلى في الروض الأنف كما مضى ورد على ابن جرير الطبرى ردا علميا ونقله العلامة المعلمى في الأنوار الكاشفة وأيده بالأدلة العقلية والنقلية كما مضى آنفا . وخالفهم الإمام العلامة الحافظ ابن القيم في المنار المنيف (٣) اذ قال رحمه الله تعالى : ويشبه هذا ما

---

(١) التقريب : ١١٦ / ١ .

(٢) جواهر المنية في طبقات الحنفية : ٤٢٩ / ٢ .

(٣) المنار المنيف : ص ٨٤ : فصل ١٩ .

وقع فيه الغلط من حديث أبى هريرة ثم ذكر الحديث ثم قال وهو في صحيح مسلم ولكن وقع الغلط في رفعه ، وانما هو من قول كعب الأحبار كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن اسماعيل البخارى في تاريخه الكبير · وقال غيره من علماء المسلمين أيضا وهو كما قالوا لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يقتضى ان مدة التخليق سبعة أيام والله تعالى أعلم · ا هـ ·

وهكذا نقل الإمام ابن كثير في تفسيره ثم ذهب الى تضعيف الحديث ، وأمانة العلم تقتضى نقل كلام أهل العلم هنا في هذا الموضع وانى مع ضعف ادراكى وقلة بصيرتى وحيلتى أطمئن الى ما قاله الإمام البيهقي في الأسماء والصفات والعلامة ابن اسحاق صاحب السيرة والسهيلى في الروض الأنف وأخيرا العلامة عبد الرحيم بن يحي المعلمى في الأنوار الكاشفة وأزال التعارض الظاهرى الواقع بين الحديث ونص القرآن الكريم · وما ذكره الشيخ عبد القادر القرشى من الاتفاق فغير موجود بل نص القرآن الكريم يخالف هذا الاتفاق ان وجد (كل يوم هو في شأن) كما سبق تفسيره عن ابن عباس وقتادة رضى الله تعالى عنهما · وأما ما نقله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن الإمام البخارى رحمه الله تعالى ـ عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح ـ·

قلت : وقد ثبت عن كعب الاحبار ان ابتداء الخلق كان يوم الأحد كما سبق بيانه وفى هذا الحديث الذى أخرجه مسلم لو كان ما ذكره الامام البخارى فى تاريخه صحيحا لكان التعارض واقعا بين قولى كعب الأحبار كما لا يخفى فما هو الراجح ·

وقال الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتى فى الفتح الربانى (١) بعد ايراده حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : وقوله يوم السبت فيه رد زعم اليهود أنه ابتدأ فى خلق العالم يوم الأحد وفرغ يوم الجمعة ، واستراح السبت ، قالوا : ونحن نستريح فيه كما استراح الرب · وهذا من جملة غباوتهم ، وجهلهم ، اذ التعب لا يتصور الا على حادث · قال تعالى (انما أمرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) ثم ذكر تخريج الحديث · وأورد الحديث الساعاتى في نفس المجلد (٢) وأحال على الصفحة الثامنة من هذا المجلد ·

---

(١) الفتح الربانى : ٨ / ٢٠ ·

(٢) الفتح الربانى : ٢٨ / ٢٠ ·

والمقصود من هذا النقل هو بيان ما وقعت فيه شبهة التعارض بين نص القرآن الكريم وبين حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى صححه الحفاظ والنقاد كمسلم ، ويحيى ابن معين ، والدولابى ، والبيهقى ، والثقفى وابن مندة كما نقل هذا التصحيح فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى فى صحيح الجامع الصغير (١) ويقول أنه تكلم على هذا الحديث فى الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٣٣ وهذا الجزء لم يطبع حتى الآن ، ولما جمع حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى متنه التخليقين فى وقتين متغايرين ظهر التعارض الظاهر والا فليس هناك تعارض البتة كما قيل ونقل آنفا .

لماذا لم يرد ذكر خلق السماوات فى الحديث

ولما لم يرد ذكر خلق السماوات فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اثار الاشكال فى بعض الأذهان مع بقية التعارض الظاهرى ، قال الامام المناوى فى فيض القدير (٢) وقال بعضهم : هذا الحديث فى متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات ثم ذكر بقية الكلام وهكذا نقل عنه الشيخ أحمد الساعاتى في الفتح الربانى (٣) أجاب عن هذا الاشكال العلامة المعلمى فى الأنوار الكاشفة (٤) اذ قال رحمه الله تعالى أما الوجه الأول فيجاب عنه بأن الحديث وان لم ينص على خلق السماء فقد اشار اليه بذكره فى اليوم الخامس النور ، وفى السادس الدواب ، وحياة الدواب محتاجة الى الحرارة ، والنور والحرارة مصدرهما الاجرام السماوية . والذى فيه ان خلق الأرض نفسها كان فى أربعة أيام كما فى القرآن ، والقرآن اذ ذكر خلق الأرض فى أربعة أيام ، لم يذكر ما يدل ان من جملة ذلك خلق النور والدواب واذ ذكر خلق السماء فى يومين لم يذكر ما يدل انه فى اثناء ذلك لم يحدث فى الأرض شيئا ، والمعقول انها بعد تمام خلقها اخذت فى الخطور بما اودعه الله تعالى فيها ، والله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن اهـ .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : ١١٣ / ٣ .
(٢) فيض القدير : ٤٤٨ / ٣ .
(٣) الفتح الربانى : ٨ / ٢٠ .
(٤) الأنوار الكاشفة : ١٩٠ .

قلت : هذا الذى ذكره لم يعزه الى النقل الصحيح من الكتاب والسنة أو اجماع الأمة أو الى مصادر أخرى ينبغى الاعتماد عليها وانى قد سألت عن هذا الموضوع بعض من يدرس العلوم الكيماوية والجولوجية فقال : ان الأمر لصحيح مائة فى المائة وقد تكلم على هذا الموضوع كلاما طويلا ولكن البحث فى حاجة الى التدقيق والتحقيق العلمى والله تعالى اعلم بالصواب .

خلق آدم فى يوم الجمعة

ثم تعرض حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى آخر الفاظه لخلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام النووى عند عقده الباب على هذا الحديث فى شرحه على مسلم اذ قال رحمه الله تعالى : باب ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام وجاء فى هذا الحديث ان آدم خلقه الله تعالى يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وفى هذا اللفظ اشارة واضحة الى تأخير خلق آدم عليه الصلاة والسلام عن خلق السماوات والأرض - فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة كما فى حديث ابن عباس الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وكذا ابن أبى حاتم فى تفسيره واشار الى هذا المعنى الواضح نص القرآن الكريم فى سورة البقرة كما مضى بيانه وايضاحه وتحقيقه ، ولهذا المعنى الوارد فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه شواهد كثيرة وهى صحيحة وإنى أحب ايرادها فى هذا المقام لكى يتضح المعنى ويرفع الغبار وينجلى الشك .

فقد أخرج مسلم فى الصحيح وأبو داود فى السنن ، وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهماوكذا ابن المنذر كلهم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم ، وفيه ادخل الجنة ، وفيه أهبط عنها ، وفيه مات ، وفيه تيب عليه ، وفيه تقوم الساعة ، وقد تعرض لهذا الموضوع الحافظ فى الفتح (١) : واثبت خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة بروايات عديدة ، وآثار كثيرة وأخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه (٢) باسناد صحيح ، وقد أخرج

---

(١) فتح البارى : ٣٥٦ / ٢ .

(٢) تاريخ الطبرى : ٥٨ / ١ .

الامام أحمد فى مسنده هذا المعنى باسناد صحيح فى مواضع عديدة (١) وذلك فى مسند أبى رية رضى الله تعالى عنه وقد أخرج هذا المعنى أيضا الامام أحمد فى مسنده (٢) باسناد حسن وذلك فى مسند أبى لبابة بن المنذر البدرى رضى الله تعالى عنه اذ قال رحمه الله تعالى : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا زهير يعنى ابن محمد ، عن عبد الله ابن محمد بن عقيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى ، عن أبى لبابة البدرى بن المنذر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها عنده وأعظم عند الله عز وجل من يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وفيه خمس خلال ، خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم الى الأرض ، ثم ذكر الحديث بطوله ، وأخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه من هذا الوجه (٣) ، وأخرج أيضا هذا المعنى باسناد صحيح (٤) وذلك فى مسند اوس ابن أبى اوس الثقفى وهو اوس بن حذيفة رضى الله تعالى عنه ، وفيه ان من افضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثروا علىّ من الصلاة ، وقد عزا الامام السيوطى فى الدر المنثور (٥) هذا الحديث الى ابن أبى شيبة ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة والدارمى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم فى المستدرك .

قلت : وأخرجه أيضا القاضى الامام اسماعيل بن اسحاق المتوفى سنة ٢٨٢ هـ فى رسالته فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (٦) حديث رقم ٢٢ وهذه هى الشواهد الكثيرة التى فيها ان الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة وهى تؤيد معنى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى انا بصدد الكلام حوله والدفاع عن صحة اسناده والرد على الشيخ أبى رية وغيره من أهل العصر الذين يتكلمون فى مثل هذه المواضيع بدون علم ولا فقه ثم يطعنون فى السنة النبوية كلها مع بعدهم عن حقائق هذه الدراسة الاسنادية

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل : ٤١٨ / ٢ ، ٤٨٦ / ٢ ، ٥٠٤ / ٢ ، ٥١٢ / ٢ ، ٥٤٠ / ٢ .
(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل : ٤٣٠ / ٣ .
(٣) تاريخ الطبرى : ٥٦ / ١ .
(٤) تاريخ الطبرى : ٨٥ / ٤ .
(٥) الدر المنثور : ٢٢٦ / ٦ .
(٦) فضل الصلاة على النبى : ص ١١ .

والتخريجية ومن هنا كان كلامه واتهامه لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى وضع هذا الحديث من تلقاء نفسه دون ان يكون هناك صدق مما أخبر به الله تعالى عنه فى زعم أبى هريرة ولذا يقول العلامة المعلمى رادا عليه في هذا الاتهام : أقول : لم يقع شيخنا رضى الله تعالى عنه فى هوة ولا قال احد من أهل العلم انه وقع فيها ، أما اذا بنينا على صحة الحديث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحق ان شاء الله تعالى فواضح . وأما على ما زعمه ابن المدينى فلم يصح عن أبى هريرة ولا عمن روى عنه ولا عن الثالث شىء من هذا ، قوله أخذ رسول الله بيدى فقال : ولا قوله « خلق الله التربة » ، وأما على حدس البخارى ، فحاصله ان ايوب غلط ، وقع له عن أبى هريرة خبران أحدهما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : : فذكر حديثا صحيحا غير هذا والثانى قال كعب : خلق الله التربة يوم السبت فالتبس المقولان على أيوب فجعل مقول كعب موضع مقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم اهـ .

قلت : هكذا العلم والتحقيق وأما اتهامكم أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بالكذب قبل دراسة أحوال الرواة وظروفهم فهذا الشىء ينبىء عن عداوة شنيعية قبيحة فى القلب ، والله تعالى اعلم بها ، وأما الجهل بحقيقة الحال أو وجود كلا الأمرين فى الرجل ، فالله تعالى اعلم به ، وانى مع هذه النقول الكثيرة وقلة الاطلاع على ما قاله السلف فى هذا الموضوع لا ادعى الصواب فيما نقلته واعتقدته من صحة هذا الحديث اسنادا ومتنا ، وواقعة ولى حق ان أطمئن الى احد الطرفين فى ضوء الحجة فانى ادين الله تعالى بما ذهب اليه جملة كبيرة من أهل التحقيق والعلم من صحة هذا الاسناد والله تعالى اعلم بالصواب وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

العلم .. والمثل العليـــــا

ان الفصل بين الواقع الانسانى والمثل العليا ، مهد للعلم المنشق عن الدين أن يزعم أنه يتعامل مع الوجود المادي الملموس ، أي أنه لا يتعامل مع غايات الحياة وأهدافها ومقاصدها الرفيعة · وهكذا نجد أن كل نقد يوجه للدين الجزئي يمكن أن يوجه للعلم الجزئي كذلك ، فالدين الذى يتجاهل الواقع البشري ويتعامى عن مشكلاته يتطابق مع العلم الذي يتعامىَ عن العقائد والمثل العليا ويفصلها عن الحياة · فإذا كان الأول يتجاهل الحياة الواقعية القائمة ويتجاهل خبرات الانسان نفسها ، فإن العلم القاصر عن المثل العليا يهبط إلى المادي الملموس والمسموع والمنظور ، مجرداً من القيم الانسانية ، ويصبح سلعة تكنولوجيا يمكن لأي شخص أن يشتريها لأي غرض ، ويصبح العلماء مرتزقة يتكسبون بالعلم في أي مكان كما حدث لعلماء الايمان الذي عملوا للأهداف النازية والشيوعية والأمريكية ·

لقد علمتنا العقود الأخيرة القليلة بأن العلم قد يصبح خطراً يهدد مقاصد الانسان العليا ، وأن العلماء قد يصبحون وحوشا طالما أن العلم أصبح كلعبة الشطرنج ، متعسفاً لا هدف له ، غايته الوحيدة اكتشاف الوجود المحسوس · وبذلك ارتكب العلم الخطأ الفادح المصيري الذي يقصي أسمىَ الخبرات الذاتية من ميدان الوجود القابل للاكتشاف ·

المجلة الإسلامية المغربية

العقيدة

مسلك القرآن الكريم
في إثبات البعث

د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
عميد شئون المكتبات بالجامعة

تمهيـــــــــــد :

خلق الله العباد لطاعته ، وكلفهم بعبادته ، كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (سورة الذاريات آية ٥٦) ، وقد رسم لهم سبيل الخير ، كما بين لهم طرق الشر ، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر ، كما قال تعالى (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها) (سورة الشمس آية ٧ ـ ٨) فقد يطغى جانب الشر أحيانا على جانب الخير ، استجابة لداعى الشهوة ، الموجودة في الطبيعة البشرية ، فهى غالبا ما تجمح بصاحبها إلى تعدى الحدود التى يتحتم على المرء ألا يتجاوزها ، فيوقع الظلم على الآخرين .

وواقع الحال يبين لنا أن كثيرا ممن ارتكبوا تلك الجرائم في حق غيرهم ، وأوقعوا الظلم بالآخرين قد غادروا هذه الحياة الدنيا ، ولم ينل المظلوم حقه منهم ، مع العلم بأن كل ذلك واقع بعلم الله القوى القادر السميع البصير ، الذى يمهل ولا يهمل ، والذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما .

ولما كان الظالم والمظلوم قد غادرا هذه الحياة الدنيا ، ولم يأخذ المظلوم حقه من ظالمه ولما كانت عدالة الله تعالى تقتضى القصاص وأن يأخذ المظلوم حقه من الظالم كان لا بد من حياة أخرى ، غير هذه الحياة ، يتم فيها تقاضى الحقوق بين العباد ويقتص فيها للمظلوم من

الظالم ، هذه الحياة هى التى تكون في الآخرة ، حين يبعث الله الناس من قبورهم ، (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (المعارج آية ٤٣) ولذا كان من المحتم على المرء الاعتقاد ، بوقوعه وتحققه · وهذا أمر يرشد اليه العقل ، ويحتمه المنطق ، وتدل عليه النصوص الدينية ، قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) (المؤمنون آية ١١٥) ·

وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى · فجعل منه الزوجين الذكر والانثى · أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) (القيامة الآيات من ٣٦ ـ ٤٠) ·

لكن كثيرا من الناس قد ضلوا في هذا الباب ، فقصرت عقولهم عن ادراك هذا المعنى فأنكروا البعث بعد الموت ، بلا دليل ، سوى أنهم استبعدوا وقوعه بعد تفتت الأجساد وتمزقها ·

قضيـــــة البعث :

ولما كانت قضية البعث والحساب ، واعادة الحياة الى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد ، واختلاطها بأجزاء الأرض ، من معضلات العقيدة ، شأنها في ذلك شأن قضية الوحدانية ، في الغرابة والاستبعاد ، وقد اقتضى هذا الاستبعاد تعجب المنكرين للبعث ووقوعه ، ممن يقولون به ، ويؤمنون بوقوعه قال تعالى مبينا وموضحا تعجب هؤلاء المنكرين : (ق والقرآن المجيد · بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب · أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (ق آية ١ ـ ٣) ·

لذلك فقد سلك القرآن الكريم لاثباتها مسالك مختلفة في طريقة العرض والاستدلال ، فتارة يذكر الشبهة ثم يرد عليها ، وأخرى يذكر الدليل أولا وبعد استقامته يورد القضية ، وحيناً يخبر عن وقوع ذلك البعث والحساب خبرا قاطعا ، مع طي الدليل لوضوحه ·

وقد تجلى مسلك القرآن الكريم في عرضه للقضية بأسلوبه الفطرى السهل الواضح لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو في متناول ادراكها · وقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوحدانية ، فكما تعددت الآيات الدالة على اثبات الوجود الالهى ووحدانيته ، فقد كثرت الآيات التى تقرر البعث · وتؤكد وقوعه ·

وأعظم حجة لدى المنكرين للبعث ، والأحرى أن نسميها أعظم شبهة لديهم هى : استبعاد اعادة الأجسام بعد تمزقها ، وتفتتها ، ثم اختلاطها بأجزاء الأرض ، اذ تصبح متصورة

بصورة التراب ، فكيف يمكن اعادتها الى حالتها التى كانت عليها من قبل ؟؟

هذا أمر غريب على عقول المنكرين ، وعجيب في نفس الوقت عندهم ، والحديث عنه خرافة ، والمتحدث به ، إما مفتر على الله الكذب ، وإما مجنون سلب عقله ، فخيل له جنونه ذلك الحديث وأجراه على لسانه ٠

وقد عبر شاعرهم عن ذلك الانكار ، مبينا أن الحديث عنه خرافة بقوله :

حيـاة ثم مـوت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو
أيوعدنى ابن كبشه أن سنحيا وكيف حيـاة أصـداء وهـام (١)

ويقول الحق جل شأنه ، مخبرا عن ذلك الجحود العنيد والانكار الشديد ، ونسبتهم الى قائله الجنون ، أو الكذب والافتراء على الله : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد ٠ أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ٠ أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب) (سبأ آية ٧ ـ ٩) ٠

فقد عجب كفار قريش من هذا الحديث الذى لم تستوعبه عقولهم ، فظنوا أن هذا الايجاد عبث لأن الحديث عن بعث هذه الأجسام لمجازاتها على أعمالها في حياتها الدنيا حديث خرافة ، أو حديث كذب وافتراء على الله ، أو مس من جنون أصاب قائله ، فأجرى على لسانه هذا الحديث العجيب الغريب ، ولذا فقد انطلقوا يخاطب بعضهم بعضا ، بهذا القول الذى حكاه الله عنهم ، قائلين (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أى يحدثكم أو يخبركم بما تتعجبون منه لغرابته ، وهو إنكم إذا مزقتم كل ممزق ، فتفرقت أجسامكم ، واختلطت بأجزاء الأرض ، فأصبحتم ترابا ، (انكم بعد ذلك كله (لفى خلق جديد) أى ستخلقون خلقا جديدا فتعودون كما كنتم ٠ ثم قالوا بعد ذلك التعجب والاستغراب أن هذا الحديث الصادر من هذا الرجل ، ما هو الا افتراء على الله وكذب عليه ، (أفترى على الله كذبا) أو أن قائله مسلوب العقل فجنونه يوهمه ذلك الأمر ويلقيه على لسانه (أم به جنة) ٠

وقد بين الله سبحانه وتعالى ، أن الأمر ليس كما ذكروا ، فليس الرسول صلى الله عليه وسلم مفتريا على الله ، كما أنه لم يمسه جنون ، وانما الأمر راجع اليهم هم ، فعدم ايمانهم بالآخرة المترتب على عدم الايمان بقدرة الله ، هو اختلال في العقل ، وغاية الضلال عن الفهم والادراك ، لقدرة الخالق وجلال حكمته ٠

---

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١٢٦ ج ٦ ٠

لا سيما وأدلة القدرة على ذلك مشهودة ومعاينة ، ثم ذكرهم بتلك الأدلة فقال : (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية) الآية أى دلالة واضحة على قدرة الله ، فكيف يستبعد عليه اعادة تلك الأجسام الضعيفة بعد تفرقها ، وهو القادر على خلق هذه الآيات العظيمة ، من السماء والأرض ، ذلك هو دليل البعث ، لأنه يدل على كمال القدرة ، ومن المقدور عليه اعادة خلق الانسان وايجاده مرة أخرى ، وقد قرن هذا الدليل بالتهديد حيث قال : (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) ، ثم بين تعالى أن المنتفع بتلك الآيات كل من يرجع الى ربه ويتوب اليه لا من يتمادى في عناده وتعصبه ، فقال تعالى : (إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) .

مسالك القرآن الكريم :

ذكرنا في التمهيد أن القرآن الكريم في معالجته لقضية البعث والجزاء ، تارة يعرض شبهة المنكرين ثم يرد عليها ، وأخرى يذكر الدليل على البعث أولا وبعد أن يتقرر ويتضح يورد القضية ، وحينا يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبرا قاطعا مع طى الدليل لوضوحه .

ولما كان القرآن الكريم قد استوعب عددا كثيرا من الآيات التى تعالج هذا الموضوع فسنعرض نماذج منها تحت المسالك المشار اليها ، إذ لا سبيل إلى استيعاب تلك الآيات كلها في هذا البحث .

المسلك الأول : عرض الشبهة ثم الرد عليها :

أشرنا في التمهيد الى أن أعظم شبهة عند المنكرين للبعث ، هى شبهة الاستبعاد ، فقد قالوا : كيف يمكن اعادة الأجسام الى حالتها الطبيعية التى كانت عليها ، بعد أن صارت ترابا ؟؟ ذلك أمر غير معقول عندهم .

وفي النموذج التالى عرض لهذه الشبهة ، وبيان لانكارهم وتعجبهم ممن يؤمنون بالبعث ، ثم دحض لتلك الشبهة ، وبيان لزيفها بالأدلة الواضحة البينة المشهودة .

يقول الله تعالى حاكيا عن المشركين استبعادهم وقوع البعث بعد الموت وعدم امكانه وتعجبهم من شأنه وشأن القائل به .

(ق ، والقرآن المجيد) .

(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) .

(أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (ق ٠ آية ١ ـ ٣) ٠

يقسم تبارك وتعالى بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هو تنزيل من حكيم حميد ، وجواب القسم هو مضمون الكلام الآتى بعد القسم ، وهو اثبات النبوة ، واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه (١) ، ثم يحكى تعجب المشركين من أن يأتيهم منذر منهم ، أى بشر من جنسهم ، ولم لا يكون من جنس آخر كالملائكة مثلا ؟

ثم يتبع ذلك بما هو أعجب عندهم من دعوى النبوة ، وهو اخبار الرسول لهم ، بأن بعد هذه الحياة الدنيا ، حياة أخرى ، وهى بعثهم من قبورهم أحياء ، مرة ثانية ، للحساب والجزاء على الأعمال الكائنة منهم في تلك الحياة الماضية ، اذ كيف يمكن وقوع ذلك الحساب بعد ما تمزقت الأجسام وتفرقت بحيث أصبحت ترابا ؟؟

ان القول برجعة تلك الأجسام مرة أخرى أمر مستبعد ، ومستحيل في اعتقادهم ، (أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) ٠

لكن هذه الاستحالة وذلك الاستبعاد الذى يعبرون عنه بالنسبة لمن ؟؟

هل يكون بالنسبة للقدرة الالهية التى اذا أرادت الشىء قالت له كن فيكون في نفس اللحظة من غير توقف على شىء آخر أصلا ؟؟

أو يكون بالنسبة لقُدَرهم العاجزة ؟؟

الواقع أنهم يعبرون بذلك عن أنفسهم ، ويستبعدون البعث ووقوعه ظنا منهم أن قدرة الله تشبه قدرتهم ، فقاسوا قدرة الله على قدرتهم وقياس الغائب على الشاهد باطل في نظر العقلاء ، ولذلك صور الله عز وجل هذا الظن الخاطىء في قوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم) (يس آية ـ ٧٨) ولذا فقد استعظمت عقولهم هذا الأمر وجعلته في حكم المستحيل ، والا فلو نظروا بغير هذه النظرة القاصرة ، وتأملوا في أنفسهم في مبدأ خلقهم ، وفيما بين أيديهم من الآيات الدالة على القدرة الالهية التى لا يعجزها شىء متى ما أرادته لما صدر منهم هذا القول المنكر ٠

وبعد ذكره تعالى للشبهة التى يتكئون عليها يبدأ في الرد عليهم فيقول :

(قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ٠)

(بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ٠)

---

(١) ابن كثير ، التفسير ج ٤ ص ٢٢١ ٠

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ·)
(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ·)
(تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ·)
(ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ·)
(والنخل باسقات لها طلع نضيد ·)
(رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (ق الآيات من ٤ ـ ١١) ·

فنراه تبارك وتعالى يحشد في هذه الآيات عددا من الأدلة ، **المعنوية منها والحسية المشاهدة** ، التى تخاطب العقل وتستثير الوجدان ·

أ ـ الأدلة المعنويـة (العقليـــة) :

بين سبحانه وتعالى في الآية الأولى ، أنه لا مكان لهذا الجحد ، ولا وجه لذلك الاستبعاد ، فاعادة الأجسام الى ما كانت عليه أولا ، بعد تمزقها واختلاطها بأجزاء الأرض من الأمور اليسيرة على القدرة الالهية ، ذلك أن اعادة الشىء المتفرق أجزاء ، أو المستحيل عن صورته الى صورة أخرى ، كتحول الجسم البشري الى صورة التراب مثلا ، يتوقف على أمرين ·

أحـدهما : العلم بتلك الأجزاء المتفرقة ، أو بتلك الصورة المستحيلة عن صورتها الأصلية ·

ثانيهمـــا : القدرة على اعادة تلك الأجزاء ـ أو تلك الصورة الى حالتها السابقة وقد أوضحت الآية الكريمة أن علم الله شامل ومحيط ، فهو تعالى يعلم أين ذهبت تلك الأجزاء وكيف تفرقت فقد عم علمه جميع الكائنات صغيرها وكبيرها حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم ، فاذا كان ذلك معلوما لله تعالى ، ومكتوبا ومحفوظا ، كما قال تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) فكيف يستبعد عليه اعادتهم بعد حالتهم تلك أحياء كما كانوا ؟ !

وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما بين النفختين أربعون ، قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوما ؟ قال : أبيت · قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت · قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت · ويبلى كل شىء من الانسان

الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق (١) ٠

فدل الحديث على نقص جسم الإنسان وتحلله ، وذهابه في الأرض ، إلا ذلك الجزء وهو عجب الذنب ، الذى قيل أنه كحبة الخردل (٢) ، وفيه يركب الانسان ، فيبقى بعينه ٠ والحديث على ظاهره عند جمهور العلماء ٠ وقد خالف المزنى فقال : إنّ « الا » بمعنى الواو ، أى وعجب الذنب أيضا يبلى ٠ ورد ٠ قوله هذا بما جاء مصرحا به في رواية مسلم من أن الأرض لا تأكله أبدا ٠ ونص الرواية في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ في الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا فيه يركب يوم القيامة » قالوا : أى عظم هو ؟ يارسول الله قال : « عجب الذنب » (٣) ٠

ذاك دليل العلم ٠

أما دليل القدرة على الاعادة ، فقد بينته الآيات التالية لهذه الآية ، وهى الآيات المشتملة على الأدلة الحسية المشاهدة ، كخلق السماء ، والأرض ، فالقادر على خلقهما مع عظمهما ، قادر على اعادة الانسان الضعيف من باب أولى ، ثم ان الاعادة للمعدوم الممكن ، من الأمور الممكنة عقلا ٠

فالعقل لا يمنع من أن من قدر على ايجاد الشىء أولاً ، قادر على اعادته بعد عدمه ، ثانيا فإن ذلك من الأمور الممكنة التي لا يستطيع العقل السليم انكارها ٠

وبعد أن بين الله لهم شمول علمه واحاطته بالجزئيات والكليات إذ أن العالم بجزئيات الأشياء لا تخفى عليه كلياتها ٠ بين لهم سبب اضطرابهم في أمر البعث ، وأنه تكذيبهم للحق الذى جاءهم من خالقهم ، إذ الأخبار عنه حق ، والمخبر به صادق قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) أى مضطرب غير مستقر ٠

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى كتاب التفسير باب : ونفخ في الصور ..... رقم الحديث ٤٨١٤ من فتح البارى ج ٨ ص ٥٥١ ٠

وقول أبى هريرة « أبيت » معناه أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوما ... الخ بل الذى أجزم به أنها أربعون مجملة ، وذلك الذى سمعت ٠

وقد روى هذا الحديث الامام مسلم في صحيحه في / كتاب الفتن / باب ٢٨ ما بين النفختين / رقم الحديث ١٤١ ج ٤ ص ٢٢٧ ، ترقيم عبد الباقى ، وفيه « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل » وبهذه الزيادة رواه البخارى أيضا في كتاب التفسير / باب يوم ينفخ في الصور - ج ٨ ص ٦٨٩ في فتح البارى رقم الحديث ٤٩٣٥ ٠

(٢) جاء ذلك في حديث أبى سعيد عند الحاكم وأبى يعلى ، قيل يارسول الله ما عجب الذنب ؟ قال : مثل حبة خردل والعجب ، بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة ويقال له « عجم » بالميم أيضا عوض الباء ، وهو عظم لطيف في أصل الصلب ، وهو رأس العصعص ، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع ، فتح البارى ج ٨ ص ٥٥٢ ٠

(٣) مسلم : صحيح مسلم / كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب ما بين النفختين / رقم الحديث ١٤٣ ج ٤ ص ٢٢٧١ ترقيم عبد الباقى ٠

ب ـ الأدلة الحسيـــة : وبعد ذكره تعالى ، لشمول علمه واحاطته ، ثم بيانه لسبب اضطرابهم في أمر البعث ·

اتجه الى نوع آخر من الأدلة ، وهى الأدلة الحسية المشاهدة ، الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى ، فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الالهية : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) فهذه السماء التى يدرجون تحتها أفلا ينظرون الى ابداعها وحسنها ، واحكام بنائها ، وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة ، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التى لا يعجزها شيء ·

وهذه الأرض التى يسعون عليها ، أفلا ينظرون إليها ، كيف مدت لهم وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم ، وما أنبتنا فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد قال تعالى (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) ثم بين تعالى أن هذه الآيات الكونية جميعها أوجدها تبارك وتعالى (تبصرة وذكرى) أى تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه ·

ثم تابع الأدلة الحسية على البعث ، فضرب لهم مثلا باحياء الأرض بعد موتها فقال : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد · والنخل باسقات لها طلع نضيد · رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) ·

فهذا مثل ضربه الله لمنكرى البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليها وهى جدباء مقفرة ، فحين ينزل عليها الماء تهتز وتربو فتنبت من كل زوج بهيج أى حسن المنظر ، وذلك بعد ما كانت يابسة لانبات فيها ، فأصبحت تهتز خضراء (١) ·

فهذا مثال للبعث والاحياء بعد الموت والهلاك ، ولذلك يقول جل شأنه (كذلك الخروج) يقول جل شأنه أي مثل ذلك الاخراج للنبات من الأرض ، يحيى الله الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثواب والعقاب ·

فهذا المشاهد بالاحساس من آثار قدرته تعالى أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كخلق السماء والأرض قال تعالى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى انه على كل شيء قدير) (الأحقاف آية ٣٣) واحياء الأرض بعد موتها كما قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير) (فصلت آية ٣٩) ·

---

(١) ابن كثير ، التفسير ٤ ص ٢٢٣ ·

وكما رأينا في هذا العرض لبراهين القرآن الكريم على اثبات البعث ، تلك البراهين التى لا تدع مجالا للشك عند العقل الفطرى السليم في إمكان وقوعه وعدم استبعاده ·

فبالمقابل ، ليست لدى المنكرين لوقوعه ، حجة يستندون اليها في انكارهم الا الاستبعاد المستند الى الوهم والظن ، كما قال تعالى (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) (الجن آية ٧) اذ ليس هناك علم يقينى بامتناع البعث بعد الموت وعدم امكانه ، وانما هناك ظن ووهم ناتج عن تكذيبهم بالحق الذى جاءهم من الله تبارك وتعالى ، فالله هو الحق وقوله الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين ، ولذلك فان المكذب بالحق مضطرب ليس لديه أساس متين يستند اليه قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) أى مضطرب غير مستقر ·

النموذج الثانى ـ من المسلك الأول :

وقد أوضحت الآيات التالية من سورة ، يس ، ذلك الانكار الشديد المستند الى شبهة استبعاد اعادة الأجساد الى حالتها الأولى بعد أن أصبحت عظاما رميماً تذروها الرياح ·

يقول تعالى :

(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) ·

(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم) ·

(قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) ·

(الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ·

(أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ·

(إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ·

(فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) (يس الآيات من ٧٧ ـ ٨٣) ·

سبب نزول الآيـــات :

ذكر المفسرون لهذه الآيات ، أن أبى بن خلف أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم يفته ويذروه في الهواء ، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟؟ فقال رسول الله : « نعم يميتك الله تعالى ، ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار · فنزلت الآيات من آخر سورة يس ·

وفي رواية أن العاصى بن وائل السهيمى ، أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرم ؟؟

قال : نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم » فنزلت الآيات (١) فقد تبين لنا من أسباب النزول اعتراض بعض المشركين على الرسول صلى الله عليه وسلم في تقريره البعث ، وقد أكدوا انكارهم ذلك بما ضربوه من المثل لله تعالى ، فكان ضروريا أن يرد عليهم انكارهم ، وأن يبطل لهم مثلهم ، والآيات وان كان سبب نزولها خاصا ، فهى عامة في كل منكر للبعث ، لما هو مقرر في الأصول من أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، والألف واللام في قوله (أو لم ير الانسان) للجنس فيعم كل منكر .

بينت الآيات أن استبعاد الاعادة للأجسام بعد الموت آت من انسان لم ينظر في مبدأ خلقه أولا ، إذ لو نظر في نشأته الأولى نظر تبصر واعتبار ، لكفاه خلقه من نطفة ، ضعيفة حقيرة ، دليلا على اعادته بعد موته ، فنسيانه لمبدأ خلقه من تلك النطفة هو الذى دعاه لهذا الانكار ، ثم ضربه المثل لله القادر ، بقدرة الانسان العاجز (أو لم ير الانسان) نشأته ، أى ألم يعلم (أنا خلقناه) أى ابتدأنا خلقه وايجاده (من نطفة) من منى يمنى وما أضعف النطفة وأعجزها (فاذا هو) بعد العجز والضعف انسان قوى ناطق (خصيم مبين) أى بعد تلك الأطوار الضعيفة أصبح يخاصم ويجادل أبين جدال وأبلغ خصام ؛ ومن ذلك خصامه وجداله في أمر البعث والجزاء ، ينكر قدرة خالقه الذى أنشأه أول مرة ، ويدعى عدم قدرته على اعادته ثانيا ، (وضرب لنا مثلا) أى صفة غريبة عجيبة يعارض بها قدرتنا الثابتة بالدليل القاطع على اعادته ، فجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ثم بين تعالى ، أن سبب ذلك هو ذهوله وعدم التفاته إلى خلقه الأول فقال : (ونسى خلقه) وكان من حقه ألا ينسى فيستدل به على امكان عوده كما بدأه ، ولو تأمل في ذلك لعلم أن القدرة التى سوته أولا لا يعجزها بأى حال اعادته ثانيا بعد أن صار كما يرى عظما رميما مفتتاً ، وأن تلك الرجعة ليست بعيدة على القوى القادر ، وقد قدم قوله (ونسى خلقه) على ضرب مثله تنبيهاً على جهله وغبائه وغفلته ، عما في نفسه وبين يديه من الأدلة ، وماذا قال في مثله الذى يعتمد عليه في تأييد دعواه ؟؟ (قال : من يحيى العظام وهى رميم) بالية متفتتة . فقد أتى ذلك المنكر للبعث المستبعد لوقوعه الى النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بيده عظما رميما يفته ويذروه في الهواء ، قائلا للنبى صلى الله عليه وسلم : أترى يحيى الله هذا العظم بعد ما أرم ؟؟

---

(١) محمد بن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ وابن كثير التفسير ج ٣ ص ٥٨١ ، ١٩٥٤ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم ويدخلك النار · وقد دفع سبحانه وتعالى هذه الشبهة بقوله (قل) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر هذا الناسى لفطرته الدالة على حقيقة الأمر وكمال القدرة (يحييها) أى يخلق الحياة فيها (الذى أنشأها) أوجدها من العدم (أول مرة) في بدء الخلق والنشأة ، فهو الذى أنشأ هذا العظم الذى تفته بيدك من نطفة ماء - لاعظم فيه ، فالقادر على انشائه أولا ، ثم احلال الحياة فيه لا يعجزه اعادته مرة أخرى ، كما قال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ··)

يقول الفخر الرازى : (ومنهم - أى المنكرين - من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهى على وجهين أحدهما أنه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود ؟ (وثانيها) أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع ؟ بل لو أكل انسان انسانا آخر فكيف الاعادة ؟ وقد رد على الشبهة الأولى بقوله (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) يعنى كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا ، كذلك يعيده وإن لم يبق شيئا مذكورا ·

أما الشبهة الثانية فقد أبطلها بقوله (وهو بكل خلق عليم) ثم ذكر الأجزاء الأصلية في الانسان ، والأجزاء الفضيلة ، والله عالم بكل ذلك فهو يعيد كل جزء الى صاحبه ثم يعيد فيه الحياة) (١) ·

فعلم الله شامل بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد - انشاء واعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها ، كما قال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) قادر على اعادتها على النمط السابق الذى كانت عليه كما قال تعالى : (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) والبنان أدق شىء في الانسان وأصغره ·

ثم أتبع ذلك بالأدلة المحسوسة الدالة على كمال القدرة الالهية مبينا لهم أنه لا وجه لهذا الاستبعاد ، إذ كيف يكون ذلك وبين أيديهم من الآيات الكونية الدالة على أن الخالق لا يعجزه شىء ما يكفيهم لو نظروا فيه بعين البصيرة والتأمل ·

فقال تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ·

فهذه آية عظيمة دالة على كمال القدرة الالهية التى توجد الضد من ضده فهذا الشجر

---

(١) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٠٩ الطبعة الثانية ، الناشر دار الكتب العلمية طهران ·

الغض الذي يقطر ماء ، أحدث منه الخالق القادر هذه النار المضادة له ، وهذا أمر أعجب وأغرب من اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأت عليه اليبوسة والبلى .

كما أن هذه الآية متضمنة للرد على شبهة يوردها المنكر لاعادة الحياة بعد الموت ذلك أن الموت بارد يابس ، والحياة طبعها الرطوبة والحرارة ، فاذا حل الموت لم يكن أن تحل فيه الحياة بعد ذلك لما بينها من التضاد .

والحقيقة أن الشبهة واهية وغير واردة على موضوع البعث أصلا ، ذلك أن الممتنع هو الجمع بين الضدين في آن واحد ، أى بأن يكون الجسم حيا وميتا في وقت واحد والبعث بعد الموت ليس من هذا الباب ، لأنه حياة بعد موت ، لا مع موت ، فحين ما حل بالجسم الموت ارتفعت الحياة فبقى ميتا إلى حين وقت البعث ، فلما عادت اليه الحياة مرة ثانية ارتفع الموت ، فليس هناك جمع بين ضدين .

وقد تابع أدلة الرد على المنكرين للبعث والحساب منكرا على الانسان استبعاد وقوع البعث الجسمانى وامكانه قائلا : (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) ومتى قدر على ذلك فهو قادر على اعادة أعيانهم - ولو اتجه الانسان مع فطرته الصحيحة التى فطره الله عليها ، لأجاب بقوله (بلى) أى هو قادر على ذلك لأن هذه الاجابة هى مقتضى ما يعترفون به ولا ينكرونه (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (سورة العنكبوت آية ٦١) .

ولأنه تعالى (هو الخلاق العليم) أى كثير الخلق ، وكثرة الخلق ناشىء عن كمال القدرة ، وهو (العليم) الذى لا يخفى عليه شىء ، فعلمه شامل بجزئيات الأشياء وكلياتها ، كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (سورة سبأ آية ٣) .

وقال تعالى (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (سورة الأعراف آية ٧)

ثم دل على كمال قدرته ونفاذ مشيئته فقال (إنما أمره) أى شأنه ، (إذا أراد شيئا من الأشياء (أن يقول له كن فيكون) أى فيحدث ما أراده من غير توقف على شىء آخر فكيف يصعب على من هذه قدرته اعادة هذا الانسان بعد بلاه وتمزقه .

روى البخارى في صحيحه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمة (١) يعنى أعطاه الله مالا وولدا ، فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أيّ أبٍ كنت لكم ؟ قالوا : خير أب · قال : فانه لم يبتئر (٢) ـ أو لم يبتئر عند الله خيرا وان يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا اذا مت فأحرقونى حتى اذا صرت فحما فاسحقونى ـ أو قال فاسحكونى ـ فإذا كان يوم ريح عاصف فأذرونى فيها · فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف ، فقال الله عز وجل ، كن · فإذا هو رجل قائم · قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك ـ أو فرق منك ـ قال : فما تلافاه أن رحمه عندها ، وقال مرة أخرى : فما تلافاه غيرها فحدثت به أبا عثمان فقال : سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه : أذرونى في البحر أو كما حدث » (٣) ·

فقد دل هذا الحديث على كمال القدرة التى لا يعجزها شىء فكل ما أراده الله عز وجل متوقف على قوله له (كن) فاذا هو كائن كما أراد ·

وقد أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) حديثا رواه الإمام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقول يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم ، وكلكم فقير الا من أغنيت ، انى جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائى كلام وعذابى كلام إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون » (٤) ثم نزه نفسه عما ينسبه اليه الكافرون من العجز فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) فبيده مقاليد السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله ، واليه ترجع العباد في يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله ·

النموذج الثالث ـ من المسلك الأول :

وفي سورة الاسراء يذكر الله عز وجل تلك المحاورة بين منكرى البعث والرسول صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى :

---

(١) قوله قال كلمة ـ فسرها بقوله أعطاه الله مالا وولدا أى الكلمة التى قالها قبل ذكر القصة ·

(٢) لم يبتئر ـ فسره قتاده لم يدخر ·

(٣) محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، كتاب التوحيد / باب ٣٥ قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) من فتح البارى ج ١٣ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ رقم الحديث ٧٥٠٨ · ورواه في كتاب الرقاق / باب ٢٥ الخوف من الله / من فتح البارى ج ١١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ رقم الحديث ٦٤٨١ · ورواه مسلم في كتاب التوبة / باب ٤ في « سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم الحديث ٢٥ · ورواه الامام أحمد في السند ج ٥ ص ٢٦٩ ·

(٤) ابن كثير التفسير ج ٣ ص ٥٨٢ ·

(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا .)

(أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) .

(يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) (الاسراء آية ٤٩ ـ ٥٢) .

فقد حكى شبهة منكرى البعث في الآية الأولى . تلك الشبهة هى استبعاد وقوع المعاد فإن عقولهم لم تتصور إمكان الاعادة ووقوعها . بعد تمزق الأجساد وتفرقها . وقد بين لهم عز وجل أنه لامكان لهذا الاستبعاد . ولا مجال له مع القدرة الالهية . ولهذا وبخهم بهذا الأسلوب التعجيزى . فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم . أن يجيبهم بقوله : (قل) يامحمد مجيبا هؤلاء المنكرين لقدرتنا . على اعادة أجسامهم الضعيفة الى حالتها الأولى التى أوجدناها عليها . (كونوا حجارة أو حديدا) أو أى نوع يعظم عندكم عن قبول الحياة . لكمال المباينة . والمنافاة بينهما وبينه . فانكم مبعوثون . ومعادون للمجازاة على أعمالكم لا محالة . ولكنهم بعد ما سمعوا . أمعنوا في جحودهم . فقالوا : إذا كنا كذلك من حجارة أو حديد . (من يعيدنا) ؟ فجاءهم الجواب بما هو مسلم عندهم لو عقلوا (قل الذى فطركم أول مرة) . أى هو الذى أنشأكم أولا . ولم تكونوا شيئا مذكورا . هو القادر على اعادتكم ثانيا . وأنتم تعترفون بأنه خالقكم . ومنشئكم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ..) (الزخرف آية ٨٧) فكيف تستبعد عليه الاعادة ؟؟

غير أنهم لم يعيروا هذا الدليل اهتماما . ولذا فهم يحركون رؤسهم استهزاء وسخرية قائلين استبعادا لوقوعه (متى هو ؟) أى متى سيكون هذا الأمر الغريب الذى تعدنا به فبين لهم سبحانه أنه قريب . ذلك لأنه آت . وكل آت قريب . (قل عسى أن يكون قريبا) وذلك يوم يدعو الله الخلائق فيستجيبون لتلك الدعوة . قال تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) (الروم آية ٢٥) أى إذا أمركم بالخروج منها . فانه لا يخالف أمره ولا يمانع . (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) حين ترون ما وعدتم به . كقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (النازعات آية ٤٦) ومثل هذه الآيات في السورة نفسها قوله تعالى : (... ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا . ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا : أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . أو لم يروا أن

الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) (الاسراء آية ٩٧ ـ ٩٩) ٠

فقد أخبر تعالى في الآية الأولى عن حشر المنكرين للبعث على أقبح صورة جزاء لهم على كفرهم به تعالى ، وانكارهم لآياته وتكذيبهم لأنبيائه ، ولما استعظموا اعادتهم خلقا جديدا بعد أن صاروا رفاتا ، أى مفتتة أجسادهم ، أجابهم بما يقرون به وهو خلق السموات والأرض وهى أعظم من خلقهم ، فالقادر على ايجادها قادر على اعادتهم من باب أولى ، إذ القادر على خلق الأكبر ، لا يعجزه خلق أو ايجاد ما هو أصغر منه في بدائه العقول (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) (غافر آية ٥٧) فقال (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ···) ومتى قدر على خلق مثلهم فهو قادر على اعادة أعيانهم ، كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ···) (الروم آية ٢٧) ٠

المسلك الثانى : تقديم الدليل ، ثم ايراد القضية بعد استقامته ووضوحه :

النموذج الأول :

يقول الله تعالى ، من سورة المؤمنون : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ٠ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ٠ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ٠ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ٠ ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (المؤمنون آية ١٢ ـ ١٦) ٠

في هذه الآيات قدم الله سبحانه وتعالى ، الاستدلال على امكان البعث والجزاء يوم القيامة ، بخلق الإنسان في أطواره المتعددة حيث خلقه من طين ، والمراد به آدم عليه السلام ، ثم جعل نسله ، أى ولده من بعده من ماء مهين ، كما قال تعالى في سورة السجدة : (الذى أحسن كل شىء خَلَقه وبدأ خلق الانسان من طين ٠ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (السجدة آية ٧ ـ ٨) ٠

وقيل المراد بالانسان ، الجنس في ضمن خلق آدم ٠

ثم شرع يبين تلك الأطوار المتعددة التى مر بها خلق الإنسان الى أن أصبح بشرا سويا ، عاقلا ناطقا ، فقال (ثم جعلناه نطفة) ماء ، وهو المنى المهين أى الممتهن (في قرار مكين) أى مستقر وهو الرحم ، ثم بين تحول هذه النطفة من حالة الى أخرى خلقها علقة ، أى دما جامدا ، ثم خلق العلقة مضغة لحم لا تمايز فيها ، ثم خلق تلك المضغة عظاما ٠ بأن جعلها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة الالهية ، ثم كسوة تلك

العظام لحما على مقدار ما يناسب كل عضو ، ويليق بهيئته حتى يكون خلق الانسان في أحسن تقويم وأجمله ، كل ذلك التحول من حالة الى أخرى يتم في ذلك المكان المظلم الضيق ، بقدرة العليم الحكيم (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ..) (الزمر آية ٦) .

ثم تحويله إلى خلق آخر مباين للخلق الأول ، مباينة ما أبعدها ، فقد أصبح إنسانا حيا ، سميعا بصيرا ، متكلما ، عاقلا ، بعدما كان جمادا ، نقلة هائلة بين النطفة الضعيفة الميتة ، وبين الإنسان الحى الناطق ، فلا علاقة عقلية ، ولا تلازم بينهما اللهم إلا القدرة الالهية ، التى تقول للشىء كن فيكون ؟ (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) (الروم آية ١٩) .

ولما كانت هذه الأطوار لخلق الانسان ، من أعظم الدلائل على القدرة الالهية والحكمة الربانية ، فقد أثنى سبحانه وتعالى على نفسه بقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

هكذا يعرض الله تبارك وتعالى ، هذا الدليل على المخاطبين ، بحيث لا يمكنهم انكاره لأنه من مشاهداتهم ، فمن منهم لا يعرف عن كيفية خلق الانسان شيئا ، كل واحد منهم يعلم من نفسه أنه وجد على هذه الأطوار التى ذكرها القرآن الكريم ، كما يعلم ذلك عن طريق مشاهداته ، لوجود أبنائه ، وأبناء جنسه .

وهكذا بعد أن اتضح الدليل واستقر ، وهو أنه تعالى ، قادر على الانشاء والايجاد من العدم ، أورد قضية البعث بعد الموت في يوم القيامة ، فقال : (ثم انكم بعد ذلك لميتون) أى بعد تمام خلقكم . ثم خروجكم من بطون أمهاتكم ، واستيفائكم آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أحياء من قبوركم ، فتحاسبون على أعمالكم ، وتنالون جزاءكم ، قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الأنبياء آية ٤٧) .

٢ ـ النموذج الثانى : من المسلك الثانى :

يقول تعالى من سورة السجدة : (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .

وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفى خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون . ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا

رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) (السجدة الآيات ٧ ـ ١٢) يخبر تعالى أنه أحسن الأشياء التى خلقها فأتقنها وأحكمها ، كما قال تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شىء) ومن تلك الأشياء المخلوقة المتجلية فيها بدائع الصنعة خلق الإنسان ، ثم شرع في بيان بدء خلقه فقال (وبدأ خلق الانسان من طين) ٠

ويعني به خلق آدم عليه السلام كما قال تعالى (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) ثم جعل نسله ، أى قدر خلق ذريته من تلك النطفة التى تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ٠ مذكرا لهم بنعمه التى منحهم اياها من السمع والبصر والعقول ، كل تلك القوى التى قل شكرهم لله عليها أنشأها من تلك النطفة التى عبر عنها بالشىء الممتهن لحقارته ، وبعد ذكره تعالى لنشأتهم الأولى المتمثلة في خلق أبيهم آدم ، ثم بيانه لكيفية تناسلهم من بعده ـ وما أنعم به عليهم من القوى الظاهرة والباطنة مما يدلهم على قدرته وحكمته ، أورد قضية البعث ، إذ لا يعقل ـ إن كانوا يعقلون ـ أن يخلقهم الله ويعدهم هذا الإعداد عبثا ، ذلك ظن الذين كفروا ٠

فقال : (وقالوا أإذا ضللنا في الأرض) أى اختلطت أجسامنا بعد تمزقها وتفتتها بأجزاء الأرض ، من قولهم ـ ضل السمن في الطعام ـ أى اختلط به ، (أإنا لفى خلق جديد) أى أإنا لنعود بعد تلك الحال إلى حالتنا السابقة ، استبعادا منهم لذلك الأمر ، وهذا الاستبعاد الذى يعبرون عنه ، هو بالنسبة لقدرهم العاجزة ، إذ قصرت عقولهم فظنوا أن قدرة الخالق كقدرهم كما قال تعالى حكاية عنهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ٠٠) (يس آية ٧٨) ٠

ـ وضارب المثل بعضهم لكنهم متفقون على ذلك ـ فسبب الانكار المستند إلى شبهة الاستبعاد ناشىء عن نسيان الخلق الأول ولذا فالمولى عز وجل يذكرهم بتلك النشأة قال تعالى حكاية عنهم (ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (مريم آية ٦٦ ـ ٦٧) ٠

ولو أنهم التفتوا إلى مبدأ خلقهم لعلموا أن القدرة التى أنشأتهم أولا لا يعجزها اعادتهم ثانيا ٠

ولما كان استبعادهم لاعادتهم للحياة مرة أخرى بعدما شاهدوا من الأدلة لا مكان له ، أتبعه بالإخبار القاطع بوقوعها فقال : (قل) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد مخبرا ومنذرا منكرى البعث (يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) فهو إخبار قاطع بتلك الاعادة ، مستند إلى الدليل السابق ، وهو النشأة الأولى ، مؤكد بتلك الحالة التى يكونون عليها بعد رجوعهم الى ربهم ، في حالة كونهم معترفين بذنبهم ، طالبين الرجوع

الى الحياة الدنيا مرة أخرى ، ليصلحوا أعمالهم ، بعد أن رأوا الخبر اليقين ، قال تعالى حاكيا تلك الحالة عنهم وما يقولونه (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) قائلين (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون) والله يعلم أنهم لكاذبون في دعواهم اصلاح أعمالهم اذا رجعوا للحياة مرة أخرى . قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) (الأنعام آية ٢٧ ـ ٢٨) .

٣ ـ النموذج الثالث : من المسلك الثانى :

وفي مطلع سورة الرعد نموذج يهز المشاعر ويستثير الوجدان ، إذ يحتوى على آيات الله الكونية التى يعترف المخاطبون بأنها أنشئت بقدرة الله القوى العزيز .

يقول تعالى :

(الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .)

وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (الرعد الآيات من ٢ ـ ٥) .

تبدأ الآيات الكريمة برسم المشاهد الكونية الدالة عل القدرة الالهية ، السماء وما شملت من أفلاك ، والأرض وما حوت من أنهار وجبال ، وما أخرجت من ثمار ، ثم التعجب من حال من ينكر البعث والحياة مرة أخرى بعد أن شاهد هذه الآيات المعروضة على العقول والأبصار ، يقول تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وهو إخبار منه تعالى عن كمال القدرة وعظيم السلطان ، فبأمره رفع السموات عن الأرض ، هذه السموات التى لا يحيط بها البصر ادراكا ، ولا يعلم مقدار سعتها وعظمتها ، الا خالقها رفعها بأمره ، ويمسكها بقدرته أن تزول ، مستشهدا على ذلك برؤية المخاطبين لها مرفوعة بغير عمد تسندها ، محكمة البناء لا شقوق فيها ولا تصدع ، فنحن نكرر النظر اليها مرات ومرات ، فترجع أبصارنا كآلة من غير أن تدرك شيئا مخلا ، في هذا البناء الهائل والسقف المرفوع ، وانما تدرك فيه الا بداع والاتقان .

المنبئين عن الحكمة والتدبير · (ثم استوى على العرش) والعرش من الأمور المغيبة عنا ، والله هو وحده العالم بسعته وعظمته وقد استوى عليه استواء يليق بجلاله كما أخبر · وتنقلنا الآيات من مشهد السماء المرفوعة بغير عمد ، الى مشهد التسخير والتقدير (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) فقد خلقهما بقدرته وسخرهما بارادته يجريان دائبين لا يفتران ، إلى أجلهما المسمى وقد خص كلا منهما بخاصته فجعل الشمس سراجا وهاجا ، وجعل القمر نورا ، كلاهما ترتبط بها حياة الانسان في نفسه ، وفي جميع شئون حياته اليومية والشهرية والسنوية ، أمور تلمس القلوب وتخاطب المشاعر بما يحسه الانسان ويدركه كجزء من حياته ·

(يدبر الأمر) كله ، فله الخلق والأمر ، فمن تدبيره خلق السموات وحفظها ، ومن تدبيره وتقديره ، خلق الشمس والقمر ، وتسخيرهما يجريان الى أجلهما المسمى ·

(يفصل الآيات) الكونية المشاهدة الدالة على عظيم القدرة ونفاذها ، والآيات الدينية المبينة للطريق السوي الذى يلزم المكلف سلوكه والحقائق الغيبية التى لا بد من الايمان بها ، واعتقادها · (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) ·

(لعلكم) حين رؤيتكم لآياته الكونية المفصلة ، وإدراككم لما فيها من اتقان واحكام ، دالين على قدرة من فصلها وبينها (توقنون) بأن وراء هذا التدبير المحكم مدبرا حكيما ، وأن لهذا التفصيل والتوضيح ، مفصلا عليما حكيما لا بد من لقائه ، في الحياة الأخرى ، لمجازاتكم على أعمالكم ، فذلك اللقاء ، وتلك المجازاة ، مما يوحى به ذلك التدبير والتفصيل ، فالخلق يكون عبثا إن لم تكن هناك مجازاة على الاحسان والاساءة ، قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) ·

تلك مشاهد العلو الكونية ، عرضت على المخاطبين ، ذلك العرض الموحى بالقدرة المبدعة من ورائها ، ليأخذ منها الإنسان المنكر للبعث ، أن خالقها ، وحافظها ، قادر على اعادته بعد موته ·

ثم تأخذ الآيات القرآنية بيد المخاطب ، إلى هذه الأرض التى يعيش عليها ، قائلة ، إذا لم تكتف أيها المرتاب في قدرة خالقك ، بما تشاهده ببصرك من فوقك ، فالتفت إلى ما تحت قدميك ، وما هو مبسوط أمام عينيك ، من هذه الأرض التى مدت ، فوسعت ، وأرسيت فاستقرت ، وشقت بالأنهار الجارية ، وأنبتت من كل الثمرات ، ثم تعاقب الليل والنهار المستمر لما فيه سعادتك وقوام حياتك ، كل هذه آيات تدعو الانسان للتفكير فيها وفيما توحي به

(إن في ذلك) المتقدم ذكره من رفع السماء بلا عمد وتسخير الشمس والقمر ، وخلق الأرض ، ومدها وحفظها ، وشق أنهارها ، واخراج زروعها وثمارها ، (لآيات لقوم يتفكرون) ٠

وتمضى الآيات القرآنية ، في توضيحها لآيات الله الكونية ، فبعد عرضها الاجمالى لما تنبته الأرض ، من أزواج الثمار المختلفة ٠

تعود إلى توضيح جزئية منها ، لتضع المنكر للبعث ، أمام القدرة الالهية ، تلك الجزئية التى يشاهدها الانسان ببصره ، ويمارس عمليتها بيده ، ويتذوق ثمارها بفمه ، فهو دليل تبصره العين ، وتلمسه اليد ، ويذوقه الفم ، فأى دليل أقرب وأمس بحياة الانسان ، من هذا الدليل الذى يلمسه الإنسان بنفسه ، فيقول تعالى موضحا ذلك : (وفي الأرض قطع متجاورات) بعضها لاصق في بعض لا يفصل بينهما جنس غريب من غير جنسهما ، (وجنات) تشمل أنواعا من الأشجار المختلفة ، ففيها الأعناب ، والزروع ، والنخيل الصنوان وغير الصنوان ، هذه الأنواع كلها (تسقى بماء واحد) إما من السماء كماء المطر ـ أو المستخرج من الأرض ، كماء الآبار ، والعيون وتنبت في تربة واحدة ، وصلة الأحوال الطبيعية بها ، كالحرارة ، والبرودة ، واحدة ، ومع ذلك ، تأتى ثمارها مختلفة الطعوم ، وألوانها مختلفة الأشكال ، فمن أين جاء لها ذلك الاختلاف في اللون والشكل ، وتفضيل بعضها على بعض في الطعم والذوق مع أن كل الأسباب الظاهرة واحدة ؟؟

ليس من جواب على هذا السؤال ، الا أن ذلك من فعل الخالق العليم ، والمدبر الحكيم ، (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) لآيات ، أى دلالات واضحات على كمال القدرة المبدعة ، لمن أعمل فكره وعقله ، في مخلوقات الله تعالى ٠

هذه الآيات الكونية ، العلوية منها والسفلية ، تهدى المتفكر فيها ، المستعمل لعقله الفطرى ، الذى فطره عليه خالقه ، على أنها قد أوجدت ، وأحكمت ، ونظمت بتدبير حكيم عليم ، قادر ، تقتضى حكمته رجوع الخلائق اليه ، وملاقاتهم له ، وتدل دلالة واضحة على أن من طلب دليلا غير هذه الأدلة ، على قدرة الله لاعادته للحياة مرة أخرى أنه ممن يعجب من قوله ، ويستهزأ من طلبه ، وهكذا نرى أن الله تبارك وتعالى ، بعد أن عرض هذه الأدلة على المخاطبين المنكرين للبعث ، وبعد أن اتضح الدليل لديهم بما لا يدع مجالا للشك في قدرة الخالق على اعادتهم ، أورد قضية البعث معجبا رسوله صلى الله عليه وسلم من الجاحدين لقدرته تعالى ، على اعادتهم خلقا جديدا ، بعد أن تفتت أجسامهم فصارت ترابا ، فيقول جل شأنه ، (وان تعجب) يامحمد (فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد ، ولم يكن هذا الانكار الصادر منهم ، لعدم الدليل على البعث ، وانما كان بسبب كفرهم ، المتأصل في نفوسهم ،

فاستحقوا أن يحكم الله عليهم ، بعد أن أقام عليهم الحجة البالغة ، بالأغلال في أعناقهم ، والسلاسل يسحبون بها في النار المصاحبة لهم ، المستمرة معهم ، (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فيخلدون فيها جزاء لهم على كفرهم وعنادهم ، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ٠

قال تعالى : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما) (النساء آية ٥٦) ٠

النموذج الرابع : من المسلك الثانى :

يقول تعالى من سورة الحج :

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ٠ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ٠ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) ٠ (الحج آية ٥ ـ ٧)

إن اسلوب القرآن في مخاطبة الناس لاقامة حججه وبراهينه لا يختص بفئة من الناس ذات صفات معينة ، ذلك لأنه يخاطب الفطرة البشرية في عموم أفرادها ، وكل فرد منهم يستطيع أن يأخذ من ذلك الخطاب الموجه بقدر ما أوتى من ذكاء وفطنة ٠

وهذه الآية الكريمة من سورة الحج تمثل هذا الأسلوب القرآنى الواضح فهى تقوم على مقدمات صادقة ، ترتبت عليها نتائج قطعية ، مع ما تمتاز به من السهولة والوضوح في ادراك ما تضمنته من معان من غير كد ذهنى أو إجهاد فكرى ، وذلك لبعدها عن أقيسة المناطقة ، وتعقيدات الفلاسفة ٠

يقول تعالى موجها خطابه للناس جميعا ، والمقصود الذين يتشككون في أمر البعث فيستبعدون وقوعه ، بعد أن تفرقت الأجسام وتلاشت فذهبت في الأرض ، وصارت ترابا ، يقول لهؤلاء (إن كنتم في ريب) أى في شك من قدرتنا على اعادة هذه الأجسام ، المختلطة بالتراب ، استبعادا لامكان ذلك وشكا في وقوعه ، فانظروا في بدء خلقكم الأول فانا خلقناكم من تراب ٠ وذلك في ضمن خلق أبيكم آدم عليه السلام ثم جعلنا خلقكم بعده في صورة أغرب من خلق الانسان من تراب ، فقد خلقناكم من نطفة ماء ثم أخذت تلك النطفة أطوارها

المتعددة وصورها المختلفة ، فقد كان هذا الانسان الجاحد لاعادته مرة أخرى ، نطفة ماء ، ثم تحولت تلك النطفة الى علقة أى دم جامد ثم تحولت الى مضغة لحم ، مخلقة ، أى متبينة الخلق مصورة ، وغير مخلقة لم يبين خلقها وصورتها ، تلك أطوار النطفة التى تمر بها في رحلتها الى أن تصبح جنينا يتحرك في ذلك القرار المكين (من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم) قدرتنا على الخلق والاعادة ، (ونقر في الأرحام) من تلك النطف بعد تمام الخلق (ما نشاء الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع (ثم نخرجكم طفلا) أى أطفالا تتنسمون الحياة ، مزودين بجميع الوسائل اللازمة لمواجهة الحياة الجديدة على هذه الأرض من رئة يتنفس بها ويسمع ويبصر وأيد يبطش بها ، وأرجل يمشى بها .. الخ ما هنالك من صفات وأعضاء وضعها الخالق العظيم في الإنسان مما يدل دلالة قطعية على أن هذا الإنسان قد أعد اعداده هذا عن علم وحكمة ، وبعد خروجه لهذه الحياة رباه خالقه بنعمه الى أن أصبح شخصا قويا ، (ثم لتبلغوا أشدكم) .

(ومنكم من يتوفى) أى فيخترم الله بالوفاة في أجله المعلوم من يشاء ، ويعمر من يعمر منكم حتى يبلغ من العمر أرذله ، فيرتد عقله وتصوراته ومشاعره الى حالة الطفولة الأولى ، فيجهل بعد العلم ، ويضعف بعد القوة (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) ، تماماً مثل يوم خلق وبرز وجوده لهذه الحياة طفلا فالآية الكريمة تخاطب المنكر للبعث ، قائلة له : إن من كانت هذه قدرته في خلقك وانشائك ، في حياتك الأولى ، وفي أطوارها المتعددة التى مرت بها أيعجزها إحياؤك بعد موتك ، واعادتك بعد فنائك ؟؟

كيف يكون ذلك وهو القادر على كل شيء وهو الخلاق العليم .

وبعد أن استكملت الآية الاستدلال بالعالم الانسانى في نشأته الأولى ، وكيفية تنقله في أطوار خلقه المتعددة .

أتبعه باستدلال آخر يكثر ضربه في القرآن استدلالاً به على البعث ذلك هو احياء الأرض بعد موتها .

فقال تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) .

فهمود الأرض ، عبارة عن يبسها واقفارها من النبات بمنزلة الذات المسلوبة الحياة ، فهى ميتة يابسة ، لا نبات لها .

واهتزازها وربوها وتحركها بالنبات بعد نزول المطر عليها ، بمنزلة الحياة تسرى في الموات ، فتنبت من كل زوج بهيج ، وذلك بمنزلة خروج الأموات من قبورهم .

وبعد أن يتقرر الدليل ويتضح لدى المخاطبين بما لا يدع مجالا للشك في قبول النتيجة يورد القضية المستدل عليها فيقول (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير) فالله هو الموجود بذاته لذاته ومن شأنه احياء الموتى ، فهو الذى خلق الموت والحياة ، وهو القادر على الخلق بدءاً واعادة ، لأنه على كل شيء قدير (وأن الساعة) وهى موعد الحياة الثانية · (آتية لاريب فيها) لوضوح دلائلها ، ثم ختمت الآية بالنتيجة المطلوبة ، وهى القضية التى يرتاب فيها المنكرون للبعث ، فقال تعالى (وأن الله يبعث من في القبور) · تلك القبور التى تحتوى على أجساد الموتى ، التى تفتت ، ورمت ، واختلطت بغيرها ، ذلك أن الله تعالى قادر على إعادتها ، ليوفيها الحساب على عملها في الحياة الدنيا ·

المسلك الثالث : هو إخبار الله تعالى بوقوع البعث من غير أن يذكر الدليل على ذلك ·

ذكرنا في أول هذا المبحث ، أن أعظم شبهة يستند اليها منكروا البعث هى استبعادهم اعادة الأجسام الى ما كانت عليه بعد أن صارت ترابا ، واختلط بعضها ببعض ؛ وعرفنا مسلك القرآن الكريم لعلاج تلك الشبهة ودحضها في المسلكين السابقين · وهما ؛ إما أن يورد الشبهة أولا ثم يبين بطلانها بالدليل ·

واما أن يذكر الدليل على البعث والاعادة أولا ، وبعد وضوحه وتقريره يورد القضية · وهناك مسلك ثالث سلكه القرآن الكريم في قضية البعث ، وهو أنه يذكر رأى المنكرين للبعث من غير أن يذكر شبهتهم ؛ بل يذكر دعواهم مجردة عن الدليل ، ثم ينكر القرآن على هذه الدعوى بالرفض والابطال ويبين أن البعث واقع لا محالة ، ويؤيد هذا الوقوع بالقسم منه جل وعلا ، ولعله لم يذكر الدليل في هذه الآيات ، بل طواه ، نظرا لأنه ذكره أكثر من مرة في آيات متعددة ، وليس بلازم أن يذكر الدليل عند كل مناسبة ، فان القرآن يفسر بعضه بعضاً ·

وسأذكر هنا نماذج لهذا المسلك في القرآن الكريم ·

أولا : أقسام المنكرين للبعث بأن الله لا يبعث من يموت ·

يقول تعالى في سورة النحل :

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون · ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين · انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (النحل الآيات من ٣٧ ـ ٤٠) ·

فالآية الأولى تصور لنا هذا الانكار الشديد المؤكد بالأيمان المغلظة بأن الله لا يبعث من يموت أبدا ، فنراهم يجزمون بعدم وقوع البعث ، بعد الموت وينفونه نفيا قاطعا بلا شك عندهم ولا تردد ، من غير أن يرد في كلامهم ما يتضمن شبهة لذلك النفى ، قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) .

ولعل هذا الانكار الصادر منهم مستند الى الشبهة الأولى ، وهى شبهة استبعاد أن يعيد الله الموتى مرة ثانية ولكنها لم تذكر هنا لظهورها واستقرارها عند المنكرين .

ولما كان قولهم هذا يتضمن الطعن في الحكمة الالهية ، ونسبة العبث الى الله في خلقه العباد وتركهم سدى ، إذ يقتضى ذلك التسوية بين المحسن والمسىء وبين الخير والشر ، وهما لا يستويان عند الله ، كما قال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (الجاثية آية ٢١) وقال تعالى : (وما يستوى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تذكرون) (غافر آية ٥٨) وقال تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) (السجدة آية ١٨) .

لذلك فقد رد الله عليهم شبهتهم هذه وأكد لهم أن البعث أمر محتم ، لا بد من وقوعه ، فهو وعد عليه حقا ، لا بد من انجازه ، ذلك لأن الله تعالى قد وعد به ، ووعده حق ثابت لا بد من وقوعه ، قال تعالى (بلى وعدا عليه حقا)

وانما كان البعث حقا وواقعا ، لأن هذه الحياة الدنيا ، ليست هى النهاية بل هى وسيلة الى حياة أخرى ، ومعبر يعبر عليه الانسان الى الحياة الباقية ، كى يجازى فيها على ما عمله في هذه الحياة (ولكن أكثر الناس) وهم المنكرون للبعث لجهلهم بالله تعالى (لا يعلمون) ما يتضمنه البعث من العدل بين العباد .

ثم بين لهم حكمته في المعاد ، فقال تعالى : ليبين لهم الذي يختلفون فيه) ففى ذلك اليوم يظهر لكل مخالف في شىء (ما) الحق فيما خالف فيه ، ويجازى فيه كل عامل على عمله ، كما قال تعالى (... ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) (النجم آية ٣١) .

(وليعلم) في ذلك اليوم (الذين كفروا) بالله وكذبوا رسله فيما أخبروهم به من البعث والجزاء على الأعمال ، (أنهم كانوا كاذبين) في أيمانهم تلك التى أكدوا بها انكارهم للبعث بعد الموت ، وأن البعث واقع ، والجزاء حق وعدل .

ثم أخبر تعالى عن قدرته على ذلك ؛ وأنه لا يخرج على مشيئته وارادته فقال : (انما قولنا لشيء) في الأرض أو في السماء (اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ومن ذلك المعاد ، فاذا أراد الله وقوعه فانما يأمر به مرة واحدة اذ لا يحتاج أمره بالشيء الى تكرار ، كما قال تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقال مخبرا عن تلك القدرة (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)وقال الشاعر :

اذا ما أراد الله أمراً فانما يقول له كن قولة فيكون (١)

ثانياً : نفيهم مجيء الساعة ، وزعمهم عدم وقوع البعث :

يقول تعالى من سورة سبأ ·

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة · قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ·

ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ·

والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم (سبأ آية ٣ ـ ٥) ·

ويقول تعالى من سورة التغابن :

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (التغابن آية ٧) ·

يخبر تبارك وتعالى ، عن إنكار الكفار للآخرة ، ذلك الانكار الناشيء عن عدم إدراكهم لحكمة الله تعالى وتقديره ، فحكمته لا تترك الناس سدى ، يحسن من يشاء منهم أن يحسن ، ويسيء من يشاء ذلك ، ثم لا يجازى أحداً منهم على عمله ·

ولذلك فهم ينكرون مجيء الساعة التى وعد الله بمجيئها ، والتى ينال فيها كل انسان جزاء عمله ، فيقولون : (لا تأتين الساعة) ينفون مجيئها نفيا جازما بدون دليل ، مع أن مجيء الساعة ، ووقتها من الأمور الغيبية وهم لا يعلمون من الغيب شيئا ·

فيرد الله عليهم انكارهم هذا ردا مؤكدا جازما ، فيأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه على إتيانها ووقوعها قسما مؤكدا فيقول : (قل) يا محمد مخاطبا هؤلاء الجاحدين للساعة النافين لمجيئها (بلى وربى لتأتينكم) فهو إخبار مؤكد بوقوعها من عالم الغيب ، وقد اتبع ذلك بما لله عز وجل من صفة العلم المحيطة والشاملة لما في هذا الكون كله كبيره وصغيره (عالم الغيب لا يعزب) أى لا يغيب (عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا

---

(١) ابن كثير ، التفسير ج ٢ ص ٥٦٩ ·

أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) فمن كان عمله محيطا بدقائق الأمور بحيث لا يخفى عليه شيء منها ، كيف يعجزه إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه مرة أخرى ؟؟

ثم بين الحكمة من البعث وقيام الساعة فقال : (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك) المؤمنون العاملون (لهم مغفرة) لما بدر منهم ، (ورزق كريم) لا منّ فيه ولا تعب .

كما يجازى الله الكافرين به والمكذبين لرسله الساعين للصد عن سبيله بالعذاب المهين (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) والرجز سوء العذاب كما قال قتادة (١) .

وفي آية التغابن ، يحكى الله تبارك وتعالى ، انكار الكفار للبعث بعد الموت وقد عبر عن ذلك الانكار بالزعم ، فقال (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) أى المنكرين منهم للبعث ، والزعم يشعر بعدم التأكد والجزم من القائل بما يقوله لعدم علمه من أن قوله هذا يوافق الحق والصواب ، ولذلك كان الزعم كنية الكذب ، كما يقوله ابن عمر (٢) رضى الله عنه .

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يرد على ذلك الزعم الباطل ، ويؤكد نفيه بالقسم بربه على تحقق البعث ووقوعه ، ويبين لهم ما يترتب على ذلك البعث من جزاء وهو أنهم سينبؤون بما عملوا ، ثم يجازون على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، قال تعالى : (قل) يامحمد (بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) .

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية (... قل بلى وربى لتأتينكم) ما نصه :
(هذه احدى الآيات الثلاث التى لا رابع لهن ، مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم . على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فاحداهن في سورة يونس عليه السلام وهى قوله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى أنه لحق وما أنتم بمعجزين) .

والثانية هذه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قي بلى وربى لتأتينكم) .

والثالثة في سورة التغابن وهى قوله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (التغابن آية ٧) .

---

(١) أبو السعود بن محمد العمادى الحنفى ، التفسير ج٤ ص٢٤٣ .
(٢) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٨ ص ١٢١ .

ثالثا : الإخبار بقيامهم من قبورهم :

يقول تعالى من سورة يس :

(ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون · قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون · إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون · فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (يس الآيات من ٥١ ـ ٥٤) ·

تصور لنا هذه الآيات هذا المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة ، وذلك حين النفخ في الصور المؤذن بانتشار الناس من القبور (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث) هى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يمشون مسرعين كما قال تعالى : في سورة المعارج (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (المعارج آية ٤٣) قائلين بعد خروجهم من قبورهم (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى من قبورنا ، التى كنا نرقد فيها ، ونعتقد أننا سوف لا نخرج منها أحياء مرة أخرى أبدا ، فلما ظهر صدق ما كذبوا به ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ ثم قال الله تعالى : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وهذا القول ... الخ · إما حكاية عن المنكرين للبعث ، إذ علموا عند المعاينة أن ما أخبرتهم به الرسل صدق وحق · وإما من قول المؤمنين لهم ذلك ، وهذا ما اختاره ابن جرير في تفسيره الآية (١) ·

ثم بين تعالى ان جمع الخلائق جميعا في ذلك اليوم من الأمور اليسيرة على القدرة الالهية فما هى الا صيحة واحدة توجه اليهم ، فاذا هم في اللحظة محضرون عند خالقهم (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميعا لدينا محضرون) كما قال تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) (القمر آية ٥٠) في ذلك اليوم يقام ميزان العدل بين العباد فلا تظلم نفس شيئا ، وانما تجازى على عملها الذى أسلفته في حياتها الدنيا ، (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) · هذا مسلك القرآن في اثبات البعث ، وسنتبعه بآراء العلماء في ذلك لا للمقارنة ، وانما ليتبين للقارىء سهولة أسلوب القرآن الكريم في مخاطبته البشرية على اختلاف مستوياتهم ، لقول القائل : فبضدها تتبين الأشياء ·

آراء العلماء في البعث

سأتناول هذا الموضوع بالدراسة من ناحيتين :

أ ـ الأولى : ذكر آراء العلماء في حقيقة البعث ، هل هو جسمانى فقط ، أو روحانى فقط ، أو روحانى وجسمانى ·

---

(١) ابن جرير الطبرى ، التفسير ، ج ٢٣ ص ١٧ ·

ب ـ الثانية : بيان كيفية البعث (الاعادة) عند من يقول باعادة الأجسام ·

أولا : آراء العلماء في حقيقة البعث :

بعد أن عرضنا مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث ، وهو المقصود من هذا البحث ، فقد رأينا من المناسب أن نذكر أقوال العلماء في هذا الموضوع باختصار ، لنرى مدى موافقة هذه الأقوال ، أو مخالفتها لما جاء في القرآن الكريم في موضوع البعث ، فأقول وبالله التوفيق :

إن الأقوال الواردة في البعث ، والمذكورة في كتب العقائد الاسلامية خمسة أقوال :

الأول : ثبوت المعاد الروحانى فقط ·
الثانى : ثبوت المعاد الروحانى والجسمانى ·
الثالث : ثبوت المعاد الجسمانى فقط ·
الرابع : عدم ثبوت شيء من ذلك ·
الخامس : التوقف في هذه الأقسام جميعا · (١) ·

أما القول الأول : وهو ثبوت المعاد الروحانى فقط ، فهو قول الفلاسفة الالهيين ، وذلك لأن البعث عندهم ، عبارة عن مفارقة النفس لبدنها ، واتصالها بالعالم العقلى ، الذى هو عالم المجردات ، وسعادتها ، وشقاوتها ، إنما تكون بفضائلها النفسانية ورذائلها (٢) ·

يقول ابن سينا في كتابه : الاشارات والتنبيهات ، النمط الثامن :
والعارفون المتنزهون اذا وضع عنهم درن مقارفة البدن ، وانفكوا عن الشواغل ، خلصوا الى عالم القدس والسعادة ، وانشغلوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللذة العليا · وقد عرفتها ·

وأما البله فإنهم إذا تنزهوا خلصوا من البدن الى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعا لتخيلات لهم ، ولا يمنع أن يكون ذلك جسما سماويا ، أو ما يشبهه ، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين) (٣) ·

وأما القول الثانى : وهو ثبوت المعاد الروحانى والجسمانى معاً ، فهو قول منسوب الى الحليمى ، والغزالى ، والراغب ، وأبي زيد الدبوسى ، ومعمر من قدماء المعتزلة ، وجمهور

---

(١) الايجى ، شرح المواقف ج٨ ص ٢٩٧ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ·
(٢) الايجى ، شرح المواقف ج ٨ ص ٢٩٧ ·
(٣) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، النمط الثامن ص ٧٧٤ ـ ٧٧٨ تحقيق د · سليمان دنيا / ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ·

من متأخرى الإمامية ، وكثير من الصوفية ، فإنهم قالوا : إن الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة ، وهى المكلف ، والمطيع والعاصى ، والمثاب ، والمعاقب ، والبدن يجرى منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن ، فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق ، خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ، ويتصرف فيه كما كان في الدنيا · (١) ·

وأما القول الثالث : وهو ثبوت المعاد الجسمانى فقط ، فهذا القول منسوب لأكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة · وهو قول أهل السنة ·

وأما القول الرابع : وهو انكار المعاد الروحانى والجسمانى جميعا ، فهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين ·

والقول الخامس : وهو التوقف في هذه الأقسام كلها ، فهو المنقول عن جالينوس ، فإنه قال : لم يتبين لى أن النفس هل هي المزاج ، فينعدم عند الموت فيستحيل اعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البنية ، فيمكن المعاد حينئذ ·

هذه هي أقوال العلماء المحكية عنهم في حقيقة البعث ، فما مدى موافقتها أو مخالفتها لما جاء به القرآن الكريم في ذلك ؟

نقول ومن الله التوفيق :

إن القول الرابع - وهو انكار البعث مطلقا ، والقول الخامس وهو الشك في وقوعه ، فسنضرب صفحا عن الرد عليهما ومناقشتهما وذلك لأن مسلك القرآن الكريم الذى سبق أن عرضناه ، فيه الكفاية ، لدحض شبه المنكرين لامكان البعث ، والمتشككين في وقوعه ، لأن انكار البعث حلقة متصلة اعتنقها المكذبون لأنبيائهم من كل أمة كما قال تعالى حكاية عنهم ، (بل قالوا مثل ما قال الأولون · قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون · لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (المؤمنون : آية ٨١ - ٨٣) ·

فالشبهة واحدة ورد القرآن على طائفة واحدة ، هو رد على كل طائفة منكرة للبعث ، أو متشككة في وقوعه ، فلو ناقشنا هذين القولين وبينا فسادهما ، ووجه الرد عليهما ، لاعتبر ذلك تكرارا لما سبق · وإنما الذى سنناقشه هنا ، هى الأقوال الثلاثة الأخرى ، القائلة بالبعث ، فهى التى يمكن أن ننظر في مدى موافقتها ، أو مخالفتها لما جاء به القرآن الكريم في موضوع البعث ، وسنبدأ برأى الفلاسفة حسب ترتيبنا لهذه الأقوال ·

---

(١) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩٧ ·

أولا : رأى الفلاسفة :

أما قول الفلاسفة الالهيين ، إن البعث روحانى فقط ، وانكارهم للمعاد الجسمانى فلا شك في مصادمته للنصوص الشرعية الواردة في الكتاب العزيز ، والثابتة في السنة النبوية ، فالمنكرون للبعث الذين رد عليهم القرآن الكريم ، لم ينكروا إلا اعادة هذه الأجسام بعد استحالتها ترابا · وأوردوا شبههم استبعادا لتلك الاعادة ، فرد عليهم القرآن الكريم وبين لهم زيف شبهتهم ، ووضح أن الاعادة ممكنة ·

ثم إن كلامهم هذا يتضمن انكار كل شيء محسوس ، كالجنة والنار ، والصراط والميزان ، وكل الحقائق الأخروية التي أخبر الشارع عنها ، ولذلك كفرهم العلماء ·

وأما قول القائلين : بأن المعاد روحانى وجسمانى فإنه مبنى على القول بأن الروح جوهر مجرد ليس بجسم ، ولا قوة حالة بالجسم ، وإنما تتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف ، وأنها لا تفنى بفناء البدن ، وعليه فالمعاد شيئان ، جسم ـ وروح تعاد اليه ، ولكن هل الجسم المعاد هو عين الأول أو غيره ؟

الكلام الذى نقلناه عن شرح المواقف والذى نسبه إلى الحليمى ، والراغب والغزالى وآخرين يوحى بأن الجسم المعاد غير الأول ، نأخذ ذلك من قوله حكاية عنهم أو نسبة اليهم : (فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق ويتصرف فيه كما كان في الدنيا) ·

وهذا القول ، وإن كانت نسبته لا تصح الى الإمام الغزالى ، كما يأتى توضيح ذلك ، ولا نعلم مدى صحة نسبته إلى الآخرين لعدم المراجع المتوفرة بأيدينا حاليا ، فإنه قول قد قيل ومتداول في كتب العقائد ، ولذلك فإننا سنبحث الموضوع من حيث هو ، لنبين مدى موافقته أو مخالفته لما جاء به القرآن الكريم ، بغض النظر عن نسبته إلى قائله ، فنقول وبالله التوفيق : إن مشكلة البعث التى عالجها القرآن بطرقه المختلفة ، مع المنكرين له المستبعدين لوقوعه ، هى إعادة هذه الأجسام بعينها مرة أخرى بعد أن أصبحت عظاما بالية مفتتة مختلطة اختلاطا كليا بأجزاء الأرض ، كما قال تعالى حكاية عنهم :

(١) أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد · (ق : آية ٣) ·

(٢) وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفى خلق جديد · (السجدة : ١٠) ·

(٣) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد · (سبأ : آية ٧)

فالآيات تحكى أقوالهم الصادرة منهم في انكارهم للبعث ، واعادة الحياة بعد الموت مرة أخرى لهذه الأجسام المتفتتة ، فلم تتسع عقولهم ومداركهم ، لاعادة هذه العظام خلقا جديدا ، بعد أن صارت ترابا ، فمنهم من لم ينكروا على الله عز وجل قدرته على ايجاد خلق جديد وانشاؤه لأنهم يعلمون أنه خالق السموات والأرض ، وخالقهم ، وهم يشاهدون مخلوقاته تحدث باستمرار أمام أعينهم ، قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)· فالخلق والايجاد مستمر ، وإنما أنكروا الاعادة لعظام تفتت ، كما قال تعالى حكاية عنهم : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهى رميم) · وقد أشرنا في سبب نزولها ، أن أبي بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول : يا محمد ، أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار) ·

هذا ما أنكروه على الرسول صلى الله عليه وسلم واستبعدوا وقوعه ، حينما دعاهم الى الايمان بالبعث والجزاء في اليوم الآخر ، ولذلك فقد ردّ الله على شبههم تلك ـ فقال ردا على قولهم من يحيى العظام وهي رميم ؟ (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) ·

وقال تعالى ردا على قولهم : أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد بقوله : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) ·

وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه · بلى قادرين على أن نسوى بنانه) (القيامة : آية ٣ ، ٤) · وقال تعالى في سورة الحج : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير · وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) (الحج : آية ٦ ، ٧) وفي القبور تلك العظام المفتتة ، فهو القادر على اعادتها ·

ومما يؤكد ذلك ويزيده وضوحا ، من أن المعاد هو عين الأول ، لامثله ، قوله تعالى : (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون · حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون · وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون · وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ·)(فصلت : آية ١٩ ـ ٢٢) ·

فهذه الآيات تدل صراحة ، على أن أعضاء الانسان وجوارحه التى كانت في الدنيا هي نفسها التى تبعث فتشهد عليه يوم القيامة بما اقترف من سيئات متسترا عن أعين الناس ، ظنا منه أن الله لا يعلم عمله ذلك ، ولم يدر بخلده أن أعضاءه ستشهد عليه يوم القيامة ، بكل ما اقترف في الحياة الدنيا ، (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) ٠ ومن رحمة الله وعدله أن لا يؤاخذ عباده الا ببينة تشهد عليهم بما عملوا وان كان هو يعلم السر وأخفى ، ولذا فقد جعل مع كل إنسان من يدون عليه حركاته وسكناته ، قال تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (ق : آية ١٨) ٠

وقال الله تعالى : (كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) (الإنفطار : آية ١١ ـ ١٢) ٠ **وشرط الشهادة ، أن يكون الشاهد حاضرا ومطلعا على ما يشهد به ٠** فدل ذلك على أن هذه الأعضاء التى تشهد على الإنسان ، هى الأعضاء الموجودة في الدنيا حين اقترف تلك الجريمة ؛ لا أعضاء جديدة وجدت ، وإلا لقال صاحبها ، لخالقه : إن هذه الأعضاء لم تكن حاضرة معى في الدنيا حتى تشهد على ٠

أما نسبة القول ـ بخلق أجسام جديدة غير التى كانت في الدنيا ـ إلى من أشار إليهم شارح المواقف ، ومنهم الغزالى ، فالذى يبدو إن نسبة هذا القول للغزالى خطأ ، ذلك أن قوله صريح في أن المعاد هو عين الأول لا مثله ، وما نقل عنه من القول باعادة بدن جديد تتعلق به الروح ٠ كما هو مذكور في كتابه : تهافت الفلاسفة ـ فقد صرح في كتابه ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ أن ذلك على سبيل الالزام منه للفلاسفة بما يعتقدون ، لا أنه هو المذهب الحق الذى يعتقده ، ولكون الغزالى متهما في هذه المسألة حتى من اتباعه ، فسننقل عنه ما ذكره في كتابه المشار اليه وان طال لبيان الحقيقة ـ يقول تحت فصل ـ فى بيان قضاء العقل بما جاء الشرع به من الحشر والنشر ٠

(أما الحشر فيعنى به اعادة الخلق ، وقد دلت عليه القواطع الشرعية ، وهو ممكن بدليل الابتداء فإن الاعادة خلق ثان ، ولافرق بينه وبين الابتداء وانما يسمى اعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق والقادر على الانشاء والابتداء قادر على الاعادة ، وهو المعنى بقوله : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قيل فما تقولون ؟ أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعا ، أو تعدم الأعراض دون الجواهر ، وإنما تعاد الأعراض ؟

قلنا كل ذلك ممكن وليس في الشرع دليل قاطع عل تعيين أحد هذه الممكنات ، **وأحد الوجهين** أن تعدم الأعراض ويبقى جسم الإنسان متصورا بصورة التراب مثلا فتكون قد زالت منه الحياة واللون والرطوبة والتركيب والهيئة ٠ وجملة من الأعراض ، ويكون معنى

اعادتها أن تعاد اليها تلك الأعراض بعينها أو تعاد اليها أمثالها . فإن العرض عندنا لا يبقى . والحياة عرض . والموجود عندنا في كل ساعة عرض آخر . والإنسان هو ذلك الإنسان باعتبار جسمه . فإنه واحد . لا باعتبار أعراضه . فإن كل عرض يتجدد هو غير الآخر . فليس من شرط الاعادة فرض اعادة الأعراض . وإنما ذكرنا هذا المصير بعض الأصحاب إلى استحالة اعادة الأعراض . وذلك باطل ؛ ولكن القول في ابطاله يطول ·

والوجه الآخر : أن تعدم الأجسام أيضا . ثم تعاد الأجسام بأن تخترع مرة ثانية . فان قيل فبم يتميز المعاد عن مثل الأول ؟ وما معنى قولكم إن المعاد هو عين الأول . ولم يبق للمعدوم عين حتى تعاد ؟؟

قلنا المعدوم منقسم في علم الله إلى ما سبق له وجود . والى ما لم يسبق له وجود . كما أن العدم في الأزل ينقسم إلى ما سيكون له وجود وإلى ما علم الله تعالى أنه لا يوجد . فهذا الانقسام في علم الله لا سبيل إلى انكاره والعلم شامل والقدرة واسعة . فمعنى الاعادة أن نبدل بالوجود العدم الذى سبق له وجود . ومعنى المثل أن يخترع الوجود لعدم لم يسبق له وجود . فهذا معنى الاعادة . ومهما قدر الجسم باقيا ورد الأمر الى تجديد أعراض تماثل الأول حصل تصديق الشرع ووقع الخلاص عن اشكال الاعادة وتمييز المعاد عن المثل . وقد أطنبنا في هذه المسألة في كتابنا التهافت ومسلكنا في ابطال مذهبهم تقرير بقاء النفس التى هي غير متحيز عندهم . وتقدير عود تدبيرها الى البدن سواء كان ذلك البدن هو عين جسم الانسان أو غيره . وذلك الزام لا يوافق ما نعتقده . فإن ذلك الكتاب مصنف لابطال مذهبهم . لا لإثبات المذهب الحق (١) · وقد أشار إلى هذا المعنى في كتاب الاحياء ج ٤ ص ٢١٣ ·

وأما القول الثالث : وهو أن المعاد الجسمانى . فقط . فهو مبنى على القول بأن الروح جسم لطيف سار في البدن . فالمعاد وهو كل من الروح والبدن جسم . فيكون المعاد جسمانيا فقط . ودليل أن الروح جسم قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم : (إن الروح اذا قبض تبعه البصر) · وفي رواية أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره . قالوا : بلى · قال : فذلك حين يتبع بصره (٢) نفسه) · وقوله تعالى : (فادخلى في عبادى) (الفجر : آية ٢٩) ·

---

(١) محمد أبى حامد الغزالى . كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ص ٩٦ . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠ هـ تصحيح مصطفى القبانى الدمشقى ·

(٢) مسلم . صحيح مسلم . كتاب الجنائز / باب / في اغماض الميت والدعاء له اذ حضر . و / باب / في شخوص بصر الميت يتبع نفسه . رقم الحديثين ٩٢٠ . ٩٢١ . جـ ٢ ص ٦٣٢ . ٦٣٥ . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ·

فدل ذلك على أن الروح جسم يرى بالعين · كما أن الدخول في الأبدان ينافى التجرد ، لأن المجرد يكون داخلا في البدن ـ لا بكونه جزء منه ولاقوة حالة فيه ، وإنما هو عبارة عما ليس بجسم ، ولاقوة حالة بالجسم ، بل المجرد لا مكانى فلا يقبل إشارة حسية) (١) ·

وهذا القول الذى هو اعادة الجسم بعينه ثم حلول الروح فيه هو الذى دل عليه القرآن ، وبين أنه واقع لا محالة ، وذلك لأنه هو الذى استبعد المنكرون للبعث امكانه ·

الناحية الثانية : هل الاعادة عند القائلين باعادة الجسم ، عن عدم محض ، أو عن تفريق ؟

للعلماء فى كيفية الاعادة بعد الموت مذهبان :

المذهب الأول : أن تنعدم أجزاء البدن انعداما كليا ، بحيث لا يبقى لها أثر أصلا ، ثم ان الله تبارك وتعالى يعيد تلك الأجزاء بعينها بعد فنائها ، ويوجدها ايجادا ثانيا ، كما كانت أولا ، ذلك أن الايجاد الثانى للبدن بعد عدمه الطارىء عليه ، كالايجاد الأول ، من حيث إنه ليس ممتنعا لذاته ، ولا لشيء من لوازم ذاته ، قال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) · فالموجود ثانيا ، هو الموجود أولا أعيد بعينه ، على وفق علمه تعالى ، فهو بكل خلق عليم ، وقد استدل القائلون بهذا الرأى بآيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) ·

وقوله تعالى : (كل من عليها فان) ·

على معنى أن الهلاك والفناء ـ اعدام عين الشيء وزواله ، لاتغير صورته التى كان عليها في الدنيا الى صورة أخرى مباينة لتلك الصورة ·

المذهب الثانى : أن الأجزاء التى يتألف منها البدن ، لاتنعدم ، وإنما تتفرق فتكون متصورة بصورة التراب مثلا ، وإنما الذى يزول عنها الحياة ، واللون ، والهيئة والتركيب ·

فإذا جاء يوم المعاد ، جمع الله سبحانه وتعالى بقدرته تلك الأجزاء المتفرقة وألفها ثم أعادها كما كانت في الدنيا ، وذلك أن الأجزاء قابلة للجمع ، والله سبحانه وتعالى عالم بجميع الأجزاء لأى بدن من الأبدان · لعموم علمه واحاطته بكل شيء علما ، قال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) وقال تعالى : (وهو بكل خلق عليم) (٢) ·

---

(١) كمال الدين محمد بن محمد بن أبى شرف القدسى ، شرح المسايره ص ٢٦٣ ·

(٢) الايجى ، شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩٥ · الغزالى ، الاقتصاد في علم الاعتقاد ص ٩٦ ·

وقد استدل القائلون بهذا .. القول من القرآن الكريم بقصة ابراهيم عليه السلام ، في إحياء الطير إذ كان جمعا لأجزائها بعد تفرقها . فإن إبراهيم عليه السلام قطع تلك الطيور أجزاء ، كما أمره الله تبارك وتعالى ، وخلط بعضها مع بعض ، ثم فرقها على رؤوس الجبال المجاورة له ، ثم دعاها ، فاجتمع كل جزء إلى الجزء الآخر وتألفت تلك الأجزاء طيورا ، كما كانت أولا ، ثم جاءته حية تسعى .

موقف القرآن :

إذا نظرنا في كتاب الله الكريم ، نجد آيات كثيرة تدل على القول بتفرق الأبدان ثم اعادتها إلى حالتها التى كانت عليها ، فمن تلك الآيات قصة إبراهيم عليه السلام في إحياء الطير ، السابق ذكرها ونص الآية كما يقول تعالى : (واذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) (البقرة : آية ٢٦٠) فدلت الآية على أن احياء هذه الطير واعادة أجسامها كان بجمع أجزائها المتفرقة ، وضم بعضها الى بعض ، فإن واهب الحياة أمر إبراهيم أن يدعو تلك الطيور ، فاجتمع كل جزء مع الجزء الآخر ، ثم جاءته حية تسعى .

ثانيا : قصة ـ الذى مر على القرية الخاوية على عروشها ، وقد استبعد اعادتها إلى ما كانت عليه بعد مشاهدته لما حل بها ، إذ قال : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) . وقد أراه الله تعالى آياته الدالة على قدرته رؤية عيان ومشاهدة ، فأماته مائة عام ثم بعثه ، وأراه كيف يجمع العظام بعضها إلى بعض وهى أجزاء حماره المتفرقة عنه يمينا وشمالا ، ثم كسوتها لحما بعد اجتماعها ، واعادة الحياة إليها ، يقول تعالى مخبرا عن تلك الواقعة :

(أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) (البقرة : آية ٢٥٩) .

وهناك آيات تحكى عن المنكرين للبعث ، وصفهم للحالة التى يصيرون اليها ، كتمزق أبدانهم قطعا ، وتحلل أجزائها واختلاطها بأجزاء الأرض ، وصيرورتهم عظاما مفتتة ، وأخرى تصف تصورهم بصورة التراب .

ومن تلك الآيات قوله تعالى :

١ ـ (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد) (سبأ : آية ٧) .

٢ ـ (وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفى خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون) (السجدة : آية ١٠) .

٣ ـ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ؛ قال من يحيى العظام وهى رميم) (يس : آية ٧٨) .

٤ ـ (أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (ق : آية ٣) .

فهذه الآيات جميعا تحكى عن الجاحدين استبعادهم لاعادتهم بعد تفرق أبدانهم وتحولها عن هيئتها وتركيبها ، وزوال صورتها الأصلية البشرية الى الحالة التى وصلت اليها إذ أصبحت أجزاء مختلطة بغيرها ، وأبلغ تغير هو تحولها إلى صورة التراب بحيث لا يستطيع الإنسان تمييز أجزائها من أجزائه ، وليس ! في هذا دليل على الاعدام النهائى المطلق ، وإنما هو دليل على التغير الكامل ، لأنهم صاروا ترابا والتراب شيء موجود . وهو أصلهم الذى أنشئوا منه ، ثم أعيدوا إليه ، وأخيرا يخرجون منه تارة أخرى ، يقول تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (طه : آية ٥٥) .

وهناك آيات أخرى هى نص صريح في موضوع الجمع ، من الله تبارك وتعالى ، يقول تعالى في سورة الحج ، بعد ذكره دليل الاعادة :

(ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) .

ومعلوم أن الذى في القبور أجزاء الموتى بعد أن تفتت ، واختلطت بأجزاء الأرض فالله قادر على تمييزها ، ثم تأليفها وإعادتها إلى حالتها الأولى .

وفي سورة القيامة آيتان صريحتان في جمع أجزاء الانسان المتفرقة ، بل إنهما أقوى دليل على ذلك ، وأبلغ دليل في تصوير القدرة الالهية . يقول تعالى : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه) (القيامة آية ٣) .

فقد صرحت الآية بجمع عظام الانسان المتفرقة ، كما نصت على تسمية بنانه ، وقد كشفت العلوم الحديثة عن هذا السر ، اذ تبين أن البشرية بأسرها ، قد ميز الله العليم القادر بين جميع أفرادها ، بميزة لا يمكن أن يشترك فيها اثنان منهم ، حتى الأب مع ابنه ، تلك

الميزة هى اختلاف البنان ، تلك الخطوط الدقيقة في أنامل كل انسان ، فقد ثبت علميا اختلاف بصمات أفراد البشرية في هذا العالم كله ـ أى اختلاف بنانهم ·

واذا كان الأمر كذلك ، وقد أخبر تعالى (أنه قادر على جمع عظام الانسان واعادة بنان كل فرد بهيئته وشكله وصورته ، فكيف يستبعد الجاحد على من هذه قدرته ، اعادته الى الحياة مرة أخرى ·

وبالتالى فالآية نص صريح في جمع الأجزاء المتفرقة حتى أصغر جزء منها ، ودليل على أن بدن الانسان يتفرق ولا ينعدم ·

الراجح من القولين :

وبعد عرض هذه الآيات من القرآن الكريم ، يتبين لنا أن الأولى بالترجيح هو القول بتفرق بدن الإنسان ، لا اعدامه ، ذلك التفرق الذى تذهب معه الصورة الأصلية لأجزاء بدن الإنسان وتتغير تغيرا كليا ، بحيث تصبح متصورة بصورة التراب ، وهذا ليس معناه عدما فان التراب موجود ، وهو أصل مادة الانسان ، فمنه وجد ، واليه يعاد ، ومنه يخرج مرة أخرى ، قال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (طه : الآية ٥٥) الا ما نصت السنة الصحيحة على بقائه بعينه ، وعدم تحوله عن صورته ·

أولا : عجب الذنب : الذى منه يركب خلق الانسان ، فقد ثبت فى الصحيحين بقاؤه بعينه وأن الأرض لا تأكله أبدا · ففى صحيح البخارى · عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين النفختين أربعون · قالوا : أربعون يوما ؟ قال : أبيت · قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت · قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت · ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الانسان شيء الا يبلى ، الا عظماً واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) (١) ·

وفي رواية مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن في الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا · فيه يركب يوم القيامة · قالوا : أى عظم هو ؟ يارسول الله ، قال : « عجب الذنب ») (٢) ·

---

(١) محمد بن اسماعيل البخارى ·

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ، رقم الحديث ٤٩٣٥ ، من فتح البارى جـ ٨ ص ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ومسلم في كتاب الفتن / باب ما بين النفختين ، رقم الحديث ١٤١ جـ ٤ ص ٢٢٧١ ـ ترقيم عبد الباقى ·

ثانيـــا : ـ أجساد الأنبياء فقد حرم الله على الأرض أن تأكلها ٠

فقد روى النسائى وأبو داود من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فان صلاتكم معروضة علىّ ٠ قالوا : يارسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ أى يقولون قد بليت ٠ قال : ان الله عز وجل ٠٠ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) (١) ٠

ويقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة ما ملخصه :

« ما خلقه الله سبحانه وتعالى فقد أوجده لحكمة في ايجاده ، فإذا اقتضت حكمته اعدامه جملة واحدة ، أو تغييره وتحويله من صورة الى صورة بدله وغيره وحوله ، ولم يعدمه جملة ، قال : ومن فهم هذا فهم مسألة المعاد ، وما جاءت به الرسل فيه ، فإن القرآن والسنة ، إنما دلا على تغيير العالم وتحويله وتبديله لاجعله عدما محضا واعدامه بالكلية ، فدل على تبديل الأرض غير الأرض والسموات ، وعلى تشقق السماء وانفطارها وتكوير الشمس ، وانتشار الكواكب ، وسجر البحار ، وإنزال المطر على أجزاء بنى آدم المختلطة بالتراب ، فينبتون كما ينبت النبات ، وترد تلك الأرواح بعينها ، الى تلك الأجساد التى أحيلت ، ثم أنشئت نشأة أخرى ... فهذا هو الذى أخبر به القرآن والسنة ، ولا سبيل لأحد من الملاحدة الفلاسفة وغيرهم إلى الاعتراض على هذا المعاد الذى جاءت به الرسل بحرف واحد ٠

وإنما اعتراضاتهم على المعاد الذى عليه طائفة من المتكلمين أن الرسل جاؤوا به ، وهو أن الله يعدم أجزاء العالم العلوى والسفلى كلها فيجعلها عدما محقا ، ثم يعيد ذلك العدم وجودا ، وياليت شعرى أين في القرآن والسنة أن الله يعدم ذرات العالم وأجزاءه جملة ثم يقلب ذلك العدم وجودا ٠

وهذا هو المعاد الذى أنكره الفلاسفة ، ورمته بأنواع الاعتراضات ، وضروب الالزامات ، واحتاج المتكلمون إلى تعسف الجواب وتقريره بأنواع المكابرات ، وأما المعاد الذى أخبرت به الرسل ، فبرىء من ذلك كله ، مصون عنه لامطمع لعقل في الاعتراض عليه ، لا يقدح فيه شبهة واحدة وقد أخبر سبحانه أنه يحيى العظام بعد ما صارت رميماً ، وأنه قد علم ما تنقص

---

(١) النسائى ، سنن النسائى المجتبى ، كتاب الصلاة / باب فضل يوم الجمعة جـ ٣ ص ٧٥ الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ ٠

قال المناوى في فيض القدير ، قال الحاكم على شرط البخارى : انتهى ، وليس كما قال ، فقد قال الحافظ المنذرى وغيره ليس له علة دقيقة أشار اليها البخارى وغيره وغفل عنها من صححه كالنووى في الرياض والأذكار جـ ٢ ص ٥٣٥ رقم الحديث ٢٤٨٠ ٠

الأرض من لحوم بنى آدم وعظامهم ، فيرد ذلك إليهم عند النشأة الثانية ، وأنه ينشىء تلك الأجساد بعينها بعدما بليت نشأة أخرى ، ويرد اليها تلك الأرواح ... الخ (١) .

واذا كنا رجحنا القول بأن الاعادة عن تفريق ، لاعن عدم محض ، وأن الله عز وجل يفرق أجزاء الأجسام ، ثم يعيدها ، فما هو الجواب على مااستدل به القائلون بانعدام الأبدان ، من قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) (القصص : آية ٨٨) . وقوله تعالى : (كل من عليها فان) (لرحمن : آية ٢٦) .

يرى القائلون بتفرق الأبدان أن الاستدلال بهاتين الآيتين على انعدام الأبدان كلية ضعيف ، ذلك أن التفريق هلاك كالاعدام ، لأن هلاك الشيء هو خروجه عن صفاته التى كان عليها وزوال التأليف والتركيب الذى به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم به منافعها . ومثل الهلاك الفناء عرفا ، فإن البدن اذا تغير بحيث أصبح ترابا ، فقد صار في حكم المعدوم من حيث تغير صورته ، وكل ما يمتاز به من مقوماته ، وقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (كل من عليها فان) ، إنه اخبار من الله تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون ، أجمعون ، وكذلك أهل السماوات الا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فإن الرب تعالى ، هو الحي الذى لا يموت ، قال : وهذه الآية كقوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) (٢) . فعلى هذا التفسير يتضح أن المقصود من الآيتين هو موت الأحياء جميعا وتغير صورهم ، بل وصور الأشياء جميعا ، كما تقدم توضيحه في كلام ابن القيم .

والله أعلم ...

---

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة جـ ٢ ص ٣٥ .

(٢) ابن كثير ، التفسير جـ ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

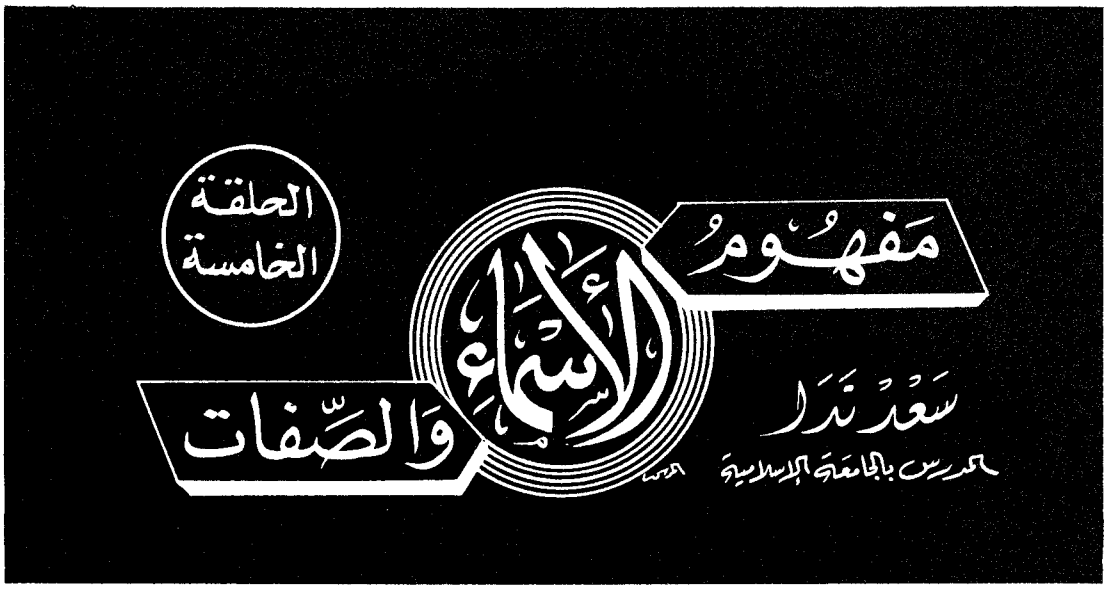

من الأسماء الحسنى التى ذكرتها فى الحلقة الرابعة ـ إضافة لما ذكرت من أسماء ـ اسم (المولى ـ والولى) سبحانه وتعالى ، وبينت بعضا من معانى اسم (المولى) ، وأسلفت أنه ورد فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة ·

ثم بدأت فى بيان بعض معانى اسم (الولى) سبحانه ، وذكرت أنه ورد فى القرآن الكريم ست عشرة مرة ·

ومن ثم يكون عدد أسماء الله الحسنى التى سقتها فى الحلقات الأربع الماضية إحدى وأربعين اسما ، تكرر ذكرها فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم ، فضلا عن السنة المشرفة مرات بلغت (٢٧٨٦) ستا وثمانين وسبع مائة وألفى مرة ، وأعود فأؤكد ما سبق لى تأكيده فى الحلقات السابقة أن تكرار أسماء الله الحسنى فى القرآن الكريم بهذا الحشد الوفير له مفهومه ومغزاه ، وهو أن هذه الأسماء لها من خطورة الأمر ، وأهمية الذكر ، ما يحتم على كل مسلم ضرورة معرفتها ، ليعرف منها صفات الله جل وعلا ، ومن ثم يستطيع أن يعبد إلها يعرفه بأسمائه الحسنى وصفات كماله العليا ، فيستطيع توحيده وتجريد العبادات له جميعا لتتحقق لها شروط القبول لدى الله عز وجل ·

وبالنظر إلى أن اسم (المولى) سبحانه لم يفرغ ما يسر الله لى من بحث فيما يدور حول معانيه ، فإننى أستعين بالله تعالى ـ بحوله وقوته ـ وأشرع فى إتمام ذلك البحث فيما يلى :ـ

وورد اسم المولى كذلك فى قوله تعالى : **(إنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئاً ، وإنّ الظالمين بعضُهم أولياء بعض ، والله ولىّ المتقين)** (الجاثية آية ١٩) ٠

وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : **(ثم جعلناكَ على شريعةٍ من الأمر فاتبعها ، ولا تَتّبعْ أهواءَ الذين لا يعلمون)** (الجاثية آية ١٨) ٠

ومعنى الآيتين فيما يقوله الإمام ابن كثير : اتبع ما أنزل إليك من ربك يا محمد ، وأعرض عن المشركين ، فإنهم لا يغنون عنك بل ولا عن بعضهم شيئاً ، ولا يزيدون أنفسهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً ، والله ولى المتقين ، أما الكفار فلا مولى لهم إلا الطواغيت الذين يخرجونهم من النور إلى الظلمات ٠

ويقول الإمام الشوكانى : الشريعة فى اللغة مذهب ، ومنة ، والمنهاج ، ويقال : لمشرعة الماء وهى مورد شاربيه شريعة ، ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد ٠ فالمراد بالشريعة هنا : هو ما شرعه الله لعباده من الدين ، والجمع شرائع ـ أى جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق ، فاعمل بأحكامها فى أمتك ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه لعباده ، وهم كفار قريش ومن وافقهم ، فهم لا يدفعون عنك شيئا مما أراده الله إن اتبعت أهواءهم ، إذ أن الظالمين أنصار ينصر بعضهم بعضا ، والله ناصر المتقين وهو وليهم ، لأنهم الذين اتقوا الشرك والمعاصى (١) ٠

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدى : المعنى : شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعى ، فاتبعها فإن فى اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح ، ولا تتبع أهواء الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه ، وكل من خالف هواه وإرادته شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه من أهواء الذين لا يعلمون ، فهؤلاء لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم ، ولا يصلح أن توافقهم وتواليهم ، فإنك وإياهم متباينون ، ولذلك كان الظالمون بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته (٢) ٠

ويقول صاحب صفوة التفاسير : فى معنى الآيتين : المعنى جعلناك يا محمد على طريقة واضحة ، ومنهاج سديد رشيد من أمر الدين ، فاتبع ما أوحى إليك ربك من الدين القيِّم ، ولا تتَّبع ضلالات المشركين أى آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش حيث

---

(١) فتح القدير الجزء الخامس ص ٨ ٠ بقليل تصرف ٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن الجزء السابع ص ١٤٤ ٠

قالوا : ارجع إلى دين آبائك . فهم لن يدفعوا عنك شيئا من العذاب إن سايرتهم على ضلالهم . وإن الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة . والله ولى المتقين أى ناصرٌ ومعينٌ المؤمنين المتقين فى الدنيا والآخرة (١) .

وأقـول : إن أعظم شريعة ، وأوسع شريعة ، وأكمل شريعة عالجت كل جوانب الحياة في الدنيا والآخرة ، والتى تولى الله سبحانه وتعالى تشريعها تفضلًا ، ورحمةً ، وهداية لأقوم طريق ، وأنجى سبيل ، خاتمةً للشرائع التى أنزلها الله تعالى . إنما هى شريعة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم كان أمره تعالى إليه بقوله : « فاتَّبِعْها » بمعنى أن يلتزمها ويأخذ بها نفسه ، ثم يدعو إليها الناس جميعا ، ليلتزموها ويأخذ وا بها أنفسهم كذلك منهجا لكل نواحى حياتهم لينالوا فوز الدارين .

ومن ثم يبين لنا أنه لا نجاة للبشرية من حمأة الضلال ، ودركات الفسق ، ووهدة الإلحاد ، إلا باطّراح ما شرع البشر من قوانين صماء عمياء لا تبصر ما يصلح للإنسان ، وما يهيىء له الحياة الطيبة والانطلاق سريعا إلى اتباع الله تعالى الذى يعلم من خلق وما يُصلِحُ حياته ، وهو اللطيف الخبير . ذلك بان الله جل وعلا يتولى أمر المتقين الذين يجعلون بينهم وبين غضب الله وقاية تقيهم عذابه فهو سبحانه وليهم ، وناصرهم بالحق على الباطل وأعوانه ، وأما الظالمون فقد وكلهم سبحانه إلى أنفسهم يتولى بعضهم أمر بعض ، فضاعوا وخسروا فى الدنيا والآخرة .

وإننى حين تدبرت قوله تعالى : (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) بما تحمله من إثبات ونفى : الإثبات بالأمر باتباع ما أوحاه الله سبحانه من شرع ، والنفى بالنهى عن اتباع أهواء الجهال المارقين عن أمر الله ، حين تدبرت ذلك جال بخاطرى قوله تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وما ماثلها من الآيات بما تحمله كذلك من نفى وإثبات : النفى بأن يُكفَر بالطواغيت أيا كان نوعها من البشر وما يشرعون من مناهج هابطة ، ومن الجبابرة منهم والطغاة ، ومن الموتى وما يتوهم المتوهمون من تأثيرهم فى حياة الخلق وتصريفها وتدبير أمرها . والإثبات بأن يُخلَص الإيمان بالله إلها واحدا ، تُجَرَّد له الأعمال وحده جميعا .

فالنفى والإثبات فى معنى (لا إله إلا الله) هوأساس الإيمان : نفى العبودية لغير الله سبحانه عبادة وتشريعا ، وإثبات العبودية له سبحانه عبادة وتشريعا . وذلك على أساس

---

(١) صفوة التفاسير المجلد الثالث ص ١٨٥ .

الاعتقاد الجازم بأن الله هو وحده يتولى شأن كل من وحَّده ، ويُصَرِّف أمره على أحسن وجه ، ولهذا أمره تعالى بتوحيده ونهاه عن الإشراك به لأنه سبيل إحباط كل عمل ، كما أمره باتباع شرعه وحده ، ونهاه عن اتباع أى شرع يصدر عن غير الله الكبير المتعال . لأنه لا حياة طيبة للإنسان ، ولا سعادة له ، ولا فوز فى الدارين إلا باتباع منهج الله الذى ضمَّنهُ شرعه .

قال الله تعالى :

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ
فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ
يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

البقرة ٢٥٦ ، ٢٥٧

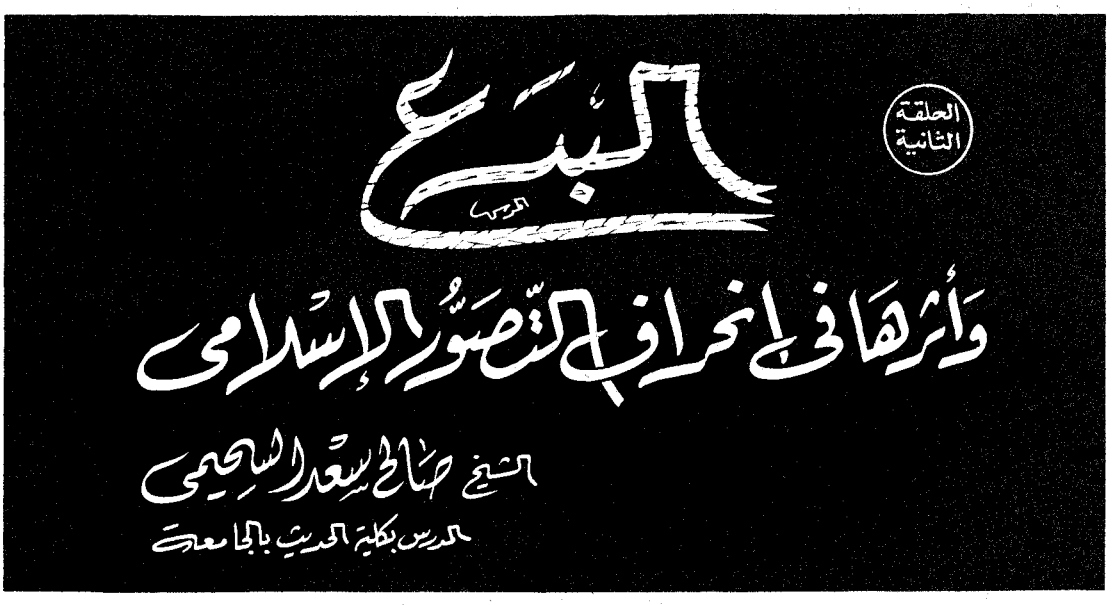

السنة والبدعة :

إذا تبين ذلك فإنه قد يرد سؤال مفاده ما هو الفارق والميزان الذى نميز به بين البدعة والسنة ؟ لأن كل مبتدع يزعم أنه على السنة بل يرى أن بدعته بعينها هى السنة فالجواب أن نقول السنة فى اللغة هى الطريق ولا ريب فى أن أهل النقل والأثر والمتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث - وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

هذا هو مفهوم السنة عند السلف بعبارة مختصرة هى الطريقة التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

هذا هو المعنى الذى يعنينا فى هذا المقام وهناك تعريفات أخرى للسنة عند المحدثين والأصوليين والفقهاء ليس من غرضنا التعرض لها هنا .

وأما تعريف البدعة فانى أنقل باختصار التعريف الذى أورده الإمام العلامة الشاطبى رحمه الله تعالى فى كتابه الاعتصام .

(وأصل مادة « بدع ») للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قول الله تعالى (بديع السموات والأرض) أى مخترعهما من غير سابق متقدم ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق ، ويربط الإمام الشاطبى بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعى فيقول ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخراجها للسلوك عليها هو الإبتداع وهيئتها

هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ـ فمن هذا المعنى سمى العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة ثم يستمر بالتمهيد للتعريف ويذكر أقسام الحكم التكليفى الخمسة حتى يتوصل إلى أن من المنهيات ما يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود ، وتعيين الكيفيات ، والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك ·

وهذا هو الا بتداع والبدعة ، ويسمى فاعله مبتدعا ومما تقدم يستنتج الشاطبى تعريف البدعة فى الدين فيقول (فالبدعة إذا عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه) · ومعنى هذا التعريف وهو جامع مانع كما ترى فالطريقة والسبيل والسنن ألفاظ مترادفة وهو ما رسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين لأن صاحبها يضيفها إليه ، خرج بذلك الطريقة المخترعة فى الدنيا كالصناعات مثلا فإنها لا تسمى بدعة فى الدين بهذا القيد وإن كانت مخترعة ·

ولما كانت الطرائق فى الدين تنقسم إلى قسمين ··· فمنها ما له أصل فى الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها ·

خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع فى الدين ، أى طريقة ا بتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع · وقوله فى التعريف تضاهى الشرعية ـ يعنى أنها تشا به الطريقة الشرعية من غير أن تكون فى الحقيقة كذلك ، بل هى مضادة لها من أوجه متعددة على رأس تلك الأوجه اتهام الشريعة بالنقص وعدم الكمال وهذا معلوم البطلان من الدين بالضرورة كما تقدم · وقوله (يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى) هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها · وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب فى ذلك لأن الله تعالى يقول : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) · فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى ·

فأراد أن يسلكه بأى وجه ولم يتبين له أن الشارع قد وضع لذلك حدودا وضوا بط وقوانين لا يجوز أن يزاد فيها أو ينقص) ·

أمثلة من البدع الشائعة بين المسلمين :

إذا تبين الفرق بين السنة والبدعة من خلال التعريف ، فإنى أورد أمثلة للبدع التى عمت وطمت فى أرجاء العالم الإسلامى حتى أصبحت عند كثير من الناس سنة متبعة فى الوقت الذى تركت السنن وهجرت تعاليم الإسلام وسأذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل

الحصر ، منها : نذر الصيام قائما لا يقعد أو ضاحيا لا يستظل · والانقطاع للعبادة وترك الكسب الحلال واقامة المآتم وقراءة القرآن فيها والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة ·

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر على هيئة الاجتماع بصوت واحد · ومنها التزام عبادات معينة فى أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين فى الشريعة : كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته والاحتفال بيوم الاسراء والمعراج وتخصيصه بعبادة معينة علما بأن تاريخه قد اختلف فى تحديده وحتى لو عرف فإن الله لم يميزه بعبادة مخصوصة وغير ذلك من البدع التى أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين الذين كان لهم قصب السبق فى الذب عن حياض الإسلام والدفاع عن السنة المطهرة ·

أصـــل بدعـــة المـــولد :

ولما كانت البدع كثيرة يجل عنها الحصر فإنى سوف أقصر الكلام بايجاز على بدعة خطيرة ومحدثة عظيمة تمس شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وهى بدعة الاحتفال بعيد مولده صلى الله عليه وسلم ·

وأن المتتبع للتاريخ الإسلامى يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل بل ولا فى القرون المفضلة حتى جاءت الدولة الفاطمية والتى انتسبت إلى فاطمة ظلما وعدوانا بل ان المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودى يقال لهم العبيديون وهم أبناء ميمون بن ديصان المشهور بالقداح قيل انه يهودى وقيل مجوسى وقد استمرت دولتهم فى مصر من (٣٥٧ ـ ٤٦٧ هـ) وقد احتفل الفاطميون بأربعة موالد : مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب ، وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا ·

فهم أول من أحدث ذلك كما ذكر المقريزى وغيره · وظلت هذه البدعة يعمل بها حتى جاء (بدر الجمالى) الوزير الأول للخليفة الفاطمى (المستعلى بالله) وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة ، فأصدر أمرا بالغاء هذه الموالد ، وما أن مات (بدر الجمالى) حتى عادت البدعة من جديد ·

واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء عهد صلاح الدين الأيوبى ، وكان أيضا من المتمسكين بالسنة ، فالغى هذه الاحتفالات ، وتم تنفيذ هذا الالغاء فى كل انحاء الدولة الأيوبية ، ولم يخالف فى ذلك إلا الملك المظفر الذى كان متزوجا من أخت صلاح الدين ·

وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون الاحتفال من الظهر الى الفجر ، وكان ما ينفق فى هذا الاحتفال يزيد عن ثلاثمائة ألف دينار ·

واستمرت بعد ذلك هذه الاحتفالات الى يومنا هذا ، بل توسعوا فيها حتى امتدت إلى الاحتفال بمولد كل عظيم فى نظر العامة وإن كان من الملحدين بحجة أنه من الأولياء ولا يخفى على الجميع مدى المنكرات والموبقات التى ترتكب فى أسواق الموالد ، من شرب للخمور ، ولعب للميسر ، ورقص وغناء ، تؤديه النسوة فى مجامع الرجال وغير ذلك من الكبائر ، حتى أصبحت كلمة المولد يضرب بها المثل فى كل المجالات للفوضى والاستهتار وأعظم من هذا كله اعتقاد هؤلاء الجهال أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر المولد ولهذا يقومون له محيين ومرحبين ، بل يزعم بعضهم أنه يصافحه وهذا من أعظم الباطل بل هو غاية الجهالة والضلالة · فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل باحد من الناس ـ بل هو منعم فى قبره وروحه فى أعلى عليين عند ربه فى دار الكرامة كما قال الله تعالى (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) ·

وقال النبى صلى الله عليه وسلم (أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع) ·

ونحن لا نلوم العامة الذين يفعلون مثل هذه الأمور وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولكن اللوم يوجه إلى العلماء المنتسبين إلى العلم ، أولئك الذين يعرفون طريق الحق ولكنهم يحيدون عنها ، ولا يذكرون أن الأتباع أولى من الابتداع ، ولكنهم يتجاهلون هذا الحق الذى لا يجادل فيه ، فكيف يجهل هؤلاء أن حقيقة الحفاوة بذكرى مولد الرسول عليه السلام ، تتركز فى اتباع ما جاء به ، واحياء سنته ، وأن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمن وليست محدده بشهر ربيع الأول ، بل ينبغى أن نحييها ونحتفى بها فى كل لحظة من لحظات حياتنا وفى كل بقعة حللنا بها وذلك باتباع سنته والسير على نهجها وما أظن أن مسلما يجهل أن الاحتفال بفكرة « المولد النبوى » أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة ، وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذى دس عليهم وليس من دينهم · ونحن قد قلدناهم فى هذا العمل كما قلدناهم فى أمور كثيرة وهذا بلا شك مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن) متفق عليه ·

وقد خشى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك على أمته فقال لا تجعلوا قبرى عيدا . والعيد اسم لكل ما يعود ويتكرر أى لا تخصصوا لقبرى يوما بعينه تعودونه فيه فمن خصص يوما من السنة كالثانى عشر من ربيع الأول وقع تحت هذا التحذير . ونحن بهذا لا ننكر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم إذا فعلت بالطريقة المشروعة وبدون شد رحال أو تخصيص يوم أو شهر معين لأن شد الرحال من أجل العبادة خاص بالمساجد الثلاثة التى جاءت فى الحديث .

(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ـ المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى) والأعياد المعروفة فى الإسلام ثلاثة أعياد فقط ـ عيد الفطر ـ وعيد الأضحى ـ وعيد الاسبوع الذى هو يوم الجمعة . وما عدا ذلك من الأعياد المحدثة ما هو إلا ضرب من البدع الضالة التى قلدنا فيها أعداءنا . ولا شك أن العواطف الكاذبة ودعوى حب الرسول صلى الله عليه وسلم هى التى حدت بنا إلى أن نبتدع ولا نتبع وكيف تجتمع دعوى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مخالفة أمره فى النهى عن الاحداث فى الدين (الضدان لا يجتمعان) على حد قول القائل :

تعصى الاله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمرك في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب يطيع

وقد جعل الله تعالى ميزان محبته ودليلها هو اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم : قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله . فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) . وبمنطوق الآية لا يعتبر محبا لله من خرج على الاتباع ولجأ إلى الابتداع . وما من شك فى أنه يجب على كل مسلم أن يقدم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى على نفسه فقد روى الشيخان عن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين) .

لكن هذه المحبة يجب أن تكون فى الاطار الصحيح الذى جعله الله فيه بعيدا عن الغلو والتفريط فكأن أولئك الغلاة والمفرطين لم يسمعوا حديث عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد . فقولوا عبد الله ورسوله) وأى غلو أعظم من قول القائل :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به سواك عند نزول الحادث العممى
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ترى ماذا ترك لله بعد أن جعل جميع الكون بما فيه علم اللوح والقلم من ايجاد البشر . إن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم غنية عن هذا الاطراء وحسبه فخرا أن الله اختاره ليكون رحمة للعالمين وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه المنزلة وإن كانت أشرف منزلة ينالها مخلوق الا أن ذلك لا يخرجه عن كونه بشرا تجرى عليه السنن الكونية التى تجرى على البشر من الولادة والحياة والموت وغير ذلك من سنن الله فى البشر قال تعالى : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** .

إن هؤلاء الغلاة قد أساءوا كل الاساءة إلى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يلفقونه من الأحاديث الكاذبة والأخبار الزائفة التى تجعله فى مصاف الآله ، مما فتح ثغرة ينفذ منها أعداء الإسلام والمسلمين إلى السخرية من الإسلام والطعن فى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إننا نعتز كل الاعتزاز بشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ونؤمن بأنه سيد ولد آدم ونعتز بتلك المعانى الحية والمبادىء القيمة التى جاء بها من عند الله ، لكن يجب أن لا يحملنا هذا الاعتزاز على الخروج عن حدود المنزلة الصحيحة التى شرفه الله بها . واننا نتساءل ماذا سنقول بعد الثناء العطر الذى أثنى الله به عليه من نحو قوله تعالى **(وانك لعلى خلق عظيم)** وقوله تعالى **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)** وماذا سنقول بعد أن نوه الله باسمه ورسالته خمس مرات كل يوم كل ما رفع الأذان ، وماذا سنقول بعد قول الله تعالى **(ورفعنا لك ذكرك)** وآيات وأحاديث كثيرة تتحدث عن سمو منزلته ، لا يمكن حصرها فى مثل هذه العجالة ، وفى ما أوردناه غنية لمن تدبر وتأمل **(ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** .

ومما ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام ، تلك الشبهة التى يتعلق بها أرباب الموالد ، ولا سيما مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك فهمهم الخاطىء الذى ينطبق عليه قول الشاعر : وآفته من الفهم السقيمى ... وهو ما توهموه من الحديث الذى رواه مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه (ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين ، فقال صلى

الله عليه وسلم هو يوم ولدت فيه ، وفيه أنزل على) فقد تمسك هؤلاء بلفظة (يوم ولدت فيه) ثم عينوا هذا اليوم بالثانى عشر من ربيع الأول ، وذلك تخصيص من عند أنفسهم · وهذا الاستدلال ظاهر البطلان لوجوه كثيره منها :

١ ـ إن المطلوب فى هذا اليوم أعنى يوم الاثنين هو الصوم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما نرى أصحاب تلك الموالد يخصصون ذلك اليوم الذى عينوه للأكل والشرب والطرب فضلا عن ما أحدثوه من أذكار ، وهتافات لا نجد لها برهانا ولا هدى ولا حجة صحيحة ·

٢ ـ إن الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم هو صوم يوم الاثنين من كل اسبوع دائما ، ولم يقيد ذلك بسنة أو بشهر أو أسبوع بعينه ، بينما هؤلاء يخصصون يوما واحدا فى السنة هو التاسع أو الثانى عشر من ربيع الأول على اختلاف بينهم حتى وإن لم يوافق هذا اليوم يوم الاثنين · وبذلك يتضح وجه مخالفتهم أمر النبى صلى الله عليه وسلم ·

٣ ـ إن صيام يوم الاثنين له خصوصية أخرى ، اضافة الى ما ذكر فى هذا الحديث ، وذلك انه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى فندب النبى صلى الله عليه وسلم إلى صومه كى تعرض أعمال العبد على ربه ، وهو صائم ، وذلك أحرى لقبولها ، كما جاء ذلك فى أكثر من حديث عنه صلى الله عليه وسلم ·

فأى الفريقين أولى بالاتباع ، وأقرب إلى الصواب ؟ أهم أولئك الذين يصومون الاثنين من كل أسبوع ، ويعيشون ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل لحظة من لحظات حياتهم بمتابعته والصلاة والسلام عليه كلما ذكر · أم أولئك الذين لا يعرفون ذكراه إلا يوما واحدا فى السنة بلا هدى ، ولا كتاب مبين ·

(فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم صادقين ... ؟) ·

دفـــع تـــوهـــم :

وإذا كان القرآن والسنة النبوية وما جاء عن سلف الأمة على رأسهم الصحابة قد دل على التحذير من البدع وان هذه الأمور التى ذكرناها آنفا بما فيها الاحتفال بالموالد دخيلة على الدين فإن ثمة سؤالا مفاده ما هى الشبه والأدلة التى تشبث بها المبتلون بحب هذه البدع ؟ والجواب على ذلك أن نقول إن هذه الشبه لا تخرج عن أمرين ـ إما نصوص صحيحة يحرفون فيها الكلم عن مواضعه ويصرفونها عن معانيها الحقيقية وإما أحاديث واهية أو موضوعة شحنوا بها كتبهم ونسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا ·

مثال ذلك حديث ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وحديث اختلاف أمتى رحمة وحديث توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم وغير ذلك من الأحاديث الملفقة والتى تصدى لها علماء السنة بالبحث والتنقيب وبينوا عللها وخطورتها وما تنطوى عليه تلك الأحاديث المنكرة من المعانى الخطيرة والدس الرخيص على الإسلام ، واتاحة الفرص لنيل الأعداء من الإسلام ، ولكن الله قيض لهذه الأمة من طهر أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم من الدخيل وذلك بعلم الاسناد الذى لا شك أنه من أعظم ما ميز الله به هذه الأمة · قال عبد الله بن المبارك رحمه الله (لولا الاسناد لقال فى السنة من شاء ما شاء) ·

ولما كانت هذه الأحاديث التى تعلقوا بها كثيرة فإنى لن أتوسع فى سردها وانما أحيل الى كتب السنة وما ألف فى خدمتها ففيها غنية لمن رزقه الله العقل وحسن البصيرة ولكن الذى سنلقى عليه الضوء بشىء من الكشف والبيان هى تلك النصوص التى صرفوها عن ظاهرها زاعمين أنها تؤيد ما أحدثوه من البدع ، منها :

أولا : حديث جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء) · فقد تمسكوا بلفظه (من سن فى الإسلام سنة حسنة وفرعوا على ذلك الفهم أن البدع قسمان بدعة حسنة وبدعة قبيحة ففسروا السنة هنا بالبدعة وكأن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن أى من أحدث وابتدع وهذا مردود · من أربعة وجوه ·

الوجه الأول : سبب ورود الحديث فقد قال جرير رضى الله عنه (كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى فيهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فأذن ، وأقام فصلى ثم خطب فقال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) الى آخر الآية (ان الله كان عليكم رقيبا) والآية التى فى الحشر (اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) · تصدق رجل من دينارە ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة) · قال : فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب · حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه

مذهبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن .... وذكر الحديث) . فقد ظهر أن سبب ورود الحديث هو حاجة هؤلاء القوم لذا أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالصدقة فبادر هذا الصحابى بصدقته وتبعه الناس فى ذلك على أمر أمره به النبى صلى الله عليه وسلم فضلا عما ورد فى القرآن من الحث على الصدقة فهذه القصة نفسها تنقض مفهومهم الخاطىء .

الوجه الثانى : ما تقدم من الفرق بين السنة والبدعة من أن السنة هى الطريق المتبع والبدعة هى الأحداث فى الدين هذا المفهوم هو الذى عليه علماء الأمة خلفا عن سلف ولم ينقل عن أحد منهم أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التى يحدثها الناس من عند أنفسهم ولم ينزل الله بها من سلطان .

الوجه الثالث : فهم السلف قاطبة من قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة أى أحيا سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم حين يميتها الناس ويتبعه الناس فى هذا الاحياء الذى دعاهم اليه يوضح ذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى رواه مسلم فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شىء) فان قوله من دعا الى هدى تفسير لما أجمل فى قوله من سن سنة حسنة وبالمقابل (من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شىء) .

وقد دلت الأحاديث على أن كل بدعة ضلالة بدون استثناء لأى نوع من البدع فمن دعا الى بدعة محدثة فى الدين فقد دعا الى ضلالة سواء سماها بدعة حسنة أو لم يسمها كذلك .

الوجه الرابع : قالوا بأن البدعة قسمان - حسنة وقبيحة - وهو تقسيم من عند أنفسهم وبمحض عقولهم الفاسدة ونحن نوجه اليهم هذا السؤال كيف نعرف أن هذا العمل حسن أو قبيح ؟ وبالطبع سيجيب كل عاقل بأن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ولا يعرف هذا إلا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيقال لهم حينئذ إن الكتاب والسنة قد دلا على ذم البدع كما تقدم فى الأدلة فما وجه تقسيمكم هذا ؟ .

ثانيا : يستدل كثير من أهل البدع بما يروى عن عمر رضى الله عنه من قوله نعمة البدعة هذه ردا على من أنكر عليه أمره الناس بصلاة التراويح جماعة فى المسجد خلف أبى ابن كعب يستدلون بهذه القصة توهما منهم أن ما فعله عمر بدعة وهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن عمر رضى الله عنه لم يفعل بدعة وانما فعل سنة كان النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلها ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة كما بين صلى الله عليه وسلم ذلك ولم ينه الناس عن فعلها مما يؤكد بقاء سنيتها ·

الوجه الثانى : أنه قال هذه الجملة على سبيل المجاز فتسميتها بدعة باعتبار أنها لم تفعل فى عهد أبى بكر رضى الله عنه تجوزا لأن عمر هو الذى بدأ احياء هذه السنة خصوصا وقد زالت علة خشية الفرضية بانتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ·

الوجه الثالث : ربما قال عمر ذلك تهكما بمن قال له إنك فعلت بدعة فلعلم عمر أنها ليست بدعة رد عليه بهذه الجملة على سبيل الانكار ·

هذا وهناك شبه أخرى قد يتعلقون بها ولو تأملناها لوجدناها لا تخرج عن هذا الاطار الذى هو تحميل النصوص ما لا تحتمل من المعانى الفاسدة الباطلة ·

وهناك تقسيمات للبدع ذكرها القرافى وغيره لا نجد لها مستندا أو معيارا صحيحا يمكن أن يؤخذ به ، كتقسيمهم البدع إلى حقيقية واضافية أو حسنة وسيئة أو كلية وجزئية أو بسيطة ومركبة أو فعلية وتركية أو غير ذلك من التقسيمات المصطنعة المتكلفة التى لا تستند إلى دليل ·

وخلاصة القول أن كل ما أحدث فى الدين ولم يقم عليه دليل فى الكتاب ولا فى السنة لا بعمومه ولا بخصوصه فهو بدعة محدثة ·

الحق لا يعرف بكثرة الاتباع :

وانه مما يؤسف له أن نرى تلك البدع والمحدثات قد طغت وانتشرت وتهافت عليها الناس تهافت الفراش على النار فى الوقت الذى ضيعوا فيه الفرائض وأهملوا الواجبات وغرقوا فى المنكرات حتى أصبح الكثير منهم يمثل قول ابن زيدون :

مساوىء لو قسمنا على الغوانى ... لما أمـــــــهرن إلا بالـــــــطلاق

ومن الغريب حقا أن يرمى هؤلاء المبتدعون أهل السنة والمتمسكين بها بالجمود والتزمت وغير ذلك من الألقاب التى يطلقونها زورا وبهتانا ، ولكن هيهات · هيهات أن ينالوا مآربهم فإن نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم قد بشرنا ببشارة عظيمة وهى قوله (لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرة منصورة لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) · لذا

فإنه لا ينبغى لعاقل أن يغتر بما يفعله سواد الناس ودهماء العامة فى سائر الاقطار من البدع والمحدثات فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وانما يعرف بالأدلة الشرعية .. قال تعالى **(وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)** . وقال تعالى **(وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)** وقال تعالى **(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)** . وقال تعالى **(وقليل من عبادى الشكور)** . الى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة فى هذا المعنى .

فالحق أحق بالاتباع ولو خالفه الناس ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها وهو لزوم جماعة المسلمين والتمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة فهما مصدر كل عز وفلاح ونجاح فى الدارين وفقنا الله جميعا للاتباع وجنبنا الزلل والابتداع انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه .

طريق الجنـــــة

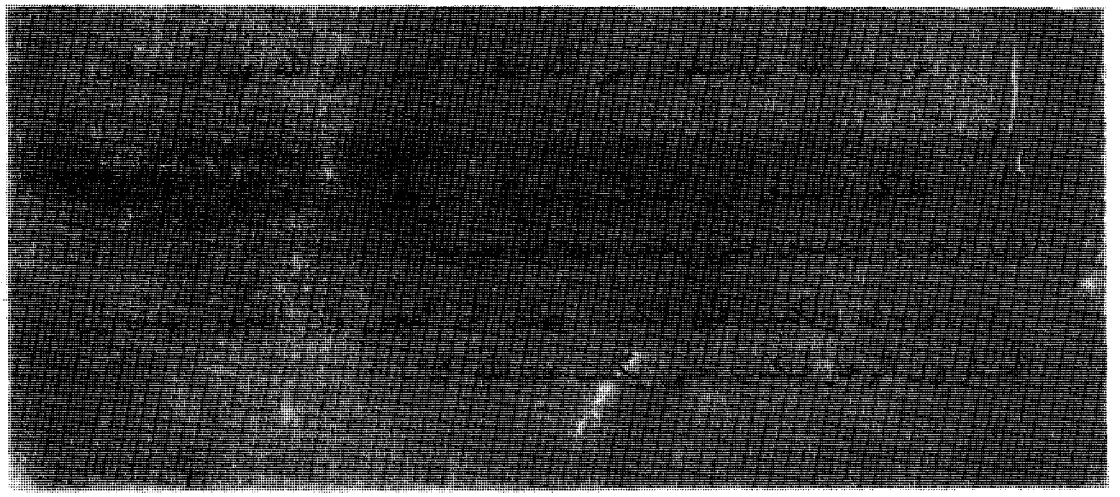

الفقه

و

أصوله

رخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليها من الآثار

العلقة الثانية

للدكتور أحمد طه ريان

الأستاذ المساعد بكلية الحديث

(المطلب الثانى) : في بيان مقدار المسافة في السفر المرخص فيه بالفطر

اختلفت النقول عن السلف رضى الله تعالى عنهم فى تحديد المسافة التى يباح الفطر فيها لمن أراد قطعها أو تجاوزها ، اختلافا كثيراً ، فقد نقل عن دحية ابن خليفة « أنه خرج من قرية بدمشق إلى قرية عقبة من الفسطاط (١) وذلك ثلاثة أميال في رمضان ، ثم أنه أفطر وأفطر معه أناس ، فكره ذلك آخرون ، فلما رجع إلى قريته ، قال : والله قد رأيت أمرا ما كنت أظن أنى أراه ، إن قوما رغبوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ذلك للذين صاموا ، ثم قال عند ذلك : اللهم اقبضنى إليك (٢) .

ونقل ابن حزم بسنده الى اللجلاج قال : كنا نسافر مع عمر بن الخطاب ثلاثة أميال فيتجوز في الصلاة ويفطر ويقصر (٣) . كما نقل بسنده إلى وكيع عن مسعد بن كدام عن محارب بن دثار قال سمعت ابن عمر يقول : إنى لأسافر الساعة من النهار فأقصر (٤) وأيضا بما رواه بسنده إلى سحيم عن ابن عمر : لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة (٥) .

---

(١) قرية عقبة اسم للمكان الذى دفن فيه عقبة بن عامر الجهني الصحابي المعروف والذى كان واليا لمعاوية على مصر . والفسطاط مكان آخر بمصر كان قد نصب عمرو بن العاص عليه خيامه حين فتحه لمصر .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي جـ ٤ ص ٢٤١ دار الفكر ببيروت .

(٣) المحلى جـ ٦ ص ١١ .

(٤) المحلى جـ ٦ ص ٣٦٦ .

(٥) المحلى جـ ٦ ص ٣٦٦ .

كما روى بسنده إلى يزيد بن أبى حبيب ، أن كليب بن ذهيل الحضرمى أخبره أن عبيد بن جبر ، قال كنت مع أبى بصرة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفينة من الفسطاط في رمضان فرفع - وفي رواية : فدفع - ثم قرب غذاءه ، قال اقترب ، فقلت : ألست ترى البيوت ؟ فقال : أترغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأكل ، ثم قال ابن حزم والروايات في هذا كثيرة (١) .

ونقل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قصر الصلاة في سفره إلى ذى الحليفة - وهى على ستة أميال من المدينة - ونسب ذلك إلى اقتدائه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال جبير بن نفير « خرجت مع شرحبيل بن السمط إلى قرية على رأس سبعة عشر أو ثمانية عشر ميلا فصلى ركعتين فقلت له : فقال رأيت عمر صلى بذى الحليفة ركعتين ، فقلت له ، فقال : إنما أفعل كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل » (٢) .

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر قصر الصلاة الى خيبر (٣) ، كما روى مالك عن نافع عن ابن عمر أنه قصر الصلاة الى خيبر ، وقال : هذه ثلاث قواصد يعنى ثلاث ليال (٤) ، وروى نافع عن سالم بن عبد الله أن أباه عبد الله بن عمر : ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة في مسيره ذلك ، قال مالك وبين ذات النصب والمدينة أربعة برد (٥) .

كما روى مالك عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه أنه ركب الى ريم فقصر الصلاة في مسير ذلك ، قال مالك وذلك نحو من أربعة برد (٦) وقررت هذه المسافة في المصنف لعبد الرزاق بمقدار ثلاثين ميلا (٧) ولكن ابن عبد البرقد رجح تقدير مالك بكونها أربعة برد ، يعنى أنها ثمانية وأربعون ميلا (٨) .

وعن مالك بلغه : أن عبد الله بن عباس كان يقول : تقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطائف ، وفي مثل ما بين مكة وجدة ، وفي مثل ما بين مكة وعسفان ، قال مالك : وذلك أربعة برد (٩) .

---

(١) المحلى جـ ٦ ص ٣٦٧ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقى جـ ٣ ص ١٣٦ والموطأ جـ ١ ص ٢٩٨ من شرح الزرقانى عليه .

(٤) المصنف جـ ٢ ص ٥٢٣ . السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٣٦ .

(٥) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٣٦ والموطأ جـ ١ ص ٢٩٨ . من شرح الزرقانى عليه .

(٦) السنن الكبرى جـ ٣ ص ٣٣٦ والموطأ جـ ١ ص ٢٩٨ من شرح الزرقانى عليه .

(٧) المصنف جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٨) شرح الزرقانى على الموطأ جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٩) السنن الكبرى جـ ٢ ص ١٣٧ والموطأ جـ ١ ص ٢٩٩ مطبوع مع شرح الزرقانى عليه .

وقد روى الشافعى عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أنه سئل: أتقصر إلى عرفة ؟ فقال : لا ولكن إلى عسفان وإلى جدة وإلى الطائف ، وزاد في المصنف فإن قدمت على أهل لك أو على ماشية فأتم الصلاة (١) ·

وروى مالك عن نافع أنه كان يسافر مع ابن عمر البريد فلا يقصر الصلاة (٢) وعن عطاء بن أبى رباح أن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما كانا يصليان ركعتين ركعتين ويفطران في أربعة برد فما فوق ذلك (٣) ·

تعليقات هامة حول هذه النقول عن السلف رضى الله عنهم :

(أ) يتبين من هذه النقول لأول وهلة أن مسألة تحديد المسافة ، التى هى مناط الرخصة في القصر والفطر ، ليست سهلة كما يظن بعض أهل العلم من المعاصرين ، بل هي مسألة قد تباينت فيها آراء السلف تباينا كبيرا ، فقد تراوحت تقديراتهم من ثلاثة أميال الى مسيرة ثلاثة أيام كما أوضحتها هذه النقول : ـ

(ب) إن تحديد هذه المسافة هى مناط الرخصة في القصر والفطر فما يصلح دليلا لقصر الصلاة يصير تلقائيا دليلا على تحقق رخصة الفطر في السفر ، فقد قال عطاء : تفطر إذا قصرت وتصوم إذا أوفيت الصلاة (٤) ·

كما صرح بذلك كثير من أهل العلم (٥) ·

(جـ) كثرة هذه الآراء في تحديد مسافة الفطر في السفر تشير بوضوح إلى أنه لم يرد دليل صريح من السنة يحدد هذه المسافة التى تناط فيها الرخصة ، وكل ما ورد في ذلك ، أمران :

أولهما : ما ورد في غزوة الفتح من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كُراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك ، إن بعض الناس قد صام ، فقال أولئك العصاة أولئك العصاة (٦) ·

---

(١) المصنف جـ ٢ ص ٥٢٤ والسنن الكبرى جـ ٣ ص ١٣٧ ·

(٢) الموطأ جـ ١ ص٢٩٩ من شرح الزرقانى عليه · والمصنف جـ٢ ص٥٢٣ . السنن الكبرى جـ ٣ ص١٣٧ ·

(٣) السنن الكبرى جـ ٣ ص١٣٧ ·

(٤) المصنف جـ ٤ ص٢٧٠ ·

(٥) المجموع جـ ٦ ص٢١٧ ونيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٣ والمحلى جـ٦ ص٣٦٥ ·

(٦) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤١ · والكراع بضم الكاف وفتح العين ، واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف اليه هذا الكراع وهو جبل أسود متصل به والكراع كل أنف سال من جبل أوحرة · شرح عمدة القارىء جـ١١ ص٤٦ دار الفكر ·

قال القاضى عياض : اختلفت الروايات في الموضع الذى أفطر صلى الله عليه وسلم فيه ، والكل في قضية واحدة ، وكلها متقاربة والجميع من عمل عسفان (١) يشير القاضى عياض إلى رواية ابن عباس السابقة والتى تفيد أنه أفطر بالكديد . وهذه الرواية التى تنص على أنه أفطر بكراع الغميم وغير ذلك من الروايات ، إلا أن هذه الاختلافات لا تأثير لها على الحكم لأن هذه المواضع كلها كما قال القاضى عياض : من عمل عسفان ، وعسفان على سبعة مراحل من المدينة المنورة ، وقد ظل صلى الله عليه وسلم صائما منذ خروجه من المدينة حتى أفطر قرب عسفان ، ولا يمكن أن تعتبر هذه المسافة هى مناط الرخصة لعدم وجود ما يدل على نفي الفطر فيما دونها ، ولما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل بالرخصة في الصلاة عند وصوله إلى ذى الحليفة خارجا من المدينة ، ومقدار المسافة التى تناط بها الرخصة في الصلاة والصوم واحدة .

الأمر الثانى : ما ورد من حديث أنس رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ (شعبة الشاك) صلى ركعتين » (٢) .

وقد فهم منه أكثر العلماء : على أن هذه المسافة هى ابتداء العمل بالرخصة يعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من المدينة إلى سفر بعيد كان يبدأ القصر للصلاة بعد مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ من المدينة (٣) وسيأتى لهذا الحديث مزيد بيان أثناء الكلام على رأى الظاهرية في تحديد مسافة القصر . إن شاء الله .

(د) بناء على ما سبق يمكن القول : أن الاجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم كان له مجال في تحديد هذه المسافة التى تناط بها الرخصة ، فمنهم من اعتمد على عموم لفظ السفر في الآية فأجاز الأخذ بالرخصة مطلقا ، ومنهم من أخذ ببيان المراد من السفر من وقائع أخرى : مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم » (٤) فاعتبر مسيرة اليوم والليلة ، هى التى يطلق عليها اسم السفر التى تناط به الرخصة . وهكذا .

(هـ) اختلاف السلف على هذا النحو المتقدم انعكس أثره على مواقف أهل العلم من الأئمة المجتهدين فيما بعد ، والذى سنبينه فيما يلى : ـ

---

(١) شرح عمدة القارىء جـ١١ ص٤٦ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص١٤٥ .

(٣) نيل الأوطار جـ٣ ص٢٣٤ .

(٤) صحيح مسلم جـ٤ ص ١٠٣ ـ صحيح البخارى جـ١٣ ص١٢٨ ص ١٢٩ مع شرحه عمدة القارىء .

مواقف أهل العلم من تحديد المسافة التى تناط بها الرخصة وأدلتهم :

الأول : موقف ابن حزم الظـــــاهرى :

يرى ابن حزم : أن من سافر ميلا أو تجاوزه أو قاربه ، فإنه يجب عليه الفطر ، وقد بطل صومه بمجرد بلوغه نهاية الميل (١) ٠

وقد استند الى اطلاق لفظ السفر في الآية ... (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) ، وعدم وجود ما يدل على تحديد للمعنى المراد من لفظ السفر الوارد في السنة المطهرة ، وكل ما يستفاد من حديث ابن عباس وحديث جابر في غزوة الفتح ـ وقد سبقت الاشارة اليهما قريبا ـ وحديث أنس المتقدم : هو جواز القصر في هذه المسافات ٠ وليس في هذه الأحاديث ولا في غيرها ما يفيد المنع من الفطر أو القصر في أقل من هذه المسافات ، وقد جاءت في التحديد روايات مختلفة عن الصحابة رضى الله عنهم ليس بعضها أولى من بعض (٢) ٠

ويناقش مستند ابن حزم هذا ، بأن لفظ السفر وان جاء مطلقا في الكتاب الكريم ، وفي السنة المطهرة ، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوضح المراد منه ، في منعه المرأة من السفر بدون زوج أو محرم ثلاثة أيام حسب ما جاء في روايات أبى هريرة السابق ، فعلم من ذلك أن أدنى المسافة التى يطلق عليها لفظ السفر ؟ هى مسيرة هذه المدة من الزمن ٠ وقد فهم كثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم هذا المعنى ، فقد روى عبد الرزاق عن اسرائيل عن ابراهيم بن عبد الأعلى ، قال : سمعت سويد بن غفلة يقول : إذا سافرتَ ثلاثا فاقصر الصلاة (٣) ٠

كما روى عن معمر عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : كنت مع حذيفة بالمدائن فاستأذنت أن آتى أهلى بالكوفة فأذن ٠٠ وشرط على ألا أفطر ، ولا أصلى ركعتين حتى أرجع اليه (٤) ٠

وعن مجاهد أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اذا سافرتَ يوما الى العشاء فأتم الصلاة ٠ فان زدت فأقصر (٥) ٠

---

(١) المحلى جـ ٦ ص٣٦٤ ٠

(٢) المحلى جـ٦ ص٣٦٥ ٠

(٣) المصنف جـ٢ ص٥٢٦ ٠

(٤) المصنف جـ٢ ص٥٢٧ ٠

(٥) المصنف جـ٢ ص٥٢٥ ٠

وما يضعف قول ابن حزم رحمه الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى قباء وإلى أحد وإلى بنى سلمة وإلى غير ذلك من المواضع حول المدينة ، وكل هذه الأماكن على مسافة تزيد كثيرا عن الميل ، ولم يثبت عنه أنه قصر الصلاة أو أفطر في رمضان حينما كان يخرج الى أى من هذه الأماكن .

كما أن الصحابة رضى الله عنهم كانت لهم مزارع في الجرف والعقيق والغابة وغيرها ، بل كان بعضهم يسكن الجرف والعوالى بل وذا الحليفة ولم يصل إلى علمى أن أحدا منهم قصر الصلاة أو أفطر حينما كان يأتى الى المدينة .

الثانى : موقف الظـــاهرية : يرى الظاهرية ـ ما عدا ابن حزم ـ أن المسافة التى تتحقق بها الرخصة في الفطر والقصر ، مقدارها ثلاثة أميال (١) .

وقد استدل لهم بحديث أنس رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » شعبة الشاك (٢) .

ومما رواه عبد الرزاق بسنده إلى أبى سعيد رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سار فرسخا نزل يقصر الصلاة » (٣) .

ولعل حديث أبى سعيد قد بين المراد من أحد التقديرين اللذين تردد بينهما شعبة ورجح بأن المسافة التى كان يحدث فيها القصر ، هى ثلاثة أميال ، لأن الفرسخ الوارد في حديث أبى سعيد ، مقداره ثلاثة أميال .

وهذا المستند وان كان قويا ، لأنه نص صحيح صريح في الموضوع إلا أن المناقشة التى أشرنا إليها من قبل ـ والتى تتلخص في أن هذا المقدار كان بداية العمل بالرخصة . أى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا بدأ سفرا بعيدا ابتدأ القصر بعد مسيرة ثلاثة أميال ـ تقلل من شأن الاستدلال به وتجعل الاعتماد عليه في القول بهذا التقدير ، محل نظر .

وقد استبعد الحافظ ابن حجر هذا الاحتمال الوارد في المناقشة السابقة . وقوى هذا البعد ، بما جاء عند البيهقى ، عن يحيى بن يزيد الهنائى : قال سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة وكنت أخرج الى الكوفة ـ يعنى من البصرة ـ فأصلى ركعتين حتى أرجع ، فقال أنس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج ... الحديث (٤) .

---

(١) نيل الاوطار جـ٣ ص٢٣٤ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص١٤٥ .

(٣) المصنف جـ٢ ص٥٢٩ .

(٤) السنن الكبرى جـ٣ ص١٤٦ .

يشير الحافظ بذكر هذا السياق : إلى أن أنس كان يقصد أن القصر كان يحدث ولو كان السفر قصيرا كثلاثة أميال ·

لكن مع ذلك : فالاحتمال ما زال واردا ، اذ يحتمل أن أنسا يريد من الرجل ألا يبدأ القصر إلا بعد ثلاثة أميال من المكان الذى خرج منه · ولم يرد بيان مقدار مسافة القصر ·

ومما يقوى هذا الاحتمال ـ في نظرى على الأقل ـ ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعا وصليت معه العصر بذى الحليفة ركعتين وكان خرج مسافرا » (١) ·

وعند البخارى بلفظ « صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعا وبذى الحليفة ركعتين ثم بات حتى أصبح بذى الحليفة فلما ركب راحلته واستوت به أهل » (٢) · أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبدأ القصر عملا بالرخصة حينما كان يصل إلى ذى الحليفة وهو في طريقه إلى مكة · ومعلوم أن ذا الحليفة على بعد فرسخين أو ثلاثة من المدينة ·

وما رواه عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرنى ابن المنكدر عن أنس بن مالك « أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعا وصليت معه بذى الحليفة العصر ركعتين والنبى صلى الله عليه وسلم يريد مكة » (٣) ·

لذلك أرى ـ والله أعلم ـ أن مقدار الثلاثة أميال أو الثلاثة فراسخ الواردة في حديث أنس هى بداية القصر وليست هى مقدار المسافة التى تناط بها الرخصة ، وأن حديث أنس المشتمل على بيان هذا المقدار ، وإن ورد مطلقا عند مسلم ، لكنه جاء مقيدا عند البخارى وغيره ، بأن ذلك كان بداية القصر أو بداية العمل بالرخصة ·

الثالث : موقف الأوزاعى ومالك : نقل عن الأوزاعى ومالك ، أن حد المسافة التى يباح فيها الفطر وتقصر فيها الصلاة ، تقدر بمسيرة يوم وليلة ، وهو اختيار البخارى ، حيث ذكر بعد ترجمته للباب بقوله : باب : في كم يقصر الصلاة ـ وسمى النبى صلى الله عليه وسلم السفر يوما وليلة (٤) ·

ومستند هذا الرأى هو حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها

---

(١) المصنف جـ٢ ص٥٢٩ ·

(٢) صحيح البخارى جـ٩ ص١٠ مع شرحه عمدة القارىء ·

(٣) المصنف ج ٧ ص ١٢٤ دار الفكر ·

(٤) صحيح البخارى جـ٧ ص١٢٤ دار الفكر ·

حرمة) (١) حيث أطلق صلى الله عليه وسلم السفر على مسيرة يوم وليلة وبمعنى أوضح : أن لفظ السفر وإن جاء مجملا في الآية وبعض الأحاديث النبوية ، إلا أن هذا الحديث وما ورد فى معناه يعتبر مفسرا له .

ولم ينقل عن الأوزاعى تحديداً لمسيرة اليوم والليلة ، بالأميال أو بالفراسخ ، كما أنه لم يوضح فيه كيفية السير ، هل هى بالإبل المثقلة ، أو بالأقدام أو بغير ذلك .

وقد قدر مالك مسيرة اليوم والليلة أو اليوم التام كما يسميه : بأربعة برد ، وقد قيد بعض علماء المالكية كابن المواز وغيره هذا التقدير ، بأن مسيرة اليوم التام : إنما تقدر بأربعة برد ، إذا كان ذلك في وقت الصيف وكان السير جادا (٢) .

وقد نقل عن مالك بعد ذلك ، أنه ترك التحديد بمسيرة اليوم التام وتمسك بتحديد المسافة بأربعة برد ، فقد سئل عن الرجل يخرج إلى ضيعته على ليلتين أيقصر الصلاة ؟ قال : نعم ، وأبين من ذلك ، البرد والفراسخ والأميال ، على كم ضيعته منه من ميل أو فرسخ ؟ فقال على خمسة عشر فرسخا وذلك خمسة وأربعون ميلا ، فقال : نعم أرى أن تقصر الصلاة إلى مسيرة ذلك (٣) .

والحقيقة أن مالكاً قد أخذ هذا التقدير مما نقل عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، فقد قال البخارى في صحيحه ـ تعليقا بصيغة الجزم ـ (وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم يقصران ويفطران في أربعة برد وهى ستة عشر فرسخا) (٤) وقد أخرج البيهقى هذا الأثر موصولا عن عطاء بن أبى رباح أن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم كانا يصليان ركعتين ركعتين ويفطران في أربعة برد فما فوق ذلك (٥) .

ويناقش مستند هذا الفريق بما يلى :

أولا : أن الاستدلال بحديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم في هذا الموضع لا يتم ، لأن هذا الحديث وارد في حق المرأة اذا عزمت على السفر مسيرة يوم وليلة ، فإنه لا يحق لها الشروع في ذلك إلا إذا صحبها زوجها أو محرم ، بينما المستدل عليه هو تحديد مسافة السفر الذى شرع فيه القصر أو الفطر ، وشتان بين الأمرين ، فخروج المرأة منفردة في

---

(١) صحيح البخارى باب في كم يقصر الصلاة جـ٧ ص١٢٩ مع شرحه عمدة القارىء .

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ جـ١ ص٢٩٩ .

(٣) حاشية الرهونى على الزرقانى جـ٢ ص١٣٢ .

(٤) صحيح البخارى باب في كم يقصر الصلاة انظره مع شرحه عمدة القارىء جـ٧ ص١٢٥ .

(٥) السنن الكبرى جـ٣ ص١٣٧ .

مثل هذه المسافة يترتب عليه مفاسد كثيرة نظرا لأنها ستمر بطرق منقطعة ، كما أنها ستضطر للمبيت في بعض الطريق ، وفي هذا ما فيه ·

أما المسافر فقد شرع له الفطر والقصر دفعا للمشقة الحاصلة من السفر والمشقة قد تحصل بدون ذلك ·

ثانيـــــا : أن الحديث قد ورد بيوم وليلة ويومين وثلاثة أيام ، فاختيار رواية اليوم والليلة دون اليومين أو الثلاثة تحكم ·

ثالثـــــا : تقدير مسيرة اليوم التام ـ أو اليوم والليلة ـ بأربعة برد أيضا فيه تحكم ، لاختلاف الناس والدواب من حيث الجد في السير وعدمه والقدرة على تحمل سير المسافات الطويلة ودون ذلك ، فقد تقطع هذه المسافة في أقل من يوم بالدواب السريعة النشيطة ومن باب أولى إذا كان السفر بالسيارة أو الطائرة ، وقد يبطىء في السير فيقطع هذه المسافة في أكثر من هذه المدة ·

ويجاب عن هذه المناقشات بما يلى :

بالنسبة للمناقشة الأولى ، بأن الاستدلال بحديث ابن عمر وأبى هريرة ـ الوارد في حق منع المرأة من السفر يوما وليلة إلا إذا كان معها محرم ـ هو استدلال تام وفي موضعه ، لأن القصد من الإتيان به ، ليس هو قياس السفر الذى تناط به الرخصة على سفر المرأة ، حتى يقال بوجود الفارق بين الأمرين ، بل المراد منه هو تفسير لفظ السفر ، بأنه ما كان مسيرة يوم وليلة ، أى أن لفظ السفر الوارد في الآية كان محتملا لسير المسافات البعيدة القريبة دون تحديد فجاء هذا الحديث وأطلق لفظ السفر على ما كان مسيرة يوم وليلة · أي أن المسافة اذا كانت تقطع في أقل من هذا الزمن عادة بالدابة المتوسطة ، فلا يطلق على من قطعها أنه سافر سفرا تتحقق فيه رخصة الفطر أو القصر ·

وبالنسبة للمناقشة الثانية ، فان اختيار رواية يوم وليلة دون بقية الروايات الأخرى الواردة في حق سفر المرأة ليس فيه تحكم ، لأن ما ورد في هذه الرواية هو أقل ما يطلق عليه لفظ السفر الذى تناط به الرخصة لأن هذا الحديث يعتبر مبينا للمعنى المراد من السفر ومحددا له ، والحدود يؤخذ فيها بأقل ما قيل فيها ، كما يقال إن أقل الجمع ثلاثة ، وفي لسان الشرع ، الجماعة اثنان فما فوقهما وهكذا ·

وبالنسبة للمناقشة الثالثة ، فإن اختيار مقدار الأربعة برد لتقاس بها مسيرة اليوم والليلة ، انما روعي فيه العادة بالنسبة للدابة الوسط وقد كانت ركوبة أكثر الناس · فالقياس عليها أولى من القياس على الدابة السريعة أو البطيئة · والله أعلم ·

الرابع : ما نقل عن الشافعى ومالك وأصحابهما وأحمد واسحاق والليث كما نقل عن الأوزاعى وفقهاء أصحاب الحديث وغيرهم ، من أن الرخصة في الفطر أو القصر لا تتحقق الا في مسيرة مرحلتين قاصدتين (١) وحددت مسافتهما بثمانية وأربعين ميلاً هاشمية (٢) ·

وقد حمل بعض العلماء ما نقل عن مالك هنا بأنه قول آخر له ، إلا أن بعض علماء المالكية قد جمع بين قوليه ، بأن مسيرة اليوم والليلة إذا كانت الدابة سريعة مع الجد في السير وكان الوقت صيفا ، وأما مسيرة اليومين والليلتين ، فهو إذا ما كانت ثقيلة بطيئة ولم يكن هناك جد في السير ، ويؤيد هذا الجمع بأن مالكا لم يختلف تقديره للمسافة في القولين ، اذ حددها في كليهما بثمانية وأربعين ميلا (٣) ·

وقد استدل لهذا الرأى بحديث أبى سعيد : (لا تسافر المرأة يومين من الدهر الا ومعها ذو محرم منها أو زوجها) (٤) ، وقد قدرت مسيرة هذا الزمن بثمانية وأربعين ميلا ·

وبذلك يلتقى هذا الرأي مع الرأى السابق في تقدير المسافة التى يباح الفطر فيها للمسافر إذا عزم على بلوغ نهايتها أو تجاوزها بالرغم من الاختلاف في مقدار الزمن إلا أنه يمكن الجمع بين اختلاف المقدار في الزمن بين هذا الرأى والرأى السابق بما جمع به بعض علماء المالكية بين قولى مالك في المسألة · وقد أشرنا إلى ذلك قريبا ·

ويناقش مستند هذا الفريق بعدد من المناقشات ، من أهمها ما يلى :

أولا : أن الاستدلال بحديث أبى سعيد هنا لا يتم ، لما قلناه سابقا ، من أنه وارد في منع المرأة من السفر بدون محرم لها أو زوج مدة يومين · بينما المستدل عليه هو السفر المبيح للفطر ، وهناك فارق كبير بين الأمرين ، فخروج المرأة منفردة في مثل هذه المسافة يترتب عليه مفاسد كثيرة ··· أما المسافر فقد شرع له الفطر والقصر دفعا للمشقة الحاصلة من السفر ، والمشقة قد تحصل بدون ذلك ·

ثانيـــا : أن الأحاديث الواردة في منع المرأة من السفر وردت باليوم ، واليومين ، والثلاثة ، فاختيار حديث اليومين · دون غيره تحكم ·

---

(١) هكذا نص عليه الشافعى · وهو النص المتفق عليه بين أصحابه . من بين نصوصه الأخرى في الموضوع اذ حدد بستة وأربعين . وحدده بأكثر من الأربعين . وبأربعين وبيومين وليلتين وبيوم وليلة . وبعض أصحابه حاول أن يجمع بينها وقال إنها كلها ترجع الى معنى واحد وهو ثمانية وأربعون ميلا · المجموع جـ٤ ص١٩٠ ·

(٢) الهاشمية نسبة الى بنى هاشم وذلك احترازاً عن الأميال الأموية فإنها تقدر المسافة بأربعين ميلا لأن الأميال الأموية أكبر من الهاشمية إذ كل ستة أميال هاشمية تقدر بخمسة أميال أموية · المجموع جـ٤ ص١٩٠ ·

(٣) الزرقانى على الموطأ جـ١ ص٢٩٨ . ٢٩٩ . والمجموع جـ٤ ص ١٨٩ . ١٩٠ . والمغنى جـ٢ ص١٨٩ . وحاشية الرهونى جـ٢ ص١٣٢ ·

(٤) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٠٢ ·

ثالثـــا : تقدير مسيرة اليومين بأربعة برد يتساوى مع تقدير مسيرة اليوم والليلة ، بهذا المقدار ، مع أن ما يقطعه المسافر في اليومين والليلتين ، ضعف ما يقطعه في اليوم والليلة ...

ويجاب عن هذه المناقشات بما يلى : -

بالنسبة للمناقشة الأولى : -

فيجاب عنها بما أجيب به سابقا ، وهو أننا لا نستدل بالحديث لأجل قياس السفر الذى تتعلق به الرخصة على سفر المرأة ، بل إنما يستدل به من حيث اطلاق لفظ السفر على مسيرة اليومين . أى أن الاستدلال بهذا الحديث في هذا الموضع هو من قبيل التفسير والبيان لتحديد المراد من لفظ السفر الوارد في الآية ..

ويجاب عن المناقشة الثانيـــة :

بأن اختيار حديث اليومين ليس من قبيل التحكم ، لأنه أوسط الأزمان الثلاثة الواردة في الموضوع . وأعدل الأمور هو أوسطها ..

أما المناقشة الثالثـة :

فيجاب عنها بما أشرنا اليه سابقا ، من أن ما يقطع من المسافة في مسيرة اليومين بالدابة البطيئة ، مع عدم الجد في السفر وكون الوقت شتاء فإنه يتساوى مع ما يقطع منها في اليوم والليلة ، إذا كانت خفيفة سريعة مع الجد في السير وكان الوقت صيفا ..

الخامس : موقف أبى حنيفة ومن معه : يرى أبو حنيفة والثورى والشعبى والنخعى والحسن بن صالح : أن المسافر إذا عزم على السفر وكان سفره مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ، سيرا وسطا على الدواب المحملة أو بالأقدام ، فإنه يرخص له في الفطر .

ويرى أبو يوسف تقدير المدة ، بيومين وأكثر اليوم الثالث .

والتقدير بالزمن هو الصحيح عند علماء الحنفية ، ومقابله : التقدير بالفراسخ ، فقيل بأحد عشر فرسخا ، وقيل بثمانية عشر وقيل بخمسة عشر ، وكل من قدر بقدر منها اعتقد أنه مسيرة ثلاثة أيام ..

وإنما صح عندهم التقدير بالزمن فقط دون التقدير بالأميال أو الفراسخ لأنه لو كان الطريق وعرا ، بحيث لو قطع في ثلاثة أيام أقل من خمسة عشر فرسخا فإنه يقصر بالنص ، وإذا جرى على هذه التقديرات فإنه لا يقصر ، فيكون معارضا للنص ، وعلى ذلك فلا يعتبر إلا التقدير بسير الثلاثة أيام .

وقد ورد عليهم اعتراض ، وهو ما الحكم إذا كانت الدابة سريعة كدواب البريد وقطعت المسافة ـ المقدر سيرها بثلاثة أيام ـ في يوم واحد ، فأجاب البعض بجواز القصر والفطر لأنه يصدق عليه أنه قطع المسافة المقدرة بثلاثة أيام .

ومنع آخرون فطره وقصره ، لانتفاء علة المشقة المنوط بها علة القصر والفطر في السفر (١) .

ولا أدري بماذا يجيب الحنفية على من يقطع هذه المسافة الآن في ساعة أو بعضها بسبب السرعة التى دخلت على ميدان المواصلات .

وقد استدل الحنيفة على التحديد بثلاثة أيام بالتوقيت الوارد في المسح على الخفين : فقد روى عن شريح بن هانىء ، قال : أتيتُ عائشة أسألها عن المسح على الخفين فقالت عليك بابن أبى طالب فسله فإنه كان على يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه ، فقال : « جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم » (٢) .

فتحديد الرسول عليه الصلاة والسلام لرخصة المسح في السفر بثلاثة أيام يلزم منه ، أن تكون هذه المدة هى المعيار الشرعى في السفر لكل رخصة سواء كانت للمسح أو للقصر أو للفطر أو لغير ذلك ، والجامع في ذلك مشقة السفر في كل .

المناقشات الواردة على هذا الاستدلال ؟

أولا : يناقش هذا الاستدلال ، بأنه من باب القياس ، والقياس لا يلجأ إليه إلا عند عدم النص ، والنص موجود وهو حديث أنس السابق : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ ..... الخ فانه بالرغم من الاحتمال الوارد عليه ، لكنه لا يزال هو النص الوحيد الوارد في الموضع .

ثانيـــا : بأن تمسك المذهب الحنفى بالتحديد الزمنى دون وضع معيار ثابت بالمقادير المساحية ، كالأميال وغيرها ، يقلل الفائدة من العمل بهذه الرخصة وخصوصا بعد أن تطورت وسائل المواصلات في العصر الحديث تطورا يكاد يكون مذهلا ، إذ ما كان يقطع في ثلاثة أيام فيما مضى صار الآن يقطع بالسيارات العادية في أقل من ساعة ، فمعنى ذلك أن المسلم لا يتاح له العمل بالرخصة الآن إلا اذا سافر عدة آلاف من الأميال ، كما أنه لن يستفيد من الرخصة اذا ما سافر بالطائرات .

---

(١) نيل الأوطار جـ٣ ص٢٣٤ ، المجموع جـ٤ ص١٩١ ، فتح القدير للكمال جـ٢ ص٣٠ ، ٣١ ، مطبعة مصطفى الحلبى .

(٢) صحيح مسلم جـ١ ص١٦٠ .

ويجاب عن المناقشة الأولى : بأن الاستدلال بحديث أنس في تحديد المسافة التى تناط بها الرخصة كان محل نظر وقد أوضحنا ذلك سابقا ، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

أما المناقشة الثانية : فلا أدري بما يجيب الحنفية عنها . اللهم إلا إذا أخذ بما يقابل القول الصحيح وهو التقدير بالفراسخ أو الأميال .

وقد استدل سفيان الثوري على رأيه ـ المتفق مع الحنفية ـ بأن الرخصة لا تتحقق إلا بمسيرة ثلاثة أيام ـ بحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم » (١) .

فقد نقل عبد الرزاق عن الثورى قوله : « وقولنا الذى نأخذ به : مسيرة ثلاثة أيام ، قلت : من أجل ما أخذت به ؟ قال : قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تسافر امرأة فوق ثلاث إلا مع ذى محرم » (٢) .

وجـه الاستدلال : أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع المرأة من السفر خلال هذه المدة إلا إذا كان معها زوجها أو محرم ، وتعليقه صلى الله عليه وسلم هذا الحكم بمدة الثلاثة أيام يفهم منه : أن سفر الثلاثة أيام هو الذى ينصرف إليه اسم السفر عند الإطلاق فينبغى أن يقيد به .

ونرد على استدلال الثورى بهذا الحديث عدد من المناقشات التى وردت على بعض أصحاب الآراء السابقة ، ونجملها فيما يلى :

أ ـ إن الحديث وارد في تحديد المسافة التى لا يجوز للمرأة أن تسافر فيها بدون محرم بينما المستدل عليه ، هو حد السفر المبيح للفطر وشتان بين الأمرين .

ب ـ إن هـذا الحديث قد ورد بعدة روايات ، فالتمسك بإحداها دون بقيتها فيـه تحكم .

جـ ـ عدم وجود تقدير مساحى لتحديد هذه المسافة بالأميال أو الفراسخ جعل التحديد الزمنى بمسيرة ثلاثة أيام قليل الفائدة .

ويمكن الرد على هذه المناقشات بما يلى :

أ ـ أما المناقشة الأولى : فقد سبقت الإجابة عليها أكثر من مرة .

---

(١) صحيح البخارى : باب في كم يقصر الصلاة جـ٧ ص١٢٦ مع شرحه عمدة القارىء ، وصحيح مسلم جـ٤ ص١٠٣ .

(٢) المصنف جـ٣ ص٥٢٧ ، وصحيح مسلم جـ٤ ص١٠٣ .

ب ـ أما المناقشة الثانية : فيجاب عنها ، بأن التمسك برواية الثلاث أولى من التمسك بغيرها ، لأن الثلاث أكثر ما ورد والتمسك بأكثر ما ورد ، فيه أخذ بالحيطة ، وهى مطلوبة في الدين ·

جـ ـ أما المناقشة الثالثة : فيجاب عنها ، بأن العلة في الرخصة هى المشقة ، والمشقة إنما تتحقق في سفر الثلاثة أيام ·

ويمكن على هذه الإجابة السؤال التالى :

ما الحكم إذا قطعت هذه المسافة ـ مسيرة الثلاثة أيام ـ في ساعة أو بعض الساعة كما هو حاصل الآن بالسيارات السريعة فضلا عن الطائرات ، فماذا تكون الإجابة ؟

هذه هى أهم الآراء في تقدير المسافة التى تتحقق بها رخصة الفطر للمسافر ، وقد أضربنا عن ذكر بقية الآراء ، لعدم وجود مستند صحيح لها ·

الرأى المختـــــــار :

واضح من استعراضنا لآراء الفقهاء ومستنداتهم في هذه المسألة أن الرأى الثانى أقوى الآراء إذ يستدل بحديث أنس « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر ثلاثة أيام أو ثلاثة فراسخ ـ شك شعبة ـ صلى ركعتين » إذ هو نص صريح صحيح في الموضوع · وأن التحديد بالثلاثة فراسخ أولى ، لأنه القدر المتيقن ·

لكن وجود الاحتمال الذى أشرنا إليه سابقاً من أن ذلك كان ابتداء القصر ، وأن هذا الاحتمال ليس ببعيد ـ بعد أن ذكرت بعضا من الأحاديث الصحيحة التى تفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان يبتدىء القصر من ذى الحليفة ، وبينها وبين المدينة ، من فرسخين إلى ثلاثة ، كما يحمل فعل عمر رضى الله عنه على ذلك ـ يضعف هذا الاستدلال · لذا أرى أن الأخذ برأى الفريق الذى حدد المسافة بأربعة برد هو الأولى لما يأتى :

١ ـ امتياز هذا التحديد بالوضوح ، فقد حددت فيه المسافة بمقياس مساحى وهو أربعة برد · وأن هذا القياس ارتكز على علامات مادية يمكن الرجوع إليها للتأكد من مقداره وضبطه · وهو من مكة إلى عسفان ، ومن مكة إلى الطائف ومن مكة إلى جدة ، ومن المدينة إلى ذات النصب ومن المدينة إلى ريم ·

٢ ـ اتفاق ابن عمر المعروف بتشدده ، وابن عباس بتيسيره على هذا القدر يومىء ـ

ولو من بعيد - إلى أنه ربما يكونا قد استلهماه من مشكاة النبوة ، ومعلوم أنهما كانا من الملازمين له صلى الله عليه وسلم في أسفاره (١) ·

وأما ما ورد من قول ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه يقصر في سفر ساعة ونحو ذلك مما يتعارض مع التحديد السابق ، فقد قال بعض أهل العلم : إن التحديد بأربعة برد وما في معناه هو أصح الروايتين عن ابن عمر (٢) ·

٣ - كان هذا الرأى هو محل اختيار أغلبية رجال الحديث الذين أنفقوا حياتهم في الاشتغال بالسنة رواية ودراية ، فإطباق هذه الكثرة على الأخذ بهذا التحديد يشير بوضوح إلى عدم وجود نص صريح ثابت من السنة في الموضوع ·

٤ - عدم تجويز كل من ابن عمر وابن عباس للقصر في مسافات أقل من هذا المقدار ، يدل على مدى تمكنهما من تحديد هذا المقدار ، فقد سبقت الإشارة إلى ما رواه سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه سئل أتقصر الصلاة إلى عرفة ، فقال : لا · ولكن إلى عسفان وإلى جدة وإلى الطائف وما روى عن ابن عمر أنه كان يخرج إلى الغابة - وهى على بريد من المدينة - فلا يفطر ولا يقصر » (٣) ·

كما نقل عن أبى جمرة قوله : قلت لابن عباس : أقصر إلى الأبله (٤) · قال أتجىء من يومك ؟ قلت : نعم · قال : لا تقصر (٥) ·

وما رواه مالك عن نافع أنه كان يسافر مع ابن عمر البريد فلا يقصر الصلاة (٦) ، وأما ما جاء في قصة دحية فقد قال الخطابى عنها : ليس الحديث بالقوى ، وقال صاحب العون : إن ابن عمر وابن عباس خالفا دحية وهما أفقه من دحية وأعلم بالسنن (٧) وأما أبو بصرة الغفارى ، فلعله كان يقصد سفرا بعيدا كان كذلك فله أن يفطر في بداية سفره ·

٥ - إن الأخذ بهذا التحديد ، فيه أخذ بالأحوط ، إذ لم يخرج عنه إلا من قال بتحديد مسيرة ثلاثة أيام · وقد عرفنا ما أخذ على التحديد بهذا المقدار ، والله أعلم ·

---

(١) وقد جاء في ذلك حديث ضعيف . فقد أخرج البيهقى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان » قال الترمذى بعد ذكره له · هذا حديث ضعيف . اسماعيل بن عياش لا يحتج به وعبد الوهاب بن مجاهد ضعيف جدا . والصحيح أن ذلك من قول ابن عباس . السنن الكبرى جـ ٣ ص١٣٧ ، ١٣٨ ·

(٢) عون المعبود جـ ٤ ص٦٩ طبعة المجد بالقاهرة ·

(٣) السنن الكبرى جـ٣ ص١٣٧ . وسنن أبى داود جـ٧ ص٥٩ مع عون المعبود ·

(٤) على وزن حبلى موضع بأرض بنى سليم بين مكة والمدينة ·

(٥) السنن الكبرى جـ١ ص١٣٧ ·

(٦) السنن الكبرى جـ٣ ص١٣٧ ·

(٧) عين المعبود جـ٧ ص٥٩ ·

بيان هذه المسافة حسب المقياس المعلوم لدى أغلب المسلمين اليوم وهو القياس - بالكيلومتر - :

يقدر البريد بأربعة فراسخ ، والفرسخ يقدر بثلاثة أميال · وعلى ذلك فتكون المسافة مقدرة بثمانية وأربعون ميلا ·

أما الميل - وهو فارسى معرب - فقد اختلف في تقديره اختلافا كبيرا وفيما يلى اشارة إلى أهم أقوال العلماء في بيانه وما شهر أو صحح منها وبيان المراد منه بالمتر المعروف الآن :

القول الأول : الميـــل : هو منتهى مد البصر من الأرض لأن البصر يميل عن وجه الأرض حتى يفنى إدراكه وبذلك جزم الجوهرى ·

الثانى : أن ينظر الى شخص بعيد يقف على أرض مستوية فلا يدرى أرجل هو أو امرأة ·

الثالث : ما قاله النووى : أنه ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة ، وشهر هذا القول الحافظ ابن حجر ثم قال : قد حرر بذراع الحديد المشهور في مصر والحجاز في هذه الأعصار فوجد ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن · فعلى هذا : يكون الميل بذراع الحديد في القول المشهور خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا ·

الرابع : هو اثنا عشر ألف قدم بقدم الإنسان ·

الخامس : هو أربعة آلاف ذراع ·

السادس : ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع قاله الخرشى وصححه بعض العلماء ·

الســـابع : ثلاثة آلاف ذراع ·

الثـــامن : ألفا ذراع ·

التـــاسع : خمسمائة ذراع وصححه ابن عبد البر (١) ·

واذا ما رجعنا إلى الأقوال المشهورة أو المصححة وهى الأقوال المنسوبة الى النووى والخرشى وابن عبد البر ، فإننا نجد أن أصح هذه الأقوال ، من حيث مطابقته للواقع : هو قول الخرشى ، ونبين ذلك فيما يلى :

أ - طول المسافة على ما قاله النووى - إذا عرفنا أن الذراعين يقدران بمتر واحد وأن كل ألف متر تقدر بكيلو متر واحد - هو ١٢٧ كم سبعة وعشرون ومائة كيلو مترا ·

ب - وعلى ما قاله الخرشى فان طول المسافة هو ٨٤ كم أربعة وثمانون كيلو مترا ·

جـ - وعلى ما صححه ابن عبد البر يكون طول المسافة هو ١٢ كم اثنا عشر كيلو مترا ·

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في : نيل الأوطار جـ٣ ص٢٣٣ مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأخيرة · والمجموع جـ٤ ص١٩٠ وحاشية الرهونى على الزرقانى جـ٢ ص١٢٢ ·

واذا ما راجعنا هذه الأطوال على العلامات المادية التى ضبطت عليها المسافة التى انيطت بها الرخصة ، وهى من مكة إلى جدة ، ومن مكة إلى الطائف ، ومن مكة إلى عسفان ، فإننا نجد أن المسافة مقدرة الآن ، بين مكة وجدة بـ ٧٥ كيلو مترا خمسة وسبعون كيلومترا ، وبين مكة وعسفان بحوالى ٨٠ كم ثمانون كيلومترا · وبين مكة والطائف من ٨٠ الى ٨٥ كم من ثمانين إلى خمسة وثمانين كيلومترا ·

وإذا لاحظنا الاتساع العظيم لمكة وجدة ، مما جعل العمران يزحف إلى الطريق الموصل بينهما فيقتطع منها حوالى ١٠ كم عشرة كيلومترات أى خمسة من كل ناحية ، إذا عرفنا ذلك ، وجدنا أن أمثل الأقوال هنا في تحديد مقدار الميل ، هو قول الخرشي ·

وبناء على هذا فإنه يمكننا القول ، بأن المسافة التى تناط بها رخصة الفطر والقصر هى ٨٤ كم أربعة وثمانون كيلو مترا أو ما يقاربها · والله أعلم ·

من الحكمـــة

وقِّرْ مَن فوقَك ، ولِنْ لِمَن دونَك ، وأحسِنْ مواتاة أكفائِك ، وليكن آثرَ ذلك عندك موتاةُ الإخوان ، فان ذلك هو الذى يشهد لك أن إجلالك مَن فوقَك ليس بخضوع منك لهم ، وأن لينَك لِمن دونك ليس لالتماس خِدمتِهم ·

ابن المقفَّع
في الأدب الصغير

ثلاثة لثلاثـــة

أمورهنَّ تَبَعٌ لأمور : فالمروءات كلُها تبع للعقل ، والرأيُ تَبَعٌ للتجربة ، والغبطةُ تبعٌ لِحسن الثناء ، والسُّرورُ تبع للأمن ، والقرابة تبع للمودة ، والعمل ـ المنصب ـ تبع للقَدْر ، والجِدَةُ تبع للإنفاق ·
ابن المقفَّع

الحدود في الإسلام

للدكتور جمعة علي الخولي
رئيس قسم الدعوة بالجامعة

الحدود فى الإسلام جزء من نظام إلهى كامل أنزله رب العالمين على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ليكون نظاما يكفل لمن اتبعه السعادة والأمان والاستقرار إلى قيام الساعة **(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)** (سورة البقرة ١٣٨) .. وأساس الحدود فى الإسلام أنها ضابط يحفظ التوازن بين حقوق الفرد والجماعة معا .. فمن حق الفرد على الجماعة تحقيق مصالحه وحفظها ، وصيانة حياته ومقوماتها والعمل على حمايته ليس فقط من غيره بل من نفسه أيضا .. وللمجتمع كذلك الحق فى صيانة كيانه من كل اعتداء أو مساس ، وفى الحصول على حياة آمنة وادعة تتسم بالطهر والعفاف .. وجميع الجرائم التى حرمها الإسلام إنما هى من النوع الذى لو ترك وشأنه لأدى إلى اضطراب المجتمع ، وإشاعة الفوضى والقلاقل فيه .

وينبغى أن يعلم أن الإسلام لا يعتمد على العقوبة فى إنشاء الحياة النظيفة بين الناس ولا يتخذها الوسيلة الوحيدة لذلك ، وإنما يعمل على الوقاية من الجريمة ومحاربتها بالضمير الوازع ، والنفس المهذبة ، والسلوك المستقيم ، وتوفير أسباب الحياة النظيفة لكل الناس ، فمن ارتضى هذه الأسباب واتخذها منهج حياته ارتقى وعز بالإسلام ، وسعد بالمجتمع ، وسعد به مجتمعه .. ومن هجر هذه الأسباب ونفر منها وسعى فى الأرض فسادا ، دون رادع من خلق أو وازع من ضمير ، فهو كمن يتمرغ فى الوحل مختارا ، وحق للإسلام أن ينزل به عقابه ليحمى الناس من شروره ، ويوفر للمجتمع أمنه واستقراره .

والإسلام لم يرصد عقوبة دنيوية لكل انحراف أو معصية ، بل إن هناك كثيرا من الانحرافات والمحرمات ، اكتفى الإسلام فيها بأن أنذر مرتكبيها بغضب الله وعقابه ، وترك تقدير عقابهم الدنيوى للقاضى حسبما يراه كافياً في التأديب والتعزير ، ويتلاءم مع أثر المخالفة فى المجتمع وذلك مثل الكذب ، والرياء ، وأكل الربا ، وشهادة الزور ، وخيانة الأمانات ، وأكل الميتة ، والمحرمات ، والغش فى المعاملات ، والتطفيف فى الكيل والميزان ، وعقوق الوالدين ، والغيبة والنميمة .. الخ .. أما الجرائم التى أرصد لها الإسلام حدودا معينة فهى جرائم محدودة بعضها جاء به القرآن الكريم ، وبعضها الآخر ورد فى السنة وهى .. السرقة ، الزنا ، القذف ، شرب الخمر ، الردة ، البغى ، الحرابة وهى التى تسمى بقطع الطريق ، ثم جريمة قتل العمد ، والقتل شبه العمد ، والقتل الخطأ ، والعقوبة المقررة للجرائم السبعة الأولى تسمى حدا ، بمعنى أن العقوبة المقررة فيها هى حق الله تعالى .

وحينما يقول الفقهاء أن العقوبة حق الله تعالى يعنون بذلك أنها لا تقبل الإسقاط لا من الفرد المجنى عليه ، ولا من الجماعة أو ولى الأمر ، وهم يعتبرون العقوبة حقاً لله كلما استوجبتها المصلحة العامة ، وهى دفع الفساد عن الناس وتحقيق الأمن والسلامة لهم (١) .. أما العقوبات المتعلقة بجرائم القصاص والدية فلا تسمى حدا (٢) ـ عند بعض الفقهاء ـ لأنها حق الأفراد بمعنى أنه إذا عفى المجنى عليه أو وليه عن القصاص أو الدية سقطا .

وعلة التفريق هنا أن جرائم الحدود يصيب ضررها المباشر الجماعة أكثر مما يصيب الأفراد ، أما جرائم القصاص والدية فمع مساسها بكيان المجتمع إلا أن ضررها المباشر يصيب الأفراد أكثر مما يصيب الجماعة ، ولقد كانت الشريعة عملية واقعية فى إعطائها حق العفو للمجنى عليه بالنسبة للقصاص والدية لأنهما يتصلان اتصالا وثيقا بشخصه ، ولأن العفو هنا لا يكون إلا بعد حصول التراضى والتنازل وصفاء النفس بين الطرفين ، وذلك هو غاية عقوبة القصاص والقصد من ورائهـا .

لكن يلاحظ هنا أن الشريعة أباحت فى حال عفو المجنى عليه ، وسقوط القصاص أو الديـة عن الجـانى أباحت لولى الأمر معاقبة الجانى بعقوبة تعزيرية ملائمة لظروف

---

(١) التشريع الجنائى الاسلامى ، عبد القادر عودة جـ ١ / ٧٩ .

(٢) ذهب البعض الى أن الحد يطلق على كل عقوبة مقدرة بتقدير الشارع سواء كان ذلك فى جريمة الأعتداء فيها على حقوق الله ، أم كان الاعتداء فيها على حقوق العباد . انظر فتح القدير جـ ٥ / ٤ ط دار احياء التراث العربى بيروت ، وكتاب العقوبة للشيخ محمد أبو زهرة ص ٧٠ ط ١٩٧٤ .

الجريمة والمجرم (١) وأوجب ذلك الإمام مالك (٢) حتى لا يستغل أسلوب الإغراء المادى للإفلات من العقـــاب أو يساء استعمال حق العفو عن المجنى عليه ٠

والعقوبات المقررة فى الإسلام عقوبات ملائمة للجرائم المرصودة لها ، وقد شرعت على أساس محاربة الدوافع الخاصة بكل جريمة ، فهى فى الزنا الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن وتغريب عام ، وهى فى السرقة القطع ، وفى القذف والشرب الجلد ، وهى فى الحرابة وقطع الطريق كما قال سبحانه (**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**) (سورة المائدة ٣٣) ٠ وهى فى الردة والبغى القتل ، وهى فى القتل والجرح العمد القصاص ، وفى القتل الخطأ الدية ، وعلة التشديد فى هذه الجرائم بالذات أنها من الخطورة بمكان ، والتساهل فيها يؤدى إلى انهيار الأخلاق ، وفساد المجتمعات ، إذ هى جرائم رئيسية تتصل بالحياة العامة ولا يقتصر ضررها على مرتكبيها فقط ، ولكنه يتعدى إلى الأفراد والجماعات ، فالقتل العمد عدوان على الحياة التى اختص الله وحده بمنحها للإنسان ، فهو عدوان على حق الله ، زِدْ على ذلك ما يترتب على هذه الجريمة من الاستهانة بحرمة الدماء ، وتأريث الأحقاد والعداوات ، واشاعة الفتن والذعر بين الناس ، ولذلك كان قتل نفس واحدة بمثابة عدوان على البشرية كلها (**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) (سورة المائدة ٣٢) ، وكان قتل النفس عمدا هو الجرم الذى لا يكفر عنه دية ولا عتق رقبة (**ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها**) (سورة النساء ٩٣) ، وكان القصاص هو الجزاء العادل (**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**) (سورة البقرة ١٧٩) ٠

وجريمة الزنا تشيع الفوضى الجنسية فى بيئات الإنسان ، وتظهر الشخص منتكسا قذرا كالحيوان ، وما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب ، وإثارة الأحقاد ، وتهديد بنيان الأسرة والذرية ٠٠ وفى السرقة عدوان على أموال الناس ، وحرمانهم من الاستمتاع بأمنهم وأموالهم اللذين من حقهم أن يستمتعوا بهما ٠٠ وقطع الطريق فيه ترويع للآمنين والأعتداء على أموال الناس ودمائهم بشكل جماعى أشبه ما يكون بالعصابات المسلحة التى تستهين بالإنسان وما يملكه الإنسان ٠

---

(١) التشريع الجنائى ١ / ٣٤٥ ط دار الكتاب العربى ـ بيروت ٠

(٢) مواهب الجليل جـ ٦ / ٢٦٨ عن المرجع السابق ٠

والقذف فيه تجريح للأعراض ، وتلويث للسمعة ، واشاعة للسوء والشكوك فى جو الأسر ، وتلك حالات تهدد البيوت بالانهيار ، وفى شرب الخمر ـ أم الخبائث ـ سلبٌ للعقل ـ أشرف ما وهب الله الإنسان وميزه به عن الحيوان ـ كما أنها تعرض شاربها للعربدة والتعدى على حرمات الناس ، وتحطم قوى الشباب ، وتضر بنفوسهم وعقولهم وجسومهم ، وكم شرح الأطباء ما لها من ضرر جسيم على النفس والجسم ، وأجمعوا على ضررها البالغ وأثرها السيء على الأمة فى دينها ورجالها وأخلاقها (١) .. وفى الردة كفر بالإسلام ونظامه ، وتجريح له واستهانة به ، وخروج على نظام الجماعة المسلمة ، ذلك أن الإسلام عقيدة وشريعة ، أو دين ودولة ، فالخارج عن الإسلام أقل ما يوصف به أنه خارج على نظام الدولة ، وهو يشبه فى أيامنا هذه جريمة الخيانة العظمى ، وعقوبتها الإعدام ، يقول الأستاذ علال الفاسى « وقع إجماع المسلمين منذ إنشاء المذاهب الفقهية على قتل المرتد مستدلين بحديث « من بدل دينه فاقتلوه » ولكنهم لا يعتبرون قتله عقابا له على كونه لم يعد مسلما وإنما يعتبرون ذلك نتيجة خيانته للملة الإسلامية التى انخرط فى عداد أفرادها ثم غدرها فلو ستر كفره لم يتعرض له أحد ولم يشق على بيضة قلبه كما كان يقع للمنافقين (٢) .

أما ما عدا هذه الجرائم من مخالفات ، وسبق ضرب أمثلة لها ـ فقد ترك التصرف بشأنه لولى الأمر فيؤدب المخطىء عن طريق ما يسمى فى الفقه الإسلامى بالتعزير ، والتعزير : التأديب ، وهو عقوبة لم تحدد الشريعة مقدارها ، وتركت للقاضى التقدير الملائم لنوع الجريمة ولحال المجرم وسوابقه .. ولقد أعطى الشارع قاضى المسلمين صلاحية فرض العقوبة المناسبة والتى يراها كفيلة بتأديب الجانى وإصلاحه ، وحماية الجماعة وصيانتها وهى تبدأ بالزجر والنصح ، وتتراوح بين الحبس ، والنفى ، والتوبيخ ، والغرامات المالية ، ومصادرة أدوات الجريمة ، والحرمان من تولى الوظائف العامة ، ومن أداء الشهادة .. الخ .. وقد تصل إلى أشد العقوبات كالحبس والجلد والقتل وذلك فى الجرائم الخطيرة ، كالتجسس لحساب العدو مثلا ، أو معتاد الجرائم الخطيرة (٣) .

وبعد : فإنه لا يزال البعض يتحرج من إقامة حدود الإسلام ، ويثير حولها عجاجة من غبار ، ويصفها بالقسوة والشدة ، وعدم مسايرتها لروح العصر الذى ارتقت فيه المدارك ،

---

(١) انظر كتاب الاسلام والطب الحديث د / عبد العزيز اسماعيل .

(٢) مقاصد الشريعة الاسلامية ط الرباط سنة ١٩٦٣ ص ٢٤٩ .

(٣) التشريع الجنائى جـ ١ / ٦٨٨ نقلا عن الطرق الحكمية لابن القيم / ١٠٦ . الحسبة لابن تيمية / ٥٨ . حاشية ابن عابدين ٤ / ٢٤٧ . على أن الشافعية ومعظم المالكية لا يبيحون القتل تعزيرا ويفضلون أن يحبس الجانى الذى يستضر بجرائمه إلى غير أمد لكف شره عن الجماعة . ويؤيدهم فى هذا الاتجاه بعض الحنابلة (انظر المرجع السابق) .

والطباع الإنسانية ، ولكن يبدو أن هؤلاء يجهلون فقه الحدود الإسلامية ، وحكمتها ، ولا يعرفون متى تقام ومتى لا تقام ، ومتى يؤخذ بتلابيب المجرم ، ولهؤلاء وأمثالهم أسوق الفقرات التالية فى مغزى الحدود والملابسات المحيطة بها ، والظروف التى تراعى إقامتها ، وأثرها فى القضاء على الجريمة ، وفى سلامة المجتمع وأمنه ، فنقول والله المستعان ·

١ ـ ان الذى شرع الحدود ، وحدد العقوبات هو عالم الغيب والشهادة ، الخبير بمسالك النفوس ودروبها ، العليم بما يصلحها ويقومها (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) (سورة الملك ١٤) ، وإذا كان الأمر كذلك فتشريع الله لعباده أمرا أو نهيا ، حكماً أَوْحَداً بعيدٌ عن كل معانى النقص والقصور ، والمبالغة والهوى ، وغير ذلك من صفات الجهل والعجز التى يتصف بها البشر وتتسم بها مناهجهم ، وإذا كانت الحدود من تشريع الله ، فإن الله أرأف بعباده وأرحم مما يظن القاصرون ، وهو أخبر بما يصلح حياتهم ويهذب طباعهم ، فليس لمتشدق أن يتحدث عن قسوة الحدود ، وشدة العقوبات ، لأنه ليس أبصر بمصلحة الخلق ، وأرحم بهم من خالقهم ، ومن يظن غير ذلك فقد خرج من الإيمان ·

٢ ـ المتأمل فى تشريع الحدود يجد أن علاج النفس الإنسانية بها يتسم بالحكمة والرحمة معا ؛ أما الحكمة فتتجلى فى أن لكل جرم حدا معينا ، ولكل مخالفة عقوبة خاصة دون غلو أو زيادة ، ودون مبالغة أو افراط ، بحيث تلحظ أن الشارع قد سار فى هذه الأمور كما سار فى غيرها ـ على أدق المقاييس وأعدلها ، فالذى يريد أن يستمتع بنشوة اللذة عليه أن يتوقع أنه سيذوق من الألم أشده ·· والذى يريد الثراء من كسب غيره يعامل بنقيض مقصوده ، وتقطع منه أداة كسبه ·· والذى يريد أن يحقر غيره بالقذف سيجد التحقير من الجماعة كلها ، فتسقط شهادته ، ويمشى بينهم لا يوثق له بكلام ،

وهكذا ·· وهكذا ·· ناسبت كل عقوبة جريمتها ، ووضعت على أساس محاربة الدوافع التى تدفع إليها كل جريمة ، فهى لم توضع اعتباطا وإنما وضعت على أساس طبيعة الإنسان وفهم لنفسيته وعقله ، ولهذا كانت العقوبة فى الشريعة الإسلامية قائمة على واقعية علمية فنية تامة الضبط والإحكام ، لأنه مما لا شك فيه أن العقوبة التى تقوم على أساس العلم بالطبيعة البشرية ، وفهم نفسية المجرم هى العقوبة التى يكتب لها النجاح ، لأ نها تحارب الإجرام فى نفس الفرد وداخله ، قبل أن تحاربه فى حسه وظاهره ، الأمر الذى يجعل الشخص يبتعد حتى عن مجرد التفكير فى اقتراف المنكر ·

يقول الإمام ابن القيم « لما تفاوتت مراتب الجنايات لم يكن بد من تفاوت مراتب العقوبات ، وكان من المعلوم أن الناس لو وكلوا إلى عقولهم فى معرفة ذلك وترتب كل عقوبة

على ما يناسبها من الجناية جنسا ووصفا وقدرا ، لذهبت بهم الآراء كل مذهب ، وتشعبت بهم الطرق كل متشعب ، ولعظم الاختلاف ، فكفاهم أرحم الراحمين مؤنة ذلك ، وأزال عنهم كلفته ، وتولى بحكمته وعلمه ورحمته تقديره نوعا وقدرا ، ورتب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة وما يليق بها من النكال ، وأنت تلحظ أن هناك تناسباً جيداً بين الجريمة وعقوبتها المقررة لها بحيث لو وضعت واحدة مكان أخرى أو لو عممت عقابا واحدا على جرائم متعددة لظهر لك على الفور الاختلال والاضطراب وعدم العدل فى الأحكام .. فالشريعة مثلا عاقبت على السرقة بقطع اليد ، ولكنها لم تعاقب على القذف بقطع اللسان ، ولم تعاقب على الزنا بالخصاء ، وعاقبت فى القتل بالقصاص ، ولكنها لم تعاقب فى اتلاف المال بالقصاص ، وسبحان اللطيف الخبير (١) .. هذا عن أن الحدود حكمة .. وأما أنها رحمة .. فهى كذلك بالنسبة للمنحرف ذاته ، وبالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه .. أما بالنسبة للمجتمع ، فذلك ظاهر لما تجلبه له من شيوع الأمن والحماية للأموال والدماء ، وبما تدفعه عنه من أذى العدوان والقلق والترويع ، فإذا أرخص الإسلام دم قاتل ، فلكى يحقن ألوف الدماء ويحيط الجماعة كلها بما يحفظ عليها حياتها وأمنها **(ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)** (سورة البقرة ١٧٩) أى حياة هادئة مطمئنة لا بغى فيها ولا عدوان .

زد على ذلك ما فى إقامة الحدود من بركات تعم المجتمع بأسره ، وفى الحديث « حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا » (٢) وفى رواية « أربعين ليلة » أما أن الحدود رحمة بالمعتدى فيتجلى ذلك فى مغفرة الله ورحمته التى تحوطه بعد إقامة الحد عليه ، فالحدود كفارات للآثام وجوابر لها ، تغسل أثرها وتمحو ذنبها ، وكون الحدود جوابر لا ينفى أنها زواجر كذلك .. وفى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ماعز « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم » (٣) وعن الغامدية « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم » (٤) كما جاء فى السنة « من أصاب فى الدنيا ذنبا ، فعوقب به فالله أعدل من أن يثنى على عبده العقوبة » (٥) .. وروى أن السارق إذا تاب سيقت يده إلى الجنة وان لم يتب سيقت يده إلى النار » (٦) ، فالحد أشبه بجرعة من الدواء

---

(١) اعلام الموقعين جـ ٢ / ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) ابن ماجه ـ باب اقامة الحدود .
(٣) رواه الخمسة واللفظ للترمذى انظر التاج ٣ / ٢٥ .
(٤) رواه الخمسة . انظر التاج جـ ٣ / ٢٧ .
(٥) ابن ماجه : باب الحد كفارة .
(٦) العقوبة فى الفقه الاسلامى جـ ٢ / ٢٦٥ .

الكريه يشربها الإنسان ليحصل بعد ذلك على الراحة . وفى الحديث « من أصاب منكم حدا فعجلت له عقوبته فهو كفارته » (١) .

يقول ابن القيم : بلغ من رحمة الله تعالى وَجُوده أن جعل تلك العقوبات كفارات لأهلها . وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات إذا قدموا عليه . ولا سيما إذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والإنابة . فرحمهم بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة فى الدنيا والآخرة (٢) .

٣ ـ لا يرى الإسلام العقوبة غاية فى ذاتها . ولكنه يراها وسيلة ـ ضمن وسائل كثيرة أخرى لتقويم النفس الإنسانية وكفها عن الانحراف . ولذلك فإن الإسلام لا يتربص بالمجرم لكى يوقع عليه العقاب . ولا ينتظر عثرة العاثر ليبطش به أو ينتقم منه . إنه طالما نصح بالستر عليه لعله يتوب أو يستغفر . دليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « تعافوا الحدود بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب » (٣) . وعنه صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عز وجل عنها فمن ألم فليستتر بستر الله عز وجل . فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد (٤) . وقال عليه الصلاة والسلام « من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٥) . ويكره الإسلام أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا حتى لا تجرح أعراض الجماعة المسلمة . ويلوث جَوَّها بالقيل والقال .. ولما جاء ماعزا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال لهزال ـ رجل حرضه على الإقرار ـ لو سترته بثوبك كان خير لك (٦) .. ويروى ان ماعزا مر على عمر قبل أن يقر فقال له عمر : أأخبرت أحدا قبلى . قال : لا . قال : فأذهب فاستتر بستر الله تعالى وتب الى الله . فان الناس يعيرون ولا يغيرون . والله تعالى يغير ولا يعير . فتب الى الله تعالى ولا تخبر به أحدا . وذهب الى أبى بكر فقال مثل ما قال عمر . ثم ذهب الى هذا الرجل الذى لامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره بما أقر به (٧) .. وهذا يدل على أن الجريمة اذا ارتكبت فى غير إعلان ينبغى سترها وعدم كشفها .

٤ ـ إذا ضبط الجانى وجىء به إلى القاضى هل يقام عليه الحد فوراً .. لا .. إنه يدرأ ما كان هناك مخرج منه لقوله صلى الله عليه وسلم « ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله . فإن الإمام إن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى

---

(١) ابن ماجه : باب الحد كفارة .

(٢) اعلام الموقعين ٢ / ٨٣ .

(٣) الحاكم والبيهقى : انظر جمع الجوامع ٤٧٣ .

(٤) رواه البيهقى ٨ / ٣٣٠ والحاكم ٤ / ٢٤٤ . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٢ / ٢٧٢ .

(٥) ابن ماجه باب الحدود .

(٦) أبو داود باب الحدود .

(٧) العقوبة فى الفقه الاسلامى ـ محمد أبو زهرة ٢١٩ .

العقوبة (١) .. فحين توجد أى شبهة ، فمبدأ الإسلام هنا هو قول النبى صلى الله عليه وسلم « ادرؤوا الحدود بالشبهات » (٢) ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب « لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلى أن أقيمها بالشبهات » (٣) ، ولهذا لم يقطع عام الرمادة عندما انتشرت المجاعة (٤) ، ولم يقطع كذلك عندما سرق غلمان حاطب من أبى بلتعه ناقة رجل من مزينة بعد أن تبين أن سيدهم يجيعهم ، وغرم السيد ضعف ثمن الناقة تأديبا له (٥) .

ولعل القصد من وراء الأخذ بمبدأ الشبهة التى تدرأ الحد هو التقليل من العقوبات ما أمكن ، إذ القليل منها كاف فى الزجر والتخويف (٦) ومن أمثلة ذلك ما ذكره الفقهاء من أنه لا قطع إذا كان السارق والدا أو زوجا (٧) ، أو كان فى ظروف مجاعة ، وبالنسبة للقذف قالوا لا حد بالتعريض (٨) ، وبالنسبة للزنا قالوا لا حد إذا لم يصرح الشهود أو المقر بالعبارات الدالة عليه من غير احتمال فإن الحد يقام (٩) كما جاء فى كتاب المغنى لابن قدامة أنه اذا ادعى أحد الجهل بفساد نكاح باطل قبل قوله لأن عمر رضى الله عنه قبل قول المدعى الجهل بتحريم النكاح فى العدة ، ولأن مثل هذا يجهل كثيرا ويخفى على غير أهل العلم (١٠) فالتضييق فى الحدود أمر محبب فى الإسلام حتى يكون العقاب قليلا مانعا بدل أن يكون عاما جامعا .. على أن الفقهاء وإن كانوا اتفقوا على أن الشبهات تدرأ الحدود إلا أنهم لم يتفقوا عل كل الشبهات ، فما يراه البعض شبهة صالحة للدرء قد لا يراه الآخرون كذلك ، وتلك أمور كلها من مصلحة المتهم ، ومن أمثلة ذلك أن كل نكاح أجمع على بطلانه كنكاح الخامسة أو المتزوجة أو المعتدة أو المطلقة ثلاثا يدرأ فيه أبو حنيفة الحد ولو كان الجانى عالما بالتحريم لأن العقد فى رأى أبى حنيفة شبهة والشبهة تدرأ الحد (١١) ، ولا يرى مالك والشافعى وأحمد درء الحد فى هذه الحالات لأنهم لا يعتبرون العقد شبهة (١٢) .

---

(١) الترمذى ، باب الحدود .

(٢) البيهقى والدارقطنى . انظر فيض القدير جـ ١ / ٢٢٨ .

(٣) التشريع الجنائى جـ ١ / ٢٠٨ .

(٤) العقوبة فى الفقه الاسلامى ص ٢٥٩ ط دار الفكر .

(٥) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص ٢٦٥ ط دار الهلال .

(٦) لا ينكر قاعدة درء الحدود بالشبهات الا أهل الظاهر الذين لا يسلمون بصحة ما ورد عن الرسول والصحابة فى هذا المجال (انظر فتح القدير ٤ / ١٣٩) .

(٧) العقوبة فى الفقه الاسلامى ٢٢٦ .

(٨) العقوبة فى الفقه الاسلامى ٢٥٩ .

(٩) العقوبة فى الفقه الاسلامى ٢٤٢ .

(١٠) التشريع الجنائى جـ ١ / ٢١٠ عن فتح القدير ٤ / ١٤٣ . ١٤٨ .

(١١) المرجع السابق ٢٣٢ .

(١٢) المرجع السابق عن شرح الزرقانى جـ ٨ / ٧٦ . ٧٧ واسنى المطالب جـ ٤ / ١٢٧ .

ويجعل أبو حنيفة التفاهة شبهة فى المال تدرأ الحد عن سارقه ، ويرتب على ذلك ألا قطع فى التراب والطين والتبن والحصى وأشباهها إلا إذا أخرجته الصنعة عن تفاهته كان القطع واجبا ، ويخالف مالك والشافعى وأحمد مذهب أبى حنيفة ولا يرون شبهة فى تفاهة المال ما دام يبلغ النصاب (١) .

ولا يرى أبو حنيفة الحد فى سرقة ما يتسارع إليه الفساد كالطعام والرطب والبقول واللحم ولا فى سرقة باب المسجد لشبهة عدم تحريزه (٢) ، ويرى مالك والشافعى وأحمد القطع فى كل هذا (٣) .

٥ ـ يوفر الإسلام الضمانات الكاملة والكافية لكل متهم ، حتى لا يؤخذ بغير دليل ثابت ولذلك كان من المبادىء المقررة فى الشريعة أنه لا يصح الحكم بالعقوبة إلا بعد التثبت من أن الجانى ارتكب جريمته فإن كان هناك شك فى ارتكاب الجانى لجريمته ، ولم تتقرر بالنسبة له أدلة الإثبات وجب العفو عنه ، وأصل ذلك المبدأ قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الإمام إن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » (٤) ، ومن جهة أخرى نجد أن أدلة الإثبات التى قررتها الشريعة فى الحدود دقيقة قلما ثبتت إلا على محترفى الإجرام .. فهى فى الزنا مثلا الإقرار أو أربعة شهود رجالا يقرون برؤية الفعل فإذا لم يتكامل العدد أربعة وأصر واحد أو إثنان أو ثلاثة على قولهم اعتبر من أصر قاذفا ويحد حد القذف (٥) وذلك لقوله تعالى **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)** (سورة النور آية ٤) .. وفى القذف بشهادة اثنين أو بالإقرار بعد الدعوى (٦) ، وفى السرقة الاعتداء على مال الغير المتقوم المحرز خفية .. الخ تلك الشروط .. ولا بد معها من الإقرار وشهادة اثنين (٧) ، وفى الشرب مثل السرقة بالإقرار أو بشهادة اثنين (٨) .. ومثل هذه الشروط لا تنطبق إلا على المصر المجاهر بمعصيته الذى تكررت منه حتى أمكن أن تقع منه علنا .

---

(١) المرجع السابق نقلا عن فتح القدير ٤ / ١٤٨ ، وبدائع الصنائع جـ ٧ / ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) المرجع السابق عن فتح القدير ٤ / ٢٣٠ .

(٣) المرجع السابق عن شرح الزرقانى ٨ / ٩٩ واسنى المطالب ٤ / ١٤٠ .

(٤) الترمذى : باب الحدود .

(٥) المغنى جـ ١٠ / ٧٢ ط أولى سنة ١٣٨٩ ، والجريمة فى الفقه الاسلامى ٧٨ وذكر المغنى عن الشافعى فى المسألة قولين أحدهما لاحد عليهم .

(٦) الجريمة فى الفقه الاسلامى ٨٣ .

(٧) المرجع السابق ٨١ .

(٨) المرجع السابق .

ويضبط متلبسا بها ، ومن حق المجتمع أن يحمى نفسه ممن لا يأبه بحرمة الله دون استثناء لأي اعتبار كان ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقيم حدود الله دون مجاملة ، وقد رفض الشفاعة فيها من أعز أحبابه أسامه بن زيد وقال له : أتشفع فى حد من حدود الله إنما هلك بنو اسرائيل أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١) ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره (٢) ·

٦ ـ ذهب بعض العلماء إلى أن توبة الجانى تسقط الحد عنه وتكون سببا للتجاوز عنه وإخلاء سبيله ، واستدل هؤلاء بقوله تعالى بعد آية المحاربة **(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أن الله غفور رحيم)** (سورة المائدة ٣٤) ·· وحجتهم فى ذلك أن القرآن نص على سقوط عقوبة المحارب بالتوبة ، وجريمة الحرابة هى أشد الجرائم ، فإذا دفعت التوبةُ عن المحارب عقوبته كان من الأولى أن تدفع التوبة عقوبة ما دون الحرابة من الجرائم ، وأن القرآن لما جاء بعقوبة الزنا الأولى رتب على التوبة منع العقوبة ، وذلك قوله تعالى **(واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا واصلحا فأعرضوا عنهما)** (سورة النساء ١٦) ·· وذكر القرآن حد السارق واتبعه بذكر التوبة فى قوله تعالى **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه)** (سورة الأنفال ٣٨) ·

وقد أيد ابن القيم هذا الرأى ودافع عنه بقوله « وأما اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه دون غيره ، فيقال أين فى نصوص الشارع هذا التفريق ، بل نصه على اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه ، إما من باب التنبيه على اعتبار توبة غيره بطريق الأولى ، فإنه إذا دفعت توبته عنه حد حرابة مع شدة ضررها وتعديه ، فلأن تدفع التوبة ما دون حد الحراب بطريق الأولى والأحرى ، وقد قال الله تعالى **(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** (سورة الأنفال ٣٨) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له (٣) والله تعالى جعل الحدود عقوبة لأرباب الجرائم ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا ، فليس فى شرع الله وقدره عقوبة تائب البتة ، وفى الصحيحين من حديث أنس قال :

« كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل وقال يا رسول الله : إنى أصبت حدا فأقمه على قال : ولم يسأل عنه فحضرت الصلاة فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما

---

(١) رواه الخمسة . انظر أبواب الحدود ·

(٢) مجمع الزوائد جـ ٦ / ٢٥٩ ط ثالثة ·

(٣) ابن ماجه فى الزهد . والبيهقى فى شعب الإيمان ·

قضى النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ، قام إليه الرجل فقال : يا رسول الله إنى أصبت حدا فأقم فى كتاب الله قال : أليس قد صليت معنا ، قال نعم ، قال فإن الله تعالى قد غفر لك ذنبك ، قال ابن القيم « فهذا لما جاء تائبا بنفسه - من غير أن يطلب - غفر الله له ، ولم يقم عليه الحد الذى اعترف به ، وهو أحد القولين فى المسألة ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، وهو الصواب .. فإن قيل فماعز جاء تائبا ، والغامدية جاءت تائبة ، وأقام عليهما الحد قيل لا ريب فى ذلك ، وبهما احتج أصحاب القول الآخر ، وسألت شيخا عن ذلك فأجاب بما مضمونه أن الحد مطهر وأن التوبة مطهرة ، وهما اختاروا التطهير بالحد على التطهير بمجرد التوبة وأبيا إلا أن يطهرا بالحد ، فأجابهما النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وأرشد الى اختيار التطهير بالتوبة على التطهير بالحد ، فقال فى حق ماعز ، هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه .. ولو تعين الحد بعد التوبة لما جاز تركه ، بل الإمام مخير بين أن يتركه كما قال لصاحب الحد الذى اعترف به اذهب فقد غفر الله لك ، وبين أن يقيمه كما أقامه على ماعز والغامدية لما اختارا إقامة الحد وأبيا إلا التطهير به ، ولذلك ردهما النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وهما يأبيان إلا إقامته عليهما ثم يقول « وهذا المسلك وسط بين مسلك من يقول لا تجوز إقامته بعد التوبة البتة ، وبين مسلك من يقول تجوز إقامته بعد التوبة ، ومن مسلك من يقول لا أثر للتوبة فى إسقاطه البتة ، واذا تأملت السنة رأيتها لا تدل إلا على هذا القول الوسط (١) ، لكنه إذا أخذ بهذا الرأى الذى يسقط الحد بالتوبة ، فإنه ينبغى أن يراعى ما يأتى :

أ - أن يكون ذلك فيما يتعلق بحق الله تعالى كشرب الخمر مثلا ولا يكون مما يمس حق الأفراد ، كالقتل أو الضرب ، فلا بد فى ذلك من عفو أصحابهما .

ب - أن تكون تلك التوبة عن الجريمة الأولى ، فإذا عاد إلى انحرافه مرة أخرى وضبط وادعى التوبة ، فينبغى أن يعاد النظر فى قبول توبته حتى لا يتعطل القضاء أو يستهين بحدود الله تعالى ، فقد يكون كاذبا قد خدع القضاء بها أولا فلا يخدعه ثانياً ، لأن فعله هذا يثبت أن التوبة الأولى لم تكن صحيحة ، لأن شرط التوبة الصحيحة التى تقبل الغفران ألا يقع الشخص فى الفعل الذى تاب منه مرة أخرى ، ولا شك أن الثانية من نوع الأولى ولا فرق بينهما ، ثم إن النفس إذا تمرست بالمعصية أحاطت بها واستولت عليها ، ولذلك قال الله تعالى **(بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** .(سورة البقرة ٨١) (٢) .

---

(١) اعلام الموقعين جـ ٢ / ٦٤ ط دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٩ .

(٢) انظر العقوبة فى الفقه الاسلامى ٢٧٦ .

٧ ـ كثير من هذه العقوبات منصوص عليها فى التوراة ، وصدق عليها الإنجيل لأن ما لا نص عليه فى الإنجيل بالمنع أو الإباحة تتبع به نصوص التوراة ، لأن عيسى عليه السلام قال « ما جئت لألغى الناموس بل جئت لأحيى الناموس » .. ويقول الله عز وجل فى هذا الشأن (**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة**) (سورة المائدة ٤٥ ، ٤٦) .. ويقول عليه الصلاة والسلام « إنما أهلك من كان قبلكم أنه كان إذا سرق منهم الشريف تركوه واذا سرق منهم الضعيف أقاموا عليه الحد (١) ، وفى سفرى الخروج (٢) والتثنية (٣) أمثلة على عقوبات القتل والغدر والضرب وسائر أنواع القصاص (٤) ، فالذى يهاجم الإسلام من الأوربيين فى تشريع العقوبات فهو يهاجم الأديان السابقة كذلك ، على أنه إذا كان اليهود والمسيحيون قد تركوا تلك الأحكام واستغنوا عنها فنحن المسلمين ليس عندنا استعداد لترك ديننا ، والتخلى عن شريعتنا ، لأننا لا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض .

٨ ـ إذا تعلل بعض الرقعاء بأن الحدود لا تناسب أذواق العصر ومداركه لأنها وضعت لنفوس قاسية غير مدركة ، أما الآن فقد ارهفت الأحاسيس وعلت المدارك فلا سبيل الى مثل هذه العقوبات ، قلنا لهم : مصداق هذا الادعاء ألا توجد أسبابه ، فلا توجد السرقة التى أوجبت عقوبتها ، ولا يوجد الزنا الذى أوجب عقوبته .. وهكذا .. ولكن الجرائم مازالت قائمة ، وقد تعددت أسبابها ، وتفتحت أبوابها ، وتفننت العقول فى طرائقها ، وتصفح أى جريدة فى أى بلد فى العالم تجدها لا تخلو من جرائم السرقة والقتل والنصب والاختلاس ، حتى صار الشخص لا يأمن على نفسه وماله فى كثير من بلدان العالم .

ولقد نشرت جريدة الأخبار القاهرية منذ سبع سنوات ما يلى نقلا عن وكالات الأنباء ، قتل المجرمون فى الولايات المتحدة أكثر من عشرين ألف شخص خلال عام ١٩٧٣ ، وسرق اللصوص ممتلكات وأشياء تزيد قيمتها على ألفين وستمائة مليون دولار ، وذلك بعد أن زادت موجة الجريمة خلال سنة ١٩٧٤ بنسبة ١٨ ٪ عن العام الأسبق .

---

(١) رواه الخمسة ، انظر أبواب الحدود . (٢) الاصحاح ٢١ ، ٢٥ . (٣) الاصحاح ٩ .

(٤) لا نذكر هذه الشواهد على أنها صحيحة لأن فيها أمورا تخالف النقل والعقل مثل من شتم أباه أو أمه يقتل ، كما لا نذكرها على أنها التوراة الحقيقية ، وانما لنلطم بها وجه الذين يطعنون فى عقوبات الاسلام ونثبت لهم وللأوربيين أن القصاص وكثيراً من العقوبات موجود فى الكتب السابقة .

وذكر تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالية فى عام ١٩٧٤ أن عشرة ملايين ومائة ألف جريمة خطيرة وقعت فى الولايات المتحدة وذلك بزيادة مليون ونصف مليون جريمة عن عام ١٩٧٣ ، وكان ثلث الذين اعتقلوا لارتكاب الجرائم الخطيرة من الشباب المراهق تحت العشرين (١) .. ومثل ذلك كثير فى البلدان التى لا تقيم حدود الله ، فكثرة أسباب العقوبة دليل على شدة الحاجة الى الحدود والعقوبات ودليل على أن النفوس لم تسم عن نفوس السابقين ، وان ارتفعت فى مجال العقل والفكر ، لأن العقل وحده لا يكفى ، بل لا بد له من خلق كريم يسيره ، وهداية إلهية تهديه سواء السبيل .

وإذا بدا للبعض أن العقوبات شديدة موجعة ، فذلك شأن العقوبة دائما ، فاسمها مشتق من العقاب ، ولا يكون العقاب عقابا اذا كان موسوما بالرخاوة والضعف ، بل يكون لعبا وعبثا ، أو شيئا قريبا من هذا (٢) .

أما العقوبات فشأنها أن تكون رادعة بحيث تكف عن الجريمة قبل وقوعها ، فاذا وقعت كانت كفيلة بتأديب الجانى وزجر غيره ، والا ما حققت المقصود منها ، يقول أحد الفقهاء عن العقوبات « انها موانع قبل الفعل زواجر بعده » (٣) أى العلم بشرعيتها يمنع الاقدام على الفعل ، وايقاعها بعده يمنع العود اليه ، ثم أن عدم الردع فى العقوبات الحاضرة ، دليل على الحاجة الى العقوبات السماوية ، واذا كان السجن الآن هو أبرز العقوبات على مخالفات العصر ، أو هو العقوبة الأساسية التى يعاقب بها فى كل الجرائم بسيطة كانت أو خطيرة فهل ترى ذلك أغنى شيئا ؟ .

إن الجرائم لم تقل ، بل هى فى ازدياد مستمر .. كما تدل على ذلك سجلات المحاكم وملفات المحامين .. وفوق أن السجن لم يقض على الجريمة ، ولم يوقف نشاطها ، فان العلاج به فيه كثير من العيوب نشير الى بعضها :

١ ـ تكليف الدولة كثير من النفقات والأموال الباهظة التى لا بد من رصدها للانفاق على نزلاء السجون ، وموظفيها وعمالها ، زيادة على تكاليف بنائها وانشائها ، وكم يرصد من أجل ذلك من أموال ، ان ميزانية السجون بين الميزانيات الضخمة التى يدفعها المجتمع وهو فى حاجة اليها دون فائدة أو جدوى ، ذلك أنك تسأل هل استطاعت السجون المسماة بدور الاصلاح والتقويم أن تقوم بهذا الغرض فعلا من حيث علاج المجرم والقضاء على الجريمة .

---

(١) جريدة الأخبار ١٨ / ١١ / ١٩٧٥ ـ ص ٢ .

(٢) التشريع الجنائى جـ ١ / ٥٦٤ فقرة ٤٦٢ .

(٣) المرجع السابق نقلا عن شرح فتح القدير ٤ / ١١٢ .

إن الواقع يؤكد عكس هذا ، فإن الحبس لا يمنع المجرم من مزاولة هوايته الا مدة الحبس فقط ، ثم يعود بعده سيرته الأولى كأعتى ما يكون ، لأنه يعيش بين قوم ألفوا الاجرام واعتادوه ، فيخرج من سجنه وقد أصبح أستاذا فى الجريمة بعد أن اخذ قواعدها من مدرسة الجريمة ، ولذلك فانه قد يكون فى الحبس بعض من لم يتمرس على الجريمة لأنه ليس مجرما حقيقيا ، ولكنه باختلاطه مع زملائه ، وتبادل المعلومات والخبرات معهم يخرج وقد أصبح خبيرا متخصصا ·

٢ ـ يحول السجن بين اللصوص وبين العمل خلال فترة السجن ، وغالبا ما يكونون أصحاب قدرة ونشاط ، وفى ذلك تعطيل للمواهب والقدرات ، وكان من الممكن ـ لو أنهم عوقبوا بعقوبة أخرى غير الحبس تكفى لتأديبهم ، كان من الممكن أن يستغلوا جهدهم المعطل فى العمل فيستفيدوا ويفيدوا مجتمعهم ·

٣ ـ كثيرا ما يعود السجن على السجين بالضرر البالغ فى صحته وجسده نظرا للازدحام الموجود فيه ، وعدم الرعاية الصحية والنظافة الكاملة ، ولذلك فالسجن غالبا ما يكون وسيلة لنقل الأمراض ونشرها بين المسجونين ، وسببا لافساد أخلاقهم ·

٤ ـ السجن فيه اهدار لانسانية الانسان ، لأن السجين ينادى عليه هناك برقمه لا بأسمه وفى ذلك الغاء لشخصية الانسان وذاته ، واشعاره بالاهانة وعدم الكرامة ، ومن شعر بفقد كرامته وانحطاط انسانيته هانت عليه كثيرا من الجرائم ·

٥ ـ فى مدة حبس السارق تكون النتيجة اضطراب أسرته ، وعدم استقرارها وفى ذلك من تيسير الانحراف وطرق الاجرام ما فيه

٦ ـ بعد أن يخرج السارق من السجن نجده محكوما عليه بالموت الأدبى ان لم يكن المادى أيضا ـ وذلك لأن الجمهور ينبذه ولا يفتح له صدره أو ييسر له طريقا لاستئناف حياة نظيفة ، وقد يضطره ذلك إلى أن يزاول الاجرام من جديد ، وبصورة فيها تصميم على الانتقام فيمرن عليه ويتشبع بدمه ويصبح عنده حرفة وعادة ، وكثيرا ما قرأنا فى الصحف عن أشخاص خرجوا من السجن ، ولما نووا الاستقامة ، أخذوا يبحثون عن عمل شريف فأوصد المجتمع فى وجوههم أبوابه ، ووصمهم بعار الانحراف والخيانة ، ولذلك كانوا يناشدون المجتمع فى حياة أنقى ، وسيرة أطهر ·

وبعد ·· فلقد أخفقت عقوبة الحبس فى تأديب المجرمين ، كما أخفقت سائر القوانين الوضعية فى تنظيف المجتمع من الانحرافات والسوءات ، فهل لنا أن نعود الى طريق الكمال

والطهر والعفاف .. الى شرع الله .. (**يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين**) (سورة الأحقاف ٣١ ، ٣٢) .

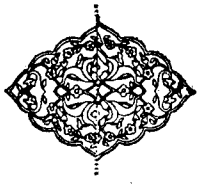

جريمة قتل كل ٢٣ دقيقة فى أمريكا ...

كشفت وزارة العدل للولا يات المتحدة الأمريكية فى تقرير صدر أخيراً أن سير الجرائم فى الولا يات المتحدة قد ازداد بنسبة تسعة فى المائة بالنسبة للعام السا بق ، وبنسبة خمسة وخمسين فى المائة خلال اثنتى عشرة سنة أخيرة . وطبقاً للتقرير تقع كل جريمة وعمل عنيف كل ٢٤ دقيقة ، وجريمة قتل كل ٢٣ دقيقة ، وانتهاك حرمة كل ٦ دقائق . وكشفت الإحصائيات الرسمية أن عدد القتلى بلغ إلى ٢٣ ألف و٤٤ ، وأكثرهم تتراوح أعمارهم بين عشرين وتسعة وعشرين عاماً .

الرائد الهندية

الرق في الجاهلية والإسلام

للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل
مدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة

معنى الرق ونشـــــأته :

الرق في اللغة : العبودية ، وسمى العبيد رقيقا ، لأنهم يرقون لمالكهم ، ويذلون ويخضعون ، والرقيق هو المملوك .

وقيل : الرق في اللغة : الضعف ومنه رقة القلب (١) وهو نظام اجتماعى معروف بين الشعوب القديمة ، واستمر قائما حتى أخريات القرن التاسع عشر ، وكان يعتبر بين تلك الشعوب نظاما مشروعا تحميه قوانين الدولة (٢) .

وعرف أيضا بأنه حرمان الشخص من حريته الطبيعية ، وصيرورته ملكا لغيره (٣) ؛ وهذا ما كان مصطلحا عليه عند الأمم القديمة .

ولقد عرف الرق من قديم ، وكانت الحرب بادىء الأمر عاملا على نشأة الرق ، وذلك أن القوى حينما كان يظفر بالضعيف يقتله ولا يقبل بغير القتل بديلا ، وكان الناس في ذلك الوقت يعملون لأنفسهم فكان الرجال يقومون بالصيد والحروب وكان النساء والأبناء يقومون بغير ذلك من الأعمال .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٤١٥ .

(٢) دائرة المعارف الحديثة لأحمد عطية الله مادة « الرق » .

(٣) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ترجمة د . زكى نجيب محمود ج ١ ص ٣٧ .

وحينما اتجه الانسان إلى الزراعة ، كان في حاجة الى العناية بالأرض عناية تتكرر كل يوم ، وإلى تنظيم العمل ؛ كما أنه كان في حاجة إلى من يساعده ، وهذه المساعدة كانت تعتمد في النهاية على القوة والإرغام ، وحدوث التعاون بين الناس ، انتهى إلى استخدام الضعفاء بواسطة الأقوياء · ثم فكر القوى الظافر في القتال أن الأسير الذى يقتله يمكن أن يبقيه حيا · فيستخدمه في زراعة الأرض · وبهذا قلت المجازر وقل أكل الناس لحوم بعضهم بعضا ·

وحين امتنع الإنسان المنتصر عن قتل المغلوب اعتبر هذا تقدما عظيما للإنسان من حيث الأخلاق حين أقلع عن قتل زميله أو أكله واكتفى من أعدائه باسترقاقهم ، وإعمالهم في الأرض وفي الزراعة (١) ثم انتقل استرقاق الغير من الزراعة إلى الصناعة ، حتى إذا زادت الثروة ، ومال الأغنياء الى الدعة والراحة ، واستغلال الآخرين في ذلك جعل الناس ينظرون إليه كأنه نظام فطرى لاغنى عنه ·

وكانت الجماعات البدائية لا ترى فارقا بين الحر والعبد ، ولا تجد رقا ولا طبقات ، ولاتدرك من الفوارق بين الرئيس وتابعيه إلا قدرا ضئيلا · وبالتدريج ، أخذ تقسيم العمل ، وما يقتضيه الاختلاف بين الناس ، يستبدل شيئا فشيئا المساواة بقليل من التحكم الذى زاد على مرور الأيام ، ثم لما ازدادت الآلات والصناعات تعقدا ، عمل ذلك على اخضاع الضعيف لمشيئة القوى ، وكلما ظهر سلاح جديد في أيدى الأقوياء زاد من سلطانهم على الضعفاء واستغلالهم إياهم ·

ثم عمل نظام التوريث على اتساع الهوة بأن أضاف إلى الامتياز في الفرص السانحة امتيازا في الأملاك ·

وقسمت المجتمعات التى كانت يوما متجانسة إلى عدد لا يحصى من طبقات وأوساط ، وأحس الأغنياء والفقراء بغناهم أو فقرهم إحساسا يؤدى إلى التشاحن ، وأخذت حرب الطبقات تسرى خلال التاريخ حتى انتهت إلى وجود طبقة من الناس تُستخدم وكأنها آلة تتحرك بغير إرادتها يحركها الغير ، وكأنها دمية توجه حسب ما يريد لها سيدها (٢) ·

ولم يستطع الفلاسفة القدامى أن يغيروا شيئا من الواقع ، وإنما زادوه تثبيتا ، وكأنما هذا الصنف من الناس إنما خلق بغير إرادة ولا حول ولا قوة ، فأفلاطون يقضى في جمهوريته الفاضلة بحرمان الرقيق حق المواطنة وإجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من ساداتهم أو

---

(١) المرجع السابق ·

(٢) قصة الحضارة ج ١ ص ٣٨ ·

من السادة الغرباء ، ومن تطاول منهم على سيد غريب أسلمته الدولة إليه ليقتصّ منه كما يريد ٠

ومذهب ارسطو في الرق أن فريقا من الناس مخلوقين للعبودية لأنهم يعملون عمل الآلات التى يتصرف فيها الأحرار ذو الفكر والمشيئة ، فهم آلات حية تُلحق في عملها بالآلات الجامدة ٠

ويحمد من السادة الذين يستخدمون تلك الآلات الحية أن يتوسموا فيها القدرة على الاستقلال والتمييز فيشجعوها ويرتقوا بها من منزلة الأداة المسخرة إلى منزلة الكائن العاقل الرشيد (١) ٠

الرق قبـــل الإســـــلام

كان الرق من دعائم المجتمع عند قدماء المصريين ، وكانوا يتخذون الإماء للخدمة ، وللزينة ، ولمظاهر الأبهة ، فكانوا بقصور الملوك ، وبيوت الكهان والأعيان ، وهم وإن كانوا يسيئون معاملة رقيق الخدمة بحيث يعتبرونهم كآلة صماء فإن رقيق الزينة على العكس ؛ فقد كانوا يلقون معاملة حسنة كما يدل على ذلك قول العزيز لامرأته في حق يوسف عليه السلام ٠

« وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » (يوسف آية ٢٠) ٠

ولقد أباح العبرانيون الرق ، وذكر في التوراة في مواضع (٢) ، وكان الرق عندهم نوعين ؛ استرقاق الأفراد لارتكاب خطيئة محظورة ، واسترقاق غير اليهود في الحروب (٣) ٠

وكذلك أباحته المسيحية ، وأمر بولس مدعي الرسالة العبيد بطاعة سادتهم كما يطيعون السيد المسيح ؛ فقال في رسالته إلى أهل أفسس :

« أيها العبيد ! أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس عالمين أنه مهما عمل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا » ٠

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص ٣١٠ ٠

(٢) سفر التكوين ٣١ ـ ٢ ـ ٧ وسفر التثنية ٢١ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٧ ٠

(٣) النظم الاسلامية د ٠ حسن ابراهيم ص ٣٠١ ٠

وأوصى مدعى الرسالة بطرس بمثل هذه الوصية ، وأوصاها آباء الكنيسة ؛ لأن الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوا من غضب السيد الأعظم (١) .

ونص في الإنجيل على أن الناس كلهم إخوان ، ولكنه لم ينص على منع الاسترقاق ، لذلك أقرته جميع الكنائس على اختلاف أنواعها ولم ترفيه أقل حرج .

ولم ير من جاء من باباوات النصارى ولا قديسيهم حرجا من إقرار الرق حتى قال باسيليوس في كتابه القواعد الأدبية بعد أن أورد ما جاء في رسالة بولس إلى أهل افسس .

« هذا يدل على أن العبد تجب عليه طاعة مواليه تعظيما لله عز وجل » إن الطبيعة (هكذا قول بولس) قضت على بعض الناس بأن يكونوا أرقاء ، واستشهد على نظريته (كما يرى هو أى بولس) بالشريعة الطبيعية والشريعتين الوضعية والإلهية .

وقال القسيس المشهور بوسويت الفرنسى : إن من حق المحارب المنتصر قتل المقهورُ ، فإن استعبده واسترقه فذلك مِنْهُ مِنَّةٌ وفضل ورحمة .

وقد بقى الاسترقاق معتبرا من الأمور المشروعة لدى المسيحيين فقد جاء في دائرة معارف لاروس أن رجال الدين الرسميين يقرون صحة الاسترقاق ويسلمون بشرعيته (٢) .

وإذا كانت الأديان التى سبقت الإسلام ، قد أباحت الرق ، فإن جميع الأمم المعروفة لنا في القديم قد أباحته كذلك .

ففى الهند قسمت الشرائع البرهمية القديمة الأشخاص الملزمين بالخدمة إلى قسمين وهما الخادمون والأرقاء ، فالأعمال الطاهرة من خصائص الخادمين ، والأعمال النجسة على عواتق الأرقاء (٣) .

وكانت الشريعة الهندية تقضى على أن الرقيق لم يُخْلَق إلا لخدمة البرهمى - وهم الطبقة المقدسة عندهم - فكانوا يتخذون الرقيق من إحدى طبقات المجتمع التى تعتبر صفة العبودية لازمة لها حتى لو تخل السيد عن عبده فإنه يبقى رقيقا لا يصلح أن يتمتع بحريته كغيره من الناس ، وكانت القوانين عندهم تقضى بقتل العبد لأقل هفوة يرتكبها ، أما التنكيل به والانتقام منه بسائر الوسائل الوحشية فحدث ولا حرج (٤) .

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٠٩ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ج ٤ ص ٢٧٨ مادة رقق .

(٣) الرق في الاسلام لأحمد شفيق ص ١١ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٢٧٥ مادة رقق .

وكان الرق عند الفرس بدولتهم العظيمة التى امتدت في حدود آسيا المعروفة كثيرة . فكان الأرقاء الرعاة . والأرقاء المختصون بحاجات الزينة والثروة واليسار . ومنهم من خُصص لعمل القبائح المنكرة التى قضت بها خرافات القوم .

قال هيرودت : « ولا يجوز لأى قاس أن يعاقب عبده على ذنب واحد اقترفه بعقاب بالغ في الشدة والصرامة . لكن إذا عاد العبد لارتكاب هذا الذنب بعدما أصابه من العقاب . فَلِمَوْلاه حينئذ أن يعدمه الحياة أو أن يعاقبه بجميع ما يتصور من أنواع العذاب » (١) .

ولعل الصين كانت في القديم من أكثر الدول اعْتدَالا في معاملة رقيقها . فكان يُستخدم للمنفعة العامة . وكانوا يجلبون الرقيق من الخارج بواسطة الحروب والأسلاب . أو يأخذونهم من البلاد بسبب الفقر والحاجة ؛ لأن الفقير كان يضطر لبيع نفسه أو لبيع أولاده . وكان الاسترقاق في تلك البلاد قليل الشدة والصعوبة . لأن الشرائع والعرف والأخلاق كانت تساعد على تلطيف حاله . وقد ورد في آثارهم :

« إن الإنسان هو أفضل وأشرف المخلوقات التى في السماء والتى على الأرض . فمن قتل رقيقه فليس له من سبيل في إخفاء جرمه . ومن أخذت به الجرأة فكوى رقيقه بالنار . حوكم على ذلك بمقتضى الشريعة . ومن كواه سيده بالنار دخل في عداد الوطنيين الأحرار » (٢) .

وإذا تركنا آسيا وانتقلنا إلى أوربا لم يكن حال الرقيق بأحسن مما كان عليه الحال في بلاد فارس أو الهند .

فلقد كان المجتمع اليونانى المقسم إلى سادة وعبيد يبالغ في احتقار العبيد على الرغم من استخدامهم في سائر المرافق . وكانوا يعتقدون أن الأرقاء إنما خلقوا لخدمة السادة والأمراء . وكانوا يعتبرونهم جزءاً من الأرض يباعون ويشترون . وكان المورد الأساسى للعبيد عندهم الأسر في الحروب وأهل البلاد المغلوبة التى يعملون فيها . وكانت القرصنة هى المورد الثانى للعبيد .

وعندما نشطت تجارة الرقيق في أثينا لم تقف مطامع النخاسين عند حد . وصار القرصان اليونانيون يخطفون المسافرين والسكان الآمنين في الشواطىء الأفريقية والأوربية ويبيعونهم للناس في الأسواق من غير خجل ولا تكبر (٣) .

---

(١) الرق في الاسلام لأحمد شفيق ص ١٨ .

(٢) الرق في الاسلام لأحمد شفيق ص ١٨ .

(٣) معجم لاروس مادة « رق » .

وكان حق المولى على عبده أنه جزء من أملاكه وأمتعته ، فله رهنه أو بيعه ، والتصرف فيه كما يشتهى لا يمنعه مانع (١) .

ولم يكن الحال عند الرومان بأقل مما كان عليه غيرهم من حيث استخدامهم في الأعمال الجسمانية ، ومساواتهم بالأمتعة والفرش ، فكانوا يباعون بالمزاد ، وكانوا يوقفون على مكان عال بحيث يتيسر لكل واحد أن يراهم ويمسهم بيده ، ولو لم يكن له نية في شرائه ، بل أحيانا كانوا يشاهدون كيوم ولدتهم أمهاتهم .

وكان الرق في نظرهم نتيجة الأسر والسبى أو الميلاد أو الدين أو الفرار من الجيش (٢) ، ومن العجيب أن الدولة كانت تسترق بعض الأفراد بسلطة القانون مثل أن يمتنع الشخص من أداء الضريبة أو بعيب عندما يطلب منه الحضور فيمتنع فيصبح حينئذ في عداد الأرقاء ، وكذلك كان المجرمون والثوار يسترقون للدولة ، أما الملحدون في الدين فكانوا يسترقون للمعاد .

وكان الاسبرطيون يُكَروُن العبيد لمن يرغب في ذلك ، ويشغلونهم في الحروب والقتال زيادة في الخدمة ، وفلاحة الأراضى وحراستها وغير ذلك من أنواع العمل الشاق .

وكانت القرون الوسطى مسرحا للاسترقاق ، وتكاد كلها تتشابه مع الرومان .

ويعتبر الرقيق كجزء من متاع البيت فهو بمنزلة الفرس والثور وغيرهما من الحيوانات المستخدمة الأهلية ، فكان المولى في شرعهم يتصرف بعبده كما يتصرف بما عنده من الأشياء ذات القيمة ، وكان لا يجوز له قتله لأنه شيء من الأشياء التى تملكها يمينه .

ولم يختلف الاسترقاق عن سابقه عند الغاليين وهم السكان المعروفون في فرنسا وأمام جبال الألب في ايطاليا الشمالية ، وأقاليم الغاليا في الجزر البريطانية وأسبانيا وكذلك سكان جرمانيا ـ المانيا ـ فكانوا يحتكمونهم بطريقة الشراء أو الميراث ، وكانوا يكلفون بخدمة المنازل ، وكان الولى يفرض عليه مقدارا من القمح أو الماشية أو الملابس كأنه من مؤاجريه ، وكان سكان نهر الرين الأسفل إذا تزوج أحد الأهالى برقيقة أجنبية وقع في الرق والاستعباد ، وكذلك المرأة الحرة التى تتزوج برقيق تفقد حريتها ، وينالها العقاب .

وكان عند القوط أن المرأة الحرة إذا تزوجت برقيقها ، كانت عقوبتها أن تحرق هى وإياه وهما على قيد الحياة ، وإذا كانت لا تمتلك العبد يفسخ النكاح ، ويجلد كل منهما

---

(١) النظم الاسلامية ص ٣٠١ .

(٢) النظم الاسلامية ص ٣٠١ .

بالسياط . ولكن التصرف في العبد بالموت كان يلجأ السيد إلى القاضى ليحكم حكمه ثم يسلمه لسيده ليفعل به ما يريد وكانت قبائل الويز يغوط تشدد النكير في مسألة تزواج الأحرار بالأرقاء حتى نص القانون على أن المرأة الحرة إذا تزوجت بعبدها فعقابها أن تحرق هى وهو حيين . وكذلك كانت قبائل الاستروغوط فقد كانوا يقتلون المرأة التى تتزوج بعبد (١) ٠

وكان الأنجلو ساكسون يقسمون الرقيق إلى نوعين هما الرقيق المشبهون بالمنقولات والمشبهون بالعقارات فالصنف الأول يجوز بيعهم أما الآخرون ٠ فكانوا لا ينفكون عن الأرض يقومون بحراثتها وزراعتها (٢) ٠

من هذا يتبين أن الأرقاء لم يكن لهم أى تصرف في أنفسهم . ولا أمل لهم في حياة إنسانية أو شبه إنسانية ٠

وكانت تجارة الرقيق نشطة في أسواق أوربا وموانى جنوة والبندقية وليفورن في ايطاليا . تعج بالمراكب التى تحمل أبناء السود من الجنسين المخطوفين من أفريقيا وبعض دول آسيا وكان أكثر القائمين على هذه التجارة من اليهود ٠

ولم يكن الحال في أمريكا بأقل منه في الدنيا القديمة . فلقد كانت بواخرها تنتقل بين شاطىء أفريقية وبين أمريكا حاملة الألوف من أهل افريقية للاتجار وللزراعة وكانت حالتهم شبيهة بحال إخوانهم في الدنيا القديمة فهم بين العمل والاحتقار والمهانة فكان على غاية الشدة والقسوة وكان مقتضى القانون الأسود أن الحر إذا تزوج بأمة صار غير جدير بأن يشغل وظيفة في المستعمرات ٠

وكانت القوانين تصرح بأن للسيد كل حق على عبده حتى حق الاستحياء والإماته ٠

وكان يجوز للمالك رهن عبده واجارته والمغامرة عليه وبيعه كأنه بهيمة وكان لاحق للأسود أن يخرج من الغيط ويطوف بشوارع المدن إلا بتصريح قانونى . ولكن اذا اتفق واجتمع في شارع واحد أكثر من سبعة من الأرقاء ولو بتصريح قانونى . كان لكل أبيض القاء القبض عليهم وجلدهم وقد صرح قانونهم على أن ليس للعبد روح ولا عقل وأن حياتهم محصورة في أذرعهم (٣) ٠

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٢٧٧ ٠

(٢) الرق في الاسلام ص ٣٢ ٠

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٢٧٨ ٠

ولقد بدأ الغاء الرق في أمريكا في منتصف القرن الثامن عشر وفي سنة ١٧٨٨ م نشبت الحروب بين الولايات الشمالية والجنوبية من أجل اعلان حرية العبيد ، ولم يتحقق إلا سنة ١٨٦٥ م بعد انتصار الشماليين على الجنوبيين وقد ظلت التفرقة العنصرية شائعة سنوات عديدة ولم يكن من الممكن أن يدخل العبيد في الأماكن التى فيها الأسياد ولا أن يركبوا مراكبهم ، وكثيرا ما كان البيض يثورون ضدهم ويشبعونهم ضربا وتقتيلا وكان القانون دائما في صف البيض .

ومع مرور الأيام بدأ يخف هذا النمط من المعاملة حتى أخذ العبيد أو السود كما يسمونهم شيئا من المشاركة في الحياة العامة .

ولقد بقى الرق على شرعيته عند غير المسلمين إلى أن قررت الثورة الفرنسية الغاءه سنة ١٧٧٩ م ومع ذلك فإن عامة البلاد الأوربية والأمريكية ظلت تمارسه إلى نهاية القرن التاسع عشر أى بعد الثورة الفرنسية التى اعلنت مبادىء الحرية والمساواة بين الناس بما يزيد على قرن كامل من الزمن .

وكان الرق في الجزيرة العربية لا يختلف كثيرا عما كان عليه في الأمم الأخرى ، وكانت الحروب الدعامة الكبرى للرق ، فعندما تقوم الحرب ، ويأسر الغالب المغلوب يأخذه أسيرا عنده ، وأيضا كان الرق نتيجة للثراء بعد أن يخطف الرقيق فلقد خطف زيد بن حارثة وهو صغير في أثناء لعبه بعيدا عن أمه وهو عند أخواله ، ثم بيع في احدى الأسواق القريبة من مكة واشتراه حكيم بن حزام ابن أخى السيدة خديجة بنت خويلد ثم اهداه حكيم إلى عمته ولما رأت رضى الله عنها رغبة زوجها الأمين محمد بن عبد الله قبل البعثة أن يلازمه فيقوم بخدمته قدمته إليه هدية فلازم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة وبعدها .

وكانت تجارة الرقيق من أهم موارد الثروة عند أهل مكة في الجاهلية ومن أشهر تجار الرقيق عبد الله بن جدعان ، وكان ذا تجارة واسعة في الرقيق .

ولقد حرم الأرقاء في الجاهلية من كافة الحقوق المدنية ، ومن التصرف في شئونهم الخاصة .

وغالبا ما كنوا يطلقون كلمة السبايا على النساء خاصة وفي ذلك يقول الشاعر :

فـــعادوا بالـــغـــنائـــم حافلات وعدنا بالأسارى والـــســـبايا (١)

---

(١) النظم الاسلامية ص ٣٠١ .

وكان العبد أحيانا ينال حريته وذلك إذا أظهر شجاعة فائقة في الحروب والقتال ضد من يعتدى على سيده وعلى قبيلته . ويحفظ لنا التاريخ قصة عنترة المشهورة ، وعتق وليه وأبوه له ، وجعله حرا يتصرف تصرف الأحرار بعد أن كان عبدا يرعى الغنم ، وأيضا فقد يكون الاخلاص الشديد سببا في العتق .

ومهما يكن من وجود طريق إلى حرية الرقيق فقد كانت قليلة بل نادرة ، وكانت معاملة الرقيق لا تخرج عما كان متبعا في الدول الأخرى .

الرق في الإســـــــلام

جاء الإسلام والعالم تتحكم فيه قوتان كبيرتان هما الفرس في آسيا والروم في أوربا ، والفوارق الطبقية بلغت مداها ، وما يزال الرق منتشرا والرقيق يعاملون وكأنهم جزء من المتاع لا يملكون من أنفسهم شيئا .

جاء الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية بشريعة رب العالمين ، فيها سعادة البشر في الدنيا والآخرة ، ولم تكن دعوته لقوم دون قوم ، أو لطائفة وحدها وإنما هى دعوة لجميع البشر ، في أنحاء المعمورة لا تتقيد بمكان أو زمان إلى يوم القيامة :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (سورة سبأ ٢٨)

وأول ما دعا اليه الإسلام حفظ كرامة المسلم ، وتحريره من كل القيود لا فرق بين أسود وأبيض أو غنى وفقير أو حاكم ومحكوم ، الكل أمام الله سواء .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (سورة الحجرات ١٣) .

ومما يروى في سبب نزول هذه الآية ما روى أنها نزلت في أبى هند أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوه امرأة منهم ، فقالوا يارسول الله ونزوج بناتنا موالينا فنزلت الآية .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لافضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود إلا بتقوى الله » (١) .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٣ ص ٥٧ .

ولقد عامل الإسلام في أول عهده الرقيق الذين اسلموا - وما يزالون قريبين من العهد الجاهلى - أحسن معاملة ، ولم يلغ ما سبق في الجاهلية حتى لا تفسد أمور الناس ، وينشغلوا عن أصل الرسالة بأمور جانبية .

لقد عاملهم معاملة حسنة ، وكان إسلامهم طريقا إلى التخلص من الرق بطريق مشروع كأن يُشْتَرى العبد المسلم من سيده ويعتق كما حصل للعبد بلال بن رباح ، فقد أسلم ، ولكنه ما يزال عبداً لسيده أمية بن خلف الذى أذاق بلالاً كل أصناف التعذيب فكان يتركه في حرارة الشمس القاتلة ساعات الظهيرة كى يرجع عن إسلامه ، ولكنه كان قوى الإيمان فتحمل العذاب الأليم إلى أن جاء أبو بكر الصديق واشتراه واعتقه .

ولقد وجد الرقيق في الإسلام عزا وكرامة ، ووجدوا في أخوة الإسلام ما جعلهم يعيشون أحرارا ، يرتقون بهذه الأخوة إلى أسمى الرتب ولنضرب لذلك مثلا بزيد بن حارثة وابنه أسامة الذى ولى قيادة جيش المسلمين ولما يناهز الثامنة عشرة وقد ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر حياته ونفذه كبار الصحابة بعد وفاته ، ومشى أبو بكر الخليفة رضى الله عنه وهو راكب ، وكان تحت قيادته الصحابة من أمثال عمر وعلى وغيرهما رضى الله عنهم أجمعين ...

ولقد افتخر المسلمون بأن رابع الذين أسلموا كان زيد بن حارثة ، فقد أسلم بعد السيدة خديجة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وعلى رضى الله عنهما .

الاسلام المنقـــذ

إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء . فالإسلام ليس نحلةً قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية الانسان في الاختيار . وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .

سيـــد قطب

دراسات في أصول الفقه

للدكتور علي أحمد محمد بابكر
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالجامعة

الحلقة الثانية

- في الحلقة الأولى من هذه الدراسة الأصولية والتي نشرناها في العدد ٤٦ من هذه المجلة والتي دارت حول أهمية علم الأصول وخصوبته، أشرنا إلى المضمون العام لهذا العلم. ولكن لابد لنا من بيان الحد الاصطلاحي له كما قرره العلماء، ثم مناقشة وتحليل ذلك حتى نخرج بفكرة واضحة لما أراده العلماء من حدهم الذي وضعوه في عبارات مختصرة. ثم ننتقل بعد ذلك لعرض ودراسة مباحث علم الأصول الرئيسية، والتي اشرنا فيما مضى إلى أنها تتطلب الاتصال بعلوم متعددة.

حقيقة علم الأصول :

نلاحظ أن العلماء في تحديدهم لعلم الأصول، منذ أن ظهر هذا العلم منظماً ومكتوباً، قد أوردوا تعريفات متعددة ومتنوعة في صياغتها، ونجد مناقشات تدور حول تلك التعريفات. ولعل هذا التنوع في التعريفات يرجع إلى أسباب نحاول توضيحها فيما يلي :

أولا : يميل بعض العلماء إلى الاختصار الشديد وتقديم أقصر العبارات لإعطاء معنى إجمالي لهذا العلم، بينما يميل البعض الآخر إلى أن تكون الكلمات التي يشتمل عليها التعريف متضمنة بارتياح لذلك المعنى. فيبدو للناظر أن بعض هذه التعريفات غير جامع لمعنى العلم وبعضا آخر غير مانع من دخول علوم أخرى في التعريف.

ومن هنا تتوجه بعض الملاحظات والانتقادات والمآخذ من العلماء على بعضهم.

ثانيا : من الأسباب التى يرجع إليها التنوع فى تعريفات هذا العلم أن بعض الكلمات والعبارات التى تستخدم فى التعريفات تلقى ظلالا وتشير إلى معان زائدة · والبعض الآخر من العبارات والكلمات لها معان محددة · فاستعمال الكلمات التى لها ظلال قد يؤدى إلى اختلاف فى فهمها ومدى أدائها للمعنى المقصود · فيحدث بذلك اختلاف فى الاعتداد بالتعريف أو عدم الاعتداد به ·

أنظر مثلا إلى تعريف الغزالى لهذا العلم حين يقول : « هو عبارة عن أدلة الأحكام وعن معرفة وجوه دلالاتها على هذه الأحكام » (١) · فعبارة وجوه دلالاتها ضمّنها الغزالى القياس ووجوه الاجتهاد العقلى الأخرى · وهى عبارة قد تعطى ذلك المعنى الذى أراده الغزالى ، وقد يرى غيره أنها لا تتسّع لتشمل كل ما أراده بها ، وقد وردت مناقشات حول هذا التعريف نوردها فى مكانها عندما نعرض لهذا التعريف بتحليل أكثر ·

ثالثا : من الأسباب التى يرجع إليها تنوع التعريفات للأصول أن بعض العلماء يعتبر أن الأصول هى المصادر التى تستقى منها الأحكام فحسب ، والبعض الآخر يرى أن الأصول تشمل المصادر والقواعد الأصولية المختلفة والأبحاث التى اشتمل عليها العلم · ومن هنا يخرج بعضهم ما يدخله الآخرون فى مضمون العلم فيحدث الاختلاف ·

رابعاً : اختار العلماء ما يناسب عصورهم المختلفة من عبارات وألفاظ بحيث يسهل على أجيالهم فهم مضمون التعريف من غير كبير عناء · وللتحقق من هذا يمكن النظر فى تعريفات بعض المعاصرين من الأصوليين ومقارنتها بالتعريفات القديمة · فالصياغة ، والأسلوب ، يسببان اختلافا فى صورة التعريف ، وربما يوحيان باختلاف فى المعنى ·

هذه بعض الأسباب التى بدت لنا والتى نظن أنها أدت إلى الاختلاف فى تعريف علم الأصول فى كتبه المختلفة على مرّ العصور · وربما كانت هنالك أسباب أخرى لم تبد لنا فى هذه الساعة التى نكتب فيها هذا البحث ·

وينبغى أن لا يفهم من ذكر هذه الأسباب ومن إيضاح أن هنالك اختلاف فى صورة التعريفات التى وردت فى كتب الأصول أن هذا الاختلاف هو اختلاف مخلّ بالمضمون يؤدى إلى تعارض فى المعنى ، ولكن هذا الاختلاف ربما يحدث فرقا فى توسيع المعنى أو تضييقه حسب ما سنرى بعد أن نعرض بعض نماذج من هذه التعريفات ونتعرض لتحليلها ومقارنتها ·

---

(١) المستصفى جـ ١ ص ٤ ـ ٥ ·

بعد هذه الملاحظات التى أبديناها حول اختلاف تعريفات علم الأصول التى وردت فى كتبه ، نورد بعض هذه التعريفات ولا نستقصيها لتساعد فى توضيح النقاط التى اثرناها فى الفقرات السابقة ، ثم نتوصل إلى تقرير أوضح حد لعلم الأصول · ونرجو أن لا يمل القارىء عرض هذه التعريفات التى سنوردها تباعا من غير تعليق ، ثم نعقب عليها بتعليق مجمل يسهّل مقارنتها ويوصل إلى الخلاصة ·

أول تعريف نورده هو التعريف الذي أورده أبو الحسين البصرى (١) فى كتابه المعتمد فى الأصول والذى كان شرحا لكتاب العمد فى الأصول للقاضى عبد الجبار بن أحمد (٢) بحسبان أن هذا الكتاب هو أقدم الكتب الأصولية بعد رسالة الإمام الشافعى ألف على طريقة الشافعية ، وأن الإمام الشافعى فى رسالته نثر مفهوم علم الأصول فى عبارات مطولة ومشروحة خلال بيان مفهوم هذا العلم فلخص أبو الحسين البصرى هذا المفهوم فى عبارات محددة كما لخصها من بعده الإمام الغزالى فى كتابه المستصفى فى تعريف مشابه لتعريف أبى الحسين ، كما سنورد ذلك ·

يقول أبو الحسين البصرى فى تعريفه لعلم الأصول : « هو طرق الفقه على طريق الإجمال ، وكيفية الاستدلال بها وما يتبع كيفية الاستدلال بها » (٣) ·

وقد شرح أبو الحسين هذا التعريف الذى أورده بأنه أراد بطرق الفقه على وجه الإجمال أن هذه الطرق غير معينة مثل أن يتكلم الفقيه عن أن الأمر للوجوب والنهى للتحريم وكذلك إذا تكلم فى مطلق الإجماع والقياس · فليس الحديث فى هذه الأمور مثل الحديث فى أدلة الفقه التفصيلية المعينة مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » فهذا ينتمى إلى الفقه وليس لأصوله ·

وشرح كيفية الاستدلال بأنها : الشروط والمقدمات وترتيبها الذي يستدل معه بالطرق على الفقه ـ أما ما يتبع كيفية الاستدلال فقد بينه بأنه الحديث عن المجتهدين ·

وعند مقارنتنا للتعاريف التى سنوردها سندرك وجوه الاتفاق والاختلاف بينها ، ووجوه التقارب ·

وبما أننا أوردنا تعريفا قديما من تعريفات العلماء الذين كتبوا فى الأصول على طريقة الشافعية ، فينبغى أن نورد هنا أيضا تعريفاً من التعريفات القديمة التى أوردها العلماء

---

(١) توفى أبو الحسين البصرى فى ربيع الآخر سنة ٤٣٦ هـ (أنظر وفيات الأعيان) ·

(٢) توفى عبد الجبار بن أحمد فى عام ٤١٥ هـ ·

(٣) المعتمد : جـ ١ ص ٩ ·

الذين كتبوا فى الأصول على طريقة الحنفية (١) وسنورد هنا التعريف الذى أورده البزدوى (٢) لأن البزدوى من أهم العلماء الذين كتبوا فى الأصول على هذه الطريقة ، وقد اعتمد عليه المتأخرون من علماء المدرسة الحنفية فى كتابتهم فى أصول الفقه . على الرغم من أنه كان مسبوقا بعدد من علماء الأحناف الذين كتبوا فى الأصول ، وكان أسبقهم أبو الحسن الكرخى (٣) الذى ألف رسالة فى الأصول ذكر فيها الأصول التى عليها مدار فقه الأحناف . ولكنه لم يضع تعريفا محددا لعلم أصول الفقه كما وضعه البزدوى .

يقول البزدوى فى تعريف هذا العلم :

« اعلم أن أصول الشرع ثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع والأصل الرابع القياس بالمعنى المستنبط من هذه الأصول » (٤) .

أما أبو حامد الغزالى الذى اتبع فى تعريفه لشيخه إمام الحرمين (٥) فيقول : « افهم أن أصول الفقه عبارة عن أدلة هذه الأحكام وعن معرفة وجوه دلالاتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل » (٦) .

وقد أورد ابن قدامة نفس هذا التعريف مع الاختصار قليلا حيث قال : « وأصول الفقه أدلته الدالة عليه من حيث الجملة لا من حيث التفصيل » (٧) .

ونسبة لأن تعريف ابن الهمام يعطينا نموذجا مستقلا متميزا عما أوردنا من تعريفات فيستحسن أن نورده للاستفادة منه فى تحليل هذه التعريفات . يقول ابن الهمام : « أصول الفقه هو القواعد التى يتوصل بمعرفتها إلى استنباط الفقه » (٨) .

ونختم نماذج تعريفات القدماء بما أورده الإمام الشاطبى (٩) فى كتابه الموافقات من بيان يريد به توضيح معنى أصول الفقه ، وهذا البيان الذى أورده يتناسب مع أسلوبه فى

---

(١) كانت الكتابة في أصول الفقه فى القديم على طريقتين : طريقة الشافعية وطريقة الأحناف . ثم اندمجت الطريقتان فيما بعد كما سنوضح ذلك في فصل خاص .

(٢) توفى سنة ٤٨٢ هـ .

(٣) توفى ببغداد سنة ٣٤٠ هـ .

(٤) أصول البزدوى . جـ ١ ص ١٩ ـ ٢٠ الخ .

(٥) توفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٦) المستصفى جـ ١ ص ٤ .

(٧) روضة الناظر ص ٤ .

(٨) التحرير وشرحه جـ ١ ص ٢٤ .

(٩) توفى سنة ٧٩٠ هـ .

الكتابة · ومع أنه أطول من التعريفات المعهودة فسنورده كآخر نموذج من التعريفات القديمة ، يقول الإمام الشاطبى :

« الأدلة الشرعية ضربان أحدها ما يرجع إلى النقل المحض ، والثانى ما لا يرجع إلى النقل المحض · وهذه القسمة بالنسبة إلى أصول الأدلة · وإلا فكل واحد من الضربين مفتقر إلى الآخر · لأن الاستدلال بالمنقولات لا بد فيه من النظر · كما أن الرأى لا يعتبر شرعا إلا إذا استند إلى النقل · فأما الضرب الأول فالكتاب والسنة ـ وأما الثانى فالقياس والاستدلال · ويلحق بكل واحد منهما وجوه إما باتفاق وإما باختلاف · فيلحق بالضرب الأول الإجماع على أى وجه قيل به ، ومذهب الصحابى ، وشرع من قبلنا ، لأن ذلك وما فى معناه راجع الى التعبد بأمر منقول صرف لا نظر فيه لأحد · ويلحق بالضرب الثانى الاستحسان ، والمصالح المرسلة إن قلنا إنها راجعة الى أمر نظرى ، وقد ترجع إلى الضرب الأول إن شهدنا أنها راجعة إلى العمومات المعنوية ـ ثم نقول : إن الأدلة فى أصلها محصورة فى الضرب الأول · لأنا لم نثبت الضرب الثانى بالعقل وإنما أثبتناه بالأول ـ وإذا كان كذلك فالأول هو العمدة » (١) ·

والآن نورد بعض نماذج من تعريفات المعاصرين لعلم أصول الفقه · فقد عرفه الشيخ الخضرى بقوله : « أصول الفقه هو القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة » ·

وعرفه الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله : « هو العلم بالقواعد والبحوث التى يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية (٢) ·

ونختم نماذج التعريفات المعاصرة بالتعريف الذى أورده الشيخ أبو زهرة ونكتفى بذلك لتشابه التعريفات المعاصرة ، بل يمكن أن نقول تطابقها حتى فى الألفاظ · يقول الشيخ أبو زهرة : « أصول الفقه هو العلم بالقواعد التى ترسم المناهج لاستنباط الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية (٣) ·

هذه نماذج من التعريفات التى أوردها العلماء على مر العصور لعلم الأصول ـ وهى تعريفات تمثل آراء العلماء فى المدارس الفقهية المختلفة إلى حد ، من القرن الثانى الهجرى إلى عصرنا هذا ·

وبإلقاء نظرة فاحصة على هذه التعريفات ومقارنتها ، نخرج بملاحظات عامة ، نخلص

---

(١) الموافقات جـ ٣ ص ٢٤ ـ ٢٥ الخ ·

(٢) أصول الفقه لخلّاف ص ١٢ ·

(٣) أصول الفقه لأبى زهرة ص ٧ ·

بعدها إلى نتيجة توضح ما إذا كان هذا الاختلاف فى شكل وصورة التعريفات يشكّل اختلافاً فى المضمون ، والملاحظات العامة تتلخص فيما يلى :

الملاحظة الأولى هى : أن جميع هذه التعريفات تدور حول ثلاثة أمور : فهى إما أن تشير إلى منابع الفقه ومصادره ، أو تشير إلى القواعد المستخدمة لإستخراج الأحكام من هذه المنابع ، أو تشير إلى الأمرين معاً .

الملاحظة الثانية هى : أننا بتتبع الكتب التى ألفت فى الأصول ، لم نجد اختلافا فى وضع منابع الأصول ومصادرها ودراستها فى بداية جميع هذه المؤلفات بلا استثناء ـ ثم تأتى بعد ذلك الأبحاث التى تتضمن القواعد المختلفة التى يتوصل بها إلى استخراج الأحكام .

الملاحظة الثالثة هى : أن المتأخرين تأثروا بالمتقدمين من حيث المذهبية ، فجاءت صياغة التعريفات متماثلةً تقريباً بين فقهاء المدرسة الواحدة . مثلا فقهاء المدرسة الشافعية ومن تبعهم تشابهت تعريفاتهم وفقهاء المدرسة الحنفية تشابهت تعريفاتهم .
فالتعريفات التى أوردناها للمؤلفين المعاصرين كلها تأثرت بالتعريف الذى أورده صدر الشريعة الحنفى . وبما أننا لم نورد تعريفه فيما مضى فإننا نقول إن صدر الشريعة عرف الأصول بقوله : « وعلم أصول الفقه العلم بالقواعد التى يتوصل بها إليه (١) على وجه التحقيق » فانظر إلى التشابه بينه وبين التعريفات المعاصرة .

الملاحظة الرابعة هى : أن بعض الأصوليين يبدأ تعريفه بقوله : هو العلم بكذا . وبعضهم يحذف كلمة العلم هذه ويبدأ تعريفه بقوله : هو كذا . وطبعا العلم بالشىء ليس هو حقيقة الشىء . وربما تأثر بعض المعاصرين ببعض المتقدمين فى ذكر هذه الكلمة فى أول التعريف .

هذه بعض الملاحظات التى نلاحظها ونحن نقرأ تعريفات الصيغ المختلفة لتعريفات علم الأصول التى أوردها العلماء على مرّ العصور .

ومن ذلك نستطيع أن نقول : إن الذين أرادوا أن يقصروا التعريف على القواعد المتبعة لاستخراج الأحكام فقط بحيث لا يشمل المصادر نفسها قد حذفوا من التعريف ما لا يمكن إهماله . حتى هم أنفسهم لم يستطيعوا الاكتفاء بالقواعد فقط فى كتاباتهم ، بل بحثوا المصادر نفسها أولا ، ثم بحثوا القواعد التى تتبع لإستخراج الأحكام من هذه المصادر . ولأن كلمة أصول نفسها أقرب إلى المصادر منها إلى أى شيء آخر .

---

(١) قوله إليه الضمير راجع إلى الفقه .

أما الذين قصروا تعريفهم على المصادر فقط فقد اعتبروا أن حديثهم عن المصدر كالقرآن مثلا يتضمن الحديث عن القواعد المتبعة لاستخراج الأحكام من القرآن من تفسير مجمل أو تخصيص عام الخ وهذا أقرب فيما يبدو ·

ولكن التعريف الأشمل فيما نرى هو الذى يشمل الطرفين : المصادر والقواعد ، ولعل التعريف الذى نقلناه عن الغزالى هو التعريف الشامل للطرفين ·

ولعل هذه النتيجة التى توصلنا إليها هى التى توصل إليها التفتازانى (١) عندما كان يبحث فى حقيقة علم الأصول قال : « ثم نظروا ـ أى العلماء ـ فى تفاصيل تلك الأدلة ـ يشير إلى الأدلة الفقهية ـ فوجدوا أن الأدلة راجعة إلى الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس · والأحكام راجعة الى الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة وتأملوا فى كيفية الاستدلال بتلك الأدلة على تلك الأحكام إجمالا ، وبيان طرقه وشرائطه ـ أى الاستدلال ـ ليتوصل بكل من تلك القضايا إلى استنباط كثير من تلك الأحكام الجزئية عن أدلتها التفصيلية · فضبطوها ودونوها وأضافوا إليها من اللواحق والمتممات وبيان الاختلافات ما يليق بها وسموا العلم بها أصول الفقه » ·

ولكن التفتازانى بعد وصوله إلى هذه النتيجة يعود فيقول : « فصارت ـ أى أصول الفقه ـ عبارة عن العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه » (٢) ولو قال : فصارت عبارة عن المصادر والقواعد الخ لكان التعريف مطابقا تماما لما سبقه من تفصيل ·

لقد اطلنا فى تحقيق معنى علم الأصول ـ ولكنا نظن أن هذا التحقيق ضرورى لمعرفة النتيجة التى يسوق إليها اختلاف الصيغ التى وردت فى تعريف حقيقة هذا العلم · والآن ننتقل إلى الحديث عن مباحث علم الأصول ·

مباحث علم الأصول إجمالا :

من خلال تعريف وتحليل علم الأصول فى الفقرات الماضية نستطيع أن نلمح المباحث والمواضيع التى يتعرض لها ويبحثها العلماء فى هذا العلم · ولكن لا بد من عرض سريع به بعض التفصيل يلقى ضوءاً على مباحث هذا العلم ، ووجه بحثها فيه ، وارتباط هذه المباحث ببعضها · كما يوضح هذا العرض علاقة بعض العلوم الفرعية بعلم الأصول مثل علم الخلاف (٣) وقواعد الفقه العامة ·

---

(١) توفى سنة ٧٩٢ هـ ·

(٢) التلويح على التوضيح ·

(٣) أنظر الغزالى ، المستصفى جـ ١ ص ٤ ـ ٥ ·

ولن نتعرض فى هذا الفصل للعلوم التى اشرنا إليها من قبل فى معرض حديثنا عن خصوبة علم الأصول ، لأن تلك علوما مساعدة للتمكن من علم الأصول ، وليست من المباحث الأساسية التى درج علماء الأصول على بحثها فى كتبهم ·

سنحاول ما أمكن إعطاء فكرة عن المباحث تقارب الصورة التى بسطها الأصوليون فى تأليفاتهم مع محاولتنا تبويبها على وجه يتمشى مع ترابط وتسلسل تلك المباحث · وسيكون عرضنا لهذه المباحث إجماليا بحيث نذكر رأس المبحث ونعلق عليه تعليقاً خفيفا ونترك تفصيل المبحث إلى مكانه من العلم ·

وعليه فربما يبدو عرضنا لمباحث علم الأصول مجملا جدا ، وهو المقصود هنا · لأن المطلوب هو التعريف الإجمالى بتلك المباحث ·

بعض هذه المباحث التى سنتعرض لها هنا ربما تبدو غير مندرجة فى مباحث هذا العلم ، لأن العلماء ظلوا يبحثونها فى كتب أخرى ، لكنها ـ كما نرى ـ من المباحث التى يجب أن ترتبط بمباحث علم الأصول ، مثل مبحث الثبات والمرونة فى الشريعة ·

ولا بد من أن يتصدر المباحث المندرجة فى علم مبحث نشاة علم الأصول وتدرجه والكتابة فيه وأساليبها وأسسها · مع أن العلماء بحثوا هذا الأمر ضمن تاريخ التشريع · لكن حين يكون هذا المبحث متصدرا لمباحث علم الأصول فإنه يساعد كثيرا على فهم العلم ، وفهم أصول المذاهب المختلفة ، وكيف تكونت · وبالطبع فإن مثل هذا المبحث يعده كثيرون مبحثاً تاريخياً ما كان ممكنا أن يتصدر كتب الأقدمين ، خاصة الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذا العلم مثل الإمام الشافعى ، لأنهم كانوا يؤسسون علما لم يسبقهم عليه مؤلفون ـ أما اليوم فهناك رصيد من الماضى يمكن أن يكون تقديما مفيدا لمباحث علم الأصول ·

وفيما يلى من الفقرات نعرض لهذه المباحث إجمالا كما أشرنا :

١) أول المباحث التى بحثها الأصوليون فى هذا العلم هو مبحث بيان حقيقة هذا العلم وهو المبحث الذي قدمناه على هذه الفقرات المخصصة للمباحث ·

٢) الحكم الشرعي :

يقع الحكم الشرعى ـ بعد بيان حقيقة الأصول ـ على رأس مباحث علم الأصول · فجميع علم الأصول ومباحثه هو وسيلة للتوصل لاستخراج الأحكام الشرعية · فالحكم هو محور العلم كله وغايته التى يهدف اليها ·

ففى تعريفنا لعلم الأصول قلنا إنه : أدلة الأحكام ووجوه دلالاتها على الأحكام ·

فالغاية من العلم واضحة من هذا التعريف وهى التوصل إلى الحكم الشرعى · ومن هنا كان مبحث الحكم على رأس مباحث الأصول · وهذا المبحث فيه تفصيلات كثيرة مثبته فى مكانها من كتب الأصول ·

٣) الحـــاكم :

ومبحث الحاكم من المباحث الأصولية التى يوضح فيها من تصدر عنه الأحكام الشرعية ، ثم يوضح فيه إجمالا مكان العقل البشرى من التشريع · أما مكان العقل من التشريع تفصيلا فله مباحث أخرى معنونة بعناوين خاصة تأتى فى الفقرات التالية · فالحكم الشرعى لا بد له من مصدر ينطلق منه · ومن هنا جاء مبحث الحاكم تاليا لمبحث الحكم ·

٤) التكليف والمكلف :

عندما يصدر الحكم من الحاكم فإنه يتطلب من يكلَّف به لتطبيقه وتنفيذه · من أجل هذا ارتبط مبحث التكليف وحدوده بمباحث الأصول لأنه متفرع عن الحكم · وكذلك المكلَّف (بفتح اللام) معرفته ترتبط بمبحث الحكم · ومن هنا كانت له أهميته بين مباحث علم الأصول ·

٥) أفعال العباد :

وهى ما يشير اليها الأصوليون بالمحكوم فيه · وهو مرتبط بمبحث التكليف · ويمكن أن يكوّنا معاً مبحثا واحدا ، لأن حدود التكليف · والأفعال التى يكلف الله بها عباده أمر يكاد يكون واحدا · ومن نقاط مبحث أفعال العباد صفات الأفعال أى أفعال الناس وحسنها وقبحها العقليين ، واتفاق واختلاف تلك الصفات مع أحكام الشريعة من واجب وحرام .. الخ ·

ولقد درج بعض الكتاب فى أصول الفقه أن يشيروا إلى أن هناك أبحاثاً دخلت ميدان الأصول وهى ليست منه ويضربون مثلا لذلك بمبحث صفات أفعال العباد من حسن وقبح عقليين وما يتعلق بذلك · ولاشك أن أفعال العباد من الجانب الذى بحثها منه الأصوليون من المباحث الهامة فى هذا العلم ، ولم يدخله علماؤنا المتقدمون فى هذا الميدان إلا بعد إدراكهم لخطورة هذا الموضوع بالنسبة لعلم الأصول · وإدراكهم أنه يتعلق تعلقا وثيقاً بعلل الأحكام ، ومدى اتفاق الشرع والعقل فى علة الحاكم وتأثير ذلك فى الحكم ، وهل يدرك العقل الحكم بإدراكه لصفات الأفعال من غير معاونة الشرع ، وهل يترتب على ذلك شيء فى الآخرة ، إلى غير ذلك من النقاط الهامة التى لها اتصال مباشر بالحكم الشرعى (١) ·

---

(١) أنظر الآمدى · الإحكام جـ ٣ ص ١٠٦ الخ ·

٦) تعليل الأحكام :

هذا من المباحث الأصولية التى لها أهمية قصوى · وقد درج العلماء على مناقشة هذا الموضوع وعرضه اثناء عرضهم لباب القياس على أساس أن هذا الموضوع هو ركن من أركان القياس · ولا شك أنه ركن من أركان القياس ولكن لو نظرنا الى تعليل الأحكام لوجدناه يرتبط بالمصالحُ عموماً · كما وأن الأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة منها ما له علله ومقاصده التى ينبغى ان تعرف حتى اذا لم نكن محتاجين لاستخدام القياس فى موضوعها · ويرتبط موضوع التعليل أيضا بموضوع تحديد أهداف الشريعة العامة · وسنفرد للأهداف بندا خاصا من بين بنود هذه المباحث · ويرتبط مبحث تعليل الأحكام بمباحث الأسباب والشروط والموانع الخ (١) ·

وبحث موضوع التعليل فى باب مستقل لا يعنى ان نمنع عرضه كركن من أركان القياس · بل يعرض هناك بوصفه ركناً من الأركان اما عرض التعليل مفصلا من حيث حقيقته فى الشريعة فينبغى أن يعقد له فصل مستقل لأهميته بالنسبة للتشريع ·

٧) الكتـــاب :

مبحث القرآن الكريم كمصدر رئيسىّ للتشريع هو المبحث الرئيسى فى علم الأصول · وقد رأينا أن يتأخر فى ترتيب بحثه ـ كما درج علماء الأصول ـ ليتمكن الدارس من إدراك الحكم وما يتعلق به من أبحاث · لأن الحكم هو المقصد الذى نزل القرآن الكريم لبيانه · ومن هنا كان تقديم مبحث الحكم على مبحث الكتاب · ليدخل الدارس على الكتاب ولديه تصور لما يهدف الكتاب الكريم لبيانه ·

وفى مبحث الكتاب تقدم الدراسات التى يحتاج إليها في تصور القرآن الكريم عموماً لا تفصيلاً ، ويحتاج اليها فى بيان أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذى ترجع اليه كل الأصول ·

٨) الســنّة النبويــة :

يأتى مبحث السنة النبوية عقب مبحث القرآن الكريم فهى الأصل الثانى والمكمل للأصل الأول · وما قلناه فى تأخير مبحث القرآن عن مبحث الحكم الشرعى وما يتعلق به نقوله أيضاً هنا فى تأخير مبحث السنة عن الحكم الشرعى · وتبحث السنة فى علم الأصول من حيثيات مختلفة · من حيث مكانتها فى التشريع وكيفية أخذ الأحكام منها ومقارنتها مع

---

(١) أنظر الغزالى المستصفى جـ ١ ص ٨ ·

الأصول الأخرى إلى غير ذلك من المباحث المستفيضة والتى يطلبها الدارس فى مكانها من علم الأصول ·

٩) الإجمـــاع :

مبحث الإجماع هو المبحث الثالث الذى يلى مبحث السنة وهو المصدر الثالث من مصادر الأحكام · وفى حقيقته ومستنده ومراتبه والأخذ به تفصيلات مبسوطة فى مكانها ·

١٠) الألفاظ وتفسـيرها :

هذا مبحث واسع من مباحث الأصول ويشتمل على فصول عديدة وهو من أهم مباحث هذا العلم · ففى هذا المبحث تدرس كيفية فهم وتفسير ألفاظ القرآن والسنة ببيان معانى ألفاظ هذين المصدرين الرئيسيين ودلالاتها واشاراتها وأمرها ونهيها وعمومها وخصوصها واطلاقها وتقييدها وناسخها ومنسوخها ووضوحها وعدم وضوحها ومنطوقها ومفهومها ·

١١) القياس والمصادر العقليه الملحقة به :

ومبحث القياس والمصادر العقلية الأخرى كالمصالح المرسلة والاستحسان والعرف والذرائع والمخارج ، هذا المبحث من المباحث المهمة فى ميدان الأصول ـ وقد حدث عليها اختلاف كبير مما جعل تفصيلاتها ومناظراتها ومناقشاتها مستفيضة فى كتب الأصول ، لأن جميع هذه المباحث تقوم على العلة المعقولة لتبنى عليها الأحكام من خلال هذه الأ بواب · ولقد عد بعض علماء الأصول القياس وبقية الأصول العقليه من وجوه دلالات نصوص القرآن والسنة ولم يجعلوها أصولاً قائمة بذاتها (١) وجعلها بعضهم أصولا قائمة بذاتها ولكنها مرتبطة بالنصوص وبأهداف الشريعة التى حددتها النصوص · وليس هنالك فرق بين المذهبين فى الحقيقة ·

١٢) الاجتهـــاد :

هذا المبحث حقيقته جمع وتلخيص وترتيب للمباحث السابقه خاصة مباحث الألفاظ والمصادر العقليه · حيث أن تلك الأبحاث تحدد كيف تستخرج الأحكام من النصوص ومن معقول النصوص ـ والاجتهاد فى النهاية لا يعنى أكثر من هذا المضمون ـ وفى هذا المقام تدرس نقاط عديدة من بينها : المجتهد وأحواله ويلحق بذلك الافتاء ·

---

(١) أنظر الغزالى جـ ١ ص ٩ ·

١٣) التقليـــــد :

التقليد من مباحث علم الأصول وان لم تناقشه بعض كتب الأصول · فبدراسته يتبين الحد الفاصل بين الاجتهاد والتقليد · فالتقليد هو ضد الاجتهاد كما وأن المقلد هو فى مقابلة المجتهد ·

١٤) مباحث متفرقـــة :

هنالك مباحث أخرى متفرقة تدرس فى علم الأصول لمعرفة ما اذا كانت مضامينها أصولا تستقى منها الأحكام أم لا نذكرها جملة هنا · تلك المباحث هى : الشرائع السماوية السابقة للإسلام ، قول الصحابى · الاستصحاب ·

١٥) أهداف الشريعة العامة ومبادئها :

على الرغم من أن هذا المبحث مرتبط بتعليل الأحكام لكن رأينا تخصيصه بمبحث خاص · فربما يفهم من مبحث تعليل الأحكام أن المقصود من ذلك بحث علل الأحكام الفردية · لذا رأينا أن ندقق على أهمية دراسة مقاصد الشريعة العامة من حفظ دين ونفس وعقل ومال ونسل ومن تيسير ورفع حرج ··· الخ ·

١٦) الثبات والمرونة فى شريعة الإسلام :

هذا المبحث ينبغى أن يدرج ضمن علم أصول الفقه مع أنه بحث فى كتب مستقلة · ولكنى أرى أنه من صميم علم الأصول · فتحديد الأصول والمبادىء التى تقوم عليها مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان من قياس ومصالح والأصول التى يقوم عليها ثبات بعض الأحكام من خصوص وتقييد وتفسير ، كل ذلك لا يتأتى الا من خلال علم الأصول · فهو الميزان الذى نزن به تلك الأسس التى تقوم عليها مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان وهو المقياس الذى نميز به الأحكام التعبدية من الأحكام المدركة عقلا والأحكام الخاصة والمقيدة وغيرها مما لا يدخله تغيير ابدا والأحكام الاجتهادية غير المجمع عليها مما يمكن ان يخضع لاجتهادات جديدة ·

ففى نظرنا أن هذا الموضوع ينبغى أن يلحق بمباحث الأصول ·

هذا مجمل ما أردنا أن نقوله هنا حول بيان حقيقة علم الأصول ومباحثه ·

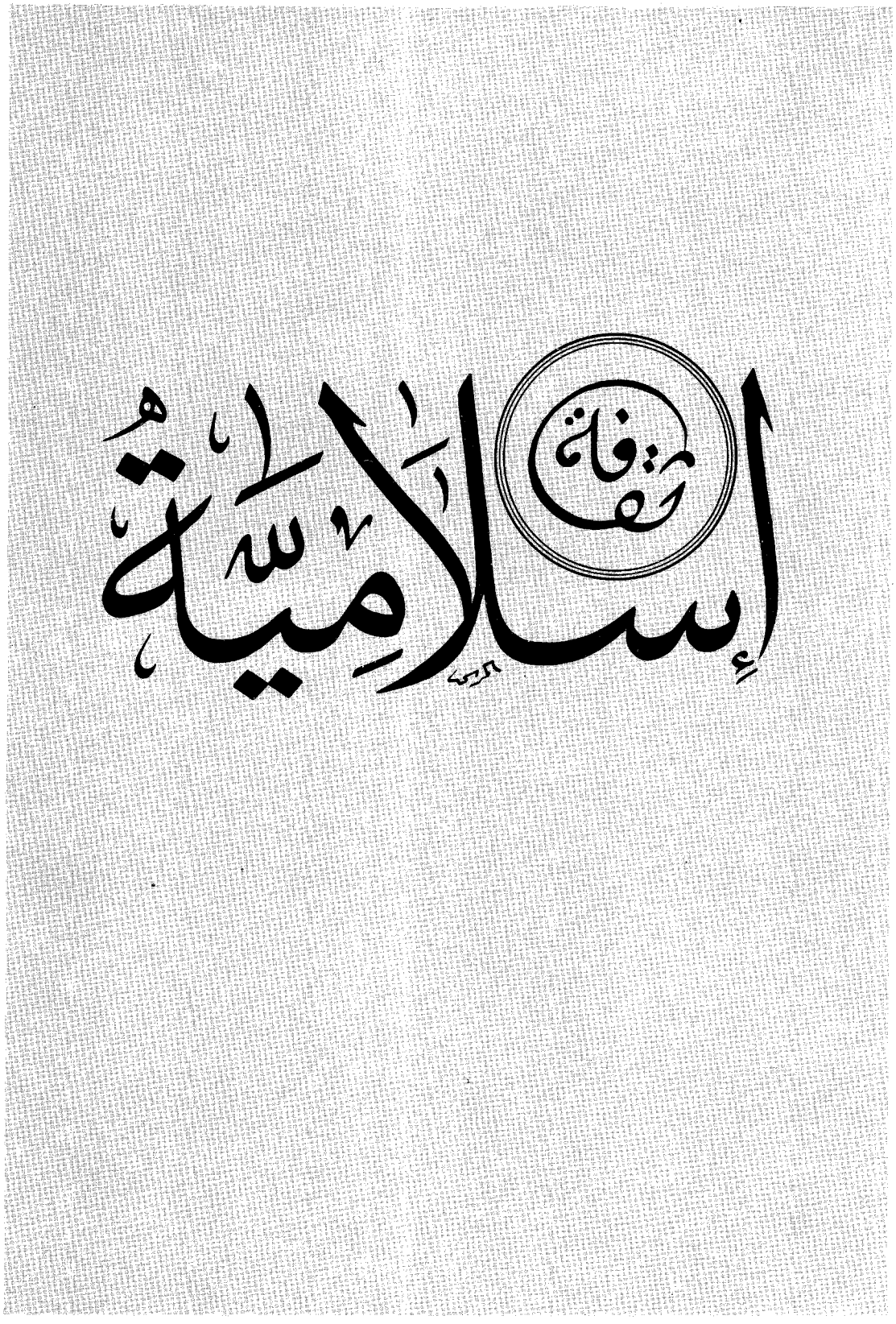
ثقافة
إسلامية

القرآن الكريم
بين الدراسة والتطبيق

للشيخ محمد الراوى
رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن تحولا هائلا قد وقع في الأرض بنزول القرآن صارت معه قافلة الحياة على هدى ونور ونشطت مع فجره نفوس لبت نداء الله فأحياها وجعل لها نورا تمشى به بين الناس وبقى القرآن للحياة بقاء النور في الكون لا يتوقف مده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولم أر شيئا تفجرت به ينابيع الحكمة وامتدت أنهار المعرفة في غير انقطاع كما تم للقرآن الكريم . لقد شغل الناس جميعا من آمن به ومن أعرض عنه وأثر في هذا وذاك مطاوعة ومكابرة ، تأييدا ومعارضة ونجاة وهلاكاً ورفعا وخفضا وحربا وسلما وهزيمة ونصرا ، وظل القرآن في جميع الأحوال وسيظل عزيزا شامخا أبيا ولو تكسرت من حوله السيوف أو ضعفت النفوس « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

لقد نزل القرآن وبنزوله طويت الكتب وختمت الرسالات وحفظت للناس أسباب الحياة وصان الله كتابه من التزييف والتبديل ومضى القرآن في الحياة يعلن الرسالة رسالة الأنبياء جميعا كما جاءت من عند الله وتقيم الحجة على الناس جميعا وعلى أهل الكتاب ويدعوهم إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (الأعراف ١٥٨) .

مضى القرآن يدعو الناس في كل زمن ويتلى عليهم في كل مكان ويحمله موجات الأثير إلى كل بيت ومن قبل كان ينتقل مع حركة الحياة إلى كل مكان هاديا في تجارة تعبر البحار ومع قافلة تنقل الزاد والمتاع وكانت هذه الحركة في نشاطها أسبق وأقوى من وسائل عصرها .. هاكم ساحة الأمن أمام أعيننا ... سلوا التاريخ وسلوا أنفسكم كيف امتد القرآن في هذه الساحة الواسعة بوسائل العصر الذى نزل فيه وكيف استطاع أن يقوم الألسن مع اختلافها ويجعلها تنطق به كما نزل من عند الله أليس من عجائب القرآن أن ترى على الفطرة رجلا يجلس في ظل شجرة تنبت بعيدا عن موطن الوحى يكتب من آيات الله مايكتب ثم يردد بلسان عربى مبين « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » (الزخرف ٤٣) ولو جلست تخاطبه باللسان العربى في غير القرآن لاضطربت الألفاظ وذهبت الكلمات وجاءت الاشارات .

ولا أنسى ما حييت منظر بائع متجول في نيجيريا يبيع الفاكهة والثمار يأتى ويجلس في جانب الدار ليبيع ما قدر له ولا يمل من قرب إذا غبت عنه يؤثر البقاء في الظل ولو طال الوقت وعلى وجهه بسمة مشرقة لا تفارقه اشترى الناس منه أو أعرضوا عنه .. خرجت يوما وقد تعودنا عليه فوجدته قد بدأ التلاوة في سورة الأعراف فلم أخاطبه في بيع أو شراء وآثرت أن أسمع وهو يتلو حتى فرغ من القراءة فلم يقع في لحن ولا خطأ مع طول ما قرأ وكنت قد تعودت عند البيع والشراء أن استعمل أصابع اليد في تحديد السعر من أخذ وعطاء اليس دليلا على تيسير الله وهدايته أن ترى ماهرا في القرآن من وصفت حاله ولسانه فلا يتتعتع فيه ولا يكون عليه شاقا . أليس هذا دليلا على عزة القرآن وغلبته أن تتوحد الألسنة المختلفة عند تلاوته كما تتوحد القلوب المتنافرة بتوفيق من الله عند جبله وقد تعجز جميع الوسائل من أن توحد بين اللهجات المختلفة لأصحاب اللغة الواحدة واللسان الواحد كما تعجز في انفاق ما في الأرض جميعا أن تؤلف بين قلبين لا يجمعهما الإيمان ونفسين لا يقود سعيهما القرآن « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » (الاسراء ٩) .

اى والله للتى هى أقوم في كل شىء وانى أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » إن فيه غنى لطالب الحق والراغب فيه ومن قبل كانت المعجزات لزمن محدود لا يتأثر بها إلا من رآها أو عاش في عصرها فهى لا تدوم ولا تكون حجة إلا لمن رآها ولمن شاهدها من جيل أو قبيل . أما القرآن فآية لا تزول وهو حجة على كل من بلغه إلى أن يرث الله الأرض ومن

عليها · آيات تتلى على جميع الناس في كل زمان ومكان » وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون · وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » ومن لم يكفه القرآن فالنار أولى به فإن الجبال الشم لو خوطبت به لكان حالها كما ذكر الله « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ·

القرآن يتلى على الناس فهو حجة لهم أو حجة عليهم « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » وكما قال السلف : ما جالس أحد القرآن وقام عنه سالما إما أن يربح أو يخسر وقال ابن مسعود رضى الله عنه القرآن شافع مشفع وحاصل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار . وعنه قال يجىء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا إلى الجنة أو شاهدا عليه فيكون سائقا إلى النار · وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن فإن من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فقذفه في النار فقد ورد في السنة الصحيحة ما يؤكد أن موقف الإنسان يتحدد بموقف القرآن شهادة له أو عليه · روى مسلم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين · وروى مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا يقدمهم سورة البقرة وآل عمران يحاجان عن صاحبهما ·

إن القرآن يتلى وبتلاوته تقوم الحجة وتنقطع المعذرة « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون » ·

آيات تتلى على جميع الناس وترى في الآفاق والأنفس وفي كل زمان · والناس غاديان فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قال أبو بكر بن عباس قال لى رجل مرة وأنا شاب : خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من ربق الآخرة فان أسير الآخرة غير مفكوك أبداً قال فوالله ما

نسيتها بعد . وكان بعض السلف يبكى ويقول ليس لى نفسان إنما لى نفس واحدة إذا ذهبت لم أجد أخرى . القرآن يتلى ولذا تستطيع أن تقول إن جانب الدراسة لم ينقطع أبدا منذ نزول القرآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن الدراسة لاتحتاج لفلسفة متعمقة إنما تحتاج لتلاوة متدبرة وقلوب حاضرة تعرف مقاصد القرآن وهدايته وتستمسك به في نزاهة لا يخالطها هوى أو رغبة ، ولا تقعدها حظوظ عاجلة أو يأسرها منفعة باطلة وعندئذ تقترن الدراسة بالتطبيق وينتصر الحق في نفس الإنسان ويتغلب على هواه ويستطيع الإنسان أن يعرف ذلك من نفسه حين يصادم مطلب الحق مقاصد النفس من مطالب وشهوات فإما أن يؤثر الحق ويرضى به وإما أن يركن إلى النفس ويخلد للأرض . ولا تمر الحياة على إنسان دون تجربة أو امتحان « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت آية ١ ـ ٣ ، (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » محمد آية ٣١ .

وكل جيل من الأجيال يمر بالتجربة ، ويأتى الجزاء من جنس العمل جزاء المحسن على إحسانه وجزاء المسىء على إساءته « ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » والقرآن الكريم يسجل لنا نتائج كل شىء وبين سمات الهالكين وصفات الناجين لكى نعى ونتدبر ونحذر « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » ومع القرآن الكريم لنعرف سنن الله في خلقه ونبصر عواقب الأمور ونتائجها ونرى من تأسوا بنبيهم وكان القرآن لهم خلقاً كيف صدعوا به وارتقوا ؟! والقرآن يوضح لنا مواطن الفوز والنجاة ويبين خصائص من يرفعهم الله ومن يخفضهم ، تقرأ القرآن « اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة » والدراسة تعى الدلالة وتعرف المقصود والتطبيق والعمل ، يبين أن من الناس ناساً يتعلقون بالرغائب وينسون العواقب وربما فقدوا صفاتهم من أجل أن ينالهم عرض من زخرف الدنيا وزينتها وقد يختلط عليهم إكرام العبد في دار الجزاء وتفاوت الحظوظ في دار الابتلاء فتلهيهم العاجلة عن الآجلة ، والقرآن الكريم يوضح ذلك في مواطن كثيرة ليأخذ الناس بأسباب الرفعة وأسباب الحياة « وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون » وبين القرآن من هم السابقون ومن هم أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ، ويذكر جزاء كل فريق ، ثم يبين في نهاية السورة أن هذا الجزاء مرهون بالأجل فإذا جاء الأجل وما أسرع أن يجىء لقى كل فريق جزاءه « فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان

من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم » ٠

إن هذا البيان لا يعزل الناس عن الحياة الدنيا أو يزهدهم فيها إنما يصحح أمرها بالآخرة ٠ والعاجلة لو قصدت وحدها لقادت أصحابها إلى النار والدمار « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » ، « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » ٠ وكل حسبان أن الخير في عاجل يعطاه الإنسان من مال وبنين رده القرآن وبين أنها زينة والزينة يخدع بها من غفل عن العاقبة « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ٠ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين في الأسحار » ٠

فواضح أن الآخرة تُطلب بصفات وهذه الصفات لا يتوفر للناس الأمن والسلام إلا بها ، فهى لدنيا الناس أمن وسلام ، ولآخرتهم نور ورضوان وواضح أن حسبان الأمر غير هذه الصورة دليل على عدم الشعور بحقائق الأمور « أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » وإذا أصيب الناس بعدم الشعور رغبوا في الزينة والمتاع وغفلوا عما ينتظرهم من حساب وجزاء ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين ما يعطى للإنسان استدراجا وإملاءً وبين ما يعطى تعليماً وجزاءً ، إن فقدان الشعور وتبلد الحواس يلحق الإنسان بالأنعام بل ينزله به دونها وعندما تختلط الأمور فلا يفرق الناس بين العاجلة والآخرة وبين ماهو فانٍ وماهو باقٍ ويؤثرون ما يفنى على ما يبقى ويحبون العاجلة ويذرون الآخرة ٠ عندئذ تتحول الأمة إلى غثاء كغثاء السيل ولا يغنى عنها شيئا من وفرة عددها وكثرة ما بيدها وهذا ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم (ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم) وفي الحديث المتفق عليه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج إلى قتلى أحد فصلى عليهم بعد ثمان سنوات كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فرد وأنا شهيد عليكم وإن موعدكم الحوض وإنى أنظر اليه من مكانى

هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال فكانت آخر نظرة نظرتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم) وفي رواية ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم فقال عقبة فكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر من القرآن الكريم ومن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم نرى نتائج الأعمال وآثارها في نجاة الأمم أو هلاكها وبالعمل كما أمر الله ورسوله يكون

القرآن حجة لنا وبالدراسة وحدها يكون حجة علينا لأن الدراسة فهم وعلم وبالعلم تقوم الحجة . والتطبيق تنفيذ وعمل وعليه يكون الجزاء وبه تقع قيمة الدراسة ويعلو شأنها « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته . قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقومى اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم « إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل » .

الدراسة هنا تفهم الدلالة والتطبيق يقتضى ألا نستعين إلا بالله وأن نأخذ بالأسباب والاستعانة بغير تفريط أو استهانة بأن تخلص القصد لله وتستقيم كما أمرنا وأن تكون جميع أقوالنا وأعمالنا لإعلاء كلمة الله ولنصرة دينه عندئذ نصدق في حسن التوكل عليه وطلب النصرة والنجاة منه وإن فعلنا ذلك فلأنفسنا وإن فرطنا فعليها وما ربك بظلام للعبيد « أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الدراسة هنا تفهم الدلالة والتطبيق يقتضى استقرار النفس بما أعطيت وهذا الاستقرار دلالة صدق وإيمان لأن الآيات إذا لم يظهر أثرها في الحياة تكون قد وقفنا بها عند الدراسة فحسب وهذا قدر قد يزيد من حسابنا ويقيم الحجة علينا . (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) .

هذا بيان لنتائج العمل الجاحد الخاسر إذ العمل المقبول عند الله لا يكون إلا بصدق الولاء له وحسن الاستقامة على دينه وكل شيء يناصب الإنسان العداء إذا عادى الإنسان ربه حتى جوارحه التى ينالها من العذاب ما ناله تخضع وتخشع لإرادة الخالق لا إرادة المخلوق ولا

يملك الإنسان في فترة الحساب إلا أن يجعلها طوع إرادته كما طوعها في فترة الامتحان في الحياة الدنيا والتطبيق العملى لفهم هذه الآيات أن يتجنب الإنسان ما من شأنه أن يقع فيما وقع فيه الجاحدون ويتقى الله في السر والعلن (قل آمنت بالله ثم استقم) إذ لا فائدة من الدراسة إذا عرفنا مصير الجاحدين وفعلنا فعلهم وياويل من أضله الله على علم والقرآن الكريم بين مصير هؤلاء ويذكر جزاء من آمن واستقام في آيات متباينة بلا فصل « ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون » · « وقال الذين كفروا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » بعد هذا نقرأ « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم » ·

وتلك طريقة القرآن في إعطاء النتائج متقابلة ومتجاورة فمن ضاقت أنفاسه من عقاب أولئك ـ فليأخذوا طريق النجاة ليكون ممن أنعم الله عليهم ورضى عنهم ومن رأى كيف تكون العداوة هناك بين الجاحدين فليأخذوا طريق أخوة المؤمنين وصداقة المتقين « هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون · الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين · ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون · وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون » الزخرف ·

وهكذا نجد القرآن الكريم يقدم لنا بيان كل شىء ويوضح النتائج التى تترتب على الأعمال ، وكثيراً ما يقدمها في أسلوب الشرط والجزاء أو الأمر وجوابه وهى أشد انضباطا في المعادلات الرياضية التى لا يختلف الناس على أمرها « من يعمل سوءاً يجز به » ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » « ومن يشاقق

الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون » « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » .

وربط الجزاء والنتيجة بالمقدمة « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » . « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » . « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » « إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم » « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين » « إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

ان القرآن الكريم يتلى على الناس جميعا وقد يسمعه المتقون والفجار ولكن مواقف الناس لا تتحدد بالسماع والدراسة وحدها فإن العلم بالشيء قد يستوى فيه بار وفاجر وإنما تتحدد مواقف الناس بالعمل وما يشفع إليه بالبيان وفرق بين الاتباع والاعراض ، والجهاد والقعود والطاعة والمعصية واتباع سبيل المؤمنين أو اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وكل ذلك سيوزن بميزان دقيق « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون . وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنتسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته وذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين » .

ولذا فإن النفر من الجن لما سمعوا القرآن علموا أن السماع يتبعه الإجابة والتنفيذ وإلا لزمت الحجة « فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم » قاموا بتبليغ ما سمعوا وكانوا أمناء صادقين طلبوا من قومهم أن يجيبوا داعى الله وأن يؤمنوا

به وبينوا الجزاء « يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » وحذرهم من عدم الإجابة تحذيرا بالغاً « ومن لم يجب داعى الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين » لقد فهم هؤلاء النفر من الجن دلالة ما يتلى من الكتاب فلم يقفوا عند حد السماع وحده أو الدراسة وحدها بل قاموا بواجب التبليغ على خير وجه وحددوا موقفهم على أساس من هذا الدين « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا » · عرفوا النتائج وبلغوها إلى قومهم وعلموا ألا نجاة إلا بالصدق مع الله ولا ملجأ من الله إلا إليه « وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا » يقول الله تعالى « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » · ويقول سبحانه وتعالى : « إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » ·

إن القرآن الكريم لحركة الحياة ولشرفها وطهارتها بل هو الحياة نفسها لأنه روح ولا حياة بلا روح ونور ، وهل يستوى من أحياه الله وجعل له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافي السموات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » « فاستمسك بالذى أوحى إليك أنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون » ·

والذكر يطلق على الشرف ويطلق على البيان والتذكرة فإذا أعرض من شرفهم الله به فقد رضوا لأنفسهم أن يعيشوا بلا شرف وأن يسيروا على غير هدى وفي ذلك من الإساءة لأنفسهم في عاجل أمرهم وآجله مافيه ·

إن جيل القرآن الأول لم ير لنفسه شرفاً في غير ما شرفه الله به ولم يبتغ العزة في غير ما أعزهم الله به ولذا كانت دراستهم للقرآن دراسة علم وعمل وكانت مواقفهم معبرة عن مدى تأثير القرآن في نفوسهم وكان بيان الرسول صلى الله عليه وسلم أمام أعينهم تطبيقاً عملياً للقرآن يتبعونه ولا يخافون وماكان لهم الخيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمرا « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا » كانوا لا يتباطؤون فيما أمروا به ولا يلتفتون لما نهوا عنه ان

سمعوا من رسولهم « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » قاموا إليها مسرعين يقول قائلهم : « والله لئن بقيت حتى آكل تمراتى تلك إنها لحياة طويلة » وإن أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم دعاة إلى الله فواجهوا الخطر استقبلوه راضين مستبشرين وإن طعنوا في سبيل الله حمدوا الله أن جعلهم من الفائزين . وإن خرجوا إلى أعدائهم لم يخرجوا بطراً ورئاء الناس بل دعاة إلى الله يعلون كلمة الله بأنفسهم وأموالهم ولا يرون لأنفسهم حظاً إلا فيما عند الله ولا ينشدون إلا رضاه .

في الحديث المتفق عليه عن أنس رضى الله عنه جاء ناس للنبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : (ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة) فبعث معهم سبعين رجلاً من الأنصار فيهم خالى حرام يقرأون القرآن ويدرسونه بالليل ليتعلموه وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا أو أتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه قال حرام « فزت ورب الكعبة » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا ... تلك دراستهم وهذه مواقفهم دراسة تعتنى بتدبر القرآن وتنفيذ أمره ويأتى الامتحان بعد الدراسة في مواطن كثيرة فلا يتعثرون في إجابتهم ولا يجيب أحد منهم إجابة خاطئة بل تكون إجابتهم درساً للإنسانية كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقد أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليكونوا دعاة لفريق من الناس في زمنهم فكانوا باجابتهم دعاة للزمن كله وللناس جميعا بعدهم .

كانوا يقرأون القرآن ويتدارسونه بالليل ليتعلموا فأعدت نفوسهم بالقرآن إعداداً يواجه الحياة بسرائها وضرائها بيسرها وعسرها في ثبات لم تتبدل نفوسهم بتبدل الأحوال ولم تتغير بتغير العوارض . يقول عتبة بن غزوان وهو يخطب الناس في البصرة وكان أميراً عليها لقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت اشداقنا فأخذت بردة فشققتها بينى وبين سعد بن مالك فأتزرت بنصفها وسعد بنصفها فلم يصبح منا أحد إلا وأصبح أميراً على مصر من الأمصار وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيما وعند الله صغيرا . هذا حالهم في العسر وهم رجال في جميع الأحوال لا تتغير نفوسهم بتغير الأحوال .

وبعد مرة أخرى فإن المسلمين لا يستطيعون في كل زمان ومكان أن يواجهوا قضايا عصرهم وزمانهم إلا بالقرآن يعتصمون به في روابطهم ويقيمون أحكامه في حياتهم ويجاهدون

به أعداءهم ويصلحون به دنياهم ويستقبلون به آخرتهم ولقد اقتضت سنة الله في خلقه أن تكون هداية الله سبباً لنجاتهم « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » ولقد أدرك جيل القرآن الأول منذ اللحظة الأولى أن أقوى العدة والعتاد في مواجهة أعدائهم أن ينتصر دين الله في نفوسهم وأن يكونوا أهلا لنصر الله فإذا تخلف عنهم بحثوا في عيوب أنفسهم وهم يعلمون أن الذنوب أخطر على المسلمين من العدو وعلى أنفسهم ، ولقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا إلى سعد بن أبى وقاص لما أرسله إلى فتح فارس جاء فيه :

أما بعـــــد : فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة على الحرب آمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإن لم ننتصر عليهم بفعلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منه ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمعاصى الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألوه النصر على عدوكم . (الله أكبر .... الله أكبر) .

تستطيع أن ترى في كل كلمة من هذه الكلمات قبساً من نور القرآن أو هدى النبوة ، إن ناسا شغلوا أنفسهم فأصلحوها وفروا إلى الله موحدين جديرون أن يخاطبوا من قبل الله عز وجل إكراما لهم « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » . إن العالم كله في حاجة إلى نور القرآن لتصان كرامة الإنسان الذى صار في عصرنا هذا أرخص شيء في دنيا الناس . العالم في حاجة إلى القرآن ليكون الحق والعدل أساساً في معاملة الإنسان للإنسان ، ودراسة القرآن لم تتوقف ولن تتوقف أبداً بإذن الله لأنه يتلى ويكفى أن يتلى ولكن الذى يتوقف أحياناً هو التطبيق وبه يتباين جيل عن جيل ويعز ناس ويذل آخرون ، وجيلنا هذا قد انحسر عنه التطبيق في كثير من دياره إلى درجة لم يسبق لها نظير فانحدر المسلمون إلى درجة لم يسبق لها مثيل ولكن من رحمة الله بخلقه أن حفظ لهم الذكر كما حفظ لهم بفضله بيانه فجمع الأسباب التى صعدت بأسلافنا ورفعهم الله بها قائمة أمام الأجيال كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كتاب

وسنة فهل نستطيع أن نجعل دراستنا عملاً وتطبيقاً كما كان أسلافنا من قبل ، أم نطمع من الدراسة بالشهادة والألقاب وإن فعلنا ذلك كان القرآن حجة علينا فإن عملنا به مقتدين بالرسول صلى الله عليه وسلم كان القرآن حجة لنا .

نسأل الله أن يجعله حجة لنا لا علينا .... وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ... .

* * * *

نكون أسعد الخلق لو وصلنا اليه بعد ألفى عام

إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها . إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد الخلق لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام .

شبرل

عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا

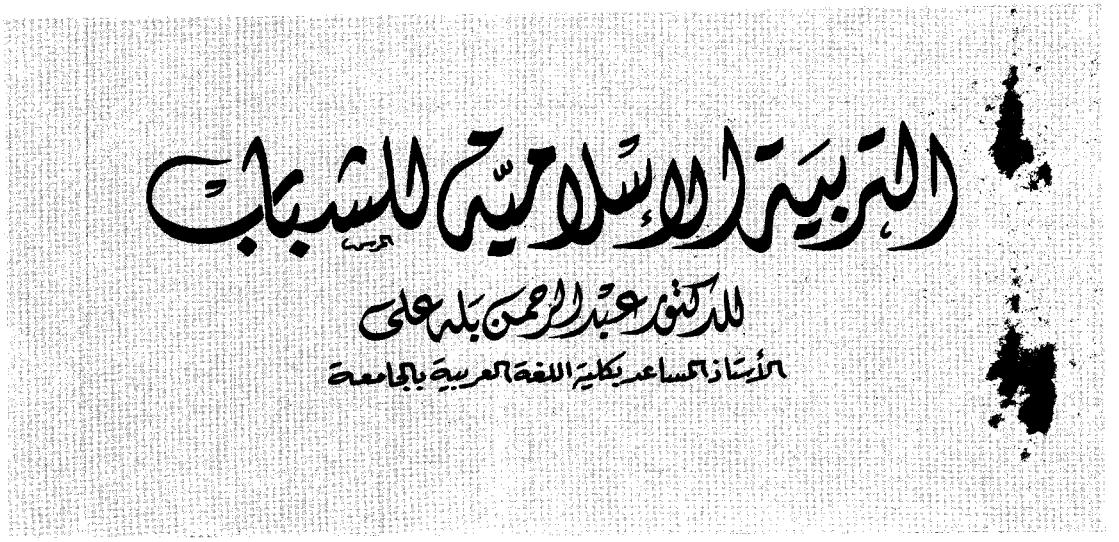

لمحـــــــة لغويـــــــة :

الشباب جمع شاب وقد تجمع على (شبان) كفارس وفرسان ، وقد تجمع على (شببة) ككاتب وكتبة . جاء في السيرة : لما برز يوم بدر عتبة وشيبة والوليد برز لهم شببة من الأنصار ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما : كنت أنا وابن الزبير وشببة معنا . والمؤنث منه شابة وتجمع على (شواب) كدابة ودواب .

ومادة (ش ب ب) من باب (ضرب) تشير هى وجميع مشتقاتها إلى معنى القوة والفتوة والحداثة والجمال والنماء . فالشؤبوب هو الدفعة من المطر . وأول كل شىء وشدة دفعه يطلق كذلك على شدة حرّ الشمس . وفرس مشب هائج متمرد عصِيّ القياد . والشباب بالكسر النشاط .

ومن معانيها الحداثة والابتداء تقول فعل فلان هذا الشىء في شبابه أى في أول عمره وحداثة سنه وتقول : سافر فلان في شباب الشهر أى في أوله . وتقول جئتك في شباب اليوم أى في أوله ومنه التشبيب ، وهو ما يذكر في أول القصيدة من ذكر النساء ، وما يتصل بهن ، ويدور حولهن قالت أم معبد : لما سمع حسان قولا لهاتف شبب بجارية ، أى أخذ يجاوبه من التشبيب وهو الابتداء بالكتب والأخذ فيها .

ومما تحمله المادة الحسن والجمال تقول : شب الخمار لون المرأة أى زاد في بياضها وجمالها ، لأن الضد يزيد في الضد ، ويبدو ما خفى منه ، لهذا قالوا : (وبضدها تتميز الأشياء) وقالوا (والضد يظهر حسنه الضد) ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين جىء له بجواهر ولآلىء : يشب بعضها بعضا · أى يزيد بعضها في جمال بعض ·

من معانيها النماء والزيادة تقول شب فلان أى كبر وزاد حجمه · ومنه قول جزيمة الأبرش : شب عمرو عن الطوق · أى نما جسمه وزاد حجمه ، حيث الطوق لم يعد يمكن الدخول في عنقه ·

والإنسان إذا بلغ السادسة عشر من عمره يسمى (شابا) حتى سن الأربعين ثم هو كهل حتى سن الستين ومن ثم يسمى (هرما) حتى يموت · وهذه الحدود ليست موضع اتفاق ولا هى حدود بارزة كحدود الحجرات في المنزل ولكنها حدود وهمية كخطوط العرض والطول · ومن ثم فقد نرجع بالحديث عن الشباب الى ما قبل مرحلة الشباب لما بين هذه المراحل من تداخل واضح وارتباط وثيق ··

سر الاهتمام بالشبـــــاب :

يمثل الشباب من حيث الكم ٦٠ ٪ من مجموع الأمة · ومن حيث الكيف يمثل قلب الأمة النابض وقوتها الدافعة ودرعها الواقى ·· هم بُدورها إذا أظلم ليلُها ، وهم سيوفُها إذا جَلَّ خطبها ·· هم كنزها المدخر ، ورصيدها المعتبر ·· ومستودع آمالها ، وموضع ثقتها ورجائها ·

إذا نظرت بعين الحقيقة إلى فترة الشباب ، وجدتها فترة التأثير والتأثر ، والعطاء والبذل ، لأننا ونحن نعد الشباب نستثمر مواهبه ، ونفجر طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير ، ودفع العدو المغير · هى فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية ·· هى فترة وضع حجر الأساس ، وكلما كان الأساس متينا كان البناء قويا شامخ الذرى ، وكلما كان الأساس ضعيفا كان البناء هشا سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر ·

إذن هى فترة لها ما بعدها ، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل : سلبا أو ايجابا ، صلاحا أو فسادا ، سموا أو هبوطا فلا غرو إن وجدنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يوجه بحسن استغلال هذه الفترة فيقول : (اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك) كما نجده يوجه الشباب إلى كل ما يحفظ عليهم صحتهم ، ويستبقى قوتهم ، ويصون أخلاقهم فيقول : « يا

معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ـ المقدرة على الزواج والقيام بواجباته الحسية والمعنوية ـ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .. أى وقاية من الوقوع في الفاحشة والآثام ـ وإنما خص الشباب بوصيته الغالية لحاجتهم إليها بحكم نوازعهم الفطرية . والشباب في هذه السن الباكرة يكونون أصلح للتربية والتوجيه ، واسمع للنصح والترشيد ، فإذا وجدوا من يأخذ بأيديهم اتبعوه ، وعملوا بأمره .

من هنا كان السرُّ في إقبالنا على الشباب ، وعنايتنا به ورعايتنا له حتى يمضى إلى غايته الكبرى وهدفه الأسمى مصونا من الانحراف الفكرى والتدهور الخلقى والضعف العقلى . أما إذا تركناه هملا بلا رعاية ، وسدى بلا ولاية فلسوف يتضعضع كيانه ، ويضمر بذله وعطاؤه ، ويستشرى خطره وفساده فيصبح نقمة بعد أن كان نعمة ، ومحنة بعد أن كان منحة ، وبلاء بعد أن كان نفحة وعطاء .

إن شبابنا اليوم يواجه هجمة استعمارية فكرية شرسة تحاول زعزعة إيمانه وزحزحة أقدامه ، وضعضعة كيانه ، فلا بد من تسليحه بالسلاح الذى يصيب مقاتلها . إن أعداءنا لما عجزوا من غزونا عسكريا لجأوا إلى غزونا فكريا . وبتعبئة الأمة وتجنيد طاقاتها وإعداد شبابها سيؤول أمر الغزو الفكرى مآل الغزو العسكرى : هزيمة نكراء وفشلا ذريعا . إذا شيدوا للشباب المراقص شيدنا له المساجد ، وإن أقاموا له الحفلات الغنائية أقمنا له الكتائب الليلية ، ليكونوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، لينشدوا أراجيز الحرب والقوة بدل التغنى بفنون اللذة .... ليحرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة وحبهم لها .. ليقتلوا أعداءهم بدل قتلهم أوقاتهم .. وهكذا نواجه مكر أعدائنا بمكر أدهى ، وهجماتهم بدفاع أعتى حماية لشبابنا ، وصونا لعقيدتهم وحقيقتهم ....

لمـــاذا نعـــد الشبـــــاب ؟

السؤال الذى يطرح نفسه أمامنا ماهى الأهداف التى من أجلها نهتم بتربية الشباب وإعداده ؟ هل نُعِدّ الشباب ليكون ـ صالحا في نفسه غير مصلح لغيره ؟ هل نعد الشباب ليكون مهتما بأمره هو ، لا بأمر غيره ؟ هل نُعِدّ الشباب ليتمثل فيه الدين ثقافة وعلما ؟ هل نربى الشباب ليؤدى شعائر الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة ؟ هل نربى الشباب ليكف بصره ، ويصون فرجه ويحفظ جوارحه ويرسل لحيته وكفى !؟ .

الواقع أن السؤال الواحد تفرعت عنه أسئلة ، ولكنها نشأت عنه وارتبطت به كارتباط الفروع بالشجرة · ونجد المفكرين ورجال الإصلاح يجيبون على هذه الأسئلة إجابات كافية شافية ، فهم يرون أن المرمَى من إعداد الشباب أن يكون هو في ذاته صالحا ، لأن الفاسد لا يصلح غيره · ثم يقوم بمهمة التغيير والتحويل والتبديل ··· نعدُّه ليكون ثورة الحق على الباطل ، وحملة الإيمان على الإلحاد ، وكتيبة الصدام في وجه الأعداء ··· نعدُّه ليصون دينه ووطنه من خطر المذاهب الهدامة والأفكار الملحدة المنحلة ·· نعدُّه ليكافح بحزم لا هوادة فيه البدع والخرافات وأنواع الضلالات ·· نعدُّه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، نعدُّه ليمسح بيده الحانية القوية آلام أمته وآلام الانسانية ، ويوفر للحياة جوا من الطهر والأمن والسعادة ·· نعدُّه ليمزق بسيف الحق جيوش الباطل ، ويبدد بنور العلم ظلام الجهل ·· نعدُّه ليقود أمته بقوة العزيمة وشدة الشكيمة إلى حيث يضعها في مكانها اللائق بها تحت الشمس ·· نعدُّ في الشباب سواعده لتحمل راية الإسلام ودعوته ، نعدُّ عقوله لتحمل فكر الإسلام وثقافته ·· نعدُّ أرواحه لتحمل هدى الإسلام وصفاءه وشفافيته ·

وإن الشباب لقادرون على كل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ إذا وجدوا العناية الفائقة ، والتوجيه السديد ، والمتابعة الدقيقة التى تراقب خطوهم ، وتزيل العقبات من دروبهم · ونحن نرى كيف أن المذاهب المختلفة تتلقف الشباب ، وتحتضنهم بالجماعات ، وتعدُّهم إعدادا ، ليقوموا بمهمة الدعوة إليها والذود عنها ، وهى في سبيل ذلك ترسم الخطط المحكمة ، وتجند الطاقات الهائلة ، وتنفق الأموال الطائلة ، لتضمن بقاءها على أيد قوية ، وعزائم ماضية فتية ·

وعلى الشباب أن يدركوا هذه الحقيقة ، ويَعُوا تلك الغاية البعيدة المدى ، وتكون همّهم الملازم ·· ينامون به ، ويقومون به ويمشون به بين الناس ، عاقدين عليه قلوبهم ، حانين فوقه ضلوعهم :

قد رشحوك لأمر لو فطنتَ له فاربأْ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الشبـــاب عنوان الأمـــــة :

إذا أردت أن تعرف ماهية الأمة وحقيقة أمرها ، فلا تسأل عن ذهبها ونشبها وبترولها ورصيدها المالى ، ولكن انظر إلى شبابها فإن رأيته شبابا متدينا متمسكا بقيمه الأصيلة منشغلا بمعالى الأمور ، قابضا بأذيال الكمال وأهداب الفضائل ـ فاعلم أنها أمة جليلة الشأن رفيعةُ القدر والجاه قوية البناء ، مرفوعة العلم لا ينال منها عدو ، ولا يطمع فيها قوى ·

وإذا رأيت شباب الأمة هابط الخلق والقيم ، منشغلا بسفاسف الأمور ، يتساقط على الرذائل كما يتساقط الذباب على جيف الفلاة ـ فاعلم أنها أمة ضعيفة البناء مفككة الأوصال هشة الإرادة ، سرعان ما تنهار أمام عدوها ، فيستلب خيراتها ، ويحقر مقدساتها ، ويهين كرامتها ، ويشوه تاريخها وثقافتها ٠

وتلك حقيقة جلية لا يزيدها تعاقب الزمن إلا رسوخا ووضوحا ، لأنها جاءت نتيجة لتجارب الأمم وحوادث التاريخ وسنن الكون ٠٠ إن الشباب هو عنوان الأمة والمتحدث بلسان حالها ، والمترجم عن مصيرها ومآلها ـ تستطيع الأمة بشبابها ـ بعون الله ـ حماية دينها وأرضها واستخراج كنوزها ، وتطويع مواردها ، واستغلال خيراتها ٠٠ إلا أن ذلك مرهون بتربيته والعناية به وصيانته من كل خطر يهدد خلقه وعقيدته ٠٠ ذلك مرهون بتمكن الإيمان في قلبه وبين جنبيه ٠٠ ذلك مرهون بتنمية روحه وضميره وعزمه وفكره تلك هى التنمية المطلوبة ، والتى ينبغى أن نهتم بها أكثر من غيرها كتنمية الموارد الطبيعية ، لأن الأخيرة هذه إنما تدار من أجل الإنسان فهو إذن قطب الرحى ، فالاعتناء به ينبغى أن يكون في مقدمة مانعتنى به ، وفرق بين تنمية تدفع إليها الحاجة ، وتنمية يسار إليها مع الحاجة ٠

لعلنا على اتفاق أن حاجتنا الملحة هى تنمية شبابنا ليكون عنوان الأمة والناطق بلسانها والذائد عن حياضها ٠ إذا وجدت غريقا جائعا يستغيث من الغرق والجوع فإن منطق العقل والحكمة والحاجة يقتضى أن تنقذه أولا ثم تذهب فتبحث له عن طعام ، وإن أنت تصرفت على غير هذا النحو تكون قد جافيت الصواب ، وأخطأت التصرف ٠

ماذا نقول عنك لو أنك تركته لأمواج البحر تبتلعه ، وذهبت تبحث له عن طعام ؟

وانها لتنمية تعلو في درج المشقة ، درجات ، وتمضى في مشوار الصعوبة أشواطا ، وتتقدم على التنمية المادية بمسافة شاسعة ، إذ ليس بناء النفس كتشييد العمارات ، ولاتعمير الأرواح كتأسيس المصارف ، الأمر اذا يحتاج منا الى منهج رشيد وجهد مكثف يقرب البعيد ، ويسهل الصعب ويجعل القول عملا والخيال واقعا ٠

ونحن لا نقلل من أهمية التنمية المادية المتمثلة في النهوض بالناحية الاقتصادية والزراعية وغيرهما ، ولكن الذى نعيبه هو الانشغال بها عن التنمية الروحية والتربية الدينية ٠٠ فهلا سارت التنميتان معا كركبتى بعير ، أو كفرسى رهان ، إن لم تتقدم الثانية على الأولى ٠

مظاهر الاهتمـــام بالشبـــاب :

لم يبدأ اعتناء الإسلام بالشباب عند بلوغهم سن الشباب · بل اعتنى بهم وهم نطف في اصلاب آبائهم وترائب أمهاتهم وذلك حين دعا إلى :

١ ـ اختيار الزوجة والتحرى من كرم أصلها وطيب منبتها ، لأن الانسان إذا أراد أن يبذر بذرا اختار له الأرض الصالحة بغية أن يخرج نباته بإذن ربه ، والأمر بالنسبة للزوجة أجل خطبا وأعظم هولاً ، لأنه إنتاج بشرى وذاك إنتاج زراعى ، وفرق شاسع بين إنتاج وإنتاج ، فلا عجب إن دعا الإسلام إلى التدقيق في اختيار الزوجة والنظر إليها والوقوف على أخلاقها ودينها حتى يكمل الانسجام ، وتزداد المحبة ، وصولا إلى عش الزوجية الهادىء الذى يستقبل الأبناء في عطف وحنان فيترعرعون في ظله ليقدمهم إلى المجتمع رجالا أصلاء ونساء عريقات ·

٢ ـ من آداب المعاشرة الزوجية أن يسمى الرجل الله تعالى ، ويأمر زوجته بها اتباعا للسنة وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » وهكذا يدعو الابوان لابنهما قبل أن يولد بل قبل تكوينه ·· حتى إذا جاء إلى الحياة نشأ نشأة رحمانية بعيدة عن غواية الشيطان ومكائده ·

٣ ـ حينما يولد المولود نؤذن في أذنه اليمنى ، ونحنكه بمضغ تمرة ووضعها في فيه ، وندعو له بالبركة ، ثم نعقّ له في اليوم السابع ، ونختار له اسما حسنا ، وهذه كلها معان خيرة تتعاون على رسم بداية طيبة لحياة قادمة مليئة بالكرامة والخير والاستقامة والسعادة ·

٤ ـ حفظا لفطرة المولود من أى شىء يغيرها ، ويعكر صفوها نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من استرضاع المرأة الحمقاء حتى لا يتعدى حمقها إلى الطفل متسربا إلى نفسه الذكية مع لبنها ، فيلوثها بما يشوه جمالها ، ويغير طبيعتها ·

٥ ـ أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يطعم الطفل ، ويغذى من حلال لأن الذى ينبت لحمه من حلال ينشأ وهو يحب الحلال ـ كما أن الذى ينبت لحمه من حرام ينشأ وهو يحب الحرام ، ولا يخفى مافي هذه المسألة ، من خير كثير في شقها الأول ، ومن شر مستطير في شقها الثانى ·

٦ ـ اذا بلغ الأطفال السابعة من أعمارهم أمرناهم بالصلاة فإن داوموا عليها فبها ونعمت ، والا ضربناهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقنا بينهم في المضاجع حتى لا يلتفتوا إلى

أشياء جنسية ، في وقت مبكر هم لم يتأهلوا لها عقليا فتؤثر في اخلاقهم وتنحرف بسلوكهم · ومن حكمة الله ورحمته بخلقه أن الإنسان لا يبلغ الحُلُمَ إلا في مرحلة متأخرة يكون فيها عقله قد نما وأصبح يدرك الأمور ويتحكم لحد ما في رغبته ، وكبح جماح شهوته ·

٧ ـ يزود الإسلام الشباب في وقت مبكر بثقافة جنسية تتناسب مع سنه وتصلح أساسا لثقافة جنسية كاملة فنحن نعلمه الصلاة نعرفه بآداب قضاء الحاجة ، ونواقض الوضوء ·· وهكذا · والثقافة الجنسية لازمة للأولاد لأنها ترشد سلوكهم ، وتضبط نوازعهم ، وتصون خطاهم من الانحراف ·

إشـــــــادة وتكريم :

إن الشباب اذا أخلص انتماءه لدينه تمسكا به ودعوة إليه وجهادا في سبيله استحق أن يحلى صدره بأوسمة المجد والفخار ·· قال تعالى إشادة بأهل الكهف الذين فروا بدينهم ، وآووا الى كهف حفاظا على عقيدتهم ، وتعرضا لرحمة ربهم قال سبحانه : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » ، فسجل موقفهم قرآنا عربيا يتعبد بتلاوته ، وقال عز وجل تنويها بموقف ابراهيم عليه السلام الذى وقف يصيح بكلمة التوحيد في وجوه قومه الذين عبدوا الأصنام ، وأمام صيحته القوية العالية ، انخلعت قلوب القوم ، وخابت وخسرت أصنامهم ·· قال سبحانه : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » ورسولنا الأعظم يثنى على الشباب المتدين الناشىء في طاعة ربه ، ويجعله مع الحكام العادلين والأخوة المتحابين والأغنياء المتصدقين وبقية السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ·

كما نجده عليه الصلاة والسلام يسند إلى الشباب أرفع المناصب وأخطر المسئوليات فيسند إلى على رضى الله عنه وكان في ريعان الشباب وميعة الصبا ـ أن ينام على فراشه ليلة تسور عليه سبعون فتى من فتيان قريش ينتظرون (ساعة الصفر) ليميلوا على رسول الله ميلة رجل واحد ـ أمره أن ينام على فراشه ليعمى عليهم أمرهم وأحسن التخلص عليه الصلاة والسلام حيث كانت بداية الهجرة النبوية المباركة · أما على رضى الله عنه فقد قال فيما بعد عن نومه في فراش النبى صلى الله عليه وسلم : (والله ما نمت ليلة أهدأ من تلك الليلة) ·

ويسند عليه الصلاة والسلام مهمة الدعوة في المدينة إلى مصعب بن عمير وكان شابا في مقتبل العمر ـ فقام بواجبه على خير وجه ، وبلغ من التوفيق والنجاح أن أهل المدينة يكادون يكونون قد اسلموا جميعا على يديه ، وفي غزوة (أحد) نجده عليه الصلاة والسلام يرجح رأى الشباب على رأى الشيوخ فيخرج لمواجهة العدو خارج المدينة ، كما وكل قيادة الجيش الذاهب

إلى الشام إلى اسامة بن زيد - وكان في العقد الثانى من عمره ، وفي الجيش كبار الصحابة ... وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يعد الشباب جنوداً مجاهدين وعمالا حركيين ، ويكل إليهم من المسئوليات أخطرها ومن المناصب أعلاها وأرفعها .

وقد سار على قدمه ومضى على سنته سلف الأمة في إعدادهم الشباب وثقتهم فيه وتقليدهم المهام الجسام فهذا أبو بكر رضى الله عنه ينادى (زيد بن ثابت) رضى الله عنه ، ويعهد إليه بجمع القرآن الكريم بعد أن اثنى على أخلاقه وأنه شاب مستقيم . الأمر الذى أهله ليرأس المجموعة الخيرة التى نهضت بذاك العمل الفخم الجليل .

كان ذلك في ماضى الأمة الناضر الزاهر فينبغى لها في حاضرها أن تهتم بأمر الشباب حضًا لهم على التمسك بأهداب الدين والخلق المتين مع إزالة كل عقبة تقف في سبيل إعدادهم ، ولعله من الأفضل أن تسند اليهم بعض المناصب والمسئوليات مع إعطائهم الصلاحيات التى تجعلهم يتحركون في حرية واختيار ، فإن في ذلك إعداداً لهم ، وتنمية لملكاتهم ، وتفجيرا للكامن من طاقاتهم ، مع إتاحة الفرصة لهم للالتقاء بالشيوخ ، والاستفادة من خبرتهم ، والاقتباس من تجاربهم حتى تلتحم قوة الشباب مع حكمة الشيوخ فيثمران رشادا في الرأى وصلاحا في العمل ، والا جاءت الأمور كما قال حكيم الشعراء :

إن الأمور إذا الأحداث دبّرها دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

الشبـــــاب والتقليـــــد :

يقول علماء الاجتماع : (الإنسان مدنى بطبعه) أى أنه لا يذوق للحياة طعما إلا إذا عاش بين جماعة ومادامت هناك جماعة فلابد من أن يؤثر بعضهم في بعض ، ويقلد بعضهم بعضا ، لأن التقليد وسيلة من وسائل التعليم ونقل الخبرات ، خاصة لمن هم في ريعان الشباب ومقتبل العمر والواقع أن التقنية الحديثة وسرعة المواصلات جعلت العالم كله أسرة واحدة مرتبط بعضها ببعض ارتباطا عضويا .

وليس في هذا ضرر بل فيه منفعة ، ولكن الضرر يكمن في أن يتحول التقارب إلى امتزاج ، والالتصاق إلى ذوبان يفقد الناس معه أصالتهم وذاتيتهم وتراثهم . إننا لا نمانع أن تهب علينا رياح الثقافات ، ولكن لا نرضى أن تصبح الرياح ريحا تقتلع شجرة ثقافتنا .

وإنك لتجد كثيرا من شبابنا اليوم يتخلى عن عاداتنا السمحة وتقاليدنا الأصيلة منصرفا إلى تقليد الغربيين في شتى مناحى الحياة ، ولم يقفوا عند حد التقليد بل ذهبوا إلى الدعوة

اليها والمناداة عليها باعتبار أن كل ما يأتى من الغرب حق كله والأخذ به تقدمية ، والانصراف عنه تأخر ورجعية ٠

وإحقاقا للحق واعترافا به أن ما يأتى من الغرب ليس شرا كله بل هناك جوانب مشرقة وخيرية ، فيجب علينا أن نقف ونتبين ونميز ، ولا نكون أمامها (كحاطب ليل) ، فما وافق ديننا وأخلاقنا أخذناه (خذ الحكمة من أى وعاء خرجت) وما خالف ديننا نبذناه نبذ النواة ٠ ولكن شبابنا ـ هداهم الله ـ قلدوا أهل الغرب في الجوانب المظلمة وتركوا المشرقة فمثلهم ـ كما قال الشيخ محمد الغزالى حفظه الله مثل رجل مسلول ـ مصاب بذات الرئة ـ رأى عملاقا ـ فارع الطول مفتول العضل ولكنه يشرب الدخان ـ فلم تعجبه هذه العملقة بقدر ما أعجبه شرب الدخان فقلده فيه ليجلب على نفسه الضعف والهلاك ولعل التربية الاسلامية كفيلة بتبصير شبابنا بمساوىء الحضارة الغربية حتى لا يغتروا بزخارفها الخادعة ، وأشكالها الفارغة من المحتوى والكيان ، وفي الوقت نفسه تحضهم على التمسك بأخلاقنا الإسلامية العظيمة وعاداتنا الوطنية الأصيلة محافظة على تراثنا واعتزازا به ، وإن في تمسكهم به غنى لهم عن غيره ، وتحصينا لهم من ضرره ، وعاصما لهم من الانحراف الفكرى والانحطاط الخلقى ٠ كما تبين لهم الأثر الكبير ـ للحضارة الإسلامية في تقدم أوربا ، وأن نهضة الغرب الحالية إنما كانت بدفع قوى من يدى الإسلام ، وأنه لولا جهود المسلمين لتأخرت نهضة أوربا بضعة قرون ، وأن مؤلفات ابن سينا وغيره من علماء المسلمين كانت تدرس في جامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادى ٠

وأن العلماء المسلمين كانوا أساتذة أوربا في جميع فروع المعرفة ، وأن الغربيين مدينون لهم في الحقل العلمى ٠ وقد اعترف علماء أوربا بهذا الفضل للمسلمين ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ٠

والواقع أننا لسنا فى حاجة لشهادتهم لنا ، ولكن نذكرها لما رأينا قومنا يجهلون ما علمه غيرهم وينكرون ما اعترف به سواهم ، ليقبلوا عليه وينشغلوا به ، ويضيفوا اليه كل ما يعلى أسواره ويغيظ غرامه وحساده ٠

واجب الآبـــــــاء :

الأبناء نعمة وشكرها يكون بحسن الرعاية لها ، وكمال الإشراف عليها من جانب الأب والأم ليتم التعاون بين المدرسة والبيت على التربية القويمة ، والتوجيه السليم والمتابعة الدقيقة ٠

وتطلعا للنتائج العظيمة وتفاديا للعواقب الوخيمة ، أذكر بعض التوجيهات راجيا النظر فيها والعمل بها :

١ ـ الاهتمام بالتربية الإيمانية ، وذلك بتعميق الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر في نفس الابن وغرس العقيدة السليمة ، في أعماقه لتكون مصدرا للسلوك الشريف والمعاملة الصادقة ، فالعقيدة هى سفينة النجاة وصمام الأمان ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى ابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وكان يركب خلفه على دابة فقال له : « ياغلام إنى أعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك .. » الحديث . ومما يقوى العقيدة ويعمق جذورها الصلاة على وقتها وفي جماعة ، وتلاوة القرآن ، وذكر الله تعالى ، وقراءة السيرة النبوية وسير الصحابة الأجلاء والسلف الصالح . ولا بد من متابعته حتى لا ينحرف بها عن الجادة أو يخلطها بشىء من البدع والخرافات .

٢ ـ تقديم النصيحة ، الخالصة ، والمعرفة الصحيحة على حسب نموه العقلى ، لتقع موقعها من الحاجة فتثمر ثمارها ، وتحدث آثارها ، تنمية ملكات واتساع مدارك واستقامة سلوك . ولا يكفى أن نلقى إليه بذلك وكفى ، ولكن لا بد من المتابعة والوقوف على أثر هذه الجرعات في تكوينه الفكرى وسلوكه الفعلى .. وهكذا نراقبه مراقبة الطبيب مريضه حتى تذهب العلة ، وتحل العافية ، أو مراقبة الزارع حرثه حتى يستغلظ ويستوى على سوقه ويدلى بثماره .

٣ ـ التأكد من صلاح الصحبة التى يلتقى بها ، ويخرج معها لأن الشاب سريع التأثر بأصحابه شديد الرغبة في أن ينسجم معهم ولا يشذَّ عنهم ، فإن كانوا أخيارا انسجم مع أخيار ، وتَطبَّع بطباعهم وتخلق بأخلاقهم ، وإن كانوا أشرارا فالأمر واضح ، والنتيجة أوضح ومن الحكم النبوية البالغة قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة » متفق عليه ، أما أن يترك للشاب الحبل على الغارب يخرج متى شاء ، ومع من شاء بلا رقابة من أب أو أم أو ولى فليس هذا من حسن التربية وتقدير المسئولية ورعاية الأمانة .

٤ ـ تنظيم أوقات الأبناء وبرمجةُ استذكارهم مع إشعارهم بقيمة الوقت وأنه هو الحياة ، وأن فواته من غير منفعة أشق من فوات الروح ، بهذا يحرصون على أوقاتهم حرص

الشحيح على المال والجبان على الروح فيستثمرونه على وجه نافع · ومن المعلوم تربوياً أنه لا بد من وقت للترفيه والتسلية البريئة لأن سير الأمور على وتيرة واحدة ـ مجلبة للسآمة والضجر والملل ، والقلوب إذا كَلَّتْ عميت ، وسويعةُ ترفيه تجدد النشاط وتقوى العزيمة ، وتفتح نوافذ البصيرة · أما وسائل الترفيه البرىء فأنت أعرف بها ، وأقدر عليها ·

٥ ـ أن نكون قدوة صالحة لأبنائنا ، لأنهم يقلدون الآباء ، ويتشبهون بهم ، وينشأون على ما عودوهم عليه إن خيرا فخير ، وان شرا فشر · وأكثر ما تقع أعينهم على آبائهم ، فتنطبع صورهم على شاشة فطرتهم ، فلنحرص على أن تكون تلك الصور مرسومةً بمداد الاستقامة ، لابسة ثياب التقوى · وهم إنما يتأثرون بما يشاهدون أكثر من تأثرهم بما يسمعون ، إذ الدلالة الفعلية أقوى أثرا من الدلالة القولية ، وإذا اجتمعت الدلالتان فعلتا في النفس فعل السحر ، وجذبتا القلب بأسلس عنان :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ماكان عوّده أبوه

العلماء والشبـــاب :

إن هناك خطراً مريعاً يتهدد شبابنا ، وحتى ننبهه إلى هذا الخطر ليأخذ حذره ، ويتفادى الوقوع فيه ، لا بد من دق ناقور الخطر · والسؤال من الذى يدقه ؟ والجواب : العلماء فعليهم يقع عبء المسئولية ، وواجب الإنقاذ ، وإن لم يكن هم فمن ؟

العلماء هم الاساة الذين يشخصون الداء ، ويعطون جرعات الدواء ويراقبون العلة حتى تذهب ، وتحل مكانها الصحة والعافية · وكل مرض ترك وشأنه فتك بالمريض ، وأهلكه ، فليس هناك مناص من أن يقوم العلماء بواجبهم ، ويؤدوه على وجه يرضى ربهم وضمائرهم ، ويحفظ شباب الأمة والا فهم مسئولون أمام التاريخ ، فضلا عن المسئولية الكبرى أمام الله عز وجل الذى أخذ الميثاق وأكد العهد على العلماء في كل ملّة أن يبينوا الحق ، ولا يكتموه : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ···) ، (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠) ·

ولله در الشيخ عبد الله بن أحمد قادرى إذ يقول متحدثا عن واجب العلماء تجاه الشباب :

يا علماء الأمة ... شبابكم في ظلمة
قد حاد عن إسلامه ... وغاص في آثامه
وصار جل همته ... إشباعه لشهوته
وقاده الأعادى ... للكفر والإلحاد
حتى غدا مناصرا ... لمن يكفر جاهرا
ففقد الشخصية ... والنبل والحمية
وأنتم في غفلة ... يا علماء الأمة
مابكم لم تنهضوا ... وكسلا لم ترفضوا
من غَيرَكمُ للجيل ... يهديه للسبيل
أليس في القرآن ... والسنن الحسان
قد جاءنا وعيد ... مغلظ شديد
لكل ذى كتمان ... وتارك البيان
فانتبهوا ياعلما ... لخطر قد دهما
وكل مالا يحسن ... فللشباب بينوا (١)

فعلى العلماء أن يلتقوا على أمر الله تعالى ، وتلتحم صفوفهم ، وينطلقوا في دروب الجهاد والإصلاح ، ينازلون الباطل بخطة محكمة وطاقات مجندة ، وعزائم لا تعرف الضعف ولا الفتور ، وصولاً إلى الانقلاب الإسلامى المنشود ، وظفراً بالغاية المخطط لها والمتفق عليها ، وهى تحقيق أمر الله جل جلاله واقعا يعاش ، ومنهجا يتبع ، وسلوكا يمارس ، وقانونا يحكم ، ودولة تسهر على حمايته ، وتسعى جادة لنشره بين البشر ، وبهذا نوفر الجو الصالح لشبابنا لينمو نموا كاملا ، يرمى إلى الناس بالخيرات المباركات والثمار اليانعات ذلكم واجب العلماء الذى لا يجوز لهم التغافل عنه ، أو التهاون فيه وإنما واجب الساعة ، الإقبال عليه ، والقيام به ، قياما لاجلوس بعده ، وسيراً لاجلوس عقبه .

* * *

(١) جوهرة الإسلام ، ٤٤ .

خصائص ومقومات:
الاقتصاد الإسلامي

للشيخ محمد ابراهيم برناوي
مدرس بدار الحديث المدنية

الاقتصاد كما يبدو لنا في بعض معانيه أو جلها : ـ هو الاعتدال الذى لا افراط فيه ولاتفريط . الاعتدال في الدخول والإنتاج ، والمنصرفات ، لضمان بقاء الحياة الاقتصادية في جو معتدل بعيدا عن التدهور والكساد ـ والاقتصاديون يحاولون حل المشاكل الجماعية والفردية وفق المنهج الاقتصادى العادل الذى لاظلم فيه لأحد على حساب آخر .

والمتأمل في النظريات الاقتصادية السائدة ـ اليوم ـ يراها تقوم على أصل مضاعفة الإنتاج الذى يعتبره رجال الاجتماع والاقتصاد الحل الوحيد للمشكلات الاقتصادية ، فهذا الحل في الواقع وجيه وسليم لولا مافي ذلك من إنكار ذات الفرد في المجتمع وإنكار ملكيته وتحديد الدخل القومى للمجتمع بأسره باسم القضاء على الطبقات لتحل محل ذلك المساواة ـ المزعومة ـ ... كى تصبح السلطة في يد الدولة ـ الحاكمة ـ فيتجرع مرارة ذلك الحرمان الشعب المغلوب على أمره ... وقد وضع الاقتصاديون لذلك خطة عنيفة تمشيا مع التفسير المادى للتاريخ الذى يرون فيه أنه نتيجة للصراع الطبقى على هذه البسيطة .

وأسلوب الخطة يتلخص عندهم فيما يأتى : ـ

١ ـ التحليل المادى للتاريخ : فيزعمون أن التطور المادى في مكان ما هو وحده الذى يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع ...

٢ ـ إنكار كيان الفرد ، ومحاربة الحوافز الفردية ووجوب تغيير نظام المجتمع القائم على هذا الأساس ...

٣ ـ حتمية الصراع الطبقى من أجل تغيير المجتمع ، وإلغاء الملكية الفردية لجميع وسائل الإنتاج فيه .

٤ ـ إلغاء الدولة عندما يصبح الناس فيها اشتراكيين ويتضمن هذا القضاء على الطبقات ـ هذه أفكار المذاهب التجريبية عند الشيوعيين والاشتراكيين ... وتلك هى الفلسفة المادية التى جعلت المجتمع الذى يرزح تحت سيطرتها طبقة واحدة من الفقراء والبؤساء ، فلا هى تركت الفقير يعالج مشكلاته الاقتصادية على أساس من حرية الكدح والاكتساب المشروع لتنمية وتغطية احتياجاته الاقتصادية في هذا الصدد ، ولا هى تركت الغنى يعيش في مستواه الطبيعى ويستثمر مدخولاته لتنمية مورده الاقتصادى في هذا المجال .

الاقتصـــــاد في نظام الاشتراكية : ـ

يؤسس الاقتصاديون النظام الاشتراكى على أساس التفسير المادى للتاريخ ... فهم يفسرون الصراع الطبقى في الحياة بأنه نتيجة للحالة الاقتصادية لدى الأفراد والجماعات التى يحتاجها الإنسان ، وضربوا لذلك مثلا بتأمين المأكل ، والمشرب ، والمسكن ، والجنس ... فإذا اشترك الناس جميعا في هذه الأمور فقد تمت المساواة بينهم ، ولا محل للصراع والشقاء في نظرهم ...

ومن ثم قرروا ما يلى :

١ ـ إنكار كيان الفرد في المجتمع ومحاربة الحوافز فيه ضرورة تغيير نظام المجتمع .
٢ ـ إلغاء الملكية الفردية لجميع وسائل الإنتاج .

ومعلوم أن الغاء الملكيةَ الفرديةَ وهدم كيان الفرد وقتل الحوافز لدى الأفراد والجماعات يؤدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية لديهم ، حتى تصبح السلطة الرئيسية للدولة ، وبالتالى تكون هى المسيطرة على الحالة الاقتصادية في البلاد بزعم المساواة في الطبقات وما ذهبوا إليه لحل المشاكل الاقتصادية التى اصطنعوها ويودون حلها بهذه الفكرة ، إنما هى في الحقيقة عمل مضاد للمنهج الإلهى العادل وكذلك للسنن الكونية ، والفطرة الإنسانية السليمة .

المنهج الإسلامى :

في الظروف الحرجة التى تضل فيها البشرية الطريق السوى لتنظيم حياتها وحل مشكلاتها في شتى نواحى الحياة ، وحينما يعجز المفكرون عن وضع الحلول المناسبة لإنقاذ

الإنسانية عامة ، ويصلون بتجاربهم وفلسفاتهم ونظرياتهم المادية إلى طريق مسدود · يقف الإسلام دائما لإنقاذ البشرية من حمأة المادة وويلاتها ، ويصف لها العلاج الناجع في هذا الصدد ، لأنه المنهج الصالح لكل زمان ومكان ، وهو بحق الكفيل بتنظيم حياة الإنسان خاصها وعامها في شتى النواحى الإقتصادية الفردية والجماعية ، لأنه المنهج الربانى العادل الذى لاظلم فيه ولاحيف بعكس النظم الوضعية النفعية التى تظلم فريقا لتحقيق رغبات فريق آخر · وهذا مشاهد في الأنظمة الشيوعية والاشتراكية ·

أما الإسلام فهو نظام مستقل إذ يقدر للعاملين نتيجة عملهم وكسبهم المشروع في الحياة ، ويحقق مصلحة الفرد والجماعة ، بل ويحثهم على السعى كما في قوله جل وعلا في سورة الجمعة « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » والشاهد في هذه الآية هو الانتشار في الأرض ابتغاء فضل الله وكذلك كما في قوله تعالى في سورة الملك « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » فالإسلام يحث المسلم على الكدح في ميادين الحياة الفسيحة · مع مراعاة الطهر والنزاهة ، وإعطاء إخوانه السائلين والمحرومين حقهم المعلوم ، فتطيب نفوسهم وتنتزع منهم الأحقاد ·

إن الإسلام يعلم المسلم أن المال في الحقيقة هو مال الله ، والله تبارك وتعالى هو الذى استخلفه فيه ، والسائل والمحروم إذا لم يعط حقه في هذا المال يمتلىء قلبه حقدا وحسدا على الغنى الذى منعه حقه ، أما إذا أدى الأغنياء حقوق الله فيه شعر الفقراء أنهم إخوة لهم ، وبهذا يعيش المجتمع المسلم حياة كلها وئام وصفاء لاتعرف فيها الأنانية أو النفعية الخاصة ، التى لاتعرف الرحمة ، ولا تعرف حق الإنسان ـ نحو الإنسان الذى يدعو اليه دعاة (حقوق الإنسان) الذين أكلوا حقوق الإنسانية كلها تحت هذا الستار ·

مرة أخرى نقول إن نظام الإسلام الإقتصادى أفسح المجال للعاملين والكادحين لمضاعفة ـ الإنتاج في شتى النواحى الإقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية على السواء وأتاح الفرصة ـ أيضا لتسخير جميع القوى الإنسانية الفردية منها والجماعية والآلية على طول الخط شريطة ألا تضر بالمصالح العامة على حساب المصالح الخاصة كما أن استثمار الأموال يجب أن يبعد عن الطرق غير المشروعة كالقروض الربوية طويلة المدى والقصيرة المدى وما شابه ذلك من احتكار وغش وتدليس ، تلك هى بعض الأسس التى يقوم عليها النظام الإسلامى لتنظيم حياة البشرية في شتى مجالات الحياة ، ولن تصل الإنسانية كافة إلى ما تصبو إليه من سعادة وطمأنينة واستقرار ، وتحقق معنى الخلافة في الأرض إلا إذا طبقت منهج الله العادل ·

خصائص ومقومات الاقتصاد الاسلامى

قلنا إن النظريات الاقتصادية الغربية هى نتيجة ـ الصراع الطبقى التى دعت الإنسان لحب التملك والاستعلاء كما يزعمون ...

لكنا نحاول بيان مقومات وخصائص الاقتصاد الإسلامى بعد أن عرفنا موطن الداء في النظريات الاقتصادية ـ السلبية ـ التى تتنافى مع فطرة الإنسان ومع المصلحة الجماعية في آن واحد ، فضلا عن منافاتها للسنن الكونية · فمنهج الإسلام كما يبدو واضحاً وواسعاً وشاملا في نفس الوقت ـ تراعى فيه مصلحة الجماعة من جهة وتراعى فيه مصلحة الفرد من جهة أخرى لأن الفرد عضو في هذه الجماعة وليس كمًّا مهملا ساقطا من أى اعتبار وإنما هو كيان له ما للجماعة المتمثلة في بقية الأفراد ·

فالشريعة الإسلامية لاتسقط من حسابها مصلحة الفرد ، ولاتهمل أيضا المصلحة الجماعية كذلك فهى تقيد هذه وتلك بقيود لا تتنافى مع العدل والإنصاف ، ولا تترك العنان لإحدى المصلحتين ـ الجماعية أو الفردية ، أن تطغى على الأخرى ·

فلئن كانت المصلحة الجماعية مقدمة في الأصل على المصلحة الفردية فكذلك الربط بين المصلحتين الفردية والجماعية أيضا فلا تضر الشريعة بمصلحة الفرد على حساب المصالح الجماعية ، وإنما تدور هذه المصالح جميعها في فلك واحد لا يتنازعان على طول الخط مادام هناك تقدير لجهود الفرد ـ ومادام هناك شعور بحق الجماعة كما سلف ·

وهذه هى أبرز مقومات وخصائص الاقتصاد الإسلامى نلخصها فيما يلى : ـ

١ ـ تسخير مافي السماوات ومافي الأرض للناس على السواء ·
٢ ـ حرية الكسب والتحصيل بطرق شرعية ·
٣ ـ مراعاة المصلحة الفردية ·
٤ ـ مراعاة مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد في حدود العدل والإنصاف ·
٥ ـ محاربة الفوائد الربوية بشتى طرقهـــا ·

تلك هى اهم خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامى كما سنوضح ذلك بإذن الله تعالى ·

١ ـ تسخير الله ما في السماوات ومافي الأرض للناس على السواء :

بهذه الخاصية نستدل على أن الإسلام خول للناس جميعا حرية العيش في الأرض ، واستخدام ـ الوسائل التى تمكنهم من الاستفادة مما خلق الله لهم في السماوات والأرض بشتى

الطرق · بل وطلب الإسلام من الإنسان أن يستخدمها ليستفيد ويفيد · فالله سبحانه وتعالى ذلل لهم ما خلق في السماوات وما خلق في الأرض وسخر جميع مافيها من خيرات ومواد وخامات وجعلها معايش للناس جميعا لا احتكار فيها ولااستئثار فيها لأحد دون أحد ، والآيات ـ التى تشير إلى ذلك وتحث الناس على أن يشكروا لله تلك النعم الكثيرة التى لاتحصى يقول تعالى من سورة البقره (هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا الآية) وقوله تعالى من سورة الأعراف : ـ (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) وقوله تعالى من سورة الملك : (وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) فهذه الآيات المتقدمة تشير إلى أن الله خلق جميع ما في الأرض للناس على السواء · والهدف من هذا كله هو الانتفاع بذلك ليكون عونا لهم على عبادته جل وعلا ، لأنه في الحقيقة لم يمكن الله العباد في هذه الأرض هذا التمكين ويكشف لهم عن ـ أسرارها ودواخلها وما تحويه بين طياتها من كنوز ومعادن ومواد إلا ليعبدوه وحده ، لا لتسيطر عليهم « المادة » فيعبدوها من دونه فتثقلهم ـ وتقعدهم عن السمو بأرواحهم بل ليعيشوا مع خالقهم ورازقهم الذى منحهم هذه الأشياء بمحض كرمه وامتانه ، وإلا فإن الله قادر على قهرهم وعدم تمكينهم من أن يتوصلوا إلى كل هذه الاكتشافات ، ولكنه سبحانه يبلوهم فيما آتاهم على حد قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا (الملك) · وبهذا نستطيع تحديد الأبعاد ..... ما بين طبيعة المنهج الربانى الذى وضعه الله للناس على علم ، وما بين الفلسفات « المادية التى وضعها البشر » ، وشتان ما بينهما ، فبينما يسخر الله تبارك وتعالى كل مافي الأرض وما في السماء للبشرية عامة ويطلب منهم أن يجتهدوا في طلب الرزق على تفاوت منازلهم ليعمروا هذا الكون وفق منهجه ، إذا بالفلسفات الحمقاء تقف حجر عثرة على الطريق لتعرقل سير الإنسانية عن هذا الطريق السوى بكبت المواهب وقتل الحوافز لدى الأفراد والجماعات ، فتحجر عليهم طرق الكسب والتحصيل كما سنوضح ذلك في محله ، فإلى أين تذهب البشرية في عماياتها وإلى متى تستمر في تنكبها عن الطريق ·

٢ ـ حرية الكسب والتحصيـــل بطرق شرعيـــة :

وهذه الخاصية كسابقتها من حيث الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله فلم تضيق الشريعة الإسلامية الخناق على الناس فى طرق كسبهم من الرزق المقدور لهم شريطة ألا يتعدى ذلك المنهج الذى رسمه الله لهم ولا يخرج عن إطاره ، وعلى الفرد أن يختار بعد ذلك العمل الذى يريده من حرف يدوية ـ وصناعة آلية ومن بيع وشراء وما إلى ذلك بصور فردية جماعية · مادام ذلك الكسب والتحصيل بطرق شرعية نظيفة ·

والطرق الشرعية فى ذلك كثيرة · نذكر أهمها فيما يلى :

أ ـ البيع والشراء الشرعيان ·
ب ـ طرق المضاربة برؤوس الأموال ·
جـ ـ العمل بأجر أو الاحتراف وما إلى ذلك ·

ويشترط فيها جميعها « الطهارة والنزاهة وصدق المعاملة » في كل كلمة واحدة منها مع عدم الغش والتدليس ·

٣ ـ مراعاة المصلحة الفرديـــــة :

سبق لنا القول عن حرية الكسب والتحصيل وكيف سخر الله مافي السماوات ومافي الأرض للناس جميعا · إلا أننا نكرر فى هذه الخاصية ما سبق أن ذكرناه من أن الشريعة الإسلامية نظرت للمصلحة الفردية بعين الاعتبار فراعت تلك المصلحة بل وجعلتها من المصلحة العامة أيضا أفمن مراعاتها للمصلحة الفردية وجعل مصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجماعة هو مقت البطالة ومحاربتها بشتى الوسائل حتى ولو كانت عن ظهر غنى وتلك من مصلحة الجماعة أيضا لأن توقف هذا الفرد عن العمل بدون أى مبرر هو خسارة فادحة على المجتمع بأسره إذ قد خسر المجتمع موهبة هذا الفرد الذى كان بإمكانه أن يسهم بدوره في رفع إنتاج البلاد فيفيد ويستفيد ·

فالإسلام يشجع على العمل ، ويمقت البطالة ، ويعتبر العامل في نظر الشريعة الإسلامية ـ كالمجاهد ، وهو يفضل العابد المنقطع للعبادة وحدها ، فقد جاء في الأثر « أن من الذنوب ·· ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة (١) يكفرها الهموم في طلب المعيشة » وجاء أيضا في الحديث الصحيح « ما أكل ابن آدم طعاما قط خيرا من عمل يده » ·

تلك هى مراعاة المصلحة الفردية التى تدعو الفرد لتنمية مواهبه وثرواته المادية وتقدر له ذلك حق التقدير ، وترى أن عود الفائدة ليست له وحده ، وهو كذلك بلا شك فقد تعود الفائدة إلى ورثته من بعده ، وقد تعود للمصلحة العامة التى يشترك فيها جميع إخوانه من المسلمين ، وتعتبر تلك الثروات التى قدمها زيادة الإنتاج كان له دوره في إسهامه وتعود فيه الفائدة أيضا على الجميع فضلا عما يقدمه هو لآخرته من أعمال البر والإحسان ليكون له رصيد يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ·

---

(١) « إن من الذنوب الخ » رواه الطبرانى وأبو نعيم عن أبى هريرة مرفوعا . ورواه الخطيب في تلخيص المتشابه وفي لفظ (عرق الجبين) بدل الهموم وللديلمى عن أبى هريرة رفعه ·

« إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم يعنى في طلب المعيشة » ا هـ كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث غلى ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجرافى ·

٤ ـ مصلحه الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد في حدود العدل والإنصاف :

في هذه الخاصية نرى الترابط الوثيق بين المصلحتين · فمصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجماعة في نفس الوقت · ولكن المصلحة الجماعية في الحقيقة لها دورها الكبير في هذا المجال لأنها مصلحة الأمة بأسرها والتى يعتبرها الشرع من المصالح العامة التى لا يحل لفرد من أفراد الأمة استغلالها لحسابه الخاص فمن هذه المصالح العامة على سبيل المثال ما يلى : ـ

١ ـ الطرق والميادين العامة وما شابهها والتى جعلت للناس كافة ، فلا يحل لفرد من الأفراد استغلالها لمصالحه الشخصية ·· فيعرقل مصالح المسلمين بوضع عوائق في طرقاتهم وشوارعهم ·

٢ ـ الأموال العامة تعتبر من المصالح العامة للمسلمين فلا يحل لوال من الولاة التصرف فيها وصرفها في غير وجهها وإنما يوزعها على المستحقين وفق العدل والإنصاف فيقرض من يحتاج إلى القرض · ويحمى بها الثغور الإسلامية ·

٣ ـ عدم احتكار أقوات الناس للإضرار بهم لحساب مصلحة شخصية كما هو الحال لدى أصحاب رؤوس الأموال حينما يلجأون لكسب السوق بتعطيل المصالح الجماعية فلا يحل لفرد من الأفراد أن يبخل على إخوانه ببعض ما آتاه الله فيبيعهم بالأسعار المناسبة المعقولة فضلا عن احتكار أقواتهم وأرزاقهم فقد جاء في الحديث أن المحتكر ملعون والجالب مرزوق ·

هذه هى النظرة الإسلامية لمصلحة الأفراد والجماعات ، وهى في حقيقتها نظرة عادلة لا ظلم فيها ولاحيف لأنها تقدر حق الفرد ولا تسقط من حسابها حق الجماعة المتمثلة في هؤلاء الأفراد وتلك هى سنة العدل والإنصاف ·

٥ ـ محاربة الفوائـــــد الربويـــــه : ـ

المتأمل في عمليه الربا يجدها في الواقع عملية « سلبية بحته » جامدة فضلا عن نتائجها السيئة التى تأباها الفطرة السليمة · ولما كانت الشريعة الإسلامية تنظر ـ نظرتها الواسعة للأمور وتضع لكل مشكلة حلولها المناسبة لها بعد علم المقدمات والإحاطة الشاملة « بالنتائج » عندها تحلل وتحرم عن علم ودراية بمصالح البشرية كافة (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) · وما كان الربا من أفحش الظلم وأشنعه حرمة إلا لأنه يتنافى مع العدل الذى أراد الله أن يسود العباد ـ (وأحلَّ الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون / البقرة) ·

فلئن ظن المرابى أنه يحقق بهذه العملية رغباته فى الحياة ويصبح من أصحاب الأموال الطائلة التى لاتحصى بما يتحصل عليه من فوائد ربوية لاتقف عند حد فيجب أن يتيقن كذلك أن ما جمعه إلى زوال وأن مآله « المحق » كما قال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) · فشتان ما بين وجه السماحة وطهارة النفس وسمو الإنسانية وهو الوجه المقابل للصدقة الذى تكفل الله له النماء والزيادة ، والوجه الآخر المقابل لعداء الإنسانية كلها بما لا يعرف للرحمة أو الشفقة طريقا ، ذلك الوجه المرذول الممثل للأنانية والحقد والشح وخبث النفس والذى ـ توعده الله بالمحق · ولسنا في حاجة بعد ذلك كله لنعت المرابى بأكثر من تلك النعوت التى نعت بها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم لأن مرد ذلك إلى شىء واحد وهو مرض القلب والعياذ بالله ومرض القلب معروف النتائج ··· ولما أراد الله تبارك وتعالى أن يبين حقيقه المنافقين ـ إنما نعتهم بذلك فقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) · وبالاستقراء والاستنتاج نجد أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما عمل أول ما عمل في بادىء الأمر ـ على معالجة القلوب في كثير من الأحيان ووردت في ذلك أحاديث كثيرة تعالج هذه النواحى النفسية بما لا نستطيع حصرها فى مثل هذه المعالجة · ولا بأس بذكر شىء منها على سبيل المثال ·· فقد جاء في ذلك من حديث طويل رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولاتجسسوا ، ولاتحسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ···· » الحديث ·

ومعلوم أن كل هذه الأفعال إنما هى من أعمال القلب · وكذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » · إنما يعالج أمراضا نفسية مناطها القلب · وكذلك الأمر في بيع الرجل على بيع أخيه المنهى عنه فى الحديث ، لأنه يسبب التباعد والتباغض ، والإسلام إنما جاء في الحقيقة ليجمع لا ليفرق ، إذا كان الأمر كذلك فما هو موضع ـ آكل الربا الذى آذنه الله ورسوله بالحرب ولعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

هذه هى بعض العلاجات لأصحاب القلوب المريضة والأمراض التى حاربها عليه الصلاة والسلام في المجتمع المسلم حتى تسود في الأمة المحبة والألفة والتعاون في الخير بدلا من الاختلاف والفرقة · وإنما سقنا الكلام هنا عن هذه الأمراض كلها لمحل الشاهد وهو اجتماع

هذه الخصال المذمومة في شخص المرابى ، فتجده من أعدى الأعداء لله ولعباد الله وأشدهم إنكارا لأنعم الله فهو حسود حقود كالحيوان المفترس فكيف يتصور ولاء شخص منعوت بهذه النعوت جميعا ، وكيف يرجى منه النفع للمجتمع وهو بؤرة للفساد والهدم والتخريب « والله لا يحب الفساد » . لذا أراد الله تبارك وتعالى أن يطهر المجتمع المسلم من مثل هؤلاء جميعا ليعيش الناس كافة تحت راية العدل والإنصاف . ولا بأس من نقل رأى لفقيد الاسلام « سيد قطب رحمه الله » في هذا الصدد من تفسير الظلال حيث يقول عن الربا وبشاعته ما نصه (فلقد كانت للربا في الجاهلية مفاسده وشروره ولكن الجوانب الشائهة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم وتكشفت في عالمنا الحاضر . ولا كانت البثور والدمامل فى ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلها كما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث . فهذه الحملة المفزعة البادية في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت تتكشف اليوم حكمتها على ضوء الواقع في حياة البشرية أشد مما كانت منكشفة في الجاهلية الأولى ، ويدرك من يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام .

يدرك اليوم من هذا كله مالم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرة وأمامه من واقع العالم - ما يصدق كل كلمة تصديقا حيا مباشرا واقعا ، والبشرية الضالة التى تأكل الربا وتؤكله تنصب عليها البلايا الساحقة من جراء هذا النظام الربوى فى أخلاقها ودينها وصحتها واقتصادها ، وتتلقى - حقا حربا من الله تصب عليها النقمة والعذاب أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا ، وهى لا تعتبر ولاتفيق وحينما كان السياق يعرض في الدرس السابق دستور الصدقة . كان يعرض قاعدة من قواعد النظام - الاجتماعى والاقتصادى الذى يريد الله للمجتمع المسلم أن يقوم عليه ويحب للبشرية أن تستمتع بما فيه من رحمة فى مقابل ذلك النظام الآخر الذى يقوم على الأساس الربوى الشرير القاسى اللئيم إنهما نظامان متقابلان : النظام الإسلامى ، والنظام الربوى ؟ وهما لا يلتقيان فى تصور ولا يتفقان فى أساس ولا يتوافقان فى نتيجة أن كلا منهما يقوم على تصور للحياة والأهداف والغايات يناقض الآخر تمام المناقضة وينتهى إلى ثمرة في حياة الناس تختلف عن الأخرى كل الإختلاف .

إن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادى ونظام الحياة كلها على تصور معين يمثل الحق الواقع في هذا الوجود ، يقيمه على أساس أن الله سبحانه هو خالق هذا الكون فهو خالق هذه الأرض وهو خالق هذا الإنسان وهو الذى وهب كل موجود وجوده . وأن الله سبحانه هو مالك كل موجود ، وبما أنه هو موجده فقد استخلف الجنس الإنسانى في هذه الأرض ومكنه مما ادخر له فيها من أرزاق وأقوات ومن قوى وطاقات على عهد منه وشرط ولم يترك له هذا الملك العريض فوضى يصنع فيه ما شاء كيف شاء ، وإنما استخلفه فيه في إطار من الحدود

الواضحة ... استخلفه فيه على شرط أن يقوم في الخلافة وفق منهج الله ـ وحسب شريعته فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ وما وقع منه مخالفا لشروط التعاقد فهو باطل موقوف ، فإذا أنفذه قوة وقسرا فهو إذن ظلم واعتداء ـ لا يقره الله ولا يقره المؤمنون بالله · فالحاكمية في الأرض كما هى في الكون كله لله وحده والناس حاكمهم ومحكومهم إنما يستمدون سلطانهم من تنفيذهم لشريعة الله ومنهجه وليس لهم في جملتهم أن يخرجوا عنها لأنهم وكلاء مستخلفون في الأرض بشرط وعهد ، وليسوا ملاكا خالقين لما في أيديهم من أرزاق · ومن بين بنود هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله فيكون بعضهم أولياء بعض وأن ينفقوا وأن ينتفعوا برزق الله الذى أعطاهم على أساس هذا التكافل لا على أساس قاعدة الشيوع المطلق ـ كما تقول الماركسية ، ولكن على أساس الملكية الفردية المفيدة ·

فمن وهبه الله منهم سعة أفاض من سعته على من قدر عليه رزقه مع تكليف الجميع بالعمل كل حسب طاقته واستعداده فيما يسره الله له فلا يكون أحدهم كلًّا على أخيه أو على الجماعة وهو قادر) .... أقول : تلك هى طريقة الإسلام في نظامه الاقتصادى واضحة المنهج تقوم على أساس التكافل الاجتماعى في أزهى حلله بعيدة عن الأثرة والشح أو الظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل أو بكل وسيلة من شأنها أن تعرقل نمو الحركة الاقتصادية في بلادنا ...

نظرة الإســـــلام للمـــــــال

لا يعتبر « المال » في نظر الإسلام حقيقياً إلا اذا كان بطرقه الشرعية فليس كل مال مهما كانت مصادر الحصول عليه يعتبر « مالا » شرعيا يستطيع المرء المسلم أن يتقرب به إلى الله من نفقات واجبة وصدقات يبتغى بها وجه الله · بل المال مقيد في الإسلام بقيود شرعية وهى تعنى طهارة الكسب وأوجه التحصيل فالأموال المجموعة من أوجه غير شرعية تعتبر أموالا باطلة كأثمان المحرمات « الخمر والميسر وثمن الكلب والخنزير » وما إلى ذلك لأن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه كل هذه الأموال لاتعتبر شرعا بالنسبة لمن يدين بالإسلام وإن كانت معتبرة في حق غيره ومن هنا نستطيع أن نعرف كيف ينظر الإسلام للمال · إنه ينظر إليه على أنه وسيلة لتبادل المنافع بين العباد ووسيلة للتعايش في الأرض ولما كان الأمر كذلك أقر الله تبارك وتعالى هذه الخاصية : خاصية حب المادة وحب التملك « للمال » في الناس وهى طبيعة فطرية فطرهم عليها بل وحثهم على الطلب والتحصيل من هذه المادة على تفاوت طبقاتهم وسعيهم في طلب الرزق ونهاهم أن ينظروا لغيرهم نظرة حسد وكره لمن فضلوا عليهم في الرزق ، وأمرهم أن يسألوه سبحانه وتعالى من فضله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم

على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله / النساء) فجعل المال فتنة وامتحاناً وميدان سباق للخير والإحسان في نفس الوقت ، وجاءت الآيات الكريمة في كلا الوجهين تبين للناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وتنهاهم أيضاً أن يجعلوا « المال » وجمعه من أى طريق كلَّ غرضهم في الحياة بما لا يقبل المنافاة بين الآيات التى تشجع على الكسب والتحصيل ، والآيات التى تهدد وتنذر الذين يكتنزون الأموال ولا يؤدون حق الله فيها ، فآيات الفتنة والامتحان إنما هى في الحقيقة تنذر أولئك الذين جعلوا المال هدفا لذاته وغاية كل غاية فقد سمى الله تبارك وتعالى المال مرة « زينة » ومرة « فتنة » فقال جل ثناؤه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا / الكهف) وقال :- (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم / التغابن) .. فهو في الآية الأولى زينة الحياة الدنيا « والزينة تغرى - والزينة تلهى عن الله والدار الآخرة إلا من وفقه الله » لذا قال تعالى في سورة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) لأنه يعلم أن بعض العباد تشغلهم الأموال وتلهيهم عن ذكر الله - واللهو عن ذكره سبحانه وتعالى خسارة أيما خسارة ، فأرشد عباده المؤمنين لتلافى تلك الخسارة الكبرى ، ولا يكون ذلك إلا بمراقبة الله في السر والعلن ، وأداء حقوق الله . وقد علم الله تعالى كذلك ان من العباد من تقطع أعناقهم الأموال ، التى يجلبها البيع والشراء .. فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) فالحكم وإن كان خاصا بالجمعة إلا أنه عام في غيرها كذلك مع مافي الجمعة من خصائص ومميزات ، فالمال فتنة بلا شك يفتن أصحاب القلوب الضعيفة ويقعدهم عما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة كما فتن قارون وفرعون وأشباههم من الأولين والآخرين ، والمال كذلك ميدان سباق لأعمال البر والإحسان لأصحاب الهمم العالية حينما يبذلون أموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته كقوله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) . فهو وسيلة للفداء والتضحية في سبيل الله وفي سبيل السعادة الأبدية التى تكفَّل المولى عز وجل بها لعباده المؤمنين . وقد امتدح الله سبحانه وتعالى أصحاب هذه الطبقة في غير موضع من كتابه ، وجاءت السنة المطهرة فأيدت ذلك كل التأييد وحثت المسلم على أن يكون له فضل مال يقيم به أوده في الحياة ويتقرب به إلى الله ، ويترك لورثته من بعده ما يسد عوزهم من الفاقة والسؤال كقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص رضى

الله عنه (إنك إن تذر ورثتك أغنياء ـ خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) وشجع المسلم على الاكتساب من المال الحلال كقوله عليه الصلاة والسلام (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .... بل وعظمت السنة المطهرة شأن المال فجعلته من الكليات التى جاء الإسلام بالمحافظة عليها صيانة للحقوق المشروعة فيه · فمن قاتل دون ماله وعرضه فقتل فهو شهيد ·

هذه نظرة الإسلام إلى المال ، نظرة تقدر فيها للعاملين نتيجة كسبهم وكدحهم في الحياة فلا تبخس أحدا ولا تظلم أحدا لمصلحة آخر ·

فلا إباحية تبيح للماجنين أن يعيشوا على أكتاف الآخرين شأن النظرية الماركسية التى تبيح الشيوع وتنادى به ، وإنما لكل امرىء نتيجة سعيه لا يعدوه إلى سواه ·

ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون في المال نصيب مفروض للبائسين والمحرومين يأخذونه من أموال إخوانهم الذين وسع الله عليهم في الرزق إما بطيب خاطر ورضى نفس كالصدقات وأعمال البر ، وإما على سبيل الوجوب والإلزام كالزكاة وجعلت الشريعة الإسلامية مصارف تصرف فيها الأموال لمستحقيها كما بين الله ذلك في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ·

أوجـــــه صرف المـــــــــال

لما كان ـ المال ـ عصب الحياة وشريانها وكانت المشاكل تحصل بسببه بين الناس ويحصل النزاع والقتال من أجله · جعل الله تبارك وتعالى له مصارف عادلة يُصرف فيها لمستحقيها ـ من المساكين والمحرومين · فعدد الله ثمانية أصناف من هذا النوع تعطى لهم الزكاة من أموال الأغنياء ، يأخذها ولى أمر المسلمين ويقسمها بينهم كما أمر الله جلت قدرته ، ووضح ذلك غاية الإيضاح ، فلم يترك ذلك لاختيار أحد ، ولم يتركها كذلك للأغنياء أنفسهم يعطون من شاءوا ويحرمون من أرادوا حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وآراؤهم فقال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم) · فهؤلاء هم أصحاب الزكاة الذين سماهم الله في كتابه فلا تجوز لغيرهم ولاتحل لغنى ولا لقوى مكتسب · هذه هى مصارف الزكاة في الإسلام ... مصارف عادلة لا ضرر فيها على أحد من الأغنياء ، ولا بخس فيها للفقراء والمساكين كذلك ، فيشعر الجميع بشعور الأخوة والتعاون على البر والتقوى ، فحينما يقدم الغنى الميسور لأخيه الفقير المعدم بعض فضله ويفيض عليه من سعته إنما يشعر أن هذا العمل الذى قام به واجب من واجباته وحق من حقوق أخيه يجب أن يؤديه ويقابل ذلك الأخ هذه

المعاملة بالرضى والامتنان لله أولاً ـ ثم لأخيه ثانيا ؛ فأولاً ؛ لله الذى فرض هذه الفريضة العادلة فكفلته وشملته بعدلها وإنصافها ورحمتها فلم تتركه للضياع والحيرة ولم تسلمه للفساد والانحراف أو السرقة والنهب والتخريب بعد أن عجز عن العمل تماما ؛ وثانياً ؛ لأخيه من بعد الذى تذكر أن له أخا في الله له عليه حق يؤديه له طاعة لله وامتثالا لأمره سبحانه وتعالى ، فيعيش الجميع في صفاء ومحبة وألفة يستمتعون جميعا بعدل الله ورحمته ، إخوة متحابين متعاونين كالجسد الواحد ٠

وفي اعتقادى أن أية أمة من الأمم تطبق هذا المنهج الربانى الخالد في نظام حياتها واقتصادها وشتى شئون الحياة لاشك أنها ستعيش في سعادة كاملة وراحة تامة ، لاتعرف معها الفوضى الأخلاقية ولا الحرمان والظلم والجور والأنانية وحقد الطبقات بعضها على بعض كما هو مشاهد اليوم في الدول الاشتراكية بل ولا تشكو من الفائض ولا التضخم المتزايدين اللذين يشكلان الأزمات الاقتصادية لتكدس الثروات بايد قليلة لها السيطرة التامة على النظام الاقتصادى العام للبلاد ٠

مزيـــــــة الاقتصـــــاد الإســـــلامى

على ضوء ما تقدم نستطيع وضع اللمسات السريعة على مزية الاقتصاد الإسلامى على سائر النظم الاقتصادية الوضعية ٠ السائدة التى لاتقوم ولاتنهض إلا على انكار الذات الإنسانية ومحاربة الفوارق بين الناس كافة بزعم العدل والمساواة في الطبقات ... يقول الأستاذ العقاد رحمه الله في كتابه الديمقراطية الإسلامية ما نصه (والمتأمل في حقيقة الأمر يجد أن الفوارق بين الناس متعددة لا تنحصر فى شئون الرزق والثروة فحسب بل منها ما هو فوارق طبيعية تلازم البشرية كافة ولا تكاد تنفصل عنهم ولا يخلون منها على طول الخط .... وإذا كان الناس متفاوتين بطبيعتهم فمن الظلم البين أن تسوى بينهم ، وأن تجعل المتقدم منهم كالمتخلف ـ والعامل كمن لا يعمل ٠ ومن المسخ للطبائع أن تحرم الفاضل ثمرة فضله ، وتؤمن الكسلان والبليد على عاقبة كسله وبلادته ، فلا إنصاف لذى كفاءة في هذه المساواة ، ولا فائدة لعاجز فيها ، لأن العاجز لا يسلم من عجزه باختياره ، وكل ما نجنيه من هذا الإجحاف تعجيز الأكفاء وتثبيط العاملين) ٠

أقـــول : وكذلك فعلت النظم الشيوعية والاشتراكية ٠ فالنظام الشيوعى يقوم على أساس إلغاء الفوارق ويرى عدم استقامة الحياة مع بقاء الفوارق بين الناس في المال أو شئون الرزق على العموم ٠ والنظام الاشتراكى يقوم على أساس الغاء الملكية الفردية وإباحة الشيوع

على طول الخط ، وأما النظام الرأسمالى فهو يقوم على أساس الملكية المطلقة وبدون حدود · وموضع الخطأ في النظم الأخرى واضح بلا جدال ·

ومن هنا تتضح لنا مزية الاقتصاد الإسلامى بين تلك المتناقضات والاضطرابات الفلسفية ، فموقف الإسلام وسط وفي غاية الاعتدال ، فلا يبيح الشيوع ولا يبيح إطلاق الملكية بلا حدود ، وإنما يقيد الملكيات كلها الخاصة والعامة بقيود الشرع ، ومن هنا أيضا تبرز مزية النظام الإسلامى في قاعدتين أساسيتين هما : إنكار قوة الاستغلال والاستبداد ، وتقدير حق العمل وتشجيع أصحاب الكفاءات تلك مزية الاقتصاد الإسلامى في جلاء ووضوح تقدر للعاملين نتيجة عملهم في ميادين الحياة ، وتقمع قوى الظلم والجور ، وتقرر مبدأ التكافل الإجتماعى في إطار من العدل والرحمة لمن هم في مسيس الحاجة إلى العون والمساعدة ، وذلك بتوزيع الثروة كما قررته شريعة الإسلام ، وعددت أصحاب الفريضة في الزكاة وكذلك الحماة والغزاة في سبيل الله ، وسد الثغور الإسلامية ، وسائر من يتولى مصالح الأمة الإسلامية من خليفة المسلمين إلى من يقم الشوارع · وهكذا يقف النظام الربانى شامخا صامدا يتحدى جميع النظم والنظريات وغيرها على مدى الأيـــام ·

* * *

قريبـــــة

قال معاوية للأحنف بن قيس ما تقول في الولد؟ قال، يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، بهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك ··

فقال معاوية، لله أنت يا أحنف، لقد أرضيتنى عمن سخطت عليـــه من ولـــدى، ووصلته بمحبة عظيمـــة ·

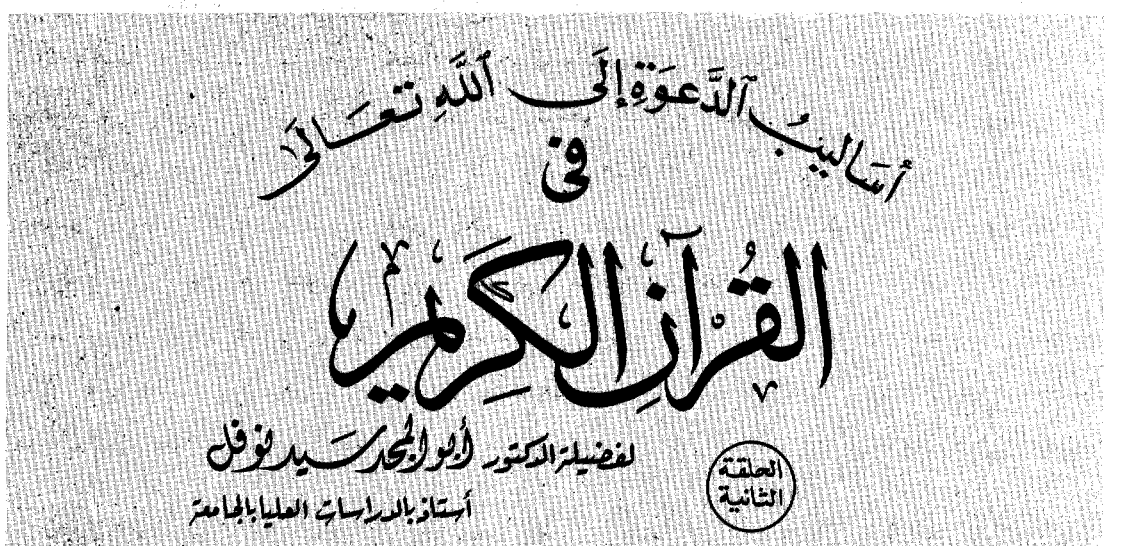

٥ ـ منهج القرآن في الاستدلال على صدق العقيدة الإسلامية

ولقد ساق القرآن الكريم الأدلة الكثيرة على صحة العقيدة الإسلامية وفساد غيرها من العقائد الأخرى .

فالله عز وجل يوجه الأنظار إلى الآثار الناطقة بوجوده . وهو استدلال بالصنعة على الصانع وبالأثر على المؤثر ، وهو دليل واضح لا يحتاج إلى كبير عناء .

ومن هنا فلقد كان الكون كله أرضه وسماؤه ، وما فيهما .. حقلا واسعا لصياغة هذه الأدلة فجاءت آيات القرآن تحمل الدعوة إلى النظر في السماء ، والنجوم ، والشمس ، والقمر ، والأرض ، والجبال ، والبحار ، والأنهار ، والإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماد داعية إلى التأمل الصحيح والنظر الدقيق في هذه الآيات البينات . وليس بعد ذلك سوى الإيمان بوجود الصانع جل وعلا ، الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا . ويوجه القرآن العقول إلى ملاحظة الواقع المشاهد والتزام المنطق السليم في الحكم على الأشياء وذلك في استدلاله على صحة الإيمان بالبعث والإعادة ، فإن المنكر للإعادة يقول (من يحي العظام وهى رميم) ؟ فيقول الله عز وجل : (.. يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (يس آية ٧٩) .

ويعنى هذا ، أنك أيها المنكر للبعث تسلم ولاشك بوجود العظام .. وهو يستلزم الإقرار بأنها مصنوعة ولا يمكن أن تصنع من عدم ، لأن العدم لا يصنع وجودا . فاذا انتهيت من ذلك وجب عليك التسليم بأن العظام إذا رمت وبليت فليس هناك أى مانع من إعادتها إلى ما كانت عليه قبل أن تبلى لأن من قدر على صنعها ابتداء ، فهو أقدر على إعادة صنعها ، لأن الإعادة أسهل من البدء .. (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) . والقرآن الكريم يستدل بالظاهرة الكونية على صدق ما يقول ، بإيراد الظاهرة مجملة ثم يأخذ في بيان ما تشتمل عليه من آيات ، وفي بيان أنواع كل آية ، وما تحمله من دليل وبيان آثارها وجمال صنعتها .. فالسماء مثلا أصلها كذا ، وهى مؤلفة من كذا ، ووظائفها كذا .. ثم يفصل هذه الآية (السماء) ويبين ما اشتملت عليه ، ففيها النجوم والشمس والقمر .. وكل من هذه له خصائصه وآثاره في الكون .

والماء مثلا . له أنواعه ، ووظائفه ، وآثاره ، وكذلك الإنسان ... خلق من كذا وركب من كذا وهكذا يستخدم القرآن الكريم المظاهر الكونية أدلة على صحة ما يقول ، وينهج في هذا الاستدلال منهج الإجمال والتفصيل ، والتنويع .. ليزيد من تقرير العقيدة وتثبيتها .

٦ ـ نماذج من هـــذا الاســـتدلال

فعندما صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه معلنا كلمة التوحيد ، وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، رب العالمين . وأن رب العالمين ليس وَدًّا ، ولاسواعا ، ولا يغوث ، ويعوق ، ونسرا ، وليس وثنا ، ولا ملكا ، ولا زعيما ، ولا حاكما .. ولا شمسا ولا قمرا ، ولا ماء ولا نارا ، إنه الله وحده رب العالمين ... استدل على صحة ما يقول بوجود الأرض والسماوات . فهما الآيتان الناطقتان بوجوده تعالى ووحدانيته ، فهو وحده خالقهما ، وهو الذى خلق الأرض ، وجعل فيها الرواسي ، وأودع فيها البركة والأقوات ، وقسم فيها الأرزاق ، وهو صاحب السموات السبع ، لا يعجزه شيء فيهما ولا في الأرض وكل من السماوات والأرض وما فيها طوع يمينه . فالإيمان به جل وعلا واجب ، ولا ينبغى الإيمان بغيره لأنه كفر وانحراف عن الطريق المستقيم .

(قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت / ٩ـ١٢ .

وفى سوق هذا الدليل على هذا النحو الكفاية لذوى العقول والألباب .. لكنه تعالى ، وهو الأعلم بخلقه ، وما يصلح لهم من أدلة الاقناع والتأكيد ..... يأخذ في بيان بعض صفات كل من السماء والأرض ثم يبين بعض ما اشتملت عليه كل منهما .

فالسماء . خلقها الله بغير عمد (.... خلق السموات بغير عمد ترونها .....) لقمان /١٠ . كما خلقها بقدرته تعالى (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات /٤٧ وهى سبع سموات مطبقة بعضها فوق بعض (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) نوح /١٥ وهى عظام شداد (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) النبأ /١٢ .. وهى لا شقوق فيها ولا تصدع (فارجع البصر هل ترى من فطور) الملك /٣ . وهى السقف المحفوظ (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) الأنبياء /٣٢ وهي المسوكة بقدرته حتى لاتقع على الأرض (.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .) الحج /٦٥ .

والأرض : جعلها الله تعالى ذلولا صالحة للمشى والإعاشة (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك /١٥ وهى مدحوة (والأرض بعد ذلك دحاها) النازعات /٣٠ ممدودة غير مطوية (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا) الرعد /٣ . مبسوطة غير مقبوضة . (والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا) نوح ١٩ ـ ٢٠ وهى مهاد وسكن للإنسان ولغيره (ألم نجعل الأرض مهادا) النبأ /٦ . وهى الميتة بالجدب والحية بالخصب والرى (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه تأكلون) يس /٣٣ . وهى التى خلق منها وعاش فيها الإنسان ، وهى التى يعاد إليها ميتا ، ويبعث منها يوم القيامة (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طـه /٥٥ .

والماء : هو أصل كل حى (وجعلنا من الماء كل شىء حي ..) الأنبياء /٣٠ ، وهو سبب إحياء الأرض بعد موتها . (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ...) النحل /٦٥ . وهو سبب إخراج الثمر ، ورزق للعباد (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ..) البقرة /٢٢ . ومنه العذب ومنه الملح (أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) الواقعة /٦٨ ـ ٧٠ . (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) الرحمن /١٩ـ٢٠ . وهو يكون البحار والأنهار التي يستخرج منها اللؤلؤ والسمك وتسير فيها الفلك « ... لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ... » النحل /١٤ .

والإنسان : مخلوق من تراب (والله خلقكم من تراب ...) فاطر /١١ · ومن نطفة (.. من نطفة خلقه فقدره) عبس /١٩ ومن علقة (خلق الإنسان من علق) العلق /١٩ ومن طين (هو الذى خلقكم من طين) الأنعام /٢ ومن نفس واحدة (.. الذى خلقكم من نفس واحدة ...) النساء /١ · ومن ماء دافق (خلق من ماء دافق) الطارق /٦ · ومن صلصال من حمأ مسنون (.. من صلصال من حمأ مسنون) الحجر /٢٦ · وجعل خليفة لله في الأرض (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة ..) البقرة /٣٠ وخلقه سويا (الذى خلقك فسواك فعدلك ..) الانفطار /٧ · وجعل له عينين ولسانا وشفتين ، وهداه النجدين (ألم نجعل له عينين · ولسانا وشفتين · وهديناه النجدين) البلد / ٨-١٠ · وفضله على سائر المخلوقات بعقله (هل في ذلك قسم لذى حجر) الفجر /٥ ، وعلمه البيان (علمه البيان) الرحمن /٤ · وخلقه على ألوان ولغات متعددة (.. واختلاف السنتكم وألوانكم ..) الروم /٢٢ · ويسر له أمره .. (ثم السبيل يسره) عبس /٢٠ وسخر له مافي السموات ومافي الأرض (وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه ..) الجاثية /١٧ ·

وهكذا في سائر الآيات يبين أصلها ، وخصائصها ، وآثارها ... كآيات الشمس ، والقمر والنجوم ، والظلمات ، والنور ، والليل ، والنهار ، والرياح ، والسحاب ، والشجر ، والجبال ، والحيوان ، والطير ، والنبات ، والزرع ، والثمر ..... جاء بها على هذا النحو السابق لبيان عظمة الصنع الإلهى ، وروعة الخلق الربانى .... وبهذا يتأكد الإيمان بالذى خلق فسوى والذى قدر فهدى · كما سلك القرآن الكريم هذا المسلك في تقرير سائر مبادئه ومطالبه ....

٧ ـ العقيدة في الأساليب الخبرية والإنشائيـــة :

ولا يمكننا عرض كل الأساليب التى صيغت فيها العقيدة في القرآن الكريم في هذا البحث القصير اذ أن هذا أمر يصعب تحققه · ولهذا سنكتفى بإيراد نماذج من هذه الأساليب موضحين كل نموذج بمثال أو أكثر ، وفيه الكفاية لبيان المراد ·

الأساليب الخبريـــــة :

يقول أهل اللغة والبيان : إن الكلام ينحصر في نوعين هما الخبر والإنشاء ، فالكلام الذى يحتمل التصديق والتكذيب هو الخبر ، والكلام الذى يقترن معناه بلفظه هو الإنشاء(١) ·

---

(١) وقيل أن الخبر كلام يفيد بنفسه نسبة أمر من الأمور نفيا أو اثباتا · فإذا قلنا القرآن كلام الله تعالى فإننا نفيد نسبة القرآن إلى الله تعالى · وإذا قلنا الأناجيل الموجودة الآن ليست كلام الله تعالى فإننا ننفى هذه النسبة .. أما الإنشاء فهو الذى يحصل مدلوله في الخارج بالكلام أى إذا قلت (قم) فإن القيام يحصل بعد تلفظك بلفظ (قم) لا قبله · والخبر خلافه · والقصد بالخبر هو إفادة المخاطب أمرا من الأمور كإخبار الله تعالى بانه خلق كذا وكذا .. ومن أقسامه النفي مثل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ·

ولقد أورد على تعريف الخبر السابق خبره تعالى ، فإنه لا يكون إلا صادقا · وأجيب بأنه يصح دخوله إذا نظرنا إليه من حيث اللغة بقطع النظر عن محتواه · أما من حيث معناه ونسبته إلى قائله فأخبار الله تعالى لصدورها عنه جل وعلا لا تحتمل إلا الصدق فقط سواء كانت إيجابا أو سلباً (·· ومن أصدق من الله قيلا) النساء /١٢٢ · فإذا قال الله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون · والأرض فرشناها فنعم الماهدون · ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) الذاريات ٤٧ ـ ٤٩ فهو إخبار عن أنه هو الخالق للأرض والسماء ، وكل شيء ، وهو إخبار صادق لأنه من الله عز وجل · والقصد من هذا الخبر أن ينظر المخلوق في هذه الآيات ويتأمل صنعها ليؤمن بوجود صانعها ·

ومن هذا القبيل قوله تعالى : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف /٥٤ ·

كما أخبر تعالى بأنه واحد لا شريك له · والدليل على ذلك يظهر فيما يراه الإنسان أمامه من صنع السماء والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وخلق البحار والماء ، والرياح والسحاب ، ولولا وجود هذه الأمور لتوقفت الحياة · وهذه الآيات توجد بنظام وإحكام ، وكل منها دائب في عمله على أبدع ما يكون ، وهو مسخر لإيجاد الحياة الطيبة للإنسان ، وهو ما ينطق بوحدة الصنع الدالة على وحدة الصانع جل وعلا (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم · إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة ١٦٣ ـ ١٦٤ ·

وتأكيداً لتفرده سبحانه وتعالى بالخلق والصنع ، وتقريراً لوحدانيته ، فلقد نفى إيجاد أى شيء في هذا العالم عن غيره ، ونفى وجود إله أو آلهة أخرى ، ونفى أن يكون له شريك ، وأخبر أن المتخذين من دونه آلهة لا يستطيعون ضرا ولا نفعا ، وأنهم سيكفرون بمن عبدوهم يوم القيامة · إنه تعالى الواحد الأحد المنفرد بالخلق ، والمحيط علمه بجميع مخلوقاته في حركاتهم وسكناتهم ، وفي شتى أمورهم وأحوالهم ، يعلم أعمارهم وبيده رقابهم ·· وهو وحده القادر · ومن قدرته أنه خلق البحرين العذب والملح ، لا يطغى أحدهما على الآخر ، ومنها يأكل الإنسان لحوم الأسماك ، ويستخرج اللؤلؤ وغيره مما يتحلى به الإنسان ، وفيهما تسير الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام ، وسائل نقل بحرية للإنسان وغيره ·· وهو وحده الذى

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وهو وحده مسخر الشمس والقمر للإنسان ، كل يجرى إلى أجل مسمى عنده سبحانه وتعالى .. وهو وحده مالك الملك وهو على كل شيء قدير ، أما الذين يدعون من دونه فلا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا لغيرهم من باب أولى ..

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير . وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فاطر /١١-١٤ .

في الأساليب الإنشائيـــــة :

والإنشاء كما تقدم ، هو ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام فإذا قلت (لاتقم) فإن عدم القيام يحصل بعد تلفظك بـ (لاتقم) .

وأقسام الإنشاء كثيرة منها (الأمر) وهو طلب فعل غير كف ومثاله قوله تعالى لنبيه أمرا إياه بالشهادة (فاعلم أنه لا إله إلا الله ..) محمد /١٩ والأمر للنبى عليه السلام أمر لأمته ومنها (النهي) وهو طلب الكف عن الفعل ومثاله قوله تعالى لنبيه ناهيا إياه عن الشرك (لاتجعل مع الله إلها آخر ..) الاسراء /٢٢ وهو نهى له عليه السلام ولأمته .

ومنها الاستفهام وهو طلب الفهم مثل قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ..) النازعات /٢٧-٢٨ .

ومنها (الشرط) مثل قوله تعالى الذى أقام به الدليل على فساد عقيدة الشرك ، واستقامة عقيدة الوحدانية (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ..) الأنبياء /٢٢ .

ومنها (النداء) مثل قوله تعالى الذى بين فيه فساد عقيدة الشرك ، وأن المدعوين من دون الله ضعفاء لا يستطيعون خلق أقل الأشياء ، وأنهم اذا ضاع منهم شيء لا يملكون إرجاعه ومن كان هذا شأنه لا يستحق التأليه ولا العبودية .. (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الحج /٧٣ .

حقوق الإنسان في الإسلام

الحلقة الثالثة

بقلم الشيخ : عبد الفتاح عشماوي
محاضر بكلية الحديث

أما عن الحرية الدينية التى ذكرها إعلان حقوق الإنسان فكان عليهم أن يتواروا خجلا من أن يذكروا شيئا عنها ، لقد لقى المسلمون منهم أفظع ما لقى أهل دين من اضطهاد وإبادة ، وزاد سعيرها اليوم بما هو صارخ في كل مكان يحتوى على أقلية إسلامية ، إن اليهودية والنصرانية والشيوعية والهندوسية والبوذية ليس لهم جميعا اليوم إلاعدو واحد ، هو الإسلام وأهله ، وأصبح اليوم أرخص دم في العالم دم المسلم ، في مدنية القرن العشرين وهيئة الأمم المختلفة ومجلس خوفها الحامى حمى الأمان والسلام على الأرض ، إلا المسلمين فلا أمان لهم عندهم ولا سلام ، وكل ذنبهم أنهم قالوا ربنا الله .

ونحن ماذا فعلنا لما هيمنا وحكمنا ، وعاشوا أقليات مصانة محفوظة في ظل شريعتنا السمحة ، لقد قال في ذلك قائل هذين البيتين

حكمنا فكان العفو منا سجية ... فلما حكمتم سال بالدم أبطح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذى فيه ينضح

إننا لم نتمشق الحسام ولم نخرج سيوفنا من أغمادها إلا عندما نفذ الصبر وفاض الإناء ، وَوصِفْنا من الحكم العدل بأننا ظُلمْنا ، (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا وأن الله على نصرهم لقدير) ، وإذا كان علينا أن ندفع عن أنفسنا وأن نؤدب عدونا وأن نريه أن صبرنا ما كان إلا بأمر ربنا ، فلما أمرنا كان شعارنا الخالد قوله تعالى (قل هل تربصون بنا الا إحدى

الحسنين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) ، ومنذ نزول هذه الآيات على رسولنا صلى الله عليه وسلم ونحن على هذا الصراط السوى نسير ، فلا نعتدى على أحد ولا نقبل أن يعتدى علينا أحد ، وتركنا لغيرنا حرية اختيار ما يعتقده والدين الذى يعتنقه وإثمه على نفسه ، إن فرعون قال لقومه : (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) فلما أدركه العقاب المؤقت لإثمه في الدنيا بالإغراق ، قال وهو على وشك الغوص في الماء : (وأنا من المسلمين) ، بل تركنا غيرنا يتعصب لنبى معين لا يعتقد بنبوة سواه ، كما فعل اليهود والنصارى ، ولم نعاملهم بالمثل لما كفروا بنبينا صلى الله عليه وسلم ، بل آمنا بأنبيائهم وبكل نبى ورسول من لدن نوح عليه السلام إلى النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم (لا نفرق بين أحد من رسله) ، ولا نعتبر مؤمنين على الاطلاق إذا أنكرنا واحدا منهم ، ومبشروهم يجوبون الآن خلال الأرض في ظل إعلان حقوق الإنسان ، ليخرجوا الناس من دينهم ويحملوهم على الإيمان بنبيهم فقط ، وبوسائل تخلو من كل إنسانية ، ثم يأتوا ليعتموا على الناس اعتداءهم على الأديان بلىّ ألسنتهم بكلمة (الحرية الدينية) وهم ألدُّ أعدائها ، وحصيلة الحديث أن الإسلام يأبى بترفع أن يتطفل على أحد ليعتنقه ، لأن المعتنق له هو المستفيد وحده ، ومنزله سبحانه لا يناله نفع ولا ضر (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) (من عمل صالحا فلنفسه) ، بل حتى الذى يدخل في الإسلام لا يرضينا منه الا أن يكون مقتنعا به عاملا بالأوامر مجتنبا للنواهى ، يقول في ذلك الإمام الشيخ محمد عبده : ـ

(إن التقليد بغير عقل ولا هداية شأن الكافرين ، وإن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن رُبِّى على التسليم بغير عقل ، وعلى العمل ـ ولو صالحا ـ بغير فقه ، فهو غير مؤمن ، فليس القصد من الإيمان أن يُذَلَّلَ الإنسان للخير كما يُذَلَّلَ الحيوان ، بل القصد أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم ، فيعمل الخير وهو يفقه أن الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر وهو يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته) .

فإذا كان هذا حالنا مع من يعتنق الإسلام أصلا ، فهل نرغم الناس على أن يعتنقوه ؟ أم أن الذين (وضعوا حقوق الإنسان) أحسوا بأنهم يفعلون ذلك كما بينا آنفا ، فراحوا يصرفون النظر عنهم . بحقوق متكلفة متصنّعه ؟ .

أما عن الفقرة الخاصة في حقوقهم التى وضعوها ، بحرية ترك ما عليه من دين والانتقال كما يشاء من دين إلى آخر ، فنحن نقر ذلك تماما اذا انتقل من النصرانية الى اليهودية الى الشيوعية الى البوذية الى الهندوكية إلى آخر قائمة الكفر الطويلة ، لأن الصورة

عندنا واحدة وهى أنه ترك حقا ليس سواه ، وهو الله ، واعتنق باطلا يتردى في نتن أنواعه المتعدده ، لا يترك واحدا منها إلا ليذهب إلى ما هو مثيله في الضلال والوبال ، فلا مفاضلة بين الباطل مهما تفاحشت أنواعه وأعداده وأوساخه ·

أما بالنسبة لديننا الذى نسبه الله إلى نفسه (يدخلون في دين الله أفواجا) أىّ دين الله هذا ؟ (بلى من أسلم وجهه لله) (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) ، والآية الأخيرة أنهت الجواب بأعظم حسم لمن يريد أن يدْخل الإسلام في تلوُّن الحرباء والتقلب في دناءة الهوى ، فالمسلم يوم أن أسلم قطع مع الله عهدا هائلا ، ووضع يده في يده سبحانه لتكون هى العليا ، فلا تسمح له بأن ينفض يد البيعة ببساطة متى عنّ له ميله ، دون أن يذوق وبال أمره - (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) ، فليست كل بيعة تقوض بسهولة ، وليس كل عهد يُلعَبُ به ، وكان الطرف الأقوى هو خالق المعاهد ورب المبايع ، ثم يترك هكذا سُدًى طليقا ، وإنما كما قال الأجلُّ الأعز (كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات (إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نُوَلِه ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا) ، وقبل هذا الأمر الرهيب الذى ينتظره في الآخرة بما ذكرت الآيات ، فلابد أن نجعل منه نحن زاجرا مخيفا لمن يتلاعب بدين الديان ، الذى ما أقر دينا سواه ليبقى على الأرض ، حتى يرث هو أرضه ومن عليها ·

(البـــاب الخـــــامس)

ونتناول الحديث في هذا الباب عن مادة واحدة من مواد إعلان حقوق الإنسان وهى المادة السادسة عشرة ، ومع أنها مادة واحدة فسيكون الكلام عنها هو أطول ما قيل في الأبواب العشرة ، ذلك لأن هذه المادة تختص بالمرأة ، والحديث عن المرأة متشعب ومشكل ، وشائك أيضا ، وقد يكون ذلك هو السبب في أن المرأة كثيرة الكلام لاتنتهى لها ثرثرة ، وعلى أى حال سنبدأ الحديث عنها في هذا الباب بالصورة التى رتبناها منذ البداية ، وهى نقل حرفية المادة المذكورة فيما زعموه (حقوق الانسان) ، وهى : -

(المادة السادسة عشرة)

أ - للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة ، دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين ، ولهما حقوق متساوية عند الزواج ، وأثناء قيامه ، وعند انحلاله ·

ب ـ لا يبرم عقد الزواج إلا برضا الطرفين الراغبين في الزواج ، رضا كاملا لا إكراه فيه ·

ج ـ الأسرة هى الوحدة الطبيعية للمجتمع ، ولها حق التمتع بحماية المجتمع وحماية الدولة ·

على أننى سأبدأ الحديث أولاً عن المرأة بتناول بعض ما اتخذه الحانقون على الاسلام قصة من قصص الترديد المتبذلة ، والتقطها منهم الناعقون المحسوبون علينا عروبة ودينا ، قالوا : لماذا يبيح الإسلام الزواج بأكثر من واحدة إلى أربع ، بل ولماذا تزوج نبى الإسلام صلوات الله عليه بأكثر من أربع ، تزوج بتسع ، وظنوا أنهم بهذا التهجم الوقح على خير دين وأكرم رسول قد وجدوا ضالتهم ، عسى أن ينالوا بذلك النيل الذى يريدونه ، فراحوا يبثونه في أوساطنا الإسلامية ، بل وشاركهم في ذلك أبناؤنا الذين ترسلهم حكوماتنا إلى الخارج ليتعلموا ، فيسقونهم هناك من الكأس المعد لهم ، وننتظر نحن عودتهم بعد أن تعلموا ، وإذا بهم عادوا ليتهجموا ، أما نحن فنرد قائلين ، آخذين أساس ردنا من القرآن الكريم إن شاء الله ، ..... سنبدأ أولا بما هو لعامة المسلمين ، ثم حسن التثنية والثناء بما هو خاص بنبى المسلمين صلى الله عليه وسلم ·

أما عن إباحة الزواج بأكثر من واحدة إلى أربع ، فنقرأ بعضا من الآية الخاصة بذلك ثم نتناولها بالتوضيح ، يقول تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ، وقد اكتفينا بهذا الجزء من الآية وصولا إلى أساس الموضوع وتجنبا للإطالة ، فالأمر هنا (فانكحوا) ، ليس للإلزام وإنما للتخيير ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ، لأن القاعدة أنه لا تخيير بعد الإلزام ، وما وجه الإباحة إذاً ؟ لقد علم الله فينا شدة الميل إلى النساء ، (زين للناس حب الشهوات من النساء) ، فهن أول قائمة الشهوات المذكورة في الآية بعد ذلك ، وأنه بعد زواج الواحدة ، وبعد قضاء المأرب منها زمناً ما ، فقد ينظر الى أخرى على أنها قد تكون أحسن من التى معه ، فهذه الثانية التى أعجبته ، بدل أن يعمل على نيل ما يريد منها بالفاضح المشين ، فليتزوجها بالواضح المبين وبنفس الاحساس مع الأولى الذي جعله يأتي بالثانية ، بدأ يحس به بالنظر إلى ثالثة ، فقد يكون فيها ما ليس في السابقتين ، فلا مانع بالعلنية وليس بالسرية ، لم يقنع بعد الثلاث بأن الطعم واحد ، فطابت في عينه رابعة ، وإلى هنا يكون الأمر قاطعا لديه بأنه وجدهن جميعا في الخلوة شيئا واحدا ، فلا يبحث عن خامسة ليزنى بها ، حيث لن يجد فيها جديدا بعد أن تأكد من أربع ، وهنا يقدم الإسلام للمجتمع أمراً من أعظم الأمور المبعدة للفسق والمشككة في النسب ·

ثم إن الآية خَوَّفتْ بعد السماح بالزواج إلى أربع من شيء هو مستحيل ، وهو العدل بين الزوجات (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ، فإذا أمكن العدل بما هو ظاهر فلا يمكن العدل بما هو باطن ، وهو القلب الذى لا يقلبه إلا فاطره سبحانه وخوفتنا الآية بلفظ الخوف الصريح (فإن خفتم ألا تعدلوا ، فواحدة) ، أى الأحسن أن تكتفوا بواحدة لعدم استطاعة العدل بينهن ، وأن الذى يضطر إلى الزواج بأكثر من واحدة يكون لغير الميل الغريزى ، وإنما لأسباب قد يصبح التعدد فيها خيرا من الاكتفاء بواحدة ٠

نقول ذلك وقد أصبح الذين يعيبون على الإسلام إباحة التعدد يطالبون حكوماتهم أن تبيح لهم ذلك ، لما كثرت الفواحش ، وأهلكت الحربان العالميتان من الرجال ما أهلكت ، بالإضافة للحروب الجانبية المنتشرة في كل أرجاء الأرض ولا تنقطع سنة واحدة ، حتى زاد عدد النساء على الرجال أضعافا ، وأصبحت المرأة لاتتزوج سرا بأربعة رجال فقط ، بل بما يحلو لها وتريد ، وبعدد غير محدود ، فالحمد لله على سماحة هذا الدين ودقة تشريعه ٠ فهل لازال منا من يسأل ، لماذا أباح الإسلام تعدد الزوجات ؟ ٠

أما عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فما أحلى الكلام في ذلك دحضا لقذر ما قالوا ٠

فنقول إن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يتزوج بتسع كما قال هؤلاء وكما اشتهر على ألسن الكثير من الناس ، وإنما لنزيد في غيظهم نقرر أنه صلوات الله عليه تزوج بأكثر من تسع ، تزوج بإحدى عشرة ، ونقصد بالزواج هنا من دخل بهن ، عليهن رضوان الله ، فالثابت وقوع العقد منه على غير الإحدى عشرة ولم يبن بهن ، وإنما التسع اللواتى عرفهن الناس من مات عنهن وعِشْنَ بعده ، وهذه أسماء الإحدى عشرة كرمهن الله ٠

(١) خديجة بنت خويلد (٢) عائشة بنت الصديق (٣) حفصة بنت عمر (٤) أم حبيبة (رملة) بنت أبى سفيان (٥) أم سلمة (هند) المخزومية (٦) سودة بنت زمعة (٧) زينب بنت جحش (٨) زينب بنت خزيمة (٩) جويرية بنت الحارث (١٠) ميمونة الهلالية (١١) صفية بنت حُيَىّ ٠

مات منهن في حياته صلى الله عليه وسلم اثنتان ، خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، المعروفة بـ (أم المساكين) ، والتسع الباقيات بقين بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أعمارا مختلفة ، رضى الله عنهن من أمهات للمؤمنين ٠

وقد جمعهن أحد العلماء في الأبيات الثلاثة الآتية : ـ

تـوفى رسـول الله عـن تسـع نسـوة إليهن تعـزى المكرمـات وتنسـب
فعائشـة ، ميمونـة ، وصفيـة وحفصـة ، تتلـوهن هنـد ، وزينـب
جـويرية ، مـع رملـة ، ثم سـودة ثـلاث وسـت ذكـرهن مهـذب

ويلاحظ لمجرد ذكر أسمائهن وأنسابهن ، أنهن يجمعن باقة أشهر القبائل العربية وأقواها ، لهذا كان اختيار هن وسيلة من وسائل شد هذه القبائل بصاحب الرسالة صلوات الله عليه ، ليكون ذلك صورة من صور التبليغ عندما تقع المصاهرة ، وهى من أهم وشائج الصلات عند العرب ، وأظهرها وقوع التواصل والتلاقي ، وترديد اسم مشهور لخير من زاوج وصاهر ، وهو اسم محمد الذى هزّ مجتمعهم كله من أساسه ، ولذا ثبت بسبب هذا التصاهر دخول كثير منهم في الإسلام ، ممن لم يسبق لهم الدخول فيه قبل المصاهرة ·

ثانيا وهو الأخطر شأنا ، أن هذه الباقة النابهة من الزوجات ، وقد اخترن من الله لرسوله ، فقد قال له بعد ذلك (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدَّل بهن من أزواج) ، كان عليهن مهمة تبليغ الرسالة للنصف البشرى الذى يقيده الحياء وهن النساء ، خاصة ما يتصل بتشريع الأنوثة ، ولهذا لا تكاد بيوتهن تخلو من أفواج النساء ليتلقين منهن عاطر الوحى الخاص بهن ، والدليل بأن هذا تكليف لنساء الرسول وليس مجرد تطوع بالخير منهن هو قوله تعالى : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) ، وخص هذا الأمر مباشرة بهن ، فالكلمة (اذكرن) تكليف بِمَعَانٍ ثلاثة ، اذكرن بمعنى احفظن ما أنزله على زوجكن الرسول ، واذكرن ذلك في ذوات أنفسكن بمعنى العمل والتنفيذ لأنكن القدوات لغيركن ، وثالث المعانى اذكرن ذلك بين النساء تبليغا وتعليما ·

فلما كانت الرسالة بهذا الاتساع والتعاظم ، ونصيب المرأة منها كبير ، أصبح كثرة المعلمات المتصلات بِسرِّ النبوة شيئا يزيد في كمية العلم المبلَّغ وسعة انتشاره ، وعودا إلى كتب الإسلام على اختلاف أنواعها وكثرتها ، نجد عائشة وزميلاتها قد أضأن هذه الكتب بما أخرجن من التشريع والعلم ، من داخل حجرات النبوة ، ليس عن النساء فقط ولكن عن الرجال أيضا ، فقمن بتنفيذ الأمر كاملا ، فذكرن حفظا وتطبيقا وتبليغا ، وهكذا زوجه سبحانه بعدد من النسوة وخاطبهن بالجمع (واذكرن) لعلمه بما زوج به نبيه ، وأن من مهمتهن مساعدة رسوله في تبليغ رسالته الثقيلة ، ولهذا كُنَّ جديرات بأن يجعلهن أمهات المؤمنين ، وكأنهن وَلَدْنَ

جميع أمة زوجهن العظيم ، صلى الله عليه وسلم ، فكل أم يمكن أن تلد ، ولكن ليس كل أم يمكن أن تعلم وتربى أبناءها ، وهذا هو خير ما في الأم ، فأعطاهن الله هذه الصفة كاملة وليس مجرد تشبيه ، فلم يقل سبحانه : وأزواجه كأمهاتهم ، وإنما قال : (وأزواجه أمهاتهم) ، حتى إن كبار الصحابة كانوا يرجعون إلى أمهاتهم هؤلاء في كل معضل من الشريعة ، ثم إن نبينا عليه الصلوات ، لم يكن بدعا من الرسل حين تزوج بهذا العدد المحدود ، وهو كثير عند الأعداء والجاهلين ، والذى كان لحكمة عظيمة أوضحنا منها ما ذكرنا ، والذين تخرج هذه البغضاء من أفواههم ، يعلمون يقينا أن أكثر من نبى كريم من أنبيائهم كسليمان عليه السلام ، تزوج بتسعين امرأة كما هو ثابت في الحديث الصحيح ، فيتركون التسعين ويتكلمون عن التسع ، وذلك لحاجة في نفس يعقوب لم يقضها ·

وإنه والله لزيادة في الكفر ، حينما يعترض أحد على من له التصرف في ملكه بما يشاء ، ، فما دخْلُ الخلق في عمل الخالق ؟ ، حيث الرجال عباده والنساء إماؤه ، زوج من يشاء بالعدد الذى يشاء (يا أيها النبى ، إنا أحللنا لك أزواجك) (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) ، إن الواحد منا لا يقبل من غيره التدخل في شؤونه ، فكيف بالتدخل في شأن من له الشأن كله ؟ ، والرسل هم أحبابه وصفوته ، يميزهم بما يشاء ، ويدخل في ذلك بما يعجز عنه غيرهم ، فسبحان من أتم عليهم نعمته خَلْقا وخلقا ، وبعد ذلك ، أفنحن نسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ ·

ثم قال الأعداء وردد أدعياء الإسلام قولهم : إنكم أيها المسلمون تمزقون ما أحكمته أواصر الزواج بتشريد الزوجة وأطفالها بمجرد كلمة طلاق تخرج من فم أحدكم ، أما غيركم فلا يطلق إلا بدعوى أمام القاضى ليحكم بالطلاق أو عدمه ، وجوابنا من كتاب الله أيضا ، فإذا كان بعض الرعناء والحمقى قد أساءوا استعمال كلمة الطلاق فقد خالفوا صميم تعاليم دينهم ، ومكنوا عدونا من اصطياد التهم ضدنا ، وإلى قرآننا وهو نبعنا الذى لا يغور فراته ، لنأخذ منه ما نرد به الكيد ، ولنرى كيف يعالج الأمر منذ أول بادرة شر بين الزوجين ، وبصورة ترفع من هام المسلم بهذا التشريع الرفيع ، يقول عز من قائل : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا ، وإن خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا) ·

أما القوامة وما يتصل بها ، فسأعود إليها في فاصل آخر يأتى بعد إن شاء الله ، وسأبدأ الآن من قوله تعالى :

(فالصالحات قانتات حافظات للغيب) ، أى مطيعات حافظات لغيب الزوج في عرضه وولده وماله (بما حفظ الله) ، يعنى حقها الذى أمر الله زوجها أن يفى لها به مقابل حفظها له ، فإذا قام الرجل بما عليه ـ فليس غير القائم محل حديثنا ـ وإن كنا لن نغفله ولو بقليل ، لأن حديثنا الآن حول المرأة ، ولأن الآية التى نحن بصددها مختصة بها أيضا ، فإذا لم تعد مطيعة لزوجها حافظة لغيبه ، وبدأ (النشوز) وهو التمرد والمعصية ، فهل تخرج طلقات الطلاق كما يطلق المدفع الرشاش ، لتقتل أسرة بأكملها ولتصبح مشردة تعسة في هذه الحياة ؟ ، تباعد بين زوجين عزيزين أفضيا إلى بعضهما ، وتحكم باليتم المحزن على أطفال برآء لم يمت أبواهما ، لمجرد لحظات من تعكير صفو ، كما يفعل الآن الكثير من المتهورين والمندفعين .

ولننظر كيف يكون من القرآن وقتئذ ، فقد جعل الطلاق آخر مرحلة من خمس مراحل ، بعد أربع لا بد أن تسبق خامستها ، وهى مرحلة الفراق .

الأولى : مرحلة الكلام الهادىء ، المرهب أو المرغب ، وهو المعبر عنه بقوله تعالى : (فعظوهن) ، ولا يكتفى بذلك بيوم ولا بأيام ، وإنما بمدة تكفى للتفكر والتبصر ، ولو طال هذا النصح سنة أو أكثر ، فإن انتهى النشوز ، وإلا فالمرحلة الثانية ، وهى الابتعاد عن فراشها ، فلا يمسها بمدة تشغل بالها ، بنحو الخوف من أن يتجه إلى غيرها ، وهو المعبر عنه بقوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) ، والغيرة عند المرأة معروفة ، فإذا طال الأمر ولم تقلع ، فتأتى المرحلة الثالثة وهى الضرب ، ولكم أسىء إلى هذه الكلمة إساءة بالغة ، سواء ممن لم يفهمها من المسلمين ، أو ممن سمعها من أعداء الإسلام المتربصين ، فقالوا إن دينكم يأمر بضرب المرأة ، وربما قطعت هذه الجملة من الآية بتعمد لئيم مقصود ، ورددتها كثيرات من المتعلمات التعليم المعروف الذى لا صلة له بالإسلام ، فلم تذكر الآية بكاملها ، وإنما على طريقة (ولا تقربوا الصلاة) و (ويل للمصلين) ، فمع أن كلمة الضرب لم تأت إلا في ثالث مرحلة قد تكون بعد سنوات في الوعظ والهجر ، فإنها ليست بالأمر اللازم التنفيذ ، بمعنى أن الزوج إذا رأى أن الجرم الذى وقع منها يوجب ضربها ، ولكنه تنازل عنه ولم يضرب ، فهل عليه من اثم ؟ ، لم يقل أحد بذلك أبدا ، ودليلى أنه ثبت عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم أنه لم يستعمل هذه الرخصة أبدا ، فلم يضرب واحدة من زوجاته قط طول حياته ، رغم أنهن أغضبنه لأكثر من مرة كما نعلم ، ثم إن معنى الضرب هنا بما أجمع عليه المفسرون أخذاً من

تفسير النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، بأنه ضرب غير مبرح ، أى الذى لا يسيل الدم ، ولا يكسر العظم ، بل ولا شديد الألم ، فلا يكثر من ضرب الزوجة إلا الزوج الضعيف الشخصية ، حتى إن أبا حنيفة رحمه الله لا يجيز الضرب بأكبر من حجم السواك غلظا وطولا ، ولعله رحمه الله أخذ هذا الحكم من قول نسب إلى ابن عباس رضى الله عنه ، ومنع اللطم على الوجه أو باليد مقبوضة لأنها قد تكسر بل قد تقتل ، وإنما بعود رفيع يؤلم ولا يحطم ، بنحو ما ذكر الفقهاء ، ولكم أصلح هذا الضرب بصورته هذه معوجات كثيرات وناشزات ، شريرات ، وقد ورد أن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال ، يارسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : (أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تقبح الوجه ، ولا تضرب) رواه أحمد ، وكلمة (لا تضرب) أى بمعنى الضرب الغير جائز وهو المبرح ، مع الابتعاد عن الوجه على أى حال ·

أبعْد ذلك يقال إن الإسلام أمر بضرب المرأة وكفى ؟ وأن يعصى الكثير منا أمر القرآن وحديث الرسول وسيرته مع أهله ، فيغالى في الضرب بما نرى ونعلم ؟ وبما يتخذه الخصوم سببا للتشويش والتشهير ، مع أن ضربهم للنساء في الخارج بوحشية أصبح أمرا مألوفا عندهم ·

نعود إلى الآية لما لم يجد التخويف بالضرب ، فتكون المرحلة الرابعة عندما يتحول الأمر إلى شقاق (وإن خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) ، واشترطت الآية الحَكَم الذى لا يميل مع هوى القرابة (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) ، فإرادة الاصلاح ونيته لابد أن توجد عند الحكمين ، ولو وجداه في الانفصال بعد محاولة الوصال أولاً فلا بأس باعتباره آخر مرحلة · وقيل إن عمر رضى الله عنه أرسل حكمين إلى زوجين ، فعادا ولم يصلا ولم يفصلا ، فضربهما بالدرة قائلا : إنكما لم تريدا إصلاحا كما قال الله ، ولو أردتماه لأصلح الله بكما ·

وأخيرا إذا لم يفد ذلك كله يأتى خامس المراحل وهو الطلاق ، وعندئذ يكون أبغض الحلال ويغن الله كلًا عن الآخر من سعته (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) ، هذا هو الطلاق عندنا ، فإذا فعل أحدنا غير ذلك ، فهل يكون من تقصير الدين أم تقصير الجاهلين ·

* * *

* * *

إلى الاسلام

لقد اضطلعت الجزائر بدور الريادة خلال تاريخها الطويل .. فكانت ثورتها التحريرية قدوة للشعوب المستعمرة .. كما كانت معركتها في البناء ـ بعد الاستقلال ـ نموذجا للشعوب السائرة في طريق النمو ، بفضل سياستها الرشيدة ، ومبادراتها الشجاعة المشرفة ، في خدمة الانسانية وقضايا العدل ، لكن الجزائر اليوم ، ينتظر منها دور أعظم ، هو تقديم النموذج الحى للمجتمع السليم المعافى ، في عالم مريض ، اختل توازن انسانه لأنه يطلب السعادة في التقدم الصناعى التكنولوجى وحده ، وتجاهل الجانب الروحى في الوجود الانسانى .

إن ناقوس الخطر ، الذى يهدد الكيان الحضارى بالانهيار ، يدقه أبناء هذه الحضارة نفسها ، الذين يغارون عليها ، فما أكثر الصيحات التى أطلقها المفكرون الواعون الذين نادوا بضرورة العودة الى الاسلام ، عقيدة ومنهاج حياة ، وأنه لمن العجب أن يقتنع غيرنا بالاسلام منقذا لانسان الذرة وغزو الفضاء ، بينما يظل بعض أبنائه شاكين تائهين ، أو معرضين متنكرين لصلاحية مبادئه وقيمه !

« جوهر الاسلام التونسية »

سيرة
و
نبي

أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية

د. جمال محمد أحمد رمضان
رئيس قسم التاريخ بالجامعة

الحمد لله الذى هدى المسلمين إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثه الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

أما بعـــــــــد

فإنه في الوقت الذى كان المسلمون ينعمون فيه بظل الحضارة الإسلامية التى أفاضت عليهم كل أنواع الخير ووقتهم مفاسد الشر وأبعدتهم عن مواقع الفتن ؛ في هذا الوقت الذى كان فيه المسلمون كذلك كان أهل أوروبا يعيشون في جهالة جهلاء وضلالة عمياء بعيدين كل البعد عن كل مظاهر التقدم الحضارى .

ومنذ العقد الأخير من القرن الأول الهجرى بدأ شعاع الحضارة الإسلامية يصل إلى أوروبا عن طريق الأندلس ثم عن طريق صقلية وكذلك عن طريق الحروب الصليبية ومن قبل تلك الحروب عن طريق السفارات بين دول أوروبا وبين دول المسلمين في الشرق والغرب .

ولم يكن تأثير هذا الإشعاع الحضارى متساويا في الدرجة بل كان بعضه أكثر تأثيرا من الآخر فالأندلس كانت أسبق مصادر الاشعاع وأكبرها تأثيرا ثم تلتها في الأهمية صقلية ثم

تأتى بعد ذلك الحروب الصليبية ثم الاتصالات السياسية والتجارية بين الدول الإسلامية والدول الأوروبية ٠

الأندلس مصدر الإشعاع الأول

عبر المسلمون إلى الأندلس في العقد الأخير من القرن الأول الهجرى وواصلوا فتوحهم في أوروبا حتى استولوا على شبه جزيرة أيبريا وجنوب فرنسا ثم استمروا في فتوحهم حتى استولوا على جزر البحر الأبيض المتوسط وجنوب إيطاليا ونشروا دينهم فيما فتحوه من البلاد ٠

وكانت أوروبا - في ذلك الوقت - خلوا من كل مظاهر الحضارة بعد أن تمكنت القبائل المتبربرة من القضاء على الدولة الرومانية الغربية واحتلال الأقاليم التى كانت تخضع لحكمها ٠ وعلى الرغم من أن هذه القبائل دانت بالمسيحية فإنها لم تتقدم تقدما حضاريا يستحق الذكر بسبب توالى مجىء موجات جديدة منهم وغلبة الروح العسكرى عليهم وقلة المرونة العقلية لديهم مما جعلهم متخلفين عن ركب الحضارة والمدنية يعيشون في ظلام الجهالة والهمجية ٠

وقد نشر المسلمون في كل بقعة دخلوها من أوروبا لواء الأمن ونور المعرفة وأقاموا فيها قواعد حكم عادل يسوى بين الجميع في المعاملة ويكفل الحرية لكل فرد في المجتمع ويعمل للصالح العام ويمقت الأنانية والإنتهازية ٠

وتاريخ أسبانيا العربية المسلمة صحيفة مشرقة من صحائف التاريخ الإنسانى وسجل حافل بالأمجاد ذاخر بمختلف نواحى الحضارة التى كانت مركز إشعاع هائل للحضارة الأوروبية ٠

وقد كان المجتمع في الأندلس بعد الفتح الإسلامى يتألف من العرب الفاتحين ومن الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفوا باسم « المسالمة » ومن الأسبان الذين استمروا على المسيحية وقد أطلق عليهم اسم « العجم » وأصبحوا أهل ذمة يدفعون الجزية للمسلمين ويعيشون آمنين في وطنهم ويتمتعون بالحرية الدينية والتسامح الذى امتاز به المسلمون في معاملتهم لمخالفهيم في الدين ٠

وكان من بين هؤلاء جماعة عاشروا العرب وتعلموا لغتهم ودرسوا علومهم وقلدوهم في عاداتهم وأسلوب معيشتهم وأطلق على هذه الطائفة اسم « المستعربين » (١) ٠

---

(١) لطفى عبد السميع : الإسلام في أسبانيا ص ٣٠ ، ٣١ ٠

وعن طريق هؤلاء الذين جمعوا بين معرفة اللغة العربية واللغة اللاتينية الحديثة نقلت حضارة العرب إلى الأمارات الشمالية في شبه جزيرة أيبريا التى اتخذها المسيحيون معقلا لهم واعتصموا بجبالها ولم يدخلوا في طاعة المسلمين ·

وبعد جيل من الفتح تكون من المسلمين العرب والأسبان عنصر جديد عرف « بالمولدين » وهم الذين ولدوا من آباء عرب وأمهات أسبانيات وعلى مرّ الزمن كثر عدد هؤلاء حتى أصبحوا يكونون أغلب سكان الأندلس ·

وقد وصلت الحضارة العربية في الأندلس إلى درجة عالية من الازدهار وبخاصة في القرن الرابع الهجرى حيث كانت مدينة قرطبة العاصمة تضم مائة وثلاثة عشر ألف مسكن وواحد وعشرين ضاحية وكان بها سبعون داراً للكتب وعدد لا يحصى كثرة من الحوانيت كما كان بها كثير من المساجد وكان أغلب شوارعها مرصوفا ومضاءا (١) · وكانت بقية المدن صورة مصغرة من العاصمة ·

وفي محيط الزراعة غرس العرب الكروم في بلاد الأندلس وأدخلوا إليها كثيرا من النباتات والفواكه التى لم تكن بها مثل الأرز والقمح وقصب السكر والمشمش والخوخ والبرتقال والرمان وقد حفر المسلمون الترع والقنوات ونظموا وسائل الرى وكان الرقى الزراعى أحد مفاخر أسبانيا الإسلامية (٢) ·

وفي ميدان الصناعة ازدهرت صناعة النسيج والزجاج والنحاس والخزف والسيوف وكثر استخراج الذهب والفضة والحديد والرصاص وغيره من المعادن (٣) · وكان ما تنتجه الأندلس من مزروعات وفواكه ومصنوعات يفيض عن حاجة سكانها ·

ولقد ازدهرت الحياة الثقافية في الأندلس وبخاصة في عهد الحكم الثانى (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ) وكانت جامعة قرطبة التى أنشأها والده عبد الرحمن الناصر في المسجد الجامع يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء الأندلس ومن أفريقيا وأوروبا · وقد استدعى الحكم بعض الأساتذة المشهورين من الشرق ليحاضروا فيها ومن بينهم العالم اللغوى المشهور أبو على القالى مؤلف كتاب الأمالى (٤) وكان المؤرخ الأندلسى ابن القوطية يدرس النحو بها ·

وكان الحكم مغرما باقتناء الكتب فكان يكلف رجاله بالبحث عن المخطوطات في حوانيت الأسكندرية ودمشق وبغداد وشرائها ونسخها وبهذه الطريقة تمكن من جمع أربعمائة

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٩٨ ·

(٢) جوت هل : الحضارة العربية ص ١١٩ ·

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٧٨ ، ٧٩ ·

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ ·

ألف مجلد (١) وكان يطلع بنفسه على بعض هذه المخطوطات ويكتب ملاحظات في هوامشها مما جعل لها قيمة كبيرة في نظر العلماء المتأخرين · وقد أراد أن يحصل على النسخة الأولى لكتاب الأغانى التى كتبها أبو الفرج الأصفهانى بنفسه ـ وهو من سلالة الأمويين ـ وكان يقيم إذ ذاك بالعراق فبعث إليه بألف دينار ثمنا لها (٢) ·

وكان المسيحيون الأسبان الذين هاجروا إلى كثير من بلاد أوروبا قد أشادوا بالعرب وشرائعهم وحضارتهم وثقافتهم وبالعمران الذى عم البلاد الأسبانية على أيديهم فنشروا بذلك ـ من حيث لا يقصدون ـ دعاية طيبة للمسلمين في أوربا ونبهوا أذهان أهلها إلى النهضة الحضارية التى قام بها المسلمون في أسبانيا ·

وكان هؤلاء المهاجرون قد تسرعوا في هجرتهم خوفا على أنفسهم من بطش المسلمين بهم من غير أن ينتظروا ما سيكون منهم ولكنهم لم يلبثوا أن ندموا على هجر بلادهم حين علموا من مواطنيهم الذين لم يهاجروا مثلهم أن المسلمين يحسنون جوارهم ويطلقون لهم الحرية في أداء شعائر دينهم ويعاملونهم بالحسنى وينشرون العدل والأمن في سائر البلاد وأنهم حولوا أسبانيا إلى مروج خضراء وجنات فيحاء (٣) ·

هذه الدعاية غير المقصودة التى نشرها المهاجرون الأسبان في أكثر بقاع أوروبا جعلت أهلها يتطلعون للوقوف على هذه النهضة الحضارية التى وصلت أخبارها إليهم وكان أسبق الأوربيين إلى ذلك الملك فيليب البافارى حيث بعث إلى الأندلس يرجو الأمير الأموى هشاما الأول (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ) يرجوه أن يسمح له بايفاد بعثة إلى قرطبة لدراسة أنظمة الأندلس وثقافتها ومشاهدة أوجه النشاط بها فقبل الأمير رجاءه وأرسل الملك الجرمانى وفداً إلى الأندلس برئاسة وزيره الأول « ويلميبن » الذى أطلق عليه الأندلسيون اسم « وليم الأمين » لأنه تحرى الأمانة في نقل ما رآه من مظاهر نهضة بلادهم إلى الملك · وقد أشار الوزير على الملك بالاستمرار في إرسال البعثات العلمية لاقتباس ما يفيد البلاد من فنون الحضارة العربية (٤) ·

وقد توالت البعثات على الأندلس بعد ذلك وفي أوائل القرن الخامس الهجرى أرسل جورج الثانى ملك انجلترا ابنة أخيه الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر جـ ٤ ص ١٤٦ ·

(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٥٠ ·

(٣) المدوّر : الديانات والحضارات ص ٦٧ ·

(٤) على الخربوطلى : العرب والحضارة ص ٢١٢ ·

من بنات الأمراء والأعيان إلى أشبيلية بمرافقة النبيل « سفليك » رئيس موظفى القصر الملكى وأرسل معه كتابا إلى الخليفة هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس جاء فيه بعد الديباجة « وقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا إقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد أرسلنا ابنة شقيقتنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللواتى سيتوفرن على تعليمهن وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص من خادمكم المطيع : جورج ·

وقد ردّ الخليفة هشام الثالث على ملك انجلترا برسالة جاء فيها « لقد اطلعت على التماسكم فوافقت - بعد استشارة من يعنيهم الأمر - على طلبكم وعليه فاننا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكى أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد وبالمقابلة أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهى من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام - خليفة رسول الله على ديار الأندلس : هشام ·

وفي عهد ملوك الطوائف في الأندلس كانت توفد إلى معاهد غرناطة وأشبيلية وغيرهما بعثات من فرنسا وإيطاليا والأراضى الواطئة لتنهل من الحضارة العربية وكان طلاب هذه البعثات يعجبون بالحياة العربية وتقاليدها وثقافتها حتى أن بعضهم اعتنق الإسلام وفضل البقاء بالأندلس ولم يعد إلى بلاده (١) ·

وكانت مدينة طليطلة بعد سقوطها في أيدى المسيحيين سنة ٤٨٧ هـ المركز الرئيسى لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وقد أنشأ « ريموند » رئيس أساقفتها مكتبا للترجمة ، وكان المستعربون من أهل الأندلس أكبر المساهمين في حركة الترجمة ومن أشهرهم « دومونيقوس جونديسا لفى » و « بطرس الفونسى » و « حنا الأشبيلى » وغيرهم (٢) ·

وقد ترتب على هذه الحركة وجود ثورة علمية وفكرية هائلة في غرب أوروبا : ذلك لأن المعارف الجديدة التى نقلت من العربية إلى اللاتينية أضاءت أمام الأوربيين طريق الحياة

---

(١) المدور : الديانات والحضارات ص ٧٠ ·

(٢) سعيد عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ص ٢١٧ ·

وبددت ضباب الجهالة الذى حجب عنهم رؤية الحضارة وأيقظتهم من سباتهم العميق ونبهتهم من غفلتهم الطويلة فأقبلوا على دراسة الحضارة الإسلامية بشغف بالغ ونهم شديد (١) ٠

ففى علم الحساب مثلا عرفوا نظام الأعداد الهندية عن العرب وهو النظام الذى تتغير فيه قيمة الرقم بنقله من خانة الآحاد إلى خانة العشرات أو المئات أو الآلاف وما بعدها واستعملوه في عملياتهم الحسابية بدل الأرقام الرومانية التى كانت عملياتها الحسابية تتطلب منهم وقتا طويلا ٠

ومن المرجح أن البابا « سلفتر » الثانى الذى قضى سنوات عديدة في شمال أسبانيا كان من أوائل الأوروبيين الذين نقلوا نظام الأعداد العربى إلى الغرب هذا بالإضافة إلى تشجيعه على ترجمة كثير من المؤلفات العربية إلى اللاتينية وبخاصة ما يتعلق منها بعلم الجغرافيا ٠

وقد عرف الأوروبيون علم الجبر ـ لأول مرة ـ عن العرب كما نقلوا عنهم علوم الهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة وكثيرا من أنواع فروع المعرفة المختلفة ٠

وقد سلكت الفنون الإسلامية سبيلها إلى أوربا عن طريق الأندلس كذلك مثل صناعة الخزف والنسيج والتعدين وصناعة المعادن والنجارة والتطعيم بالعاج وغيرها من الصناعات (٢) ٠

ومن هذا العرض السريع نتبين أهمية الدور الذى قامت به الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى ربوع أوربا فكانت أساس نهضتها في العصور الحديثة وسببا فيما تنعم به الآن من حياة مرفهة وثراء وفير وما تفخر به من تفوق في العلوم والفنون ٠

صقلية مصدر الاشعـــاع الثانى

حاول المسلمون فتح جزيرة صقلية منذ عهد معاوية بن أبى سفيان فقد أرسل واليه على مصر وأفريقية معاوية بن حديج جيشا بقيادة عبد الله بن قيس الغزاوى لغزوها ولكن ابن قيس لم يتمكن من ذلك ثم تجددت المحاولة عدة مرات ولكن أقدام المسلمين لم تثبت في هذه الجزيرة إلا في أوائل القرن الثالث الهجرى حيث ابتدأ فتحها سنة ٢١٢ هـ زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب الذى كان واليا على أفريقية من قبل الخليفة المأمون العباسى ٠

وكان سبب فتحها أن إمبراطور الدولة البيزنطية « ميخائيل الثانى » ولى عليها « قسطنطين البطريق » فأرسل الأمير القائد قسطنطين بوفيموس » على رأس أسطول نهب

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ص ٥٣٦ ٠

(٢) هل : الحضارة العربية ص ١٢٠ ٠

ساحل أفريقية ولكن الإمبراطور غضب على هذا القائد لما بلغه من أنه اختطف راهبة من أحد الأديرة هناك ففر القائد إلى مدينة « سرقوسة » الواقعة على ساحل صقلية الشرقى وأعلن الثورة على حاكم الجزيرة غير أنه رأى أن لا طاقة له على مقاومة جيوش الإمبراطور وأساطيله فلجأ إلى زيادة الله بن الأغلب أمير أفريقية وأغراه بغزو صقلية وهوّن عليه فتحها فجهز الأمير الأغلبى جيشا وأسطولا يتألف من مائة سفينة بقيادة أسد بن الفرات قاضى القيروان وسيره لفتحها (١) ·

وقد لقى المسلمون صعوبات كثيرة في فتحها ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها جميعها إلا في عهد إبراهيم الثانى الأغلبى سنة ٢٦٤ هـ وقد ظلت صقلية تابعة لدولة الأغالبة حتى سقطت هذه الدولة على أيدى الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ فدخلت صقلية في حوزتهم ولكن العرب الذين كانوا يستوطنونها أعلنوا الثورة على الفاطميين بزعامة أحمد بن قرهب بعد أربع سنوات من حكمهم واعترفوا بسيادة الدولة العباسية (٢) ·

غير أن الفاطميين تمكنوا من إخضاع الثورة وإعادة سيطرتهم على الجزيرة واتخذوها قاعدة حربية لأسطولهم يشنون منها الغارات على جنوب إيطاليا وبخاصة مدينة جنوة التى تكررت غاراتهم عليها ·

وقد عيّن الخليفة المنصور ثالث خلفاء الفاطميين الحسن بن على بن الكلبى واليا على صقلية فوضع الحسن أساس حكومة شبه مستقلة في صقلية يتوارثها أبناؤه من بعده وفي عهد هذه الأسرة بذرت بذور الثقافة العربية وأخذت تنمو وتزدهر على مرّ الأيام في تلك الجزيرة ·

ولم يتدخل العرب في الشئون الداخلية لأهل الجزيرة بل تركوا لهم الحرية التامة في مزاولة عاداتهم وتقاليدهم وفي أداء شعائر دينهم واكتفوا بجباية جزية قليلة ممن لم يعتنق الإسلام منهم وكان مقدارها أقل بكثير من الضرائب التى كان الرومان يفرضونها عليهم وقد أعفوا من هذه الجزية الرهبان والفقراء والنساء والأطفال والشيوخ ولم يتعرضوا لكنائسهم بسوء ·

وقد اهتم العرب بالزراعة وأدخلوا في الجزيرة العربية زراعة قصب السكر والكتان والزيتون وكثيرا من النباتات وأشجار الفاكهة التى لم تكن موجودة بها من قبل · وقد ساعد خصب تربة الجزيرة على نمو زراعتها وجودة فواكهها فتوفرت حاصلاتها وكثرت مواردها ·

---

(١) أمارى : مكتبة صقلية العربية جـ ١ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩ ·

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٥٣ ، ٥٤ ·

وقد مرّ الرحالة ابن جبير بها سنة ٥٨٠ هـ بعد ست وتسعين سنة من انتهاء حكم العرب بها فأعجب بأشجار الفاكهة فيها واسترعى انتباهه ما شاهده من جودة كرومها (١) .

ولم يكن اهتمام العرب في صقلية بالصناعة أقل من اهتمامهم بالزراعة فقد أنشأوا مصانع للورق ومصانع للنسيج واستخرجوا الذهب والفضة والحديد والرصاص والنوشادر من مناجمها وتفننوا في صناعة الأوانى النحاسية وصناعة النجارة والتطعيم بالعاج وصناعة الرخام والفسيفساء وغيرها وشيدوا المساجد الفخمة والقصور الجميلة .

وقد ساعدت موارد الجزيرة الفنية كما ساعد اشتغال العرب بالتجارة على زيادة ثروتهم فعاشوا عيشة مرفهة وملؤوا منازلهم بالأثاث الفاخر وفرشوها بأحسن أنواع السجاد وتزيوا بأغلى أنواع الثياب ولبست نساؤهم ثياب الحرير الموشى بالذهب وانتعلن الأخفاف المذهبة وتزيّن بالذهب والجواهر .

ومنذ أوائل القرن الرابع الهجرى أخذ البيزنطيون يكثرون من الغارات على الجزيرة فشغل ولاتها من قبل الفاطميين بعد هذه الغارات وفي الوقت نفسه قامت اضطرابات بين العرب أنفسهم داخل صقلية فأدى ذلك إلى ضعفهم وعجزهم عن الدفاع عن الجزيرة ولم يكن في وسع الفاطميين بالقاهرة أن يمدوهم بالجيوش لاضطراب الأمور فيها فانتهز النورمانديون هذه الفرصة وأخذوا يستولون على ثغور الجزيرة ومدنها الواحدة تلو الأخرى حتى تم للملك « روجر الأول » الاستيلاء على جميع نواحى الجزيرة سنة ٤٨٣ هـ وبذلك انتهى حكم العرب فيها بعد أن استمر مائتين وعشرين عاما (٢) .

ولم يكن استيلاء النورمانديين على الجزيرة آخر عهد العرب بها بل ظلوا بعد زوال الحكم العربى يقيمون فيها وقد اعتمد حكامها النورمانديون على العناصر العربية في الشئون السياسية والاقتصادية لأنهم كانوا على جانب كبير من الخبرة والحضارة والرقى كما كانوا عناصر نشيطة ومنتجة .

وكان « روجر الثانى » يرتدى الملابس العربية ويطرز رداءه بحروف عربية وقد نقش على سقف كنيسته التى بناها في مدينة « بالرمو » نقوشا بالخط الكوفى . وكان الإدريسى الجغرافى الرحالة وأعظم رسامى الخرائط محببا إليه مقربا عنده وقد شجعه الملك على بحوثه الجغرافية وقدم له كل مساعدة وبذل له من المال مامكنه من إرسال الرسل إلى كثير من الأقاليم لامداده بالمعلومات الجغرافية عنها .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٣٢٨ .

(٢) أمارى : مكتبة صقلية العربية ص ٤٧٢ .

وكذلك كان الملك « وليم » بن الملك روجر الثانى وحفيد الملك روجر الأول يعتمد على العرب فيقربهم اليه ويثق فيهم وقد عبر عن ذلك شاهد عيان هو الرحالة بن جبير في حديث له عن الملك بقوله « ..... إنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وإنه لكثير الثقة بهم وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله وله منهم الأطباء والمنجمون وهو شديد الحرص عليهم (١) ٠

وكان الامبراطور « فردريك الثانى » الذى ورث عرش الامبراطورية الرومانية المقدسة عن أبيه الألمانى كما ورث عرش صقلية عن أمه الإيطالية كان قد ولد بصقلية وتربى بها وتعلم فيها فنشأ محبا للعلوم العربية وكان يحسن التكلم باللغة العربية ٠ وقد أفاض المؤرخون العرب والأوربيون في وصف حبه للمسلمين وإعجابه بعلومهم وحضارتهم وأخلاقهم وتقريبه لهم واستخدامهم في حاشيته حتى أن الموذنين المسلمين كانوا يؤذنون عند موعد كل صلاة في معسكره (٢) ٠

وقد قامت بين الامبراطور « فردريك الثانى » وبين السلطان الأيوبى الكامل محمد ابن أخى صلاح الدين صداقة متينة وكانا يتبادلان السفارات والهدايا فتذكر المصادر التاريخية أن السلطان الكامل أرسل هدية إلى الامبراطور كان من بينها زرافة كانت أول زرافة دخلت أوربا وأن الأشرف الأيوبى صاحب دمشق أرسل إليه جهازا عجيبا للكواكب في صور تمثل الشمس والقمر وتحدد الساعات في مداراتهما وأن الامبراطور أرسل هدايا لكل من الكامل والأشرف منها دب أبيض وطاووس أبيض أعجبا أهل القاهرة ودمشق كما أعجبت الزرافة وجهاز الكواكب أهل صقلية (٣) ٠

وقد استمرت الصداقة قائمة بين « فردريك الثانى » وسلاطين مصر بعد وفاة السلطان الكامل سنة ٦٣٥ هـ يدل على ذلك ما أشارت إليه المراجع التاريخية من أن الأمبراطور حذر الصالح نجم الدين أيوب عندما علم بنية ملك فرنسا « لويس التاسع » القيام بالحملة الصليبية السابعة ضد مصر سنة ٦٤٧ هـ حيث أرسل إليه ـ وهو بدمشق ـ رسولا تظاهر بأنه تاجر وأسرّ إليه بأن لويس التاسع يعتزم توجيه حملة إلى مصر للاستيلاء عليها فأسرع الصالح بالعودة إلى مصر للدفاع عنها (٤) ٠

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٣٣١ ٠

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ص ٣٨٢ ٠

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٨٣ ٠

(٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣١٩ ٠

وقد ظل العرب يحتفظون بضياعهم وأموالهم ومتاجرهم ومصانعهم في الجزيرة ويزاولون نشاطهم الزراعى والتجارى والصناعى بحرية تامة كما ظلت اللغة العربية شائعة في الجزيرة وكان ملوك النورماند يحسنون التكلم بها ويطربون لأدبها وشعرها · ويظهر أن استعمالها استمر إلى أواخر القرن التاسع الهجرى ويؤيد ذلك شواهد القبور التى عثر عليها علماء الآثار حديثا سواء كانت قبور مسلمين أم قبور مسيحيين ·

وقد ترك العرب في جزيرة صقلية كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم التى لا تزال باقية حتى الآن كما تركوا ألفاظا عربية كثيرة في اللغة الصقلية والايطالية · ولا تزال مدن كثيرة في الجزيرة تحمل أسماء عربية · وفي مدينة بالرمو مبنيان عظيمان من مبانى العرب أحدهما قلعة العزيزة والآخر قصر القبة ·

ومما تقدم يتبين أن الحضارة الإسلامية ازدهرت في الجزيرة نحو ستة قرون من الزمن وقد خرّجت صقلية العربية عددا غير قليل من المحدثين والفقهاء والنحويين والأدباء والمؤرخين والجغرافيين والأطباء والفلاسفة · نذكر منهم على سبيل المثال أسد الدين بن الحارث صاحب كتاب الأسديات في الفقه والقاضى ميمون بن عمر وابن حمديس الصقلى الشاعر المبدع والشريف الأدريسى الجغرافى المحقق والحسن بن يحى المعروف بابن الخزاز صاحب تاريخ صقلية وعيسى بن عبد المنعم وكان من أهل العلم بالهندسة والنجوم والحكمة وأبو عبد الله الصقلى الفيلسوف وغيرهم كثير ·

وقد أنشأ العرب في مدينة بالرمو عاصمة صقلية أول مدرسة للطب في أوربا وعن طريقها انتشر الطب في إيطاليا وسائر أرجاء القارة · إذن كانت جزيرة صقلية مركز إشعاع للحضارة الإسلامية العربية أفادت منه أوربا أعظم الفائدة لأن الجزيرة كانت على صلة وثيقة بالعالم الإسلامى وبخاصة ما يقع منه على شواطىء البحر المتوسط مثل الشام ومصر وبلاد المغرب وكانت البلاد الإسلامية في العصور الوسطى وطنا عاما للمسلمين لافرق بين مشرقى ومغربى فلم تكن هناك قيود على انتقال العلماء من بلد إسلامى إلى بلد آخر فكثرت تنقلاتهم وساعد هذا على تبادل الآراء وانتقالها من جهة إلى جهة فلم تكن حضارة المسلمين في صقلية من صنع أهلها وحدهم بل كانت حضارة إسلامية شاملة لنتاجها ونتاج العالم الإسلامى كله ومن هناك ترجمت وتسربت إلى جميع أصقاع أوروبا ·

لذلك لانكون مبالغين إذا قلنا : إن صقلية ساهمت في تحضير أوروبا وتنويرها بنصيب يقرب من نصيب الأندلس ولكنه يقّل عنه لأن رقعتها أضيق بكثير من رقعة الأندلس ولأن عدد من أنجبتهم من العلماء لم يصل في شهرته العلمية إلى ما وصل إليه علماء الأندلس ·

وهذا لا يغض من قيمة الدور الذى قامت به صقلية في إمداد أوروبا بكل مظاهر الحضارة ما كان منها من صنع العرب الذين استوطنوها أو مما نقلوه عن غيرهم من الدول الإسلامية الأخرى ·

دور الحروب الصليبية في نقل الحضارة الإسلامية

في أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) خرجت جموع من المسيحيين الأوروبيين مختلفى النزعات والأغراض لغزو الشرق الإسلامى · والأسباب التى دفعت هؤلاء إلى شنّ تلك الحروب التى عرفت في التاريخ باسم « الحروب الصليبية » نسبة إلى الصليب الذى اتخذه المحاربون شارة لهم أسباب غير واضحة تختلف باختلاف الطوائف التى اشتركت فيها ·

ويمكننا أن نعتبر رغبة القبائل القيوتونية في الهجرة وحبهم للمخاطرة من بين تلك الأسباب كما لا نستبعد أن يكون هدم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله لكنيسة القيامة في أواخر القرن الرابع الهجرى من بين الأسباب البعيدة لهذه الحروب (١) ·

أما إدعاء الحجاج المسيحيين أنهم كانوا يلقون مصاعب في أثناء اجتيازهم أسيا الصغرى الاسلامية وهم في طريقهم إلى بيت المقدس أو أنهم كانوا يتعرضون لمضايقات من جانب المسلمين في أثناء حجهم فليس له ما يبرره لأن تعاليم الإسلام كفلت لأهل الأديان الأخرى الحرية التامة في مزاولة شعائر دينهم ونهت عن التعرض لهم بسوء ماداموا مسالمين ولا نظن أن مسلمى هذا العصر كانوا يجهلون ذلك ·

ولإن سلمنا حدوث بعض مضايقات فإن ذلك لا يعدو أن يكون حوادث فردية صدرت من بعض جهلة المسلمين وحتى على فرض صدورها فإنها لاتقتضى هذه الضجة الكبرى التى أثارها الغرب ضد المسلمين ولا تستلزم سفك ما سفك من دماء في هذه الحروب التى استمرت نحو قرنين من الزمن ·

وكان الراهب بطرس الناسك الذى حج إلى بيت المقدس وعزّ عليه أن يراه ملكا للمسلمين وهو المكان الذى يقدسه المسيحيون ؛ كان هذا الراهب هو الذى روّج تلك الإشاعات ·

على أن السبب المباشر لتلك المأساة التى ذهب ضحيتها عدد من البشر هو استنجاد

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٤ ، ٤٥ ·

الإمبراطور « ألكسيوس كمنينوس » امبراطور الدولة البيزنطية بالبابا « إربان الثانى » بطريك الكنيسة الغربية بعد هزيمة البيزنطيين أمام السلاجقة في موقعة « ملاذكرد » في أواخر سنة ٤٦٢ هـ (١) وكان هذا الاستنجاد بعد الموقعة بأكثر من عشرين سنة ولكنه صادف هوى في نفس البابا الذى كان يطمع في ضم الكنيسة الشرقية إلى الكنيسة الغربية فأثار تلك الضجة العالمية التى تعتبر من أهم أحداث التاريخ العالمى ·

وفي العام التالى لهذا الاستنجاد ألقى البابا خطبة في مدينة « كليرمنت » في الجنوب الشرقى لفرنسا حثّ فيها المؤمنين على أن « يسلكوا سبيلهم إلى القبر المقدس ويأخذوه عنوة من ذلك الشعب الملعون ويخضعوه لأنفسهم (٢) » ولقد أشعلت هذه الخطبة جذْوة الحماس في نفوس الجماهير المسيحية شريفهم ووضيعهم على السواء وبلغ عدد المتطوعين لهذه الحرب مائة وخمسين ألفا من النورمانديين والفرنج ·

ولم يكن الحماس الدينى وحده هو الذى دفع هذه الجماهير إلى شنّ الغارة على الشرق بل إن كثيرا من الأمراء - ومن بينهم « بوهيمند » - خرجوا استجابة لأطماعهم في تكوين إمارات لهم في الشرق الأوسط كما كانت المصالح الاقتصادية هدف تجار البندقية وبيزة وجنوة ·

وقد نجح الصليبيون في تكوين أربع إمارات لهم في الشرق وهى إمارة الرها وإمارة أنطاكيا وإمارة طرابلس وإمارة بيت المقدس وسميت هذه الأمارات مملكة بيت المقدس حيث كان أمير بيت المقدس يتوج ملكا لهذه المملكة وإن كان كل أمير مستقلا داخليا في إمارته ·

وكان الاعتداء الصليبى على الشرق سببا في ظهور قوى إسلامية فتية فقد تحمس الأبطال المسلمون لإسترداد بلادهم المغتصبة وتمكن البطل عماد الدين زنكى من استرداد إمارة الرها أول أمارة أنشأها الصليبيون في الشرق وأهم إماراتهم وقد تم له ذلك سنة ٥٣٩ هـ (٣) ·

ثم جاء بعده ابنه السلطان نور الدين محمود (٥٤١ - ٥٦٩ هـ) فوحّد بلاد الشام تحت حكمه وضم إليها مصر · ولم يتمكن الصليبيون في عهده من إضافة شبر واحد إلى ممتلكاتهم في الشرق بل انتزع السلطان من أيديهم كثيرا من البلاد التى كانوا قد احتلوها

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٤ ، ٤٥ ·

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ٢ ص ٨٢٢ ·

(٣) إسحاق أرملة : الحروب الصليبية ص ١٠٦ ·

قبل أن يتنبه المسلمون لخطرهم وحمل لواء الجهاد في عهده ومن بعده السلطان صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧ ـ ٥٨٩ هـ) فانتزع بيت المقدس من أيدى الصليبيين سنة ٥٨٣ هـ (١) ٠

ثم أخذ سلاطين الأيوبيين والمماليك من بعدهم ينتزعون المدن الإسلامية من أيدى هؤلاء المغتصبين مدينة بعد أخرى حتى انتزع السلطان المملوكى الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ) مدينة عكا آخر معقل لهم في الشرق سنة ٦٩٢ هـ (٢) وبذلك قضى على مملكة الصليبيين القضاء الأخير ٠

وكان الأثر الحضارى لهذه الحروب فنيا وصناعيا وتجاريا أكثر منه علميا أو أدبيا فقد كان الأوروبيون الذين أقاموا في الشام في الامارات التى أنشؤوها يعيشون داخل حصون وثكنات عسكرية وكان اتصالهم بالزراع الوطنيين والصناع أكثر من اتصالهم بالطبقة المثقفة ٠ على أنهم مع ذلك استفادوا علميا وإن كانت استفادة محدودة فقد نقل أحد علماء مدينة بيزة الكتاب الطبى المشهور « كامل الصناعة الطبية » لعلى بن العباس المعروف بالمجوسى نسبة إلى أحد أجداده الذى كان يدين بالمجوسية قبل أن يعتنق الإسلام وترجم فيليب الطرابلسى مخطوطا عربيا في الفلسفة والأخلاق يسمى « سر الأسرار » يقال إن أرسطو ألفه لتلميذه الأسكندر المقدونى ٠

كما كان من أثر الحروب الصليبية العلمى إهتمام الأوروبيين بتعلم اللغة العربية لأنهم وقد فشلوا في نشر الديانة المسيحية بحدّ السيف رأوا أن تعلم اللغة العربية يمكنهم من التخاطب مع الشرقيين ونشر المسيحية بينهم باللين والإغراء (٣) ٠

على أن إنشاء المستشفيات ومعالجة المرضى فيها لم يعرف في أوروبا قبل الحروب الصليبية مما يرجح أن هذا النظام منقول عن الشرق الإسلامى بعد أن شاهد الأوروبيون المستشفيات فيه أثناء الحروب الصليبية كما يرجح أيضا أن نظام الحمامات العامة الذى انتقل إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية منقول كذلك بواساطتها ٠

وقد كان أثر الحروب الصليبية في نقل الفنون الحربية إلى أوروبا واضحا فقد تعلم الصليبيون من المسلمين استخدام حمام الزاجل في نقل الأخبار الحربية (٤) كما اقتبسوا منهم الاحتفال بالانتصارات باشعال النيران ولعبة الفروسية المعروفة باسم « الجريد » وكذلك نقلوا

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٦ ، ٦٧ ٠

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٤ ص ٢٤ ٠

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ٢ ص ٨٥٧ ـ ٨٥٨ ٠

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٦٨ ٠

عنهم اتخاذ الشعارات ونقشها على الأسلحة والخوذات وكان اتخاذ الشعارات معروفا عند المسلمين فقد كان صلاح الدين يلبس خوذة عليها رسم النسر وكانت خوذة الظاهر بيبرس على شكل أسد كخوذة ابن طولون من قبل ولم يكن ذلك معروفا في أوروبا قبل الحروب الصليبية ·

وفي مجال الزراعة والصناعة والتجارة نقل الصليبيون العائدون إلى أوروبا كثيرا من النباتات وأشجار الفواكه مثل السمسم والبصل والأرز والبطيخ والبرقوق والليمون كما حملوا معهم حين عودتهم البسط والسجاجيد والمنسوجات وبدأت تظهر في أوروبا مصانع الآنية والبسط والأقمشة تقليدا للمنتجات الشرقية ووجدت سوق أوروبية جديدة للمنتجات الزراعية الشرقية والسلع الصناعية مما ساعد على نشاط التجارة الدولية التى كانت قد ركدت منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادى (١) ·

السفارات بين دول أوروبا والدول الإســـلامية

حدثت اتصالات بين دول أوروبا والدول الإسلامية في العصور الوسطى كان لها أثر - ولو ضئيل - في نقل حضارة المسلمين إلى أوروبا فيحدثنا التاريخ أنه عندما يئس الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء العباسيين من مدّ سلطانه إلى بلاد الأندلس التى أسس فيها الأمير الأموى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام إمارة أموية ·

عندما يئس أبو جعفر من التغلب على هذا الأمير بالقوة لجأ إلى سلاح سياسى يستعين به على الوصول إلى غرضه فأراد التحالف مع « ببن » ملك الفرنجة على طرد الأمويين من الأندلس ·

وقد مهد أبو جعفر لذلك بارسال سفارة إلى « ببن » وجرت مفاوضات بين رسل الخليفة وبين ملك الفرنجة حول الغرض الذى جاءوا من أجله ثم عادوا إلى بغداد يصحبهم سفراء من الفرنجة ليتفاوضوا مع أبى جعفر في التحالف مع دولة الفرنجة على سحق الدولة البيزنطية عدوتها وعادوا إلى بلادهم يحملون الهدايا النفيسة التى أرسلها الخليفة إلى ملكهم ·

ولم تؤد هذه المفاوضات إلى نتيجة إيجابية لكل من الطرفين أكثر من إزعاج عبد الرحمن الداخل وتخويفه من هجوم الفرنجة على بلاده وإزعاج البيزنطيين من هجوم العباسيين على بلادهم · ويؤخذ على حكام المسلمين الاستعانة بغير المسلمين للتغلب على إخوانهم في

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ٣ ص ٦٥ ·

الدين فالمسلمون إخوة ينصر بعضهم بعضا ويقفون صفا واحدا للدفاع عن عقيدتهم وصد أى عدوان يوجه إليها « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ٠

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد تحددت العلاقة بين دولة الفرنجة والدولة العباسية حيث خطب شارلمان ود الرشيد فأرسل إليه يطلب التحالف معه ضد البيزنطيين ويرجوه أن ييسر الحج إلى بيت المقدس للفرنجة وأن تتبادل دولة الفرنجة التجارة مع الدولة العباسية وأن يمده بالكتب العلمية كما أرسل الرشيد بعثة إلى بلاط شارلمان بغية التحالف معه ضد الأمبراطورية البيزنطية والأمويين بالأندلس ٠

وقد أسفرت هذه المفاوضات عن إرسال مفاتيح كنيسة القيامة إلى شارلمان وتبادل الهدايا بينه وبين الرشيد وكان من بين الهدايا التى أرسلها الرشيد الى شارلمان فيل وساعة مائية دقاقة وأقمشة فاخرة من الوشى المنسوج بالذهب وبسط ومواد عطرية (١) ٠

ولم تسفر هذه المفاوضات عن عمل إيجابى من جانب شارلمان ضد الأمويين في الأندلس لأنه لم يجازف بالدخول في حرب مع الأمويين لا يدرى مغبتها حيث أدرك استحالة القضاء على الامارة الأموية التى أصبحت ثابتة البنيان موطدة الدعائم واكتفى هو وأولاده من بعده بالدفاع عن أملاكهم ولم يفكروا في توجيه حملات هجومية ضد الأمويين ٠

وكما حاول الفرنجة والعباسيون أن يتحالفوا ضد البيزنطيين والأمويين كذلك حاول الأمويون والبيزنطيون أن يتحالفوا ضد العباسيين والفرنجة ٠ وقد بدأت هذه المحاولة في عهد الامبراطور البيزنطى « تيوفيل » الذى اشتد العداء بينه وبين الخليفة العباسى المعتصم بالله فقد هاجم الامبراطور حصن زبطرة الإسلامى وضربه فرّد عليه الخليفة بالهجوم على عمورية وتخريبها سنة ٢٢٣ هـ كما خرّب كثيرا من المدن البيزنطية (٢) ٠

بعث الامبراطور « تيوفيل » سفيره « كريتوس » ومعه هدايا نفيسه ورسالة يطلب فيها صداقة عبد الرحمن الثانى (الأوسط) أمير الأندلس ويرجوه عقد معاهدة صداقة ويحرضه على استعادة مقر خلافة أجداده ٠ وقد ردّ الأمير عبد الرحمن الأوسط على « تيوفيل » بخطاب عبّر فيه عن عداوته للعباسيين دون أن يرتبط معه بمعاهدة حربية ضدهم وهذا تصرف نبيل من الأمير المسلم يستحق الثناء عليه حيث لم يتفق مع المسيحيين على حرب المسلمين ٠

ومع أن هذه المراسلات لم تؤد إلى عقد تحالف فعلى فإنها لم تخل من فائدة حيث أوجدت حالة إستقرار في غرب أوروبا إذ أن الأمويين والفرنجة اقتنعوا بأنه من الخير لهم أن

---

(١) جميل نخلة ، حضارة الاسلام ص ١٥١ ٠

(٢) ابراهيم العدوى ، المسلمون والجرمان ص ٢٧٠ ٠

يتفاهموا وأن تكف كل من الدولتين عن حرب الأخرى وتنصرف كل منها إلى رعاية مصالحها وتعمل على تقدمها الحضارى ٠

وقد نشأت بين المدن الإيطالية وبين الدولة الفاطمية بمصر والشام علاقات تأرجحت بين الود والعداء فقد أرسلت مدينة بيزا سفيرا إلى بلاط الخليفة الفاطمى الظاهر (٤١١ ـ ٤١٧ هـ) لتسوية المشكلة التى تسببت عن اعتداء بعض تجار بيزا على جماعة من التجار المصريين في البحر الأبيض على مقربة من بيزا وسلب أموالهم وقتل بعضهم وقد انتقمت الحكومة الفاطمية لرعاياها وعاقبت التجار البيزيين المقيمين بمصر ٠

ونجح سفير بيزا في تسوية الخلاف بعد أن تعهد عن حكومته بالاقتصاص من المعتدين كما تعهد بالامتناع عن إمداد أعداء المسلمين بأى مساعدة وفي نظير ذلك تعهدت الحكومة الفاطمية باطلاق سراح التجار البيزيين المسجونين بمصر وحماية حجاج بيت المقدس القادمين من بيزا على سفن غير حربية ٠

وعندما تولى الصالح طلائع بن رزيك الوزارة المصرية سنة ٥٤٩ هـ بادرت حكومة بيزا بارسال وفد لتهنئته فرحب الوزير بهم وأكرمهم وأكد المعاهدات القديمة بينهما ٠

وقد قامت صلات ودية بين مدينة جنوة والدولة الفاطمية وازدادت هذه الصلات في النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى فقد بعثت جنوة سفراء معاهدة مع الحكومة الفاطمية وتمخضت المفاوضات بين الطرفين عن تعهد الحكومة الفاطمية بحماية رعايا جنوة في مصر وكان معظمهم يقيمون في مدينة الإسكندرية ٠

وكذلك قامت علاقات بين البندقية والدولة الفاطمية حيث تعهدت البندقية في القرن الرابع الهجرى بامداد الفاطميين بما يحتاجونه من الأخشاب التى تلزم لبناء الأسطول الفاطمى المرابط في سواحل مصر وسواحل الشام ولكن البندقية توقفت بعد فترة عن إرسال الأخشاب ـ تحت تهديد حكومة بيزنطة ـ فتعكر صفو العلاقات بينها وبين الفاطميين غير أن البندقية لم تلبث أن أدركت أن مصالحها التجارية تحتم عليها أن تعيد علاقاتها الطيبة بالقاهرة فعادت إلى ماكانت عليه من إمدادها بالأخشاب نظير حصولها على امتيازات خاصة لسفنها التى تمر بالمياه المصرية وتنقل حاصلات إفريقية وآسيا إلى أوروبا (١) ٠

ومما لاشك فيه أن هذه السفارات قامت بدور في توصيل حضارة المسلمين إلى دول الغرب لأن السفراء كانوا يطلعون على مظاهر الحضارة في العالم الإسلامى وينقلون فكرة عما

---

(١) جمال سرور : الدولة الفاطمية ص ١٧٥ ، ١٧٦ ٠

شاهدوه إلى بلادهم لكن عدد هؤلاء السفراء - بالطبع - كان محدودا وإقامتهم في البلاد الإسلامية لم تكن طويلة بل كانت مدتها تتوقف على انتهاء المهمة التى أرسلوا من أجلها ·

ولذلك لم يكن دور هذه الاتصالات بارزا في نقل الحضارة الإسلامية بل كان نصيبه في نقلها محدودا يقتصر أغلبه على الجانب المادى للحضارة أما الجانب الثقافى منها فقد كان قليلا جدا كما اقتصر نقل التجار على الجانب المادى فقط لأن همتهم كانت متجهة أولاً وبالذات إلى الحصول على المال فكانوا ينقلون التحف بقصد الكسب من ورائها فحسب ولم تكن الثقافة والفن مما يحرص التجار على تداوله ·

من كل ما تقدم نعلم أن ما تنعم الدول الغربية به من حضارة ليس من ابتكار عقول أهلها ولا من صنع أيديهم إنما هو فيض الحضارة الإسلامية وصل إليهم عن تلك المصادر التى تكلمنا عنها ·

وقد اهتم الغربيون بالجانب المادى من الحضارة التى وصلت إليهم من الشرق وأغفلوا الجانب الروحى وهو المهم وليتهم وجهوا الجانب المادى وجهة صالحة تعمّر ولا تخرب وتبنى ولا تهدم · بل تفننوا في نقل وسائل التخريب والتدمير حتى أصبح العالم يعيش اليوم في جو من القلق والرعب اللذين يجب أن يخلو منها المجتمع الحضارى ·

ويوم يرجع المسلمون إلى التمسك بقواعد دينهم والسير على هداها فسوف يعيدون إلى المجتمع الانسانى نعمة الأمن ويخرجونه من جو القلق والرعب إلى جو الطمأنينة والسعادة والله سبحانه وتعالى يهدى إلى سواء السبيل نسأله جلت قدرته أن يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين ·

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء
والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

ترغب رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالرياض الحصول على مخطوطة كاملة من الكتب الآتية للعلامة ابن القيم - رحمه الله - بمكافأة ثلاثة آلاف ريال ٣٠٠٠ لأي كتاب منها :-

١ - شرح أسماء القرآن الكريم .
٢ - الفتح القدسي .
٣ - الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية .
٤ - المعالم .
٥ - بطلان الكيمياء .
٦ - الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم .
٧ - الاجتهاد والتقليد .
٨ - المسائل الطرابلسية .
٩ - كتاب الروح الكبير .
١٠ - الجامع بين السنن والآثار .
١١ - التحفة المكية في بيان الملة الابراهيمية .

كما ترجو الرئاسة ممن عنده إفادة عن مخطوطات غريبة التكرم بالإفادة عن وجودها ومكانها .

والله الموفق .

إحياء التراث الإسلامي

كتاب

رؤية الله تبارك وتعالى

تأليف

أبي محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد، المعروف بابن النحاس

٣٢٣ - ٤١٦هـ

تحقيق وتخريج

الشيخ محفوظ الرحمن بن زين الله السلفي

المعيد في كلية الحديث بالجامعة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله :

أما بعـــد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

لاشك أن رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة قد ثبتت في الآيات الكريمة نحو قوله تعالى (وجوهٌ يومئذٍ نَاضِرةٌ ، إلى رَبِّها ناظِرةٌ) (سورة القيامة الآية ٢٢ ـ ٢٣) وقوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنى وزِيادَةٌ) (سورة يونس الآية ٢٦) والأحاديث الصحيحة المتواترة التى تدل دلالة ناصعة على وقوع رؤية الله تعالى ، وهى حقيقة لا ينكرها إلا من زاغ قلبه وعمى بصره ·

فأنكر الخوارج والجهمية والمعتزلة وغيرها من الفرق الضالة وحملوا هذه النصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة حسب هواهم على غير محملها ، وأولوها تأويلا لا يحتمله العقل السليم والفكر الصائب ، ولا توافقه اللغة العربية وأساليبها ، وذلك لإشباع غرائزهم الخبيثة ، وتأييد معتقداتهم الفاسدة التى ترفضها نصوص الكتاب والسنة رفضا باتاً ·

لذلك فقد تناول علماء السلف هذا الموضوع ـ منذ قديم ـ بالبحث والدراسة والأخذ والرد ، فمنهم من استعرضه في كتبهم كباب من أبوابها ، وذلك في حقول مختلفة :

* كتب التفسير ·
* كتب الصحاح والسنن ·
* كتب المذاهب والفرق ·
* كتب العقيدة ·

وغيرهـــا ·

ومنهم من أفرد في هذا الموضوع كتبا ورسائل مستقلة منها ما يلى :

١ ـ النظر إلى الله تعالى لابن وضاح : محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله (ت : ٢٨٦ هـ) مخطوط في مكتبة حسن حسنى التونسى (١)

٢ ـ جواز رؤية الله تعالى بالأبصار : لأبى الحسن الأشعرى ، على بن اسماعيل (ت : ٣٢٤ هـ) ·

٣ ـ جواز كتاب العمد في رؤية البارى له ذكرهما البغدادى في هدية العارفين ٦٧٧/٨ ·

٤ ـ الرؤية لأبى أحمد العسال ، محمد بن أحمد (ت : ٣٤٩ هـ) كما ذكره البغدادى في هدية العارفين ٤٣/٢

٥ ـ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للآجرى ، محمد بن الحسين بن عبد

---

(١) راجع الاعلام للزركلى ٣٥٨/٧ ·

الله (ت : ٣٦٠) مخطوط ، توجد في مكتبة الجامعة الإسلامية نسختان مصورتان من دار الكتب الظاهرية بدمشق (١) ٠

٦ ـ كتاب الرؤية للدارقطنى ، على بن عمر البغدادى (ت : ٣٨٥ هـ) مخطوط ، توجد في الجامعة الإسلامية صورة منه وهى مصورة من اسكوريال بأسبانيا (٢) ٠

٧ ـ كتاب في رؤية الله لابن النحاس ، وهو هذا الكتاب الذى نتشرف بتقديمه للقراء ٠

٨ ـ الضوء السارى إلى معرفة رؤية البارى لأبى شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى (ت : ٦٦٥ هـ) توجد في الجامعة الإسلامية نسخة مصورة من ريوان كشك بتركيا ٠

٩ ـ رسالة في رؤية الله تعالى للنساء لابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت : ٧٢٨ هـ) ذكرها ابن عراق في تنزيه الشريعة : ٣٨٤/٢ ٠

١٠ ـ الغنية في مسئلة الرؤية لابن حجر العسقلانى (ت : ٨٥٢ هـ) مخطوط ٠ وهي موجودة في معهد المخطوطات بالقاهرة ١٣٣٨ ٠

١١ ـ رسالة في مباحث الرؤية والكلام لخطيب زاده ، محمد ابراهيم مخطوط ٠ توجد نسخة في الجامعة الاسلامية وهى مصورة من اسكوريال بأسبانيا ٠

١٢ ـ اسبال الكساء في رؤية الله للنساء للسيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١ هـ) مطبوع ٠

١٣ ـ تحفة النساء في رؤية الله للنساء للسيوطى ، توجد منه نسخة خطية في الجامعة الإسلامية ٠

١٤ ـ اللفظ الجوهرى في رد خباط الجوجرى للسيوطى ، مخطوط توجد في الجامعة الإسلامية وهى مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق ٠

١٥ ـ البغية في مسئلة الرؤية للشوكانى محمد بن على (ت : ١٢٥٠ هـ) كما ذكرها البغدادى في هدية العارفين ٣٦٥/٢ ٠ وتوجد منه نسخة في الجامعة مصورة من كلناؤ ٠

١٦ ـ رؤية الله تبارك وتعالى ، رسالة قدمها الأستاذ أحمد الناصر الحمد لنيل درجة العالمية (ماجستير) ٠

فمساهمة في الرد على زيغ الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ، والدفاع عن العقيدة الصحيحة أقدم إلى القراء الكرام هذا الجزء الصغير محققا ، وأترك التفاصيل حول الرؤية واختلاف الفرق

---

(١) حققه الاستاذ شهاب الله جنغ بهادر البستوى وقدمه لنيل درجة العالية (الليسانس) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ٠

(٢) يحققه الاستاذ سليم الأحمدى في الجامعة الإسلامية بالمدينة ٠

وأدلتهم العقلية والنقلية ، ومن يريد التفصيل فليراجع كتاب التوحيد لا بن خزيمة ، وكتاب السنة لا بن أبى عاصم ، وكتاب الرؤية للدارقطنى ، وشرح السنن للالكائى ، وبيان تلبيس الجهمية لا بن تيمية وحادى الأرواح لا بن القيم ، والنهاية لا بن كثير رحمهم الله تعالى ٠

ترجمـــة ابن النحاس

اسمه ونسبـــه :

هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ، أبو محمد التجيبى (١) المصرى المالكى ، البزار ، المعروف بابن النحاس (٢) ٠

مولـــده :

ولد بمصر ليلة الأضحى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة من الهجرة ٠ (٣) ٠

نشـــأته :

قد اعتنى ابن النحاس بالعلوم الإسلامية منذ طفولته ، وبدأ يتردد على مجالس العلماء ويتلقى الحديث والفقه وغيرهما ، فأول سماعه كان في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة حينما كان عمره ثمانى سنين فقط (٤) ٠

وحج سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاور بمكة وسمع من ابن الأعرابى شيخ الحرم في وقته فأكثر عنه (٥) حتى صار من أبرز تلامذته وقد روى عنه المعجم (٦) ٠

وواظب ابن النحاس بالجد والاجتهاد على طلب علم الحديث والفقه وبرع حتى صار محدثاً وفقيهاً ومسند الديار المصرية في وقته ، فهو كما قال الامام الذهبى : « الشيخ الامام الفقيه المحدث الصدوق ، مسند الديار المصرية (٧) ٠

وذاع صيته في العالم حتى عزم الخطيب على الرحلة اليه فلم يقض (٨) ٠

---

(١) بمضمومة ويجوز فتحها وكسر جيم وسكون مثناة تحت فموحدة وبشدة الياء في آخر ٠ المغنى للفتنى : ١٤ ٠

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/١١ ، النجوم الزاهرة ٢٦٣/٤ ٠

(٣) المصدران السابقان ٠

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/١١ ز ، العبر : ١٣٢/٣ ، شذرات الذهب : ٢٠٤/٣ ٠

(٥) سير أعلام النبلاء : ٢/٦٩/١١ ٠

(٦) توجد صورة من المعجم في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٣٢٩ ـ ٣٣٠ وهى مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق ٠

(٧) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/١١ ٠

(٨) المصدر السابق ٠

رحلاتـــــــه :

لم تشر المصادر الى أنه ارتحل إلى خارج الديار المصرية غير أنه حج سنة تسع وثلاثين وجاور وسمع من ابن الاعرابى (١) ٠

مشايخـــــــه :

سمع بمكة وبمصر من خلق كثير لا يمكن حصرهم وأكتفى بذكر بعضهم مرتبا اياهم على حروف المعجم مع ذكر تاريخ وفياتهم ـ ان وجدته ـ ٠

١ ـ أحمد بن بهزاد السيرافى ، مسند مصر (ت : ٣٤٦ هـ) ٠
٢ ـ أحمد بن عبد الله بن الحسن ، أبو هريرة العدوى (ت : ٣٤٦ هـ) ٠
٣ ـ أحمد بن محمد بن زياد ، أبو سعيد ، ابن الأعرابى (ت : ٣٤٠ هـ) ٠
٤ ـ أحمد بن محمد الصابونى ، أبو الفوارس (ت : ٣٤٩ هـ) ٠
٥ ـ أحمد بن محمد بن عمرو ، ابو طاهر المدينى (ت : بمصر : ٣٤١ هـ) ٠
٦ ـ أحمد بن محمد بن فضالة الدمشقى (ت بمصر : ٣٣٩ هـ) ٠
٧ ـ الحسن بن مروان القيسرانى ٠
٨ ـ الحسن بن يوسف بن مليح الطرائفى (ت : ٣٤٠ هـ)
٩ ـ سليمان بن داود العسكرى (ت : ٣٣٨ هـ) ٠
١٠ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، أبو سعيد صاحب تاريخ مصر (ت : ٣٤٧ هـ) ٠
١١ ـ عبد الله بن جعفر بن الورد (ت : ٣٥١ هـ) ٠
١٢ ـ عبد الله بن محمد بن الخصيب ٠
١٣ ـ عثمان بن شعبان ، ابو عمرو القرظي الياسرى ٠
١٤ ـ عثمان بن محمد ، أبو عمرو المحدث السمرقندى (ت : ٣٤٥ هـ) ٠
١٥ ـ على بن عبد الله بن أبى مطر الإسكندرانى ، قاضى إسكندرية ومسندها (ت : ٣٣٩ هـ) ٠
١٦ ـ الفضل بن وهب ٠
١٧ ـ محمد بن إبراهيم بن حفص البصرى ٠
١٨ ـ محمد بن أيوب بن الصموت ، الرقى نزيل مصر (ت : ٣٤١ هـ) ٠

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/٨١ ٠

١٩ ـ محمد بن بشر ، أبو بكر العكرى الزنبرى ، مسند مصر (ت : ٣٣٢ هـ) .
٢٠ ـ محمد بن وردان العامرى .
وغيرهم (١) .

تلامذتـــــــه :

قد سمع منه خلق أذكر بعضهم :

١ ـ إبراهيم بن سعيد بن عبد الله ، ابو اسحاق الحبال (ت : ٤٨٢ هـ) .
٢ ـ أحمد بن أبى نصر .
٣ ـ الحسين بن احمد العداس .
٤ ـ خلف بن أحمد .
٥ ـ عبد الرحيم بن احمد بن نصر البخارى (ت : ٤٦١ هـ) .
٦ ـ عبيد الله بن سعيد بن حاتم ، ابو نصر السجزى (ت : ٤٤٤ هـ) .
٧ ـ عثمان بن سعيد القرظى ، أبو عمرو الدانى (ت : ٤٤٤ هـ) .
٨ ـ على بن الحسن ابو الحسن الخلعي صاحب الخلعيات (ت : ٤٩٢ هـ) .
٩ ـ محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى (ت : ٤٥٤ هـ) .
١٠ ـ محمد بن عبد الله بن على ابو عبد الله الصورى (ت : ٤٤١ هـ) .
وغيرهم (٢)

مؤلفـــــاتـه :

١ ـ مشيخة وهى في جزئين كما ذكره الذهبى (٣) .
٢ ـ كتاب في رؤية الله تعالى وهو هذا الكتاب الذى نقدمه للقراء .

وفـاتـــــــــه :

توفي ابن النحاس بمصر في ليلة الثلاثاء في العاشر أو الثالث عشر من صفر سنة ست عشرة واربعمائة (٤) .
وعاش اثنتين وتسعين وشهرين .

---

(١) راجع : سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/٨١ . العبر : ١٣١/٣ ـ ١٣٢ . شذرات الذهب ٢٠٤/٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/٨١ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الوفيات للحبال ٢/٨٧٩ (مجموع) سير أعلام النبلاء ٢/٦٩/٨١ العبر ١٣٢/٣ النجوم الزاهرة ٢٦٣/٤ . شذرات الذهب ٢٠٤/٣ .

توثيق نسبـــة الكتـــاب :

إن المصادر القديمة لم تشر إلى هذا الكتاب ولا إلى مؤلفه ، وكذلك اسم المؤلف لم يذكر على طرة الكتاب ، ولكن الشيخ الألبانى حفظه الله ذكره في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية من مؤلفات ابن الأعرابى (١) .

وتبعه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربى (٢) .

ولعل السبب أن الكتاب واقع بعد كتاب المعجم لابن الاعرابى برواية ابن النحاس ، والأحاديث في أول الكتاب وفي آخره قد رويت من طريق ابن الأعرابى .

ولكن بعد التدقيق ظهر لى أن الكتاب ليس لابن الأعرابى ، بل لتمليذه عبد الرحمن ابن عمر المعروف بابن النحاس ، لأن الكتاب يحتوى على ثمانية عشر حديثا من احدى وعشرين طريقا وهى مروية عن تسعة مشايخ غير ابن الأعرابى وهم :

١ ـ احمد بن عبد الله بن الحسن ، أبو هريرة العدوى فقد روى عنه حديثا واحدا (٣) .

٢ ـ الحسن بن يوسف بن مليح الطرائفى ، روى عنه حديثين (٤) .

٣ ـ سليمان بن داود ، أبو القاسم العسكرى ، روى عنه حديثا واحدا (٥) .

٤ ـ عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد أبو محمد ، روى عنه حديثين (٦) .

٥ ـ عثمان بن شعبان ، ابو عمرو القرظي روى عنه حديثا (٧) .

٦ ـ على بن أحمد بن على الحربى روى عنه حديثا واحدا (٨) .

٧ ـ محمد بن عبد الله بن محمد بن هاشم الازدى ، روى عنه حديثا واحدا (٩) .

٨ ـ محمد بن ملاق بن نصر بن سلام العثمانى ، روى عنه أربعة أحاديث (١٠) .

---

(١) ص : ٣٥ .

(٢) ٤٧٨/٢ .

(٣) الحديث رقم : ٥ .

(٤) الحديث رقم : ٥ ، ١٧ .

(٥) الحديث رقم : ١٢ .

(٦) الحديث رقم : ٤ ، ١٠ .

(٧) الحديث رقم : ١٤ .

(٨) الحديث رقم : ٨ .

(٩) الحديث رقم : ٥ .

(١٠) الحديث رقم : ٥ ، ٩ ، ١٣ ، ١٨ .

٩ ـ يحيى بن الربيع بن محمد بن الربيع ، أبو الفضل العبدى روى عنه حديثا واحدا (١) وأما ابن الأعرابى فقد روى عنه سبعة أحاديث فقط (٢) .

فعرف من هذا أن سبعة أحاديث فقط رويت عن طريق ابن الاعرابى والباقى عن طريق غيره ، وهذا يرجح أن الكتاب ليس لابن الاعرابى بل لتلميذه ابن النحاس .

ومن الجدير بالذكر أنه ورد في حديث رقم : ١٢ : « نا أبو القاسم سليمان بن داود ـ في مسجده بالعسكر سنة ثمان وثلاثمائة » ، وأضفت أنا كلمة (وثلاثين) بين القوسين تقويما للنص اعتمادا على بقية أسانيد الأحاديث ، لأن النسخة ـ فيما ترجح لدى من تأليف ابن النحاس لا لابن الاعرابى ، ويؤيد صنيعى هذا أن في الحديث رقم ١٤ « نا أبو عمرو عثمان ابن شعبان ـ سنة ثمان وثلاثمائة ـ وسقطت منه كلمة « وثلاثين » فأضافها كاتب النسخة في الحاشية (١/٢٥٤) .

وصف المخطوطـــــة :

لم أعثر إلا على هذه النسخة الفريدة فقط وهى مصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق ، مع كتاب المعجم لابن الاعرابى برواية ابن النحاس .

الخـــــط :

خطها مغربى جيد وكثير من الكلمات قد استدركت على الحاشية كما أن شرح بعض الكلمات ذكر على الهامش .

النـــــاسخ :

لم يعرف .

تاريخ النسخ :

سبع عشرة ليلة خلت من صفر من سنة سبع وأربعين وأربعمائة (٣) .

عـــدد الأوراق :

خمس ورقات جاءت بعد كتاب المعجم لابن الاعرابى (١/٢٥٠ ـ ٢/٢٥٥) .

---

(١) الحديث رقم : ٦ .

(٢) الحديث رقم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٣) راجع : الصفحة الأخيرة من المخطوطة .

عـــدد السطور :

١٨ سطرا في كـــل صفحـــة ·

عـــدد الكلمات :

في كل سطر اثنتا عشرة كلمة الى ثمانى عشرة كلمة ·

مقاسهـــــــــا :

١٩ × ٢٥ سم ·

عملى في الكتـــــــاب :

١ ـ حاولت تقويم النصوص بالرجوع إلى مصادر الحديث ·

٢ ـ وضعت ما أضفته مما تستلزمه سلامة النص بين قوسين هكذا : [ ]

٣ ـ بينت مواضع الآيات من السور واستعملت القوسين هكذا ( ) للآيـات ·

٤ ـ خرّجت الأحاديث ، وذكرت أولا اسم المؤلف ثم اسم الكتاب ثم الباب إذا كان مرتبا على الأبواب ، والترجمة إذا كان في كتب التراجم ، ثم ذكرت أقوالهم إذا وجدت في ذكرها فائدة ، ثم ذكرت الجزء والصفحة في المطبوعات والورقة واللوحة في المخطوطات ·

وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فلم أذكر مصادر أخرى إلا إذا كان لذكرها فائدة ·

٥ ـ حكمت على الأحاديث ·

٦ ـ ترجمت للرواة الواردين في الكتاب الا الصحابة والثقات الموجودين في تقريب التهذيب لابن حجر ـ ان وجدتها ـ وضبطت الأسماء والأنساب التى تحتاج إلى ضبط ·

٧ ـ شرحت الكلمات الغريبة الواردة في الكتاب ·

٨ ـ أشرت لبدء أوراق المخطوطة واللوحة ليسهل الرجوع إليها ووضعتها بين قوسين ورمزت لوجه اللوحة « ١ » ولظهرها « ٢ » فمثلا (١/٢٥٢ ، ٢/٢٥٢)

٩ ـ كتبت مقدمة وجيزة ذكرت فيها ترجمة المؤلف وتوثيق نسبة الكتاب اليه ·

١٠ ـ أثبت المصادر والمراجع في آخر الكتاب مع ذكر المؤلفين ومكان طبعها إذا كانت مطبوعة ومكان وجودها إذا كانت مخطوطة ، وفهرست الأحاديث وتركت الفهارس الأخرى لأن المقام لا يتحملها ·

الرمـــــــوز :

نـــا = حدثنـــا
ثنـــا = حدثنـــا
انـــا = اخبرنـــا
ح = تحويل السنـــد

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآلـــه

١ ـ أنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن النحاس قراءة عليه ، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن الأعرابى (١) بمكة في شوال من سنة أربعين وثلاثمائة ، نا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى ، نا وكيع بن الجراح ، نا إسماعيل ابن ابى خالد ، عن قيس بن ابى حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون (٢) في رؤيته فان استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا (٣) .

٢ ـ أنا أبو سعيد بن الأعرابى ، نا سعدان بن نصر المخرّمى (٤) نا سفيان بن عيينة ، نا إسماعيل بن ابى خالد ، عن قيس بن ابى حازم ، عن جرير بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه (٥) .

---

(١) أحمد بن محمد بن زياد أبو سعيد المعروف بابن الاعرابى . البصري الصوفي . شيخ الحرم في وقته وكان ثقة . توفى سنة أربعين وثلاثمائة . وقيل احدى وأربعين . سير أعلام النبلاء : ٨٠/١٥ـ٢ . التذكرة : ٨٥٢/٣ـ٨٥٣ . تاريخ دمشق لابن عساكر : ٨٦/٢/٣ .

(٢) على الهامش : يروى تضامّون ـ بفتح التاء وتشديد الميم ـ ومعناه : لا ينضم بعضكم إلى بعض . ومن رواه بضم التاء وتخفيف الميم . ومعناه : لا يؤذى بعضكم بعضا فى رؤيته . راجع النهاية : ١٠١/٣ .

(٣) أخرجه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد . باب ذكر البيان أن الله عز وجل ينظر إليه جميع المؤمنين الخ عن الحسن بن محمد : ١٦٧ـ١٦٨ . والدارقطنى في كتاب الرؤية عن شيخين له عن الحسن بن محمد : ٨٣/١ . وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة . باب الرؤية عن عثمان نا جرير ووكيع وأبو أسامة ثم ساق السند والمتن وفيه زيادة : ثم قرأ (فَسَبِّح بِحَمدِ رَبكَ) الآية ٣٧٤/٤ـ٣٧٥ . والترمذى في سننه في باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى عن هناد نا وكيع . مع الزيادة وقال : هذا حديث صحيح ٣٣٣/٣ . وابن ماجة في سننه في المقدمة . باب فيما أنكرت الجهمية بسنده الى وكيع . وفيه أيضا زيادة ٦٣٨ (١٧٧) . وأحمد في مسنده في مسند جرير عن وكيع وفيه أيضا زيادة ٣٦٥/٤ـ٣٦٦ . وابن أبى عاصم في كتاب السنة بسنده إلى وكيع ثم ساق السند والمتن مختصرا : ١٩٤/١ـ١٩٥ الحديث صحيح .

(٤) سعدان بن نصر بن منصور . أبو عثمان الثقفي المخرّمى ـ بكسر الراء المشددة . نسبة إلى المخرّم محلة ببغداد ـ قال ابو حاتم : صدوق . وقال الدارقطنى : ثقة مأمون . مات سنة خمس وستين ومائتين .
الجرح والتعديل : ٢٩٠/١/٢ ـ ٢٩١ . تاريخ بغداد : ٢٠٥/٩ ـ ٢٠٦ . تبصير المنتبه : ١٣٤٧/٤ .

(٥) أخرجه الدارقطنى في كتاب الرؤية عن شيخين له عن سعدان بن نصر ٧٠٨/١ـ٢ والطبرانى في الكبير بسنده إلى ابن عيينة ومروان : ٣٣٤/٢ (ح ٢٢٣٤) وأيضا رواه مختصرا ٣٣٣/٢ (ح ٢٢٣٢) . وابن ابى عاصم في السنة بسنده الى ابن عيينة مختصرا ١٩٥/١ .

٣ ـ أنا أبو سعيد بن الاعرابى ، نا أبو أمية بكر بن فرقد التميمى (١) نا يحيى ابن سعيد (٢) نا إسماعيل بن ابى خالد ، عن قيس بن ابى حازم عن جرير عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه (٣) ٠

٤ ـ أنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد (٤) حدثنى أبو عبد الله عبد ديزويه الرازى سنة ثلاث وثمانين ومأتين (٥) نا أبو الحسن سرى بن مغلس السقطى البغدادى (٦) نا مروان بن معاوية الفزارى عن إسماعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال لنا : « ترون هذا القمر ؟ ترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون (١/٢٥١) في رؤيته (٧) ٠

٥ ـ أنا أبو على الحسن بن يوسف بن مليح الطرائفى (٨) سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، نا ابراهيم بن مرزوق بن دينار البصرى (٩) نا حماد بن سلمة ٠

ح / وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن هاشم الازدى ، نا أبو غسان مالك بن يحيى بن مالك ، بن يزيد بن هارون ، أنا حماد بن سلمة ٠

---

(١) بكر بن محمد بن فرقد ، أبو أمية التميمى ، قال الدارقطنى : ليس بالقوى ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال محمد بن مخلد : كان شيخا حافظا ، وقال مسلمة بن قاسم : ثقة ٠
تاريخ بغداد : ٩٤/٧ ، اللسان : ٥٨/٢ ٠

(٢) هو القطان ٠

(٣) في سنده بكر بن محمد بن فرقد ولكن أخرجه البخارى في جامعه الصحيح في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر عن مسدد ثنا يحيى ٠ ٥٢/٢ (٥٧٣)

(٤) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد ، أبو محمد ، سمع منه ابن النحاس السيرة ، توفي بمصر سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ٠
التذكرة : ٨٨٢/٣ ، سير أعلام النبلاء : ٢/٦٩/١١ (ترجمة ابن النحاس) ٠

(٥) كلمة « ومأتين » غير واضحة في المخطوطة ٠

(٦) السرى بن مغلّس ـ بمعجمة ولام مشددة فمهملة ـ أبو الحسن السقطى ، البغدادى ، الزاهد المشهور ، صحب معروفا الكرخى ، اشتهر بالصلاح والزهد والورع ، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين ٠
اللسان : ١٣/٣ ـ ١٤ ، المغنى للفتنى : ٧٤ ٠

(٧) لم أجد من أخرجه من طريق المؤلف ولكن أخرجه البخارى في جامعه الصحيح في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر عن الحميدى ثنا مروان ٠ وفيه زيادات ٠ ٣٣/٢ (ح٥٥٤) ٠

(٨) الحسن بن يوسف بن مليح ـ بضم الميم ـ ابن صالح الطرائفى ـ بفتح الطاء المهملة والراء والياء بعد الألف وفي آخرها الفاء ـ أورد له الدارقطنى في غرائب مالك وقال : هذا منكر بهذا الاسناد لا يصح ، وقال العراقى بعد ذكر قول الدارقطنى : هو المتهم اما عمدا أو وهما ، وقال الذهبى : السيد المسند ، توفي سنة أربعين وثلاثمائة ٠
الأنساب : ١/٣٦٩ ، سير أعلام النبلاء ١٨٠٣/٨٠ ، ذيل الميزان : ٢/٤٩ ، اللسان : ٢٦٠/٢ ٠

(٩) ابراهيم بن مرزوق بن دينار الأموى البصرى ، نزيل مصر ، ثقة ، عمى قبل موته ، وكان يخطىء ولا يرجع ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين ـ التقريب : ٤٣/١ ٠

ح / وأنا أبو العباس محمد بن ملاق بن نصر بن سلام العثمانى ، نـا يوسف بن يزيد القراطيسى (١) نـا أسد بن موسى (٢) ، نـا حماد بن سلمة ٠

ح / وحدثنا أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن الحسن بن أبى العصام العدوى (٣) لفظا في المحرم سنة أربعين وثلاثمائة ، واللفظ له ، نـا أحمد بن محمد بن أبى موسى (٤) ، نـا عمر بن الحسن البصرى ، نـا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله مواعد يريد أن ينجزها لكم ، فيقولون : يارب أليس قد بيضت وجوهنا وثقلت موازيننا وزحزحتنا عن النار وأدخلتنا الجنة ؟ فيأمر بالحجاب فيكشف ، فينظرون إلى وجه الله عز وجل ، فما هم لشيىء مما أعطوا أقرّ أعينهم من النظر إلى وجه الله عز وجل ، ثم قرأ (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وزيادة) (يونس آية ٢٦) الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل ٠ (٥) ٠

---

(١) يوسف بن يزيد بن كامل ، أبو يزيد القراطيسى ـ بفتح القاف والراء المهملة وكسر الطاء المهملة وسكون الياء بعدها سين مهملة ـ المصرى ، صاحب أسد السنة من كبار شيوخ الطبرانى ، مات سنة تسع وثمانين ومائتين ٠
الأنساب : ١/٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٢٠٢/٢ ٠

(٢) أسد بن موسى بن ابراهيم بن عبد الملك الأموى ، أسد السنة ، صدوق يغرب ، وفيه نصب ، مات سنة اثنتى عشرة ومائتين ٠
التقريب : ٦٣/١ ٠

(٣) أحمد بن عبد الله بن الحسن ، أبو هريرة العدوى كتب ببغداد عن أبى مسلم الكجى وغيره ، وبمصر عن أبى يزيد القراطيسى وكان يورق ويستملى على الشيوخ وكان ثقة ، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة ٠ المنتظم : ٣٨٤/٦ ـ ٣٨٥ ٠

(٤) أحمد بن محمد بن أبى موسى ، ابو بكر الانطاكى الفقيه ، ذكره ابن عساكر في تاريخه ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ٠
٢/٨١٠/٢ ـ ١/٨١١ ٠

(٥) لم أجد من أخرجه من طرق المؤلف ٠ ولكن أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، عن ابن أبى شيبة ثنا يزيد بن هارون ثم ساق السند والمتن مختصرا ٠ ١٦٣/١ (ح٢٩٨) وأيضا بسنده إلى ابن مهدى عن حماد بن سلمة ٠ ١٦٣/١ (ح ٢٩٧) ٠

والترمذى في سننه في تفسيره سورة يونس عن محمد بن بشار عن ابن مهدى عن حماد ثم ساق السند والمتن نحوه ، وقال : هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة مرفوعا وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قوله ، ولم يذكر فيه عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم ١٢٥/٤ ٠ وأيضا في باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى وقال : هذا حديث انما أسنده حماد ابن سلمة ، ورفعه وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قوله ٣٣٣/٣ ـ ٣٣٤ ٠

والدارقطنى في كتاب الرؤية بسنده الى هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة ثم ساق السند والمتن ، وقال : حديث صحيح أخرجه مسلم عن القواريرى عن عبد الرحمن بن مهدى وعن أبى بكر ابن أبى شيبة عن يزيد بن هارون جميعا عن حماد بن سلمة بهذا الاسناد ٠
٢/٩٧ ٠

لاشك أن الحديث صحيح مرفوعا وحماد بن سلمة أثبت الناس وأعلمهم في ثابت كما نقل الدارقطنى عن يحيى بن معين يقول : من خالف حماد بن سلمة في ثابت فالقول قول حماد بن سلمة ، قيل له سليمان بن المغيرة عن ثابت ؟ قال : سليمان ثبت وحماد بن سلمة أعلم الناس بثابت ٠ كتاب الرؤية : ١/٨٠٠ ٠

اللغة في الأدب

أختي العزيزة هـل

رسائلى إليك ستكون كثيرة ، وحديثى إليك لن يكون قصيرا ، فاعقدي العزم على الصبر وطول السفر ، وسيرى معي على هينة وطول أناة . وما أظنني فاعلة غير هذا حين تكتبين إلىّ رسائلك الماتعة ، وتتحدثين بما أنعم الله عليك في كتابه المبين .

أختي العزيزة :

في رسائل أربع سلفت كتبت إليك سبع صيغ من هذه الصيغ التى أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع ، وها أنا ذي محدثتك اليوم عن صيغ أخرى جديدة :

أما الصيغة الثامنة فهي : « ألم تعلم أنّ ... » ففي هذه الصيغة دخلت أختك همزة الاستفهام على لم النافية الجازمة لمضارع « علم » مسندا إلى ضمير المفرد المذكر يليه (أنَّ) الناسخة للمبتدأ والخبر المؤكدة لمضمون جملتها ، وقد وردت هذه الصيغة في ست آيات :

الآية الأولى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » . الآية (١٠٦) من سورة البقرة .

الآية الثانية قوله تعالى : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولىّ ولا نصير » . الآية (١٠٧) من سورة البقرة .

الآية الثالثة قوله تعالى : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير » . الآية (٤٠) من سورة المائدة .

الآية الرابعة قوله تعالى : « ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك على الله يسير » . الآية (٧٠) من سورة الحج .

الآية الخامسة قوله تعالى : « أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » . الآية (٧٨) من سورة القصص .

الآية السادسة قوله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » . الآية (١٤) من سورة اقرأ .

وقد تضمنت هذه الآيات بيان قدرة الله تعالى على كل شيء ، وعلمه بكل شيء على وجه التوكيد في الآيات الست .

ومعنى همزة الإستفهام في هذه الصيغة الواردة في هذه الآيات كلها : التقرير ، أي قد علمت أيها المخاطب أنّ ... أو قد علم أنّ ...

وفي الآية الخامسة التى تتحدث عن قارون تدل الهمزة على التقرير والتوبيخ معاً ، تدل على التقرير بمعنى أن قارون قد علم إهلاك الله تعالى من عاشوا قبله ، وتدل على توبيخه أنْ لم يعظه علمه هذا ولم يمنعه من الاغترار بكثرة ماله وقوته .

وفي الآية السادسة تدل همزة الاستفهام على التقرير والتوبيخ والوعيد جميعا ، التقرير بمعنى أن أبا جهل قد علم أن الله تعالى يراه ، وعلى توبيخه أنْ لم يعمل بما يقتضيه علمه هذا وعلى الوعيد بالعقاب والعذاب من جرّاء أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال : « واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب » (١) .

وإعراب « ألم تعلم » ظاهر ، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل من يصلح للخطاب ، وأن وخبرها في تأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولى (تعلم) ، وأكد متعلق العلم في الآيات الأربع الأولى اهتماما بشأن الخبر ومزيد عناية به .

أما في الآية الخامسة ففاعل (يعلم) ضمير مستتر يعود على قارون ، والواو الواقعة بين همزة الاستفهام و (لم) عاطفة على ما قبل الهمزة ، وقد أكد متعلق العلم في هذه الآية لتنزيل قارون منزلة المنكر لأنه لم يعمل بمقتضى علمه .

---

(١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص ٥٦٣ .

وفاعل (يعلم) في الآية السادسة ضمير مستتر يعود على أبى جهل وأكد متعلق العلم في هذه الآية لتنزيل أبى جهل منزلة المنكر إذْ لم يعمل بمقتضى علمه أيضا ·

أختى العزيزة هـل :

الصيغة التاسعة من الصيغ التى تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على (لم) النافية الجازمة للفعل المضارع هى : « ألم يعلموا أن ··· » ففى هذه الصيغة ترين همزة الاستفهام قد أتبعت بـ (لم) النافية الجازمة لمضارع (علم) مسندا الى واو الجماعة يليه أنّ الناسخة للمبتدأ والخبر المؤكدة لمضمون جملتها ·

وقد وردت هذه الصيغة في خمس آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : « ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم » الآية (٦٣) من سورة التوبة ·

ومعنى همزة الاستفهام في هذه الآية : الإنكار والتوبيخ : الإنكار بمعنى لا ينبغى لهؤلاء المنافقين المخالفة والمعاداة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتوبيخهم على إقدامهم على هذه المخالفة والمعاداة مع علمهم بالعاقبة الوخيمة وهى أن لهم نار جهنم خالدين فيها ، وذلك العذاب هو الخزي العظيم ·

و (يعلموا) فعل مضارع مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف النون ، وواو الجماعة (وهم فريق من المنافقين) ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل ، و (أنّ) الأولى حرف توكيد ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ، والهاء المتصلة بها ضمير الشأن والقصة مبني على الضم في محل نصب اسمها · والجملة الشرطية كلها : « من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها » في محل رفع خبر أن ، والمصدر المؤول من أن وخبرها في محل نصب سدّ مسدّ مفعولى (يعلم) ، والتقدير ألم يعلموا وجوب نار جهنم لمن يحادد الله ورسوله ·

الآية الثانيـة قوله تعالى : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » · الآية (٧٨) من سورة التوبة ·

معنى الهمزة في هذه الآية الإنكار والتوبيخ ·

ينكر الله سبحانه وتعالى على المنافقين كذبهم وبخلهم وإعراضهم وإخلافهم الوعد ، ويوبخهم على ذلك كله بعد أن عاهدوه سبحانه وتعالى أن يتصدقوا وأن يكونوا من الصالحين إن أعطاهم من فضله ، وقد أعطاهم

ويوبخهم أيضا على ما كانوا يخفونه من نفاق وما يتناجون به من طعن في الدين ، وتسمية الصدقة جزية ، وتنقيص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعييب المؤمنين ٠

الآية الثالثة قوله تعالى : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » ٠ الآية (١٠٤) من سورة التوبة ٠

ومعنى الاستفهام بالهمزة في هذه الآية هو الأمر أي ليعلموا ، فإن كان الضمير (واو الجماعة) في يعلموا يعود على المتوب عليهم فالغرض حينئذ تأكيد قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم ٠

وإن كان المراد بواو الجماعة غير المتوب عليهم ممن لم يتوبوا كان الغرض حينئذ من هذا الأمر حثهم على التوبة والصدقة وتهييجهم إلى الإقدام عليها ٠ وقد مضى إعراب هذه الصيغة ٠

الآية الرابعة قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل مافرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين » الآية (٨٠) من سورة يوسف ٠

حين يئس إخوة يوسف من رد أخيهم إليهم اعتزلوا يتناجون ماذا يفعلون ، ويبدو من كلام كبيرهم أنهم اعتزموا العودة إلى أبيهم تاركين أخاهم عند يوسف عليه السلام فقال كبيرهم منكرا عليهم : ألم تعلموا أن ..... الآية ٠ فمعنى الهمزة في هذا الاستفهام الإنكار ، ينكر كبير إخوة يوسف على إخوته أن يعودوا إلى أبيهم بدون أخيهم وهم يعلمون أن أباهم قد أخذ عليهم موثقا قال لهم « لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتُنَّنى به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل » (الآية (٦٦) من سورة يوسف) ٠

ومن أجل هذا الموثق قال كبيرهم لن أبرح هذه الأرض أرض مصر التى أنا فيها الآن إلا بما يجعلنى في حلّ من موثق أبي أو يحكم الله لى ـ وهو خير الحاكمين ـ بحكْم لا يؤدى إلى نقض ذلك الموثق ٠

الآية الخامسة قوله تعالى : « أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ٠ الآية (٥٢) من سورة الزمر ٠

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ ، ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يعطيهم نعمة من عنده فيقولون إنما أوتيت ذلك على علم منى بوجوه المكاسب والمتاجر ، أو على علم منى بأنى سأعطاه لما فيَّ من فضل واستحقاق ، أو على علم من الله أني أستحق هذا وأني أهل

له . ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك هذا القول الدال على إعجاب بالنفس وتعاظم مفرط وجهل بعيد ، ويوبخهم على جهلهم أن الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده وإن لم يكونوا من ذوى الحيلة والقدرة على كسبه ، وأنه تعالى يضيق الرزق على من يشاء من عباده وإن كانوا من ذوى الخبرة في وجوه الكسب ، فالله سبحانه وتعالى يبسط الرزق ويقبضه لحكمة يعلمها وحده ، وليس السبب عقل عاقل ولا جهل جاهل ، يدل على ذلك أنا نرى كثيرا من العقلاء في ضيق وكثيرا من الجهلاء في سعة .

أختى العزيزة هـل :

أما الصيغة العاشرة من هذه الصيغ التى تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على لم النافية الجازمة للمضارع فهي : « ألم يسيروا ..... » . وقد وردت هذه الصيغ في سبع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون » . الآية (١٠٩) من سورة يوسف .

الآية الثانية قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور » . الآية (٤٦) من سورة الحج .

الآية الثالثة قوله تعالى : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » . الآية (٩) من سورة الروم .

الآية الرابعة قوله تعالى : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء في السموات ولافي الأرض إنه كان عليما قديرا » . الآية (٤٤) من سورة فاطر .

الآية الخامسة قوله تعالى : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » الآية (٢١) من سورة غافر .

الآية السادسة قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) من سورة غافر ·

الآية السابعة قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها » الآية (١٠) من سورة محمد ·

وتتضمن هذه الآيات الكريمة حث كفار مكة الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم على السير في الأرض لينظروا عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبلهم ، فقد دمّر الله عليهم بذنوبهم ، وكانوا أكثر منهم عددا وأشد قوة وأوفر عمرانا للأرض ، فليعتبروا بمن قبلهم قبل أن يصيبهم ما أصابهم ، فالله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، في السموات ولافي الأرض ·

ومعنى همزة الاستفهام في هذه الصيغة : « ألم يسيروا ···· » الإنكار والتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الكفار الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ألاّ يسيروا في الأرض سيراً يصحبه التدبر والاعتبار والتفكير في عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبلهم ، ويوبخهمٌ على ذلك ·

والفاء والواو اللتان جاءتا بعد همزة الاستفهام في هذه الصيغة هما حرفا عطف على ما قبل الهمزة ، فكان من حقهما أن يتقدما عليها ، ولكن همزة الاستفهام لها الصدارة في جملتها ، فتقدمت عليها وأخذت مكان الصدارة · والعطف على ماقبل الهمزة هو مذهب سيبويه والجمهور ·

ويرى فريق من النحويين على رأسهم الزمخشرى أن الفاء والواو في مثل هذا الموضع تعطفان على مقدر يقتضيه المقام ، وقد قدره أبو السعود في تفسيره فقال : « أغفلوا فلم يسيروا » (جـ٦ ص١١١) · « أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا » · (ج ٧ ص٥٢) وهو تقدير متكلف لا يحتاج اليه المعنى ، ولا يستدعيه الأسلوب ·

ويرى هذا الفريق أن كلّا من الهمزة والعاطف الذى بعدها قد جاء في مكانه الأصلى وليس هناك تقديم ولاتأخير · وقد تقدم الكلام مفصلا في ضعف هذا الرأى ·

أختى العزيزة : هـــل :

في ختام هذه الرسالة أحب أن أنبهك على أشياء :

من هذه الأشياء أن متعلق العلم في آيات الصيغة الثامنة : « ألم تعلم أن ····· » وفي آيات الصيغة التاسعة : « ألم يعلموا أن ···· » قد جاء مؤكدا بأن ، ولاغرو في ذلك ، فهو يتضمن صفات الله سبحانه وتعالى : وأفعاله جل وعلا ، وقد جاء التوكيد اهتماماً بها ومزيد عناية ·

ولعلك تلاحظين أن الفعل المضارع (يعلم) جاء متعديا بالباء في قوله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » ، وقد جاء هذا التعدى بالباء في آية أخرى وهى : « يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » (الآية (٢٦) من سورة يسن) ولا أعلم أن هذا الفعل قد تعدى بالباء في غير هاتين الآيتين من آيات القرآن الكريم . وقد تسألين : لماذا تعدى هذا الفعل بالباء في هاتين الآيتين وهو الفعل القوىّ الذى يتعدى إلى معموله مباشرة دون حاجة إلى هذه الباء ، من الحق أن يقال إنه من باب التفنن في التعبير ، ولكن نفسى غير مطمئنة إلى الاكتفاء بهذا وإن كان فيه الكفاية .

أحس - والحس يخطىء ويصيب - أن هذه الباء قد جاءت لتقوية الصلة بين الفعل ومعموله وتوكيدها ، والمقام في هاتين الآيتين يستدعى ذلك : فالآية الأولى : « ألم يعلم بأن الله يرى » تتحدث عن أبى لهب الذى يعمل عمل من ينكر علم الله بأنه يراه ويرى ما يصنع ، والآية الثانية : « يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » تحكى قول الذى آمن بالرسل حين قيل له ادخل الجنة ، فقد كان حريصا على أن يعلم قومه الذين كفروا بالرسل وعنفوه على إيمانه بهم ، أن يعلموا بما غفر الله له ، وبدخوله الجنة ، ليتبيّنوا أنه كان على حق وأنهم كانوا على باطل ، وليزدادوا حسرة على حسرة وندامة على ندامة ، ولشىء آخر غير ذلك هو ماركب في طباع البشر من أن من أصاب خيرا في غير وطنه ودّ أن يعلم بذلك جيرانه وأترابه الذين نشأ فيهم .

هذا ، ولعلك قد لاحظت في قوله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » أن مفعول (يرى) قد حذف ، ولم يقل (يراه) . هذا الحذف يمكن أن يقال فيه بحق إنه للتناسب تناسب أواخر الآيات . وفي هذا التناسب خفة على اللسان وجرس جميل في الآذان . وما أكثر ما جاء هذا في القرآن الكريم .

على أننى أريد أن أزيد على ما تقدم أن هذا الحذف كان أيضا للدلالة على شمول الرؤية وإطلاقها ، وأنها ليست مقصورة على رؤية أبى لهب وما يصنع ، فالله سبحانه وتعالى لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

ومن الأشياء التى أحب أن أنبهك عليها هذا الضمير الذى جاء اسما لأن الواقعة بعد « يعلموا » في قوله تعالى « ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم » .

لقد اصطلح أهل النحو على أن يسمّوا هذا الضمير ضمير الشأن أو ضمير القصة وهو ضمير مبهم لا يتقدم عليه مرجع يزيل ابهامه ، فهو لهذا يثير النفس ويبعث فيها الرغبة

والتطلع إلى ما بعده ، فإذا جاء ما بعده يوضح معناه ويزيل إبهامه تلقته النفس في لهفة واستقبلته على شوق ، فتعيه على غير شرود ذهن وعلى حضور قلب ، ويستقر في أعماقها على مكنة وثبات ·

ولذلك يؤتى بهذا الضمير بين يدي الجمل التى تشتمل على معان عظيمة ، أو أحكام جديرة بالتذكير والتحذير ، ومعاداة الله ورسوله ذنب ليس بعده ذنب ، وجزاؤهما عذاب جهنم الذى لا يزول ، ومثل هذا حقيق بأن يعلم ، خليق بأن يفهم ، قمين بأن يمهّد له بهذا الضمير ضمير الشأن الذى يدلّ على أن ما بعده مهم له شأن ·

ومن هذه الأشياء هذا الضمير الذى جاء بعد اسم الجلالة وقبل الفعل المضارع (يقبل) في قوله تعالى : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » ·

فأنا مع الذين يرون أن هذا الضمير هو ضمير الفصل وإن جاء بعده فعل مضارع ، وأنه يفيد التخصيص ، أي أن قبوله التوبة وأخذ الصدقات إنما هو لله لا لغيره ، ويؤيد ذلك ما جاء في ختام هذه الآية واصطلح علماء البلاغة على تسميته تذييلا وهو :
« وأن الله هو التواب الرحيم » فالضمير (هو) في هذا التذييل ضمير الفصل بلا منازع ، وإفادته التخصيص قائمة لاخلاف فيها ، والتذييل مؤكد لمضمون الجملة قبله ، وفي هذا التأكيد قرينة على أن ما قبله يفيد التخصيص ·

أختى العزيزة : هـل :

يكفينى ما كتبت ، ويكفيك ما قرأت · وأسأله سبحانه وتعالى أن يعين على رسالة قادمة أكتبها إليك يكون فيها خير وإحسان ·

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ·
أختك
همزة الاستفهام

المراجـــــع

مراجع ذكرت معنى همزة الاستفهام الواردة في صيغ هذه الرسالة :

١ ـ مراجع صيغة « ألم تعلم أن ..... » وهى الصيغة الثامنة

أ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ، الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض ·

جـ١ ص٣٤٢/ جـ١ ص٣٤٥/ جـ٧ ص ٣٣/ جـ٨ ص ٤٩٤

ب ـ تفسير النهر المار من البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى

جـ٣ ص٤٨٥ (هامش البحر المحيط المتقدم الذكر)

جـ ـ تفسير أبى السعود · الناشر : دار المصحف : شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد / القاهرة ·

جـ١ ص١٤٣/ جـ٣٣ ص٣٥/ جـ٦ ص٨١/ جـ٧ ص٢٥ ·

د ـ الفتوحات الإلهية المشهورة بحاشية الجمل على الجلالين الناشر : عيسى البابى الحلبى بمصر ·

جـ١ ص ٤٩٠ / جـ٣ ص٣٦١ / جـ٤ ص٥٦٣ ·

هـ ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية السالفة الذكر) ·

جـ١ ص ٩٢ / جـ١ ص ٤٩٠ / جـ٣ ص١٧٩ ·

و ـ تفسير الكشاف للزمخشرى · الناشر شركة ومطبعة الحلبى بمصر ·

جـ٤ ص٢٧١ ·

٢ ـ مراجع صيغة « ألم يعلموا أن ..... » وهى الصيغة التاسعة ·

أ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الطبعة السالفة الذكر

جـ٥ ص٦٤ / جـ٥ ص ٧٥ / ·

ب ـ تفسير أبى السعود الطبعة السالفة الذكر

جـ٤ ص٦٤/ جـ٤ ص٨٦/ جـ٤ ص ٨٠/ جـ٤ ص ٢٩٩ ·

جـ ـ تفسير البيضاوى · الناشر مكتبة ومطبعة الحلبى بمصر (طبعة ثانية جمعت بين تفسير البيضاوى وتفسير الجلالين) جـ١ ص٤٣١ ·

٣ ـ مراجع صيغة « ألم يسيروا ... » وهي الصيغة العاشرة :

أ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الطبعة السالفة الذكر
جـ٥ ص٣٥١/ جـ٦ ص٣٧٧/ جـ٧ ص١٦٤/ جـ٧ ص٣٢٠/ جـ٧ ص٤٥٧ ٠

ب ـ تفسير أبى السعود الطبعة السالفة الذكر
جـ٦ ص١١١/ جـ٧ ص٥٢/ جـ٧ ص١٥٧ ٠

جـ الفتوحات الإلهية المشهورة بحاشية الجمل على الجلالين الطبعة السالفة الذكر ٠
جـ٣ ص١٧١/ جـ٤ ص٢٧ ٠

د ـ تفسير الزمخشرى الطبعة السالفة الذكر
جـ٣ ص٢١٩ ٠

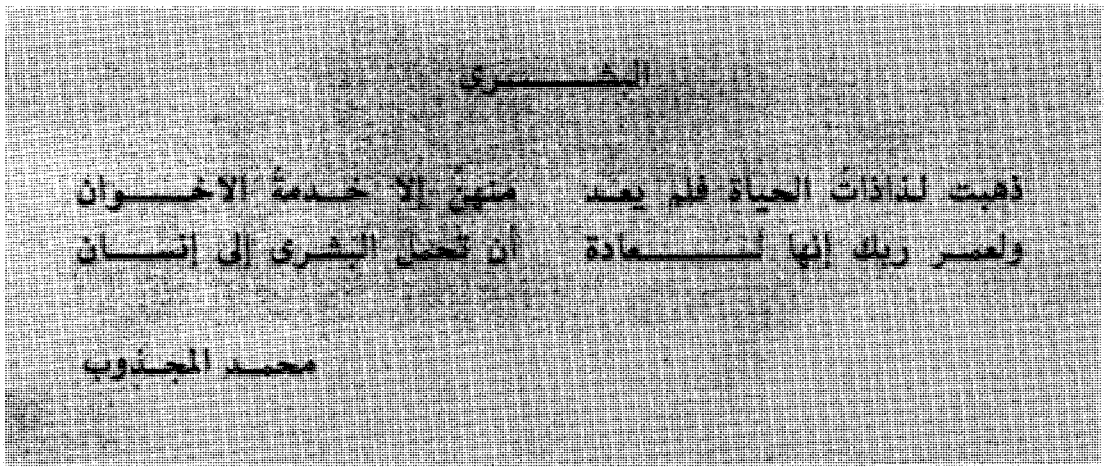

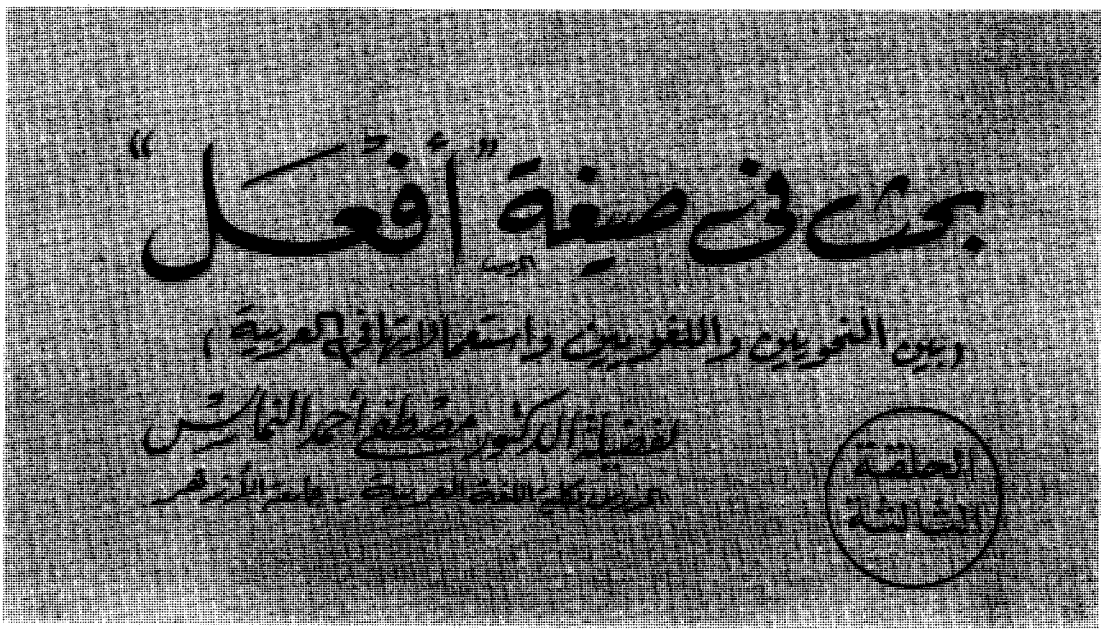

تعقيب على بعض المواد :

هـــراق

قال ابن درستويه في كتابه تصحيح الفصيح (١) وقد غلط ثعلب في وضعه قولهم : هرقت الماء في هذا الباب (باب فعلت بغير ألف) لأنه ترجمه بباب فعلت بغير ألف ، وانما هرقت من باب أفعلت بالألف عند جميع النحويين (٢) وانما هذه الهاء التى في هرقت بدل من الألف التى تكون في أفعلت ، لأن أصل هرقت أرقت (٣) فعل معتل العين من الواو وأصله أروقت لأنه من قولنا راق (٤) الماء يروق ، وأروقته أنا ، ولكنه لما اعتلت الواو في (قولنا) راق يروق وجب أن يعتل في الرباعى أيضا فصارت ألفا وانتقلت فتحتها إلى الراء فصارت أراق ، فلما كانت هذه الكلمة مما يكثر استعماله في الكلام استثقلت الهمزة في أولها فأبدلت منها الهاء لأنها ألين كما قالوا : هياك في إياك ولهنك في (لأنك) (٥) وهذه الهمزة التى في أراق

---

(١) انظر تصحيح الفصيح جـ ١ ص١٦٣ ، ١٦٤ تحقيق عبد الله الجبورى طبع بغداد .

(٢) انظر كتاب ليس في كلام العرب ص٤٦ . ص١٨٩ . واللسان هرق وشرح المفصل جـ ١ ص٥ .

(٣) انظر شرح الشافية للجابزدى ص١٥٢ وسر الصناعة الورقة ص١٢٣ ب وتفسير غريب القرآن .

(٤) وراقنى الشيء يروقنى اللسان و روق وحكى الكسائى راق الماء يريق اذا نصب ص١٣ .

(٥) الهاء قوله : هياك على البدل مثل اراق وهراق . وعن الفراء انما يقولون : هياك في موضع زجر . انظر ابدال أبى الطيب جـ ٢ ص٥٦٩ . والمقتضب جـ ١ ص١٥٤ . وليس ص١٨٩ والتصريف الملوكى ص٤٤ وتفسير غريب القرآن ص١٣ والكتاب جـ٢ ص٤٧٤ وشرح الرضى على الكافية جـ٢ ص٣٥٧ . والاشباه والنظائر جـ ١ ص٦٩ .

تسقط في مضارعه لئلا تجتمع همزتان فيقول : أنا أريق وأصله أؤريق (١) ، فمن العرب من يزيد بين حرف المضارعة وبين الراء هاء ساكنة عوضا من الهمزة التى تسقط لأن الهاء ليست تستثقل مع الهمزة فيقولون أنا أهريق (٢) وزعم سيبويه أن هذه الهاء عوض من ذهاب حركة العين المعتله ، وإنما قال ذلك لأنهم زادوا الهاء في الماضى أيضا فقالوا : أهراق ولم تحذف من الماضى همزة فتكون عوضا منها فلما جرى ذلك في الماضى والمستقبل جعل علتهما واحدة وشبهها بالسين التى في اسطاع يسطيع (٣) انما هى من اطاع يطيع فمن العرب من يقول في المستقبل : يهريق فيفتح الهاء على فتحة الهمزة التى حذفها لأنها مفتوحة ومنهم من يقول : يهريق . فمن حركها فلاشك في أنه جعل لها الهاء عوضا من الهمزة ومن أسكنها فعلى ما قاله سيبويه .

وأما الهاء التى في الفعل الماضى فلا يحركونها مع الهمزة في قولهم : أهراق لأنها ليست ببدل من الهمزة ، ومن جعل الهاء في هراق بدلا من الهمزة التى في أراق (٤) ... أبدلها أيضا في الأمر منها فقال : هرق كما قال الراجز (رؤية) .

يأيها الكاسر عين الأغضن والقائل الأقوال مالم يلقِنى
هرق على خمرك أو تبين

فتوهم ثعلب أن هاء هرقت وهاء هرق في الأمر من نفس الكلمة ، فأدخل هرقت في باب فعلت بغير ألف وهو خطأ .

وقف وأوقف

قال ابن درستويه (٥) وكذلك قوله : وقفت الدابة ، ووقفت وقفا للمساكين ، ووقفت أنا لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو والمجاوز على لفظ واحد في النظر والقياس لما في ذلك من الالباس وليس ادخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعانى فلو جاوز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر لما كان في ذلك إبانة بل كان تعمية وتغطية ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل كما يجيء فعل وأفعل فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما

---

(١) انظر ليس لابن خالوية ص٤٦ .
(٢) انظر اللسان ، وابدال ابن السكيت ص٢٥ .
(٣) انظر اللسان ، وابن يعيش جـ١٠ ص٥ .
(٤) انظر الجمهرة جـ٣ ص٤٣٨ ، والمتع لابن عصفور جـ١ ص٣٩٩ ، وما اختلفت الفاظه واتحدت معانيه ص٣٢ ، والتصريف الملوكى ص٤٤ .
(٥) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص١٦٦ تحقيق عبد الله الجبورى طبعة بغداد .

لمعنيين مختلفين وإن إتفق اللفظان فالسماع في ذلك صحيح عن العرب والتأويل عليهم خطأ وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفى سبب ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ وذلك أن الفعل الذى لا يتعدى فاعله إذا أصبح إلى تعدية لم يجز تعديته على لفظه الذى هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر ·

ومما يدل على أن الأصل في وقف ما ذكرنا أنهم يقولون : -

ما أوقفك هاهنا ؟ (١) بالالف ويجدونه أحسن وأفصح عندهم من قولهم : ما وقفك هاهنا وهو أكثر استعمالا منه فالأصل في وقفت أن يكون غير متعد بنفسه إلى مفعول مثل ثبت ولبثت ، وألا يتعدى إلا بزيادة قبله أو بعده أو غير ذلك فيقال أوقفته أو وقفت به أو وقفته بالتشديد ، ثم يجوز حذف الجار بعد ذلك لما ذكرنا من وجوب التخفيف وكثرة الاستعمال وطول معرفته واعتياده كما قال الله عز وجل : « ولو ترى إذ وقفوا على النار » ،: وقوله : « لو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » لأنه بمعنى حبسوا أو محبوسون ·

ثم استطرد يفسر هذه المادة فقال (٢) وأما قوله : (أى ثعلب) وقفت الدابة أقفها فمعناه حبست الدابة عن السير ، وكذلك وقفت وقفا للمساكين أى حبسته عليهم وكذلك وقفت أنا أى احتبست عن الشيء أو المضى وثبت مكانى قائما واسم فاعله واقف ومفعوله موقوف ومصدرها لا يتعدى منه الوقوف · ومصدر المتعدى الوقف ·

غلقت وأغلقت

قال ثعلب في فصيحه تقول : أغلقت الباب فهو مغلق وأقفلته فهو مقفل فإن معناه شددته بالغلق وأوثقته وارتجته ، وأما أقفلت فمعناه أوثقته بالقفل ·

والعامة تقولهما بغير ألف وهو خطأ ..... ففى كتاب الأفعال لابن القطاع (٣) « غلقت الباب غلقا لغة وصرح ابن دريد بأن البصريين لا يقولون إلا أغلقت ونص على غلقت قال ولم يجيزوا غلقته البتة .....

وقد أثبت الشاعر أبو الأسود الدؤلى غلق الثلاثى في قوله :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق

وإنما كان على أفعل لأنه بمعنى أوثقت وأحكمت وأوصدت وأرتجت أى جعلت عليه الغلق أو القفل ومعناها راجع إلى قولهم : غلق الشيء يغلق غلقا وأغلقه غيره إغلاقا وإلى قولهم :

---

(١) حكاية عن الكسائى انظر اصلاح المنطق ص٢٢٦ . وأفعال ابن القطاع جـ٣ ص٢٨٩ واللسان وقف لغة رديئة ·

(٢) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص١٨٢ تحقيق عبد الله الجبورى ·

(٣) انظر جـ٢ ص٤١١ . الجمهرة جـ٣ ص٤٣٩ . وما تلحن فيه العامة ص٤٠ ·

قفل الشيء يقفل قفولا وأقفله غيره إن شئت من الرجوع إلى القافلة ، وإن شئت من اليبس الذى ينال المسافر في جلده يقال قد قفل جلده أى يبس (١) .

عتق وأعتق (٢)

هذان من باب فعل وأفعل بمعنى فعتق الشيء أى صار حرا أى كريما .

ويقال لكل كريم من الخيل وغيره عتيق ولذلك سميت الجارية المخدرة عاتقا والخمر عتيق وسمى الماء العتيق والتمر العتيق وثوب عتيق ووجه عتيق أى كريم أو جميل وكل شيء قديم يسمى عتيقا أيضا ، ولذلك قيل للبيت الحرام العتيق قال الله عز وجل :

« ثم محلها إلى البيت العتيق » ، وقال أيضا : « وليطوفوا بالبيت العتيق » ، وامرأة عتيقة أى جميلة أو كريمة أو نجيبة .

وقال عنترة :

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتى غبوقا فاذهبى

وأما أعتق فاسم فاعله معتق ومفعوله معتق (بفتح التاء) ومصدره الاعتاق .... والعامة تقول : عتقت الغلام بغير ألف وهو خطأ .

منى وأمنى

أمنى الرجل فهو يمنى من المنى فمعناه أنزل فهو ينزل وذلك إذا خرج منه الماء الدافق قال الله عز وجل : « من منيّ يمنى » والمنى مشدد الياء اسم على فعيل ، وقد أمنى الرجل يمنى إمناء وبعض أهل اللغة يجيز منى بغير ألف كأنه على لغتين وانظر اللسان فمعنى منى سال ومعنى أمنى أسال وقد روى أن منى التى بعرفات إنما سميت منى لأن الدماء تمنى بها أى تسال إذا ذبحت النسك .

أيديت ويديت

قولك : أيديت عند الرجل يدا فمعناه أسديت إليه معروفا (٣) وأنعمت عليه وهو فعل مشتق من اليد وهى جارحة من الجوارح فهو اشتقاق من الأعيان فليس اسمها بمصدر تتصرف منه الأفعال ولكن صرف منه ذلك على الاستعارة والتشبيه بالمصادر لأنه لما جعل اسما للإسداء

---

(١) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص٣١٨ لطبعة بغداد .

(٢) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص٣١٨ ، وأفعال ابن القطاع جـ٢ ص٣٧٧ وتثقيف اللسان ص٢٦٥ .

(٣) انظر ابن القوطية /١٦٩ ، وابن القطاع جـ٣ ص٣٧٤ والتصريف المكونى ص٦٦ وتصحيح الفصيح جـ١ ص٣٢٥ طبعة بغداد .

والإنعام على الاستعارة لإنهما لا يكونان إلا بهذه الجارحة فمعنى أيديت أى اتخذت عنده يدا ·

والنعمة تسمى يدا وتجمع على الأيدى كما جمعت اليد نفسها وربما جمعوا الجمع فقالوا الأيادى ليفرقوا بين جمع الجارحة والنعمة ···· وقد روى عن بعضهم : يديت إليه معروفا بغير ألف وحكى الخليل أنهم يقولون : (إن (١) فلانا لذو مال يبدى به ويبوع) ·

وهو عند الزجاج كأفعلت وهو عند جماعة لغة ···· وهو كما قال الخليل فهو يبسط به يديه وباعه فكان قولهم : يديت إنما هو من هذا لا من النعمة لأن اليد هى التى تبسط بالخير والشر وتصرف بها الأمور وكذا الباع ·

غلى وأغلى

أغليت الماء فهو مغلى فمعناه كمعنى سخنت وطبخت وأحميت وتقول : قد غلى الماء نفسه بغير ألف فهو يغلى غليانا وغليا كما قال الله عز وجل « يغلى في البطون كغلى الحميم » وقد أغلاه غيره وهو يغليه إغلاء فهو مغلى كما تقول حمى يحمى وأحماه غيره يحميه إحماء فهو محمى فتنقله بالألف والعامة تقول : غليت الماء بغير ألف وهو مغلّى على مفعول وهو خطأ ···· ويقولون : غليت القدر تغلى بكسر الثانى من الماضى والمستقبل وهو أيضا خطأ وفيه قال الشاعر أبو الأسود :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق

ولم يجىء فعل يفعل (بكسر العين في الماضى والمضارع) في الكلام إلا كلمات قليلة شاذة عن القياس مثل حسب يحسب وورم يرم كأنهم حملوا أغليت على حميت لما كان في معناه وهو غلط منهم ·

غفيت وأغفيت

فان العامة تقول : غفيت بغير ألف وبالياء وتقول في المستقبل أغفو غفوة ومعناه الدخول فيما قل من النوم وهو اليسير الذى لا يكتفى به ولا ينتفع وهو مأخوذ من الغفا وهو ردىء التمر وهو داء يقع في البسر فيفسده وكأن العامة لم تدخل فيه الألف لأنها شبهته بقولهم : نعست ونمت وجاءوا بالمستقبل بالواو والماضى بالياء جهلًا وبالمصدر على فعلة واحدة والمصدر الإغفاء · والذى في اللسان : أن غفيت لغة ، وقال الأزهرى وكلام العرب : أغفى وقلما

---

(١) انظر التهذيب جـ١٤ ص٢٤١ والمقتضب جـ١ ص١٥٠ ·

يقال غفا وفي الحديث « فغفوت غفوة » انظر النهاية جـ٣ ص٣٨٦ ، وهو لغة رديئة عند ابن القطاع (١) فهو مما جاء فيه فعلت وأفعلت واختير فيه أفعلت لأنه الفصيح وقل فعلت لانه ردىء ٠

أولعت بالشيء

قال ابن درستويه في تصحيح الفصيح (٢) : قولهم : أولعت بالشيء لأنه من باب أفعلت وليس من باب فعلت وقد حكى عن بعض العرب ولعت بغير ألف مكسورة العين من الفعل على معنى الانفعال والمطاوعة كأنه قال أولعنى الله فولعت وليس فعل متعد الا وله فعل مطاوعة غير متعد إما على انفعل وإما على افتعل أو تفعلّ أو فعّل وهو القياس وإن قل استعمال بعض ذلك أو لم يسمع ، وليس كل مستعمل مسموعا مرويا وانما قال أهل العربية لا يقال : ولعت وانما يقال : أولعت به من جهة الاستعمال ، وقد استعمل كثيرا غير قليل مصدر ولعت وهو الولع كأنهم قد أولعوا بمخالفة الفصحاء اما استثقالاً لكلامهم واما عجزا عن النطق به وجهلاً بتصريفه ٠ وعامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون الا مضموم الأول ولم يقولوا إنه اذا سمى فاعله جاز بغير ضم وهذا غلط منهم لأن الأفعال كلها مفتوحة الأوائل فإذا لم يسم فاعلها فهى كلها مضمومه الأوائل ولم يخص بذلك بعضها دون بعض وقد بينا ذلك بعلله وقياسه ليستغنى بمعرفة القياس عن تقليد ثعلب وغيره ٠

أُدِيربى

قال ابن درستويه في المرجع السالف الذكر ، وكذلك أدير بى وهو بمنزلة أولعت بالشيء وهو من باب أفعلت رباعى وليس من الثلاثى وإنما ذكره (أى ثعلب) لأنه مما لم يسم فاعله أيضا فماضيه بكسر العين من الفعل الثلاثى والرباعى ، وأهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة قد يجيئان بمعنى واحد ، وأن قولهم ديربى وأدير بى من ذلك وهو قول فاسد في القياس والعقل مخالف للحكمة والصواب ولا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد إلا أن يجىء أحدهما في لغة قوم والآخر في لغة غيرهم ، كما يجىء في لغة العرب والعجم أو في لغة رومية أو هندية ٠

وقد ذكر ثعلب أن أدير بى لغة فأصاب بذلك وخالف من يزعم أن فعلت وأفعلت بمعنى واحد والأصل في هذا قد درت ودار رأسى وهو الفعل اللازم ثم ينقل إما بالياء وإما بالألف فيقال قد دير بى ، وأدرت فهذا القياس ٠

---

(١) انظر ابن القطاع جـ٢ ص٤٤٣ ٠

(٢) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ تحقيق عبد الله الجبورى طبعة بغداد الباب الرابع فعلت بضم الفاء ٠ ٠

ثم جيء بالباء مع الألف فقيل قد أدير بى كما قيل قد أسرى بى على لغة من قال : أسرى في معنى سرى ، لأن إدخال الألف في أول الفعل والباء في آخره للنقل خطأ إلا أن يكون قد نقل مرتين إحداهما بالألف والأخرى بالباء انتهى ومن الملحوظ أن أسرى لغة أهل الحجاز وجاء بهما القرآن الكريم قال تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا .... فهذا من الرباعى وقال تعالى : « والليل إذا يسر » فهذا من الثلاثى سرى ·

غاظ وأغـــاظ (١)

تقول غاظنى بشيء يغيظنى ، وقد غظتنى ياهذا فهو من الغيظ الذي يجده الإنسان في قلبه من غضب أو موجدة أو نحو ذلك كما قال الله تعالى : « عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » « قل موتوا بغيظكم » وفعله المستقبل يغيظ بفتح أوله واسم فاعله غائظ واسم مفعوله مغيظ قال الله تعالى : « ليغيظ بهم الكفار » ، وقال تعالى : « ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار » وقال طرفه بن العبد :

يداك يدٌ خيرهـا مرتجى وأخرى لأعـدائها غائظـــــة

والعامة تقوله : أغاظنى بألف وهو خطأ. ولكنى وجدت أغاظ في القاموس والمصباح ·

صرف وأصرف (٢)

تقول : صرفت الصبيان معناه سرحتهم من الكتاب ، كذلك صرفت الرسول والشيخ إذا رددته إلى موضعه الذى جاء منه وكذلك قولك : صرف الله عنك الأذى والعامة تقول أصرفت الصبيان ، وأصرف الله عنك الأذى بالألف وهو خطأ ، ويدل على ذلك أن فاعله صارف ومفعوله مصروف ومصدره الصرف ومستقبله يصرف بفتح الياء وقال السيوطى في المزهر : ليس في كلامهم أصرفت إلا حرف واحد : أصرفت القافية إذا أقويتها (وهو أن يخالف الشاعر بين القافيتين) وأنشد (لجرير) :

قصائد غير مصرفه القوافى فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فأما سائر الكلام فصرفت : صرف الله عنك الأذى ، وصرفت القوم ، صرف الله قلوبهم ، وصرف ناب البعير » انتهى ·

---

(١) انظر الأفعال لابن القطاع جـ٢ ص٤٤٢ ، وتثقيف اللسان ص١٥٢ وتصحيح الفصيح جـ١ ص١٩٥ ·

(٢) انظر تصحيح الفصيح جـ١ ص١٨٠ وأفعال ابن القطاع جـ٢ ص٢٣٨ ·

لابد أن نجاوز القرون التي تفصل بين العصر العباسي والعصر الحديث لنرتفع من جذور قضية الحداثة إلى ساقها . ذلك أننا لانجد في تلك القرون جديداً في القضية ، وكأن النقاد قنعوا بالأحكام النظرية العادلة التي وضعها ابن قتيبة وأخذوا بها من بعده واستراحوا من الجدل في القديم والحديث . ولا ننسى أن انشغالهم بالأبحاث البلاغية الصرفة ، وعدم ظهور سمات تجديدية في الشعر تشدهم إليها ، زاد من قناعتهم وصرفهم عن القضية .

فإذا عبرنا إلى شاطىء العصر الحديث ، فإن أول ما يستوقفنا هو أن العصر بأكمله قد وسم بالحداثة ، وأن النقاد ومؤرخى الأدب مجمعون على تسميته بالعصر الحديث في الأدب أيضاً . وأنه يبدأ - في عرفهم - بمطلع القرن التاسع عشر الميلادى . ولا بد - والأمر كذلك - من وقفة مستأنية ولتكن وقفة في أرض مصر .

ففى بداية هذا العصر بدت بوادر التغير في الحياة الراكدة ، ورحل جنود الحملة الفرنسية وعلماؤها من مصر بعد أن هزوا المجتمع المصري من أعماقه . واستطاع محمد على باشا بعد سنوات قليلة أن يبدأ نهضة واسعة ظهرت آثارها في توسعه العسكري ، والحركة العمرانية ، والبعثات الدراسية ، وتشجيع الترجمة والطباعة ، ثم تابع النهضة ابنه اسماعيل - الذى خلف عباساً وسعيداً - وكان هذا الحاكم مفتوناً بمظاهر الحياة الأوربية ، فعمل على نقلها

إلى مصر ، وصرف في سبيل ذلك أموالاً طائلة ، وفي الوقت نفسه أخرجت المطابع عدداً من دواوين الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين ، ، وأصبح في مقدور المثقفين أن يقفوا على عيون الشعر العربي ، كما نشرت أمهات كتب التراث ككتب الجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن خلدون وغيرهم · وبدأ النثر يتخلص من قيود السجع والتكلف في كتابات رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم من كتاب العصر ، فكان أسبق من الشعر إلى التحرر ·

وأما الشعر فكان في حالة من السقم تقارب الموت · وكانت تمثله نماذج هزيلة ليس فيها إحساس صادق ولا تعبير فني ناضج ، وتغطى ركاكتها في كثير من الأحيان بألوان من البديع المصطنع تبدو مثل زركشة على كفن ، وتعبر بصدق عن الحياة الراكدة في أواخر العهد العثماني ·

وقد حاول بعض الشعراء ـ أمثال : محمود صفوت الساعاتى ، وعلى أبي النصر ، وعبد الله فكرى ، وعائشة التيمورية ، أن يتحرروا من الأسلوب المتخلف ، ولكنهم لم يبتعدوا عنه كثيراً ، وكان مقدورا للشعر أن ينتظر ظهور الشاعر العبقري ، الذي يتمثل ما تنتجه المطابع من الموروث الشعري الأصيل ، ويرتقي إلى درجة تقترب من فحوله · وكان الشاعر هو محمود سامي البارودي ·

ويعد النقاد ومؤرخو الأدب شعر البارودي بداية الشعر الحديث ويخصونه باصطلاح : شعر الإحياء ، لأنه باكورة الحداثة ·

فما الحداثة في هذا الشعر ؟ وما موقف النقاد من حداثته ؟

يذكر الذين كتبوا عن البارودى إنه انكب على دراسة التراث الشعري ، وأن شاعريته تفتحت بعيداً عن الشعر السقيم الذي كان يعاصره ، وأن قصائده الأولى كانت معارضات لقصائد أبي تمام والبحترى ـ والمتنبي وأبي فراس والشريف الرضي · فيكون بذلك أول شاعر في العصر الحديث يدخل ساحة الشعر بديباجة عربية أصيلة ·

ولو نظرنا في ديوان البارودي لوجدنا أنه لم يأت بجديد لا في موضوعات الشعر ولا في شكله · بل إنه لم يخرج عن موضوعات عصره التقليدية · وشعره موزع بين المديح والهجاء والفخر والغزل ورياضة القافية ، إضافة إلى لون وجداني ساقته أحداث حياته ·

ولكنه جاء بجديد إذا قسنا شعره بشعر معاصريه ، وجديده في الديباجة والأسلوب وترك التكلف والبهرجة ، فهو بهذا المقياس ـ « حديث » بين شعراء يعيشون على القيم الفنية

التي سادت في عصور الضعف والانحدار ، وشعراء يحاولون التخلص منها ولكنهم لا يحلقون ، وهو بذلك رائد الحداثة ، وريادته في العودة إلى التراث الشعري الأصيل ، ومخالفة الذوق الأدبي الشائع في عصره · وهى مخالفة تجاوز السقيم إلى السليم ·

إن الحداثة في شعر البارودي لاتحمل أي جديد بالمعنى اللغوى للجديد (أي الذي لم يكن موجوداً من قبل) ولكنها تحمل جديداً بالنسبة للعصر الذي كان فيه ، للبيئة الشعرية المحيطة به ، وجديده أسلوب عربي كان مدفوناً في الكتب بعيداً عن الواقع الشعري ، وليس فيه أي لقاء مع أية ثقافة غير عربية ، ولا ردة فعل لثقافة أجنبية وافدة ، فالثقافة الوافدة آنئذ قليلة الشأن · وقد كانت حداثته ـ أو عودته إلى التراث الشعري الناصع ـ أنقع للشعر العربي من أية صورة أخرى يمكن أن يأتي بها ·

ومن المفيد أن نذكر أن النقاد المعاصرين للبارودي لم يهتموا بجديده ، ولم يستخدموا اصطلاح « الحداثة » في وصف شعره ، ولكن بعضهم ـ وفي مقدمتهم الشيخ حسين المرصفي (١) ـ أعجبوا بقوة شعره وقارنوه بالشعر العباسي ، واستخدموا المقاييس البلاغية القديمة في إظهار حسنه · وكان أفضل نقد لشعره يقوم على الموازنة بين إحدى قصائده وإحدى قصائد أعلام الشعر العباسي · وطبيعى ألا نتوقع من هذا النقد أن يقدم أي مفهوم أو تطوير لمفهوم الحداثة ·

تحديث خلفاء البارودى « المحافظين »

لم يكن لاتجاه البارودي صدى واسع في عصره ، غير أنه آتى أكله في الجيل التالى ، عندما نهض به شوقي ومطران وحافظ ابراهيم واسماعيل صبرى وغيرهم · وقد عكف هؤلاء على قراءة شعره ، إضافة إلى الشعر العباسي الذى أصبح في متناول أيديهم ، وتأثروا بنماذجه المثلى ، ويدل على ذلك معارضاتهم الشعرية الكثيرة ـ وما زالوا يتزودون من عيون الشعر حتى استقامت لهم أساليبهم المتأثرة بها ، فاستطاعوا أن يقيموا نهضة شعرية حقيقية بعيدة كل البعد عن شعر التخلف والانحطاط ، واستطاعت نهضتهم أن تؤثر في شعراء الوطن العربي ، وأن تنهي آثار التكلف والانحطاط · وقد سماهم الجيل الذي خلفهم « المحافظين » لأنهم ترسموا خطا البارودي في المحافظة على جزالة الأسلوب العربي القديم ورصانته · وهم بلا شك محافظون في حدود هذا المعنى ، ومحافظون أيضاً لأنهم لم يتخطوا حدود الثقافة العربية والقيم الشعرية الأصيلة إلا خطوات قليلة ، وقد كانت الفترة التي عاشوها تتطلب ذلك ·

---

(١) انظر : حسين المرصفي : الوسيلة الأدبية ٢ : ٤٧٥ ومابعد · مطبعة المدارس الملكية القاهرة ١٢٩٢ هـ ·

وقد ناقش الدكتور شوقي ضيف محافظتهم ، وحررها من شبهة الجمود والتخلف فقال عنهم :

ولكنهم ليسوا محافظين بالمعنى السيء للمحافظة ، حيث يكون الشاعر نسخة مكررة لمن سبقه ، أو يكون طبق الأصول التي يطلع عليها دون حذف أو تغيير ، فتلك مرتبة عقيمة زهد فيها هؤلاء الشعراء وانصرفوا بقدر ماوسعتهم جهودهم ، وسعوا لتكوين شخصياتهم الشعرية المستقلة ، وفرضوا ثقافتهم وقضايا عصرهم على شعرهم ، ولاءموا ملائمة جيدة بين القديم والجديد ، بين الأسلوب العربي في جزالته ورصانته وروح العصر ، ووجهوا الأذواق الأدبية إلى الوضع الذي يمكن أن نتدرج إليه بعد البارودي (١) ٠

لقد كان شوقي وحافظ وصبري ٠٠ مجددين ، بالمعنى الضيق للتجديد ، وذلك في أول عهدهم ، وبالتحديد في العقد الأول من القرن العشرين ، إذ جاؤوا بصوت جديد في الشعر العربي موضوعاً وأسلوباً ، ولم تكن أصواتهم مجرد أصداء لصوت البارودي ، فإن أي قارىء لشعرهم يحس أثر البارودي فيه ، ويحس أيضاً أنهم أصوات متميزة تختلف عن البارودي في يسر الأسلوب وتخلصه من الاستعمالات القاموسية البعيدة عن العصر ، وتختلف في الموضوعات الحية التى تتصل بالحياة العامة في عصرهم ، وقد كانت لديهم طاقات شعرية ضخمة تملك ناصية اللغة وخصوبة البيان ، وأسرار النغم الموسيقى ، وعذوبة الأداء ، فترددت أنغامهم في أرجاء الوطن العربى كله ٠

على أن شوطهم في التجديد كان قصيرا ، إذ وقفوا عند الخطوات القليلة التى خطوها بعد البارودي ، وأخذ شعرهم يكرر نفسه ولا يأتى بجديد إلا في عناوين القصائد بينما الأفكار متقاربة ، ولا أكاد أستثني بهذا الحكم أحداً من المحافظين ، اللهم إلا نبضات التجديد في مسرحيات شوقي الشعرية وبعض جوانب الحداثة في شعر مطران ٠ وهذا الأخير يطبّل له بعض الدارسين ويعده مظهرا للحداثة في القرن العشرين وإمام الحركات المجددة التالية ولا بأس من التريث عنده للتحقق من هذه الدعوى ٠

فالدكتور محمد مندور يرى أنه رائد الحداثة والتجديد في الشعر العربي ، ويقول عنه : « إن الإجماع يكاد ينعقد على أن خليل مطران يعتبر رائدا للمدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، حتى ليكاد يختط طريقاً يشبه الطريق الذى اخطته في العصر العباسي بمدرسة البديع - وعلى رأسها أبو تمام - في مواجهة مدرسة عمود الشعر - وعلى رأسها أبو عبادة

---

(١) الدكتور شوقي ضيف : الأدب العربى المعاصر في مصر ٤٦ دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ٠

البحتري ـ وذلك عندما يقارن النقاد بين مدرسة البارودي وأحمد شوقي وحافظ وغيرهم ممن ساروا على عمود الشعر العربي والمدرسة الحديثة التي تنتسب إلى مطران وتمتد في جماعة أبولو خلال أحمد زكى أبو شادي وابراهيم ناجي ومن ساروا على دربهما من الشعراء الناشئين في مصر وغيرها من البلاد العربية (١) » ٠

ويذهب أبعد من ذلك فيشبهه بالشاعر الفرنسي إندريه شينيه ، الذي قاد الحركة الكلاسيكية الجديدة قبل الثورة الفرنسية ، وهي الحركة التى جمعت بين الصياغة اللغوية الفصيحة والأفكار الجديدة المعاصرة ٠

وفي ظني أن مطران كان واحداً من المجددين : وليس « رائداً للمدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر » وأنه دون مرتبة الريادة ، سواء في شعره ، أو في تأثيره فيمن بعده ٠

وعندما نرجع إلى ديوانه نحس أنه أكثر شعراء جيله تأثرا بالثقافة الافرنسية ، فقد ترجم قصائد كثيرة من شعرها ، وناقشها ، وعارضها وتأثر بها ، وتنبه إلى بعض القيم الفنية في الشعر الفرنسي ، ودعا الشعراء العرب إلى الأخذ بها ، واهتم بوحدة القصيدة ودعا إليها ، وإلى عدد من القيم الشعرية التى لم تكن سائدة بين معاصريه ، فقال في مقدمة ديوانه : « هذا شعر ناظمه لاتحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام ٠ بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه ، وإلى جمال القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر » (٢) ٠

ويبدو في تقويمه هذا أن الشعر في مفهومه تعبير نفسي تتجلى فيه الوحدة الفنية الموضوعية ، وأن قواعد الوزن والقافية إنما هي لخدمة معاني الشاعر ٠ وإشارته هذه إلى وحدة القصيدة هى ـ فيما أعرف ـ أول إشارة إلى قضية وحدة القصيدة في العصر الحديث ، وقد طبقها في بعض قصائده الشعرية ، ولا سيما في القصائد القصصية ٠

على أنه لم يستطع أن يحقق ـ في معظم شعره ـ ما نادى به في مقدمة ديوانه فصياغته تكاد تداني الصياغة التقليدية ـ ولعل مقدمته النثرية للديوان كما يرى القارىء توحي بذلك

---

(١) الدكتور محمد مندور ٠ محاضرات عن خليل مطران ١١ مطبعة دار الهناء بمصر ١٩٥٤ ٠

(٢) خليل مطران ، ديوان الخليل ٩ مطبعة الهلال بمصر ١٩٤٩ ٠

أيضاً ـ وهي متأثرة بالأساليب العربية القديمة إلى حد بعيد مع تفاوت ملحوظ في الجزالة ، كما أن موضوعات شعره تتراوح بين بعض الموضوعات الوجدانية ـ كالتأمل والغزل والشكوى ... وبين الموضوعات التقليدية العتيقة كالمدائح والمراثي وشعر المناسبات ·

وأما تأثيره فيمن بعده ، وخصوصاً شعراء أبولو الذين ذكرهم مندور ـ فهو ضئيل لا يرقى به إلى الريادة والإمامة ، ذلك أنه لم ينجح في إشاعة ما دعا إليه بين الشعراء ، ولم تتكون له مدرسة شعرية على نحو ما تكون للبارودي ولشوقي من بعده ، وشعراء أبولو كانوا في معظمهم على قدر وافر من الثقافة الانجليزية ، وقد تأثروا بمدارسها الشعرية مباشرة ، وتأثر بعضهم بالديوانيين الثلاثة ـ العقاد وشكري والمازنى ـ ولعل الديوانيين هم أقرب من قرأ شعر خليل مطران والتقوا معه في عدد من مفهومات الشعر · والمعروف أن مصادر مطران الفرنسية تلتقي مع الرومانسية الإنكليزية التى تأثر بها الديوانيون ـ وتوجه الشاعر نحو ذاتية التعبير والاهتمام بالخيال والتخلص من القيم الفنية الكلاسيكية ·

تحديث الديوانيين :

يطلق الدارسون اصطلاح الديوانيين على الشعراء النقاد الثلاثة : عبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين تركوا بصمات عميقة في تطوير عدد من عناصر الشعر العربي الحديث ، وجاؤوا بخيوط كثيرة من الحداثة تنظيراً وتطبيقاً ·

وكان أسبقهم إلى التحديث عبد الرحمن شكري ، الذي نشر دواوينه الشعرية قبل زميليه ، وضمنها عدداً من آرائه الجديدة ، ثم شاركها في إصدار بعض المقالات النقدية التى تدعو إلى التحديث وتنتقد معظم القيم الشعرية في شعر المحافظين ، ثم انفصل عنهما واقتصر على كتابة الشعر وعدد قليل من المقالات ، على حين أصدر العقاد والمازني كتاب « الديوان » الذي ضم خلاصة القيم الحديثة التى يدعون إليها ، وأحدث ضجة كبيرة · وبعد أقل من عقد من الزمن خفت قوة الاتجاه ، إذ هدأت حدة المازني في النقد ، وسكت صوته في الشعر ، وغاب عبد الرحمن شكرى عن الأنظار ، لا يظهر من شعره إلا قصائد قليلة تنشر على فترات متباعدة ، وظل العقاد وحده يصدر دواوينه ويتابع حملاته النقدية العنيفة ·

وقد كان الأعلام الثلاثة على قدر كبير من الثقافة العربية ولاسيما الانكليزية ، تعمقوا في دراسة آدابها ، وأخذوا من شعرها ونقدها شيئا كثيراً ، فكانوا بحق مدرسة جديدة في الشعر العربي ونقده ، وصفها العقاد نفسه بقوله :

مدرسة لا شبه بينها وبين من سبقها في تاريخ الأدب العربي الحديث ، فهي مدرسة أو غلت في القراءة الانكليزية ، ولم تقتصر قراءاتها على أطراف من الأدب الفرنسي ـ كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر ـ وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الانكليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين ، ولعلها استفادت من النقد الانكليزى الحديث فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ، ولا أخطىء إذا قلت إن (هازلت) هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد ، لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد .

وقد استفاد الأعلام الثلاثة من ثقافاتهم الواسعة ، وثاروا بتأثيرها ـ على عدد من القيم السائدة ، في الشعر الذى يكتبه المحافظون ، وحاولوا زحزحة الأصول التقليدية التى يتبعونها ، ودعوا إلى مفهومات جديدة للشعر وعناصره ، وجعلوا دعوتهم معلم الحداثة ، والأخذ بها تحديثاً للشعر ويمكن إجمال أهم معالم الحداثة التي دعوا إليها فيما يلى :

أولاً تطوير مفهوم الشعر : كان الشعر في مفهوم المحافظين صناعة متقنة تقوم على مجموعة من القواعد والقوانين ، يحذقها أصحاب التراث الموضوعيون من نقاد ولغويين وبلاغيين ، والشاعر هو القائل الفصيح أولاً وقد رفض الديوانيون هذا المفهوم وقدموا مفهوماً جديداً ، يكون الشعر فيه إبداعا يعبر عن ذات الشاعر ويصور عالمه الداخلى بكافة مناحيه وطاقاته النفسية وملكاته الإنسانية ، ويصدر عن الشعور ويضطرب بالعاطفة يقول عبد الرحمن شكرى عن الشعر : « هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم ، فأصوله ثلاثة متزاوجة ، فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره قليل الشأن ، ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتاً لاحياة فيه ، فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف ، وقوته مستخرجة من قوتها ، وجلاله من جلالها ومن كان سقيم الذوق أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة » (١) .

وهناك تعريفات مشابهة لتعريف عبد الرحمن شكري أوردها العقاد والمازني في ثنايا نقدهم ، تؤكد التفاف الأعلام الثلاثة حول المفهوم ذاته .

ثانياً : تطوير مضمون الشعر : اهتم الشعراء المحافظون بالقضايا العامة أكثر من اهتمامهم بالوجدان الفردي ، فلما جاء الديوانيون عملوا ـ بتأثير قوي من الرومانسية

---

(١) ديوان عبد الرحمن شكري ٤ : ٢٨٨ . دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠ جمع وتحقيق نقولا يوسف .

الانكليزية التى تأثروا بها ـ على توجيه الشعر نحو الذات ، وطلبوا من الشاعر أن يهتم باستبطان وجدانه قبل كل شيء ، وأن يعبر عن إحساساته بحرية تامة ٠

وعلى الرغم من أن العقاد لم يمانع في أن يطرق الشاعر موضوعات الحياة اليومية في البيت أو الطريق أو الدكان ، فإنه اهتم اهتماماً عظيماً بالعالم الداخلى للشاعر ، وجعل التعبير الصادق عن هذا العالم الخاص مقياس الجودة المثلى للشعر فقال : « إن المحك الذى لا يخطىء في نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره ، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء ٠ وإن كنت تلمح وراء الحواس شعوراً حياً ووجداناً تعود إليه المحسوسات كما تعود الأغذية إلى الدم ونفحات الزهر إلى عنصر العطر ، فذلك شعر الطبع القوي والحقيقة الجوهرية » ٠

وقرر المازنى أن الشعر مرآة لنفس الشاعر فيه روحه وإحساسه وخواطره ومظاهر نفسه سواء أكانت جليلة أم دقيقة ، شريفة أم وضيعة ٠

وذهب عبد الرحمن شكرى المذهب نفسه فجعل الشعر لغة العاطفة ومحركها وهكذا وجه الديوانيون الشعر وجهة وجدانية تهتم بالعاطفة قبل كل شيء وكان توجيههم هذا جديداً على الشعر العربي ونقده ٠

ثالثاً : تطوير في الشكل :

أ ـ الدعوة إلى وحدة عضوية للقصيدة ، بحيث تصبح ـ كما يقول العقاد ـ عملًا فنياً تاماً يكمل فيه تصور خاطر أو خواطر متجانسة ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره في موضعه » ٠

غير أن النقاد أخذوا على العقاد أنه لم يجاوز ـ في دعوته للوحدة العضوية ـ وحدة الموضوع ، وأنه لم يحقق في شعره أكثر من ذلك ٠

ب ـ الدعوة إلى تطوير الصورة الشعرية : استفاد الديوانيون من التطوير الكبير الذى أحدثه الرومانسيون الغربيون في مفهوم الصورة الشعرية واستعمالاتها ، فاهتموا بها اهتماماً كبيراً ، وعدوها عنصراً أصيلًا في البناء الشعري ، تنقل الأحاسيس وتهتم باللباب والجوهر ... في العلاقة بين الأشياء ، لا بالتشابه الخارجى ، وهاجموا الصورة التقليدية التى يعتمد عليها الشعراء المحافظون واتهموها بالافتعال والمبالغة ، والنمطية والتصميم ، والحسية الحرفية الشكلية ، يقول العقاد في هجومه العنيف على شوقي وأسلوبه في التصوير : إذا كان

كذلك من التشبيه أن تذكر شيئاً أحمر ، ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله في الاحمرار فما زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شيء واحد ، ولكن التشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك ، وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان ، فإن الناس جميعاً يرون الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها ، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس » (١) ٠

جـ ـ الدعوة إلى التحرر من القافية : كان عبد الرحمن شكري من أوائل الشعراء الذين حاولوا التخلص من القافية الموحدة ، وقد كتب عدة قصائد لم يراع فيها وحدة الروي ، كما أن العقاد تبنى الدعوة لترك القافية ، وعدها إحدى معوقات الشعر العربي عن التطور ، قال : ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل ، فإذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول ، بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل ، ولا تطول نقرة الأذن من هذه القوافى ، ولاسيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان » (٢) ٠

ولكن العقاد تراجع عن رأيه هذا بعد ثلاثين سنة ، وقرر ان انتظام القافية متعة موسيقية تخف لها الآذان ، وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقه الذى اطرد عليه ، ودعا إلى حل وسط يسمح بتنويع القافية في القصيدة دون أن يلغيها (٣) ٠

تلك هي أهم معالم الحداثة في حركة الديوانيين ، وقد عزا النقاد هذه المعالم إلى القيم الرومانسية الغربية ، والانجليزية بالذات ـ التى أثرت في الديوانيين ، فيرى الدكتور محمد مندور (أن المنهج الشعري الذى اختارته هذه المدرسة ودعت إليه هو نفس المنهج الذى صدر عنه جامع « الكنز الذهبي » في اختيار ما اختار من الشعر الغنائى الانكليزى) (٤) ٠ ويذهب الدكتور محمود الربيعي إلى أنهم نقلوا المبادىء التى دعوا إليها بدقة عن النقد الانكليزى في حين قام دارس آخر بالبحث عن مصادر آراء العقاد في كتابات الشعراء والنقاد الرومانسيين في أوربا وأمريكا وعقد مقارنات طريفة وقيمة تؤكد هذا النقل (٥) ٠

---

(١) الديوان ١ : ٣٠ ٠

(٢) مطالعات في الكتب والحياة ٢٨٠ القاهرة ١٩٢٤ ٠

(٣) انظر فصول من النقد عند العقاد ٣٠٦ ٠

(٤) الشعر المصرى بعد شوقي ١ : ٥٤ مكتبة الانجلو بلا تاريخ ٠

(٥) انظر : محمد عبد الهادي محمود : مقدمة لدراسة العقاد ٠ القاهرة ١٩٧٥ ٠ والكتاب بأكمله يبحث في مصادر آراء العقاد في الكتابات الرومانسية الانكليزية ٠

ولم ينكر الديوانيون تأثرهم بالرومانسيين الغربيين شعراءً ونقاداً - بل أعلنوا على الأشهاد أنهم تأثروا بهم واستفادوا منهم وأخذوا أفضل ما عندهم دون أن يحصروا أنفسهم في آثارهم ، وقد مر بنا قبل قليل تصريح العقاد عن تأثره وزميليه بالشعر الانجليزى وغيره ، ولكنه دفع بقوة شبهة التقليد وقرر أنهم كانوا في موقع الاختيار لا التبعية ·

ولا شك أن الديوانيين جاؤوا الشعر العربي بعدد من القيم الفنية الأصيلة ، استمدوا معظمها من الشعر والنقد الغربى بعامة ، والانكليزى بل والرومانسي الانكليزى بخاصة ، وأفادوه في عدة جوانب ، منها إعادته إلى التعبير عن الوجدان الفردي في إخلاص وصدق ، وقد عاش الشعر العربي من قبل فترات على هذه الشاكلة ، في شعر بعض الشعراء الجاهليين وفي قصائد الغزليين والصوفيين وعدد من الشعراء أصحاب الاتجاهات الفردية كابن الرومي وأبي العلاء وأبي فراس والمتنبى في غير مدائحه ، ولا يكاد عصر من العصور يخلو من هذا الشعر · لذلك فإن دعوة الديوانيين إلى هذا اللون من الشعر ليست جديدة على الشعر العربي في تاريخه الطويل ، ولكنها ليست دعوة نابعة من صور الشعر الوجدانى في تاريخ الشعر العربي ··· ولا يمكن إلا أن تكون متأثرة إلى حد كبير بالاتجاه الرومانسي الغربي ، كما أنها تحمل عناصر مغايرة لما كان سائداً في شعر المحافظين ····

ولعلنا بهذا التفسير نجد إجابة مقنعة للتساؤل الذي يثور في ذهن من يقرأ آثار الديوانيين : لماذا تفوقت دعوتهم النظرية على تطبيقهم العملى ؟ ·

ولا يخفى على القارىء أن شعر الديوانيين - ولاسيما العقاد ثم المازني - لا يحقق أحياناً المبادىء التى دعوا إليها ولا يخلو من المعانى والموضوعات والمشكلات التي هاجموها بشدة · والطريف أن العقاد نفسه وقع مرة في الفخ الذى أوقع فيه أمير الشعراء أحمد شوقى من قبل ، وأن الدكتور محمد مندور كال له بالمكيال نفسه الذي استخدمه في نقد شوقي ، فأخذه بجريرة تفكك القصيدة وضياع وحدتها العضوية ·

ولعل عبد الرحمن شكرى أكثر زملائه تطبيقا للمبادىء الجديدة ·

لقد سعى الديوانيون إلى تحديث الشعر العربي بالدعوة إلى التعبير عن الوجدان الفردي بقوة ، وبالسعى إلى تأصيل مفهوم جديد للشعر العربي متأثر بالمفهوم الرومانسي الغربي ، وبتطوير عدد من الأدوات الشعرية تطويراً محدوداً ، وبإثارة مناقشات نقدية مثمرة في وقت لم يكن فيه الشعراء والنقاد الآخرون يهتمون بشىء من هذا القبيل ·

بُرهانُ الحقّ في الخَلقِ

(١)

د. عز الدين علي السيد
كلية اللغة العربية

« قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . » قرآن كريم

شهدْتُ أنك يا الله ديانُ ... والعجزُ عن كنْهِ ما أبدعْتَ برهانُ
خليفةَ الله ياإنسان ، هل نظَرَتْ ... عيناك للْكَوْن لم يصْرفْك شيطانُ ؟
انظر إلى الكون بالعينين ملْؤُهما ... صُنْعُ الحكيم ولا يغررْك بهتانُ
في كل شيء تجلَّى صوْتُ مبْدِعِهِ ... له على العقل بالإحكام سلطانُ
ما سدَّ عنه لسوء الجد مسْمعهم ... إلا عكوف على الأهواء مُجَّانُ
فناج بالفكر في الأكوان مبدعَها ... فإنها لأولى الألباب قرآنُ
تلك السمواتُ سقْف فوق أرؤسنا ... يحيط بالأرض لم تحمله أركان
فيه المجرَّاتُ والأفلاكُ .. تذْرعها ... فوق الرءوس لبذل الخير أعوان
فاسأل بها البدْرَ في وُسْطى منازله ... بين الهلالين يسعى وهو سهرانُ
مازاد في طرَفٍ خلاه في طرفٍ ... كأنه في طباق العمر إنسانُ !
واسأل خُطَى الشمس في الأعوام واحدة ... كأنها من رشيق الشعر أوزانُ
لمستقر لها تجرى بلا ضجرٍ ... وما تناءتْ بها في الغيب شطآن
كالفلك في البحر رَهْوًا .. لا تعوّقها ... ريحٌ .. ولا يترك السكان رُبَّانُ

أم رءوم .. بضوء الفجر توقظنا ... ليقنص الرزق في الأرجاء يقظان
فإن أحسَّتْ بما نلناه من لَغَبٍ ... خلَّتْ عن الليل يأتى وهو جذلان
يُرْخى علينا سكوناً في ستائره ... للنفس من لذة الأحلام إحسان
مَنْ كان يأتى بليل غير خالقها ... به لما انهدَّ بالإجهاد بنيان ؟
مَنْ كان يُبْدِى نهار الكون يعمرُهُ ... منا الكفاحُ ويصحو فيه وسنان ؟
بين الجديدين والشمس ارتقى سببٌ ... للحق .. والفهمُ للأسباب عرفان !
واسأل بها الغرْسَ مِنْ زهر ومن ثمرٍ ... تُزْهَى به في الروابى الغُرِّ أفنانُ
أكان لولا السَّنَى والدفْءُ تحملهُ ... يهتز من حسنه الخلاب وجدان ؟
لله في الشمس آياتٌ مبينةٌ ... لا يجتليها كليلُ الطرْف كسلان
لها البروجُ قصورٌ عَبْرَ رحلتها ... بها الفصولُ لأهل الأرض وديان

لكل وادٍ رداءٌ مِنْ خصائصه ... فلا يُرَى الكونُ يوماً وهو عريان
بينا تراه عروساً ليلَ جلْوتها ... لها من الحسْن هالاتٌ وندمان
وكلُّ ما حولها في عطرها أرجٌ ... وكلُّ ما مسَّها بالسحر هيمان !
إذا به أيِّمٌ قد لفها شجَنٌ ... عنها تولى الصبا .. فالجسْم وهنانُ
إصْفَرَّ منها المحيا واختفى وهَجٌ ... للحسن عشاقه عن دربه بانوا
هذا ربيعٌ على الأرجاء منتشرٌ ... ضافى الذيول .. نشيط الخطو فينان
وذا خريفٌ .. فما في الزهر باسمةٌ ... ولا على الغصن غنَّى الأذْنَ حُسّانُ
الروضُ ذاوٍ .. وأوراقُ المنى انتثرتْ ... مبعثراتٍ ومؤْتيِ اللحن جرْذانُ
والصيفُ فيه لمن شاء الهدى نُذُرٌ ... من اللهيب .. رماها وهو غضبان !
وفي الشتاء على الآفاق تُفْزِعنا ... فوق الرءوس بحيراتٌ وغدران
يزمجر الرعدُ . يحْدوها لمنزلها ... والكونُ في بُرْده المثلوج لهْفانُ
لعل للشمس دفئا في أشعتها ... يفيضُ منه على كشحيه أردانُ !

... ...

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

للشيخ يوسف الأمزالي الشافعي
المدرس بالمعهد الثانوي

نور على الأفق إيذانا بمَقْدَمِه ... أهَلَّ يعلن عن نور وعرفان
نور تلألأ آفاق السماء له ... ويغمر الأرض من قاص ومن دان
وَتَعْكِسُ النورَ أنى سرت كوكبةٌ ... من القناديل زُهْرٌ ذاتُ ألوان
فالأرض تشرق والأكوان قاطبةً ... فقد أهل عليها شهر فرقان !
النور موعده والنور مولده ... والنور أُنْزل فيه آى قرآن
هَشَّت إليه نفوس الناس صادقةً ... مالم تَهَشَّ لأهل أو لأوطان
كأنها غربة طالت وقد وجدت ... بعد افتقاد حياة الفضل والشان
أيامُه الغُرُّ أعيادٌ يُضِيءُ لها ... مثل القناديل بشرا كل إنسان
هذى القلوب تلاقت بهجةً ورضى ... كما تلاقت على جوع وحرمان
الصدقُ في السعي للرحمن جَمَّعَهم ... هم رُفْقَةٌ في جهاد خير إخوان
كم بين صومهم والصبر من رحم ... فما يبالون من ضيق ونقصان
زال التحاسد والشحناء بينهمو ... فلم يبيتوا على غل وأضغان
وأصبحوا بقلوب الودِّ عامرةً ... حل الصفاء وعاشوا أىَّ خلان
فكم تَنَافَرَ في الدنيا أحِبَّتُها ... لكنْ من التقيا في الله إلفان
الحق في كل قلب واحدٌ ولنا ... فيما لدى الله ما يغنى عن الفانى
قد أَلَّفَ الله ما بين القلوب به ... فلا ترى غير إيثار وإحسان

إذا انقضى في جهاد الصوم يومهمو ... فالليل ليل تراويح وقرآن
وإن أهاب بهم داع وجدتهمو ... إلى الجهاد سراعا خير فرسان
حتى ترى القوم قد صاروا ملائكة ... فلا مكان لِلَغْوٍ أو لبُطلان
هذى هى الغاية الكبرى نُعَدُ لها ... وليس من دونها همٌّ لإنسان

عِبَرٌ وعِبَرات

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

ألا مَن لِقلبٍ واهنِ الخفقاتِ ... تلاشى سوى رَجْعٌ من النفثاتِ
عييتُ به حتى وددتُ فراقَه ... ومِن قبلُ قد أعيا ضناه أُساتي
وما فيه من سُقمٍ .. بلى إن داءَه ... صروف ملأنَ الأرضَ بالنكبات
طلاسمُ لا أدري لها من حقيقةٍ ... سوى أنها من مُعضلاتِ حياتي
يَضِلُّ أولو الألباب في حلكاتها ... ويَحسبُها الجهالُ في الهفوات
فمن لى بمعوان على أُحْجياتها ... فقد فُلَّ عزمي دونَها وأناتي

*

أرى الناس مخدوعاً وراء مدلِّسٍ ... يَسير به عمداً الى الهلكات
وتُجّارَ أقلامٍ أباحوا وجوهَهم ... لكل دعيٍّ في الرجال وعاني
تعبدَهم وهم المنافع فارتموا ... سجوداً على الأعتاب والحضرات
فكم خائنٍ باع البلاد سَمَوا به ... الى الأوج فهو الفارج الكُربات !
وكم ملحدٍ مسْتهتر العِرضِ قد غدا ... بسحرهمِ يُدْعى أبا البركات !
وكم سارقٍ قُوتَ المساكين صوَّروا ... على الطِّرسِ منه مبدعَ الحسنات !
أراقوا على أقدامه المَدح خشَّعاً ... كما عكف الغاوون حولَ « مَناة »
وكم « باقر » صدر الحنيفةِ باسمها ... أباح حمى الاسلام للشُبُهات
أخو عِمةٍ كالقبرِ أرخى سدولَها ... على جِيَفٍ من صدره نَتِنات
تَعرَّى من الايمان والخُلق مؤثراً ... زيوف « معالٍ » في ظلالِ بغاة

يحوك الفتاوى للطواغيت مُهدِراً ... بهن دمَ الإخوانِ والأخوات ..

أضاليل أملاها النفاقُ وحطَّمتْ ... بقية ما لِلدينِ من حُرمات

وفي كل قُطرٍ من بلاديَ « باقر » ... شرى بكتابِ اللهِ بعض فُتات

فما ذنب « إلياسٍ » ومن لفَّ لفَّه ... بما اختلفوا من كاذب « النظرات »

وفي « الأنور » المرموقِ ، والشرقِ كلِّهِ ... معاول شقت هذه الثُّغرات

ومَنْ لا يَصُنْ في زَحمةِ الغيِّ عِرضَه ... فويلٌ له من أذْؤُب الشهوات !

فواهاً على الاسلامِ تَهوي صروحُه ... بأيدي جناةٍ من بنيه عُماة

ويا لهفةَ الدنيا لدينِ محمدٍ ... وقد بات مكشوفاً لكل أذاة

تَخطفتِ الأزراءُ أنصارَهُ الأُلى ... أضاء بهم مُحْلَولكَ الظلمات

مَضَوافي شعابِ الأرض بينَ مشرَّدٍ ... تَقاذفُه الأقدارُ دونَ رَجاة

ومستشهَدٍ أودى به البغيُ شاكياً ... الى أعدلِ القاضين شَرَّ قضاة

ومحتجَزٍ في غيهبِ السجنِ شَوَّهتْ ... معالمَه المُثلى يدُ المَثُلات

تفنن جلادوه في العسف والأذى ... ولم يَحنِ رأسا أو يَفُهْ بِشَكاة

تراه على الأغلال شِلواً ممزَّعاً ... يُخيَّلُ للرائينَ بعضَ رفُات

بنفسي وجوهُ أطفأ الجورُ بِشرَها ... وإن هي لم تَبرحْ وجوهَ هُداة

تنازعَها لفحُ العذابِ فأصبحت ... وليس بها الا ذَماءُ حياة

لئن سُلِبَتْ نورَ الحياة فلم تزل ... تنير سواد الليل بالصلوات

فيا عِبَرَ الأيامِ جُرتِ على النُّهى ... وفَجَّرتِ من آماقنا العبراتِ

« بناتُ زيادٍ في القصورِ مصونةٌ ... وآلُ رسولِ اللهِ في الفلوات »

وفي زفراتِ القلبِ عذرٌ لِواجدٍ ... اذا هو لم يملك سوى الزفراتِ

*

*

فواجعُ لولا حرمةُ الحق لم تَذَر ... بنا أثراً من عِزةٍ وثبات
رضينا بها زاداً الى الله يومَ لا ... سبيلَ الى رُحماه بعد فوات
ويوم يعض الظالمون أكفهم ... وقد وجدوا أعمالهم حسرات
ويوم يَوَدُّ المجرمون لَوَنّهم ... على دَرْبِنا ضرْبٌ من الحشرات
ترى قَتراتِ الذلِ فوق وجوههمْ ... وقد طُبِعتْ من عارها بِسمات
كوالحَ من هولِ القوارع خُشّعاً ... نواظرُها تستقبلُ اللعنات
على حينَ ترنو هانئاتٍ وجوهُنا ... الى ربِّها في مَشرقِ النفحات
ترفُّ من الفردوس في ظل نَضرةٍ ... وتسبحُ في فيضِ من الرحمات
وما انفكّ رضوانُ المهيمن غايةً ... يخوضُ اليها المؤمنُ الغمرات
وهيهات يَثني عزمَنا الروعُ بعدما ... جرت لذةُ التوحيدِ في اللَّهَوات

*

ليَغْلُ طغاةُ الارضِ في الكيد ما غَلَوا ... فلا بد دونَ الحقِ من عقبات
ولا ضير أن يُغروا بنا كلَّ فاجرٍ ... فَيَمْطُرَنا سيلًا من الوَصَمات
تمرَّسَ في شتم الكرام فما يَني ... يُسَوِّدُ في تجريحِنا الصفحات
ونَعْذُرُه أنْ لم يجدْ غيرَ سبِّنا ... سبيلًا لما يرجو من الصفقات

وفي الأفكِ أسرارٌ، وفيها فضائح ... تلوح مخازيها على الكلمات
صبرنا على لذع الحراب نفوسَنا ... فليس بمؤذينا نباحُ غُواة
وأهونُ ما يلقى الكريم من الأذى ... سفاهةُ مأجورٍ ولَغْوُ شَمات
وما نحن إلا عصبةُ الرسلِ حُمِّلَتْ ... كواهلُنا مستثقلَ التَّبِعات
تخيرنَا الباري لبثِّ هدايةٍ ... وبعثِ إخاء، وافتاكِ عُناة
فَمَن لِبناءِ الحقِ يرفع سَمْكَه ... إذا لم نكن في أُسِّهِ لَبِنات!
ومَن يَلفتُ الدنيا الى نورِ ربِّها ... اذا لم نكن في ليلِها جَمرات!
ومن يقفُ آثار النبيين لم يَسَلْ ... على الشوكِ يمشي أم على الشفرات

ولن تستقرَّ الأرضُ يوماً بمؤمنٍ وفوق ثراها موطىءٌ لـــــطـــــغاة

*

لـنـسـتـسـهـلـنَّ الـصـعـبَ حـتى نردَّها الى كَنَفِ الرحمنِ بعد شَتات
ونبعثُها في مَعْقلِ الظلم ثورةً تـسد عـلـيـه وجـهَ كـلِّ نـجاةِ
وقد يتأبى النصرُ حيناً على المُنى ولـكـنـه رغـم الـتأخر آتـي
ومهما يطل ضغطُ الظلام فخلفَه بوارقُ فـجرٍ مـشرقِ الـقـسـمات
ومَن يعتصمْ بالله لم يُغضِ جفنُه على الذل أو يُلقِ القيادَ لعاتي

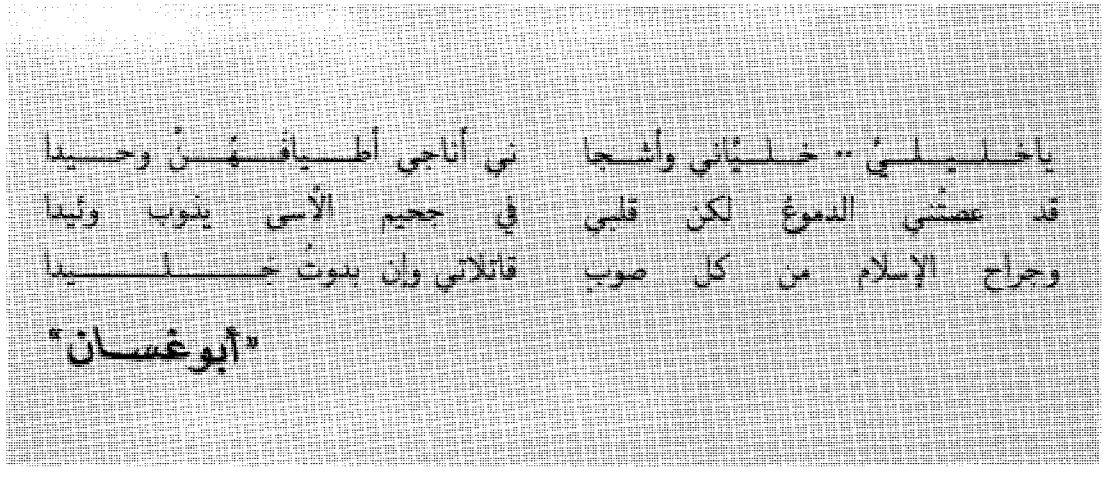

ربیع الاول
عالمیہ

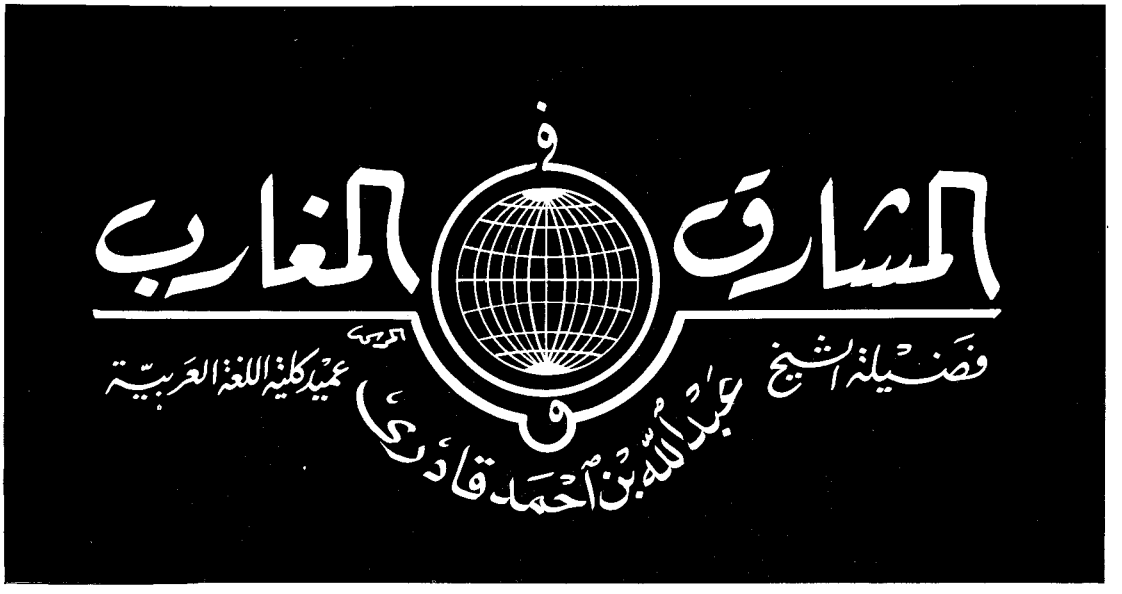

*** مقابـــــلة صحفيـــــة :**

وكان في انتظارنا أحد الصحفيين الباكستانيين لاجراء مقابلة معنا حول رحلتنا في بريطانيا وأمريكا واليابان وهنغ كنغ ، وذكر الأخ خليل الحامدى ، أن عددا من الصحفيين تسابقوا للقائنا ولكن صاحب هذه الصحيفة (وأظن أن اسمها : الحياة) هو الذى أعطى حق المقابلة من قبل الجماعة ، والظاهر أن ذلك بسبب التزام الجريدة بالخط الاسلامي أكثر من غيرها ·

كانت الأسئلة تدور حول أمرين : الأمر الأول ـ عن انطباعاتنا بالنسبة للمسلمين في الدول التى زرناها ، والأمر الثانى ـ حول ما تقوم به كلية اللغة العربية في الجامعة الاسلامية في الأدب العربى ، وأدب الدعوة الاسلامية ، وموقفها من الاتجاهات الأدبية المعاصرة ·

ثم واصلنا الحديث مع الأخ خليل الحامدى فذكر أنه لا بد من التعاون بين الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة والجماعة الاسلامية في باكستان ، وضرب لذلك مثالا : قال : لقد كان للجماعة الاسلامية مدارس منتشرة في كل أنحاء باكستان ، ولكن الحكومات المعادية لحركة الجماعة أممت تلك المدارس والآن يوجد للجماعة طلاب في كل المناطق وفي كل المراحل والجماعة تود لو أن الجامعة الاسلامية تنشىء لها فرعا تحت اسم كلية العلوم الاسلامية أو الدراسات الاسلامية التى ربما تتطور الى جامعة في المستقبل حتى تضم طلبة الجماعة المؤهلين ·

وذكر مجالا آخر هو تخصيص منح دراسية في الجامعة الاسلامية في كل كلية من كليات الجامعة حتى يكون عند الجماعة علماء ـ متخصصون في فروع الشريعة الاسلامية المختلفة ·

كما أنه يمكن أن تبعث الجامعة عددا من طلبتها للقيام بالدعوة في الباكستان ليتدربوا على الدعوة وأساليبها ، ويمكن أن يستفيدوا من تجارب الجماعة في ذلك ·

وقد سبقت الى ذلك جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية حيث بعثت أربعين طالبا من طلابها فاقاموا في مدينة المنصورة ، ووضعت لهم برامج كان فيها فائدة لمدة أسبوعين ، كما أن جامعة الرياض قد حذت حذو جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ·

*** جولة في مدينة لاهور :**

وبعد صلاة العصر من يوم الخميس قمنا بجولة في مدينة لاهور وفي طريقنا رأينا حالة البؤس ، وعلامة الفقر المدقع ، ورأينا حالة وسائل النقل السيئة ، اذ يتراكم الناس في عربة خشبية تجرها الخيل أو الحمير يختلط فيها الرجال والنساء ·

كان يرافقنا في هذه الجولة الأخ فيض الرحمن الذى لم يفارقنا مدة بقائنا في لاهور الا في أوقات الراحة أو النوم ، وهناك أرانا المكان الذى اعتدى فيه على المودودى وهو يخطب في جماهير المسلمين في أول قيامه بالدعوة في باكستان ، حيث أطلق عليه الرصاص ، وقد طلب منه أن يجلس خشية تكرر ذلك فرفض وبقى واقفا ، وقال لهم : اذا لم أثبت أنا فكيف تثبتون أنتم ؟

كما أن أعداء الدعوة قطعوا التيار الكهربائى فكان يقول الاستاذ المودودى الجملة فينقلها القريب منه الى من يليه ، ثم يبلغها هذا الى الآخرين حتى انتهى من خطابه ·

*** شاهي مسجد الذى يرقد بجانبه محمد اقبال :**

ثم ذهبنا الى قصور بعض الحكام السابقين ، وهى أثرية ، ذات بناء قوى ، لازالت أسوارها قائمة ، وكان وقت السماح بدخولها قد انتهى فذهبنا لمسجد قريب منها يقع بقربه قبر الشاعر المسلم محمد اقبال الذى يقف في كل ركن من أركان ساحته جندى مسلح ، وعندما سألنا فيض الرحمن عن السبب قال : لم يكن هذا موجودا من قبل والظاهر أن الجنرال ضياء الحق أراد منع الناس من التبرك به ، لانهم كانوا يأتون الى قبره ويتبركون به ويسمى الجامع

الذى بجانبه : شاهي مسجد ، ويقدر أساس المسجد بأربعة عشر قدما وله منارة عالية تشرف على مدينة لاهور كلها ، فقال الأخ فيض الرحمن : هل تريدون أن نصعد الى أعلى هذه المنارة والناس يصعدون فعلا ـ فقلت له : نحن في هذه الليلة سوف لانرتاح لانا سنسافر الى كراتشى ، ثم نبقى في المطار الى أن نسافر الى المملكة في الصباح ، فاذا صعدنا فان ذلك سيزيدنا ارهاقا فألح علينا ، فوافقت ، وأخذنا نصعد وكان فيض الرحمن أمامي وأردت أن أكافئه على الحاحه بإتعابه فكنت أقول له : أصعد ، كلما أراد أن يقف وهكذا صعدنا الى أعلى المنارة دون أن نقف ، وعندما وصلنا هناك كان الأمر بالعكس ففيض الرحمن تعب ولكنه لم يصب بما أصبت به أنا فقد أصبت بدوار شديد وهبوط في الجسم وتصبب العرق حتى كنت أظن اننى ساطلب الاسعاف في ذلك الوقت قلت لقد أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، أردت أن أوقع صاحبى في شيء وقعت فيه أنا ، لذلك قعدت قليلا حتى عاد الىّ نفسى وارتحت ·

أما زميلى الدكتور فقد نفعته هنا أناته السودانية التى يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان كلما قطع مجموعة من الدرجات وقف على الشرفة المقابلة لها في المنارة يشم الهواء ويستجم ثم يصعد هكذا فوصل الى القمة دون أن يتعب · واذ ذاك تذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، ولكنها دروس لعلى أستفيد منها وعندما نزلنا عددنا الدرجات فكان عددها مائتين وعشر درجات ·

*** تقليـــــد أعمى :**

وفي الطريق رأينا جنود المرور يوقفون سائقى الدراجات النارية ويلزمونهم بدفع غرامة فظننت أن ذلك بسبب عدم حمل الرخصة أو الاستمارة ولكن رأينا أن من يلبس المغفر على رأسه لا يوقف فسألت الأخ فيض الرحمن · فقال : انهم يلزمون السائقين بوضع المغفر على رؤسهم ، وهو في الغرب كذلك ـ قلت : مع حالة الباكستانيين هذه وحاجتهم الى المال ينفقون على أنفسهم يلزمونهم بشراء المغفر البريطانى ؟ ثم قلت : الظاهر أن الشركة التى تصنع هذه المغافر لها يد في هذا الالزام فقال الزميل بيلو : لعل بعض ضباط المرور زار بعض البلدان الأوربية فرجع بالفكرة ، ولكن أخانا فيض الرحمن أراد أن يسلينا بقصة وقعت لبعض أعضاء الجماعة الاسلامية فقد أوقفه جندى المرور وطلب منه دفع الغرامة ، فقال له أتريد أن تأخذ منى مالا وأنا من الجماعة الاسلامية ؟ أن المال الذى تأخذه الجماعة أحق به فكيف تطيب نفسك بأخذه ؟ فتركه الجندى فذهب دون أن يدفع شيئا ·

عدنا بعد ذلك الى المنصورة لنأخذ حقائبنا اليدوية ونذهب الى مطار لاهور ، وهناك وجدنا الأخ خليل الحامدى الذى ودعنا هو وبعض أعضاء الجماعة ، ونحن ودعناهم وشكرناهم

على كرم الضيافة وشكوت فيض الرحمن الذى أتعبنى بصعود درج منارة المسجد الى الأخ خليل فابتسم وقال لعلك تعود وقد ركب في المنارة مصعد كهربائى فلا تتعب مرة أخرى ان شاء الله ·

*** نبـذة عن الجماعة الاسلامية :**

وفي ختام الكلام عن الجماعة الاسلامية أحب أن أعطى القارىء بعض المعلومات عن الجماعة من الرسالة المنشورة باسم : الجماعة الاسلامية ·

ـ تأسست الجماعة عام ١٩٤١ م ومرت بالمراحل الآتية : ـ

١ ـ مرحلة النقد والتبليغ ·
٢ ـ مرحلة التربية والاعداد ·
٣ ـ مرحلة الكفاح والنضال ·

ولكل مرحلة وسائلها ومنهاجها وكتبها التى ألفها الاستاذ المودودى ·

*** غايـــة الجمـــاعة :**

إن الغاية الوحيدة التى لأجلها قامت الجماعة الاسلامية انما هى اقامة النظام الاسلامي ابتغاء لوجه الله تعالى وحده ·

*** الوسيـــــلة :**

ولتحقيق هذه الغاية اتخذت الجماعة برنامجا شاملا يتضمن أربعة أجزاء ·

الجزء الأول : هو تطهير الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية ·

الجزء الثانى : هو استخلاص الأفراد الصالحين وجمعهم في نظام واحد وتربيتهم ·

الجزء الثالث : هو السعى في الاصلاح الاجتماعى ، وهو يشمل اصلاح كل طبقة في المجتمع حسب أحوالها ·

الجزء الرابع : هو اصلاح الحكم والادارة ·

ويكفى أن أنقل تفصيلا لهذا الجزء الأخير ، قال :

(ذلك بأنه من عقيدتنا أنه لا يمكن أن ينجح تدبير من التدابير في اصلاح مفاسد الحياة الحاضرة مادامت لاتبذل المساعي لاصلاح نظام الحكم والادارة مع المساعى الاصلاحية

الأخرى على قوة الثقافة والقانون والادارة وتوزيع الرزق لا يمكن أن تجدى شيئا في درئه تلك المساعى التى تبذل للاصلاح والبناء بوسائل الوعظ والتلقين والدعوة والارشاد فقط ، فان كنا نريد اليوم أن نصرف نظام الحياة في بلادنا عن طريق الضلال والفساد والفسق والعصيان الى طريق الاسلام المستقيم فلا مندوحة لنا من أن نبذل سعينا بطريق مباشر في ازاحة الفساد عن منصة القيادة والسلطة واحلال الصلاح مكانه · والظاهر أنه اذا كان زمام الأمر والسلطة بأيدى الصالحين المؤمنين فانهم يحدثون في أعوام قلائل من التغييرات الهامة في نظم التعليم والقانون والادارة مالا يمكن أن تأتى به الجهود غير السياسية في مدة قرن كامل فان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ·

أما كيف يتأتى هذا التغيير فليس له من سبيل في نظام ديمقراطى إلا السعى في الانتخابات وذلك أن نربى الرأى العام في البلاد وننشر الوعى السياسى الصحيح فيها ونغير مقياس الناس في انتخابهم لمثليهم في المجالس النيابية ونصلح طرق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون ويقدرون أن ينهضوا بصرح نظام البلاد على أسس الاسلام وهدى الكتاب والسنة ····) ا هـ ·

شعب الجماعة التى يقومون بنشاطهم من خلالها :

ـ شعبة التنظيم والادارة ، للاشراف على فروع الجماعة وتنظيمها في باكستان كلها ·

ـ شعبة بيت المال ، لتنظيم ميزانية الجماعة ، والاشراف على بيوت المال الفرعية في أنحاء البلاد ومحاسبتها ·

ـ شعبة الخدمات الاجتماعية ، لجمع أموال الصدقات والتبرعات من الأغنياء ومساعدة الفقراء ·

ـ شعبة النشر والاعلام ، لنشر أخبار الجماعة واعلاناتها في مختلف الصحف والمجلات في داخل البلاد وخارجها ، والاشراف على مجلات الجماعة وجرائدها ·

ـ شعبة الشئون العمالية ، لتنظيم العمال والفلاحين والموظفين القليلى الدخل في مصالح الحكومة ···· ومساعدتهم في مشاكلهم ·

ـ شعبة التربية ، لتربية أعضاء الجماعة وأنصارها تربية علمية وعملية ، واعداد رجال صالحين للقيام بمهمة الدعوة الاسلامية حسب مقتضى العصر الحاضر ·

ـ شعبة المدارس والمعاهد ومكافحة الأمية ·

ـ دار الترجمة الانجليزية لنقل كتب الجماعة ، والمؤلفات الاسلامية الأخرى الى الانجليزية ·

ـ دار الترجمة البنغالية لنقل كتب الجماعة الى اللغة البنغالية ···

ـ المجتمع الاسلامى ، الذى أنشىء تحت اشراف الاستاذ المودودى ـ لمجابهة تحدى الحضارة الغربية المادية ....

ـ شعبة الشئون البرلمانية ، للاتصال بنواب المجالس البرلمانية ـ والبرلمانات عامة ، ونواب الجماعة في هذه المجالس خاصة لاشعارهم بوجهة نظر الشريعة الاسلامية في كل تشريع يناقش في المجالس .

ـ شعبة الانتخابات (وللجماعة نظام خاص ومنهاج يختلف عن منهاج الأحزاب الأخرى) .

ـ قسم الاخوات المسلمات لنشر الدعوة في المحيط النسائى .

هذا وقد سمعت نقدا شديدا يوجهه بعض علماء الباكستان الى الأستاذ المودودى ، وسمعت نقدا منهم ومن غيرهم يوجه الى الجماعة نفسها والنقد لايسلم منه أحد ، لاسيما اذا كان من يوجه اليه النقد عاملا متحركا فان الانسان ليس بمعصوم ، قد يحصل منه الخطأ كما يحصل منه الصواب والذى يكون خطؤه أكثر من صوابه يعتبر ناجحا في عمله ، واذا كان مجتهدا فله أجران فيما أصاب وأجر فيما أخطأ .

وقد يسلم من النقد الشخص الخامل الذى لايعمل ولايدرى عنه الناس أين يقع ؟ وهذا ذكرنى ببعض طلبة الجامعة الاسلامية عندما كنت مسئولا عن شئون الطلاب وكنا نقوم برحلات يخدم فيها الطلبة أنفسهم بل ويتحملون هم نفقاتها ، فكان بعضهم نشيطا في العمل فانتُقد النشطون وفي مرحلة أخرى تواطأ هؤلاء النشطون ألا يعملوا فلم يوجه اليهم نقد وانما وجه الى غيرهم ممن قام بالعمل ، **والمثل يقول : وويل للشجى من الخلى .**

*** من لاهور الى كراتشى :**

أقلعت بنا الطائرة من مطار لاهور في الساعة الحادية عشرة وخمس عشرة دقيقة من مساء يوم الخميس الموافق ١٣٩٨/٨/٢٩ هـ .

وهبطت في مطار كراتشى في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين ، وفور نزولنا وجدنا الأخ خليق أحمد ومعه صديق له ينتظراننا ومعهما حقائبنا التى كنا تركناها عند الأخ خليق عندما سافرنا الى لاهور ، فشكرناهما على ذلك ، وكنا نفكر فيما نفعل : أنذهب الى أحد الفنادق لننام الى الوقت المقرر في حضوره في آخر الليل أم نبقى في المطار الى الصباح ؟

وكان الأخ خليق يفضل الأولى · أما زميلى الدكتور فانه فضل الثانية ، وعلل ذلك بأن الوقت ضيق وأعصابنا مشدودة للسفر فأما أن نبقى في الفندق بدون نوم ، أو ننام ويخشى أن تفوتنا الرحلة ونحن متعبون ، فوافقت الزميل حتى لانختلف ، وللقناعة بتعليله وطلبنا من الأخ خليق أن يعود الى بيته لينام ، لأنه مقيم ونحن مسافرون ففعل بعد تردد لأنه يريد أن يبقى معنا الى أن نغادر المطار ·

ويسر الله لنا مقعدين فارغين في لحظة من اللحظات ، وهذه اللحظة أندر من الكبريت الأحمر ، لقلة المقاعد وكثرة من يريد القعود ·

وجاء الزميل بعربة نقل الاثاث ، فرصصنا حقائبنا عليها ، وقربناها منا وقعدنا متلذذين بالقعود ، لأن الناس واقفون ، ومنهم القاعد في الأرض بل ومنهم النائم ·

وكان بعض النائمين على المقاعد المجاورة لنا ينام فيشخر حتى يكاد يقفز فيقع رأسه علّى ثم يقوم قليلا ثم يعود ، وكان زميلى يقوم ليستفسر عن وقت وزن العفش والاجراءات اللازمة ثم يعود ·

*** الكرتون أم الحقائب :**

ورأيت أربعة من الشباب يقف كل منهم وراء الآخر والخامس ، جلس بجانبى وأخذ يكلمنى بلغته ، وكنت قد سمعت من الهنود والباكستانيين كلمة نفعتنى مع هذا الشاب ، قلت له : معلوم نى ، أى لاأفهم ماتقول ، ولكنه كان مصمما على مخاطبتى ، وكانه عين للجلوس معى لكونه يتكلف النطق ببعض الكلمات العربية يلهينى بها وجماعته يفعلون ما يريدون فقال : أنا شوية كلام عربى : قلت له كيف تعلمت ذلك ؟ وأنا أنظر الى زملائه وهم يقتربون الواحد تلو الآخر ، فاذا رأونى التفت نحوهم وقفوا ·

قال : أنا في الرياض كنت هناك ·

قلت : ماذا تعمل ؟ قال : كنت بقالة هناك أحمل كرتون ثم سكت عنه ولم أتكلم معه ، ولم ألتفت اليه ، لأنى خشيت أن يحمل زملاؤه حقائب بدل الكرتون !

وعندما يئسوا منى قام هو اليهم وأخذوا يتهامسون وهم منصرفون عنى ، وجاء الزميل وأخبرته بالأمر ، وكان هناك أيضا غير هؤلاء يحاول الاقتراب بحجة أنه يريد العربة ولكنى صرفته بقوة ·

وهكذا بتنا في مطار كراتشى الى الساعة الخامسة والنصف صباحا وبدأ الناس يتحركون لاجراء اللازم من وزن العفش وختم الجوازات فدخلنا الى القاعة التى فيها اجراء تلك

المعاملات ، ووزن العفش ولأول مرة في رحلتنا يوزن العفش ، لأن الشركات الأخرى تقرر للراكب ثلاث حقائب ، فاذا زادت عن الثلاث بعد ذلك تزن عفشه · وقال الموظف لزميلى زاد عن الوزن المقرر خمسة كيلو فقال الزميل مشيها فمشاها ، وكانت مخالفة للنظام ولكنها مشت !

*** موظف ثقيـــــــل :**

وبدا طابور المسافرين يتزاحم كل واحد يريد أن يسبق من قبله والعدد كبير ، والاجراءات يقوم بها اثنان فقط ، وكان أحدهما ثقيلا في اجراءاته فوضيا في تنظيمه ، فكان من مدّ له جوازه أخذه ويتأمل الجواز ثم البطاقة المرفقة سطرا سطرا واذا ختم الجواز سمعت صوت الختم كانه مطرقة نجار يدق بها وتدا ، فتزاحم الناس عنده ، وكان زميلى في الصف المتجه اليه ، فنصحته أن يخرج من هذا الصف القصير الذى سيكون أقصر منه الصف الطويل الآخر ، فخرج الزميل ودخل في الصف الآخر وكان فعلا هذا الصف أسرع من ذاك على رغم طوله ·

يوم الجمعة ٣٠ / ٨ وبعد انتهاء الاجراءات دخلنا الى قاعة الانتظار وهناك صلينا الفجر ، وفي الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين أقلعت بنا الطائرة من مطار كراتشى الى مطار الظهران فوق المحيط الهندى ثم الخليج العربى وكانت مدة الطيران ساعتين ·

*** في مطار الظهران :**

ونزلنا في مطار الظهران ، ودخلنا الى قاعة الاجراءات ، وكنت متعبا أكاد أسقط من شدة التعب والاعياء ، وتزاحم الناس فلم نزاحمهم فكنا في آخر الناس ، وعند الدخول كان مندوب الصحة واقفا يفتش البطاقات الصحية ، وكانت بطاقتى معى ، وبطاقة زميلى نسيها في حقيبته التى حملت في الطائرة · وكان قبلى ، قال له المندوب : أين البطاقة ؟ فأجابه : نسيتها في الحقيبة التى في الطائرة ، فقال له ادخل فدخل ، أما أنا فكانت بطاقتى واضحة مع الجواز ولكنه نظر الى فوجدنى انفخ من شدة التعب فقال : كانك مريض ، قلت : متعب ولست مريضا خشيت أن يؤخرنى للكشف على اشتباها في حالتى ·

واختلط الناس وصار المتأخر يتقدم والمتقدم يتأخر والموظف واحد فقط فجلست أنا وزميلى ننتظر انتهاء الناس ، ولكن بعد فترة جاء ركاب رحلة أخرى واختلطوا بركابنا حتى لم يجد الواقف مكانا لرجليه في الأرض الا أن يدوس على أقدام غيره ويدوس غيره على أقدامه ·

وهنا وثب زميلى وأخذ جوازى وجوازه وأراد أن يفعل ما يفعل الناس والا فسوف تقلع الطائرة قبل أن ننتهى ، وفعلا كان بعض أمواج الناس تقدمه وبعضها تؤخره حتى يسر الله له الأمر فانطلقنا الى الطائرة التى لم تقلع الا بعد ساعتين من هبوطها ·

ان النظام في الغرب يجبر صاحب الفوضى أن يحترمه ، والفوضى في بلاد الشرق تجبر المتمسك بالنظام أن يتلبس بالفوضى اضطرارا كأكل الميتة ومن أولى بالنظام المسلم الذى نظم له الاسلام كل حياته أم الكافر الذى كفره كله فوضى ؟

وفي تمام الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة ، نزلنا في مطار جدة ودخلنا في قاعة الجمرك فانتظرنا أثاثنا الذى تأخر ما يقارب ساعتين أو أكثر واتصلنا بالخطوط السعودية إن كان قد تم الحجز لنا عن طريق مكتب السعودية في كراتشي الذى وعدنا موظفوه بالحجز على الرحلة ٩١٢ التى غير موعدها في جدة الى ٩١٤ فلم نجد أسماءنا عندهم · واتصلنا ببعض اخواننا في جدة فجاء الينا ونقلنا الى بيته لنستريح قليلا ، ثم ذهبنا الى المطار ويسر الله لنا السفر وقد كدنا نيأس ·

وكان موعد اقلاع الطائرة الساعة الثالثة والنصف مساء ولكنه غير كما غير رقمها فأقلعت في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين ·

وكان هبوطها في الساعة السادسة والدقيقة العشرين ، وكانت آخر محطة لسفرنا ، كما كانت أول محطة لسفرنا قبل أربعين يوما والحمـــد لله رب العالمين ·

* نتـــــــائج الرحـــــــلة :

لقد استغرقت رحلتنا أربعين يوما زرنا خلالها لندن ونيويورك واندیانا وديترويت وشيكاغو وطوكيو وهنغ كنغ وكراتشى ولاهور وخرجنا بالنتائج الآتية : ـ

١ ـ عامة العالم الغربى لا يعرف عن الاسلام شيئا ، اللهم الا تشويهه من قبل أعدائه من اليهود وأتباعهم من أهل المذاهب الهدامة وسوء سلوك المنتسبين اليه الذين يرى فيهم أهل الغرب أحط الأخلاق ويفسرون الاسلام بسلوكهم وذلك دون شك ينفر الناس منه ·

٢ ـ المسلمون في الغرب أصناف : صنف يفهم الاسلام فهما جيدا ويحاول تطبيقه في نفسه والدعوة اليه ولكنهم قليلو الامكانات وهؤلاء يجب دعمهم بكل ما هو متاح من مال ومرشدين وأساتذة ومدارس ومساجد وكتب وغير ذلك ·

صنف متحمس للاسلام ويود تطبيقه بكل ما أوتى من قوة ولكنه يجهل الاسلام جهلا فاحشا ويطبقه تطبيقا مبنيا على هذا الجهل ، وهذا الصنف يجب أن يمد بالدعاة العلماء الحكماء والكتاب السليم والمنح الدراسية ٠

صنف يظهر تحمسا للإسلام والدعوة اليه في نطاق خاص من البشر ويظهر قبول تصحيح مفاهيمه ولكنه لازالت أفكاره الخاطئة تنشر في كتب ومجلات ولهم اتصال ببعض أعداء الاسلام كاليهود والقاديانية وهذا الصنف كسابقه ينبغى أن يمد بالدعاة والمنح الدراسية والكتاب ٠

صنف واضح الخطورة وهم الذين ينضمون الى الماسونية أو غيرها من الأحزاب الهدامة وهذا الصنف الأخير يجب التحذير منه وعدم مد يد العون له مطلقا ٠

٣ ـ جامعات الغرب مفتوحة للنشاط الاسلامي وكثير منها بها أقسام عربية وأديان مقارنة بما فيها الدين الاسلامي وفيها من الحرية ما يسمح بالنقاش والمناظرة حتى من قبل الطلبة المسلمين فلو كان طلبتها على مستوى جيد من الثقافة الاسلامية لكان لهم تأثير عظيم في شباب الجامعات الغربية بل في أساتذتها الذين يعطون الطالب الحرية الكاملة في النقاش والأخذ والرد ولكن المؤسف أن أغلب الطلبة على العكس من ذلك يقبلون ما يقال عن دينهم من تشويه لعدم ثبات عقيدتهم وقلة ثقافتهم الاسلامية ان لم يكن انعدامها وبعض الجامعات يود لو كان بها أساتذة مسلمون حقا في الشريعة الاسلامية يبثون حقائق الدين الاسلامى بأساليب علمية وان كان في نفس تلك الجامعات من لا يرضى بذلك ولا يطيقه ٠

وقد أخبرنا بعض أعضاء المركز الاسلامي في طوكيو أنه قد تمت الموافقة في جامعة تشوا على انشاء كرسى للدراسات الاسلامية وأنهم طلبوا ـ لعله من الرابطة ومن بعض الجامعات العربية ـ أساتذة مسلمين ينتدبون لتدريس أساتذة الجامعة المذكورة الشريعة الاسلامية في السنة الأولى وفي السنة الثانية يشترك الأساتذة المسلمون واليابانيون في تدريس الطلبة وفي السنة الثالثة يفتح قسم لتدريس الشريعة الاسلامية ٠ والجامعة المذكورة مختصة بتدريس القانون المقارن وأهلها راغبون في دراسة الشريعة الاسلامية فأين المؤسسات الاسلامية التى تغزو هذه الجامعة وأمثالها ؟

٤ ـ أحسن عمل نافع للدعوة الاسلامية : هى المنح الدراسية وفتح المدارس والكليات في العالم على أن تكون مدارس عملية يلحق بها مسجد وقاعة محاضرات وقسم داخلى ومستوصف صغير ، وهذا ما تفعله الكنائس في العالم ولا نجاح لها الا بذلك أما الكنائس التى تخصص

للعبادة فقط بدون خدمات فانها أخفقت والناس يريدون عملا قبل الكلام والمدارس أثبت وأنجح من مرشدين يمرون كسحابة صيف تنقشع بسرعة وان كان هذا أمرا لا بد منه لاقامة الحجة ·

وفتح المدارس في العالم ليس متعذرا فبعض الدول فيها من الحرية ما يسمح بذلك مثل أمريكا ومنها ما يمكن فيه مساعدة الأهالى المسلمين وهم الذين يفتحون المدارس ويعانون بالمال والمدرس والكتاب ·

٥ ـ نرى أن من أنفع الأمور للدعوة ونشرها أن يكون للجامعة ادارة مختصة بترجمة الكتب القديمة والحديثة باللغات المختلفة لنشرها في البلدان الأجنبية ·

وفي امكان الجامعة أن تختار من طلبتها المتخرجين من يجيدون تلك اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والسواحلية والأردية واليابانية والتركية والصينية واذا لم يوجد بعض الطلبة في بعض اللغات فيمكن التماس من يجيدون ذلك من خارج الجامعة فكتاب صحيح البخارى المترجم نفع نفعا عظيما في الغرب والناس يطلبونه بالحاح ويشترونه بأموالهم · وبالمناسبة فان أحد الباكستانيين طبع الكتاب المذكور بأذن من مترجمه وحقوق الطبع أصبحت له والناس يشكون منه بأنه استغله استغلالا فاحشا فيجب تنبيه المترجم كما أن الناس في الغرب يعتمدون على أى كتاب تقع عليه أيديهم يترجم معانى القرآن الكريم وأكثر الترجمات غير سليمة لذلك نوصى بطبع كميات ضخمة من ترجمة الدكتور محمد محسن خان لتوزيعها في العالم ·

٦ ـ لقد لمسنا نفع المتخرجين من الجامعة الاسلامية اينما حللنا لما يتمتعون به من فهم مباشر لكتاب الله وسنة رسوله عن طريق اللغة الأصلية لهما ولكونهم أحسن سلوكا من غيرهم في الغالب ولكن وجدنا أنهم في حاجة ماسة الى التدريب العملى على أساليب الدعوة وعلى الانفتاح على الثقافات العالمية والشبهات التى تثار سواء كانت في العقيدة أم في العبادة أم في الشريعة وقد سبق أن قدمت بعض الاقتراحات لمجلس شئون الدعوة وصورة لفضيلة نائب رئيس الجامعة تتضمن ما قد يساعد في هذا الباب ·

فان طلبة الجامعة يبقون عندنا على الأقل أربع سنوات وتنفق على تعليمهم الأموال الطائلة فيجب أن نكمل المشوار بتدريبهم عمليا على الدعوة وإن حرص الجامعة على السلوك الحسن لطالب الجامعة من أعظم ما يميز طالب الجامعة عن غيرها ولكن يجب أن يكون ذلك عن طريق الاقناع والتربية العملية أولا ومن لم ينفع معه الاقناع والتربية فليجبر على

السلوك الحسن تنفيذا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر · ولقد رأينا فرقا واضحا بين النوعين في بلاد المغريات ·

ولقد لمسنا ضرورة عقد مؤتمر لخريجى الجامعة الذين انتشروا في أنحاء الدنيا وأصبح كثير منهم لاتعلم عنهم الجامعة شيئا فإن ذلك من أنجح وسائل التوجيه المستمر للدعاة الى الله لذلك نرى متابعة طلب الموافقة على عقد هذا المؤتمر ·

المتخرجون الذين يعملون مع الرابطة أو ادارة الدعوة لاتكفيهم رواتبهم في الغرب لأن الراتب ثمانمائة دولار تقريبا والأسعار هناك مرتفعة جدا وأجور المنازل كذلك وما من أحد منهم وجدناه الا وهو يشكو من الدين وقلة ذات اليد والمفروض أن الداعية يزود بما يكفيه فانفاق المال على الدعاة الى الله وكفايتهم أمر لابد منه ولا يليق بالمسلمين أن يسبقهم الى البذل أعداء الاسلام ـ كالمسيحيين وأشباههم لذلك نرى ضرورة تنبيه الجهات المختصة الى ذلك ·

٧ ـ العالم الغربى لا يعرف عن العالم الاسلامى ومنه العالم العربى ومشاكله الا ما ينشره أعداء الاسلام في الغرب ، لأن أجهزة الاعلام كلها في أيدى شركات وأغلب الشركات يسيطر عليها اليهود · ومن السهل على المسلمين أن تكون لهم هناك أجهزة أعلام : محطات اذاعية قنوات تليفزيونية جرائد ومجلات تبين فيها للغربيين محاسن الاسلام وترد على خصومه وتشرح كذلك للناس مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية فان شركات صغيرة لها ذلك في الغرب بل أفراد فكيف بمؤسسات اسلامية ودول · ألا ليت قومى يعلمون فيعملون ·

ويمكن أن تساعد الجمعيات والاتحادات الاسلامية الصالحة لتقوم بالمهمة هناك ·

واذا كان الاسلام دين البشرية كلها ولها حق على المسلمين أن يبلغوها ذلك الدين وطرق التبليغ ميسرة والامكانات المادية موجودة والمتعاونون من المسلمين في تلك البلاد موجودون ويمكن أن يتعاقد مع الصالحين من المسلمين من جميع البلدان الاسلامية باللغات المختلفة للقيام بنشر الدعوة عن طريق أجهزة الاعلام والمدارس فهل بقى عذر للمسلمين القادرين ؟ ·

ولقد تجسمت لى عاطفة الاستاذ الندوى في عنوان كتابه المشهور ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين في هذه الرحلة أكثر من أى وقت مضى على الرغم من أنى قرأت الكتاب مرات ولكنى تخيلت الاستاذ الندوى تدمع عيناه مع قلمه وهو يكتب العنوان وحقا لقد كانت خسارة العالم فادحة : **فان الغرب قطع أشواطا بعيدة في الصناعة والتجارة والادارة**

وغيرها من النظم التى تحقق له الرفاهية المادية في ظاهر الأمر ولكنه يلهث لما يحقق له الراحة الحقيقية راحة القلب وطمأنينته وهذه لاتوجد الا عند المسلمين : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) والمسلمون يأكلون ويشربون وينامون متناسين أن لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة والله تعالى قد قال لنبيه (ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر) ، ومتناسين أنهم خير أمة أخرجت للناس يجب عليهم أن يقودوا البشرية الضائعة الى الله مع وجود الامكانات الهائلة في جميع المجالات وعلى الجامعة الاسلامية بالذات أن تحمل عبئها وأن تنفذ كل ما تقدر عليه من توصيات مؤتمر الدعوة وتوجيه الدعاة الذى دعت

اليه وعلى مجلس شئون الدعوة أن يصل ليله بنهاره لدراسة شئون الدعوة فعلا والتخطيط لمستقبلها في الدنيا دون نظر لشيء غير الواجب الملقى على عاتقه ولا يكون كبقية المجالس التى تجتمع وتنفض بالتألم والتأوه دون نتائج تذكر **ولقد بدا لي أن كثيرا من المراكز الاسلامية الرسمية في العالم ماهى الا فقاقيع تحب أن تحمد بما لا تفعل** فلا يجوز الركون اليها ولا الثقة بتقاريرها ٠

وأين نحن من مراكز الصليبية التى غزت كل العالم بكل ما عندها من قوة مادية ومعنوية ؟ ووالله لو كان دين الصليبية المحرف فيه شيء يوافق الفطرة ويقربه الى العقل لكان الناس قد دخلوا في الدين المذكور ولكنه يخالف الفطرة والعقل ولذلك تذهب جهودهم سدى اذا استثنينا اخراج المسلمين الجهال بدينهم من اسلامهم ٠

ولقد رأيت بأم عينى في لندن مجموعة من البشر أرخت شعورها وأطلقت لحاها وشواربها ومعها أدوات الموسيقى ومعهم بعض النساء وهم يضربون الدفوف ويرقصون ويغنون فسألت ماذا يقول هؤلاء : فقالوا يقولون أين الطريق أو كيف السبيل الى البيت من جديد وذكروا أن هؤلاء من أغنياء الناس خرجوا من منازلهم المترفه وتركوا أموال آبائهم الطائلة وسياراتهم الفخمة يبحثون عن راحة القلب وطمأنينته فلم يجدوها ويريدون أن يعودوا الى البيت فعلا ولكنهم لا يطيقون أيضاً لأنهم قد جربوه فقلت لزميلى يطلب منهم أن يتفاهموا معى فان عندى ما يريحهم وحقا كنت في غاية الحسرة عليهم ولقد دمعت عيناى وان كان الحاضرون يضحكون منهم فقال أحد المرافقين لنا إنهم لا يثقون في أحد يدلهم على سبيل الراحة ولا يتفاهمون بل ربما يضربون الذى يقول لهم ان عنده سبيلا الى راحة قلوبهم لأنهم قد يئسوا من المجتمع وقد كنت أظن أن ما يسمونه بالهيبز أمثال هؤلاء فقراء لم يحصلوا على من

يعينهم أو على أعمال تدر عليهم الرزق ففعلوا ما فعلوا ولكن الأمر انعكس فأين المسلمون الذين يدلون هؤلاء على راحة القلب واستقرار الضمير و (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ....

٨ ـ هذا . وقد حاولت جهدى أن يكون وصفي لأخلاق الغربيين وعاداتهم عادلاً غير جائر ، وقد يغضب غاضبون لذكرى بعض أوصافهم المحمودة ، كالتقيد ببعض الأنظمة المفيدة ، والنظافة والجد في الأعمال المادية النافعة ، غير أنى انطلق في تحليلى لتلك الأخلاق الايجابية ، وغيرها من أخلاقهم الذميمة السلبية من منطلقى العقدى الذى أدين الله تعالى به ، وهو الاسلام فأزنها كلها بميزانه ، وأشير الى أن أخلاقهم المحمودة مبنية على غير أساس ، ولذلك شبهت حضارتهم المادية ببالون الأطفال الذى يعجبهم منظره ولكنه سرعان ما ينفجر فيصبح مزقا ترمى في القمامة ، وقد يغضب أيضا لهذا غاضبون ، وليس غضب هؤلاء ولا أولئك بضائر ، لأن الله قد أمرنا بالعدل في كتابه ولو كان الذى يستحقه مبغوضا عندنا شرعا ، كما قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

واذا وجدت في الانسان صفتان : احداهما محمودة ، والأخرى مذمومة ، فالحق ان يحمد على ما يحسن ، ويذم على ما يقبح ولا يجوز الثناء عليه مطلقا ، ولا ذمه مطلقا ولقد أحسن الشاعر اذ قال :

الشيب كره ، وكره ان افارقه فاعجب لشيء على البغضاء محمود

وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا ونبينا ورسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

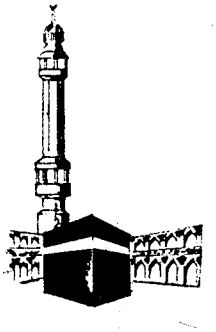

ردود و مناقشات

يوم عاشـــوراء

نشر فى جريدة « عكاظ » مقال بعنوان : (اليهودية وصوم عاشوراء) للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار يشكك فى تحديد يوم عاشوراء . فتصدى للرد عليه الدكتور نايف الدعيس بما يجلى الحق بأدلته . وفيما يلى نص المقال المذكور والرد عليه .

نص المقـــال :

كانت ديانة موسى عليه السلام تحوى أركانها الصوم . لأنه ركن في ديانات التوحيد ، وديانة موسى توحيد خالص . فلما حرفها اليهود وقلبوها ديانة وثنية غيروا صيام التوحيد . وإن كانت أسفار اليهود المقدسة خالية من نص على الصوم في وقت معين إلا صيام الكفارة الذى لم ينص عليه بلفظ الصوم أو الصيام وانما فسره الشراح به .

والنص الذى ورد هو ما جاء في سفر اللاويين - وهو أحد خمسة الأسفار التى تعرف بالتوراة - ١٩/٨٦ : « ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع عاشر الشهر تذللون نفوسكم .. لأن في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم . الخ » .

وتكرر هذا المعنى في سفر العدد - دهر من أسفار التوراة - ٧/٢٩ :

« وفي عاشر هذا الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس وتذللون أنفسكم » .

ولا يصرح السفران المقدسان لدى اليهود بلفظ الصوم . وإنما فسر الشراح تذليل النفوس بالصوم فصام اليهود هذا اليوم الذى هو اليوم العاشر من الشهر السابع في السنة العبرية .

ويعرف هذا اليوم الذى يصومه اليهود بيوم الكفارة وهو - حسب تعريفهم - يوم صوم وتكفير عن خطايا شعب اسرائيل ويقوم رئيس الكهنة في هذا اليوم بتقديم ذبائح التكفير .

ويمتنع اليهود في هذا اليوم عن العمل ويجتمعون في احتفال مقدس يصومون في اثنائه تكفيرا من الشعب كله عن خطاياه .

وهذا هو الصوم الوحيد المطلوب منهم حسب الناموس (١) .

ويصف « قاموس الكتاب المقدس » ذلك الاحتفال بقوله : « كان رئيس الكهنة ينزع في ذلك اليوم زينته الرسمية ، وبعد أن يستحم ويرتدى ثيابا بسيطة مقدسة مصنوعة من كتان أبيض .. الخ » .

ثم يصف تقدمة الذبائح ومراسيم الاحتفال الذى ينتهى بخلع رئيس الكهنة ثيابه الكتان ويعود إلى زينته الرسمية .

ويبدأ الصوم من غروب الشمس إلى غروبها من اليوم التالى ، وكانوا خلال هذه الفترة يمتنعون عن الطعام فاذا انتهت افطروا .

ويعرف هذا اليوم عند المسلمين بيوم عاشوراء وفي صحيح البخارى (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال « ما هذا » ؟ قالوا :

هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : « فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

وفي صحيح الإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا : هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « نحن أولى بموسى منكم ، فأمر بصومه » .

وفي مسلم أيضا : عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ « فقالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرا فنحن نصومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فنحن أحق وأولى بموسى منكم » فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه .

وفي « النهاية » لابن الأثير مادة عشرة (عاشوراء) ، هو اليوم العاشر من المحرم وهو اسم إسلامى وليس في كلامهم فاعولاء بالمد (٣) .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس .

(٢) طبعة بولاق الجزء الثالث صفحة ٤٤ .

(٣) يقصد أنه ليس في كلام العرب كلمة على هذا الوزن غير عاشوراء وعن ابن دريد أنه اسم اسلامى وأنه لا يعرف في الجاهلية ورد ذلك عليه ابن دجه بأن ابن الأعرابى حكى أنه سمع في كلامهم خابوراء ويقول ابن حجر : وهذا الأخير لا دلالة فيه على رد ما قال ابن دريد وذكر الجواليقى : ضاروراء وساروراء ودالولاء من الضار والسار والدال (فتح البارى ٢٤٥/٤ المطبعة السلفية) .

ومعروف على التحقيق أن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم كانت في شهر ربيع الأول وفي « فتح البارى » : « ولاشك أن قدومه كان في ربيع الأول فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر بصيام عاشوراء إلا في سنة واحدة ثم فوض الأمر في صومه إلى رأى المتطوع » .

ويظن كثير من الناس أن صيام اليهود يوافق يوم العاشر من المحرم وهو وَهْم . فما كان اليهود يصومون عاشوراء : العاشر من المحرم ، بل هو يوم عاشوراء آخر . ولا يسمونه عاشوراء . ولكنه يقع في اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة العبرية ، ولذلك التبس الأمر على شراح الحديث فظنوا أن صيام اليهود وقع يوم العاشوراء ولم يقع ذلك .

ومعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصل المدينة ودخلها يوم الاثنين المصادف يوم صيام اليهود وهذا اليوم العاشر من شهر تشرين الذى قابل - في تلك السنة - يوم العشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢ م وهو اليوم العاشر من شهر تشرين سنة ٤٣٨٣ عبرية (١) .

وقد جاء في مؤلفنا « حجة النبى صلى الله عليه وسلم » (٢) صفحة ٤٥٢ أن العلامة الكبير محمود حمدى باشا الفلكى قد حقق يوم مغادرة الرسول صلى الله عليه وسلم مكة مهاجرا إلى المدينة وبصحبته أبو بكر الصديق وقال : إنه يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق ١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م . ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية .

وإذا كان شراح الحديث وقعوا في وهم حملهم على اضطراب أقوالهم في تحديد يوم عاشوراء يوم صيام اليهود فإن محمود باشا الفلكى قد انتهى إلى وضع حد لما كان قد نجم من الوهم والاضطراب وقد أزالهما بتحقيقه الذى ذكرناه ، وكان قوله فيصل الأقوال فيما شجر من خلاف في هذا السبيل .

وإذا كان موسى قد صام يوم عاشوراء حسب تقويمهم شكرا لله سبحانه وتعالى لإنجائه فقد جاء في الآثار أن نوحاً عليه السلام قد سَبَقَ إلى صيامه ، لأنه كان يوم رسو سفينته على الجودى ، فصامه محمد صلى الله عليه وسلم شكرا لأنه أحق وأولى بنوح وموسى .

---

(١) هذا حساب العلامة المصرى الكبير محمود باشا الفلكى (راجع كتاب الاسلام دعوة عالمية للأستاذ العقاد في البحث الذى عنوانه « الوان من الصيام) .

(٢) الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

الرد على المقال المذكور :

كان بعنوان (عاشوراء صحيحة صريحة وصيام اليوم العاشر مشروع) وكان نص هذا الرد ما يأتى :

تحدث الأستاذ (أحمد عبد الغفور عطار) فى أحد أعداد عكاظ عن صيام يوم عاشوراء ، وكان له رأى فى تحديد ذلك اليوم ، ولم يوفق للصواب فيما ذهب إليه ، وانتظرت طويلا لأرى من ينبهه على مسلكه من العلماء أو المفتين فى هذه البلاد أو غيرها ، فلم أر ، فأردت أن أدلى بما أراه الحق والصواب ، لاسيما وأن ما ذهب إليه الأستاذ فيه مخالفة واضحة وجرأة عظيمة على ما كان عليه السلف والخلف اجمع فى معتقدهم حول صيام هذا اليوم الذى لم يختلف اثنان فى تحديده وانه العاشر من شهر المحرم .

وانما وقع الخلاف فى صيامه أو صيام اليوم التاسع من الشهر المذكور . والذى عليه جماهير العلماء من المحدثين والفقهاء هو صيام اليوم العاشر وهو اليوم الذى صامه النبى صلى الله عليه وسلم وعزم إن عاش الى عامه المقبل أن يصوم اليوم التاسع قبل صيام اليوم العاشر امعانا فى مخالفة اليهود ، عليهم لعنة الله .

وعاشوراء عربية فصحى على وزن فاعولاء نطق بها النبى العربى عليه الصلاة والسلام فقال : (هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه) .

وكانوا فى الجاهلية يصومون هذا اليوم دون منازع ، بل صامه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فى الجاهلية قبل البعثة .

وكلمة عاشوراء اشتقاقها يدل على فصاحتها كما يدل على معناها وتحديد اليوم الذى رغب فى صيامه .

ومثالها فى الوزن . خابوراء ، ساوراء ، ضاروراء ، دالولاء .

وليعلم الأستاذ (العطار) أن أحدا من السلف أو الخلف من العلماء أو العامة لم يقل بمشروعية صيام اليوم الذى قدم فيه النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اصلا حتى يقول بأن النبى عليه الصلاة والسلام قد صامه وأمر بصيامه .

ولا أعرف كيف راق له أن يخالف جماعة المسلمين بإبداء رأيه حول تحديد ذلك

اليوم زاعما أن المحدثين اختلفوا فى تحديده ، وليس كذلك بل يجزم خلافهم على النحو الذى ذكره وإنما الخلاف وقع بينهم فى صيامه أو صيام اليوم التاسع من شهر محرم ·

واللغة لا تساعد على ما ذهب اليه الأستاذ الباحث ولا العقل لمخالفة ذلك ما عليه المسلمون جميعا دون استثناء ·

وأحسب أن ما وقع فيه كان بسبب الفاء فى حديث (قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ·· فصامه وأمر بصيامه) وأمثاله من الأحاديث ، وباعتماده على ما حققه الفلكى المصرى بتحديد اليوم الذى نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى عليه السلام ·

فالأمر فى ذلك واضح ، فأما أن يكون الصحابى راوى الحديث حكى حال اليهود وفعلهم فى ذلك اليوم عند مقدمه عليه الصلاة والسلام ، وأما أن يحمل التعقيب الذى أفادته الفاء على التعقيب النسبى ، كقولهم بعث الله موسى فعيسى فمحمد عليهم السلام ، وشتان ما بينهم من الزمن ·

ولعل صيام اليهود تلك السنة وافق يوم عاشوراء من أول السنة التى تلت مقدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة ، وهو ما يؤيد الاحتمال الأول ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فحينئذ كان الأمر بذلك - يعنى صيام عاشوراء - فى أول السنة الثانية) يعنى من الهجرة ، ولا يخفى على الأستاذ أن الله تعالى قد تعبدنا - معشر المسلمين - بالأشهر القمرية وليس لحساب الأيام أى اعتبار عندنا ، اللهم إلا إذا خفى الهلال فعدة الشهر ثلاثون يوما ·

وعلى هذا فإننا نصوم ونفطر ونقوم بمناسك الحج فى الأيام التى كتب الله علينا فعل تلك المناسك فيها ، وكذلك الأمر فى صيام يوم عاشوراء الذى هو العاشر من شهر الله المحرم ، فان من أراد صيامه فليصمه فى هذا اليوم الذى أطبق المسلمون على تحديده جملة وليتبعه بصيام يوم أو يسبقه به ·

وليعلم الأستاذ العطار وغيره أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصم هذا اليوم مجاراة لليهود بل إنه قال : (أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) متابعة لصيامه له فى الجاهلية ، وصيامه له قبل فرض صوم رمضان ·

ومعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان فى آخر حياته يتعمد مخالفة اليهود والنصارى ويأمر المسلمين بذلك وشواهده كثيرة · والله الهادى إلى سواء الصراط ··

بقلم : الدكتور نايف الدعيس

• عَن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنهما
أنّ رَسُول ٱللّه صَلى ٱللّه عَليه وسَلم
صَامَ عاشُوراء وَأمَرَ بصِيَامِه
(متفق عليه)

• وَعَنهُ أنّهُ قال :
قَال رَسُول ٱللّه صَلى ٱللّه عَليهِ وَسَلم:
" لئن بقِيتُ إلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِع"
(رواه مسلم)

باب الفتاوى

مِنْ فَتَاوَى اللجنة الدائمة
لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالإِفْتَاءِ

أولا :

حكم الإسهام في الشركات التجارية

الحمد لله وبعـــــــد :

فقد اطلعت لجنة البحوث العلمية والإفتاء على ما ورد من المستفتى (هيف بن مبارك) وقد سأل مسألتين نذكرهما ونذكر جواب كل واحدة بعدها :

الأولى : أنا من سكان الكويت ، وعندنا شركات مساهمة خاصة بالأعمال التجارية والزراعية والبنوك وشركات التأمين والبترول ، ويحق للمواطن المساهمة هو وأفراد عائلته فيها ، فنرجو إفادتنا عن حكم الشرع في مثل هذه الشركات ..

الجواب : يجوز للإنسان أن يساهم في هذه الشركات إذا كانت لا تتعامل بالربا ، فإن كان تعاملها بالربا فلا يجوز ، وذلك لثبوت تحريم التعامل بالربا في الكتاب والسنة والإجماع ، وكذلك لا يجوز للإنسان أن يسساهم في شركات التأمين التجارى ، لأن عقود التأمين مشتملة على الغرر والجهالة والربا ، والعقود المشتملة على الغرر والجهالة والربا : محرمة في الشريعة الاسلامية .

الثانية : بالنسبة للشركات المذكوره أعلاه عندنا بالكويت إذا أحببت أن تساهم بالشركات المذكورة تبيع شهادات الميلاد الخاصة بأفراد عائلتك بالإضافة إلى شهادة الجنسية بمبالغ كبيرة ، فما حكم الشرع في حلالها وحرامها .

الجواب : لا يجوز للإنسان أن يبيع شهادات الميلاد الخاصة بعائلته على شخص آخر

من أجل أن يساهم في هذه الشركات بأسماء أصحاب هذه الشهادات ، بناء على أنهم أولاده وهم في الواقع ليسوا بأولاده ، وكذلك شهادة الجنسية فإن منح الجنسية من الدولة للشخص ، وصفة تمتع الشخص بهذه الجنسية له أنظمة ، وقد تختلف هذه الأنظمة باختلاف الدول ، فعلى من يتعامل بما ذكر أن يتقيد بأنظمة الدولة بالنسبة لشهادات الميلاد وبالنسبة للجنسية إذا كانت هذه الأنظمة لا تتعارض مع الشرع الاسلامى ، فإن هذا من التعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله به في قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » ، والخروج من أنظمتها ، بما يعود على الفرد والمجتمع والدولة بالفساد ، من التعاون على الإثم والعدوان ، وقد حرمه الله لقوله « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، ولأن هذا كذب حرام ، ولأنه من أكل أموال الناس بالباطل من الجانبين ، لأن كل واحد منهما أخذ المال بطريق محرم ، وهو الكذب والغش والخيانة للدولة ، وبالله التوفيق ،،،

ثانيـــا : ما حكم اللحم المذبوح في الخارج ؟

إن كان مذكى الأنعام أو الطيور غير كتابى (ككفار روسيا وبلغاريا وما شابههما) في الإلحاد ونبذ الديانات ، فلا تؤكل ذبيحته سواء ذكر اسم الله عليها أم لا ٠ لأن الأصل حل ذبائح المسلمين فقط (واستثنيت ذبائح أهل الكتاب بالنص) ، وإن كان من ذكاها من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، فان كانت تذكيته إياها بذبح رقبتها أو نحر في لبتها وهى حية وذكر اسم الله عليها أكلت اتفاقا ، لقوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وإن لم يذكر اسم الله عليها عمدا ولا اسم غيره ففى جواز أكلها خلاف ، وان ذكر اسم غير الله عليها لم تؤكل ، وهى ميتة لقوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) ، وان ضربها في رأسها بمسدس أو سلط عليها تيارا كهربائيا مثلا فماتت من ذلك فهى موقوذة ولو قطع رقبتها بعد ذلك ، وقد حرمها الله في قوله : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة) إلا إذا أدركت حية بعد ضرب رأسها قبلا وذكيت فتؤكل لقوله تعالى في آخر هذه الآية : (والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم) فاستثنى سبحانه من المحرمات ما ذكى منها إذا أدرك حيا ، لأن التذكية لا تأثير لها في الميتة ٠ وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

من أعمال
الشيخ

القلب

انفذ من ساحة الصدر إلى مشاهدة القلب ، تجد ملكا عظيما جالسا على سرير مملكته ، يأمر ، وينهى ، ويولى ، ويعزل ، وقد حف به الأمراء والوزراء والجند ، كلهم في خدمته ، إن استقام استقاموا ، وإن زاغ زاغوا ، وإن صح صحوا ، وإن فسد فسدوا · فعليه المعول ، وهو محل نظر الرب تعالى : ومحل معرفته ، ومحبته ، وخشيته ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والرضى به وعنه ، والعبودية عليه أولا ، وعلى رعيته وجنده تبعاً ·

فأشرف مافي الإنسان قلبه ، فهو العالم بالله ، الساعى إليه ، المحب له ، وهو محل الإيمان والعرفان ، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل ، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل · وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد ، والراعى للرعية ، والذى يسرى إلى الجوارح من الطاعات والمعاصى إنما هى آثاره ، فإن أظلم أظلمت الجوارح ، وإن استنار استنارت ، ومع هذا فهو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل ·

فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب ، الذى يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما ينطوى عليه من طاعته ودينه ، مصرف القلوب كيف أراد وحيث أراد · أوحى إلى قلوب الأولياء أن أقبلى إلىّ فبادرت ، وقامت بين يدى رب العالمين ، وكره عز وجل انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ·

كانت أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ومقلب القلوب) ، وكان من دعائه : (اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك) · قال بعض السلف : (القلب أشد تقلبا من القِدْر إذا استجمعت غليانها) · وقال آخر : (القلب أشد تقلبا من الريشة بأرض فلاة في يوم ريح عاصف) · ويطلق القلب على معنيين : أحدهما : أمر حسىّ ، وهو العضو اللحمى الصنوبرى الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وفي باطنه تجويف ، وفي التجويف دم أسود ، وهو منبع الروح · والثانى : أمر معنوى : وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص · وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان ·

وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان ، رأيت أعجب العجائب ، فهذا يلمّ به مرة ، وهذا يلمّ به مرة ، فإذا ألمّ به الملك ، حدثت من لمّته الانفساح ، والانشراح ، والنور ، والرحمة ، والإخلاص ، والإنابة ، ومحبة الله ، وإيثار محبته على ما سواه ، وقصر الأمل ،

والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور ، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه ، ولكن تأتيه لمة الشيطان ، فتحدث له من الضيق ، والظلمة ، والهم ، والغم ، والخوف ، والسخط على المقدور ، والشك في الحق ، والحرص على الدنيا وعاجلها ، والغفلة عن الله ، ما هو من أعظم عذاب القلب .

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله ، فمنهم من تكون لمَّة الملك أغلب من لمَّة الشيطان وأقوى ، فإذا ألمَّ به الشيطان وجد من الألم ، والضيق . والحصر ، وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب ، فيبادر إلى طرد تلك اللمَّة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها ، فهو دائما في حرب بين اللَّمتين ، يُدَالُ له مرةً ، ويُدالُ عليه مرة أخرى ، والعاقبة للتقوى .

ومنهم من تكون لمَّة الشيطان أغلب عليه وأقوى ، فلا تزال تغلب لمَّة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها ، فيموت القلب ، ولا يحس ما ناله الشيطان به ، مع أنه في غاية العذاب ، والضيق ، والحصر ، ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك الألم . فإن كشف أمكنه تداركه بالدواء وحسمه ، وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان ، حتى ينكشف عنه وقت المفارقة للدنيا ، فتظهر حينئذ تلك الآلام ، والهموم ، والغموم ، والأحزان ، وهى لم تتجدد له ، وإنما كانت كامنة تواريها الشواغل ، فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامناً وتجدد له أضعافه .

هذا بعض ماكتبه الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر (المعروف بابن قيم الجوزية) غفر الله له ، عن قلب الإنسان في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) وهو إن دل على شىء فإنما يدل على علم ، وفقه خلفه ، ودقة تحليل ، وغوص إلى معانٍ دقيقة لا يبلغ التعرف عليها كل أحد ، إلا من آتاه الله عز وجل البصيرة ، والحكمة ، ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً .

والإمام ابن القيم إمام جليل له من الكتب النفيسة ـ غير كتاب التبيان الآنف ذكره ـ كتب كثيرة ، لا ينبغى أن تخلو مكتبة المسلم منها جميعا إن لم يكن أغلبها .

ومن هذه الكتب : أعلام الموقعين ، والطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ومدارج السالكين ، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، وزاد المعاد ، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ..... وغير ذلك من الكتب الرائعة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأفسح له الدرجات العالية في جنات النعيم .....

سعد ندا

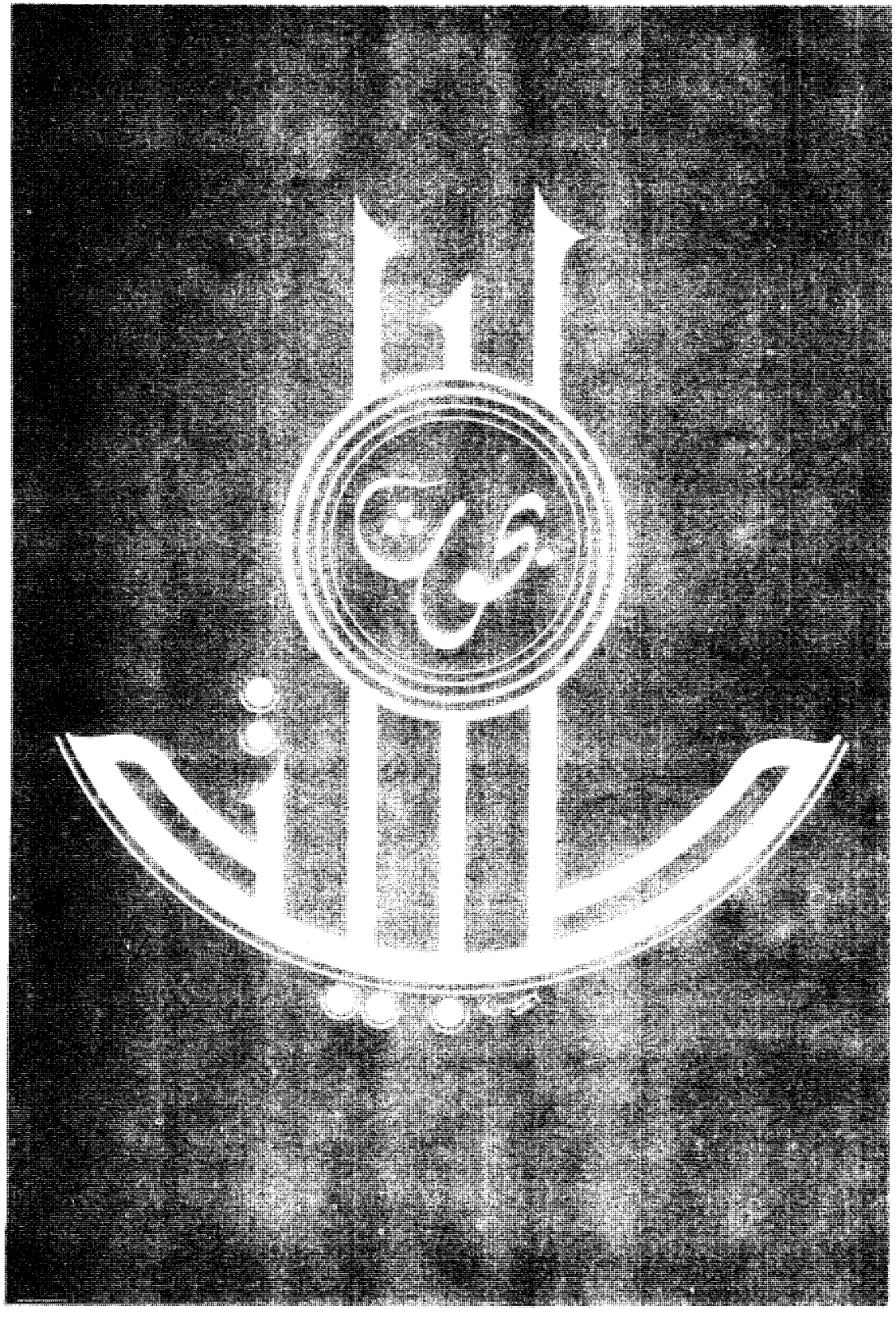

حاسة السمع

للدكتور فكري السيد عوض
طبيب العيون بالجامعة

خلق الله سبحانه وتعالى العباد ومنحهم من رعايته وفضله وأفاض عليهم من رحمته ، واستخلفهم في الأرض وزودهم بكل أدوات الخلافة من تركيب خاص وتكوين لائق بذلك وتسخير للطاقات الكونية .. ولذلك كان على البشرية جميعها أن تتفكر في آيات الله وبدائع خلقه ، وآثار صنعه ، وتدركه بآثار قدرته وتستشعر عظمته برؤية حقيقة إبداعه ومن ثم يخشاه الناس حقا ويعبدونه حقا بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر حتى لا يركبهم الغرور ويعرفوا أنهم هم الفقراء إلى الله وأن الله هو الغنى الحميد ....

ومن بين هذه النعم التى تفضل الله بها على عباده نعمة السمع .... وسنحاول أن نبين بعض أسرارها ونقف على جزء بسيط من هذه النعمة الغالية لنصل في النهاية إلى أن العلم الحديث ما زال يجهل الكثير عنها ، ولم يعرف بعد من أسرارها إلا القليل وصدق الله العليم إذ يقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ...

ظاهرة انتقال الصوت :

ينتقل الصوت نتيجة اهتزازات جزيئات المادة ... وكلما تكاثفت جزيئات المادة كلما كان الصوت أكثر سرعة ، فمثلا نجد أن سرعة انتقال الصوت في الهواء (٣٤٠ متر في الثانية) وهى أقل سرعة عنها في الماء (حيث يصل إلى ١٤٣٥ متر في الثانية) بينما تزداد السرعة أكثر من ذلك في المعادن بحيث يصبح في الإمكان أن تضع الأذن على شريط القطار وتسمع صوت مجيئه من بعد عدة كيلو مترات ... !! .

هل في مقدور الإنسان أن يسمع كل الأصوات التى من حوله ؟

إن قوة سمع الإنسان لها طاقة محدودة فهو يسمع الأصوات التى تتراوح ذبذباتها بين

١٦ إلى ٢٠ ألف هزة في الثانية الواحدة ... وإذا زاد الصوت عن هذا المقدار فإنه لا يسمع شيئا ولكن يحدث له شعور مزعج غير واضح قد يصل إلى درجة إيذاء الأذن ....

وهناك حيوانات تكون قوة سمعها أكثر حدة من الإنسان ، فمثلا القطط تسمع الأصوات التى تصل ذبذباتها إلى ٥٠ ألف هزة في الثانية ..... بينما نجد أن أعجب الحيوانات في هذا المجال هو **الخفاش** ، وهو حيوان ليلى يعيش في الكهوف وينشط أثناء الظلام ولذلك فإن الرؤيا عنده لاقيمة لها ، فحاسة السمع عنده عالية جدا حيث يسمع التوترات العالية التى تصل إلى ١٢٠ ألف هزة في الثانية ، فيقوم الخفاش بإرسال صرخات مافوق الصوت ثم تنعكس إليه ثانية فيسمعها بأذنيه الكبيرتين ، ويقرر بكل دقة بُعد الأشياء والفريسة تماما · وكذلك يحدد بشكل رائع اتجاهها ..... وقد قلده البشر .... وقلده العلماء ودرسوا هذه الظاهرة ، وكانت هى القاعدة الأساسية التى قامت عليها فكرة **الرادار** في اكتشاف الطائرات ..... فسبحان ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .....

(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ....) الأنعام ٣٨ ·

مصير الأصوات التى نسمعها :

في بساطة شديدة يصل الصوت إلى الأذن الخارجية التى تجمعه لكى يصل إلى غشاء الطبلة حيث يحدث اهتزازات على عظيمات السمع الموجودة في الأذن الوسطى التى تقوم بنقله إلى الأذن الداخلية التى تتولى تفسيره ونقله بشكل سيالة عصبية إلى العصب السمعى ثم إلى المركز السمعى العام في الدماغ أى في الفص الصدغى ·

تكوين الأذن :

يقول العلم الحديث إن الجهاز السمعى يبدأ تخلقه منذ بداية الأسبوع الثانى للجنين وهو في رحم أمه ويكون ذلك على هيئة حفرة على جانبى الرأس ، ثم تصبح حويصلة ثم تستطيل ثم تتكون الأذن الداخلية وبعد ذلك يتكون الدهليز السمعى ثم تتصل بالعصب السمعى .... وبتقدم وسائل العلم ثبت أنه في إمكان الجنين أن يسمع الأصوات منذ الشهر الرابع ، إنه عالم آخر تكفل به العليم الخبير ·

وتتركب الأذن من ثلاثة أجزاء :

أولا : الأذن الخارجية : هى صيوان الأذن الذى يؤدى إلى قناة سمعية خارجية تنتهى بطبلة الأذن وتقوم الأذن الخارجية بعملية تجميع الأصوات ·

ـ والقناة السمعية الخارجية يبلغ طولها ٢٫٥ سم تقريبا ، وتحتوى على الشعر في القسم

الأمامى وتحتوى أيضا على غدد صملاخية تفرز مادة الصملاخ لاصطياد (الغبار) وهى منحنية للأسفل حتى تخفف من وقوع الإصابة الخارجية بعكس ما لو كانت مستقيمة حتى لا يكون الأذى مباشرة على طبلة الأذن ٠

ثانيا : الأذن الوسطى : وهى قناة عظمية غضروفية بها غشاء الطبل ، وتحتوى على ثلاث عظيمات : واحدة تتصل بغشاء الطبلة (تسمى المطرقة) ، وأخرى تتصل بالأذن الداخلية (تسمى الركابة) ، وثالثة بينهما (تسمى السندان) ٠ وكل واحدة متعلقة بالأخرى ومتمفصلة معها ٠

وعندما تصل ذبذبات الصوت من الخارج ، يهتز غشاء الطبل ، وبالتالى تهتز هذه العظيمات فتقوم بتسريع وتوصيل الصوت إلى الأذن الداخلية ٠٠٠٠ وهنا تحس بأن يدا خفية تتحكم في كل هذه الأعمال ، وتخضع لسنن معينة محكمة دقيقة إلى أبعد حدود الدقة ٠ فلو كان الصوت القادم شديدا ، فإنه يحدث تكييف غريب ، ذلك أن هذه العظيمات تغير اتجاه تمفصلها بحيث يقى الأذن الداخلية من الأذى إلى حد ما بمساعدة تقلص العضلتين الموجودتين في الأذن الداخلية ٠٠٠٠ فمن الذى ألهم هذه العظيمات الصماء ـ التى لا يزيد وزنها عن ٥٥ ملجم أن تقوم بذلك ؟ ٠٠٠٠ إنه الخبير العليم ٠

ـ وهناك نوع آخر تتجلى فيه عظمة الله وهو الجزء الصغير من الأذن الذى يربط ما بين الأذن الوسطى وما بين البلعوم وذلك عن طريق قناة تسمى قناة « أوستاش » فلماذا وجدت هذه القناة ؟

تحدث ظروف طارئة ، ولولا وجود تلك القناة لتمزق غشاء الطبلة ٠٠٠٠ وهذا ما نلاحظه في حالات الرشح والتعرض للنزلات البردية ، أو قيادة السيارة لفترة طويلة ، أو ركوب الطائرة ، حيث نشعر بأن السمع يتناقص تدريجيا مع شىء من الألم الخفيف ولكن عندما نقوم بعملية البلع أو التثاؤب نشعر في الحال كأن الأذن قد فتحت وبدأنا نسمع بشكل طبيعى ٠٠٠٠ فما الذى حدث ؟

إن عملية البلع هذه تؤدى إلى تقلص عضلة خاصة تفتح فوهة هذه القناة فيدخل منها الهواء فيتعادل الضغط داخل الأذن وخارجها وبذلك يرجع كل شىء إلى حالته الأصلية ، ولعل هذا هو السر في أن الذين يرمون بالمدافع يبقون أفواههم مفتوحة أثناء انطلاق القذيفة وحدوث الصوت المرتفع حيث يتم تأمين اتزان الضغط إلى حد ما بين خارج الأذن وداخلها ٠

ـ كذلك تقوم تلك القناة بفوائد أخرى ، منها تصريف المخاط والسوائل التى قد

تتجمع في الأذن الوسطى إلى البلعوم ، فضلا عن أنها تمثل فتحة جيدة لإتقان السمع فيجود الصوت ويصفى بواسطتها ...

فقناة أوستاش تقوم بوقاية وحماية غشاء الطبلة ، وتنظيف الأذن الوسطى ، وتحسين وتجميل وإتقان جهاز السمع .....

ثالثا : الأذن الداخلية :

ـ وهى التى يوجد بها الجهاز الخاص باستقبال الأصوات .

ـ وتركيبها معقد فهى تحتوى على دهاليز وممرات معقدة حتى أن العلماء لم يجدوا لها اسما يطلق عليها إلا كلمة « التيه » .

ـ كذلك يوجد بها ما يثير دهشة الإنسان وتعجبه ، ذلك أن بها جهازا خاصا ذا تركيب معين فائدته القيام بدور هام جدا في حفظ توازن الإنسان ...

ـ أما الجهاز الخاص باستقبال كافة أنواع الأصوات فهو يسمى « عضو كورتى » حيث يحتوى على أكثر من ثلاثين ألف خلية سمعية وتعتبر كل خلية سمعية محطة كاملة لاستقبال جميع أنواع الاهتزازات الصوتية .... ومن هذا العضو تتصل الخلايا وتتكون الألياف العصبية في منتهى الدقة وتجتمع لتشكل العصب السمعى الذى يصعد إلى المخ لينتقل كل ما حدث في سيولة عصبية إلى المركز السمعى العام في الدماغ .....

ولنا أن نتسائل ؟

ـ أين تقع مراكز وخزائن الذاكرة للمسموعات ؟

ـ كيف تدرك الخلية العصبية الأمر وتفهمه ؟

ـ كيف يحدث تمييز الأصوات العديدة جدا عن بعضها البعض حيث تبلغ حساسية الأذن لسمع الأصوات درجة كبيرة فيمكن للأذن أن تميز ما بين ٣٤ ألف لحن مختلف في الشدة والتواتر .....

ـ كيف ... ؟ وكيف ... ؟ .. لانجد جواباً .

كل الذى توصلوا إليه هو كيفية انتقال الصوت إلى مركزه في الدماغ .

وصدق الله العليم إذ يقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

أيهما أفضل السمع أم البصر ؟

ـ قال الأكثرون إن السمع أشرف من البصر وكانت حجتهم : أن الله تعالى ذكر السمع في القرآن قبل البصر .. وأن السعادة كلها تكون باتباع الرسل والإيمان بما جاءوا به وهذا

لا يدرك إلا بالسمع · وأن العلوم الحاصلة بالسمع أضعاف أضعاف العلوم الحاصلة من البصر كذلك فإن فقد السمع يوجب ثلم القلب واللسان ، ولهذا كان الأطرش خلقة لا ينطق في الغالب ··· وأما فقد البصر فربما كان مفيدا من ناحية قوة إدراك البصيرة وشدة ذكائها ، ولهذا نجد كثيراً من العميان عندهم من الذكاء والفطنة مالا تجده عند البصير حيث أن تقلب البصر في الجهات ومباشرته للمبصرات على اختلافها يؤدى إلى تفريق القلب وتشتيته ولذلك كان الليل أجمع للقلب ، والخلوة أعون على إصابة الفكرة ··· ولهذا كان كثير من العلماء والفضلاء وأئمة الإسلام مكفوف البصر لكن لا أعرف أن فيهم الأطرش ····

ـ واحتج عليهم فريق آخر بأن أفضل نعيم أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله تعالى في الدار الآخرة وهذا لا يدرك إلا بالبصر ، ولا توجد حاسة في العبد أكمل من حاسة تراه بها ··· ثم قالوا إن كل ما ينال بواسطة السمع إنما هو وسيلة لهذا المطلوب الأعظم فتفضل السمع على البصر كفضيلة الغايات على وسائلها ····

وهنا يحسم المشكلة شيخ الاسلام ابن القيم بقوله (إن إدراك السمع أعم وأشمل وإدراك البصر أتم وأكمل فهذا له التمام والكمال وذاك له العموم والشمول ، فقد ترجح كل منهما على الآخر بما اختص به) ··· ثم استطرد قائلا (إن تقديم السمع على البصر له سببان :

أولا : أن يكون السياق يقتضيه بحيث يكون ذكرها بين الصفتين متضمنا للتهديد والوعيد أى أنى أسمع ما يردون به عليك وما يقابلون به رسالاتى وأبصر ما يفعلون ·

ثانيا : أن إنكار الأوهام الفاسدة لسمع الكلام مع غاية البعد بين السامع والمسموع أشد من إنكارها لرؤيته مع بعده ··· وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى فقال أحدهم **أترون الله يسمع ما نقول** فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا فقال الثالث إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا · ولم يقولوا أترون الله يرانا · فكأن تقديم السمع أهم والحاجة إلى العلم به أمسّ · كذلك فإن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح وأشدها تأثيرا في الخير والشر والصلاح والفساد بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال إنما ينشأ بعد حركة اللسان ، فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى وبهذا يعلم تقديم السميع على العليم فقال تعالى : (سميع عليم) ·

وإنَّ الأذن خير شاهد على عمل الإنسان :

يقول تعالى في سورة فصلت ١٩ ـ ٢٤ : (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ·

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون · وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؛ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون · وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين · فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين) ·

نسأل الله العليم المنان أن يعيننا على أداء ما وهبنا من نعم « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ·· » وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ··· اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا وأجعله الوارث منا ··· آمين وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ·

قال الله تعالى :

وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

(الذاريات آية ٢٠، ٢١)

مختارات من

مائة مليون ريال لتسويق الكتاب الإسلامى

تنفيذا لتوصيات (المؤتمر العالمى الأول للاعلام الإسلامى) الذى انعقد في جاكرتا عاصمة اندونيسيا ؛ تقرر رصد (مائة مليون ريال سعودى) لانشاء مؤسسة إسلامية لتوزيع الكتاب الإسلامى فى كل انحاء العالم الإسلامى ، وفى اجتماع تم انعقاده برابطة العالم الإسلامى تحت رئاسة معالى الشيخ (محمد على الحركان) الأمين العام للرابطة ؛ تم بحث الأسس التى سيقوم عليها المشروع ، ووافق المجتمعون على ان يكون رأسمال المؤسسة الإسلامية للتوزيع مطروحا فى الأسواق على شكل أسهم ، لكى تتعاون رءوس الأموال الإسلامية فى ابراز هذا المشروع الى حيز الوجود ، كما استقر الرأى على الأسس التالية لتنفيذ فكرة المؤسسة :

(١) ان تشترك الكفاءات الإسلامية فى وضع التصور النهائى لمشروع الشركة .

(٢) ان يكون النظام المعمول به فى الشركة متفقا مع نظام الشركات السعودية .

(٣) ان يكون المقر الدائم للشركة هو العاصمة المقدسة (مكة المكرمة) .

« المـــدينة »

المستقبل للإسلام في الاتحاد السوفياتي

قالت الصحف السوفياتية الناطقة باسم الحزب الشيوعي في جمهورية اوزبكستان المجاورة لايران انه لا يزال من الأمور المألوفة رؤية الأهالي المتوجهين الى « الأراضي المقدسة » لأداء فريضة الحج ويقيمون علاقات مع رجال الدين والمبشرين « المتعصبين » وقالت ان هؤلاء يلتزمون بدقة بتقاليد « لا علاقة لها باسلوب الحياة السوفياتية » .

وقالت وكالة الصحافة الفرنسية ان الالتزام ببعض الممارسات الدينية الاساسية ينتشر في كثير من المناطق الى حد أن المسافر العابر يمكن ان يلاحظها بسهولة .

ويوصى الزعيم الديني للمسلمين رجال الدين والوعاظ الذين لا تعترف بهم الدولة وان كان المؤمنون ينتخبونهم مباشرة لسدالعجز في عدد رجال الدين في الريف ، المؤمنين بأداء فريضة الحج بصفة أساسية .

وتعد حصيلة ستين عاما من محاولات تصفية الإسلام كبيرة الى حد ما فقد

أغلقت غالبية المساجد وتحول بعضها الى متاحف مناهضة للدين في حين أصبحت المدن الرئيسية للاسلام مثل سمرقند ، وبخاري من مدن المتاحف ولم يبق في جميع انحاء الاتحاد السوفياتي الا مدرستان لتعليم القرآن في بخاري وطشقند .

وعلى الرغم من ذلك فان نتيجة الحملة المناهضة للدين خلال السنوات المقبلة مشكوك فيها . وقد اعترف السكرتير الأول للحزب الشيوعي في تركمانيا بأن الدين الإسلامى يعتمد على جذور متينة في الاتحاد السوفياتي حتى بين الشباب .

وهكذا وفي عام ألفين سوف يصل تعداد المسلمين الى ٧٠ مليونا أي بما معدله ربع السكان وقد ينمو ثقل جمهوريات آسيا الوسطى وفي مناطق استراتيجية مثل حدود ايران وأفغانستان والصين .

(الوطن الكويتية)

كيف يحارب الاسلام

ـ الموضة في لندن الآن .. هي جماعات التبشير الديني .. أسماء مختلفة .. مألوفة وغريبة .. لجمعيات ظاهرها يعمل فى العلن .. وحقيقتها جمعيات سرية .. تدعو لأديان نعرفها .. كالمسيحية والبوذية والهندوكية .. أو لا نعرفها كابناء القمر وملكوت يهوه .. والحب للجميع .. والله الواحد .. وعشرات من الأسماء الأخرى ..

ـ كل جمعية لها ناد وأعضاء واجتماعات وكتيبات ورحلات وحفلات يلعب الجنس الناعم فيها دورا لا بأس به في اغراء وضم صغار السن .

ـ الخطورة أن هذه الجماعات تعمل بدأب بين صفوف المسلمين .. خاصة الشباب ..

ـ بل إنها نجحت بالفعل في اجتذاب عدد غير قليل منهم .. انضموا إلى صفوفها وبدأوا في تجنيد زملاء لهم ..

ـ جماعة الأب ديفيد مثلا .. والذي يسمي نفسه رسول الحب الجديد .. والتي ينتشر أفرادها انتشارا كبيرا في أحياء العرب في لندن .. تدعو للجنس الجماعي .. فتيات على درجة كبيرة من الجمال والذكاء .. تقوم بتوزيع دعوات ومنشورات مزينة بالرسوم التوضيحية .. تدعو فيها الشباب الذي يعاني الوحدة إلى توديع وحدته ومشاكله .. ومشاركة الجماعة في نشاطها .. وتؤكد بوضوح أنه عند التحاق الشاب بالجماعة سيجد متعة كاملة .. ولا مانع بالطبع من ذكر بعض العبارات عن المسيح الذي أمرهم بالحب !!

ـ فهل يدرك المسلمون هذا الخطر الداهم فيحضنوا شبابهم الذين يبعثون بهم إلى الغرب قبل أن يَضيعُوا منهم إلى الأبد ؟ !

أحداث
المعالم الأسلامي

اندونيسية : الاسلام فى خطر كبير ..

فى اجتماع المجلس العالمى للكنائس الذى عقد فى صيف عام ١٩٧٨ م لرسم سياسة منظمة لنشر المسيحية فى اندونيسية ، وقف أحد الجنرالات وهو « سيماتيو بانغ » يقول : (١) يجب الانتفاع من وجود ضباط نصارى فى الجيش والحكومة لتعيين « قادة نصارى » فى القوات المسلحة لكى يمكن توجيهها فى الدفاع عن النصرانية . (٢) يجب تسخير وسائل الاعلام لاشعار العالم بقوة النفوذ النصراني فى اندونيسية . (٣) كل المؤسسات التجارية والصناعية والاجتماعية المتعصبة للاسلام يجب محاربتها واضعافها . (٤) يجب كسب تأييد الحزب الشيوعى الأندونيسي كى ينحاز الى الجانب النصرانى . (٥) يجب زيادة المساعدة التى يقدمها مجلس الكنائس العالمى للمستشفيات والمدارس الأندونيسية . (٦) يجب أن تمارس العبادة المسيحية بمصاحبة الانغام الموسيقية وباللهجات المحلية . (٧) يجب اظهار الاسلام والعبادات الاسلامية بمظهر التخلف والعبث ، والحاق الأذى والضرر ، فيقال مثلا : ان الصوم يضعف الا بدان . وان مياه الوضوء فى الصباح تسبب مرض الروماتزم .. وهكذا .

الشركة الاسلامية للاستثمار

اعلن متحدث باسم الشركة الاسلامية للاستثمار أن الشركة قامت خلال السنوات الثلاث الماضية باصدار صكوك مضاربات للمسلمين على أسس الشريعة الإسلامية وقد نجحت هذه المضاربات فى اجتذاب وتجميع ملايين الدولارات من آلاف المشاركين فى جميع انحاء العالم الإسلامى ، وقد اصدرت الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء التابعة لرئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء بالمملكة السعودية فتوى تؤيد وتشيد بهذه المضاربات وتوصي بتشجيعها . وقد قامت هذه الشركة بتأسيس شركة قابضة تسمى (دار المال الإسلامي) وسوف يتم طرح أسهم رأس مالها الذي تبلغ قيمته ألف مليون دولار على مراحل وستطرح الشركة فى المرحلة الأولى اكتتاباً بمقدار (٢٥٠) مليون دولار . وسوف تزاول (دار المال الاسلامي) اعمالها من خلال فروع لها فى تسعة وأربعين بلداً إسلامياً ، بالاضافة إلى الشركات الفرعية فى اوربا والولايات المتحدة والشرق الأقصى .

الأمة القطرية

مأساة الإسلام في مدغشقر

اتصل بنا بعض المسلمين الذين نثق بأخبارهم وحدثونا عن الحوادث المؤلمة التى وقعت فى ماجنقا قبل عام وكيف **استغل المالاقاشيون الحاقدون حادثة فردية فى قتل الآلاف من المسلمين القمريين بحيث انقلب الأمر إلى مذبحة حقيقية مارسها الملاقاشيون الكفار وبعضهم من الرعاع والسوقة** · وأيدهم فى ذلك من جاء من رجال الجيش لحل الاشكال وفض النزاع وحفظ الأمن · فكانوا الخوف للمسلمين القمريين والأمن للكفار الملاقاشيين ·

وقد قيل إنه اشترك فى ذلك بعض المسؤلين وانهم حرضوا الجنود بعد أن بدأت المذابح وقالوا : الى النهاية حتى يكون ذلك درساً للقمريين · وحدثنى احد المسلمين الملاقاشيين انه اضطر ان يسافر الى ماجنقا فى وقت الحادثة · وهو مسلم وزوجته مسلمة ، فغير كل واحد منهما اسمه ، وكان للرجل صديق من الملاقاشيين نصحه بان يحمل غصنا من الأشجار ويسير به فى الشارع فلا يؤذيه احد لأن هذا هو علامة الملاقاشيين من غير المسلمين ·

وقالت زوجته : ان الكفار كانوا يفتخرون امامها بأنهم قتلوا القمريين وانه لم يضرهم احد ظنا منهم انها غير مسلمة ·

وهناك حوادث فردية فظيعة منها : انهم دخلوا بيتا لأحد المسلمين فوجدوا شيخاً يصلى فقتلوه ثم عمدوا الى فراش هناك فوضعوه داخله واحرقوه ·

ومنها ان اعداداً من المسلمين القمريين كانوا يتجمعون فى بيت يظنونه محصنا أو صاحبه ذا قدر من المسلمين فيدخل عليهم أولئك ويقتلونهم ·

وعلى أية حال فان **الحقد الذى يكنه الكفار للمسلمين القمريين فى ماجنقا** الذين هم كانوا عماد الحركة الاسلامية فى مدغشقر ، وكان لهم نفوذ تجارى ومالى وثقافى قد انفجر وأيده بعض المسئولين بصفة شخصية ووصلت نار الحقد الى حد ان أصيب بعض المساجد بالضرر **ونهبت متاجر وهتكت أعراض** · وعاد الآلاف من المسلمين القمريين الى بلادهم (جزر القمر) فراراً من القتل أو الاضطهاد ·

عن كتاب
مدغشقر
بلاد المسلمين الضائعين

أخبار الجامعة

انعقاد المجلس الأعلى للجامعة الاسلامية في دورته الثانية عشرة

عقد المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دورته الثانية عشرة تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية وقد أناب سموه صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة في افتتاح هذه الدورة . وذلك في تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة ١٤٠١ هـ .

وقد بدأت الجلسة الافتتاحية بتلاوة آيات من القرآن الكريم أعقبها كلمة الأمين العام للجامعة فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته جاء فيها :

(ان من توفيق الله تعالى لهذه الحكومة السنية انشاء هذه الجامعة لتكون منارا علميا في مركز الاشراق الأول وفي دار الهجرة والايمان واستهدفت من تأسيسها ايقاظ ابناء العالم الاسلامى الوافدين اليها ، وارشادهم الى طريق ربهم وسبل نجاتهم وسعادتهم ودعوة أممهم الى دين الله الحق الذى ارتضاه لهم) وأبرز فضيلته صورا من رعاية المملكة العربية السعودية لهذه الجامعة وذلك بتولى جلالة الملك المعظم رئاستها الفخرية وسمو ولى العهد الأمين ونائب رئيس مجلس الوزراء رئاسة مجلسها الأعلى » كما ذكر فضيلته ثمارها الطيبة بقوله « فما من قطر من

أقطار العالم الاسلامى الا وفي الجامعة الاسلامية طالب دارس ، ومتخرج عامل في حقل اسلامى » ثم اختتم فضيلته كلمته بالدعاء لهذه البلاد وأن يحفظ الله لها حماتها ورعاتها وينفع بهم دينه ، ويعلى بهم كلمته ودعا لأعضاء المجلس بالتوفيق في أداء الأمانة التى حملوها ·

ثم وجه صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة الكلمة الآتية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعـد : أيها الأخوة : فانه من دواعى سرورى واغتباطى أن شرفنى صاحب السمو الملكى ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة أن أتشرف بالنيابة عنه في افتتاح دورتكم الثانية عشرة ، واننى اذ أحضر معكم هذه الجلسة فإنه لمن دواعى سرورى ان اجتمع بكم بعد أن اجتمعت بكم عدة مرات · وإننى لواثق أن قراراتكم التى ستتخذونها ستكون إيجابية بحيث تكون الحاجز القوى المنيع أمام التيارات الملحدة الكافرة التى تريد القضاء على الإسلام والمسلمين في شتى أنحاء الأرض ·

إخوانى : أوصيكم وأوصى نفسى بأن يتخذ كتاب الله وسنة رسول الله نبراسا لجميع العالم · وإن عليكم مسئولية كبرى هى أن ترشدوا أبناء الإسلام وغيرهم الى أنه لا خلاص للبشرية مما هى فيه من شرور كثيرة إلا بالإسلام وباتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم · وانى لأرجو الله أن يوفقنا وإياكم إلى مافيه الخير والسداد وأن يأخذ بأيدينا إلى ما يرضيه إنه على كل شىء قدير ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

ثم ألقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة كلمة الجامعة وهى :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن نزغات الشياطين .... من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ألا اله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين :

أمـــا بعـــــــد :

فان من نعم الله على عباده ان يهديهم أولا إلى الإسلام ثم يوفقهم ثانيا إلى صدق

الدعوة اليه ويثبتهم ثالثا على تينك الهدايتين حتى يلقوه على ذلك وتعظم نعمة الله على العباد بذلك كلما كان للانحراف عن الصراط المستقيم سوق رائجة ودعاة نشطون ناهيكم عن الضغوط المتلاحقة المتباينة التى تمارس ضد المخلصين إذا سلموا أن يكونوا فريسة اختيارية أو جبرية لدعاة الانحراف ودهاقنته من الشياطين المتلونين ٠

ونحن في الجامعة الاسلامية مع أولئك المسلمين المتعطشين للعلم والمعرفة ندرك الدور الذى تقوم به قيادة هذا البلد الأمين تجاه العالم الاسلامى بسخاء في ميادين كثيرة أهمها ما يتصل بنشر العلم وتصحيح العقيدة حتى تكون على المنهج الإلهى المنزل في القرآن العظيم والموروث من صحيح السنة النبوية المطهرة متمثلا ذلك في تأسيس الجامعة الاسلامية التى خصصت لأبناء الأمة الاسلامية ٠

هذه الجامعة التى جاء تأسيسها استجابة لسد حاجة المسلمين في مجال العلم الشرعى والعقدى الصحيح بعد أن كادت الأمة تصاب بيأس وهى تتلفت يمنة ويسرة ومن كل جهة لتسمع صوتا مغيثا لها على أيدى من يختارهم الله لذلك ٠ واذا كانت الجامعة الاسلامية استجابة حقيقية لحاجة الأمة الاسلامية فانها كذلك تأتى تصحيحا للممارسات السلوكية في شتى النشاطات والحاجات البشرية والنفسية وهى بذلك تكون أيضا إسهاما صحيحا لتعديل مسار البشرية الى الحياة الحرة الكريمة التى تتعاون مع التصور الفطرى السليم في أعماق النفس السليمة من التلوث في بناء حضارة انسانية تخدم الانسان ولا تستخدمه وتحقق له مستوى من العدل والطمأنينة في كل حياته ونشاطاته سواء منها ما كان يتصل به أو يتصل بغيره من الأفراد والجماعات (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) بدلا من أن يكون مطية للشر والأطماع ونهبا للقلق والفتن يثيرها أو تثار ضده وهي بذلك التصوير الحق ليست تحقيقا لأطماع أو مكاسب شخصية كما أنها ليست مؤسسة ضد أحد ولكنها لخير الجميع وأنها كذلك تختلف كلية عن المؤسسات الإلحادية أو التنصيرية أو ماشاكلها فإن مقاصد دعاتها صراحة أو مضمونا صرف الناس عن منهج الله الحق وتحقيق مكاسب شخصية ومادية مع ما فيها من مكابرة العقل والفطرة ٠

وقد عانت البشرية في القرون التى تلت انحسار الاسلام عن أكثر البقاع التى كانت معمورة به حين ضعف سلطان الإسلام على تلك المجتمعات وانتشر الجهل والظلم فيها بفعل دعاة الشر والفساد ٠

واليوم ونحن نشاهد في كل جهة في العالم آثار الصحوة الاسلامية وخيوط فجر الأمل

المرتقب في عودة هذا الدين إلى تلك الربوع نشعر بثقل المسئولية الواجب أداؤها علينا في هذه البلاد التى أفاء الله عليها من فضله نعما لاتحصى أعظمها نعمة الاسلام والدعوة اليه وتحمل مسئولية إبلاغه إلى جانب النعم الكثيرة ونسأل الله من فضله أن يرزقنا شكرها على الوجه الذى يرضيه ٠

وإن هذه الجامعة المباركة التى أثمرت خيرا كثيرا للمسلمين في أماكن كثيرة لسوف تعطى ثمرات لاتقف عند حد باذن الله وسنشاهدها عما قريب ان شاء الله ٠

إن هذه الجامعة بفضل الله ثم بفضل قادة هذه الدولة المسلمة وفي طليعتهم جلالة الملك خالد وولى عهده حفظهما الله قد تحسست آلام الأمة الاسلامية التى تعيش بين الشعوب الأخرى فجسدت شعورها بهذا الإحساس بالألم الى أمل يؤاسى الجرح ويستجيب لنداء الملهوف والمظلوم بتخريج أفواج مؤمنة بالله حاملة مشعل الهداية الى جانب إتقان المعارف التطبيقية والتقنية التى تخدم العلم الشرعى بل التى يصحح العلم الشرعى مسارها لتكون لصالح الإنسان لأنه إنسان لا لأنه مشتر منفعة أو طالب خدمة عليه أن يقدرها ويتحقق بذلك أيضا منهج سلفنا الصالح الذى كان به العالم المفتى في قضايا الدين مرجعا للناس في قضايا الفلك والطب والرياضيات ، وانما كان الفصل بين العلوم الكونية والتطبيقية والعلوم الشرعية حين كان السلطان لغير الدين وفي عهود الاستعمار التى أعادت استعباد الانسان لغير الله كما في العهود الجاهلية الأولى أو أشد ٠

أسأل الله أن يبارك للمسلمين في جامعتهم وأن يجزى قادة هذه البلاد على ما بذلوه ويبذلونه لصالح الأمة الاسلامية خير الجزاء ٠

كما أسأله أن تكون جامعتكم عند حسن ظنكم وظن المسلمين جميعا ، واسمحوا لى في ختام هذه الكلمة أن نرفع باسم مجلسكم الموقر برقية شكر وعرفان بالجميل لمقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الرئيس الفخرى لهذه الجامعة ولصاحب السمو الملكى الأمير فهد ابن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة ، كما نشكر لصاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة على رعايته حفل افتتاح مجلسكم الموقر نيابة عن حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد الرئيس الأعلى للجامعة وعلى كل ما يبديه من تعاون بناء وتوجيه كريم لصالح هذه الجامعة ٠

وأشكر لكم ما أبديتموه من تعاون مبرور في سائر الدورات وعلى ما ستبدونه من تعاون مقبل ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

***

ثم ألقى سماحة الشيخ يوسف الحجى كلمة الأعضاء حيا فيها قادة المملكة العربية وأشاد بالدعم المستمر منهم لهذه الجامعة لكى تؤدى الأعمال الجليلة الصالحة وأشاد بالنتائج الملموسة لهذه الجامعة والتى يشاهدها من يزور البلدان الاسلامية وغير الاسلامية فيرى آثار خريجيها في نشر الدعوة الاسلامية ·

وقد استمرت أعمال هذه الدورة في جلسات مغلقة بعد الجلسة الافتتاحية مساء يوم الثلاثاء ومساء الأربعاء وصباح يوم الخميس ومساءه برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز · وناقش المجلس جدول أعماله وفي الجلسة الختامية مساء يوم الخميس ألقى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كلمة توجيهية جامعة شكر فيها الله على ما وفق اليه من انهاء الأعمال وشكر فيها الأعضاء على ما قاموا به من جهود مشكورة وشكر فيها قادة المملكة على ما يولونه هذه الجامعة من رعاية ودعم خدمة لقضايا الاسلام والمسلمين · وحث فيها عامة المسلمين وخاصتهم على التمسك بحبل الله المتين والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ·

ثم ألقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد كلمة الجامعة تناول فيها أهم ما انتهى اليه المجلس من قرارات في هذه الدورة وهى : ـ

١ ـ الموافقة من حيث المبدأ على اقتراح بانشاء كليات تطبيقية ككلية الطب والهندسة والزراعة خدمة لا بناء العالم الاسلامى الذين تشتد حاجتهم الى مثل هذه الكليات على أن تقدم رئاسة الجامعة الدراسات اللازمة لانشاء مثل هذه الكليات العملية في الدورة القادمة ·

٢ ـ الموافقة على اقتراح مقدم من رئاسة الجامعة بانشاء كلية للغات الأجنبية والدراسات الإسلامية ·

٣ ـ الموافقة على إنشاء دراسة تكميلية لطلاب الجامعة الوافدين الذين يقل مستواهم العلمى في الدراسات الاسلامية واللغة العربية عن مستوى ثانوية الجامعة ·

٤ ـ الموافقة على الحساب الختامى للجامعة للعام ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ

ـ ثم ألقى كلمة الأعضاء سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى أشاد فيها بالدور العظيم

الذى تقوم به المملكة العربية السعودية في دعم هذه الجامعة الاسلامية التى تتميز عن غيرها من الجامعات الاسلامية في مختلف القارات بتخصصها في الدعوة الاسلامية ودعا الى أن تكرس جميع المواهب والطاقات البشرية الى خدمة الدعوة الى الله ·

* وقد أقامت الجامعة حفل غداء في فندق شيراتون المدينة ظهر يوم الخميس ١٤٠١/١١/١٢ تكريما لأعضاء المجلس الأعلى على شرف صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن ابن عبد العزيز أمير منطقة المدينة · حضره وكيل منطقة المدينة سعادة الشيخ سعد ناصر السديرى وجمع غفير من أعيان المدينة وعلمائها وعمداء كليات الجامعة وعدد كبير من الأساتذة والموظفين في الجامعة ·

« نشاطات الجامعة فى الصيف »

الجامعة الاسلامية مع المسلمين فى أنحاء العالم

انطلاقا من مسئولية الجامعة الاسلامية عن نشر الدعوة الاسلامية وأداء لواجبها الأسمى نحو المسلمين فى كل مكان تتحرك الجامعة بأجهزتها المختلفة فى الإجازة الصيفية لتلتقى بالمسلمين فى أوطانهم لتتعرف حاجاتهم ، وتطلع على أحوالهم ·· وتسهم مع قادتهم فى حل قضاياهم وتقديم ما يحتاجون اليه من دعم مادى أو معنوى فى سخاء من غير من ولا أذى ، وانما تقدم جهودها وفاء بحق المسلم على المسلم ·

وعلى جبهات كثيرة فى العالم حيث يكون المسلمون فى الشرق أو الغرب تجد الجامعة الإسلامية ، رئاسة وأساتذة وطلابا تشارك التجمعات الاسلامية فى مؤتمراتهم وندواتهم وفى جامعاتهم ومعاهدهم ومدارسهم ، تقدم العون خالصا ، والنصيحة مجردة من النفع أو الهوى ·

ونأخذ من حركة الجامعة فى صيف هذا العام (١٤٠١ هـ) اللقطات التالية :

(١)

« رحلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية فضيلة الدكتور عبد الله الزايد » فى صيف هذا العام

قام فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد برحلة عمل فى صيف هذا العام استغرقت ثلاثة أسابيع من شهر شوال ١٤٠١ هـ التقى فيها بكثير من المسلمين فى المؤتمرات واللقاءات الإسلامية المختلفة ·

وقد بدأت هذه الرحلة بزيارة مدينة ميونخ فى جنوب ألمانيا الاتحادية · وكانت هذه الزيارة بمناسبة إقامة المؤتمر الأول للمراكز الاسلامية وقد وافق صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة على حضور ذلك المؤتمر ·

ثم زار فضيلته تنزانيا تلبية لدعوة موجهة من دولة نائب رئيس جمهورية تنزانيا الشيخ عبود جمبى ، وتمت هذه الزيارة بموافقة من صاحب السمو الملكى الرئيس الأعلى على إجابة الدعوة ·

وبين هاتين المناسبتين بين ألمانيا فى الغرب وتنزانيا فى الشرق قام فضيلته بزيارة للمسلمين فى كل من أسبانيا ، وفيينا ، وميلانو فى إيطاليا ·

وأجاب فضيلته عن سؤال حول نتائج هذه الزيارات وعما قدمته الجامعة من خدمات فى هذه البلاد التى زارها بقوله : « قد وقفنا على حال المسلمين فى تلك الجهات ولمسنا مدى تطلعهم الى المملكة العربية السعودية باعتبارها الرائد الحقيقى للمسلمين ·

وأضاف فضيلته : لقد زودنا كثيرا من الجهات التى زرناها ببعض النسخ من القرآن الكريم ، والكتب والمقررات الأخرى كما قررنا زيادة عدد المنح الدراسية وتخصيص عدد أكبر منها للبلدان التى تشتد حاجة أهلها الى التعليم لعدم توافره فى بلادهم أو لأسباب أخرى ·

(٢)
الجامعة فى الدورات التدريبية لمعلمى اللغة العربية والثقافة الإسلامية

(أ)
دورة نيجـــيريا

بالتنسيق والتعاون مع الاتحاد العالمى للمدارس العربية الإسلامية الدولية منذ صيف العام الماضى ترسل الجامعة الإسلامية عددا من الأساتذة وهيئات التدريس بها لتدريب معلمى اللغة العربية والثقافة الإسلامية الذين يقومون بتدريس العربية والإسلام لغير العرب ·

وفى العام الماضى عقدت دورتان إحداهما فى الفلبين والثانية فى نيجيريا ·

أما فى صيف هذا العام فقد أرسلت مجموعة من الأساتذة إلى نيجيريا وأخرى الى كل من باكستان ثم بنجلاديش ·

وتأتى هذه الدورات فى نطاق ما تضطلع به الجامعة الإسلامية من مسئولية الدعوة الإسلامية حسب ما ينص عليه نظامها ·

وقد أقيمت دورة تدريب المعلمين فى جامعة بايرو بمدينة « كانو » وكان مجلس الجامعة قد أصدر قرارا بإقامة هذه الدورة برئاسة الدكتور على بن محمد بن ناصر فقيهى عميد شئون المكتبات ، وقررت انتداب خمسة عشر عضوا من هيئة التدريس ، وقد أعد المسئولون عن الدورة من الجامعة والاتحاد العالمى للمدارس العربية برنامجا للتدريس لمدة شهرين وقد اشترك فى هذه الدورة التدريبية أكثر من ثلثمائة معلم نيجيرى ممن يقومون بتدريس العربية والدين لأهل بلادهم من غير العرب ، وكانوا جميعا من الولايات الشمالية بنيجيريا ·

وقد أثمرت هذه الدورة التدريبية ثمارها فى المعلمين إذ تقدم للامتحان فى نهاية الدورة ٢٣٠ معلما منحوا شهادة إتمام هذه الدورة فى اللغة العربية والثقافة الإسلامية من قبل الاتحاد العالمى للمدارس العربية ·

ولم يقتصر أثر أساتذة الجامعة الإسلامية على قاعات الدرس بل تجاوز ذلك الى آفاق أوسع وأرحب فى المجتمع المسلم من نيجيريا ، فقد اشترك الأساتذة فى إلقاء محاضرات دينية وتوجيهية فى قاعة مدرسة العلوم العربية طوال شهر رمضان ، كما كان بعضهم يلقى دروسا دينية فى الوعظ والفقه والارشاد فى مسجد جامعة بايرو ، وتولى أحدهم إلقاء خطبة الجمعة خلال فترة التدريب كل ذلك كان يتم بناء على رغبة المسئولين الرسميين فى نيجيريا ·

وكان التعاون تاما والحمد لله بين المسئولين فى الجامعة ، ومسئولى الاتحاد العالمى للمدارس العربية إيمانا من المسئولين بأن تدريس اللغة العربية لغير العرب هو أسهل الطرق لدعوة المسلمين وغيرهم من أهل البلاد إلى الاسلام بلغة يفهمونها من بنى وطنهم ·

(ب)

الدورة التدريبية فى باكستان وبنجلاديش لمعلمى اللغة العربية والثقافة الاسلامية

وامتدادا للأهداف والغايات فى دورة تدريب معلمى اللغة العربية لغير العرب التى أقيمت فى نيجيريا أقيمت دورتان أحداهما فى مدينة بيشاور فى باكستان وثانيتهما فى « دكا » عاصمة بنجلاديش ، وقد قرر مجلس الجامعة اقامة دورتى « دكا وبيشاور » برئاسة الدكتور محمد السيد الوكيل ومعهم مشرف ادارى هو الشيخ عبد الكريم صلاح المطبقانى وقد

أقيمت دورة بيشاور بكلية التدريب لتطوير القرى واشترك فيها من معلمى اللغة العربية مائة معلم واستمرت الدورة ثمانية عشر يوما ٠

وقد قام أعضاء وفد الجامعة بكثير من النشاطات خارج قاعات الدرس حيث زار الوفد ممر خيبر على حدود أفغانستان وزار معسكر الجمعية الإسلامية الأفغانية والكلية العسكرية وأقام الحزب الاسلامى برئاسة المهندس حكمت يار حفل عشاء تكريما للوفد ... كما أقام كل من معالى وزير الأوقاف باقليم مسرمد ، ونائب رئيس جامعة بيشاور وضابط الاتصال المسئول عن مخيمات المجاهدين حفلات غداء وعشاء تكريما لوفد الجامعة الاسلامية ٠

أما دورة دكا فى بنجلاديش فقد استغرقت ٣٥ يوما واشترك فيها ١٧٤ وكان مقر اقامتها كلية تدريب المعلمين بمدينة دكا ٠

وقد نشط وفد الجامعة الإسلامية فى نشر الدعوة الإسلامية من خلال المنابر التى أعطيت لرئيس الدورة أو أعضاء هذا الوفد فقد عقدت ثلاث ندوات موسعة فى القاعة الكبرى للكلية وألقيت محاضرات ودروس فى مساجد دكا بعد صلاة الجمع بالتنسيق مع المسئولين فى السفارة السعودية وبعض رؤساء الجماعات الاسلامية ٠

وقد أقيم للوفد حفلات تكريم متعددة منها على سبيل المثال حفل أقيم فى المركز الاسلامى وآخر فى الجامعة القرآنية ، ومن جمعية أهل الحديث ، ومن اتحاد الطلاب بجامعة دكا ٠ وفى حفل توزيع الشهادات أقام الاتحاد العالمى للمدارس العربية حفلا كبيرا لتوزيع الشهادات دعى اليه رئيس الوزراء الذى أناب عنه وزير المواصلات ، ووزير التعليم وكبار الشخصيات ورؤساء الجماعات والجامعة الاسلامية ٠

وقد حققت هذه الدورات آثارها الحسنة والحمد لله ـ وذلك كما ذكر أحد مرافقى الدورة تمثل فى التحسن الذى طرأ على نطق معلمى اللغة العربية وكتاباتهم وفى فهمهم لطريقة الأسئلة والإجابة ، كما أسهمت الدورة فى توعية المسلمين من أهل البلاد عن طريق المحاضرات والندوات فى المساجد ودور العلم وتم ذلك بالتنسيق مع رجال سفارة المملكة العربية السعودية ٠

(٣)

المعسكر الصيفى للطلاب المقيمين فى المملكة خلال عطلة الصيف

تمنح الجامعة طلابها من مختلف أنحاء العالم تذكرة سفر جوية ذهابا إلى أوطانهم فى نهاية العام الدراسى وإيابا فى بداية العام الجديد ٠ وبالرغم من هذه التسهيلات التى تمنحها

الجامعة لطلابها فان بعضهم يرغب فى قضاء العطلة الصيفية فى المملكة لأسباب مختلفة ، منهم من تحول الظروف السياسية فى أوطانهم دون العودة اليها ، ومنهم من يرغب فى التزود بزاد روحى فى قربه من بيت الله الحرام فى مكة ، ومن المسجد النبوى فى المدينة ·

وفى صيف هذا العام أقامت الجامعة الاسلامية مركزا صيفيا فى مكة المكرمة ليتحقق الهدف الروحى المنشود عند هؤلاء الطلاب الذين يفضلون البقاء بجوار بيت الله الحرام يتزودون بزاد من الإيمان والتقوى ·· وقد اختيرت دار الحديث بمكة مقرا لهذا المركز ومقرا لإسكان هؤلاء الطلاب واستمر هذا المعسكر أغلب أيام شهر رمضان ·

وقد وضع لهؤلاء الطلاب برنامج تربوى فيه العديد من الأنشطة الدينية والفكرية والرياضية · وكان الطلاب يحرصون على أداء الصلوات الخمس يوميا فى المسجد الحرام ويصلون صلاة التراويح وقد قسم الطلاب الى أربع أسر : أسرة أحمد بن حنبل وأسرة ابن تيمية وأسرة ابن القيم ، وأسرة محمد بن عبد الوهاب ويشرف على كل منها أحد المدرسين ورائد من الطلاب وقد تنافست الأسر فى مجالات النشاط المختلفة من صحافة ولافتات وملصقات وإلقاء كلمات وأناشيد وتمثيليات ـ وقد حفل المعسكر بالمحاضرات الدينية القيمة التى كان لها تأثيرها فى الطلاب ، وقد قضى طلاب المركز الصيفى يوم عيد الفطر فى زيارة الطائف والتقوا بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الذى ألقى فيهم كلمة إرشادية حثهم فيها على طاعة الله والإقبال على طلب العلم ·

(٤)
وفـد نيجـيرى فى زيارة الجامعة

حضر الى الجامعة الاسلامية وفد من جامعة عبد الله بايرو بمدينة « كانو » بنيجيريا يتكون من ٢٠ طالبا بالسنة النهائية بقسم الدراسات الاسلامية والعربية · وكانت جامعة بايرو قد طلبت من فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية اشتراك هؤلاء الطلاب فى المعسكرات التى تقيمها الجامعة ، ولتعذر الحجز فى شركات الطيران وصلوا متأخرين بعد انتهاء المعسكر الصيفى الذى أقامته الجامعة لطلابها فى مكة ، ولكن نائب رئيس الجامعة أمر بان تعد لهم عمادة شئون الطلاب برنامجا تربويا حافلا بألوان النشاط الثقافى والرياضى ·

وقسم هذا الوفد الطلابى النيجيرى الى أسر أسند أمر الاشراف عليها الى طالب من الدراسات العليا ، وقد أقام هذا الوفد على ضيافة الجامعة حتى أدوا فريضة الحج ·

(٥)

الجامعة الاسلامية ومخيم جامعات الخليج فى الحج

اشتركت الجامعة الاسلامية وجامعات المملكة مع جميع جامعات دول الخليج فى إقامة مخيم يبلغ عدد طلابه من مختلف الجامعات المشتركة فيه ١٥٠٠ ألف وخمسمائة طالب منهم ١٠٠ طالب من الجامعة الاسلامية اختيروا من أحسن الطلاب خلقا وسلوكا ونشاطا ومن طلبة الدراسات العليا والسنوات النهائية فى كليات الجامعة .

وقد التزمت الجامعة الاسلامية بتقديم كثير من الخدمات لهذا المخيم الاسلامى الكبير ومن ذلك تأمين وسائل الانتقال من مكة والمدينة لضيوف الرحمن فى هذا المخيم من خارج المملكة بعدد ١٥ حافلة كبيرة (اتوبيس) وتأمين وايت ماء وسيارة جيمس وأربع سيارات وانيت واستضافة عدد ٥٠٠ طالب و٢٠ مشرفا أثناء زيارتهم المدينة المنورة بعد الحج وتحمل نفقات ١٠٠ طالب من خارج المملكة تبلغ نفقاتهم خمسين ألف ريال .

(٦)

مساهمة الجامعة مع الأمانة العامة للتوعية فى الحج

تم ترشيح ٢٠ طالبا للقيام بواجب الترجمة لدى الأمانة العامة للتوعية الاسلامية فى الحج بمكة المكرمة من ١٥ / ١١ الى ٢٠ / ١٢ / ١٤٠١ هـ وروعى فى اختيارهم تمثيلهم لكافة لغات العالم الإسلامى مثل الأردية والفارسية والهوسا واليورا والسواحلية الى جانب اللغات الأوربية .

(٧)

الاعداد لمؤتمر الدعوة والدعاة فى الجامعة الاسلامية

وافق صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة على اقامة مؤتمر الدعوة وإعداد الدعاة فى مقر الجامعة فى طيبة الطيبة .

وقد صرح فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة بأن الجامعة الآن تتخذ الاجراءات لاقامة هذا المؤتمر إذا توفرت البحوث العلمية الكافية ان شاء الله ولذا تكونت لجنة لمتابعة البحوث التى ترد من علماء المسلمين فى كل مكان وكذا لوضع الخطط اللازمة علميا لإنجاح هذا المؤتمر حتى يؤتى ثماره المرجوة خدمة للإسلام ونفعا للمسلمين .

مجلة الجامعة الإسلامية

الالتزام برد البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتابها ولا يلزم إبداء أسباب عدم نشرها.

خطوط: محمد المرسي السيد

محتويـــــات العـــــدد

الموضـــــــــوع	الصفحة
• قبس من كتـــاب الله	
• من نـــور النبـــوة	
• حكمـــة العـــدد	
• كلمـــة التحرير ... ...أمتنـــا المسلمـــة	١٣
* بحوث إسـلامية	
ـ التفسير وأصـولـــه :	
أداء الأمانـات والحكم بالعدل — للشيخ أبى بكر الجزائرى	٢١
من مظاهر البلاغة القرآنيـة — للدكتور على محمد حسن العمارى	٢٩
ـ الحديث وأصـولـــــه :	
إزالة الشبهة عن حديث التربة — للشيخ عبد القادر السندى	٤٧
ـ العقيـــــــدة :	
مسلك القرآن في اثبـات البعث — للدكتور على بن ناصر الفقيهى	٦٥
مفهوم الأسمـــاء والصفـات — للشيخ سعـــد نـــدا	١٠٤
البدع وأثرها في انحراف التصور الإســـــلامى — للشيخ صالح السحيمى	١٠٨
ـ الفقـــه وأصـولـــه :	
رخصة الفطر في رمضان وما يترتب عليهـــا من آثـــار — للدكتور أحمد طه ريان	١٢١
الحدود في الإســـلام — للدكتور جمعة على الخولى	١٣٨
الرق في الجاهليـة والإسـلام — للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل	١٥٣
دراسـات في أصول الفقـه — للدكتور على أحمد با بكر	١٦٣

الموضـــــــــوع		الصفحة
ـ الثقافة الإسلامية :		
القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق	للشيخ محمد الراوى	١٧٧
التربية الإسلامية للشباب	للدكتور عبد الرحمن بله	١٨٩
خصائص ومقومات الإقتصاد الإسلامى	للشيخ محمد إبراهيم برناوى	٢٠١
أساليب الدعوة الى الله تعالى في القرآن الكريم	للدكتور أبو المجد سيد نوفل	٢١٥
حقوق الإنسان في الإسلام	للشيخ عبد الفتاح عشماوى	٢٢١
* سيرة وتاريخ		
أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية	للدكتور جاد محمد رمضان	٢٣٣
* إحياء التراث الإسلامى		
كتاب في رؤية الله تبارك وتعالى	تحقيق الشيخ محفوظ الرحمن السلفى ...	٢٥٣
* لغة وأدب		
رسائل لم يحملها البريد	للشيخ عبد الرؤوف اللبدى	٢٦٧
بحث في صيغة أفعل	للدكتور مصطفى أحمد النماس	٢٧٧
الحداثة في الشعر العربى في العصر الحديث	للدكتور عبد الباسط بدر	٢٨٤
برهان الحق في الخلق (شعر)	للدكتور عز الدين على السيد	٢٩٤
شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن (شعر)	للشيخ يوسف الهمزانى	٢٩٦
عِبَر وَ عَبَرات (شعر)	للشيخ محمد المجذوب	٢٩٧

الموضـــــــــوع	الصفحة

* جولات علمية

في المشارق والمغارب — للشيخ عبد الله أحمد قادرى ٣٠٣

* ردود ومناقشات

يوم عاشوراء ٣١٩

* الفتاوى

حكم الإسلام في الشركات التجارية ٣٢٧

ما حكم اللحم المذبوح في الخارج ٣٢٨

* من أعماق الكتب

القلب ٣٣١

* بحوث طبية

حاسة السمع — للدكتور فكرى السيد عوض ٣٣٥

* مختارات من الصحف ٣٤٣

* أحداث العالم الإسلامى ٣٤٧

* أخبار الجامعة ٣٤٩

* محتويات العدد ٣٦١

* القسم الإنجليزى ٣٦٥

القسم

The first thing to be done in pilgrimage is the entry into the state of pilgrimage by " Ihram ". Ihram has two aspects : the first is to declare the intention to perform pilgrimage for the sake of Allah. The intention is combined with casting off all seamed and sewn clothes and shunning all kinds of luxury, ornamentation, obscene talk and offences. As regards women pilgrims they are clad in a long garment reaching from head to foot and revealing only the face and palm of the hands. The second aspect of Ihram is the call of ' Talbia '. Entering the state of Ihram the pilgrim shall raise his voice and say :

« لَبَّيكَ اَللّهُمَّ لَبَّيكَ » (Here I am, O my Lord at Your Presence). This is the sign of obedience to show himself completely to the Ordinance of Allah.

The other important requirement is making circuits round the Ka'ba, called ' Tawaf '. When the pilgrim reaches Makkah, he goes round the Ka'ba seven times beginning from the side of the Black Stone. The next step is running between ' Safa and Marwa '. Then the pilgrim starts for going to Arafat provided he reaches his destination on the 9th day of the month of Dhul Hijja. The devotion of standing at Arafat is the most important of all pilgrimage actions, so that the Prophet said : " pilgrimage is standing at Arafat ".

When the pilgrim leaves Arafat he passes by the place known as ' ALmuzdalifa ' where he has to spend the night. The pilgrim reaches the area of ' Mina ' on the morning of the 10th day of the month of Dhul Hijja, in which the pilgrim casts seven stones known as ' Jamaratul Aqaba '.

Then the pilgrim performs the sacrifice of a sheep, a goat, a caw, or even a camel according to his means. This ceremony concludes the pilgrimage and the pilgrim now is allowed to shave or cut–short his hair and to replace pilgrim's clothes by the usual dress. Then he has to perform the ' Tawaf al–Ifada '.

Before leaving Makkah he has to perform the circuits round the Ka'ba as farewell salute to the sacred House. It is called the ' farewell circuits '. It is regarded highly meritorious act to drink of the water of the famous well near the Ka'ba known as Zum–Zum well, and go to Madina to visit the mosque of the Prophet and pray there and say Salam to the Prophet. Then the pilgrim returns back with heart–felt pleasure and satisfaction.

The Prophet's Mosque of Madina, Al-Aqsa Mosque of Jerusalem, Umayyad Mosque of Damascuss, Al-Azhar Mosque of Cairo and all the mosques of the world are connected with the Sacred House of Makkah, as it is the direction of all mosques of the world, and the central point of the Muslims. The significance of this land and its connection with the Father of the prophets, Abraham, the ancestor of the Arabs, Ismail and the last of the prophets Muhammad (peace be on them) find clear mentions in the following verses; The Holy Quran referred to the prayers offered by Abraham and Ismail after the completion of the re-building of Ka'ba at Makkah:

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم = البقرة ١٢٨ ، ١٢٩ .

It means : " Our Lord ! And make us submissive unto Thee and of our seed a nation submissive unto Thee, and show us our ways of worship, and relent toward us. Lo ! Thou art the Relenting, the Merciful. Our Lord ! And raise up in their midst a messenger from among them who shall recite unto them Thy revelations, and shall instruct them in the Scripture and wisdom and shall make them grow. Lo ! Thou, only Thou, art the Mighty, Wise ".

The pilgrimage was enjoined in the 9th. year after Hijra. This is to be performed in the first nine days of the month of Dhulhijja.

The Holy Quran honors the months of pilgrimage and calls them the sacred months because fighting, war and aggression were prohibited in those months since the building of the sacred House. The Holy Quran declares :

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيمْ ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . التوبة ٣٦ .

" Lo ! The number of the months with Allah is twelve months by Allah's ordinance in the day that He created the heavens and the earth. Four of them are sacred : that is the right religion, so wrong not yourselves in them ".

The months of pilgrimage are Shawwal, Dhul Qa'da, Dhul Hijja and Muharram. This tradition was meant to give security to the pilgrims and the visitors to Makkah.

In another verse of the Quran Abraham is spoken of: " And when We assigned to Abraham the place of the House saying, Do not set up aught with Me and purify My House for those who bow and prostrate themselves ". Then addressing Abraham, the revelation continues: And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on feet and on every lean camel ; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days over the best of cattle that He hath bestowed upon them. Then eat thereof and feed therewith the poor unfortunate. Then let them make an end of their unkemptness and pay their vows and go around the ancient House ".

As a historical evidence of antiquity of Ka'ba the Holy Quran proclaims the Ka'ba as the first House of Divine worship on earth. In one place it is called ' Al-Bait al-Atiq ' or the Ancient House. It is also called as ' Bait al-Haram ' which carries the meaning of ' forbidden '; in other words, a place whereof the sanctity must not be violated. There is nothing in the Holy Quran to show when and by whom the Ka'ba was first built. The Quran makes it clear that the Ka'ba was already there when Abraham left Ismail in the wilderness of Arabia as the Quran said : " I have settled some of my offspring in a valley unproductive near Thy Sacred House... ".

It also appears from this verse : " ... And when Abraham and Ismail raised the foundations of the House... ". that the Ka'ba was rebuilt by Abraham and Ismail. It appears from this that Ismail and his mother had been purposely left near the Sacred House. WhenAbraham left them in the wilderness of Arabia the Ka'ba was in a demolition. After that the father and the son re-built the House.

As the city of Ka'ba which is the first sanctuary to be erected for mankind on earth, Makkah is called in the Quran " Mother of villages ". The eyes of the whole Muslim world are fixed on that central spot which saw the first rays of the Divine guidance. The Sacred House of Makkah is called Ka'ba on account of its glory and exaltation, for the root word Ka'ba means: to become prominent, high or exalted.

All mosques of the world are built facing it. It should be born in mind that the clear object of Qibla is to bring about a unity of purpose. So as Muslims have all one centre to turn to, they must set one goal before themselves. The city of Makkah is situated in the centre of all great Sacred places of the Muslim world.

« وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنيّ أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم . ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ،ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون » . إبراهيم ٣٥ ـ ٣٧ .

It means : " When Abraham said : My Lord ! Make safe this territory and preserve me and my sons form serving idols. My Lord ! Lo ! they have led many of mankind astray. But whoso followeth me, he verily is of me. And whoso disobeyeth me still Thou art Forgiving, Merciful. Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House, Our Lord ! that they may establish proper worship; so incline some hearts of men that they may yearn towards them; and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful ".

In the conference of Pilgrimage Muslims meet in the Service of Allah exchanging ideas, investigating their problems and strengthening the bonds of fraternity and unity. The pilgrimage also adds to man's knowledge and experience. Differences of color, race and nationality are levelled off and the real bond among them is sincere brotherhood.

Why Is Makkah Chosen For Hajj ?

The sacredness of Makkah is spoken of in still clear words in the following verses of the Quran :

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين » . النمل ٩١ .

It means : " I am commanded only that I shall serve the Lord of this city, Who has made it sacred, and His are all things. And I am commanded to be of those who surrender (unto Him) ".

In one of the earliest revelations of the Quran Makkah is described as " the Land made safe ". In another revelation it is referred to as follows :

« لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد .... » . البلد ١ ـ ٣ .

It means : " Nay I swear by this City. And thou art an indweller of this City. And the begetter and whom he begot ".

it was this man and his son who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Makkah. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make pilgrimage. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon the Ka'ba, for there is concentrated the adoration of millions. The Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Ka'ba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

There are many traditions and legends surrounding the Ka'ba and Black Stone but it is accepted by all Muslims that the Ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was rebuilt by Ibrahim and his son Ismail. The Black Stone is the Only original stone left after many centuries and many reconstructions. Historical references to the Ka'ba is very limited before Islam, and only begins at the time of Muhammad (peace be on him), when the Ka'ba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood.

It is reported that when the time came to replace the Black Stone, the people of Makkah quarelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it, and he himself placed it in its position. Thanks to his wisdom, every one was pleased and no one was offended. At that time Ka'ba became a place of heathen worship and when the Prophet conquered Makkah there were found nearly 400 idols around the Ka'ba. All these were destroyed and the building was then purified to become once again a place of true worship, and all idolators were forbidden to enter Makkah. In the 10th year A. H. the Prophet led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time, the guardianship of the Ka'ba was entrusted to Uthman, and Banu Shaiba have retained this title until the present day.

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square which stands on a marble base in the middle of the great mosque of Makkah. In the eastern corner of the room is the Black Stone (الحجر الاسود). The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass. There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created the Ka'ba was a focus in the flux of pre–existence and that the world was formed from this particular point.

Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the Ka'ba corresponds with the pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth. The following is the prayers of Ibrahim from the Holy Quran :

Once, while he was walking to his father's house the day gradually faded, night came and a star appeared, when he saw this star he said : " That is my Lord ". But when it set he said : " o I do not love things that set " Then he saw the moon appear and said : " That is my Lord ". When this also set he said : " Surely if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of the lost ". Then the sun rose and he said : " That is my Lord who is the greatest of all "

But this also set and when it did so he said : " O my people : I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Greator of heaven and earth ". After this, there came a time when the people left the town and Ibrahim remainded behind. While they were gone, he took an axe and went to the temple where the idols stood. Then he broke them into pieces and scattered them all exept one large idol into whose hand he put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Ibrahim of the deed and questioned him saying : " Are you the man who did this to our gods ? " Ibrahim answered them : " Surely the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak ". The people were confused and said : " You know well that they cannot speak ". Then Ibrahim replied : " Do you then, disregarding Allah, the Lord of the Universe, worship those things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols ". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

Then the prophet Ibrahim had to make a supreme sacrifice. He was going to sacrifice his only son Ismail to his Lord who had put him to such a hard and severe test. In a dream he was commanded by Allah to sacrifice his son. When he told his son of his dream, he understood and told his father that he must do what he thought he had to do. Together they went to a certain place in the valley of Mina and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the alter and exposed his throat to his father's knife.

Ibrahim stood over his son, knife in hand, about to take the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit himself to his father's wish : both of them submitting to the Will of Allah. Just as Ibrahim's knife was about to descend to his son's throat he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal, an, Divine voice commanded him : " This animal will be sacrificed and not your son ". Then taking the ram which had miraculously appeared he obediently made a sacrifice to his Lord Who put him to this particular sacrifice.

One of the major significances of the pilgrimage is that it reminds us of the fine example of the great prophet Ibrahim. There is much to know about this wonderful man called ' Khalil Allah ' (خليل الله) ' the friend of Allah '. His life was very long and spent in the service of his Lord. The faith which Ibrahim taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad, the last of all prophets taught is the faith of the One God, Allah. Ibrahim was the father of the upright religion. As the Holy Quran says :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .
آل عمران ٦٧ .

It means : " Abraham was not a Jew, nor yet a Christian; but he was an upright man who had surrendered to (Allah), and he was not of the idolaters ".

To understand the true significance of the pilgrimage and the Eid al–Adha ' (the sacrificial feast which takes place on the 10th of Dhul Hijja), we must recall Ibrahim's life and his sacrifices. He showed us that we must submit to the Will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves in the process of strengthening our faith and character. From the very beginning, Ibrahim's life was separated from others by the hand of Allah. At his birth his mother had to hide in a cave to escape the soldiers of king Nimrood, who, because of a certain dream, had ordered the killing of all new–born children who were male. When still a youth he had a great spiritual experience which gave an indication of his future life.

He taught his people that there is a supreme Being, infinite and transcendent, above and beyond limited, human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, nobody is asked for help or mercy save Him. He is the Creator of this Universe, and there is no creator but He, no partner to Him. He is the Only one who is distinguished by worship and He is the Sole cherisher of human kind. If one follows the logical and simple proofs set out by the prophet Ibrahim to his people then one comes up to the ultimate conclusion that from him spread out the eternally vibrant rays of Islam. No wonder that Ibrahim is linked to the Muslim nation with strong bond. The Quran tells of many happenings in Ibrahim's life. One day Ibrahim asked his people : " What are these idols you worship ? You are wrong in doing so ". They replied. " Our fathers did so, so do we ".

HAJJ – The Pilgrimage In Islam

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Islamic University

Madina

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of Allah, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and wrong; and it reminds him of the overthrow of the idols and establishment of the worship of the One God. The pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot; that he is one of a great company of believers; united by one Faith filled with the same hopes reverencing the same things worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims; a conference that is called for by Allah for the noble purposes. There around and inside the sacred House of " the land made safe " (البلد الأمين) the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the world.

The eyes of the whole Muslim World fixed on that central spot, keep alive in the bossom of each some spark of the Divine fire which lighted up the earth in that age of darkness. The Holy Quran says :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا » آل عمران ٩٦ ، ٩٧ .

It means : " Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples; wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray; and whosoever enterth it is safe. And pilgrimage to the house is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither ".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

RABI'-UL-AKHAR – RAMADAN
1401 A. H.

[QUARTERLY]

50 & 51 **13 th YEAR**

مطابع الجامعة الإسلامية